الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique

قسم التاريخ وعلم الآثار

ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها الثقافي

300هـ 460 هـ /912م 1067 م

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المغرب الإسلامي

إعداد الطالب الباحث: **أمحمد بوشريط**

تحت إشراف الأستاذ الدكتور: **محمد بن معمر**

أعضاء لجنة المناقشة.

أ.د. عبد القادر بوباية	جامعة وهران	رئيسا
أ.د. محمد بن معمر	جامعة وهران	مشرفا مقررا
أ.د. فاطمة بلهواري	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د. مبخوت بودواية	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د. لخضر عبد لي	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. عبيد بوداود	جامعة معسكر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1432هـ - 1433هـ / 2011 – 2012 م

الحمد لله و الشكر لله الذي ساعدني على تحمّل مشاق هذا البحث وعلى تلك الصعاب التي واجهتني أثناء إنجازي له، والذي تمّ بحمده و عونه سبحانه وتعالى، إذ قال في محكم تنزيله وهو أصدق القائلين.

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

{ وقل ربّ زدني علما }

سورة طه،الآية: 114

{}—{}—{} كلمـــــة شكـــــر وتقـــديـــــر {}—{}—{}

أتقدم بالشكر الجزيل الى أستاذي الكريم الأستاذ الدكتـــور: محمـد بن معمـر الذي رافقني طـوال هذه الرحلة العلميـة، والتي توجت في الأخير بإنجاز هذه الأطروحـة والتي بذل فيها كل ما بوسعـه لإتمـامهـا، فقد استفدت كثيـرا من إرشاداتـه وتوجيهاتـه القيّمـة التي أفادتنـي في بحثـي هـذا، فكنت أجده دائما الى جانبـي ولم يبخل عليّ بلقاءاته سواء أكان ذلك في مقرّ سكنـاه، أو بالجـامعـة بالرغـم من كل المسؤوليـات الملقـاة على عاتقه. كما لا أنسى وقـوفه الى جانبي كلما دعـت الضـرورة الى ذلك، إضافة الى جعل مكتبته تحت تصرّفي.

كمـا أتقدم بالشكـر الجزيـل الى الأستاذ الـدكتـور: عبـد القـادر بـوبـايـة علـى تلـك المسـاعدات التي قدّمهـا لي طـوال انجـازي لهذا البحـث، ووضـع مكتبتـه الأنـدلسيـة تحت تصرّفي ولم يبخل عليّ بما احتوته مكتبته ولازال بعضها بحوزتي لحد الساعة كما أشكره على مساعدته على طبع هذه الرسالة.

إضـافة الى أسـاتـذتي الذين قاموا بتأطيري في الماجستير والذين أفـادونـي كثيــرا من الناحية المعلوماتية والمنهجية، أخصّ بالذكر المشرف الأستاذ الـدكتور محمد بن معمر والأستـاذ الـدكتور: عبد القـادر بوبايـة، والأستـاذة الـدكتورة: فاطمـة بلهواري، والـدكتور: غازي جاسم الشمّري. وأستاذة الإسبانية: عيساوي سعاد، كما أشيد بكل الأساتذة الذين أشرفوا على تدريسي أثناء تحضيري لشهادة ليسانس.

وشكري موصول الى كل أعضاء اللّجنة الذين وافقوا على مناقشة هذه الأطروحة والذين تحمّلوا مشاق ومتاعب السفر لأستفيد من نصائحهم القيّمة تفيدني وتفيد هذا البحث المتواضع.

وفي الأخير أوجّه شكري إلى كل من قدّم لي يد المساعدة لإنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، كما لا أنسى كمال الذي بذل مجهودات كبيرة لإخراج هذه الرسالة في شكلها النهائي.

إلى كل من أفنى عمره لخدمة العلم والعلماء

إلى كل من حمل القلم ليخطّ به تلك السّطور التي أضاءت الطريق لكل من أراد أن ينهل من علم هؤلاء الذين ضحّوا بكل ما لديهم، فجعلوا من أنفسهم شموعا تحترق لتضيء على الأخرين، إلاّ أن شمعة بعضهم انطفأت، ولكن نورها بقي مضيئا، فهو لا زال بادي للعيان بما تركوه من اثار تشهد على تفوقهم العلمي، فكان من هؤلاء الأفذاذ أستاذي العزيز الدكتور: يحيى بوعزيز ـ طيّب الله ثراه وأسكنه فسيح جنانه ـ الذي ضحّى بعمره لخدمة العلم، فكان بذلك مثالا يقتدى به.

كما لا أنسى الزميل الأستاذ: بهلولي سليمان الذي وافته المنية وهو يحضّر لرسالة الدكتوراه والتي ستحسب له في ميزان حسناته ـ إن شاء الله تعالى ـ

واخر هؤلاء الأخت الأستاذة سعدو التالية التي كانت زميلة الدراسة والتي وافتها المنية بمصر، ففقدنا فيها الأخت والأستاذة، التي كانت هي كذلك بصدد التحضير لرسالة الدكتوراه والتي ستحسب لها في ميزان حسناتها ـ إن شاء الله تعالى ـ

تغمد الله كلّ هؤلاء، - وكل من جعل العلم مطيّة لخدمة البشرية جمعاء - برحمته وعفوه ومغفرته.

ـ إنّه سميع عليم مجيب الدعوات ـ

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل إلى المرحوم الوالد العزيز وإلى الوالـدة العزيزة التي تعبت في تربيتي و التي أوصلتني إلى هذه المكانة بمعية والدي، فجزاهما اللـــه خيـر الجزاء، وأتمنى من العليّ القديـر أن يسكنهما فسيح جنانه مع النبيئين والصديقين.



مقدمة



المقدمة: من المواضيع الهامة التي لا تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة ظاهرة البيوتات التي شهدتها الأندلس، والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بتاريخها الحضاري، منذ أن وطئت أقدام الفاتحين المسلمين هذه الأرض عربهم وبربرهم، اذ لا يمكن أن نؤرخ لهذه البلاد دون التعرض لهذه الظاهرة.

لقد كانت هذه البيوتات طرفا فاعلا في ذلك التطور الذي شهدته الأندلس في ميادين شتى، خصوصا الميدان العسكري الذي كان من أولى أولويات الفتح المبكر لشبه الجزيرة الايبيرية، اذ أظهرت مشاركة فاعلة في هذه العملية، وذلك بتوليها مناصب قيادية عليا في الجيش، واستمر تولي مثل هذه المناصب جيلا بعد جيل، فتوارثه الأبناء عن الآباء وكذا الأحفاد عن الأجداد لقمع الفتن والاضطرابات التي عصفت بالأندلس عبر تاريخها الطويل، ولم تكتف هذه البيوتات بمثل هذه المناصب العسكرية، فكثيرا ما كانت تتولى خططا سنية، مثل: الوزارة والحجابة وغيرها من المناصب الادارية الأخرى، الأمر الذي ساعد كثيرا على بروز هذه الظاهرة بروزا قويا، مما أدى الى تثبيت أقدامها والاستقرار بهذه الأرض.

لا يخفى على أي باحث ما لهذد الطريق للخوض في الميدان الثقافي، والذي عرف أوج ازدهاره على عهد الخلافة، ولذلك اعتبر هذا العصر والذي يليه مرحلة جديدة في تاريخ الأندلس الثقافي، والذي ساهمت فيه، وعملت على تطويره أسر كثيرة، ذلك أن المصادر التي عنيت بالتأريخ الثقافي لهذه الأسر على اختلاف أنواعها، تقدّم مادة طيبة في هذا المجال خصوصا تلك التي نجت من الضياع.

ولهذا كله، ظهرت هذه البيوتات بما خلفته من آثار – وبخاصة في الميدان الثقافي – وسطع نجمها، وطارت شهرتها شرقا وغربا بسبب تألقها في ميادين معرفية شتى، شملت جزءا كبيرا من تراث الأندلس الثقافي، ولذا يمكن اعتبارها الأساس الذي قامت عليه الدولة الأموية بالأندلس، ولابراز مناحي هذه الأسر الثقافية، فقد ركزت في بحثي هذا، على نماذج من البيوتات العربية والبربرية بشكل خاص، بما كان لهذه الأخيرة من أدوار بارزة في تاريخ الأندلس الثقافي.

وأما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع، فهي:

1) قلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع – على حد علمي – وعدم وقوفي على دراسة جامعة تشمل إسهامات البيوتات الثقافية، فيما عدا بعض الدراسات التي توقفت عندها عجلة البحث على أسرة من الأسر.

2) محاولة تسليط الضوء على عدد لا بأس به من الأسر، والتي كانت لها إسهامات جليلة في الميدان الثقافي.

3) محاولة إبراز هذه الظاهرة، ومدى تأثيرها على الساحة الأندلسية، و التي فرضت وجودها كمُكَوِّنٍ اجتماعي له وزنه وثقله في المجتمع الأندلسي، وفي بلاط بني أمية.

4) محاولة إثراء الساحة الثقافية بما تركه هؤلاء من مادة علمية، وما خلفته من مؤلفات الموجودة منها والمفقودة.

أما أهمية الموضوع، فتكمن في تعريفنا – بنوع من التفصيل - على ما خَلَّفَتْهُ هذه الأسر من ارث حضاري يَخُصُّ الجانب الثقافي، فهو يطلعنا على اسهاماتها في ميادين معرفية شتى، شملت مختلف أنواع العلوم، النقلية والعقلية وحتى التجريبية منها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالموضوع الذي نحن بصدد دراسته يطلعنا كذلك على أن هذا الإرث الثقافي لم يكن نتاج فرد من الأفراد، أو أسرة من الأسر، بل كانت نتيجة لتظافر جهود مختلف هذه البيوتات، وتنافسها العلمي، والذي استمر ردحا من الزمن، فتوارثته الأجيال كابر عن كابر، الأمر الذي جعلها تحتكر العلم وتختص به دون غيرها، مما خَلَّدَ وجودهم في مضان كتب التراجم والصلات، وحافظ على وجودها فترة لا يستهان بها من تاريخ الأندلس.

اضافة الى ذلك، يضعنا موضوع هذه الدراسة أمام حقيقة لا يمكن انكارها، و هي أن ظاهرة تشكل البيوتات، لم يكن نتاج هذه الأرض المفتوحة – ونعني بها أرض الأندلس – بل نتيجة لتلك الهجرات الوافدة من المشرق الاسلامي والتي كان هدفها الرئيس الفتح أولا، ثم الاستقرار ثانيا. وفي مرحلة لاحقة بدأ هذا التشكل يكتسي طابعا محليا، وتحولت هذه الأسر الى بيوتات أندلسية بامتياز.

أما الإشكالية المطروحة، فتتمثل في جملة من التساؤلات منها:

*ما هي الأسباب التي أدت إلى تَشَكُّلِ مثل هذه البيوتات، والى أي أصول تنتمي هذه الأخيرة.

* ما هي العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ وهل يمكن لنا تغليب عامل على آخر؟ أم يمكن اعتبار كل هذه العوامل متظافرة قد ساهمت في ظهور هذه الظاهرة بالأندلس؟ وهل كان هذا الظهور ظهورا قد تَقَيَّدَ بفترة زمنية معينة، ثم سرعان ما تختفي؟.

* هل اهتمت المصادر بذكر سنة بعينها لدخول الجد الأول لهذه الأسرة أو تلك، أم أغفلت ذلك؟ وهل كان باستطاعتنا التَعَرُّف على اسم أول من دخل إلى هذه الأرض؟

* ما هي الميادين الثقافية التي خاضت فيها هذه الأسر؟ وهل اختصت بميدان دون أخر.

* هل نجت بعض مؤلفات هذه البيوتات من الضياع والتي شهدت لهذه الأسرة أو تلك بتفوقها العلمي؟

* هل وجدت أسر قد اختصت بالتأليف في التاريخ، أم اقتصر ذلك على بعض من أفرادها؟ وما هي العلوم الأخرى التي خاضت فيها، ولم تبرز فيها كأسر فاعلة إذا ما قارنا ذلك بعلوم الشريعة والأدب؟

تلك هي جملة من التساؤلات، والتي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث المتواضع متوخيا في ذلك تحرّي الحقيقة والموضوعية قدر المستطاع.

ويقوم هذا البحث الذي أنا بصدد دراسته على منهجية فرضتها طبيعة الموضوع والمتمثلة في المنهج المقارن التحليلي.

فأما المقارن، فقمت فيه بعرض لأسماء عدد من البيوتات ومدى مساهمتها في العلوم التي برزت فيها ومقارنتها ببعضها البعض، معتمدا في ترتيبي لها حسب أهميتها العلمية وما تركته من آثار في الميدان الثقافي من مؤلفات والتي حفظت لنا بعض المصادر على عناوين لها، ثم تليها البيوتات التي كان لها فيها اسهامات عن طريق العلم وتعليمه للتلاميذ الذين كانوا يرتادون حلقاتهم، سواء أكان ذلك في المسجد أو في بيوت شيوخهم.

كما حاولت في بحثي هذا، اعتماد المنهج التحليلي قدر المستطاع، اذ قمت برسم دوائر نسبية تبين مدى مساهمة البيوتات مثلا: في علوم الشريعة، مع توضيح نوع العلم

الذي حاز عصا السبق لدى علماء الأندلس، وأسباب ذلك مع التعليق على هــذه النســب، متبعا في ذلك المنهج الاستقرائي المقارن ونفس المنهج اتبعته مع الأدب، والمتمثــل فـــي أعمدة بيانية، والتعليق عليها وتحليل ما ورد فيها من نسب تفاوتت أهميتها في فروع هــذا العلم، كما اتبعت ذات المنهج فيما تبقى من العلوم، مع الاستعانة بجداول توضــح دخــول الجد الأول الى هذه الأرض وخريطة تحليلية لمناطق تَوَزُّع البيوتات في منــاطق معينــة مستقرءا في ذلك ومحللا أسباب هذا التوزيع.

ومن الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا، هي تتبع هذه الظاهرة بســبب عــدم امداد المصادر بمعلومات وافية عن دخول هذه الأسر الى الأندلس، اضــافة الــى ذلــك الانقطاع الحاصل بين الجد والأحفاد، والذي كثيرا ما صعّب عليّ اعادة بناء شجر نســب بعض الأسر.

اضافة الى صعوبة جمع شتات هذه البيوتات، وبالتالي جمع تراثهم الثقــافي، فهــذا الأخير لم يؤثر عليه مجموعا في مصادر بعينها، بل كان متناثرا في مضان عدة مصادر.

ومن صعوبات البحث كذلك، هو تعاملي مع ميادين معرفية شــتى، منهــا علــوم الشريعة مما اضطرني للتعامل مع بعض المصطلحات الفقهية والحديثية أجبرتني في كثير من الأحيان للعودة الى معاجم ومصادر مُتَخَصِصَة لفهم هذا النص أو ذاك، وهذا ينطبــق كذلك على الأدب، بشعره ونثره، اذ وجدت نفسي مضطرا للتعامل مع قصائد شعرية عدّة، موزّعة على مصادر متعدّدة، مما اضطرني للرجوع الى معظمها حتى أتمكن من المقارنة بينها واستخراج تلك الاختلافات الواردة بها، وبخاصة في رسم حروفها، مــع العلــم أن اختلاف رسم الكلمة في الأدب، لا يعني الاختلاف في المعنى، وهذا ما استشفته من خلال تعاملي مع القواميس المتخصِّصة في اللغة لشرح ما غمض من ألفاظ.

ومن الدراسات التي توقفت عندها عجلة البحث على أسرة من الأسر واستفدت منها نذكر:

أ- أسرة أبي عبدة ودورها في تاريخ الأندلس في عهد الولاة والإمــارة (92هـــ/316م) للباحثة نهلة شهاب أحمد، وهي منشورة ضمن مجلة البحث العلمي التي يصدرها المعهــد الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

ب- بنو أبي عبدة "الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر دويلات الطوائف. للباحثة سحر السيد عبد العزيز سالم، وهي منشورة ضمن مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد.

ج – بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري. أسرة من المولدين بمرسية في العصر الاسلامي. للباحثة سحر عبد العزيز سالم. نشرتها مؤسسة شباب الجامعة.

د- بنو عاصم – أسرة أندلسية من العلماء والسياسيين وأثرهم في غرناطة في عصر بني الأحمر – للباحث أحمد بن محمد الطوخي. منشورة ضمن السّجل العلمي - الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات.

هـ- بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية للباحث محمد بن شريفة وهو بحث منشور ضمن منشورات كلية الآداب بأغادير.

كما مكنتني مطالعتي من التعرّف على بعض المراجع التي حاولت قدر المستطاع جمع شتات بعض البيوتات المتفرّقة بين ثنايا المصادر نذكر منها:

أ- بيوتات العلم والحديث في الأندلس لمؤلفه: محمد بن زين العابدين رستم طبع طبعته الأولى بدار ابن حزم سنة 1430هـ/2009م.

ب- البيوتات الأندلسية – بحث في المكونات والضوابط والنتائج – للباحث عبد السلام بن المختار شقور، منشور ضمن السجل العلمي لندوة الأندلس.

ج- شاطبة: الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الاسلامي (التاريخ السياسي والحضاري) من تأليف: سحر السيد عبد العزيز سالم – نشر مؤسسة شباب الجامعة –سنة 1995م. اذ خَصَّصَتْ فيه 44 صفحة، أوردت فيها أهم الأسرات الشاطبية التي اشتغلت بالعلوم الدينية والأدبية واللغوية.

ولحل اشكالات هذا الموضوع، فقد قمت بتقسيمه الى أربعة فصول، وقدمت له بمقدمة ومدخل.

فأما المقدمة، فهي عبارة عن عرض شامل لموضوع الرسالة، وأهم الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، مع التركيز على أهميته، والمنهج المتبع في هذه الدراسة،

ثم أتبعته بهيكلة الموضوع، ويليه عرض لأهم المصادر التي كان جلّ اعتمادي عليها في انجازي لهذا البحث، ومدى الأهمية التي تكتسيها هذه الأخيرة مقارنة بمصادر أخرى.

وأما المدخل، فقد خصّصته للظروف التي مرت بها الأندلس وتأثيراتها على ظهور البيوتات العلمية، ولتوضيح ذلك، فقد قمت بحصر بعض أسباب تأخر البيوتات في ظهورها كأسر علمية فاعلة، منها: اهتمام هذه الأخيرة بعملية الفتح والانشغال بقمع الفتن والتمردات التي كانت الأندلس مسرحا لها، الى أن حل على هذه البلاد عصر وُسِمَ في أدبيات التاريخ السياسي بالعصر الذهبي، والذي توّجه اعتلاء عبد الرحمن الناصر لسدة الحكم واعلانه لقيام الخلافة الأموية بالأندلس سنة 316هـ/928م، وستعرف الأندلس على عهده ومن خلفه ازدهارا ثقافيا لا مثيل له.

وأما الفصل الأول: فقد تعرضت فيه الى ظاهرة البيوتات الأندلسية، والطريقة التي تم بواسطتها هذا التشكل، كما أشرت فيه الى أهم الأسباب التي أدت الى تشكل هذه الظاهرة، ودور الاقطاع في استقرار هذه الأسر بهذه الأرض المفتوحة، ووصلتها بنماذج لبعض البيوتات واقطاعاتها، ثم عرّجت بعدها الى تبيان العوامل التي أدت الى ظهور مثل هذه البيوتات وبروزها كأسر فاعلة على الساحة الأندلسية.

وفي الفصل الثاني: تطرّقت الى اسهامات البيوتات في العلوم النقلية، وبدأت فيه باعطاء نماذج من هذه البيوتات واسهاماتها في الفقه، فقسمتها الى بيوتات رئيسة أبرزت من خلالها عطاءاتهم في هذا الحقل المعرفي، وأهم ما ألفوه في هذا الميدان، ثم أتبعتها بأسر، احتلت الرتبة الثانية من حيث تنويه المصادر بعلمائهم وبيوتهم، ثم تلتها بيوتات كان لها حظ في هذا العلم.

كما تناولت بالدراسة في هذا الفصل، مشاهير بيوتات علم الحديث وانجازاتها فيه، فركّزت على تلك الأسر التي كان لها فيه تأليف اختلفت أهميتها من بيت لآخر، فمنهم من بقيت مؤلفاتهم تشهد على تفوقها في هذا العلم، ومنهم من عُرفت بعناوينها مما جعلها تتميز عن سائر البيوتات الأخرى، ثم انتقلت بعدها لذكر مشاركة أسر علمية أخرى، تركت بصماتها فيه، وهذا ما نستشفُّه من خلال مطالعتنا لما ورد في مضان المصادر بخصوص مثل هذه البيوتات.

وختمت هذا الفصل، بعرض مختصر لبعض علماء البيوتات ، والتي كانــت لهــا عناية بعلوم القرآن، وأهم ما ألف فيه.

وأما الفصل الثالث: فقد خصصته لانجازات البيوتات الأندلسية فـــي ميــدان الأدب واللّغة، فبادئ ذي بدء، بدأت بالبيوتات التي وسمت بالأدبية بسبب تعاطيها للشعر أكثر من غيره من العلوم الأخرى، وقد كان لبعضها اسهامات جليلة فيه.

وإذا انتقلنا للحديث عن النثر، فقد تعرّضت في هذا الفصل الـــى مســاهمة بعــض الأسر فيه، والتي حظيت بثناء المصادر على أفرادها، وبعدها تناولت بالدراسة بعضا من آثارها في فني الترسل، كالكتابة الديوانية والاخوانية. ثم انتقلت بعدها الى عرض مــوجز لأنواع أخرى من النثر عرفها الأدب العربي عبر عصوره المختلفة.

وخاتمة هذه الفصول، فقد تناولت فيه دور البيوتات في عملية التدوين التــاريخي، اضافة الى باقي العلوم الأخرى، فبالنسبة للتاريخ، فقد خَصَّصْتُ جزءا بسيطا لاســهامات البيوتات في رواية الأخبار، ثم عملية التدوين التاريخي واتجاهاته وأولى المحاولات فـــي عملية الكتابة التاريخية بالأندلس، كما حاولت من خلال هذا الفصل، ابراز مشاركة أفــراد من أسر شتى في فني التراجم والفهارس، و التأريخ للسير والأنساب، ثم التــأريخ العــام للأندلس، وتوقفت عندها الى ما جادت به قريحة هؤلاء في هــذا الميــدان، والتـــي لازال بعضها متداولا، الا أن معظمها تعتبر في عداد المؤلفات المفقودة.

عرض ونقد المصادر: قبل الخوض في دراستي لموضـــوع البيوتـــات ودورهـــم الثقافي، كان لزاما عليّ عرض أهم المصادر التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحــث، والتي أفادتني كثيرا للإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، وســيكون التركيــز فـــي هــذا العرض على تلك التي كان اعتمادي عليها بدرجة أكبر.

أولا: كتب التراجم:

1- تاريخ علماء الأندلس: لمؤلفه الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بــن نصر الأزدي المشهور بابن الفرضي المتوفى سنة 403هـــ/1013م. خصّصــه

لذكر أسماء الرجال وأنسابهم، وقد قصد فيه الاختصار، فجاء ترتيبه على حروف المعجم.[1]

أفادني هذا المصدر في التعرّف على بعض الأسر المتناثرة بين ثنايا هـذا الكتـاب وعطاءاتهم الثقافية التي شملت ميادين معرفية شتى. إضافة إلـى إيـراده لشـيوخ هـذه البيوتات الذين تلقوا عنهم هذه المعارف، وقد كان ابن الفرضي دقيقا في تحديد عدد هؤلاء بالأرقام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قد استفدت منه في ترجمة بعض الأعلام الـواردة في هذا البحث.

2- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمؤلفه: الإمام أبي محمد بن أبي نصر فتوح بـن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي المتوفي سنة 488هـ/1095م.

لقد قام بتأليف هذا الكتاب وهو ببغداد بعيدا عن أرض الأندلس، وبالرغم من ذلـك فقد ألف كتابه هذا الذي اهتم فيه بالجانب الأدبي والعلمي، وقد وجـه عنايتـه فيـه إلـى أصحاب الحديث وأهل الفقه والأدب، فبدأ كتابه هذا بمقدمة تاريخية وضع فيها القارئ أمام التطورات السياسية التي عاش فيها هؤلاء العلماء.[2]

استفدت منه كذلك في التعرف على بعض الأسر العلمية التي خاضت فـي الفقـه والحديث، إضافة إلى تلك الاستشهادات الشعرية لبعض البيوتات، والتي أفادتني كثيرا في الميدان الأدبي.

كما أفادني هذا المصدر ببعض عناوين مؤلفات هذه البيوتات، منها: كتاب المجتبى لقاسم بن الأصبغ، إضافة إلى تلك الإشارات الواردة في مضان هذا المؤلف التـي تبـرز اهتمامات بعض أفراد هذه الأسر بالجانب التاريخي، كمشاركتها في فن التـراجم والتـي شملت تراجم الفقهاء والمحدثين والشعراء.

---

[1]- ابن الفرضي الأزدي: تاريخ علماء الأندلس – تحقيق: د/ صلاح الدين الهواري – المكتبة العصـرية – صـيدا – بيروت – لبنان – ط1 – 1427هـ/2006م – ص13.

[2]- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس – قدم له وضبطه وشرحه: د/ صلاح الدين الهـواري – المكتبـة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان – ط1 – 1425هـ/2004م – ص17 وما يليها. وينظر ابن سودة: دليل مـؤرخ المغرب الأقصى – ضبط واسـتدراك مكتـب البحـوث والدراسـات – دار الفكـر – بيـروت – لبنـان – ط1 – 1418هـ/1997م – ص174.

3- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك للمؤلف القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 544هـ/1149م.

كان من أهل التفنن في العلم والذكاء والفطنة[1]، الأمر الذي ساعده على مثل هذه التأليف، منها كتابه هذا، وهو كتاب يحوي أسماء أعيان المالكية وأعلامهم وطبقاتهم، وذكر سيرهم، وأخبارهم[2]، وهو أوسع كتاب في طبقات المالكية.[3]

لقد أفادني كثيرا في استخراج بعض مؤلفات هذه البيوتات، مثل كتاب "التوصل مما ليس في الموطأ" لأبي بكر بن السليم وكتاب "اختصار كتاب المروزي في الاختلاف" وغيرها من المؤلفات لبيوتات أخرى.

أما الإفادة الكبرى، فتتمثل في ذكره لـ: "كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك" لمؤلفه محمد بن عبد الله بن أبي دليم، وهو يدخل ضمن كتاب تراجم الفقهاء، ونظرا لأهميته، كان اعتماد القاضي عليه كبيرا.

كما أفادني في ترجمة بعض الشخصيات غير الأندلسية الواردة في بحثي هذا.

4- التكملة لكتاب الصلة لمؤلفه: أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار المتوفى سنة 658هـ/1260م.

لقد وصل به كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي والصلة لابن بشكوال، ذكر فيها رجال الأندلس والمغرب.[4]

لقد أفادني كثيرا بعدد لا يستهان من أفراد بيوتات مختلفة الأعراق، وبخاصة إذا وجدناه في أحايين عدة يفصّل في ترجمتهم، كما هو الشأن لبيت بني يحي الليثي وغيرها من البيوتات، إضافة إلى أنه كان يرفع من نسب بعض هذه الأسر، الأمر الذي ساعدني على تتبع هذه الظاهرة، وتتبع خط هجرتها من المشرق إلى الأندلس.

---

[1]- القفطي: انباه الرواة على أنباء النحاة – تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ2004م – ج2 – ص364.

[2]- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1418هـ/ 1998 –م – ج1 – ص8.

[3]- طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان – ط1 – 1424هـ/ 2004م – ج2 – ص853.

[4]- ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة – تحقيق: د/ عبد السلام الهراس – دار الفكر – 1415هـ/1995م – ج1 – ص5. وينظر المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب – من الفتح الى نهاية العصر الحديث – منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط – المملكة المغربية – 1404هـ/ 1983م – ج1 – ص57.

كما لم يهمل الجانب الثقافي لها، فقد كان يتتبع مسيرة هذه الأسر الثقافية والميادين التي خاضت فيها، إذ أحاط بكل شخصية من هذه الشخصيات المترجم لها إحاطة كاملة.

لم يقتصر في عرضه هذا على رأي واحد، بل كان يعرض الرأيين، فعنـــد ذكـــره لنسب بيت بني يحي الليثي، يضيف قائلا: وكانوا يدعون كذلك بآل أبي عيسى، إضافة إلى تدقيقه في تصحيح بعض الأخطاء.

أما كتابه الثاني والموسوم بـــ: الحلة السيراء في تراجم الشعراء، ذكر فيه أعيـــان الشعراء بالأندلس والمغرب من المائة الثانية للهجري إلى المائة السابعة.[1]

وقد قام بترتيب معلوماته على أساس الترتيب الزمني الأمر الذي يُسَهِّل للباحث أداء مهمته العلمية.[2]

لقد أفادني بالتعريف ببعض الأسر، وبخاصة تلك التي فصّل في ترجمتهـــا، منهـــا: بيت بني أبي عبدة وبيت بني جهور البختيون، ومن جهة أخرى قد أشار إلى سنة دخـــول بعض البيوتات إلى أرض الأندلس، وان كان دخول هؤلاء فرادى أم جماعات، و هذا في حد ذاته ساعدني كثيرا على تتبع ظاهرة البيوتات والأسباب التي أدت إلى تشكلها.

كما أفادني ببعض مؤلفات هذه البيوتات، منها: كتاب "الهادي إلى معرفـــة النســـب العبادي" لأبي الفضل وهو أحد أبناء ابن حزم الظاهري، وكتاب أبي بكر ابن مزين الـــذي يؤرخ فيه لتاريخ الأندلس، وقد اعتمد عليها ابن الأبار في إيراد أخبار الأندلس.

5- كتاب الصلة لمؤلفه: أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى المعـــروف بابن بشكوال المتوفى سنة 578هـــ/1183م. صاحب التاريخ.

لقد وصل ابن بشكوال كتابه هذا، كتاب ابن الفرضي، وصنّفه على حروف المعجم فذكر فيه من أخبار هؤلاء العلماء وآثارهم وسيرهم وأنسابهم ومواليدهم و وفايتهم، وعمن

---

[1]- المنوني: المرجع السابق – ج1 – ص58.

[2]- عبد القادر بوباية: المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس – كوكب العلوم للنشر والتوزيع – الجزائر – ط1 – 1432هـــ/2011م – صص132-133.

أخذوا.[1] فضمنه سير طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء و أهل الأدب، فعُدَّ هذا الكتاب من اجلِّ كتبه.[2]

لقد أفادني هذا المصدر كذلك في التعرّف على بعض الأسر، وبخاصة تلك التي فصّل في ترجمتها مثل: بيت بني شهيد وبيت بني سراج، فقد جاءت ترجمة هذا الأخير متسلسلة الأمر الذي ساعدني على تتبع آثارهم الثقافية، وكذا إعادة بناء شجرة هذه الأسرة.

والفائدة الثانية التي أفادني إياها هي ذكره لبعض مؤلفات هذه الأسر، منها على سبيل المثال لا الحصر "كتاب شفاء الصدور" لعبد الرحمن بن محمد بن عتّاب، و"كتاب التعريف برجال الموطأ" لابن الحذاء، وفهرستي ابن عتّاب وابن الحدّاء والتي اعتمد عليها ابن بشكوال في ترجمته لبعض أعلام الفقهاء والمحدثين والأدباء.

6- كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لمؤلفه: ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم (600هـ-668هـ/1203م-1270م).

يقول في مقدمة كتابه: "لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد تفصيلها في الكتب الالاهية والأوامر الشرعية...أن يكون الاعتناء بها أشد،...ولم أجد لأحد من أربابها ولا من انعم الاعتناء بها كتابا جامعا في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم..."[3]

أفادني هذا المصدر عند تعرضي لاسهامات بعض البيوتات في ميدان الطب، من هذه الأسر أسرة بني زهر وأسرة بني وافد، فعند ترجمته لبعض أفرادها، يفصّل في ترجمتها ولا يكتفي بذكر مهارة هؤلاء في الطب، بل يتجاوزها الى معارف أخرى، كالعدد وعلم النجوم والهندسة، وغيرها من العلوم الأخرى.

ثانيا: كتب الطبقات:

1- طبقات الحفاظ لمؤلفه: عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد المعروف بالسيوطي المتوفى سنة 911هـ/1005م.

---

[1]- ابن بشكوال: الصلة – تحقيق: الدار المصرية للتأليف والترجمة – ص1966.

[2]- آنجل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي – نقله عن الاسبانية: د/ حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – دت – ص273.

[3]- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ضيطه وصححه ووضع فهارسه: محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1419هـ/1998م – ص5.

لقد عُدَّ من العلماء المكثرين في التأليف إذ نافت عن 500 مؤلف[1]، وهذا الكتاب قام بتلخيصه من طبقات إمام الحفاظ أبي عبد الله الذهبي، ثم ذيل عليه من جاء بعده.[2]

لقد أفادني كثيرا بتعريفي ببعض مؤلفات الأسر الأندلسية، منها: "كتاب المجتبى المسند لقاسم بن أصبغ (العوالي) ومؤلف ابن فطيس "فضائل الصحابة"، وهو في ذلك لا يكتفي بذكرها، بل يذكر الأجزاء التي تتكون منها، إضافة إلى جلب مؤلفات المشارقة ليستفيد منها أهل الأندلس، وهذه كلها مؤلفات حديثية.

2- طبقات المفسرين لمؤلفه: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المعروف بالداودي المتوفى سنة 945هـ/1538م.

كان شيخ أهل الحديث في عصره، وقد أورد فيه طبقات من فسّر القرآن الكريم ومن وصف بمعرفة تفسيره.[3]

لقد أفادني في نقطتين: الأولى إسهامات بعض الأسر في علم الحديث وأهم ما ألفوه في هذا الميدان، كمؤلفات بيت بني أصبغ وبني فطيس، اضافة إلى مؤلفات أخرى.

أما النقطة الثانية: فتتمثل في إبرازه لما ألفته هذه البيوتات في ميدان التفسير، وما يجلب الانتباه أنه يفصّل في تراجم بعض أعلام هذه البيوتات كما فعل مع ابن أبي زمنين، إذ يظهر تعدد مناحيه الثقافية، ثم يذكر إسهاماته في التفسير ويذكر مؤلفاته فيه، إضافة إلى إفادتنا بعدد من الأسر التي خاضت في هذا العلم نذكر منهم: بيت بني عتّاب وغيرها من البيوتات وان تميّزت بالقلة.

3- طبقات اللغويين والنحويين لمؤلفه أبي بكر محمد بن الحسن الأندلسي المعروف بالزبيدي المتوفى نحو 380هـ/990م.

كان تأليفه لهذا الكتاب بطلب من الحكم المستنصر بالله، وقد ذكر فيه من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام، ثم من تلاهم إلى زمن المؤلف مع الاعتناء بذكر موالدهم ووفياتهم وأخبارهم[1]. كان من الأئمة في اللغة والعربية وله تآليف فيها.[2]

---

[1]- ينظر عن مؤلفاته: رضا كحالة : معجم المؤلفين- ج2- ص82.

[2]- السيوطي: طبقات الحفاظ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط2 – 1414هـ/1994م –ص4.

[3]- الداودي: طبقات المفسرين – ضبطه ووضع حواشيه – عبد السلام عبد المعين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1422هـ/2002م – ص558. وينظر خير الدين الزركلي: الأعلام- ج6 - دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط17 – 2007م- ص301

يعتبر هذا المصدر من المصادر المهمة، لأن كلا من ابـن الفرضـي والحمـوي والقفطي والسيوطي وغيرهم، ينقلون عن الزبيدي.

وتكمن أهميته في أنه مصدر متقدم وعاصر بعض أحداث الفترة التي تعالج هذا البحث، إذ أظهر فيه الجانب اللغوي لبعض من ترجم لهم من أفراد هذه الأسر كبيت بني زهر وآل البلوطي وآل الرازي، إلا أنه في بعض تراجمه يختصر اختصارا شديدا قد لا تتعدى السطرين، كما هو الشأن لموسى بن أزهر، وعند انتقاله لآل البلوطي يفرد لمنذر بن سعيد الصفحة وما يزيد عن نصف الصفحة، وكذا الشأن لبيت بني عبد الرءوف الممثل في أحد أفراده، وهو أبو وهب بن عبد الرءوف.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يطلعنا على بعض إسهاماتهم في ميادين معرفيـة أخرى كالحديث مثلا، وتتخلل كذلك هذه الترجمة أبياتا شعرية قد تفيدنا في الجانب الأدبي لهذه الأسر، كما أفادني في الترجمة لبعض الأعلام الواردة في البحث مـن غيـر بـلاد الأندلس.

ثالثا: الفهارس والبرامج

1- فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف لمؤلفها: أبو بكر محمد بن خير بن عمر المشهور بابن خيـر الاشـبيلي المتـوفى سـنة 575هـ/1179م.

كان من الفقهاء والمحدثين، مقرئ مُجَوِّد، ومن أهل الضبط والإتقـان[3]، يـذكر أن فهرسته هذه عشرة أجزاء أورد فيها ما قرأه من الكتب في شتّى العلوم وأسـماء شـيوخه الذين درس عليهم وأجازوه.[4]

لقد أفادني هذا المصدر في التعرف على بعض البيوتات الذين كان يـربطهم سـند واحد، فذكرهم مجتمعين وكأنهم أسرة ضمن شجرة واحدة رسمها لهم ابن خير هذا، و هذا

---

[1] - الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين – تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم – دار المعارف بمصر – دت –ص17.

[2] - الحميدي: المصدر السابق – ص52.

[3] - الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس – المكتبة العصرية – صـيدا – بيـروت – لبنـان – ط1 – 1426هـ/2005م – ص73.

[4] - آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص281

ما يظهر لنا جليا عند ذكر سند بعض البيوتات منهم: بيت شريعة وبيت بني يحي الليثـــي، إذ ذكر منها عددا من الأفراد الأمر الذي سهّل عليّ التعرّف على هذا البيت أو ذاك.

ومن جهة أخرى أفادني ببعض تأليف هذه البيوتات منها: مؤلف ابـــن أيمـــن فـــي الحديث الذي ذكره وأثنى عليه، و "أحكام القرآن" و "الناسخ والمنسوخ" لمنذر بـــن ســـعيد البلوطي، وغيرها من المؤلفات، كما لا يكتفي بذكرها وإنما يذكر المنهجية التـــي صُـــنِّفَتْ بها بعض هذه المؤلفات، كقوله: "مصنّف على أبواب الفقه".

كما أفادني – عندما رمت إبراز إسهامات البيوتات في التاريخ – على بعض مصنّفاتهم في فنون عدة منها: الفهرسة، كفهرسة عبد الرحمن بن عتّاب وابن حزم الظاهري وغيرهما، إضافة إلى التأريخ للسيرة النبوية الشريفة منها: اختصار سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي عيسى يحي بن عبد الله الليثي.

2- فهرس لمؤلفه الإمام القاضي أبي محمد عبد الحق المشهور بـــابن عطيـــة الأندلســـي المتوفى سنة 541هـ/1146م.

كان فقيها عالما بالتفسير والحديث والأحكام والنحو واللغة[1]، يقول في مقدمة كتابه: "هذه تسمية من لقيته من الشيوخ حملة العلم، وذكر ما رويته عنهم ومن أجازني."[2]

لقد أفادني كثيرا ببعض مؤلفات هذه الأسر ســـواء أكـــان ذلـــك فـــي الحـــديث أو الفهارس، منها: كتاب الخصال لابن زرب وكتاب الدلائل لأسرة بني ثابت بن قاســـم بـــن حزم وفهرسة بيت بني عتاب.

ومن خلال تصفحي لهذا المصدر، فقد أطلعني على أفراد من بيوتات عدة ساعدني على بناء شجرة نسب كل أسرة من هذه الأسر منها بيت بني دليم وبني الحذاء وغيرها.

3- برنامج المجاري: لمؤلفه أبي عبد الله محمـــد المجـــاري الأندلســـي المتـــوفى ســـنة 862هـ/1457م.

وفيه قام بتسمية أشياخه العلماء الجِلَّة الذين أخذ عنهم العلوم، إلا أنه فـــي الأخيـــر يشكو تقصيره فيه[1]. كان إماما متفنن الرواية وخاتمة الرواة بالأندلس.

---

[1]- ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنـــان – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1417هـ/1996 – ص276.

[2]- ابن عطية: فهرس – تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط2 – 1983م – ص59.

لقد أفادني في نقطة مهمة، وهي: تعريفي بمؤلف ابن أبي زمنين من جهة، ومن جهة أخرى هذه الالتفاتة الطيبة تدل على أن هذا المؤلف كان معروفا إلى زمن المجاري، أي إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (15م).

رابعا: **كتب الأنساب**: لا يخامرنا الشك أن هذا النوع من المصادر لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة البيوتات، فهي تساعدنا كثيرا للتعرف على أنساب الأسر، ولذلك استعنت بعدد منها نذكرها على النحو التالي:

1- جمهرة أنساب العرب لمؤلفه: ابن حزم السالف الذكر.

يتناول هذا الكتاب الكلام عن الأسر العربية والبربرية والاسبانية التي عاشت بالأندلس[2]، وقد ظهر النسب عند ابن حزم كعلم غير جاف بسبب اختلاطه بالأحداث التاريخية.[3]

لقد أفادني في تتبع نسب بعض الأسر الأندلسية وأصولها الأولى التي كانت تنتمي إليها من قبل، مثل: بيت بني مغيث الرومي، إضافة لتعرضه لعدد من البيوتات ومواطن استقرارها بالأندلس، وهذا في حد ذاته يساعدنا على رسم خارطة توزيع لهذه البيوتات، وأهم اقطاعاتها، فهذا التوزيع يساعدنا على معرفة الأسباب التي أدت إلى تشكلها وظهورها كأسر فاعلة في المجتمع الأندلسي.

وفي أحايين أخرى، يورد لنا نسب بعض الأسر من الجد الأول إلى غاية آخر من دخل أرض الأندلس من أفرادها، وتفرع دوحتهم، وهذا الكلام ينسحب على بيت بني صمادح.

وفي شقه الثاني، أفادني بنسب بيوتات البربر، وقد انفرد ابن حزم بذلك عن باقي المصادر الأخرى.

---

[1]- المجاري: برنامج – تحقيق: محمد أبو الأجفان – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1982م – ص84 – 158.

[2]- مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس – صص323 – 324.

[3]- عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري الصحوة للنشر والتوزيع- مصر – ط1 – 1431هـ/2010 – ص189.

إضافة إلى هذا المصدر الأساس، فقد وجدت مصادر أخرى استعنت بها في تبيان نسب بعض البيوتات كالمعيطي والتجيبي والمعافري، وغيرها من الأنساب، فمن هذه المؤلفات.

أ- الأنباه على قبائل الرواة لمؤلفه: أبو عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر المتوفى سنة 463هـ/1070م.

ب- رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الإسلام لمؤلفه: أبو العباس أحمد بن علي القاشاني[1] المعروف بابن بابه.

ج- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب لمؤلفه: السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف المعروف بابن رسول المتوفى سنة 696هـ/ 1296م.

خامسا: الكتب الأدبية:

1- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لمؤلفه: أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني المتوفى سنة 542هـ/1148م.

ألفه في تراجم علماء الأندلس إلى عصره، وقد احتوى على 154 ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصره أو تقدموه قليلا[2]. وقد ألفه رغبة منه للتعريف بالأدباء الأندلسيين.[3]

استفدت من هذا الكتاب في كثير من فصوله، إذ احتوى على نصوص كثيرة من آثار البيوتات النثرية منها والشعرية، مثل: بيت بني برد وبيت بني درّاج وغيرها من البيوتات، إضافة إلى أنه كان في مواضع عدّة يعرفنا بهذه البيوتات وباقي أفرادها.

2- طوق الحمامة في الأُلْفَةِ والإِلاَف لمؤلفه ابن حزم الظاهري.

ألف ابن حزم هذا الأثر الأدبي رغبة لسائل طلب منه تصنيف رسالة في صفة الحُبِّ ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه، فجاء هذا الأثر في ثلاثين بابا.[1]

---

[1]- وتكتب بسين مهملة – القاساني – نسبة الى مدينة (قم) – جلال الدين السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب – محققة على سخة خطية – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط1 – 1422هـ/ 2002م – ص312

[2]- المنوني: المرجع السابق – ص31 – خير الدين الزركلي: المرجع السابق – مج4 – ص226.

[3]- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص290.

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية التي تناولت تراث ابن حـــزم الأدبـــي – شعرا ونثرا – إذ لا يمكن الاستغناء عنه لكل من يروم تتبع آثاره في هذا الميدان.

وعند قرضه لبعض الأشعار، فكثيرا ما كان يشير إلى سبب قرضه لها، و هذا مـــا سهّل عليَّ عملية استخراج المناسبة التي قيل فيها هذا الشعر أو ذاك.

إضافة إلى ذلك، فقد عرّفني على بعض أفراد البيوتات، كبيت بني الطبني مـــنهم: أبي عبد الله محمد بن يحي، إذ أحاط به إحاطة كاملة من حيث التعريف به ثقافيـــا، وكـــذا بيت بني الحذاء.

3- رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد أحمد بن عبد الملـــك بـــن أحمـــد المتـــوفى ســـنة 426هــ/1034م.

اعتبر ابن شهيد هذا، أبرز الشخصيات التي أنجبتهم أرض الأندلس، فهو خير مـــن حمل لواء الأدب بشعره ونثره، فأكسبه ذلك مكانة مرموقة بين أهل الأدب[2].

لقد سهّل عليَّ هذا المصدر تَصَفُحَ آثاره الأدبية، وبخاصة النثرية منها دون عنـــاء، ومقارنتها بما ورد من نصوصه النثرية في المصادر الأخـــرى، كالـــذخيرة لابـــن بسّـــام واليتيمة للثعالبي، وغيرها من المصادر الأدبية.

<u>سادسا</u>: <u>كتب التاريخ العام</u>:

1- المقتبس: لمؤلفه: أبو مروان حيان بن خلف بن حســـين بـــن حيـــان المتـــوفى ســـنة 469هــ/1076م.

كان قويّ المعرفة، مستبحرا في الآداب، وحامل لـــواء التـــاريخ بالأنـــدلس[3]، لـــه تصانيف رائقة في هذا الميدان من بينها هذا الكتاب الذي يحتوي على خمسة أجزاء.

أ- المقتبس في أخبار بلد الأندلس: بدأه من الفتح الإسلامي للأندلسي إلى القرن الرابع الهجري، ومعظم ما اقتبسه من أخبار من مؤرخ الأندلس أحمد الرازي.

*القطعة الأولى: وتبدأ من فترة حُكْم الحَكَم الرَّبْضِي إلى حُكْم ابنه عبد الرحمن.

*القطعة الثانية: وتبدأ من فترة أواخر حُكْم عبد الرحمن إلى حُكْم ابنه محمد.

---

[1]- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والإلاف – حققه الأستاذ: حسن كامـــل الصـــيرفي – دار الفكـــر – القـــاهرة – 1383هــ/1964م – صص 2-3.

[2]- الحميدي: المصدر السابق- ص134.

[3]- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص153.

*القطعة الثالثة: حُكْم الأمير عبد الله.

*القطعة الرابعة: تتناول حُكْمَ الأمير عبد الرحمن الناصر.

*القطعة الخامسة: تتناول أربع سنوات من حُكْمِ الحَكَم المُسْتَنْصَر بالله.[1]

أفادني هذا المصدر في التعرّف على الاقطاعات التي أقطعت لبعض البيوتات كبيت بني رزين وآل الخالدين وغيرها من البيوتات، كما أفادني بدخول بعض البيوتات إلى هذه الأرض منها: بيت بني مغيث.

لقد تخلّلت معظم هذه القطع استشهادات شعرية ساعدتني كثيرا في اقتباس نمـــاذج منها عند تناولي لإسهاماتها الأدبية. إضافة إلى التعريف بها ثقافيا، كما نستشفه من خلال تصفحنا لهذه القطع التي شملت علوم الشريعة كالفقه مثلا.

أما فيما يتعلق بإسهاماتها التاريخية، فقد تعرّفت من خلالها على بعض مؤلفات هذه الأسر التاريخية، منها: كتاب أخبار زرياب لمؤلفه: اسلم بن أحمد من بيت آل الخالـــدين، ومؤلفات أسرة الرازي، وتأريخ بيت بني بسيل لعبد الحميد بن بسيل.

2- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه: أبي العبـــاس أحمـــد بـــن محمـــد المعروف بابن عذاري المراكشي، كان حيا سنة 712هـ/1314م.

بدأه من الفتح الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13م) وقد أفادني عند تعرضي للأسباب التي أدت بأفراد من هذه البيوتات للاستقرار بالأندلس وعدم عودتهم إلى بلدانهم الأصلية، كما تعرض لأصوال بعضها، كما هو الشأن لبيت بني الأفطس، إضافة إلى تلك الاقطاعات التي أقطعت للأجناد.

كما ضمّ نصوصا من مؤلفات تاريخية مفقودة لبعض الأسر، منها: تاريخ أبي بكـــر بن مزين.

3- تاريخ الأندلس لمؤلف مجهول، وقد صدره مؤلفه بفاتحة جغرافية عرّف فيهـــا بمـــدن الأندلس وما تزخر به من خيرات البرّ والبحر، ثم انتقل بعدها بالتأريخ لبلاد الأندلس بدءا بذكر من نزل بالأندلس من الأمم والملوك من الطوفان الى ثالـــث ملـــوك بنـــي الأحمـــر

---

[1]- ينظر عبد القادر بوباية: المرجع السابق – ص58 وما يليها.

بغرناطة، وهو الأمير محمد بن محمد بن يوسف بن نصر الذي خلع سنة 708هـ/1308م.

لقد كان لهذا المصدر افادتين، الأولى عرّفني على بعض المدن الأندلسية والتي كنت في أمس الحاجة للتعريف بها، في بحثي هذا، أما الافادة الثانية، فهي ذكره لكتاب ألفه المؤرخ ابن مزين والموسوم بـ:" صِلَةِ المغْرب فِي أَخْبَارِ الأَنْدَلُس وَالمَغْرب".

4- تاريخ افتتاح الأندلس لمؤلفه ابن القوطية (ت 367هـ/977م)، كان من العلماء بالنحو واللغة لا يشق له غبار، اضافة الى كونه حافظا لأخبار الأندلس راويا لسير أمرائها.[1]

ان أهمية هذا المصدر تكمن في ذكر مؤلفه لأهم الاقطاعات التي اقتطعت للشاميين ببلاد الأندلس، وقام بتحديد أهم الكور التي نزل بها هؤلاء، وهذا قد ساعدني كثيرا عندما رُمْتُ توضيح الأسباب الاقتصادية التي أدت الى استقرار مثل هذه الأسر بهذه البلاد، ومنها انطلقت عملية تَشَكُّل البيوتات. اضافة الى أن هذا المصدر قد عرَّفني بالجد الأول لبعض هذه البيوتات، كبيت بني حدير وبيت آل الخالدين، وتفسير تلك الحلقة المفرغة التي وجدت بين هذا الجد وباقي أفراد أسرته.

<u>سابعا</u>: <u>كتب الجغرافية</u>:

1- الرّوض المعطار في خبر الأقطار لمؤلفه: أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحِمْيَري (ت900هـ/1500م)

هذا الكتاب هو عبارة عن معجم جغرافي مرتب على الحروف، وكل ما نقله، فهو من الادريسي والبكري وآخرين، يذكر في مقدمة كتابه: "إني قصدت في هذا الموضوع ذكر المواضع المشهورة عند الناس من العربية والعجمية والأصقاع...أما ما كان غريبا عند الناس...فلا ألم بذكره...فاقتصرت لذلك على ذكر المشهور من البقاع..."[2]

لقد أفادني هذا المصدر في الترجمة لبعض الأماكن الجغرافية، وبخاصة تلك الكُوَر التي نزل بها الشاميون ووزعت عليهم كإقطاعات، إذ يوضح لنا هذا المصدر الجغرافي أهمية هذه المدن من الناحية الاقتصادية، باعتبارها مناطق تحمل خير البر والبحر.

---

[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص355.

[2]- الحميري : الروض المعطار...ص1

2- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلــدان والمســالك إلــى جميــع الممالك لمؤلفه: أبي العباس أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي المتــوفى ســنة 478هـ/1058م.

أفادني كثيرا في تلك الرواية التي انفرد بها ابن الدلائي عنــد ذكــره لبيــت بنــي الخطاب التدميري، ومصاهرته لصاحب أوريولة، مما يؤكد أن بني الخطاب هؤلاء كــانوا من ذوي الأموال بفضل تلك الاقطاعات التي مُنِحت لهم، فكان لهذا العامــل الاقتصــادي دوره في ظهور هذا البيت وأمثاله.

اضافة الى باقي المصادر الجغرافية الأخرى والتي استفدت منها من نفس الافادات المذكورة أعلاها، مثل كتاب المسالك والممالك لمؤلفه: أبي عبيد البكري المتــوفى ســنة 487هـ/1094م، ووصف اسبانيا لأحمد الرازي، الذي قام بترجمته الى اللغة الفرنســية المستشرق الفرنسي، ليفي بروفنسال.



مدخل

ظروف الأندلس وتأثيراتها على ظهور البيوتات العلمية



ظروف الأندلس وتأثيراتها على ظهور البيوتات العلميــة: لقــد اعتُبِــرَت البيوتات بحقّ ظاهرة ميّزت تاريخ الأندلس العسكري والسياسي و الثقافي، اذ اســتطاعت أن تفرض نفسها على الساحة الأندلسية بفضل تلك الانجازات التي حققتها منذ أن وطئــت أقدامُها أرض الأندلس، فلم تترك أي ميدان من الميادين الا وخاضت فيه، وكانت لها فيــه مشاركة فاعلة، ولكن ما يلفت انتباه كل من تطرّق بالدراسة والتحليل لهذه البيوتـــات، أن انطلاقاتها لم تكن ثقافية بالدرجة الأولى، وانما كان للظروف التي مرت بها الأندلس منـــذ الفتح المبكر لها، دور في تأخر ظهورها كأسر علمية فـــي المقـــام الأول، وذلـــك تبعـــا للأوضاع الداخلية التي مرت بها الأندلس.

يمكن حصر بعض اسباب هذا التأخر الثقافي فيما يلي:

1) فقدان وحدة النسب والانتماء السياسي: فهذان العنصران يعتبران من العناصر الأساسية في عملية توحيد مختلف العناصر السكانية التي استوطنت الأندلس، فالعرب مثلا: عند قدومهم ومشاركتهم في عملية الفتح، كانوا مشتتي النسب والانتماء السياسي، اذ كانوا من البدو الرحل الذين حملوا الى هذه الأرض نظامهم القبلي العشائري، كما حملوا تقاليد وأعراف ذلك الوسط، فمن أمثلة هؤلاء، عرب الشمال القيسيين[1]، وهو فرع من العدنانيين، وعرب الجنوب الكلبيين[2]، وهو فرع من القحطانيين، فنقلوا الى هذه البلاد خلافاتهم القبلية التي كانت تحتدم من وقت لآخر، وتتحول الى صدامات مسلحة، أضف الى ذلك أن العرب بشكل عام كانوا على عداء مع البربر واصطدموا معهم لأكثر من مرة بنزاعات مسلحة وهزموهم.[3]

2) اضافة الى ذلك، تبعية الأندلس للثقافة المشرقية، اذ كانت هذه الأخيرة تابعة لها منذ الفتح الاسلامي، اذ لم ينقطع هذا الاتصال الحضاري بين المراكز العلمية في المشرق والأندلس طيلة أجيال وعهود، الا أنه لم يكن بنفس الدرجة، بل أخذ يتفاوت من عصر

1-القيسي: نسبة الى قيس بن عيلان بن مضر: ابن عبد البر: الأنباه على قبائل الرواة – حققه وقدم له ووضع فهارسه: ابراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – دون تاريخ – ص64.

2- الكلبي: نسبة الى كلب بن وبرة ين ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. ابن عبـد البـر: نفســه – ص136. الحازمي الهمداني: عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب – حققه وعلق عليه وفهرس له- عبد الله كنون – دار الآفاق العربية – ط1 – 1422هــ/2002م – ص152.

3- ك. بويكا: المصادر التاريخية – نقلة الى العربية: نايف أبو كرم – ط1 – 1999م – ص14

لآخر، وكان أكثر قوة في القرون الثلاثة الأولى، والتي يمكن تقسيمها الى فترات التكوّن والنمو والتطور، أي من سنة 92هـ الى غاية سنة 300هـ/710م – 912م[1]، وهذا ما ذهب اليه احسان عباس بقوله: "وسمت الحياة الثقافية منذ البدء بالاعتماد على المشرق والتقليد لأهله، لأنه كان أرقى حضارة وأوسع ثقافة."[2]

3) كما كان لانصراف البيوتات لعملية الفتح التي رافقت دخولهم الأندلس، اضافة الى الظروف التي مرت بها هذف الأخيرة من فتن واضطرابات، وثورات والتي كادت أن تعصف بالوجود العربي الاسلامي بها، جعلت مثل هذه البيوتات تتصرف نحو قيادة الجيوش لاخماد نيرانها، فصرفتها مشاركتها العسكرية عن الاهتمام بالدرجة الأولى بالجانب العلمي، مما أخر ظهورها كبيوتات علمية بارزة.[3]

وللتعرف على دور هذه الأسر في قيادة الجيوش والذي أخّر ظهورها في الميدان الثقافي الى غاية القرن الرابع الهجري (10م) يُستحسن بنا أن تكون لدينا، ولو اطلالة مختصرة حول هذه الظروف التي مرت بها الأندلس.

ففي عصر الفتوح (92هـ-95هـ/710م-714م)، اهتم الفاتحون بفتح عدة مدن نذكر منها: قرطبة ومالقة وغرناطة وتدمير وطليطلة وقرمونة واشبيلية ومـاردة ولبلة فاتجهت انظار الفاتحين الى ضرورة جعل أرض الأندلس أرضا اسلامية، وتلك كانت جل اهتمامات الفاتحين وكانت البيوتات العربية منها والبربرية جزءا من هذه المعادلة.[4]

أما عصر الولاة (95هـ-138هـ/714م-755م)، فقد تميز بعدم الاستقرار، اذ كان لا يتعدى حكم الوالي في غالبيتها أربع سنوات[5]، وعلى الرغم من تمتع الأندلس

1- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص476.

2- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط6 – 1981م – ص39.

3- هذا ما سنستشفه من خلال دور البيوتات في اخماد نار الفتنة بالأندلس

4- ينظر عن مراحل فتح الأندلس: ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق ومراجعة. س كولان و وإ. ليفي بروفنسال – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط3 – 1983م – ج2 – صص9-16.

5- فيما عدا يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وهو آخر ولاة الأندلس، الذي دام حكمه من 129هـ الى 138هـ (747م-755م)، وأما باقي الولاة، فقد تراوح ما بين أربع سنوات وآخرون بضعة أشهر.

بنوع من الاستقرار، الا أنها كثيرا ما كانت تفتقده، فقام في بعض الأحيان نزاع بين القبائل اذ اتخذت هذه الأخيرة من عصبيتها القبلية سندا لها لتحافظ على جاهها وسلطانها.[1]

فبالنسبة للسمات العامة لهذه الفترة، فأبرزها قيام الفتن الداخلية التي نشبت نتيجة لتنوع التركيبة السكانية، اضافة الى تلك الغزوات الخاصة التي شنها الولاة على بلاد غالية خلف جبال البربات في أقصى الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الايبيرية.[2]

ومن أمثلة هذه الفتن التي أثارتها العصبية القبلية، فقد عرف العهد الذي سبق الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (103هـ-107هـ/721م-725م) بالصراع بين القيسية واليمنية[3]، فنتيجة لتعصب الوالي ثعلبة بن سلامة العاملي (124هـ-125هـ/742م-743م) أدى ذلك الى اتحاد كل من البربر والعرب عليه بماردة على الرغم من اختلاف التركيبة الاجتماعية لكل منها – وكادت المواجهة أن تنتهي لصالح أعدائه لولا انصراف هؤلاء في يوم عيد الأضحى للهو واللعب، فإنقض ثعلبة هذا عليهم وهزمهم شر هزيمة.[4]

وتواصلت هذه النعرات القبلية على عهد أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي (125هـ-128هـ/743م-746م) والممثلة في العصبيتين اليمانية والمضرية، وكان سبب هذه الفتنة أن أبا الخطار بلغ به التعصب لليمانية بسبب تخاصم رجلين كان أحدهما من شيعته،، فأخذته العصبية للوقوف الى جانبه وانتهت هذه المشاحنة بمعركة شذونة بين طرفي النزاع وسَجْنِ أبي الخطار، وكان من نتائج هذه المعركة هو تدخل أحد القادة العرب، وهو عبد الرحمن بن حسان الكلبي[5] لتخليصه من سجنه، وبعد أن تحقق له ذلك جمع الى صفه اليمانية من جديد.[6]

1- عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي- من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ-892هـ/711م-1492هـ -دار القلم – دمشق – ط5 – 1418هـ-1997م – ص133.

2- فارس بوز: تاريخ العرب في الأندلس – من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة – منشورات جامعة دمشق – 1415هـ-1416هـ/1994م – 1995م – ص47.

3- ينظر ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 –ص27.

4- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها – تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م – صص118-119. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص33.

5- يذكره مجهول عبد الرحمن بن نعيم الكلبي- مجهول – ص127.

6- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط1 – 1419هـ/1998م – ج3 – صص301-302. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص35.

لم تبق هذه الفتن التي أخّرت ظهور هذه الأسر على الساحة الثقافية محصورة في التناحر القبلي، بل تعدّته الى صراع من نوع آخر، وهو الصراع العربي البربري، فبسبب احتكار العرب للسلطة السياسية، واستحواذهم على ثروات البلاد، قامت ثورتهم على هذا الأساس[1]، فعندما بلغ البربر بالأندلس ثورة بربر العدوة المغربية على عربها وأهل الطاعة، فثاروا هم بدورهم وقاموا بإخراج عرب جليقية و قتلهم، كما أخرجوا عرب أشترقة، الأمر الذي أدى بعبد الملك بن قطن بطلب المدد من أهل الشام والبلديين، فكانت موقعة وادي سليط، فتفرقت جموع البربر وانهزموا.[2]

اضافة الى هذه الاضطرابات والفتن الداخلية، عرفت الأندلس بعض الغزوات نختصرها في غزوهم للروم سنتي (102هـ و 107هـ/721م -725م). اضافة الى غزوة غاليا، حيث معركة بواتيه الشهيرة سنة 114هـ/732م والمعروفة بمعركة بلاط الشهداء.[3]

واذا انتقلنا الى عصر الامارة (138هـ-300هـ/755م-912م) فقد دشن بداية هذا العهد عبد الرحمن بن معاوية (138هـ-172هـ/755م-788م)، وان لم يخل من بعض الفتن والثورات، فإن قضاء هذا الأمير عليها لم يكلفه كبير عناء، ولذا اعتبر عهده، عهد سلام نسبي.[4]

لقد استمر في هذا العصر، الصراع القبلي والمتمثل في ذلك الخلاف بين القيسية واليمنية، اذ لم تكن أسباب الخلاف قد استؤصلت بين الطرفين أبدا، بل كانت تلك الخلافات تخبو كالنار تحت الرماد، فإذا حدث أي احتكاك بين الطرفين، كانت هذه الشرارة كافية لاثارة كوامن الأحقاد بينهما و تفجير الموقف من جديد، وهذا ما حدث

1- عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس 92-422هـ/711م-1031م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 2011م – ص52.

2- ابن عذاري: نفسه – ج2 – صص30-31.

3- نفسه – ج2 – صص26-27 – شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب بين فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – دت – ص93 وما يليها.

4- خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس – عصر الامارة – منشورات جامعة قاريونس – كلية الآداب – ط2 – 1980م – صص173-174.

بتدمير سنة 207هـ/823م اذ انفجر الموقف بين الطرفين ودام ذلك سبع سنوات الى نهاية 213هـ/829م حيث انقطعت الفتنة بتدمير.[1]

ومن الفتن التي أرّقت البيت الأموي بالأندلس الفتنة البربرية، ففي سنة 150هـ/767م، قامت الفتنة بشنت برية، ولحقت بها أخرى كان سببها رجل من البربر اسمه، شقنا بن عبد الواحد ادعى أنه فاطمي، والتي استمرت الى غاية 160هـ/776م، حيث اغتاله أحد أصحابه.[2]

كما شهدت مدينة تاكرنا مثل هذه الفتنة، سنة 178هـ/794م، قام البربر بالاغارة على السكان، فقتلوا وسبوا، وانتهت فتنتهم بتجهيز هشام الرضى (172هـ-180هـ/788م-796م) جيشا اضطرهم للانسحاب الى طلبيرة وترجيلة[3] وكذا في سنة 211هـ/826م ثار بنفس المدينة رجل بربري يدعى "طوريل" الا أن عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/822م-852م) استطاع القضاء عليها في مهدها.[4]

كما لم يسلم عصر الامارة من النزاع على السلطة، ففي سنة 173هـ/789م، وقع مثل هذا الصراع، فعلى عهد هشام الرضى ثار ضده أخويه عبد الله البلسني وسليمان الشامي[5]، وسيتجدد نفس الصراع على عهد عميهما الحكم بن هشام (180هـ-206هـ/796م-822م) اذ حاولا كسب البرابر الى صفهما، واجتمعوا بناحية الستجه وانهزموا بها.[6]

وما كدّر الأجواء السياسية في هذا العصر هي تلك الثورات التي نغّصت على أمراء هذا العصر فترة حكمهم، فمن هذه الفتن الداخلية، قيام يوسف بن عبد الرحمن

1- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2- ص83. وقد كان سبب هذه الفتنة سببا تافها اذ قام أحد المضريين بقطف ورقة دالية من جنان يماني، فقتله اليمني، فكان ذلك سببا في اندلاع هذه الحروب والتي اتصلت أعواما. نفسه- ج2 – ص82.

2- مجهول: أخبار مجموعة – ص152. وينظر هامش 2 – من نفس الصفحة. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص54.

3- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص64.

4- ابن حيان القرطبي: كتاب المقتبس – السفر الثاني – تحقيق: د/ محمود علي مكي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية – الرياض – 1422هـ/2001م – ص421. ابن عذاري: نفسه – جج2 – ص82.

5- ابن عذاري: نفسه – ص62. المقري: المصدر السابق – ج1 – ص265.

6- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق– ص93. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص70.

الفهري والصميل بن حاتم ضد عبد الرحمن الداخل، والذي استطاع ان يقضـــي عليهـــا، وبوفاة الفهري سنة 142هـــ/759م انتهت فتنته.[1]

وتتابعت الأحداث على عهد الداخل بقيام عدة ثورات نذكر منها: ثورة عبد الغـــافر اليماني باشبيلية والذي قام باستمالة البربر الى جانبه، وثورة حيوة بن ملامس الذي تغلّـــب على اشبيلية واستجة وأكثر الغرب[2]. وثورة العلاء بن المغيث الجذامي بمنطقة "لقنت" من عمل باجة، وقد انتهت هذه الثورات بهزيمة قاداتها.[3]

وما ميّز حُكْمَ الأمير الحَكَم بن هشام الربضي، قيام ثورة الـــربض الأولـــى ســـنة 189هـــ/805م، كان هدفها محاولة ازاحته عن الحكـــم، الا أن نتائجهـــا كانـــت مخيبـــة لآمالهم، اذ اسفرت عن صلب اثنين وسبعين من زعمائها[4]، وتلتها ثورة الـــربض الثانيـــة سنة 202هـــ/818م، اذ كان الفقهاء لازالوا ناقمين على ما جرى بالوقعة الأولى، وانتهت هذه الأخيرة كمثيلتها الأولى بانهزامهم.[5]

وتوالت هذه الاضطرابات والفتن على عهد محمد بن عبد الـــرحمن (238هــــــ-273هـــ/852م-886م) من أمثلة ذلك خروج سكان كورة رَيُّة واعلانهم المعصية، فكانت ثورتهم هذه بداية لفتنة عمر بن حفصون، وكان سببها، تعسف عامل الأمير يحي بن عبيد الله بن يحي في استخلاص الخراج[6]. بالاضافة الى انتكاث أهل طليطلة ضده عدة مرات، ففي سنة 238هـــ/852م تَمَّ فيها أسر عامل الأمير حارث بن بزيغ وقتل عدد من الحشم، وتواصلت هذه الأحداث في سنتي 240هـــ و 244هـــ/854م-858م وبقي أهل طليطلـــة هكذا، بين الانتكاث تارة والاذعان تارة أخرى.[7]

1- ابن عذاري: نفسه – ج2 – صص48-49. المقري: المصدر السابق– ج3 – ص310.

2- نفسه: صص50-51.

3- مجهول: المصدر السابق – ص149. ابن عذاري: نفسه- ج2 – ص51.

4- منهم : أبو كعب بن عبد البر وعيسى أخوه ومالك بن يزيد بن يحي التجيبي ابن قاضي قرطبة، وموسى بن ســـالم الخولاني صاحب السوق و أبو زكريا يحي بن مضر الفقيه وغيرهم. ابن حيان: نفسه – ص121.

5- ابن حيان القرطبي: نفسه ـــــ ص121-140-141. مجهول: تاريخ الأندلس – دراسة و تحقيق: أ/د: عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1428هـــ/2007م – ص182. ابن عـــذاري: نفســـه – ج2 – ص75.

6- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس – تحقيق: د/ محمود علي مكي- دار الكتاب العربي – بيـــروت – 1393هـــ/1973م – ص393.

7- ابن حيان القرطبي: نفسه – ص293-295. ابن عذاري: المصدر السابق– ج2 – صص94-95.

اضافة الى ثورات أخرى نُجملها في ثورة سليمان بن عبدوس بمدينة سرية سنة 255هـ/869م وثورة عمرو بن عمروس عامل وشقه عام 256هـ/870م[1] وثورة أسد بن الحارث بن بزيغ بتَاكُرَّنَا من اقليم رُنْدَة سنة 261هـ/875م[2] وثورة يحي المعروف بالجزيري سنة 265هـ/879م وغيرها من الثورات.[3]

وعلى عهد الأمير عبد الله بن المنذر (275هـ -300هـ/888م-912م) تمزقت وحدة الأندلس وانحصرت سلطتها المركزية وكَثُرت فيها الاضطرابات السياسية، وقيام الثورات[4] الأمر الذي أدى الى ظهور كيانات سياسية استقل كل قائد منهم باحداها.[5]

ومما زاد في تأزم الأوضاع الداخلية تلك الأخطار الخارجية التي أحذقت بالامارة الأموية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، حروب الأمراء ضد اعدائهم، منها: غزوة ألبة والقلاع في سنوات 176هـ-208هـ-241هـ-249هـ-251هـ-253هـ/792م-823م-855م-863م-865م-867م[6]. وتهديد المجوس (النورمانديين) سنة 229هـ/844م وسنة 245هت/859م. لموانئ الأندلس[7]، اضافة الى استغلال الفرنجة لانشغال حكام الأندلس إطفاء نار الفتنة التي عمّت أرجاء البلاد فقد كان لهؤلاء عدة كرات نذكر منها هجوماتهم على الثغور سنة 196هـ/811م، فعاثوا فيها فسادا.

لقد عرفت الأندلس خلال هذه الفترة التي سبقت قيام الخلافة بعدة أحداث، ولو ذكرناها كلها لكان لنا في ذلك غُنْية، وانما اقتصرنا فقط على بعض منها حتى تتبين لنا تلك الأوضاع السيئة التي عاشتها الأندلس منذ الفتح الاسلامي لها الى غاية قيام الخلافة ومدى تأثير ذلك على عطاءات البيوتات العلمية، اذ ان سوء الأوضاع لا محالة انها ستؤخر ظهورهم كبيوتات علمية بارزة، الا أن اهتمام هذه الأخيرة بعملية الفتح واخماذ

1- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص100.

2- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – اعتنى به: أبو صهيب الكرمي – بيت الأفكار الدولية – الأردن – دت - ص983.

3- ينظر عن هذه الثورات ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص103 وما يليها.

4- ينظر عنها ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص133 وما يليها.

5- عن هذه الكيانات ينظر مجهول: تاريخ الأندلس – ص199.

6- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – صص318-319. ابن عذاري: نفسه– ج2– ص98.

7- ابن حيان القرطبي: نفسه – السفر الثاني –ص450 وما يليها. المقري: المصدر السابق – ج1 – ص267.

الفتن الداخلية ودفع الأخطار المحذقة بهم، جعل من اولى أولوياتهم الاهتمام بالجانب العسكري، وهذا ما سنستشفه من خلال مطالعتنا لبعض المصادر التي أرّخت لهم.

فمن هذه الأسر التي تحملت هذا العبء الثقيل نقف عند بيت بني مغيث والممثل في جدهم مغيث الرومي الذي وجهه طارق بن زياد على رأس سبعمائة فارس لفتح قرطبة اذ كان من اشهر القوّاد العسكريين الذين تدرّبوا على ركوب الخيل، والاقدام و الشجاعة، وبذكائه وخبرته العسكرية استطاع ان يفتح اعظم مدينة بالأندلس.[1]

واستمرت قيادة الجيوش في بيت بني مغيث هذا، طيلة فترة الامارة، وممن برز منهم: عبد الواحد وعبد الكريم بن مغيث، وعبد الملك بن مغيث، وقد كانت لهم أدوار مهمة في غزو بلاد الفرنجة داخل جليقية، اذ قاموا بتخريب حصونهم وحرق زروعهم اضافة الى غزواتهم في ألبة والقلاع، واخمادهم لنار الفتنة بين القيسية واليمنية.[2]

واذا انتقلنا للحديث عن بني فطيس، فممن تولى القيادة منهم جدهم تمام بن علقمة الذي تدخل بجيشه سنة 147هـ/764م الى طليطلة لاخماد نار الفتنة التي أوقد نارها هشام بن عروة، وفي سنة 149هـ/766م، تولى مهمة عسكرية لمواجهة ثورة أبي الصباح بن يحي اليحصبي الذي كان واليا على اشبيلية، وكان عزله من طرف الأمير عبد الرحمن بن معاوية سببا في الخروج عن طاعته، ولحنكة هذا القائد السياسية حاول أن يستميله الى جانبه، الا أن تماما هذا، استطاع أن يقضي على رأس الفتنة بقتله.[3]

وقد كان لبيت بني حدير دور بارز في اخماد فتنة أخوي هشام الرضى (عبد الله البلنسي وسليمان) اللذان ثارا ضده لانتزاع السلطة منه، الا أن حدير المعروف بالمذبوح استطاع هزيمتهما[4]، كما كان لجد بني حدير دور بارز في اخماد نار ثورة الربض الشهيرة، فبأمر من الحَكَم بن هشام أخرج هؤلاء المشائخ من أهل السوء – على حد تعبير ابن القوطية – وأمر بضرب رقابهم وصلبهم.[5]

1- ابن عذاري: المصدر المصدر السابق – ج2 – صص9-10. ابن حيان:المقتبس– السفر الثاني – ص139-179-180-181-419.

2- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس – تحقيق وتعليق: اسماعيل العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م – ص46. مجهول: تاريخ الأندلس – ص172. المقري: المصدر السابق – ج1 – صص266-267.

3- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – صص53-54.

4- نفسه: ج2 – ص62.

5- ابن القوطية : المصدر السابق – ص54. ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص157.

وفي سنة 176هـ/792م. غزا يوسف بن بخت[1] وهو من بيت بني بخت الفارسي جليقية، فالتقى بجيش "برمود الكبير" وتحقق له في هذه الحرب انتصار باهر اذ استطاع أن يصيب منهم عددا، وأمر بحزّ رؤوسهم التي بلغت عشرة آلاف.[2]

ولحق بهذه البيوتات، بيت بني عمروس المُمَثل في شخص عمروس بن يوسف الذي قاد حملة ضد الثائر بطليطلة عبيدة بن حميد، وبحنكة هذا القائد[3] استطاع ان يستميله الى صفه ويجنب الدولة عناء حرب قد تكلفها الكثير[4] وتبعه في القيادة من بيت بني كليب، كليب بن محمد بن ثعلبة وعبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة اللذان اشتركا في مواجهة خطر المجوس سنة 247هـ/861م.[5]

وهناك بعض الأسر، وان لم تظهر فيما بعد كأسر احترفت القيادة العسكرية، اذ ستظهر لاحقا كبيوتات علمية نذكر على سبيل المثال لا الحصر بيت بني رستم، حيث ظهر منهم محمد بن رستم عامل الثغر الذي قاد حملة سنة 216هـ/831م لمناهضة هاشم الضرّاب، وانتهت المواجهة بين الطرفين بالقضاء على هذا الأخير.[6]

ومن أمثال هذه الأسر، أسرة بني مزين، فممن ظهر منهم ابراهيم بن مزين الذي يرجع له الفضل في كسر شوكة القرشي سنة 205هـ/820م الذي ظهرت عاديته بـ: "شنت برية" وانتهت المواجهة بينهما بهزيمة هذا الثائر، فأتى به ابن مزين مكبولا وأمر بضرب عنقه[7]، وتبعه في ذلك من بيت بني السليم محمد بن سليم الذي كانت له غزوة الى دار الحرب سنة 247هـ/861م.

وقد كان لآل الخالدين حظ في قيادة الجيوش في هذه الفترة الحرجة، ففي سنة 257هـ/870م كلف الأمير محمد بن عبد الرحمن عبد الغافر بن عبد العزيز لقيادة جيش

1- يذكره المقري: يوسف بن نجية وهو خطأ- المصدر السابق-ج1-ص265.
2- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص63. المقري: نفسه – ج1 – ص265.
3- ينظر عن أخباره ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك" – تحقيق: عبد العزيز الأهوائي – مطبعة معهد الدراسات الاسلامية – مدريد – 1965 – صص 27-29.
4- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص69.
5- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص312.
6- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص424. ابن عذاري: المصدر السابق– ج2 – ص83.
7- ابن حيان القرطبي: نفسه – ص181.

كثيف الى بني عمروس، وقد استطاع القبض على زكريا بن عمروس وأولاده، وجماعة من أهل وشقة، فأعمل فيهم سيفه، فقتلهم جميعا.[1]

واستمرت القيادة في هذا البيت، اذ أوكلت لهاشم بن عبد العزيز سنة 266هـ/879م مهمة صائفة هذه السنة وخرج الى كورة ريُّة والجزيرة، فضمها الى الطاعة.[2]

ومن بيت بني شهيد ظهر على مسرح هذه الأحداث أمية بن عيسى بن شهيد الذي اوكلت له مهمة قيادة الجيش سنة 251هـ/865م لاطفاء نار التمرد بماردة بعد ان خرجوا عن طاعة الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكانت له كرة ثانية سنة 253هـ/867م لغزو ماردة واخضاعها لسلطة الأمير[3]. وتبعه في ذلك عبد الله بن عبد الله بن أمية الذي أسندت له سنة 276هـ-280هـ/889م-893م محاربة عمر بن حفصون في موقعة بقلعة ببشتر، فاستطاع أن يخرّب ما حوله من الحصون والزروع، اضافة الى توليه قيادة صائفة سنة 282هـ/895م التي قادته الى اشبيلية وشدونة التي لاقى فيها حذفه.[4]

ونتيجة للمهام الجِسام التي كُلّفت بها مثل هذه البيوتات، فقد اشتركت هذه الأسر مجتمعة في اطفاء نار الفتنة التي كادت أن تقضي على الحكم الأموي بالأندلس، ففي سنة 174هـ/760م كلف الأمير هشام الرضى أسرتي بني شهيد وبني فطيس لكسر شوكة أخي الأمير سليمان، والممثلين في القائدين شهيد بن عيسى، وتمام بن علقمة وعلى اثر ذلك تمّ عقد الأمان بين طرفي النزاع واخراج سليمان الى العدوة المغربية.[5]

ولصد الأخطار الخارجية، فقد اشتركت ثلاث أسر لمواجهة المجوس حين دخلوا مدينة اشبيلية، ففي سنة 230هـ/844م، أشرك عبد الرحمن بن الحكم بيت بني شهيد الممثل في عيسى بن شهيد، وبيت بني كليب، وقد مثله عبد الله بن كليب ومحمد بن رستم

1- ابن حيان القرطبي: نفسه – ق2 – ص326.
2- ابن حيان القرطبي: نفسه – ق2 – ص395.
3- ابن حيان القرطبي: نفسه- ق2- ص321.
4- المصدر السابق: صص110-111.
5- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص63.

من بيت بني رستم، وقد انتهت الجولة في هذه المواجهة لصالح المجوسيين، ولكن هذه المعركة انتهت في الأخير لصالح المسلمين، وذلك بفضل تظافر جهود القيادات الثلاث.[1]

لم يقف تعاون قيادات هذه البيوتات في رد هجومات المجوس عند هذا الحد بل كانت لهم كَرَّة في سنة 247هـ/861م والتي استطاعوا بموجبها الوصول الى نهر اشبيلية، ولمواجهة هذا الخطر، اشتركت ثلاث قيادات من بيوتات مختلفة كان على رأسهم كليب بن محمد بن ثعلبة والحاجب عيسى بن الحسن بن أبي عبدة وعبد السلام بن عبد الله ثعلبة، وبتكاتف جهود هذه القيادات أمكن درأ الخطر المجوسي الذي كان يتربّص ببلادهم الأندلس.[2]

اذن هذه نماذج من بعض البيوتات التي اضطرتها ظروف الأندلس الداخلية والخارجية لاعطاء الأولوية لقيادة الجيوش، حتى يمكن لها تخليصها مما يُحاك ضدّها من مؤامرات ودسائس، فقامت بمهمتها أحسن قيام، الأمر الذي شغلها – بلا شك – من أن تعطي الأولوية لطلب العلم، مما أخّر ظهورها كبيوتات علمية بالدرجة الأولى.[3]

الا أن الوضع سيختلف بعد اعتلاء الأمير عبد الرحمن الناصر لسُدَّة الحُكْم سنة 300هـ/912م واعلانه للخلافة سنة 316هـ/928م، ودُشِّن عهدُه بالقضاء على الفتن والاضطرابات واخماد نيرانها[4]، وبذلك استكملت الأندلس في عصرها الذهبي نهضتها العلمية، وأخذت تنمو وتزدهر، وبخاصة على عهد الحَكَم المُسْتَنْصَر باللّه الذي يُعتبر عهده، هو استمرار لظهور مثل هذه البيوتات – بدون انقطاع – على الساحة الثقافية، وتستمر عطاءاتهم لما بعد حكمه، فعلى الرغم من ظهور ملوك الطوائف والتجزئة السياسية التي شهدتها الأندلس على عهدهم، لم يَعُدِ العلم حكرا على قرطبة باعتبارها المركز، بل تَوَزَّع على مناطق عدة من أرض الأندلس.

ويمكن إرجاع أسباب ظهور هذه البيوتات العلمية الى:

1- ابن عذاري: نفسه- ج2 – صص87-88.

2- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص312.

3- هذا لا يعني أن بعض أفراد هذه البيوتات، وان حملوا على عاتقهم قيادة الجيوش أنهم كانوا بعيدين عن تعاطي العلم، الا أن انشغالتهم العسكرية أخرت ظهورهم كأسر علمية، فمن أمثلة هذه الأسر العسكرية، أسرة بني مغيث الرومي، فالقائد عبد الكريم بن مغيث، كان من أهل الأدب البارع والمعرفة التامة والبلاغة. ابن حيان: كتاب المقتبس – السفر الثاني – ص191.

4- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص157.

- تَحقق الوحدة السياسية.
- الأمن والرخاء الاقتصادي.
- تشجيع علماء هذا العصر للعلم والعلماء.
- تشجيع الرحلات العلمية نحو المشرق.
- ظهور المكتبات وبخاصة على عهد الحَكَم المُسْتَنْصَر بالله، وعليه يمكن اعتبار هذه البيوتات ظاهرة ميّزت تاريخ الأندلس على جميع الأصعدة، وهذا ما سنستشفه مـــن خلال تعرضنا لهذه الظاهرة، ونتائج ذلك على الساحة الثقافية.



1) أسبـــاب تشكـــل البيوتـــات

أ) الهجرة وبدايات التشكل

ب) الإقطاع ودوره في الاستقرار

جـ) نماذج من البيوتات واقطاعاتها.

2) عوامـــل ظهـــور البيوتـــات

أ)العامل الاقتصادي

ب) العامل الثقافي

جـ) العامل السياسي

د) العامل العسكري



تمهيـــــــــد: البيوتات هي تلك الأسر التي دخلت في ولاء بني أمية وعمّالهم، سواء أكانت من المشرق أو من المغرب، من أصول عربية أو بربرية أو اسبانية، ومـــن هذه البيوتات من دخل الأندلس أحرارا، ثم دخلوا هناك في ولاء بني أمية المشـــارقة، ثـــم انتقلوا إلى ولاء بني أمية بالأندلس منهم بنو شهيد وبنو عبد الرءوف.[1]

قبل الانتقال الى هذه الظاهرة، فحَرِيّ بنا أن نتعرض الـــى مفهـــوم البيـــت ومـــا المقصود به؟ وباعتبار أن أغلب هذه البيوتات من الموالي، فماذا يقصد بالموالي؟

ورد في القاموس المحيط لفظ البيت على أنه السكن الذي يأوي اليه الانسان، سواء أكان من الشَّعْرِ وغيره، كما ورد في معنى آخر، وهو الشرف والشريف وعيال الرجـــل، ولذا فهو يجمع على هذا النحو "البيوت" وجمع جمعه[2] البيوتات وأبياوات.[3]

وإذا قلنا: أن هذا الشخص أو ذاك من أهل البيوتات، نقصد بذلك أنه من بيت كريم، وقد يحمل مدلولا آخر، على ان البيت نعني به المرأة والعُرْس، فإذا قلنا لأي شخص، هل لك بيت؟ فقصدنا من هذا السؤال المرأة.[4]

ومعنى البيت عند ابن خلدون هو "أن يُعَدَّ الرجلُ في أبائه أشرافا مذكورين...تَجِلَّـــة في أهل جِلدته لما وقر في نفوسهم من تَجِلَّة سلفه وشرفهم بخلالهم" ثم يضيف قائلا: "وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال".[5]

لم يكتف ابن خلدون باعطاء تعريف لمفهوم البيت، وانما يقوم بتحديد عدد أفـــراده، حتى يمكن لنا تسميته بالبيت وقد يزيد على ذلك، وهذا ما يفهم من قوله: "واشراط بأربعة في الأحساب انما هو في الغالب، والا فقد يدثر البيت من دون الأربعة ويتلاشى وينهـــدم" ثم يردف قائلا: بأن العدد قد يصل الى الخامس والسادس.[6]

1- حسين مؤنس: فجر الأندلس – دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيـــام الدولـــة الأمويـــة (711م-756م)- الدار السعودية للنشر -ط2-1405هـ/1985م. ص397-410.

2- لم يرد على لسان العرب جمع الجمع، وانما أصبح مصطلح البيوتات متداولا بين مؤرخي الأندلس.

3- الفيروز آبادي: القاموس المحيط- ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقـــاعي – دار الفكـــر للطباعـــة والنشـــر والتوزيع – بيروت- لبنان – 1425هـ/1426هـ/2005م- ص137.

4- الزمخشري: أساس البلاغة – تحقيق: أ- عبد الرحيم محمود – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – دت – ص34.

5- ابن خلدون: مقدمة – دراسة وتحقيق وتعليق: د/ علي عبد الواحد وافي- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – ط4 – 2006م- ج2 – ص488.

6- ابن خلدون: المصدر السابق – ج2– ص492.

وقد اعتبر العدد أربعة غاية في بلوغ البيت درجة من الحسب والشرف وقد يـــدخل في باب المدح والثناء، وهذا ما يستدل من قول رسول الله (صلى الله عليه وســـلم) (إنمـــا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)[1]، فهذا ما يدل على أنه بلغ الغاية في المجد والسؤدد.[2]

والبيت هو ما كانت له سابقة ولاحقة، وعِماد حال، ومسالك دهر، فإن كان كـــذلك، فهو بيت، فهذا يدل على أنه لا يمكن أن نطلق لفظ البيت على أسرة مـــن الأســـر، الا اذا توفرت هذه الأركان الأربعة.

فالسَابِقَة: تطلق على كل من كانت له سابقة في أمر من الأمور، أي أنه سبق الناس اليه.[3] ومنه قوله تعالى: ﴿فَالسَّابِقَات سَبْقًا﴾[4] وهنا يقصد أن هذه الأسرة كانت من بيوتات الشرف والتي ورثته أبا عن جد.

أما اللاَحِقَة: نقول لحقه لَحْقًا ولِحَاقًا، أي: أدركه، وهنا يقصد بها ما لحق الأبناء من شرف الآباء.[5]

وعِمَادُ الحَالِ، فالمقصود بالعِمَادِ، هي تلك الأعمدة الرفيعة، وهنا يقصد بـــه، أنـــه رفيع المنزلة بما يكتنزه من ثروة.[6]

وحَسَّاكُ الدَّهْرِ، فهو ذلك الشخص الذي يُمْسِك بالدَّهر، بجاهه.[7]

اذن، فالبيوتات المراد بها بيت المجد والتعظيم، ولن يتأتى لـــه ذلـــك، الا بـــالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة، ونحو مثل هذه الأوصاف.[8]

لا يكتمل الكلام عن البيت ومعناه اذا لم نقم بربطه بمصطلح المولى، فالموالي كان لهم أكبر الأثر في نواحي عدة – كما مر معنا - ، ويظهر لنا استعمال هـــذا المصـــطلح

1- محمد بن اسماعيل البخاري: الأدب المفرد – دار البشائر الاسلامية – بيـــروت – ط3 – 1409هـــــ-1989م – ص212 -308.

2- ابن خلدون: نفسه – ج2 – صص 492-493.

3- الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص803.

4- سورة النازعات – الآية:4.

5- الفيروز آبادي: نفسه – ص829. وينظر محمد بن زين العابدين رستم – بيوتات العلم والحديث فـــي الأنـــدلس – دار ابن حزم – بيروت- لبنان – ط1 – 1430هــ/2009م- هامش 1- ص8.

6- الفيروز آبادي: نفسه – ص273.

7- الفيروزابادي: المصدر السابق– ص858.

8- عبد الكبير الكتاني: زهر الآس في بيوتات أهل فاس- تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني – مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى – 1422هــ/2002م – ج1 – ص45.

بشكل جَلِيٍّ عند فرار بَلْجْ بن بشر القشيري في اتجاه طنجة بعد انهزام هذا الأخيــر فــي معركة الأشراف[1] حين قال ابن القوطية ما مفاده: "وانخذل بَلْجْ بن بِشْر في عشــرة آلاف حتى نزل بمدينة طنجة، وهي المعروفة بالخضراء، مــنهم ألفــا مــولى وثمانيــة آلاف عربي..."[2]

الا أننا لا نجد لهؤلاء الموالي ذكرا ككتلة اجتماعية متماسكة قبل هذه الفترة، و لكن اقتصر ظهورهم على أفراد، قد يرد ذكرهم هنا وهناك، وهذا ما يؤكده المــؤرخ حســين مؤنس بقوله: "... مما يسمح لنا بالقول بأن قيام "موالي بني أمية" كحزب سياسي أو قــوة سياسية في الأندلس يرجع الى دخول بَلْجْ بن بِشْر الأندلس" ثم سينظم الى هؤلاء من كــان بالأندلس من موالي بني أمية، ومن دخل بعدهم، ودخلوا في ولاء الأمويين بهذه الأرض.[3]

وعليه، فَحَرِيٌّ بنا أن نتعرض الى مفهوم هذا المصطلح (المَوْلى)، وما هــي أهــم الاطلاقات التي أطلقت عليه من خلال تتبعنا للمصادر التي اعتنت بشرحه.

<u>الأولى</u>: بمعنى السيّد أو المالك، وقد ورد هذا المفهوم في آي القرآن الكــريم منــه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿هُنَالِــكَ تَبْلُــو كُــلُّ نَفْــسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾.[5]

والمَوْلى عند ابن منظور ورد بنفس المعنى حين قال: فهــو يطلــق علــى الــرَبّ والمالك والسيّد والمُنْعِم،[6] وهو نفس ما ذهب اليه الفيروز آبــادي حــين اعتبــره الــرَبُّ والناصر.[7]

<u>الثاني</u>: يُطلق على النّاصر، وهذا ما نستشفه من قوله تعالى: ﴿ بَلِ اللّــهُ مَــوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَاصِرِين﴾[8] وقوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

1- لقد وقعت هذه المعركة سنة 123هـ/740م بالقرب من مدينة طنجة، وقد سميت هذه الواقعة بــ "غزوة الأشراف" لأن القتلى منها كانوا من العرب و فرسانهم. الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية والمغرب – تقديم وتحقيــق وتعليــق: د/ محمد زينهم محمد عزب – دار الفرجاني للنشر والتوزيع – ط1 – 1414هـ /1994م – ص68.
2- ابن القوطية": المصدر السابق – ص29.
3- حسين مؤنس: المرجع السابق – ص321.
4- سورة الأنعام- الآية –62.
5- سورة يونس – الآية:30.
6- ابن منظور: لسان اللسان – تهذيب لسان العرب – تحت اشراف علي مهنا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1413هـ/1993م – ج1 – ص458.
7- الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1209.
8- سورة آل عمران – الآية:150.

وقد ورد عند صاحب لسان العرب بنفس المعنى، الناصر والنصير[2]، وهو نفس ما ذهب اليه الفيروز آبادي[3] والزمخشري.[4]

الثالث: يُطلق على الحليف، وقد يكون بين فرد وفرد، وبين قبيلة وقبيلة[5] وهذا ما يؤكده ابن منظور حين قال: ان المَوْلَى الحليف، وهو من اعتز اليه فعزّ بعزّك وامتنع بمَنَعَتِك.[6]

الرابعة: ويُطلق على العبد والمُعْتَق، وهذا ما يؤكده ابن منظور، حين ذكر ان المولى المُعْتَق، ينتسب بنسب ذلك الشخص الذي اعتقه، ولهذا قيل للمُعْتقِين ــ الموالي ــ.[7] وقال الفيروز آبادي: ان المولى هو العبد والمعتِق والمعتَق.[8]

من خلال هذا التعريف يظهر ان مصطلح المولى يطلق على العبيد، وقد ورد ذلك لدى شعراء العرب، وهذا ما يدل عليه قول جرير حين نزل بقوم من بني العَنْبَر بن عمرو بن تميم، فلم يَقْرُوه حتى اشترى منهم القِرَى[9]، فانصرف وهو يقول:

يَا مَالِكُ بْنُ طَرِيفٍ اِنَّ بَيْعَكُم رِفْد[10] القِرَى مُفْسِدٌ لِلدِينِ وَالحَسَبِ

قَالوُا نَبِيعُكُه بَيْعًا فقُلْتُ لَهُم بِيعُوا المَوَالِي وَاسْتَحْيُوا مِنَ العَرَبِ[11]

الخامسة: وتُطلق بمعنى التّابع، وهذا ما ذكره ابن منظور، فالقول: والي فلان مولاه، أي: تَابَعَه مُتَابَعَة[12] ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا﴾[13] وكذا قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "من كنت مولاه فعلي مولاه".[1]

1- سورة البقرة – الآية: 286.

2- ابن منظور: لسان العرب المحيط – قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي – اعداد وتصنيف: يوسف خياط – دار لسان العرب – بيروت – لبنان – دت – ج3 – صص 984-985.

3- الفيروز آبادي: نفسه – ص1209.

4- الزمخشري: المصدر السابق – ص509.

5- الفيروز آبادي: نفسه – ص1209.

6- ابن منظور: نفسه – ج3- ص985.

7- ابن منظور: نفسه– ج3 – ص985

8- الفيروز آبادي: نفسه- ص1209.

9- نقول: قرى الضيف قرى، بالضم والفتح والمد، أي أضافه، ومنه أقرى، اشتكى قراه. الفيروز آبادي: القاموس – ص1191. ومنه كذلك، وأوقد نار القرى وقرى الماء في الحوض. الزمخشري: المصدر السابق – ص364.

10- الرفد: بالكسر هو: العطاء والصلة، وبالفتح هو: القدح الضخم. الفيروز آبادي: نفسه – ص256

11- المبرد: الكامل في اللغة والأدب- مؤسسة المعارف – بيروت – لبنان – 1423هـ/2002م-ج1-ص231.

12- ابن منظور: المصدر السابق – ج3- ص986

13- سورة المائدة- الآية:55

ومنه: التُبَّعْ والتَتَابِعَة وهم ملوك اليمن، وقد سُمُوا بذلك لأنه يتبع بعضـــهم بعضـــا، فكلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعا له يتبع نفس سيرته.[2]

السادسة: وقد يُطلق لفظ المَوْلَى على الأقارب وأبناء العمومـــة، وقـــد ورد هـــذا المفهوم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾.[3]

ففي هذه الآية يحكي القرآن الكريم عن زكريا (عليه السلام) تَضَرُّعَه الى الله لكـــي يرزقه ابنا يحمل الرسالة بعده خوفا من أن يغيّر أقاربه في دين الله تعـــالى، وهـــو نفـــس المدلول يحمله حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أيُّما إمـــرأة نكحـــت بغيـــر اذن مولاها".[4] [5]

وعند الفيروز آبادي فالمولى هو القريب كابن العم ونحوه[6]، وعليه فـــالمولى هـــم ورثة الرجل وبنو عمه، والولي والمولى يدلان على معنى واحد في لسان العرب.[7]

إن ظاهرة البيوتات لم تأت من فراغ، بل هي شـــديدة الصـــلة بـــالفتح الإســـلامي وللتعرف على هذه الظاهرة أكثر يجدر بنا الإشارة إلى موجات الهجرات التي تعتبر مـــن أهم الأسباب التي أدّت إلى بداية تشكل مثل هذه البيوتات منذ العهد المتقدم لهذه الفتـــوح، ولكن تتبعنا لهذه الظاهرة تكتنفها بعض الصعوبات، لأن المصادر لا تطلعنا على معلومات وافية حول دخول هذه الأسر، ولا تذكر أحيانا إن كان دخولها مجتمعة أم فرادى، كمـــا لا توجد بهذه المصادر تتبع لأفرادها وكيف تمت عملية دخول هؤلاء بنوع مـــن التفصـــيل، وهذا ما يتوضح لنا جليا من خلال هذا الرسم البياني:

1- ابن ماجة: باب فضل علي ابن أبي طالب – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة العلمية – بيـــروت – ج1 – ص45.

2- رجب عبد الجواد ابراهيم: ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري – دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي – دار الآفاق العربية – ط1 – 1423هـ/2003م – ص57.

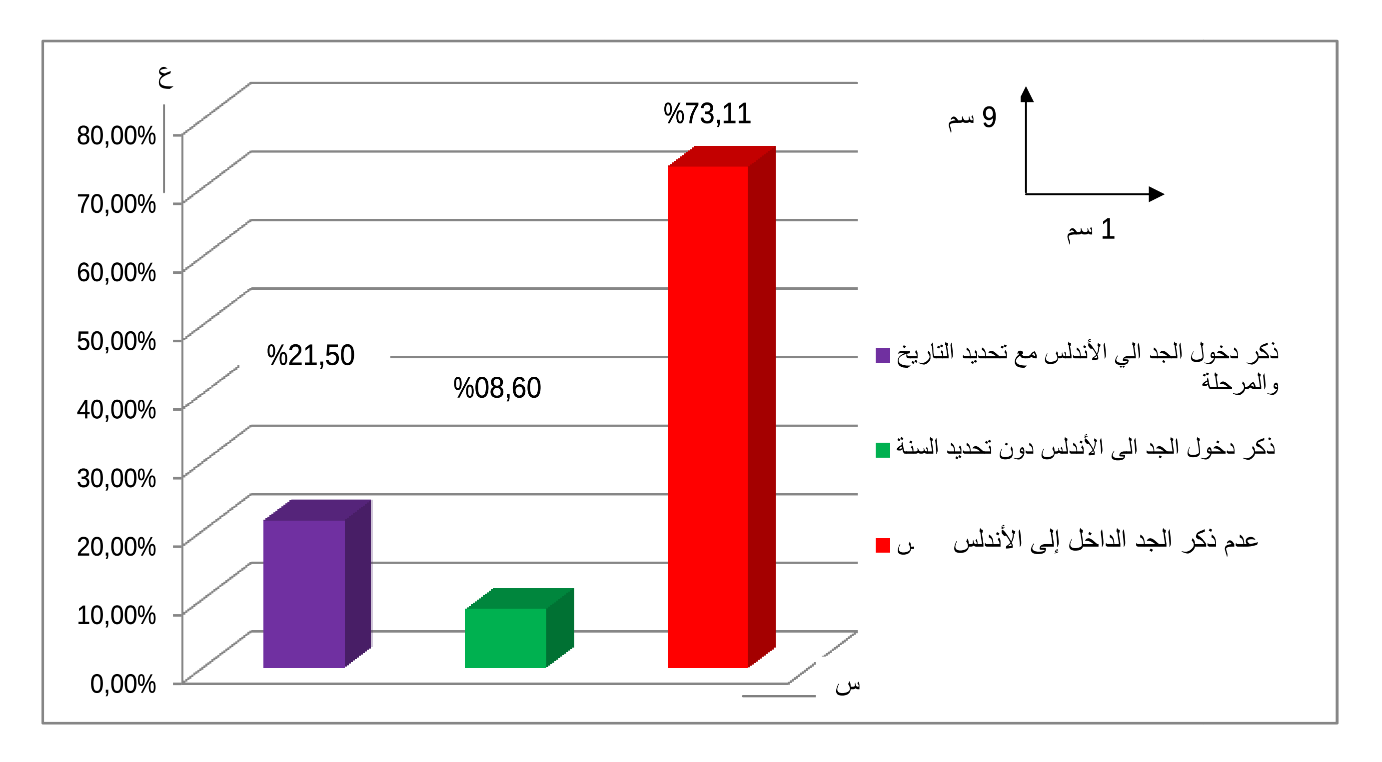
3- سورة مريم- الآية:5.

4- وفي رواية (بغير إذن وليها)

5- أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي: سنن – مكتبة دار الباز – مكة المكرمـــة – ط2 – 1414هـــ-1994 – ج7- ص105. النيسابوري محمد بن عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنـــان – ط1 – 1411هـ-1990م – ج2 – ص182.

6- الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1209. الزمخشري: المصدر السابق – ص509.

7- ابن منظور: المصدر السابق – ج 3 - صص 985 ـ986



من خلال تتبعنا لهذا الرسم البياني يظهر لنا بشكل واضح صعوبة تتبع دخول بعض أفراد بعض البيوتات إلى الأندلس، وتحديد الفترة الزمنية التي وطئت فيها أقدامها هذه الأرض، فهذه الأعمدة البيانية توضح لنا الحقائق التالية:

يوضح لنا العمود الأول أن 26,50 % من مجموع الأسر التي وقع عليها الاختيار تحدد لنا بشكل أوضح السنة بعينها التي دخل فيها الجد الأول إلى الأندلس، فتحديد الفترة الزمنية بالتدقيق قد تفيدنا كثيرا في تقصي حقيقة هذه الهجرة والظروف المحيطة بها، وفي أحايين عديدة تحدد لنا المصادر الفترة الزمنية عن طريق ذكر الأمير التي تمّت على عهده الهجرة وتسكت عن ذكر السنة.

أما العمود الثاني، فهو يمثل لنا نسبة ضئيلة والممثلة في 08,60 % فقط، وفيها تكتفي كتب التراجم بذكر اسم الجد الأول الذي هاجر نحو الأندلس، ولكنها تسكت عن ذكر سنة بعينها أو الفترة الزمنية التي دخل فيها هذا الجد.

وفيما يتعلق بالعمود الأخير، فهو يمثل أعلى نسبة في هذا الرسم البياني، إذ لا تفيدنا هذه المصادر، وبخاصة كتب التراجم التي وقفت عاجزة عن إمدادنا بالمعلومات عن هذه الأسر المهاجرة من و إلى الأندلس، وإنما تكتفي فقط، بالترجمة لأفراد هذه الأسرة أو

تلك، ولا تولي أي اهتمام للسنة أو المرحلة التي تم فيها دخولها، ولا تذكر أول من دخل منها، إذ كثيرا ما تنسب هذه البيوتات إلى الجد الأول.

وبناء على ما ورد في هذا الرسم من معطيات، تظهر لنا هذه الحقيقة ألا وهي: صعوبة تتبع ظاهرة تشكل البيوتات بشكل أدق، بسبب شح المعلومات بهذه المصادر وسكوتها عن إمدادنا بمعلومات قيّمة عن دخول هذه الأسر إلى أرض الأندلس، على الرغم من أن بعض كتب التراجم[1] ، قد فصّلت في ترجمتها لبعض أفراد هذه الأسر، واكتفت بذكر إسهاماتها الثقافية أو السياسية أو العسكرية، وغضّت الطرف عمّا سواه.

ولهذا كله، سنحاول قدر المستطاع تتبع مراحل دخول بعضها إلى هذه الأرض، والطريقة التي تم بها هذا الدخول، وذلك عن طريق طرح جملة من التساؤلات.

ما هي الأسباب التي أدت إلى تشكل مثل هذه الظاهرة؟ وهل دخلت هذه البيوتات فرادى أم جماعات؟ ما هي العوامل أو الأسس التي ارتكزت عليها، والتي ساعدتها كثيرا على الظهور؟.

1- من هذه المصادر: ابن بشكوال، فعند ترجمته لبيت بني سراج فصل في الترجمة لأفراده دون أن يفيدنا بمن دخل منهم إلى الأندلس. ابن بشكوال: كتاب الصلة- الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة- مصر- دت- ص226-364.

1) أسباب تشكل البيوتات.

أ ـــ **الهجرة وبدايات التشكل:** تعتبر الهجرة من أهم الأسباب التي أدت إلى تشـــكل مثل هذه البيوتات، إن لم نقل الأصول الأولى له، ولتوضيح ذلك يجب أن نتناول بالدراسة الموجات الهجرية نحو الأندلس، وذلك عن طريق استنطاق بعض المصادر التاريخية التي عنيت بالمراحل الأولى من تاريخ الأندلس. لأن طبيعة الفتح الإسلامي ومـــا واكبـــه مـــن أحداث، كان العامل الحاسم في تكوين بيئة اجتماعية طغت على المجتمع الأندلسي فيما بعد والتي لم يعرفها من قبل، حيث طغت ظاهرة البيوتات على هذه البيئة، وفرضت نفسها في كل الميادين.[1]

فمنذ الفتح الإسلامي الأول لهذه الأرض سجّلت الهجرة حركة عبور مكثفة لم تنقطـــع شملت مناطق عدة، سواء أكانت من المشرق أو من المغرب، وهـــذا مـــا يؤكـــده ليفـــي بروفنسال حين قال: بان هناك موجات هجرية مهمة تقاطرت على الأندلس من المغـــرب والمشرق الإسلاميين.[2] وقد وافقه في ذلك مصطفى أبو ضيف حين ذكر ما مفاده "اتسمت الفتوحات العربية الإسلامية بصفة الموجات القبائلية المتعاقبة، فما إن تصل موجـــة منهـــا إلى مداها حتى تتولد من نهايتها موجة جديدة.[3]

لقد اتفق كلا المؤرخين حول عدم انقطاع هذه الهجرات واستمراريتها طوال الفـــتح الإسلامي للأندلس، وعلى الرغم ما تكتنفه هذه الدراسة من صعوبات لتتبـــع مثـــل هـــذه الهجرات، فسنحاول قدر المستطاع إبراز بعض منها – على حسب مـــا تـــوفر لنـــا مـــن معلومات – بدءا بالمراحل الأولى للفتح الإسلامي باعتبارها نواة لتكوّن هـــذه البيوتـــات، والبذرة الأولى لمثل هذا التشكّل، وبروزها كقطب فاعل في تـــاريخ الأنـــدلس، وتتبعهـــا بالمراحل التي أعقبت هذا الفتح.

لقد شهدت المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي للأندلس سنة92هـ/711م هجـــرات نشِطة إليها ، وكان غرضها الأساس هو الفتح أولا، ثم الاستقرار ثانيا، فمن خلال تتبعنـــا

1- حقي: البربر في الأندلس – دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأمويـــة (92 هـــــ-771م/ 422 هـــ-1031م)- شركة النشر والتوزيع – المدارس – الدار البيضاء- ص31.

2- E. Levy-provençal : l'Espagne au Xème siècle- Ed, maison- neuve, 2004-P-10

3- مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (91 هـــ-422 هــــ/710م-1031م) المنشورات المغربية- الدار البيضاء- دت- ص29.

لهذه الهجرات سنلاحظ بان هناك بعض الأسر من دخلت فرادى ثم لحقت بهم فيما بعد أسرهم، وهناك من دخل مع أسرته أو بعض أفرادها، فهذه الاحتمالات أيّدها بيار غيشار (Guichard.P) الذي قال بان من تقاليد الجيش الإسلامي أن يحمل معه أسره[1]، وقد يكون هذا الباحث على صواب فيما ذهب إليه، فحتى الطلائع الأولى التي دخلت الأندلس وان لم تنقل أسرها في بداية أمرها، فلا محالة أنها ستستقدمها لاحقا.[2]

ومهما يكن الأمر، فإن دخول العرب والبربر الأندلس أفرادا محاربين أو دخلوها جماعات أسرية مع نسائهم وذراريهم، فهذا لم يمنعهم من الزواج بنساء البلاد المفتوحة،وان كانوا من القوط أو التسرّي بسبيهم، ومن المُسَلَّم به أن ظاهرة زواج الفاتحين العرب والبربر بالاسبانيات كانت تواكب في الوقت ذاته ظاهرة زواجهم من مسلمات عربيات أو بربريات،[3] وهذا يدعم الرأي القائل بدخول الفاتحين فرادى، وتزوجهم من نساء أندلسيات مما سيؤدي إلى تشكيل مثل هذه البيوتات داخل البلاد المفتوحة، مما ساعدها على الظهور بشكل قويّ، وبخاصة إن كانت هذه المصاهرة من أسر ذات جاه ومال.[4]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، يظهر بما لا يدعو للشك أن الهجرة كانت النواة الأولى لتشكل مثل هذه البيوتات، وفي اعتقادي أن طبيعة الفتوح لهذه الأرض وما واكبها من أحداث كانت الركيزة الأساس في تكوين بيئة اجتماعية بالأندلس لم يكن لهذه الأخيرة سابق معرفة بها، ولتوضيح ذلك سنقف على بعض النماذج التي رافقت الحملات التي قادها الفاتحون الأوائل، والتي تعتبر البذرة الأولى لتَشَكُّلِ هذه الظاهرة، ثم الهجرات التي تلت هذا الفتح.

1- Guichard .p. structure sociale oriental et occidentale dans l’Espagne Musulmane-pp-137-138

2- Guichard- p- Op- Cit – PP-137-138

3- سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري – أسرة من المولدين بمرسية في العصر الإسلامي – مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية – مصر – 1989 – ص11.

4- سنتعرض إلى العامل الاقتصادي ودوره في ظهور البيوتات.

من هذه البيوتات التي رافقت حملة طارق بن زياد (نحو 50هـ 102هـ/670م-720م) هو بيت بني مُغيث الرّومي[1] بن الحارث بن حُوَيْرَث بن جَبَلَة بن الأيْهَم الغَسَانِي[2] [3] ويبدو أن مغيثا هذا، كان سبي من الروم بالمشرق[4] ، وكان حينها صغيرا، فأدّبه عبد الملك بن مروان (65هـ-86هـ/ 685م-705م) مع ولده الوليد (86هـ-96هـ/705م-715م)[5]ونشأ بدمشق وكان هذا الجد ممن دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية (138هـ-172هـ/755م-788م) وذلك في جيش طارق بن زياد، حيث أسند له هذا الأخير مهمة فتح قرطبة، ولكن سرعان ما خرج عنها متجها نحو دمشق، وستكون له كَرّةً ثانية إلى هذا البلد، وبذلك يكون مُغِيث الرُّومي هذا، قد وفد نحو الأندلس مرتين: الأولى بغرض المشاركة في الفتح، والثانية: بغرض الاستقرار، وهذا ما يتضح لنا من خلال إنجابه بها وتفرّع دوحة هذا البيت، فكان منهم أبناء كُثُر، منهم ولداه عبد الواحد (ت 191هـ/807م) وعبد الكريم أبو حفص (ت209هـ-210هـ/824م-825م)، وأصبحوا منذ ذلك العهد يعرفون ببني مغيث الذين نجبوا بقرطبة وعَظُمَ بيتُهم بها.[6]

يضرب هذا البيت بجذوره الأولى إلى الجد الأعلى، وهو جبلة بن الأيهم الذي كان على عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –(13هـ-23هـ/65م-322م) و ارتدَّ على أيامه إلى النصرانية[7] إلا أن أحد أبناء هذه الأسرة التي هاجرت من بلاد الشام، ثم

1- لقد ذكر كل من ابن حيان والحجاري أنه رومي، وزاد الحجاري قوله: "وليس بيرومي على الحقيقة وقام بتصحيح نسبه المذكور أعلاه. المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب-تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي– دار الفكر– بيروت– لبنان– ط1- 1419هـ/1998م-ج3-ص293 –ص615

2- الغساني : منسوب الى غسان مازن بن الأزد بن الغوث، وقال الكلبي: أنها ليست قبيلة، وكان إليه جماع غسان، وانما غسان ماء شربوا منه، فسموا به. الكلبي هشام بن محمد: جمهرة النسب – تحقيق: د/ ناجي حسن – عالم الكتب – بيروت – لبنان – 1425هـ/2004. الحازمي الهمداني محمد: عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب – حققه وعلق عليه وفهرست له: عبد الله كنون- دار الآفاق العربية – ط1-1422هـ/2002م –ص139.

3- الكلبي: نفسه-ص618: ابن حزم علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب- راجع النسخة وضبط أعلامها: عبد المنعم خليل ابراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط4-1428هـ/2007م- ص372.

4- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – السفر الثاني- ص192.

5- ينظر عن عبد الملك بن الوليد وولده. اليعقوبي: تاريخ- دار صادر- بيروت – لبنان – دت – مج2-ص269 و ما يليها وص283 ومايليها. ابن الخطيب: اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام – تحقيق: سعيد كسوري حسن – دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان – ط1-1424هـ/2003م-ج1-ص85 وما يليها.

6- المقري: المصدر نفسه – ج3- ص293.

7- ابن حزم القرطبي: المصدر نفسه – ص372

منها إلى الأندلس، سيعيد تشكيل هذا البيت مرة أخرى معتمدا على أهم عامل أدى إلى ظهوره وبروزه على الساحة الأندلسية، ألا وهو العامل العسكري[1]، والذي وطّد من مكانته وشجّعه على الاستقرار بالأندلس والإنجاب بها، فتوسّعت دوحتهم وأصبحوا من البلديين[2]، فكان بذلك بداية عهد جديد لتشكّل هذا البيت بهذه البلاد مع دخول جدهم هذا.

وهناك أسرة دخلت في جيش طارق وهي آل أبي عيسى، ويعرفون كذلك ببني يحي الليثي[3]، حيث اختلفت المصادر فيمن دخل من أفراده أول مرة، فصالح بن عبد الحليم الايلائي يذكر أن شَمَلّل[4] جد يحي بن يحي هو الداخل إلى الأندلس مع طارق بن زياد وشهد الفتح[5]، وقد خالفه ابن الأبار حين ذكر بأن كثيرين وَسْلاَس اللَّيْثي، هو أول من دخل الأندلس واستقرّ بها وولد له بها يحي بن كثير[6]، في حين ذكر ابن الخطيب أن الداخل منهم أبو عيسى يحي بن كَثِير[7] .

اعتمادا على ما ورد في المصادر أعلاه، فإن هجرة هؤلاء كانت فردية، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبارها الأساس الذي تشكل به هذا البيت، ولكن استنادا إلى المعلومات التي أوردتها مصادر أخرى، والتي ترجمت لهذه الأسرة تذكر أن أساس تشكله يرجع إلى فردين من أفرادها، وهذا ما يفهم من كلام الرازي الذي ذكر بأن وسلاس هو الداخل مع

1- سنتعرض إلى هذا العامل في موضعه.

2- يطلق لفظ البلديين على أهل الطوالع التي سبقت طالعة بلج بن بشر القشيري، وقد آستقروا في البلاد، وتقاسموا خير نواحيها ولذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أهل البلد واصحابها و تسموا بالبلديين. حسين مؤنس: فجر الأندلس- دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الأموية (711-756م)- دار الرشاد- القاهرة –ط3 – 1426هـ-2005م- ص290.

3- الليثي: بفتح اللام وتشديدها، وبسكون الياء المنقوطة بنقطتين في آخرها ثاء منقوطة بثلاث، هذه النسبة الى ليث بن بكر عبد مناة بن كنانة، وكان منهم أبو واقد الليثي- ابن عبد البر: الانباه على قبائل الرواة- حققه وقدم له ووضع فهارسه: ابراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان- دت-ص51. السمعاني: الأنساب – وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1419هـ/1998م –مج5- ص30.

4- شملل بن منقايا عند ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس – تحقيق: د/روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط-1417هـ/1997م- ص431. وشملل بن صيغا عند القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1418هـ/1998م – ج1 – ص310- وابن سمال بن مهايا عند ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – شرحه وضبطه وقدم له: أ-د- يوسف طويل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2002م-مج4-ص319.

5- الايلائي: مفاخر البربر- دراسة وتحقيق: أد. عبد القادر بوباية – دار أبي رقراق –ط2-2008م- ص166.

6- ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة- تحقيق: د/ عبد السلام الهراس – دار الفكر – بيروت – لبنان – 1415هـ/1995م- ج4- ص160.

7- ابن الخطيب: المصدر السابق– مج4- ص319.

ابن أخيه نصر بن عيسى في جيش طارق، ثم يضيف قائلا: بأن كثير بن وسلاس دخـل بعدهما[1].

في هذا الصدد، لا يهمنا ما ورد من اختلاف بين هؤلاء المؤرخين، ولكن الأهم أن هجرة هؤلاء كانت شبه جماعية، فهي هجرة الأب مع ابنه، أو العم مع ابن أخيه، فهـؤلاء يمكن اعتبارهم النواة الأولى لتشكل هذه الأسرة على هذا النحو بالأندلس، ثم سيلحق بهـم باقي أفرادها تباعا، و بدأت هذه النواة تتوسع بعدما أعقب هؤلاء المهاجرين الأوائل بهـذه الأرض، وهذا ما يتضح لنا عند إشارة ابن حزم لهذه الأسرة في قوله: "وبنو يحي بن كثير صاحب مالك، وكانت لهم ثروة وعدد، وقد بقيت لهم بقية يسيرة".[2]

ويعتبر بيت الزجالي هو كذلك من البيوتات التي عبرت إلى الأندلس مـع الجـيش الذي قاده طارق، ويبدو أن هؤلاء كان أصلهم من مديونة على حد تعبير ابن حزم،[3] وقـد يكون جد هم عبر الأندلس في جيش طارق بن زياد أو الهجرات التي جاءت بعدها علـى حد قول حقي محمد مستندا في ذلك إلى المواطن التي نزلوها وهي تَاكُرَنَّا[4]، ويستدل على ذلك استنادا إلى الدفعة الأولى التي هاجرت مع جيش طارق وكانـت مواطنهـا الثغـور الشمالية[5]، وهذا ما يؤكده حسين مؤنس.[6]

ولكن قلة المصادر التي ترجمت لهذه الأسرة، صعّب علينا عملية تتبع هجـراتهم، ولا نعلم إن كان وفودهم إلى أرض الأندلس أفرادا أم جماعات، وفي اعتقادي قد يرجـع سبب ذلك إلى أن هذا البيت في بداياته كان من البيوتات المغمورة لا ذكر لهم في مصادر تلك الفترة، إذ لم تكن لديه مشاركة فعلية في الميادين السياسية أو العسـكرية أو الثقافيـة، فبقي نكرة إلى غاية ظهور أحد أفراد هذه الأسرة، والذي كان له الفضل في ظهورهم على

1- القاضي عياض: المصدر السابق– ج1 – ص 310.
2- ابن حزم القرطبي: جمهرة- ص500
3-ابن حزم القرطبي: نفسه- ص500
4- هي مدينة بالأندلس قريبة من استجه، من مدنه مدينة رندة، وهي تقع بأرض خصـبة ذات زرع وضـرع، كثيـرة الخيرات. الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق: د/ احسان عباس- مكتبـة لبنـان – ط2- 1984م- ص129. مجهول: تاريخ الأندلس – ص124.
5- حقي: المرجع السابق- ص224.
6- حسن مؤنس: فجر الأندلس... صص309-310.

الساحة الأندلسية، وقد كان للعامل الثقافي[1] دوره الحاسم في بروز بيت الزجالي، وان كان هذا الظهور متأخرا، و اعتبر بذلك بيتهم ظاهرة ميزت تاريخ الأندلس الثقافي.

وهناك بيت آخر دخل في نفس الفترة نذكر منه بيت بني رزيـن، إذ كـان جـدهم رزين من أكابر رجال البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق وكان أحد قادته.[2]

لم تتوقف هذه الهجرات عند هذا الحد، بل استمرت بعد حملة طارق لتستـمر فـي فترة موسى بن نصير (88هـ-97هـ/706م-715م) وما بعدها، وهـذا مـا نقلـه لنـا المؤرخ محمد بن مُزَيْن[3] نقلا عن محمد بن موسى الرازي[4] في كتابه الموسوم بالرايات[5]، إذ يفيدنا بمعلومات عن القبائل التي دخلت مع موسى بن نصير وسـائر البيوتـات ممـن دخلت معه[6]، فمن هذه البيوتات التي دخلت في هذه الفترة بين بني عميرة ويعرفون ببيـت بني صُمَادِح، وكان الداخل من أفراده هو عميرة بن المهاجر بن نجدة بن شريح بن حرملة بن يزيد بن ربيعة بن عدي بن زيد بن عامر بن عدي بن أشرس بن شبيب.[7]

وفي سنة 113هـ/731م كان دخول بيت بني أبي عَبْدة إذ هاجر جدهم حسّان بـن مالك الكَلْبي[8] على عهد الوالي عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي[9]، فيكون بهجرته هذه سبق دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنة.[10]

1- سنتعرض إلى هذا العامل في موضعه.

2- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – ق2- ص234.

3- سنترجم لهذه الشخصية في موضعه.

4- تنظر ترجمته عند جمال الدين القفطي: انباه الرواة على أنباء النحاة – تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1424هـ/2004م –ج1 – ص171 – ابن الأبار القضاعي: التكملة ...ج2-ص155.

5- ورد عند صالح الإيلائي: تحت هذا العنوان "أعلام القبائل" – المصدر السابق – ص168.

6- الغساني: رحلة الوزير في افتكاك الأسير – 1690م – 1691م – حررها وقدم لها نور الجراح – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط1 – 2002 – ص139.

7- ابن حزم القرطبي: المصدر السابق – ص431.

8- نسبة الى كلب من قضاعة ومن بني ليث ومن بجيلة، وهو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. ابن عبد البر النمري: المصدر السابق – ص136. جلال الدين السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب – محقق على نسخة خطية باشراف مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر – بيـروت – لبنـان – ط1 – 1422هـ/2002م – ص340.

9- الغافقي: نسبة الى غافق من الأزد وقيل ان غافق من قضاعة أو من عك. جلال الدين السيوطي: نفسه- ص288 – ابن عبد البر النمري: نفسه – ص138.

10- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء – تحقيق : د/ حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة – ط – 1985 – ج1 – ص246.

كانت هجرة أبي عبدة حسان بن مالك منطلقها من بلاد الشام، وبهذه الأخيرة كان جدهم عبد الله بن جابر أحد القواد الذين شاركوا في موقعة مَرْج رَاهط[1]، والتي أبلى فيها بلاء حسنا[2]، وتطلعنا المصادر التي ترجمت لهذه الأسرة أن الجد الأدنى كانت هجرته فردية إذ لم يصحب معه باقي أفراد أسرته، وقد يكون لبعد المسافة أثرها في ذلك، فالمصادر – على حد علمي- لم تُرِدْ أي خبر عن اصطحاب أبي عبدة لأبنائه، إذ تفيدنا هذه الأخيرة أن لحسان هذا أولاد ولدوا كلهم بالمشرق، إلا أن الاضطرابات التي شهدتها هذه البقعة من الأرض الإسلامية بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/749م بالمشرق، وملاحقة العباسيين لهم، وكان من بينهم أبناء أبي عبدة حسان بن مالك الذين طالهم القتل، ولم ينج منهم سوى ابن واحد اسمه عبد الغافر بن حسان المكنى أبا أمية وذلك لصغر سنه، ونتيجة لهذه الأوضاع لم يجد والده بدا لاستقدامه إلى ارض الأندلس، وهذه المرة ستكون هجرتهما هجرة دائمة.

وبناء على ما تقدم ذكره، فإن هذه الأسرة المتكونة من الابن والأب والزوجة، دخلوا الأندلس مجتمعين، وبدؤوا يتكاثرون بها، وهذا ما يتوضح لنا جليا عند تتبع شجرة نسب هذا البيت، فعبد الغافر الذي دخل صغيرا سيكون فيما بعد نواة لتوسيع هذه الشجرة التي كان أساسها والده، وسيكون له بها عقب منهم: يحي بن عبد الغافر، وهذا الأخير سيولد له الغمر بن عبيد الله، ثم ابنا هذا الأخير عثمان ومحمد وأبو عثمان عبيد الله بن محمد (ت296هـ/968م).[3] ومن هنا ستبدأ عملية تشكل هذه الأسرة والتي كانت في الأصل تتكون من فردين أو ثلاثة على الأكثر، والظاهرة الملفتة للانتباه أن هذا البيت سيتفرع عنه بيت آخر ألا وهو بيت بني جهور والذي سيكون له دور حاسم في تاريخ الأندلس السياسي والثقافي.

1- لما توفي يزيد بن معاوية بويع لابن الزبير بمكة، فقصد مروان بن الحكم المسير اليه من المدينة لمبايعته، ثم توجه الى الشام مع بني أمية وأقام بالشام في أيام ابن الزبير وصار بالشام فريقين: اليمانية مع مروان، والقيسية مع الضحاك بن قيس مبايعين لابن الزبير، وآخر ذلك أن الفريقين اقتتلوا بـ"مرج راهط" بغوطة دمشق، وانهزم الضحاك والقيسية، وقتل الضحاك واستقام الشام لمروان بن الحكم. زين الدين ابن الوردي: تاريخ- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1417هـ/1996م – ص166. الدينوري: الأخبار الطوال – اعداد وتحقيق وفهرسة: د/ عمر فاروق الطباع – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – لبنان – دت – صص261-262 و ص270. الحميري: المصدر السابق – صص 536-537.

2- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1- ص246.

3- ابن الأبار القضاعي: المصدر نفسه – صص245-246. ابن بشكوال: الصلة – ص131.

ومن أمثلة البيوتات التي وطئت أقدامها الأندلس منذ العهد السابق لدخول عبد الرحمن بن معاوية (138هـ-172هـ/755م-788م) آل الخالديين، ولكن ما يؤسف له أن المصادر لا تمدنا – حسب اطلاعي – بمعلومات وافية عن هجرة هؤلاء إلى هذه الأرض عدا أنها تذكر واحدا منهم وهو عبد الله بن خالد الالبيري الذي كان متواجدا بها قبل وفود عبد الرحمن الداخل، إذ قدّم لهذا الأخير العون بعد تعرّضه للملاحقة من طرف العباسيين[1].

وعليه يمكن القول، أن النواة الأولى لتشكل هذا البيت هو هذا الجد الذي كان المؤسس الحقيقي لهذه الأسرة، ولكن هناك حلقة مفقودة بين هذا الجد وباقي أفرادها الأمر الذي لا يسمح لنا بتتبع هجرة هؤلاء وتتبع أفرادها. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا البيت استطاع أن يتشكل وتتوسع دوحته، ويكون لنا أسرتين هما: أسرة هاشم بن عبد العزيز و أسرة إدريس بن عبد الله، وسيصبح هذا البيت كنظيره السالف الذكر ظاهرة طبعت تاريخ الأندلس، وترك بصماته في مضان المصادر الأندلسية.

وفي سنة 123هـ/741م، وبالضبط في طالعة بلج بن بشر القشيري[2] شهدت الأندلس موجات هجرية لبعض الأسر إذ دخل مع هذه الطالعة أبو الحجاج يوسف بن بخت الفارسي، مولى عبد الملك بن مروان[3]، وقد حضر مع بلج وقعة شَقُنْدَة[4]، وهو الذي سيستضيف عبد الرحمن بن معاوية في بيته بقرية طرش[5]، وكان معه آل الخالديين.[6]

وفي نفس هذه الطالعة دخل أمية بن يزيد الذي سيحمل البيت آسمه، وكانت هجرته في آخر خلافة هشام بن عبد الملك (105هـ/724م)، وجدهم يزيد بن عبد الرحمن بن

1- ابن القوطية: المصدر السابق- ص33.

2- منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو بطن كبير، وهم اخوة جعدة والحريش وعقيل، والبيت في قشير والعدد في عقيل ابن السائب الكلبي: المصدر السابق- ص332. الحازمي: المصدر السابق – ص148.

3- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج2- ص372.

4- وردت عند مجهول: "كقندة"- أخبار مجموعة – ص131.

5-طرش: (Torrox): هي بلدة بالأندلس، وهي من أشرف المدن، تقع على نهر هو أعظم انهار فرنجة، وعليه حصن من خشب، وعظمت هذه المدينة بسبب وجود كنيسة بها، ويذكرها الادريسي على أنها قرية تقع على ضفة البحر. الحميري: المصدر السابق- صص 390-391. الادريسي: القارة الافريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق – تحقيق: د/ اسماعيل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر -1983م – ص292. المقريزي: جني الأزهار من الروض المعطار – تحقيق: د/ محمد زينهم – الدار الثقافية للنشر – القاهرة – ط1 – 1426هـ/2006م – ص120.

6- مجهول: المصدر السابق- ص135.

أبي حوثرة كان مولى لمعاوية بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (41هـ-64هـ/661م-684م)[1].

وكذا بيت بني عبّاد الشهير الذي هاجر منهم إلى أرض الأندلس عِطاف على حد قول الفضل بن علي بن حزم، وهو من أهل حمص من صقع الشام لخمي النسب، كان مقيما بالعريش بين مصر والشام، ونزل بقرية ــ يومين ــ من إقليم طشانة من أرض اشبيلية.[2]

أما أبو مروان، فيذكر أن من هاجر من هؤلاء فردين وهما الأخوان نعيم وعطاف، فنزل احدهم بالقرية المذكورة، وتناسل ولده بها مدة من الزمن، ثم انتقلوا إلى اشبيلية وتصدّروا الوجاهة والنباهة على عهد الخلافة والحجابة.[3]

وهناك بيت آخر كانت هجرته في نفس الفترة، ألا وهو بيت بني أضحى، فأول من دخل منهم يزيد بن الشِّمر في جُند حمص[4]، وكذا بيت خطّاب التدميريين، فأول من وطئت أقدامه أرض الأندلس جدهم عبد الجبار بن نذير واستوطنوا تدمير.[5]

من خلال استقرائنا لبعض المصادر، يظهر أن هؤلاء الأفراد من البيوتات الذين وفدوا مع طالعة بلج، كانت تضم الجند من صميم بني أمية والعرب الذي بلغ عددهم عشرون ألفا، فأول أمرهم كانوا بافريقية، ولم يكن في نية هؤلاء دخول الأندلس، فلما رأى عبد الملك بن قطن الفهري عادية البربر، لم يجد بدا من طلب يد المساعدة من بلج وجنوده، للاستعانة بهم.[6]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، نستتشف حقيقة تلك الأوضاع السياسية السيئة التي سادت الأندلس، وكانت من بين الأسباب الرئيسة لتشكل بيوتات أخرى في الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي، فكان ممن احتواهم هذا الجيش أفراد من بيوتات العرب الذين

1- ابن الأبار القضاعي: المصدر نفسه - ج2- ص373. ابن الأبار القضاعي: اعتاب الكتاب – حققه وعلق عليه وقدم له: د/ صالح الأشتر – مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق – سوريا – 1380هـ/1961م- ص71

2- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء – ج2 – ص34. ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج2 – ص61.

3- ابن الخطيب: تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام – تحقيق: إ. ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت – ط2 – 1956م ص153.

4- ابن الأبار القضاعي:المصدر نفسه – ج2 – ص211.

5- ابن الدلائي: نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك – تحقيق: عبد العزيز الأهوائي – معهد الدراسات الاسلامية –مدريد -1965م – ص15.

6- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب...ج2 –ص30.

استقروا بالأندلس[1]، فتوسّعت دوحتهم، وحمل بيتهم اسم جدهم الداخل ضمن طالعة بلـــج، فكان من هؤلاء بيت بني بُخْت الفارسي الذي سيكون له دور فاعل في تاريخ الأندلس.

لم تنقطع هذه الهجرات نحو الأندلس الفردية منها والجماعية، وإنما تواصل تـــدفق هجرات أخرى شملت عدة أسر، وبخاصة على عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية.

فمن هذه البيوتات، بيت بني بسيل الذي كان أفراده من موالي بني أمية قبل دخولهم الأندلس، وكان من أكبر البيوتات الشامية. لقد كان بسيل هذا مولى لهشام بن عبد الملـــك على حسب ما ذكره ابن الأبار[2] أو لعبد الله بن معاوية على حد قول المقري.[3]

لقد كانت هجرة هؤلاء هجرة جماعية أيام هذا الأمير، فممن دخل منهم عبد السلام بن بسيل مصطحبا معه ابنيه يحي وعبد الواحد ابنا عبد السلام، ومنها بـــدأ هـــذا البيـــت يتشكل على هذه الأرض وتتوسع شجرته، فعبد السلام المذكور ولد له ابن بهـــذه الأرض الجديدة اسمه محمد بن عبد السلام المعروف بالشيخ، ومن هنا بدأ يتوطـــد مركـــز هـــذه الأسرة ونفوذها وبدأت بالظهور، وبخاصّة على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن عنـــدما قدّم له أحد أفرادها يد العون وهو يوسف بن بسيل[4] لتوطيد الملك له بعد وفاة والده عبـــد الرحمن بن الحكم.[5]

وهناك بيت آخر دخل مصطحبا معه باقي أفراد أسرته، وان لم تذكر لنا المصـــادر تاريخا محددا لدخولهم الأندلس، إلا أنه يفهم من سياق الكلام أن جدهم كـــان أيـــام حكـــم الأمير عبد الرحمن بن معاوية، هذا البيت هو بيت بني عبد الرءوف[6] وكان جدهم الأعلى عبد الله بن جابر قاضيا لعمر بن عبد العزيز (99هـ- 101هـــ/717م-719م) بالشـــام فهو بذلك من الموالي الأمويين الشاميين.

1- لم يكن في نية هذه الطالعة البقاء بالأندلس لأن واليها آنذاك عبد الملك بن قطن اشترط على بلج ألا يطول مقامـــه بهذه الأرض أكثر من سنة، ثم يخرجون عنها بعد انتهاء المهمة المناطة اليهم، وقد كان عدد العرب فيهم 10 آلاف من عرب الشام. ابن عذاري : المصدر السابق –ج2- صص30-31.

2- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج2- ص371.

3- المقري: المصدر السابق- ج3- ص320.

4- ورد اسمه عند أبي بكر ابن القوطية على هذا النحو "يوسف بن جميل" وهو خطأ- المصدر السابق- ص69.

5- ينظر ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس – ق2- ص115-119.

6- لقد نسب هذا البيت الى عبد الرءوف ولو أنه لم يكن الجد الأعلى، لأن البيت عادة ما ينسب الى الجد الأعلى أو أول من دخل منهم الى الأندلس، الا أن بيت بني عبد الرءوف نسب الى هذا الأخير باعتباره أول من وصل الى الوزارة من أفراده. ابن الأبار القضاعي: المصدرنفسه – هامش رقم 2- ج1- ص240.

إن أول من دخل أرض الأندلس عبد السلام بن إبراهيم بن يزيد بن عبد الله بن جابر، إذ صحبه في هجرته هذه أخواه أبو المفوز وعقبة، فكان بذلك هؤلاء النواة الأولى لتشكل هذا البيت وتناسلوا بهذه الديار مما أدى إلى توسع دوحتهم بها، وهذا ما يؤكده الرازي حين ذكر بأن أبا الدلهات عبد السلام ولد اثني عشر ولدا، وقد تصرّف هؤلاء لحكّام بني أمية في مناصب إدارية عدة.[1]

ومن البيوتات التي دخلت الأندلس في نفس الفترة، بيت بني وانسوس، فجدهم أبو قُرَّة وانسوس هو الذي استتر عنده عبد الرحمن بن معاوية.[2] وقد حفظ له هذا الأخير صنيعه إذ رحّب به عند دخوله الأندلس، وكان هذا البيت البربري من موالي عبد العزيز بن مروان بن الحكم (65هـ-85هـ/684م-704م)[3]

لم يدخل هذا الجد منفردا، بل كان في صحبته باقي أفراد أسرته، كان منهم عبد الله بن وانسوس وابنه أصبغ بن عبد الله الذي كان زعيم مَارِدَة أيام الأمير الحكم (180هـ-206هـ/ 796م-822م)،[4] وبعدها سيظهر على الساحة الأندلسية أحد أفرادها وهو سليمان بن محمد بن أصبغ المولود بالأندلس، وهذا ما يؤكد أن هذا البيت بدأ يتكاثر بهذه الأرض، إذ استطاع أبو لواء سليمان المذكور تشكيل أسرة موازية لأسرة والده، فقد انفرد ابن الأبار بذكر عدد من أفرادها منهم أم الحسن، وبنات أخريات عدّهم الرازي سِتُ نسوة.[5]

إن النواة الأولى لتشكل هذا البيت كانت بالعدوة المغربية، ولكن النواة الثانية تشكلت بالعدوة الأندلسية والتي كان لها الفضل في بروزه كبيت فاعل على أصعدة شتى.

وهناك نماذج من بيوتات دخلت في نفس الفترة الزمنية نذكر منهم بيت بني بِشر، فأول من دخل منهم بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان في صدر الأمير عبد الرحمن الداخل، وكان ذلك بعد وفاة والده الذي قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة[6] [1]، ومن بين بني

1- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق- ج1- ص241.
2- المقري: النفح- ج1- ص262.
3- ابن القوطية: المصدر السابق- ص33. ابن الأبار القضاعي: المصدر نفسه- ج1- ص160.
4- ابن حيان القرطبي: المقتبس- السفر الثاني – ص95.
5- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج4- ص244.
6- تنظر أخباره عند اليعقوبي: تاريخ – ص 339-340-341-344-345-353.

فُطيس، فطيس بن سليمان بن عبد الملك بن زيان،[2] ومن بيت بني جَهْوَر المرشاني أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري الداخل[3]، إضافة إلى أكبر بيت ستشهده الساحة الأندلسية، ألا وهو بيت بني شُهيد فالداخل منهم هو شهيد بن عيسى، وكان ذلك أخريات أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية.[4]

هذه جملة من البيوتات التي صرّحت المصادر بذكر سنة دخول الجد الأول إلى الأندلس أو تحديد الفترة الزمنية له، إلا أن هناك بيوتات اكتفت المصادر فقط بالإتيان على ذكر الجد الداخل فقط دون ذكر لتاريخ معين أو فترة هذا الدخول وهذا ما يوضحه لنا هذا الجدول.

البيوتات	الجد الداخل
بيت بني داود التميمي	كان جدهم داود التميمي هو الداخل إلى الأندلس من الشام.[5]
بيت بني مفوز المعافري	وجعفر هو الداخل إلى الأندلس.[6]
بيت بني الأفطس	وكان جدهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، أصله من قبائل مكناسة ونزل بفحص البلوط من جو في قرطبة.[7]
بيت بني مزين	أبو الجود مزين بن موسى الداخل إلى الأندلس، صاحب شلب.[8]
بيت بني حزم	كان جدهم خلف أول من دخل الأندلس[9]
بيت بني دينار	دينار بن واقد بن عامر بن مالك الغافقي. دخل الأندلس ونزل بقرية الغافقيين.[1]

1- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – وضح حواشيه: خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1417هـ/1997م- ج1- ص28.
2- ينظر عنه: ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر2 – ص129-140-151-162.
3- ابن القوطية: المصدر السابق- ص41.
4- ابن حيان: نفسه – ص222.
5- ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب – دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1417هـ/1996 – ص368.
6- الضبي: المصدر السابق- ص59. ابن شكوال: الصلة- ص503. ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق- ج1- ص234-305.
7- ابن عذاري : المصدر السابق- ج3- ص235.
8- ابن عذاري : نفسه- ج3- ص297.
9- الذهبي: تذكرة الحفاظ- وضع حواشيه: الشيخ: زكريا عميرات- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1419هـ/1998م- مج2- ج3- ص227.

بيت بني أيوب بن القاسم الفهري	لبيب جدهم هو الداخل الى الأندلس.[2]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، نلحظ بأن موجات الهجرة الوافدة من المشرق والمغرب، سواء أكانت فردية أم جماعية، وبخاصة تلك التي رافقت الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأندلسية، كانت النواة الأولى لتشكل مثل هذه البيوتات، فمنهم من آثر الرجوع إلى بلده ومنهم من بقي بالأندلس، وهؤلاء الذين فضّلوا البقاء، أوجدوا لنا تركيبة اجتماعية عُرِفَت بالبيوتات لم تشهدها هذه البلاد من قبل، إلا أن قدوم هؤلاء بغرض الفتح لم يكن هو السبب الوحيد لتشكل مثل هذه الظاهرة، ولكن هناك سبب يمكن اعتباره رئيسا ومهما ساعد كثيرا على تشكل هذه الظاهرة، إن لم نقل والمحافظة عليها ردحا من الزمن والمتمثل في الاقطاعات[3] التي وزعت على هؤلاء الوافدين.

ب) الإقطاع ودوره في الاستقرار:

تعتبر الاقطاعات من أهم الأسباب التي ساعدت كثيرا على تشكل مثل هذه البيوتات وتوسعها، إذ لا يمكن أن تكون للهجرة أية فائدة ما لم تدعم بمثل هذا الإقطاع الذي سيساعدها كثيرا على الظهور وتثبيت أقدامهم بهذه الأرض، فلهذا كله يمكن اعتباره محفزا قد يغري الكثيرين من هؤلاء المهاجرين سواء أكانوا أفرادا أم جماعات على البقاء بالأندلس، ومن تم توسيع دوحتهم، وهذا ينطبق على أولئك الذين هاجروا مع أسرهم، وأما الذين هاجروا فرادى، فسيبدأ تشكل بيتهم ابتداء من وطء أقدامهم لهذه الأرض، وبذلك يكون هذا التشكل بأرض الأندلس.

لقد تم توزيع أرض الأندلس إقطاعا على القبائل التي شاركت في هذه الفتوح، وكان المستفيدون هم زعماء قومهم، فاستقرت بذلك كل عشيرة في جهة خاصة بها، فحافظت بذلك على وحدتها وتماسكها، وقد أفادنا صاحب فتح الأندلس بالطريقة التي تم

1- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق- ج1- ص257.

2-ابن الأبار القضاعي: نفسه- ج2- ص261. ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدفي طبع في مدينة مجريط بمطبعة رودس- سنة 1885م- ص223.

3- عن الاقطاع ينظر: Madeline Grawitz : L'exique des sciences sociales, edition – Dalloz – Paris – 2004 – p175.

بها توزيع هذه الاقطاعات، فذكر أن أبا الخطار حسام بن ضــرار الكلبــي (125هــــ-128هــ/743م-746م) "أنزل في كورتي أَكْشَبونَة وباجة جند[1] مصر مع البلديين الأوائل وأنزل باقيهم في كورة تُدمير وأنزل في كورة ريُّة جند قِنَّسْرِين".[2]

وبنفس القول ذهب ابن القوطية فذكر ما مفاده: "... فانزل أهل دمشــق بـــإلبيرة و أهل الأردن برية وأهل فلسطين بشذونة وأهل حمص بإشبيلية وأهل قنسرين بجيان، وأهل مصر بباجة وقطيعا[3] منهم بتدمير".[4] وبنفس القول قال كل من ابن عذاري[5] وابن الأبار.[6]

ويذكر أحمد الرازي بنوع من التفصيل توزيع هذه الاقطاعات مواطن المقتطعــين "... وأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق، وأنزل أهل حمــص اشــبيلية و سماها حمص، وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين، وأهل الأردن رية ومالقــة وســماها الأردن، وأهل فلسطين شذونة- وهي شريش – وسماها فلسطين، وأهــل مصــر تــدمير وسماها مصر".[7]

وبناءً على ما تقدم ذكره، فإن سكنى من آثر البقاء بالأندلس من هــؤلاء الفــاتحين كان حسب ما يناسبهم ويناسب طبيعتهم سواء اختلط العرب بالبربر في نفس الإقطـــاع أم تفرقوا في الأسقاع، فسكن العرب المفاوز إلا أنهم لم يستقروا بها، وإنما واصلوا مسيرهم، فكلما مروا بموضع استحسنوه وحطّوا رحالهم به ونزلوه قاطنين.[8]

1- لقد عرف الأندلس الاسلامي نظام الأجناد او الكور المجندة، واخذه العرب عن البيزنطيين، ويقصد بـــه ولايـــات عسكرية ينزلها جند، والجند خمس فرق من المحاربين يحكمها قائد عسكري، وقد عرفت بلاد الشام نظام الأجناد كجنـــد فلسطين والأردن ودمشق ومنها انتقل الى الأندلس على أيام أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي سنة 125هــــ/734م. مع اختلاف بسيط حيث ان الجند في الشام كان يضم كورا كثيرة، أما في البلاد الأندلسية، فكان يقابل كــورة واحــدة. حسين مؤنس: فجر الأندلس...صص 555-556.

2- مجهول: فتح الأندلس- ص42.

3- وردت ــ بعضهم ــ عند ابن عذاري: المصدر السابق-ج2-ص 32.

4- ابن القوطية: المصدر السابق- ص32.

5- ابن عذاري : نفسه- ج2- ص33.

6- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ص63.

7- المقري: المصدر السابق- ج1- صص192-193. وحول تقسيم الاقطاعات ينظر:

Albornoz : L’Espagne musulmane la conquete et les civile ED.OPU -1985 – T1- pp.28-31 : guer

8- المقري: المصدر السابق- ج1- ص220

لقد كان استقرار العرب في المدن والبوادي، حيث طاب لهم المقام بها بسبب مواردها الزراعية، أضف إلى ذلك أن تمركزهم حول بعض المدن المهمة كقرطبة واشبيلية لأنها تقع على الخطوط الرئيسة للتجارة، ومنطقة عبور مهمة.[1]

أما البربر، فسكنوا المناطق الجبلية لأنهم كانوا يرغبون عن سكنى المدن والقرى، وإنما كانوا يفضلون سكنى الجبال والصحاري بسبب ممارستهم لحرفة الرعي إذ كانوا أصحاب ابل وسوائم.[2] ويرجع ذلك إلى الحياة اليومية التي اعتادوها في بلدانهم بسبب انعدام الأودية الواصلة بعضها البعض، وتشبث هؤلاء البربر بعاداتهم التي ألفوها في العدوة المغربية طيلة ردح من الزمن إذ اعتادوا على تربية البقر والجياد والغنم مقيمين في أماكن قارة أو متنقلين من مرعى لآخر.[3]

هذا الكلام لا ينسحب على كل الفاتحين من عرب وبربر، فبعض المسلمين العرب سكنوا الجبال وبعض المسلمين البربر سكنوا السهول،[4] فهذا يدل على أن الأمور سارت حسب رغبة هؤلاء، و نوع الحياة السابقة، وطبيعة الأرض التي اعتادوها في بلدانهم الأصلية.

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، يمكن الخروج بما يلي:

الأولى: إن صنيع أبي الخطار هذا يمكن اعتباره سببا رئيسا في تشكل هذه البيوتات، بل عمل على تثبيت أقدامهم بهذه الأرض، مما حفزهم على البقاء وعدم التفكير في طريق العودة إلى أوطانهم، إذ ستستغل هذه الاقطاعات اقتصاديا واجتماعيا، الأمر الذي يجعلهم يرتبطون بالأرض أكثر، وهذا بدوره سيؤدي إلى ظهور بيوتات على غرار بيوتات أخرى.

الثانية: إن أبا الخطار قد ساهم بطريقة ذكية على استمرار عملية تشكل البيوتات، إذ ألغى جميع العوائق التي تقف أمام تشكل هذه الظاهرة وهي في بداياتها إذ لم يتعرض لاقطاعات

1- ابراهيم بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين- دار الطليعة- بيروت – ط1- حزيران (يونيو) 1998م- صص42-43. Picard –Opcit – p25.

2- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق- ج2- ص7.

3- شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية- تعريب: محمد مزالي- البشير بن سلامة الدار التونسية للنشر- 1978م- ص34-75.

4- عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (92هـ-797م/ 711م-1492هـ). دار القلم- دمشق- ط5- 1418هـ/1997م- ص139.

البلديين، فهؤلاء كانوا يرفضون تقاسم اقطاعاتهم مع هؤلاء الشاميين، وهذا ما يفهم من كلام أهل البلد العرب والبربر. "لا محمل فينا لهؤلاء الشاميين، فليخرجوا عنا".[1]

وحتى لا يقع صدام بين الطرفين، وهذا قد يعيق استمرار تشكل مثل هذه البيوتات، فلم يتعرض أبو الخطار لشيء من ممتلكات البلديين ليوزعها على الشاميين، وهذا ما يؤكده صاحب فتح الأندلس حين قال: "... وبقي العرب البلديين من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يتعرض لهم في شيء منها".[2] وهو نفس ما ذهب إليه ابن القوطية بقوله: "بقي البلديون والبربر على غنائمهم، ولم ينتقضهم شيء".[3]

الثالثة: لقد قام أبو الخطار بتفريقهم على كُوَرٍ شتَّى، لأن دار الإمارة بقرطبة ضاقت بهم بسبب أنهم كانوا يشكلون أغلبية، وقرطبة لم تَعُدْ تحتمل مثل هذه الكثرة،[4] فعملية توزيعهم على مدن الأندلس، قد سمح لهم بالانتشار والتوزّع على مساحات شاسعة من الأرض، وبخاصة إذا علمنا أنه راعى ما كانت لهؤلاء من مكانة اجتماعية بالمشرق، فتوسع لهم فيما حازوا عليه من أرض وضياع.[5]

قصارى القول، يمكن اعتبار الإقطاع لبنة من اللبنات الأساسية التي عملت على توسع وانتشار ظاهرة البيوتات، ولكن الأمر الملفت للانتباه أن هذا الإقطاع استطاع أن يجعل من أفراد قلة فيما بعد بيوتات وصفت بالكبرى كان لها وزنها على الساحة الأندلسية في ميادين شتى.

تعرض الباحث عبد القادر بوتشيش إلى هذه الإشكالية حين ذكر بأن إقطاع أبي الخطار كان يشمل الأرض والضريبة التي تشمل ثلث المحصول في آن واحد، وليس الجانب الثاني فقط، وعمل هؤلاء الأهالي كأجراء لا كملاك لهذه الأرض مقابل احتفاظهم بثلثي المنتوج لنفسهم معتمدا في ذلك على نص ابن عذاري مفاده "...إنزالهم على أموال العجم من أرض و نعم."[6]

1- ابن القوطية: المصدر السابق- ص32.

2- مجهول: فتح الأندلس- ص42.

3- ابن القوطية: المصدر نفسه – ص32. Picard- opcit –p 137

4- المقري: المصدر السابق- ج1- ص192.

5- مجهول: نفسه- ص42. ابن القوطية: نفسه- ص32. ابن الخطيب: الاحاطة...مج1- ص20.

6- ابن عذاري : المصدر السابق – ج2- ص33. ابراهيم القادري بوتشيش: أثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي – مطابع منشورات عكاظ – الرباط – 1992م – ص89

لقد كانت التفاتة طيبة من طرف مؤرخنا عبد القادر بوتشيش حين ذكر بأن الاقطاعات الموزعة كانت تشمل الأرض والغلة معا، ولكن هناك نوع من الإقطاع يدعى "الطعمة" وقد ورد هذا المصطلح في بعض المصادر منها حلة ابن الأبار حين قال: "وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة".[1]

إذن نحن أمام نوعين من الإقطاع:

الأول: وهو النوع الذي ورد عند عبد القادر بوتشيش، إذ يعتبر هذا النوع من الإقطاع ذا أهمية كبرى في عملية تشكل مثل هذه البيوتات واستمراريته ردحا من الزمن، والسبب في ذلك أنه يورث لباقي أفرادها أبا عن جد مما يحافظ على تواجد أسر بأكملها لفترة زمنية طويلة.

الثاني: وهو النوع الذي لا يورث والمعروف بـ "الطعمة" إذ يمنح هذا الإقطاع إلى أحد أفراد هذه البيوتات ليعمرّها ويؤدي في المقابل عُشرها، فتكون له مدة حياته ففي حالة وفاته ترتجع من ورثته. وهذا ما يفسر لنا ظهور بيوتات على مسرح الأحداث بالأندلس ثم سرعان ما تختفي، لأن هذا النوع من الإقطاع لم يساعدها على التواجد المستمر كبيت فاعل في تاريخ الأندلس.

جـ) نماذج من البيوتات واقطاعاتها: هذه المصادرات الضخمة التي حاز عليها هؤلاء الشاميين في شرق الأندلس[2] كانت بإيحاء من أرطباش بن غيطشة الذي أخذ بنصيحته أبو الخطار، واقطع هذه البيوتات اقطاعات في مدن عدة نذكر منها: إلبيرة وشذونة واشبيلية وجيان، وباجة وتدمير.

إن تدخل ارطباش في توزيع هذه الاقطاعات – حسب ما تذكره المصادر – للمكانة المرموقة التي حظي بها عند العرب، فكان كثيرا ما يشير عليهم ويزدل لهم النصح، وهذا

1- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1- ص63. مجهول: المصدر السابق- ص42. ابن الخطيب: الاحاطة...ج1- ص20.

2- Mirondo Amroçio Huicé : Historia Musulmana de la valençia y su region T, I, Valencia 1962, p.93 . نقلا عن سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري – مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية – ط -1989م – ص35.

ما يؤكده لنا المقري حين قال: بأنه كان يجمع في بيته عددا من رؤساء الشاميين ويبالغ في تكريمهم.[1]

من البيوتات التي أقطعت مثل هذه القطائع نذكر بيت بني حزم[2] والممثل في جدهم ميمون العابد الذي كان في عداد الشاميين، حيث طلب هذا الأخير من أرطباش يد المساعدة بسبب حالته الاجتماعية المزرية، وهذا ما يوضحه الحوار الذي دار بين ميمون وأرطباش جاء فيه: " قدمنا إلى هذا البلد، وظننا أن ثواءنا لا يطول فيه ولم نستعد للمقام فيه، فحدث من الاضطراب على موالينا بالمشرق وما نتوهم به، أننا لا نعود إلى موضعنا معه، وقد وسع الله عليك، فأريد أن تعطيني ضيعة من ضياعك اعتمرها بيدي وأؤدي إليك الحق منها وآخذ الحق."[3]

هذا نموذج عن بعض البيوتات التي لم يكن في نية جدهم البقاء بالأندلس والاستقرار فيه، وإنما كان غرضهم الأساس المشاركة في الفتح ثم العودة من حيث أتوا، ولكن ظروف بلادهم ووضعهم البائس بالأرض المفتوحة حالت دون تحقيق هذه العودة، ولهذا كله طلب من ارطباش أن يمنحه احد ضياعه[4] لتساعده على تكاليف العيش.

سيلبي ارطباش طلب جد بني جزم هذا، وسيمنحه المجش[5] (المرعى) الواقع على وادي شوش وكل ما يحتويه من عبيد ودواب وبقر وغنم، كما سلم له قلعة جيان وهي المعروفة بقلعة بني حزم.[6]

لقد مثل لنا هذا البيت خير دليل لما لهذه الاقطاعات من دور في تشكل هذه الظاهرة وظهورها، فبعد أن نعث جد بني حزم هذا بالصعلوك ـ على حد تعبير الصميل أبا

1- المقري: المصدر السابق- ج1- ص214.
2- هو ليس من بيت بني حزم الفارسي ولا يمت له بأية صلة.
3- ابن القوطية: المصدر السابق- ص44.
4- ان قصة تجمع هذه الثروة عند أرطباش تتمثل في تلك الضياع التي أعادها اليهم المسلمون الفاتحون، اذ كانت أسرة أرطباش، وقفت الى جانب طارق بن زياد في فتحه للجزيرة فكان جزاؤهم أن حازوا على ضياع والدهم واقتسموها فيما بينهم باتفاق منهم، فصار لكبيرهم – ألمند- ألف ضيعة في غرب الأندلس، وصار لأرطباش ألف ضيعة ولثالثهم – ذاتمند- ألف ضيعة في شرق الأندلس وجهة الثغر، وبعد وفاة كبيرهم –ألمند- ترك ابنة وابنين صغيري السن، فاستولى أرطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه.المقري: المصدر السابق- ج1- صص213-214.
5- وردت عند المقري "المجشر" – نفسه- ج1- ص215.
6- ابن القوطية:المصدر السابق- ص44.

الجوشن[1] [2] سيصبح بعدها أحد سادة الأندلس، وسيرث أبناؤه من بعده هذه المكانة بفضل اقطاعات أبيهم، فلولاها لما كان لهذا البيت ذكر في تاريخ الأندلس.

وما قيل عن بني حزم، يقال عن بيت بني أبي عبدة الذي كان من بين الذين استضافهم أرطباش، وكان مع هذا البيت عشرة آخرون، حيث أكرمهم هو وأصحابه، وكانت مطالبهم هي نفس مطالب جد بني حزم، فاقطعهم عدة اقطاعات تمثلث في مائة ضيعة وزعت عليهم، فكان نصيب بيت بني أبي عبدة عشر ضيعات[3]، وكان منهم عبد الله بن خالد الإلبيري[4] وهو جد آل الخالديين، حيث أقطع قرية- الفنتين[5]ـ وكان من ذريته هاشم بن عبد العزيز أثير الأمير محمد بن عبد الرحمن.[6]

وهناك بيوتات حازت على اقطاعات نذكر منها بيت الزجالي الذين امتلكوا الحديقة التي كانت تعتبر من أجمل المتنزهات أو أبدعها في قرطبة[7]، وبيت بني رزين الذي كان يمتلك السهلة[8] فقد كان لجدهم رزين الذي ينسب إليه البيت عدة اقطاعات وهذا ما يفهم من كلام الرازي في قوله: "...ولرزين هذا آثار كثيرة بقرطبة وغيرها منها... الجنان التي تجاور عين قبش".[9]

هذه نماذج من بعض البيوتات التي أقطعت اقطاعات واسعة غيرت من مجرى حياتها، فكان لهذه المصادرات أثرها الفاعل في تدعيم وجودها في بلد لم يكونوا يملكون فيه شيئا، فأصبحوا بعدها من ذوي الأملاك، والتي ستغير من مجرى التاريخ الأندلسي، إذ

1- ينظر عن اخياره ابن عذاري: المصدر السابق- ج2- صص34-35. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق- ص165.

2- المقري: المصدرنفسه- ج1- ص215. ابن القوطية:المصدر نفسه- ص44.

3- المقري: نفسه- نفس الصفحة.

4- ابن القوطية: نفسه- ص44.

5- نفسه- ص35.

6- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أبناء أهل الأندلس- القطعة الثانية- ص131-161.

7- المقري: المصدر السابق- ج2- صص136-137.

8- مملكة السهلة تقع بين مملكة بلنسية وجهات ثغر سرقسطة، وكانت حضرتها مدينة شنتمرية، وهي تقع على نهر "ترية" الذي يسميه العرب وادي الأبيار المنحدر من مقاطعة "ترول" في جنوب أراغون، وقد سميت باسم شنتمرية الشرق، وقد وردت عند البكري هكذا "شنت مرية"- وهي حاليا مدينة – فارو- جنوب البرتغال. ينظر عنها: البكري أبو عبيد: جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك- تحقيق: د/ عبد الرحمن علي الحجي- دار الارشاد- بيروت- لبنان- ط1- 1387هـ/1968م –ص69. أبو الحسن ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب- ج2- ص345. الحميري: المصدر السابق- ص347. شكيب ارسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط1- 1417هـ/ 1997م- ج2- ص72.

9- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق- ق2-ص234.

ستظهر من جراء ذلك بيوتات ساهمت كثيرا في شؤون الإدارة والحكم والثقافة، ويرجع ذلك إلى الأهمية الاقتصادية للكُوَر التي أقطعوا بها أراضي شاسعة، ولتبين أهمية هذه الاقطاعات يجب استقراء بعض المصادر الجغرافية والتي ستظهر لنا ما كانت تملكه من ثروات، فمن هذه المدن نذكر.

تدمير: كانت تدمير من نصيب بني خطاب وهي مقاطعة تزخر بمواردها الطبيعية، ففي وصف أحمد الرازي لها يشيد بما تزخر به من ثروات فيقول عنها: "هي منطقة ذات أهمية تحتوي على أشجار، وكل أراضيها تروى بنهر يشبه نهر النيل بمصر، كما تحتوي أراضيها على ثروات طبيعية هائلة، منها معادن الفضة."[1] أضف إلى ذلك وصف ابن الدلائي لها بقوله: " وبلاد تدمير متناهية في كرم البقعة وطيب الثمرة... وبساحل تدمير معادن الفضة." ثم يذكر إن مداخيلها منها كل يوم "ثلاثون رطلا من منبت" "وفيه معادن الرصاص."[2] وبنفس الأوصاف نعتها ابن غالب الأندلسي.[3]

إلبيرة: وهي التي نزل بها أهل دمشق وأقطعوا بها اقطاعات، فهذه الكورة كانت تمتاز كذلك بنفس الخصائص التي تميزت بها كورة تدمير، فقد كانت "كورة كبيرة من كور الأندلس... في أرضها معادن فضة وذهب وحديد ونحاس وحجر التوتيا"[4] [5] وذكرها الرازي وعدد خيراتها وقال: أنها كورة غنية بمياهها وأرضها خصبة، تحتوي على معادن نفيسة كالذهب والفضة والنحاس[6].

إشبيلية: هي مدينة تزخر بتجارتها، وأهلها ذو أموال عظيمة ونتيجة لكثر أشجار الزيتون، فإن أكثر تجارتهم في الزيت.[7] ووصف البكري طيب أرضها بقوله: "أنها تمتاز

1- E- Levy- Provençal : La description de l'Espagne d'Ahmed Al Razi- Essaie de reconstitution de l'original arabe et traduction française- Revista- AL- Andalus- XVIII- 1953-P-70.

2- ابن الدلائي: المصدر السابق – صص1-2.

3- ابن غالب الأندلسي: قطعة من كتاب "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس" – نشر لطفي عبد البديع – مجلة معهد المخطوطات العربية- القاهرة- المجلد الأول- الجزء الثاني- ربيع الاول 1375هـ- نوفمبر – 1955م- ص285.

4- هو حجر معدني ذو انواع أبيض وأخضر وأصفر، تنفع العيون المرطوبة وتزيل الصنان. القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات- دار الشروق العربي- بيروت- لبنان- دت- ص188.

5- صفي الدين البغدادي: مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع- تحقيق: علي محمد البجاوي- دار الجيل- بيروت- لبنان- ط1- 1412هـ/1992م- مج1- ص111.

6- E- Levy- Provençal : op- cit- p-66.

7- الحميري: المصدر السابق- ص59.

بـ' "... طيب أرضه... ومدينة اشبيلية موفية على النهر وهو في غربيها... ويطل على اشبيلية جبل الشرف، وهو شريف البقعة كريم التربة، دائم الخضرة."[1]

جيان: وهي من الكور المجنّدة التي نزل بها جند قنسـرين[2] كانـت "حسـنة كثيـرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل... كثيرة العيون الجارية... وعلـى ميـل منها نهر بلون" ونتيجة لملاءمة الظروف الطبيعية للنشاط الزراعي بها، فقد توفرت علـى بساتين وجنان التي احتوت على شتى أنواع المزروعات نذكر منها القمح والشعير وسائر الحبوب الأخرى.[3] فهي بذلك تشبه كورة البيرة من حيث طيب بقعتها وكثرة ما تجود بـه أرضها من محاصيل زراعية شتى مما أدى بها إلى توسع نشاطها التجاري فـي مختلـف أقاليمها.[4]

باجة: وهي كذلك تتمتع بعدة خاصيات زخرت بها أرضها وهذا ما يفهم من وصـف ابن غالب لها بقوله: "وهي أرض زرع وضرع ونوّارها يحسـن للنحـل ويكثـر عنـه العسل".[5] ووصفها كذلك صاحب تاريخ الأندلس بأنها "كثيرة الثمـار ذات زرع وضـرع وفواكه وعسل وطيب."[6]

أكشبونه:[7] وهي تقع على أحواز مدينة أشبونة، في سهل منبسط يتوفر على عديد من المرافق وتزدهر بأنواع من الثمار وطيب زروعها ومياهها الجارية ونتيجة لوقوعها على البر وبالقرب من البحر، فتمارس بها حرفتي الصيد البري والبحري، اضافة الى وجـود

1- البكري: المصدر السابق- ص108-109-114.

2- قنسرين: بكسر القاف وفتح ما بعدها، هي بالشام، تبعد عن حلب باثنتي عشر ميلا، يقع بها نهر "قويق"، وهو نهـر حلب يصل في جريته الى قنسرين، وبها قلعة "الدربساك" وهي قلعة حصينة، تقع شمالي حلب، كانت عامرة آهلة، فلمـا غلب الروم في حلب في سنة 359هـ/962م جلو عنها وتفرقوا في البلاد الحميري: المصدر السابق- ص473. صفي الدين البغدادي: المصدر السابق ـ ج3- ص1126. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصـطلح الشـريف- عنـى بتحقيقه: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان- ط1- 1408هـ/1988م- ص233. ابن جبير: رحلة- دار القصبة للنشر- الجزائر- 2001م- ص188.

3- الإدريسي: القارة الإفريقية...ص296.

4- الحميري:المصدر السابق- ص183.

5- ابن غالب: المصدر السابق- ص290.

6- مجهول: تاريخ الأندلس- ص105.

7- في موضع آخرب عند البكري "أكشنبة". جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك – ص125.

العنبر بها، فكانت بذلك من أحسن البقاع[1]، وعن خيراتها من المعادن يذكر البكري: "وبأكشونبة معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضة." وفي موضع آخر يقول في وصف خيراتها: "وبأكشنبة جبل يعرف بجبل الجنة، كثير ما يتضوع منه ريح العود الذكي اذا أرسلت فيه النار.[2]

ريُّة: وهي كمثيلاتها اذ فضلت بكثرة خيراتها وعموم بركاتها، فقد تميزت بكثرة أمطارها، مما جعلها تتوفر على عيون وأنهار غزيرة المياه، ولها سهل متسع[3]، ونتيجة لخصوبة أراضيها، فقد نزلها جند الأردن.[4]

شذُونَة: وهي من الكُوَر المجنّدة نزلها جند فلسطين من العرب[5]، وقد اعتبرت هذه الكورة من الكور جليلة القدر، اذ جمعت خيرات البر والبحر، تغيض مياهها، الأمر الذي أدى الى توفر وتنوع في محاصيلها الزراعية.[6]

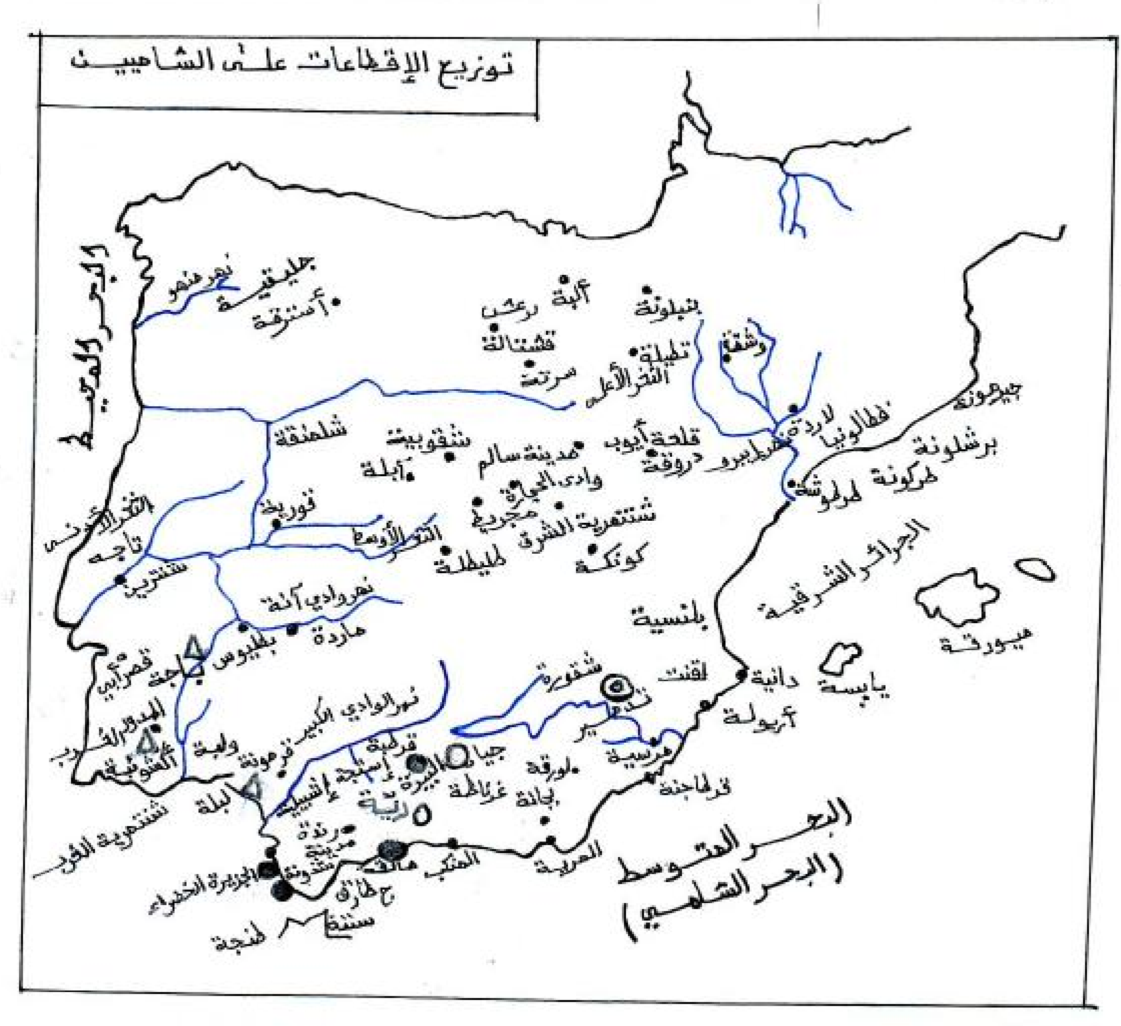
وعن خيراتها يقول ابن غالب: "وهي شريفة جليلة القدر، جامعة لخير البر وبركة البحر، ينتجع من كل الآفاق بحلاها ويحمد مرعاها لا تنغض مياهها، ولا يلهتم مع المحول ثمارها، ولا تنتفض فواكهها."[7]

مالقة: وهي مدينة ساحلية تقع على شاطئ البحر، محاطة ببساتين غنّاء من شجر التين، ونتيجة لوفرة انتاجها فيه، فهو يصدر الى كل من مصر والشام والعراق وقد يكون قد وصل الى الهند وهو من أجود مزروعاتها.[8]

الجزيرة: جمعت بين خيرات البر والبحر، وهي عروس مدن الساحل وأرضها أرض زرع وضرع وانتاج وفير[9]، وهي من المدن التجارية بسبب قربها من العدوة المغربية، وتزخر بمياهها العذبة وأشجار من التين اضافة الى بساتين كثيرة.[10]

1- Levi provençal : la description.....p91
2- البكري: المصدر السابق– ص129 و 125.
3- ابن غالب: المصدر نفسه– ص294 - Levi provençal : la description.....p98
4- الحميري: المصدر نفسه – ص279.
5- ابن القوطية: المصدر السابق – ص32. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص33.
6- الحميري:المصدر السابق – ص339.
7- ابن غالب: المصدر السابق – ص294. Levi provençal : la description.....p96
8- الحميري: نفسه – ص517.
9- ابن غالب: نفسه – ص294. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص243.
10- الحميري: نفسه – ص223.

هذه أهم الكور التي استقرت بها بعض البيوتات اذ اعتبرت من أجـلّ الكـور التـي زخرت بموقعها الجغرافي الممتاز وخيراتها، وهذا ما سنستشفه من خلال هذه الخريطـة المرفقة والتي قمنا بتحديد الكور المجندة عليها حتى يتم لنا تبين تلك الأهميـة الجغرافيـة التي حظيت بها هذه الأخيرة ومن تم التعليق عليها.



△	كور في الغرب
●	كور في الجنوب
○	كور في الوسط
⊙	كورة في الشرق.

بإلقاء نظرة على الخارطة نلاحظ أن هذه الاقطاعات لم تكن متمركزة فـي بقعـة واحدة بل شملت مناطق عدة من أرض الأندلس، وهذا حسب تقسيم أبي الخطار، إذ كـان هذا التوزيع على النحو التالي:

أ) كُوَرٌ تقع في الغرب وشملت بَاجَة ولِبْلَة وأَكْشَبُـونَة.

ب) كور تقع في الجنوب وشملت مالقة وإلبيرة وشذونة والجزيرة.

جـ) كورتان تقعان في الوسط وهما: جيّان ورية.

د) كورة في الشرق وهي تدمير.

من خلال ملاحظتنا لهذا التوزيع يمكن الخروج بما يلي:

أ) معظم هذه الكور تقع في مناطق حضرية أو بالقرب منها وتضم مدنا كبرى.

بعضها يقع بالقرب من المسطّحات المائية كالبحر الشامي والبحر المحيط.

جـ) قريبة من طرق المواصلات التجارية.

د) بعيدة عن الثغور مما يبعد هؤلاء المهاجرين عن الاخطار المحدقة بهم، وهذا ما يسهل عمليتي تشكل هذه البيوتات وتوسعها.

هـ) معظمها كان يتركز في مناطق سهلية.

و) قريبة من بعض المجاري المائية حتى يمكن لها ممارسة حرفة الزراعة، فمثلا: باجة تقع بالقرب من وادي آنه، وشذونة بمقربة من وادي لكه وإلبيرة من نهر شنيل، وتدمير بمحاذاة نهر شقورة.

فتوزيع مثل هذه الاقطاعات، قد أوجد لنا نظاما عرف بنظام الأجناد، والذي انبثق عنه مصطلح الكور المجنّدة، وقد عرف مثل هذا النظام في بلاد الشام، اذ قسّمها المسلمون آنذاك الى خمسة أجناد، وهي على التوالي: دمشق والأردن وفلسطين وحمص وقِنَّسْرِين، وبهذا التنظيم ضمنت الدولة الأموية بالأندلس قوّة عسكرية ضمنت لها البقاء والصيرورة، فقدمت مثل هذه الكور المجندة من الفرسان أضعاف ما كانت تقدمه عشر كور غير مجندة، وقد بقيت هذه الأخيرة عصب الحياة والقوة العسكرية بالأندلس الى غاية بداية حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر (300هـ-350هـ/912م-961م)[1].

وخير من يمثل هذا النظام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ-273هـ/852م-886م) وهذا ما نستشفه من خلال هذا الجدول.[2]

1- حسين مؤنس: فجر الأندلس – صص326-327.

2- ابن عذاري : المصدر السابق – ج2 – ص109.

الكور المجندة	عدد الفرسان	الكور غير المجندة	عدد الفرسان
شندونة	6790	مورور	1400
إلبيرة	2900	قبرة	1800
رية	2600	إستجة	1200
جيان	2200	باغة	900
		فحص البلوط	400
		قلعة رباح وأوريط	387
		تاكرنا	299
		الجزيرة	290
		قرمونة	185
		تدمير	156

من خلال استقرائنا لهذا الجدول، نخرج بالتعليق التالي:

1- أربع كور مجندة تضم 14490 فارسا.

2- عشر كور غير مجندة تضم فقط 7017 فارسا.

3- الفارق بين مجموع هذين النوعين من الكور يساوي 889 فارسا.

4- أن عدد الفرسان في الكور المجندة يتراوح ما بين 2200 فارسا و 6790 فارسا.

5- أما الكور غير المجندة فيتراوح عدد فرسانها ما بين 156 الى 1800 وهو أقصى حد.

يتضح لنا من خلال استقرائنا لهذا الجدول، أن الفارق بين عدد الفرسان هو لصالح الكور المجندة على الرغم من قلتها، وهذا يؤكد ذلك الدور الذي لعبته هذه الأخيرة في حماية الدولة من الأخطار التي كانت تهددها.

وعن توزع هذه الكور، فالخريطة المرفقة توضح لنا مراكز توزعهم حسب أهمية الاقطاعات التي حاز عليها أصحاب

الكـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــور

المجنّـــدة

فهذا التوزيع المحكم لم يكن اعتباطيا وإنما كان اختيارا ذكيا من طرف أبي الخطار حتى تتلاءم طبيعة الأرض الجديدة بما يتشابه بتلك الأرض التي تعوّدوا عليها في بلـــدانهم الأصلية مما سيشجعهم على التشبث بها أكثر.

إن عرضنا لجغرافية هذه الكور، ليس القصد منه تحديد موقعها ووصف مناظرها الخلابة، وإنما إبراز غنى هذه المناطق بثرواتها الباطنية والسطحية، وإظهار بنية الأرض المورفولوجية، والتي تعتبر حافزا كبيرا لكل من يفد إلى هذه البلاد، فعند نزول هذه الأسر بهذه الاقطاعات وجدوا بها ضالتهم، وأصبحت ملاذا آمنا لهم ولأبنائهم من بعدهم مما ساعدهم على جمع ثروة هائلة من هذه الاقطاعات، والتي وصفت في بعض الأحيان بالفاحشة، فهذه المواطن الأولى كانت سببا في عملية تشكل هذه البيوتات ثم بدأت تتوسع دوحتهم، وهذا يتطلب منهم توسيع مناطق نفوذهم في مواطن أخرى جديدة، ولم يكن ليتأتى لها ذلك لولا هذه الاقطاعات، والتي اعتبرت عاملا اقتصاديا مهما في ظهورها على جميع الأصعدة ولكن دون إغفال عوامل أخرى كانت هي الأخرى سببا في ظهورها.

2) **عوامل ظهور البيوتات:**

لقد وجدت عدة عوامل ساعدت على ظهور هذه البيوتات، والتي اعتبرت من أهم الركائز التي اعتمدت عليها للبروز على الساحة الأندلسية في ميادين شتى، إلا أن تصنيفنا لها قد تعترضه بعض الصعوبات، فهذه العوامل قد تكون في مجملها أساسية، إلا أن لعامل الثراء الدور الأساس، فلولا هذا الأخير لما كان لهذه الأسر دور فاعل في التاريخ الأندلسي، فالمكانة الاجتماعية التي حازوا عليها من خلال هذه الاقطاعات والمصادرات هي التي ستقربهم من الحكام إن لم نقل تقرب الحكام منهم، كما ستساعدهم على أخذ نصيب وافر من العلم، وعن طريقه يمكن الحصول على مناصب إدارية هامة في قصور بني أمية، وهؤلاء سيكون اعتمادهم الأكبر على هذه البيوتات في تسيير شؤون دولتهم، فهذه كلها عوامل أساسية ساعدتها كثيرا على الظهور، وقد كان للثراء الدور الأساس.

أ ـــ العامل الاقتصادي:

إن مصادر ثروة البيوتات هي مختلفة، فلا سبيل إلى الشك أنها اكتسبتها بفضل ثرواتها العقارية المتراكمة أو بفضل مكانتها العلمية أو الخطط التي تولتها كخطة الكتابة والقضاء وهما من المناصب العليا والرفيعة عند الأندلسيين، فكسبت البيوتات بذلك ثروات عظيمة، ومنهم من اكتسب ثروة طائلة نتيجة لتعاطيه العلم، وبخاصة الفقهاء بدليل أن ابن

طاهر محمد محمد بن أبي الحسام أبو عبد الله التدميري الزاهد المعروف بالشـــهيد[1] كـــان يتفقد أحوال العلماء المادية بقرطبة ويسألهم عن أملاكهم، وهذا ما يفهم من النص الـــوارد عند الضبي حين قال: "ناقش أهل الورع من علماء قرطبة في أحوال بلده تدمير وسقاهم، ووجوه مستغلاتهم، وأخذ فيها أجوبتهم، فجاءت مفيدة نافعة"[2].

ولهذا كله كانت توجهات طالبي العلم نحو علوم الشريعة، وهذا ما يؤكده لنا صاعد بقوله: لا يعني أهلها من العلوم إلا بعلوم الشريعة، وعلم اللغة إلى أن توطد الملـــك لبنـــي أمية."[3] فكان سبب توجه هؤلاء للعلم، مرده إلى تلك المكانة التي حظي بها هؤلاء الفقهاء لدى الأمراء، فكانوا يعظمونهم ويجزلون لهم العطاء، مما شجعهم على تعاطي هذه العلوم سعيا للكسب المادي، إضافة إلى أن هذا العلم يفتح أمامهم أفقا واســـعا للعمـــل القضـــائي والإداري، وهذا ما يوضحه التادلي في قوله: "ودرس الناس الفقه ثم تركه[4] لما رآهم نالوا به الخطط والعملات".

ولا نستثني من هؤلاء الأدباء الشعراء الذين سال لعابهم لمدح هذا الحـــاكم أو ذاك، فجنوا من وراء ذلك أرباحا طائلة، وبخاصة إذا علمنا أن هؤلاء بأدبهم كانوا ينالون خططا عدة منها: خطة الكتابة مما سيقربهم إلى سدة الحكم، ولنا في ذلك نماذج عـــدة ســـنتناول بعضا منها في موضعه.[5]

فلا مراء أن هذه البيوتات اكتسبت هذه الثروة من هذه الاقطاعات التـــي وزعـــت عليهم وكذا بفضل مكانتها العلمية التي جنت منها مداخيل باهضة، فتجمّعت لـــديها ثـــروة

1- هوا عالم فاضل من أهل بيت جلالة وصلاح، فقيها عالما زاهدا، طلب العلم في حداثة سنه ورسخ في علوم السنة، ثم ارتحل الى المشرق بعد بلوغه سن الثلاثين، فسكن الحرمين ثمانية أعوام يعيش فيها من عمل يده، وذلك بنسخ الكتب، ثم رحل الى بيت المقدس والعراق، ولقي بها شيوخا عدة، وبعد عودته الى الأندلس لزم الخفر حتى رزقه الله الشـــهادة مقبلا غير مدبر، وكان ذلك في غزوة أسترقة سنة 378هـــ/988م. الضبي: المصدر السابق- ص72. ابن الفرضـــي الأزدي: المصدر السابق- صص 364-365.

2- الضبي: نفسه- ص72. ومنهم من كان يتعـــاطى التجـــارة، ينظـــر Gustave le bon : la civilisation des arabes, Alger – 1969 – p209.

3- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم- تحقيق: حياة بوعلوان- دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- ط1- شباط (فبراير) 1985-ص 155.

4- الهاء تعود على أبي محمد عبد العزيز التونسي.

5- التادلي: التصوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي- تحقيق: أحمد التوفيق: منشورات كليـــة الآداب بالرباط – ط3 – 2010م- ص92

هائلة، وسنقتصر في هذه العجالة على نماذج من هذه الأسر التي ظهرت بفضل ما حازت عليه من أموال جعلها تظهر كبيوتات ميسورة.[1]

ـــ نماذج من البيوتات ودور الثروة في ظهورها:

من بين هذه البيوتات، بيت بني خطاب بن عبد الجبار الذي ينتمي إلى بيت من أعرق البيوتات المرسية، حيث جمع بين شرف البيت ونباهة السلف[2]، وينتسب هؤلاء إلى جدهم الأول، وهو عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن نذير مولى مروان بن الحكم أو لابنه معاوية بن مروان في قول آخر.[3]

تعتبر أسرة بني خطاب بمرسية من أبرز أسراتها في العصر الإسلامي، والتي اشتهرت في ميادين مختلفة، وكانت من البيوتات التي فشى فيها الثراء الفاحش، وطغت عليها النعم الضخمة والهمم العالية،[4] ويظهر لنا ثراء هذا البيت من خلال ذلك النص الذي انفرد به ابن الدلائي والذي يشير بأن عبد الجبار هذا صاهر تدمير صاحب أريولة.[5] فكان مهر ابنته قريتين وهذا ما يؤكده ابن الدلائي بقوله: "وصاهر تدمير العِلج صاحب أريولة، كان مما نَحَلَ[6] ابنته قرية تُرْسَة المجاورة لإلّش[7]... والقرية المعروفة بتل الخطاب."[8]

يظهر من خلال هذه الرواية التي انفرد بها ابن الدلائي أن هذه الأسرة كانت ذا ثراء فاحش، فلقد كانت تملك ضياعا واسعة بفضل الاقطاعات التي أقطعت، كانت هذه الأخيرة سببا في ثراء هذا البيت، فكان عاملا مهما في ظهوره، فلولا ثراء هذه الأسرة لما استطاعت أن تصاهر أكبر حاكم في هذه المدينة والذي ينتمي إلى الطبقة الراقية، وبسبب

1- محمد عبد الوهاب خلاف: قرطبة الاسلامية في القرن الحادي عشر ميلادي – الخامس الهجري – الحياة الاقتصادية والاجتماعية- الدار التونسية للنشر –أفريل – 1984- ص318.

2- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء –ج2 – ص308.

3- ابن الأبار القضاعي: التكملة...-ج1- ص238.

4- سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب بن عبد الجبار ...– ص7.

5- هي مدينة قديمة أزلية تقع على ضفة النهر الأبيض، وتبعد عن البحر عشرين ميلا عن مرسية اثنا عشر ميلا وعن قرطاجنة خمسة وأربعون ميلا: وتفسيرها باللاتين الذهبية، وهي منطقة زراعية تحتوي على بساتين وأسواق وضياع. الادريسي: القارة الافريقية...-ص283. الحميري: المصدر السابق-ص67.

6- نحل: أي أعطاه بلا عوض ومنها مهر المرأة. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص956. الزمخشري: المصدر السابق – ص450.

7- هي مدينة في مستوى الأرض تبعد عن اريولة ثمانية وعشرون ميلا، يشقها خليج يأتي اليها من نهرها ويشق أسواقها وطرقاتها، وهو نهر مالح، ولهذا كان يعتمد سكانها على مياه الأنهار، ويذكرها ابن اليسع فيقول:" ليس في الأندلس ثمر طيب الا في إلش". الادريسي: المصدر السابق- صص282-283- ابن سعيد: المصدر السابق- ج2- ص222.

8- ابن الدلائي: المصدر السابق- ص15.

هذا الغنى، ظهر بنو خطاب وسادوا في أي منطقة حلوا بها والى أي مدينة ارتحلوا إليهـا إلى أن استقروا في أخر المطاف بمرسية، هو وولده الذين أنجبهم من بيت تدمير.[1]

هذا الثراء كان من ناحية جد بني خطاب، ولكن هذه الأسرة ستزداد ثراء من ناحية الأم القوطية، فالنص الذي انفرد به ابن الدلائي هو الذي بين لنا هذه الحقيقة، حيـث ورث هؤلاء عند وفاة جدهم تدمير، مما سيرفع من مكانتهم الاجتماعية، وسيستمر غناها الفاحش في باقي أفراد هذا البيت، وهذا ما يؤكده ابن الفرضي حين ترجم لأحد أفراده وهو وليـد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن خطاب العُتَقِي[2] المكنى بأبي العباس، فبعد أن عرف به ثقافيا قال بأنه: "كان عظيم الجاه، وافر المال".[3]

ومن البيوتات التي تجمّعت الثروة في أسرها بيت بني يحي الليثي، وهذا ما يفهـم من بعض المصادر التي ترجمت له، فأثناء طلبه للعلم – أعني به يحي بن يحي الليثـي- رغب عن مال أبيه وزهد فيه،[4] بمعى أنه من بيتة مال وجاه، إلا أنه اسـتطاع بعلمـه أن يجمع ثروة، فعند فراره هو وأخوه من الهيج بقرطبة صحب معه ثروته.[5] وهو ما ذهـب إليه كذلك الخشني إذ يخبرنا بأن يحي كان له المال والعبيد[6]، وما يدل على سعة حاله هو رفضه لصلة كان قد أعطاها إياه عبد الكريم بن مغيث أثناء دخوله لغزو "أريولة" وكـان ذلك سنة 206هـ/821م وهذه الصلة تقدر بـ 100 دينار، فصرفها له وقال له: "أما أنـا

1- ابن الدلائي: نفسه- ص9.
2- العتقي: بضم العين المهملة، وفتح التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر القاف، هذه النسبة الى العتقيين والعتقـاء ليسوا من قبيلة واحدة، فهم جماعة. السمعاني: الأنساب- ج4 – ص128. ابن رسول الملك الأشرف: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب – حققة: ك.و. نسترستين – دار الآفاق العربية – ط1- 1422هـ/2009م. صص64-65.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق-ص 418.
4- عياض: المصدر السابق- ج1- ص310.
5- عياض: المصدرنفسه –ج1 – ص316.
6- الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – وضع حواشيه: سالم مصطفى البدري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1420هـ- 1999م - ص272.

فمستغن عنها بحمد الله ولكن أجمعها لصاحبي"[1] [2]، وقد كانت تظهر عليه الرياسة إذ كـان لباسه من الوشي الرفيع، ثمنه المال العظيم.[3]

لم تغب هذه الثروة عن هذا البيت بل استمرت في ابنه عبيد الله بن يحي بن يحـي أبو مروان القرطبي و(210هـ-297هـ/825م-909م) الذي كان يشتغل بالتجارة فعظم ماله وجاهه[4] ، ويفهم من كلام الخشني أن أباه قد زين له العمل بالتجارة حين قال: "وسمعت من يحكي أن أبا محمد يحي بن يحي حاد بابنه عبيد الله عن طريق العلم ولم يعرضه طلبه وزين له التجارة والدخول في طبقة أهلها".[5] وهذا ما أدى به للرحلة للحج وطلب العلم مع مزاولة حرفة التجارة.[6]

وهناك بيوتات أخرى كان للثروة دور في ظهورها، نذكر بيت بني وانسوس الذي يعتبره ابن الفرضي بيت شرف الأندلس، ويبدو أن ثروة هذه الأسرة قد تكوّنت مما كان أفرادها يجنوه من خلال الأعمال الإدارية التي تقلدتها، فهذا جدهم أصبغ (ت192هـ/807م) كان رئيسا بماردة، ونتيجة لمكانته الاجتماعية فقد كان مطاع الجانب[7]، وهذا ما يؤكده عيسى الرازي بقوله: "كان أصبغ بن وانسوس مترددا لماردة لكثرة ضياعه بها، وأمواله فيها عزّة عشيرته في أهلها، فكان كل من فيها من العرب والبربر ومواليهم على طواعية له. وكل عامل يتولاها يشاوره ويعمل بما يحبه."[8]

يبدو أن هذه الثروة قد ورثها محمد بن أصبغ عن والده وهذا ما يفهم من كلام سليمان ابنه الذي انفرد به ابن حيان حين قال: "مات أبي وأنا حدث غر، فتنكرني زماني

1- المقصود به سعيد بن محمد بن بشير، وهو ولد محمد بن بشير المعافرين كان الأمير الحكم قد استقضاه أول خلافته، فكان أفضلهم وأعدلهم، أصل بيته من مدينة باجة، وكان سعيد هذا رجلا صالحا عاقلا سمع من يحي بن يحي الليثي وغيره واستقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم بعد والده، وتوفي سنة 210هـ/825م حسب قول الرازي: ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس – ق2- ص78. ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص137.

2- ابن حيان القرطبي: كتاب المقتبس- السفر الثاني – ص193.

3- عياض: المصدرنفسه- ج1- ص315.

4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –صص206-207.

5- الخشني: المصدر السابق – ص171.

6- نفسه- ص170. ينظر قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية – رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك للقاضي عياض- دار البحوث والدراسات الاسلامية واحياء التراث- ط1-1423هـ/2002م-ج2-ص819.

7- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس –ق2- ص189. ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1-ص160.

8- ابن حيان القرطبي: كتاب المقتبس- السفر الثاني- ص129. ابن سعيد: المصدر السابق-ج1-ص283.

وزهد في اخوان أبي، ولاقيت من إذلال الرعية في البادية في ضياعي واهتضامهم حقوقي ما ضقت به درعا."[1]

يظهر من خلال هذا النص أن ثروة هذه الأسرة ومكانتها بدأت تتلاشى، وبذلك يفقد هذا البيت مكانته الاجتماعية والتي طالما احتفظ بها وقتا لا يستهان به، إلا أن سليمان بن وانسوس أبو أيوب وبمساعدة هاشم بن عبد العزيز الوزير استطاع أن يعيد هذه المكانة وسيجمع ثروة تعيد مجد آبائه، وهذه المرة سيكون مصدرها تلك الخطط التي تولاها منها خطة الوزارة على عهد الأمير عبد الله بن محمد (275هـ-300هـ/888م-912م)، فصارت له عنده حظوة، كما تولى خطة السوق للأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ-273هـ/852م-886م) فعلق بحبال الخدمة وتصرف بذلك في عدة أعمال إلى أن وصل إلى الذروة.[2]

ومن البيوتات التي عرفت كذلك بثرائها نذكر آل الخالدين، ويبدو أن الثروة قد كانت بيد جدهم عبد الله بن خالد الالبيري بدليل أنه كان من أوائل الذين استقبلوا عبد الرحمن بن معاوية في منزله "بالفنتين"[3]، فهذا في حد ذاته يدل عل أنه كان زعيما في قومه، ومن الأشراف الذين يملكون المال والجاه، وما امتلاكه لقرية "الفنتين" إلا دليل على ذلك، أضف إلى ذلك أن استقبال عبد الرحمن الداخل قد يحتاج إلى دعم مادي لتوطيد نفوذه بالأندلس، وهذا ما يؤكده مجهول حين قال: "... فلما بلغ جيان أتاه أبو عثمان[4] وعبد الله وكان حين سار بالمال فرقاه على بني أمية"[5].

من خلال تتبعنا لبعض المصادر، فإن ثروة هذه الأسرة قد انتقلت إلى باقي أفرادها إذ يمدنا ابن حيان بمعلومات عن أحفاد عبد الله بن خالد الالبيري وهو هاشم بن عبد العزيز الذي كان يقود الجيوش، وقد جنى من وراء هذه الخطة ضياعا شاسعة الأمر الذي سمح له

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس- ق2- ص190
2- ابن حيان القرطبي:المصدر السابق – ق2- ص189. ابن الأبار:المصدر السابق ــ ج1- ص160.
3- ابن القوطية: المصدر السابق – ص35.
4- يقصد به أبو عثمان عبيد الله بن عثمان المعروف بصاحب الأرض الذي اختار طرسونة محلا له، واثرها على مدن الثغر منزلا وكانت ترد عليه عشر مدينة أربونة وبرشلونة. الحميري: المصدر السابق –ص389
5- مجهول: أخبار مجموعة- ص133.

أن يوفر للأمير محمد بن عبد الرحمن المال الوفير لإكمال البناء بمنية الرصافة، فبناها هاشم من حرّ ماله بلغت قيمتها عشرة آلاف.[1]

يفهم من نص عيسى الرازي أن ثروة هاشم هـذا قـد زادت بامتلاكـه لاقطاعـات شاسعة، فعند وقوعه في الأسر كلف الأمير محمد وكلاءه للقيام على أمر هذه الضياع التـي خلفها وراءه[2] الأمر الذي ساعده على فدية نفسه من قبضة أدفنش ملك الجلالقة، والتي قدرت بـ: مائة وخمسين ألف دراهم.[3] كما تذكر بعض المصادر أنه كان يحتكم بالقرب من قرطبة على منية بوقريط.[4] [5]

وهناك بعض الاقطاعات حاز عليها بالغصب، الأمر الذي زاد في تراكم ثروتـه، إذ يحكي لنا ابن حيان قصته مع جاره الذي اغتصب منه ضيعته، كانت مجاورة لضيعته، فأراد ضمها أول الأمر عن طريق الشراء، وعندما رفض هذا الجار أن يبيعها له، اغتصبها هاشم منه وضمّها إلى أرضه استنادا إلى وثيقة بيع مزورة.[6]

كما احتكم خالد بن هاشم وهو عم هاشم المتقدم ذكره على نصيبه مـن ثـروة هـذه الأسرة، إذ كان لديه من المال ووفرته، وسعة نعمته ما جعله يمتلك مـن الأوانـي الفضـية الخالصة والتي قدر ثمنها بـ: عشرة آلاف دينار، كما كان يلبس ثيابا فاخرة.[7]

وهناك بيوتات أخرى نالت حظها من الاقطاعات، وتراكمت الأموال في بيوتها نذكر منها بيت بني مُزَيْن منهم يحي بـن إبـراهيم بـن مـزين ت 255هـ أو 259هـ أو 260هـ/868م-969م-970م، الذي اقطعه الأمير عبد الرحمن قطائع شريفة، وابتنـى لـه دارا، وأجزل العطاء له[8] وعند ثورة أهل طليطلة خرج وولده إلى قرطبة ونزل عند يزيد بن أبي العطاف جد بني أبي العطاف، فتوسع له وأجرى القطائع الواسعة عليه، وعنـدما علـم

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس –ق2- ص170.
2- نفسه – ص388.
3- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – ص344.
4- ورد ذكر "قوقريط" عند ذكر أحمد ابن الدلائي لقصر الزهراء فقال: "وأنشأ عبد الرحمن أمير المؤمنين هـذه المدينـة فـي سـنة عشـرين وثلاثمائة وكان يسمى الموضع فيما مضى من الزمان بقوقريط. ابن الدلائي: ترصيع الاخبار...ص123.
5- ابن حيان القرطبي: نفسه –ق2 –ص 190.
6- ابن حيان: نفسه - ص 149. وينظر إبراهيم عبد المنعم: رعاية الأيتام في الأندلس – من الفتح الاسـلامي حتـى نهاية دولة المرابطين – مركز الاسكندرية للكتاب – ط 2005 – ص55.
7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2- ص165.
8- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص441.

الأمير محمد بن عبد الرحمن بحاله أخرج إليه صلة جزلة وابتنى له دارا وأقطعه بدوره عدة قطائع وقرى شريفة.[1]

ونفس القول ينطبق على بيت بني مؤذن الممثل في أحد أفراد أسرته وهو يوسف بن مؤذن بن عيشون الوشقي ت 309هـ/921م فنتيجة لتلك الأموال التي كان يملكها استطاع أن ينفق في سبيل الله لفك نحو مائة أسير هذا ما ذكره ابن الفرضي، وعند ترجمته لابنه احمد بن يوسف بن مؤذن يذكر بأنه فك مائة و خمسين أسيرا كانوا من السِبْيَة[2] ، وهذا ما يؤكده الخشني بقوله: "... وكان من الأجواد المنفقين في سبيل الله جلّ وعزّ، وفي فك أسرى المسلمين ولم يتقدمه أحد في بلده إلى مثل فعله في ذلك، وكان يعد له نحو مائة أسير فك أسرهم من أرض الحرب بماله".[3]

هذه نماذج لبعض البيوتات الذي كان للعامل الاقتصادي دور في ظهورها، واكتفينا بهذه العينات إذ لا تتوفر لدينا معلومات كافية عن ثروات كل البيوتات، ولكن في عمومها كانت من تلك الاقطاعات التي اقتطعت لها في العهود الأولى للفتح الإسلامي للأندلس أو بعدها، وقد كانت للخطط السنية والرفيعة دور كبير في جمع ثروات هائلة، جعلتها بعد مرحلة التشكل تحافظ على وجودها، إلا أن ذلك لا يكفي بل ستدعمه بالعلم، وبالعلم استطاعت أسر بأكملها التقرب من الحكام الذين لم يبخلوا في عطاءاتهم لهذه الأسر العلمية، ومن تم، فالعلاقة الموجودة بين الثراء والعلم هي علاقة متكاملة، ولنا في ذلك نماذج عدة.

ب ـــ <u>العامل الثقافي</u>: يعتبر هذا الميدان من العوامل المهمة التي قامت عليه هذه البيوتات، فالثراء الذي ميز هذه الأخيرة انعكس على حياتهم الثقافية، فإضافة إلى هذا الغنى، فقد كان هناك تسابق نحو التحصيل الثقافي الذي تجدر في هذه الأسر العلمية، فالثراء لوحده يعتبر ناقصا إذا لم يدعم ويوطد بالعلم باعتبار أن أهل الأندلس كانوا أحرس الناس على التميز في هذا الجانب فالعالم عندهم كان معظما عند العامة والخاصة، مما يرفع من قيمته وقدره عندهم، ويلقى منهم كل ترحيب وتكريم.[4]

1- الخشني: أخبار الفقهاء...صص 282-283.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص32-450
3- الخشني: المصدر السابق – ص291.
4- المقري: المصدر السابق – ج1 – ص181.

ولهذا كله نجد هذه البيوتات اشتغلت بالعلم وانتسبت إليه، فغطى أبناء البيوتات بنشاطهم العلمي والأدبي حقبة زمنية معتبرة من تاريخ الأندلس، فتوارث الأبناء جيل بعد جيل رصيد أبائهم وأجدادهم الثقافي لقرون عدة، ولهذا لا نندهش من امتلاء كتب التراجم بأسماء كثير من أفراد هذه البيوتات سواء أكانت ذات أصول عربية أم بربرية أو تنتمي إلى أصول أخرى، فلا غرو من أن كتب التراجم هذه خصّتهم بعناية خاصة، فكانت بذلك محور مادتها العلمية والأدبية هي البيوتات وما قدمته من خدمة جليلة للحركة الثقافية بالأندلس، ولنتبين كل ذلك يجب الوقوف على بعض النماذج التي تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الاشتغال بالعلم والانتساب إليه هو الذي رفع من مكانة هذه الأسر وساعدها كثيرا على الظهور.

- **<u>اشتغال البيوتات بالعلم:</u>**

***علوم الشريعة**: إن المتتبع لكتب التراجم الأندلسية يجدها حافلة بأسماء عدة من أعلام البيوتات التي اشتغلت بهذا الحقل من المعرفة، إذ خلدت أسماءهم عبر فترات زمنية طويلة قد تستغرق - في أحايين كثيرة - عدة قرون بفضل تعاطي أبناء هذه البيوتات للعلم، الأمر الذي ساعدها على الظهور والبروز ليس كأفراد وإنما كأسر علمية، ولإثبات ذلك سنحاول إعطاء نماذج عنها، إذ ليس من السهل هنا الإحاطة بكل ما جادت به قريحة هؤلاء، فنحن بهذا الصدد، ومن خلال هذه النماذج نريد أن نؤكد على نقطة أساسية وهي أن توارث أبناء هذه البيوتات العلم كابر عن كابر هو الذي خلد اسم الأسرة على مدى عقود من الزمن.

من هذه البيوتات والتي تعتبر خير مثال على نباهتها وظهورها في فترات زمنية متصلة، بيت بني يحي الليثي التي أحصينا منهم عددا من أفرادها كلهم سادوا ونبهوا بفضل تعاطيهم للعلم إلا أننا في هذا المقام سنقتصر على بعض أفراده الذين ظهروا في القرنين الثاني والثالث والرابع الهجري، وهذا ينطبق على كل النماذج التي سنتطرق إليها.

أول أفرادها هو يحي بن يحي الليثي (234هـ/847م)، وهو جد هذه الأسرة وباني مجدها، وتعرف هذه الأخيرة بآل أبي عيسى[1]. كان يحي هذا من أهـل العلـم وذي قـدر عظيم وجلالة الذكر واليه انتهت رئاسة العلم بالأندلس.[2]

وابنه أبو مروان عبيد الله بن يحي الليثي (297هـ/909م)، ورث العلم عـن والـده فرواه عنه، فكان كوالده رجلا عاقلا كريما مقدما في المشاورة، وكان من عقبه يحي بن عبيد الله ت 303هـ/915م الذي حمل العلم عن أبيه وحدث عنه.[3]

والابن الثاني ليحي، هو إسحاق بن يحي المكنى بأبي إسـماعيل ت 261هـ/875م الذي أخذ بدوره العلم عن والده، وكان أصغر سنا من أخيه عبيد الله[4]، ومن عقبه يحي بـن إسحاق أبو إسماعيل والذي يعرف بالرقيعة ت 293هـ/904م، كان من المحدثين سمع مـن أبيه وروى كذلك عن جده، من تآليفه الذي به أثبت وجوده كتابه "المبسوطة"".[5]

ومن عقب يحي الليثي أبو العباس احمد بن يحي الليثي ت 297هـ/909م، ذكـره الرازي وقال بأنه كان "من أهل العلم".[6]

وبيت الغازي بن قيس المكنى بأبي محمد ت 199هـ/814م، كانت له رحلـة إلـى المشرق وبعد عودته رجع بعلم كثير، وكان قارئا للقرآن، وقال في حقه أبو عمرو المقـري: "كان خيرا فاضلا عالما"[7]، وكان من بين أولئك الذين أدخلوا علم الحديث إلى الأندلس.[8]

ومن ذريته عبد الله بن الغازي ت 230هـ/844م، أخذ العلم عن والـده، فأصـبح بذلك عالما وله بصر بقراءة نافع.[9]

ومحمد بن عبد الله بن الغازي المكنى أبا عبد الله (ت295هـ/907م)، أخذ العلـم عن والده، وكان له الفضل في إدخال علم الحديث إلى الأندلس، إذ كان قد تعلمه عن ثلـة

1- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1- ص 16.
2- عياض: المصدر السابق – ج1- صص 311-312.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص207.
4- نفسه –ص67.
5- الحميدي: الجذوة – ص337. عياض: المصدر السابق – ج1 – ص317.
6- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج1 – ص13.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص272. عياض: المصدر نفسه – ج1 – ص199.
8- الخشني: أخبار الفقهاء...ص220.
9- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص175. عياض: نفسه – ج1 – ص200. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين – تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم – دار المعارف بمصر – دت – ص259

من العلماء نذكر منهم، أبا حاتم سهل بن محمد السِجِسْتَانِي.[1] وبقي حاملا لواء العلم إلـــى أن أدركته المنية سنة 295هــ/907م.[2]

ومن البيوتات التي اشتهر أفرادها بتعاطي العلم بيت بني عميـــرة، فقـــد وصـــفهم القاضي عياض بـــ"بيت علم وشرف"[3] أول أفراده أبو العافية الفضل بن عميرة بن راشـــد بن عبد الله الكناني العتقي ت 197هــ/812م، كانت له رحلة إلى المشرق أخذ العلم عـــن شيوخها منهم أصحاب مالك كمطرف بن عبد الله وابن الماجشون، وانصرف بعدها إلـــى الأندلس بعلم كثير، ولذلك استقضاه الأمير الحكم بن هشام.[4]

وكان من نسل هذا الجد ابنان الأول هو أبو المطرف عبد الرحمن بن الفضل بـــن عميرة بن راشد ت 227هــ/841م، وهو كوالده، سمع من شيوخه[5]، وتتبع الابن الثـــاني نفس خطوات والده في طلب العلم وهو الفضل بن الفضل بن عميرة ت 265هــ/878م.[6]

ومن عقب الابن الثاني ثلاثة أبناء نذكرهم على التوالي إسماعيل بن الفضـــل بـــن الفضل كان حيا سنة 293هــ/905م المكنى أبا أيوب[7] وأبو الفضل عميرة بن الفضـــل ت 284هــ/897م[8] وأخرهم، أبو المطرف عبـــد الـــرحمن بـــن الفضـــل بـــن الفضـــل ت 294هــ/906م[9]، وكان من نسل هذا الأخير صباح بن عبـــد الـــرحمن أبـــو الفضـــل ت 295هــ/907م،[10] فهؤلاء كلهم بادئ الأمر أخذوا العلم عن أبيهم وتفقهوا بشـــيوخ عـــدة أثناء رحلاتهم إلى المشرق، فكان العلم بذلك متوارثا بين أفراد هذه الأسرة.

1- ينظر عنه القفطي: انباه الرواة – ج2 – ص58 وما يليها – السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحـــاة – تحقيق: محمد عبد الرحيم – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – الطبعة الأولـــى – 1425هــــ-1426هــ/2005م – ص488

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص310 – عياض: المصدر السابق ج1 – ص200

3- عياض: نفسه – ج2 – ص117.

4- الخشني: أخبار الفقهاء...ص224. الحميدي: الجذوة- ص295. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص277.

5- الخشني: المصدرنفسه – ص178. ابن الفرضـــي الأزدي: نفســـه – ص212. الســـمعاني: الأنســـاب – ج4 – ص129.

6- نفسه – ص224. نفسه – ص227. الحميدي: المصدر السابق – ص295. الضبي: المصدر السابق- ص388.

7- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1- ص151.

8- الخشني: نفسه- ص213. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص261. الحميدي: نفسه – ص287.

9- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص214. الحميدي: نفسه – ص245.

10- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص167. الحميدي: نفسه – ص214. الضبي: نفسه – ص281.

ومن البيوتات التي كانت لها شهرة في العلم، بيت بني دينار إذ كان "بيتهم بيت نباهة ورجالهم في العلم والجلالة بقرطبة وطليطلة" "وبنو دينار معروفون بالعلم" على حد قول القاضي عياض[1] ، وقد كان منهم عدة أئمة خاضوا في العلم الأمر الذي خلّد اسمهم في كتب التراجم الأندلسية، ولتبيان ذلك سنأتي على ذكر أفراده العلماء الذين ظهروا قبل القرن الرابع الهجري فترة الدراسة.

فمن أعلام هذا البيت النبيه

دينار بن واقد[2] الغافقي أبو أمية، ويكفيه في ذلك أن ذكره الرازي في كتاب الاستيعاب وقال في حقه أنه "كان عالما زاهدا"[3] ونحا نحوه ابن الأبار.[4]

ومن أعلام هذا البيت عيسى بن دينار أبو عبد الله (ت 212هـ/827م) قال في حقه ابن أبي دليم: "كان ابن القاسم يعظّمه ويجلّه ويصفه بالفقه والورع، وكان لا يعد في الأندلس أفقه منه في نظرائه" ونتيجة لتفقهه، فقد كان أفقه من يحي بن يحي على جلالة قدره وقد خلد اسمه بما تركه من مؤلفات منها كتابه في الفقه والموسوم بـ "كتاب الهدية" إلى بعض الأمراء يتكون من عشرة أجزاء.[5] وكتاب الجدار[6]، كما كانت له عناية بالحديث، إذ كان يعجبه الأخذ بالحديث وترك الرأي عملا بهذا القول: "دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي".[7]

وقد بارك الله في هذا البيت ذو الشأن الرفيع، فكان من نسل ابن دينار هذا علماء ومشاهير أعلام، منهم أبناؤه الأربعة.

أبان بن عيسى بن دينار أبو القاسم ت 262هـ/876م، وقد اعتبره الحميدي من الفقهاء الأعلام الصالحين[8]. وكان من بين المشاهير الذين رحلوا إلى المشرق لتلقي العلم،

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص107 –ج1– 372.
2- يذكره ابن الأبار على هذا النحو – ابن راء – التكملة...ج1 – ص 257.
3- عياض: نفسه – ج1 – ص 372.
4- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج1 – ص 257.
5- عياض: المصدرنفسه – ج1 – ص375. مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان - دت– ص64.
6- ابن أبي زمنين: منتخب الأحكام – تحقيق: د/ عبد الله بن عطية الرداد الغامدي – المكتبة المكية – مؤسسة الريان – بيروت – لبنان – ط1 – 1419هـ - 1998م – ج2 – ص225. عياض: نفسه – ج1 – ص375.
7- الضبي: المصدر السابق – ص352. الحميدي: المصدر السابق – ص151.
8- الحميدي:المصدر السابق – 151.

فأصبح بذلك إماما فقيها فاضلا عمدة عالما عاملا، ونتيجة لتفقهه فقد شوور في الأحكام بقرطبة.[1]

وعبد الرحمن بن عيسى بن دينار ت 270هـ/883م الذي أخذ العلم عن مشايخ والده، وهذا اعتناء الوالد بولده ليكون لهذا الأخير نفس التحصيل العلمي الذي كان لأبيه، فكان بذلك "حافظ للرأي معتنيا بالمسائل"[2].

ومحمد بن عيسى بن دينار الذي كان هو بدوره فقيها زاهدا وعالما، وكانت له رحلة للحج اخذ فيها العلم[3]، وكذا أخوه عبد الوهاب الذي كان مثل أخيه فقيها زاهدا ذكره الرازي في كتاب الاستيعاب.[4]

واشتهر كذلك من أفراد هذه الأسرة العلمية أبو زيد شدور عبد الرحمن بن دينار (ت160هـ-201 أو 227هـ/776م-816م-841م)، ذكره والده وأشاد بعلمه، فقال في حقه: "كان فقيها عالما حافظا" وهذا ما أكده الرازي في كتابه الاستيعاب في الأنساب[5]، ومما زاد في شهرته أنه أدخل الكتب المعروفة بـ "المدنية" والتي استفاد منها أخوه عيسى والذي عرضها بدوره على ابن القاسم.[6] ومن عقبه محمد بن عبد الرحمن الذي اكتفى القاضي عياض بذكر رحلته العلمية مع ولديه[7]، وابن هذا الأخير عيسى بن محمد بن عبد الرحمن (ت أيام الأمير عبد الله) الذي سمع من شيوخ جلة منهم، يحي بن إبراهيم بن مزين.[8]

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص46. نفسه: المقتبس – السفر الثاني – ص416. عياض:المصدر السابق– ج1 – ص453. ابن فرحون: الديباج...ص161. مخلوف: المصدر السابق – ص75.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص213. عياض: نفسه – ج1 – ص454. ابن بشكوال: الصلة...ص245.
3- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص 285. عياض: المصدر نفسه – ج1 – ص454. المقري: النفح – ج2 – ص295.
4- عياض: نفسه – ج1 – ص454.
5- نفسه: ج1- ص 372. ابن فرحون: المصدر السابق– ص243. ابن بشكوال: المصدرالسابق – ص245.
6- عياض: نفسه – ج1- ص372. ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص211.
7- عياض: نفسه- ج1- ص454.
8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه- ص263.

ومن البيوتات الأخرى التي نالت حظها في هذه العلوم بيت قاسم بن محمد البياني[1] القرطبي، فمن أعلام هذا البيت الذي تسلسل العلم فيهم.

قاسم بن محمد بن قاسم بن محمد بن سيار (ت 278هـ/891م) الذي كان من المحدثين المحققين يميل الى المذهب الشافعي[2]، كان بصيرا بعقد الشروط ناقدا فيها ولتمكنه في الفقه، فقد ولي الوثائق اضافة الى تصرفه في القضاء في كور شتى منها: إستجة وقبرة واشبيلية.

وما يدل على علو منزلته في هذه العلوم وبها خلد اسمه واسم أسرته شهادة بعض شيوخ الأندلس منهم: أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة حين قالا: "ما رأينا أفقه من قاسم ممن دخل الأندلس من أهل الرحل" ومما خلد اسمه واسم أسرته هي تآليفها نذكر منها: "الرد على المقلدة" وكتابا في "خبر الواحد".[3]

ومن أعلام هذا البيت الذي تسلسل العلم في بقية أفرادهم.

محمد بن قاسم بن محمد بن القاسم المكنى بأبي عبد الله (ت 328هـ/939م) وما يدل على توارث العلم بين أفراد هذه الأسرة والتي حفظت على ظهور هذا البيت العلمي على مدى سنين طوال هو أخذه عن والده هذا العلم، فأصبح بعدها عالما بالفقه متقدما في علم الوثائق، الذي أصبح رأسا فيها.[4]

وأرومة هذا البيت الحفيد أحمد بن محمد بن قاسم ابن المتقدم ذكره، فقد حافظ على تسلسل العلم في بقية أفراد أسرته، اذ روى عن أبيه وجده الذين أخذ عنهم الفقه.[5]

وآخر مثال عن هذه البيوتات بيت بني عبد البر النمري، فمن أعلامه:

عبد الله بن محمد بن عبد البر المكنى بأبي محمد (ت 380هـ/990م) وهو والد أبي عمر الحافظ تفقه على جلة علماء الأندلس كان منهم أحمد بن مطرف وطبقته[6].

1- البياني: نسبة الى مدينة من أعمال قرطبة، وهي من مدن قبرة، تقع على ربوة من الأرض ذات تربة خصبة بسبب كثرة مياهها، ينتسب اليها عدة علماء منهم: قاسم بن أصبغ البياني (ت 340هـ/951م). الحميري: المصدر السابق – ص119.

2- الحميدي: المصدر السابق – ص296. ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص288.

3- ابن فرحون: الديباج المذهب – صص320-321.

4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – صص329-330.

5- الضبي: البغية – ص132.

6- الحميدي: المصدر السابق – ص224. الضبي:المصدر السابق – ص291.

ومن نسل هذا العالم.

الحافظ الامام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (368هـ-463هـ/978م-1070م) كان امام وقته في العلم، اذ لم يكن بالأندلس مثله في الحديث، برع في الفقه وكانت له تآليف، منها: " كتاب التمهيد"لما في الموطأ من المعاني والأسانيد يتكون من سبعين جزءا، لم يؤلف مثله أحد.[1]

وفي بيان منزلته العلمية يقول الضبي: "فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات و بالخلاف في الفقه، وبعلوم الحديث والرجال."[2]

وآخر أفراد هذه الأسرة هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 450هـ/1058م) ابن المتقدم ذكره، قد ورث العلم عن هذا الأخير، اذ كان هو كذلك من المتقدمين في العلم.[3]

هذه جملة من البيوتات الذي تسلسل العلم بين أفرادها قرونا عدة، وهذا ما يوضحه لنا هذا الجدول من خلال عيّنات من أفراد بعض هذه البيوتات

البيت	أفراده	نوعية العلوم التي توارثوها	الفترة الزمنية المختارة
بنو الفضل بن عميرة	07	الفقه	ق2هـ و 3هـ/8م-9م
بنو دينار الواقدي	07	الفقه + التأليف فيه	ق3هـ و 4هـ/ 9م-10م
آل أبي عيسى	04	الفقه والحديث	ق3 هـ/ 9م
بنو الغازي بن قيس	03	الحديث والقراءات	ق2 هـ و 3هـ/ 8م-9م
بن قاسم بن هلال	03	الفقه والحديث	ق3 هـ/ 9م
بنو عبد البر	03	الفقه	ق4 هـ و 5هـ/10م-11م

1- ابن بشكوال: الصلة – تعليق: جلال الأسيوطي – مج2 – ج2 –ص276.
2- الضبي: نفسه – ص427.
3- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج1 – ج1 – ص244.

- **الاعتماد على السند والرواية:**

لقد برعت بعض البيوتات في هذا الميدان، حيث حرصت أشد الحرص على ان يكون سند متن من المتون هو أقواها، وذلك بالحفاظ على تسلسل السند، حتى صار سندها فيه من أعز الأسانيد الذي تشد له الرحلة[1]، ولنا في ذلك عدة أمثلة لبعض منها، وسنقتصر في ذلك على بعض ما ورد في فهرسة ابن خير الاشبيلي، فعند تصفحنا لهذه الأخيرة سنجد في مضانها تسلسل ذكر عدد من أفراد بعض هذه البيوتات، وسنقتصر – في هذه العجالة – على نماذج منها، لأننا لو ذكرناها كلها لكان لنا في ذلك غنية.

فمن هذه البيوتات، بيت بني جمرة الذي تميز بالسند العالي في مدونة سحنون، اذ كان جدهم الأعلى عبد الملك بن محمد أبي جمرة، كان قد سمع بالقيروان على سحنون بن سعيد[2]، وعن طريق هذا الجد تم نقل روايته بواسطة أبائهم على نسقهم، أبا فأبا، يروي كل منهم المدونة عن سحنون، وهذا من جلة الأسانيد.

عودة سريعة الى تكملة ابن الأبار الذي ترجم لهذه الأسرة اذ ترجع أصولها الأولى الى بيت بني الخطاب السالف الذكر، فمن هؤلاء: أبو جمرة محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار، الذي يذكر بأنه رحل حاجا مصطحبا معه ابناه: خطاب وعميرة، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وسمعوا هم الثلاثة من سحنون بن سعيد المدونة.[3]

وهو ما يؤكده لنا ابن الفرضي حين ترجم لعميرة بن محمد أبي جمرة، قال: "وقال أبو العباس وليد بن عبد الملك في كتابه الينا: عميرة بن محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار...حجّ مع أبيه محمد بن مروان وأخيه خطاب بن محمد سنة اثنتين وعشرين ومائتين، وسمع معهما المدونة على سحنون بن سعيد..."[4]

1- عبد السلام بن المختار شقور: البيوتات الأندلسية – بحث في المكونات والضوابط والنتائج – السجل العلمي لندوة الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات – مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة – ط1 – 1417هـ/1996م- ص271.

2- هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، أصله من الشام من أهل حمص وأبوه سعيد قدم مع الجند، وهو من جند أهل حمص، كان فقيها بارعا حافظا للعلم ولم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه. التميمي أبو العرب: طبقات علماء افريقية: جمع وتحقيق: د/ محمد بن أبي شنب – الجزء الثالث – ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر – 2006م – ص101 وما يليها.

3- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1- ص285.

4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص261.

وكان أبو بكر بن أحمد السالف الذكر، اذا انتهى بنسبه الى جده الأعلى عبد الملك بن أبي جمرة يقول: "وعبد الملك هذا سمع بالقيروان من سحنون بن سعيد وسندي عنه بحسب النسبة اليه، فهو ثالث لهما."[1] كما يذكر صاحب شجرة النور الزكية أن أبا بكر هذا، اتصل سنده بسند أبيه، حين ذكر بأنه سمع كثيرا من والده أحمد، وهذا الأخير عرض عليه مدونة سحنون.[2]

هذا بيت من احدى البيوتات الذي سطع نجمه في هذا الميدان، فقد تناقل أبناؤه أبا عن جد رواية الحديث، فتجدّر فيهم ذلك وأصبح سندهم من أفضل الأسانيد التي يعتد بها، وبذلك استطاع هذا البيت أن يظهر ويحافظ على ظهوره بفضل تعاطيه العلم، ويكفينا في ذلك أن جدهم محمد أبو جمرة، مؤسس بيت العز والشرف حمل على عاتقه الرواية والتي تناقلها أحفاده من بعده.

وهناك كذلك بيوتات ارتبط وجودها وظهورها بالاسناد ارتباطا وثيقا، وهذا ما تضمنته كتب الفهارس اذ يكفينا صفحة من صفحاتها لتعرفنا بأفراد عدة لبيت واحد فرض نفسه في مثل هذه المصادر، فحافظت هذه الأخيرة عن طريق الاسناد والرواية على ظهور مثل هذه البيوتات فردا فردا، وهذا ما سنحاول تتبعه من خلال فهرسة ابن خير الاشبيلي.

فمن هذه البيوتات التي توضح لنا مدى علاقة الاسناد بنباهة البيت وظهوره على مر العصور والأزمنة، حيث يخلد به بيت من أشهر البيوتات الأندلسية وهو بيت الباجي والذي يعرف كذلك ببيت بني شريعة، فقد ورد ذكر لعدة أسماء من هذا البيت، فعند ذكر ابن خير للمصنفات المتضمنة للسنن مع فقه الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – يقول:

"مصنف وكيع بن الجراح[3] – رحمه الله – حدثني به شيخنا الفقيه القاضي أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الباجي – رحمه الله – قراءة عليه وأنا أسمع

1- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج1 – ص238.

2- مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية – دار الفكر – دت – ص162.

3- هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان، ولد سنة 129هـ/746م كان له المام بعلوم الحديث والتفسير، سمع هشام بن عروة والأوزاعي وغيرهما، توفي "بفيد" راجعا من الحج سنة 197هـ/812م. الداودي: طبقات المفسرين، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 –

...قال: حدثني به أبي وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد وابن عمي أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد، قالوا كلهم: حدثنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي عن جده الرواية أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي."[1]

ونفس الكلام ينسحب على بيت بني يحي الليثي، فنظرة خاطفة على فهرس ابن عطية، يوضح لنا أن السند قد حافظ على استمرارية ظهور البيوتات، اذ ورد ذكر لثلاثة أفراد مرة واحدة عند ترجمته للفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب[2] (433هـ-520هـ/1041م-1126م)، فقال:

"...قال[3]: حدثنا أحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد بن حزم، وأبو عيسى يحي بن عبيد الله، قالوا: "حدثنا عبيد الله بن يحي بن يحي، عن أبيه يحي بن يحي عن مالك."[4]

كما حافظ لنا الاسناد ليس على ذكر أسماء لأسرة واحدة، بل تعدته الى أكثر من ذلك، حيث يعرفنا ابن خير في فهرسته على أكثر من بيت عند ذكره للموطات وما يتصل بها، منها: موطأ أبي عبد الله مالك بن أنس، فيقول:

"...أما رواية يحي بن يحي الليثي الأندلسي – رحمه الله - ، فحدثني بها الشيخ الفقيه أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة...قال: حدثني بها أبي، وعماي أبو عمر أحمد وأبو عبد الله محمد، وابن عمي الفقيه المشاور صاحب الصلاة أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد، قالوا كلهم: حدثنا بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله، عن جده الفقيه الراوية أبي محمد عبد الله بن محمد علي بن شريعة... نابه[5] أبو عيسى يحي بن عبد الله بن أبي

1422هـ/2002م – صص539-540.ابن النديم: فهرست -تحقيق: محمد أحمد أحمد – المكتبة التوفيقية – سيدنا الحسين – دت – ص311.

1- ابن خير: المصدر السابق – ص121

2- تنظر ترجمته عند ابن فرحون: المصدر السابق – ص246. و مخلوف: المصدر السابق – ص130 وابن بشكوال: الصلة – ص349. وابن خير: المصدر نفسه – ص427.

3- يرجع هذا القول الى أبي بكر عبد الرحمن بن أحمد التجيبي.

4- ابن عطية: فهرس – تحقيق: محمد أبو الآجفان ومحمد الزاهي – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان- ط2 – 1983م – ص107.

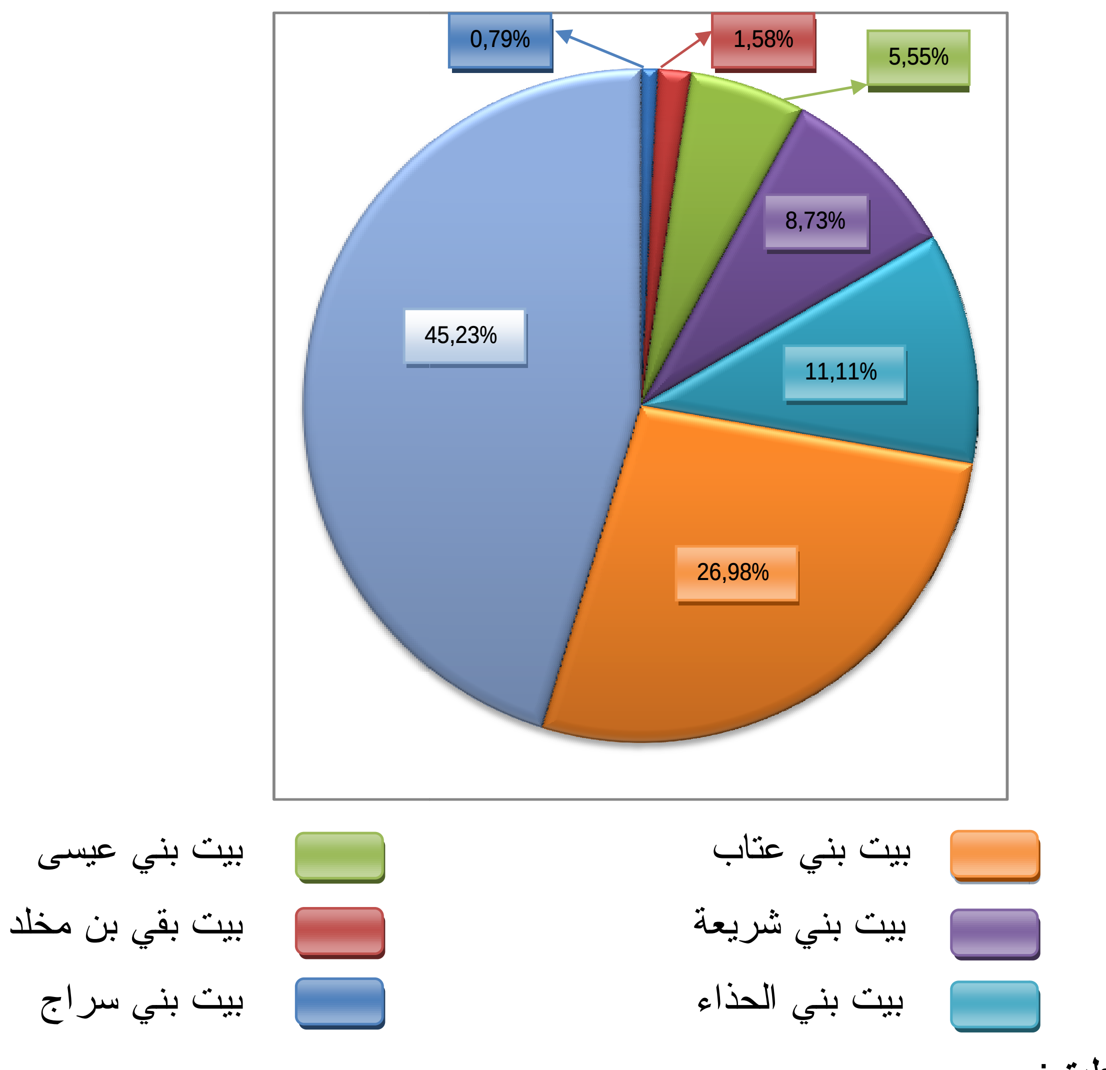
5- يقصد بها في علم الحديث، حدثنا

عيسى، عن عم أبيه أبي مروان عبيد الله بن يحي بن يحي، عن أبيه يحي بن يحي...وحدثني به أبو محمد بن عتاب...عن أبيه أبي عبد الله محمد بن عتاب..."[1]

فهذا النص الوارد في فهرست ابن خير الاشبيلي، وان كنت قد اقتضبت فيه الكلام اقتضابا لطوله، فقد عرفنا على ثلاثة من بيوتات الأندلس وهم: بيت بني شريعة وبيت بني يحي الليثي وبيت بني عتاب الذين اتخذوا من السند والرواية أبا عن جد مطية لظهور بيوتهم واستمراريته، كما هو الشان لبيوتات أخرى حفلت بذكرهم هذه الفهرست، فلو تتبعنا كل ما ورد فيها من مؤلفات وبخاصة الحديثية منها لأمكننا الوقوف على مجموعة لا بأس بها من أبناء البيوتات يتصلون فيما بينهم بواسطة الاسناد، فالرواية عند هؤلاء كانت من الأسباب التي كانت تربط بين أبنائها، ولذلك كله اعتبر الاسناد من العوامل المهمة التي أدت الى ظهور البيوتات واستمرار وجودها ونباهتها، وركيزة من أهم الركائز لتخليد اسمها على مر الأزمنة والعصور، ولنا في كتب بعض الفهارس كفهرستي ابن خير وابن عطية أمثلة أكثر من العد والحصر.

وحتى يتبين لنا ان الاسناد كان له دور مهم في تخليد أسماء مثل هذه البيوتات فقد اعتمدنا هذا الرسم البياني الممثل في الدائرة النسبية.

1- ابن خير: المصدر السابق– ص77 وما يليها.



التعليق:

تمثل لنا هذه الدائرة النسبية نماذج من البيوتات التي اعتمدت الاسناد طريقا لها للحفاظ على ظهورها اذ امتلأت فهرسة ابن خير الاشبيلي بمثل هذه النماذج، على الرغم من اختلاف سند بيت عن آخر، وقد يرجع ذلك الى الأفراد التي تتكون منهم هذه الأسرة أو تلك، أو لظهورها في علم من العلوم – وبخاصة علوم الشريعة – فحملت على عاتقها روايته جيلا بعد جيل، وهذا ما توضحه لنا هذه النسب الممثلة في هذه الدائرة.

وبادئ بدء، نستهل القول ببيت بني عتاب الذي يحتل المرتبة الأولى بنسبة تقدر بـ: 45,23 % ، الا ان سندها في رواية بعض مؤلفات من أخذوا عنهم، أو رووا عنهم لا يتعدى فردين من نفس الأسرة، وهذا بسبب قلة عدد أفرادها.[1]

1- ينظر ابن خير: فهرسة – ص57- 288 – 443.

أما بيت بني شريعة الذي يعتبر من البيوتات النابهة في العلم، فقد احتـل المرتبـة الثانية بنسبة أقل من بيت بني عتاب، والتي قدرت بـ: 26,98 % الا أن سنده كان مـن أقوى الأسانيد، اذ تراوح عدد أفراده الذين تسلسل فيهم سند رواية من الروايات ما بين 6 و 7 و 8 أفراد ليصل في أدنى عدده الى 4 و 5 أفراد، وهذا التسلسل في السند قد سـاعد كثيرا على محافظة جزء من أفراد هذه الأسرة العلمية في صفحة واحدة مـن صـفحات فهرست ابن خير، والتي تساعد كثيرا على ظهورها ظهورا بارزا مقارنة ببعض الأسـر الأخرى.[1]

ويأتي في المرتبة الثالثة بيت بني الحذاء بنسبة 11,11 % ، اذ شابه في تواتر سند أسرته بيت بني عتاب، فانحصر في فردين فقط.[2]

أما بيت آل أبي عيسى فاحتل نسبة أقل قدرت بـ: 05,55 % على الرغم من هذه الأسرة تعتبر من الأسر العلمية، الا أن ثلاثة أفراد[3] فقط، حملوا علـى عـاتقهم روايـة الموطأ، ويبدو أن سبب ذلك هو انتقال أفراد هذه الأسرة من تعاطي علوم الشـريعة الـى علوم أخرى، كان الأدب احداها، مما أدى الى تقلص عدد أفرادهافيما يخص علو سندها.

وعلى الرغم من احتلال بيت بقي بن مخلد لنسبة 1,58 % ، الا أن سـنده وصـل الى ستة أفراد في موضع واحد فقط[4]، ونحا نحوه بيت بني سراج بنسبة قليلة جدا وصلت الى 0,79 % ، ولم يتعد عدد أفرادها اثنين فقط.[5]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، حُقَّ لبيت بني شريعة أن يكون مـن بـين هـذه النماذج التي وصف سندها بالسند العالي ، وخير دليل على ذلك، هو اعتمـاد ابـن خيـر الاشبيلي في فهرسته على عدد كبير من أفراد هذه الأسرة العلمية، وسند هذه الأسرة يمكن أن يعتد به.

1- ينظر ابن خير: ص56 – 66 – 70 – 71 – 240.
2- ينظر نفسه – ص53- 93 – 262.
3- وهم أبو عيسى يحي بن عبد الله بن أبي عيسى وأبو مروان عبيد الله بن يحي بن يحي ويحي بن يحي.
4- ينظر ابن خير: نفسه– ص273-290.
5- ينظر نفسه – ص186.

الاشتغال بالأدب: لم تقتصر نباهة البيوتات وظهورها ظهورا مميزا اعتمادا على تعاطيها لعلوم الشريعة، وإنما هناك أسر التجأت إلى الأدب، فقلما نجد بيتا بالأندلس لم تكن له مشاركة ولو بالقدر القليل في هذا الميدان الذي عمل على ترسيخ نباهة الأسر، وساعدها كثيرا على الظهور، وفي هذا المقام سنتناول نماذج منها، فالحديث عن هذا العامل ودوره في ترسيخ دعائمها قد يأخذ منا صفحات عدة.

من هذه البيوتات التي سادت بنباهتها في الأدب، نذكر بيت بني الزجالي السالف الذكر، فلم يكن لهذا البيت ذكر من قبل، إذ لم يحفظ لأولهم نباهة، وهذا ما يوضحه لنا ابن القوطية في كتابه الذي ألفه في طبقات أهل الدولة والأدب بالأندلس بقوله: "لم يكن لهؤلاء الزجالين المقدمين في بيوت الشرف بقرطبة قبل جدهم محمد هذا قِدَمُ رياسة".[1]

هذا النص الذي انفرد به ابن القوطية، يوضح لنا بما لا يدعو للشك أن هذا البيت لم يكن له ذكر كباقي البيوتات التي مرت معنا، والسبب في عدم ظهوره، أن أسلافه كانوا من البيوتات المغمورة، فلم يكونوا من أصحاب الجاه والثروة، وهذا العامل الأخير – كما أوضحناه آنفا – اعتبر من أهم العوامل التي ساعدت كثيرا على ظهورها، كما أنها لم تكن قد اقتحمت الساحة الثقافية لتظهر كأسرة علمية تتحدث عنها كتب التراجم، وما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن العامل الثقافي سيكون سببا في نباهة هذه الأسرة البربرية وظهورها على مسرح الأحداث هي تلك القصة التي انفرد بعرضها ابن حيان.

لقد بدأ نجم هذا البيت بالظهور في تلك القصة التي أوردها لنا ابن حيان، مفادها أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/822م-852م) عثرت به دابته، وكان أيامها ذاهبا في إحدى أسفاره، وكاد يسقط عن دابته ويقع على فمه، فقال شعرا بدأه بـ:

وَمَا لاَ يُرَى مِمَّا يَقِي اللَهُ أَكْثَرُ

فبحث الأمير بين صفوف جيشه من يتمم صدر هذا البيت، فلم يجد أحدا يلبي طلبه هذا عدا محمد بن سعيد الزجالي (ت232هـ/846م) الذي وجد ضالته عنده فقال:

تَرَى الشَيْءَ مِمَا يَتَقِى فَتَهَابُهُ ... وَمَا لاَ تَرَى مِمَا يَقِي اللَهُ أَكْثَرُ

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – صص33-34.

فلما سمع الأمير عبد الرحمن بن الحكم تتمة البيت أعجب به كثيرا، وراقه بيانه وشكله، فقرّبه منه وجالسه وتجاذب معه أطراف الحديث، فأعجب به أيما إعجاب، فآخذه في بداية أمره كاتبا لوزارته، فلم يرض بذلك فعينه كاتبه الخاص.[1]

لقد استطاع هذا الجد أن يتسلق حبال سدة الحكم، ويتقرب من قصور بني أمية، حيث واتته الفرصة، فاستغلها لصالحه ولصالح بيته من بعده، وهنا يظهر ما للعامل الثقافي وبخاصة الأدبي منه دوره الحاسم في ظهور بعض البيوتات، فقد انتشله من الخمول والركود الذي عاشته أسرته منذ أمد بعيد ليظهر بعدها ظهورا مميزا على عهد عبد الرحمن الثاني، إذ جعله هذا الأخير كاتبه الخاص، وهذه الخطة التي حظي بها هي من الخطط الرفيعة التي توصل صاحبها إلى أعلى المراتب السنية كالحجابة والوزارة.

لقد كان محمد بن سعيد هذا، هو المؤسس الحقيقي لهذا البيت بسبب ثقافته الواسعة وبخاصة في الميدان الأدبي حتى لقب بالأصمعي[2] لذكائه وقوة حفظه، فظهور هذا البيت سيتدعم أكثر فأكثر في عقبه إذ خلف ابنان هما: عبد الله بن محمد الزجالي الذي كان كأبيه "لبلاغته وحسن معرفته" وكان كذلك شاعر الأمير الذي سمح له تقلد خطة الكتابة والوزارة[3].

وسار على نفس الدرب ابنه الثاني حامد الزجالي ت 268هـ/881م الذي لزمته الكتابة إلى غاية وفاته[4]. وتولى منصب الوزارة[5]، وذلك لبلاغته وحسن معرفته بالأدب.[6]

وتوالت مثل هذه المناصب التي دعمت وجود هذا البيت وظهوره بسبب تمكنه في الأدب، فمن هؤلاء الذين ظهروا بسبب تعاطيهم الأدب عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت

1- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – ق2 – ص34.

2- الأصمعي: بفتح الألف وسكون الصاد المهملة وفتح الميم والعين المهملة في آخره، هذه النسبة الى الجد، وهو الامام المشهور أبو سعيد عبد المالك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا بن سعيد، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح، كان من أهل البصرة، وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد، وقد كان يحفظ ست عشرة ألف أرجوزة على حد قوله، وله عدة مصنفات منها كتاب "المقصور والممدود" وكتاب "الصفات" وكتاب "فعل وأفعل" وغيرها، توفي سنة 216هـ أو 217هـ/831م-832م. القفطي: انباه الرواة على أنباء النحاة – ج2 – ص197 وما يليها. ابن حزم القرطبي: جمهرة....صص245-246. الداودي: طبقات المفسرين –صص247-248. السمعاني: كتاب الأنساب – مج1 – صص186-187.

3- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص 254. ابن القوطية: المصدر السابق – ص71.

4- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص32. ابن سعيد: المصدرالسابق – ج1 – ص254.

5- ابن عذاري : البيان...ج2- ص94.

6- ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص254.

301هـ/ 913م) الذي كتب للأمير عبد الله بن محمد، واتصلت كتابته إلى القرن الرابع الهجري، وسيتواصل ظهور أفراد عدة من هذه الأسرة بسبب اشتغالهم في الأدب إلى غاية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.[1]

هذا نموذج لبيت من البيوتات لم يكن لأولهم ذكر في كتب التاريخ والتراجم، ولكن ظهور أحد أفراده، وهو محمد بن سعيد الزجالي بفضل ثقافته الأدبية أيام كانت سوقة نافعة، فارتقى بأدبه إلى معرفة الخلفاء، فبنى البيت المنيف، ونال بيته هذا ذروة المنزلة الرفيعة[2]، الأمر الذي يجعلهم يظهرون بشكل مفاجئ ويتولون مناصب عليا في الدولة الأموية، فكان كل ذلك بفضل اشتغالهم بالأدب.

يعتبر هذا البيت من أحسن النماذج التي توفرت لدينا لإعطاء الدليل على أنه بالأدب يمكن لبيت مغمور أن يظهر ظهورا مميزا ويستمر لعقود أخرى، وهذا لم يمنع من أن هناك بيوتات ظهرت بتعاطيها للأدب- شعره ونثره – واستمر وجودها ردحا من الزمن، ولنا في ذلك عدة أمثلة توضح بما لا يدعو للشك أن تعاطي الأدب كان له أكبر الأثر في ظهورها.

من البيوتات التي نود التوقف عند بعضها بقصد بيان الدور الذي لعبه الأدب في ظهورها، نذكر على سبيل المثال لا الحصر بيت بني الجد، أولهم:

أبو الحسن بن محمد بن الجد، الذي استكتبه ابن عمار لمّا ملك مرسية اعجابا بأدبه.[3]

وأبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد الذي أثنى على أدبه ابن خاقان، فمن مجمل ما قاله في حقه أنه "أرضع ثدي المعالي، المتواضع العالي... الذي جمع طبع العراق وصنعة الحجاز، وأقطع استعارته جانبي الحقيقة والمجاز، اذا كتب ملأ المهارق[4] بيانا، و

1- نحن في هذا الصدد نقتصر على أفراد هذا البيت الذين ظهروا قبل القرن الرابع الهجري.
2- ابن حيان القرطبي: نفسه- ص33.
3- ابن سعيد: المغرب....ج1-ص264.
4- المهارق: جمع مهرق، وهو عربي، من لوازم الكتابة في العهد المملوكي وهو القرطاس أي الورق الذي يكتب فيه. حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية – دار العلم للملايين – ط1 – أيلول /سبتمبر 1999م- ص214.

أرى السحر عيانا، وله أدب لو تصور شخصا، لكان بالقلوب مختصا، ولو كان نورا لكان له السماك نجدا غورا..."[1]

وقال ابن دِحْيَة: أنه كان متقدما في الأدب وأثبت له بعضا من قصائده.[2] كما برع في البلاغة، وهذا ما أكده لنا المراكشي[3]، وقد أثبت له ابن سعيد جزءا من بلاغته.[4]

ومن ذرية ابن الجد هذا، أبو عامر أحمد بن عبد الله الذي ذكره صاحب سمط الجمان بقوله: "بدر تطلع في سماه الجلاله، وغصن تفرع في أرومة الشرف و الأصالة..."[5]، وقد أثبت له المقري في نفحه أبياتا شعرية مما يدل على براعته الأدبية.[6]

يعتبر بيت بني الجد من البيوتات التي احتفظت لنا المصادر بانتاجهم الأدبي، ويكفينا في ذلك ذخيرة ابن بسام التي احتوت على نصيب لا بأس به من شعر هذه الأسرة ونثرها[7]، فبفضل اسهاماتها في هذا الميدان استطاعت أن تحافظ على ظهورها ان لم نقل على وجودها واستمراريتها الى غاية حكم يوسف بن عبد المؤمن (558هـ-580هـ/1164م-1184م).

وقد أوردت لنا المصادر أسماء لبيوتات تركت بصماتها على الساحة الأدبية، الأمر الذي أدى الى ظهورها لفترة زمنية لا يستهان بها، فخلدت أسماء أفراد عدة من هذه البيوتات، وبذلك حافظت كتب التراجم والصلات على استمرارية مثل هذه الأسر التي حق لنا أن نصفها بالأدبية.

فمن هذه البيوتات التي سنختصر الكلام عنها، نذكر.

1- ابن خاقان: قلائد العقبان في محاسن الأعيان – قدم له ووضع فهارسه –محمد العنابي – دار الكتب الوطنية – تونس – دت – ص123.

2- ابن دحية الكلبي: المطرب في أشعار أهل المغرب – ضبطه وشرحه – د/ صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان –ط1 – 1429هـ/2008م – صص164-165.

3- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب – شرحه واعتنى به: د/ صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان- ط1- 1426هـ/2006م- ص132.

4- ينظر عنها ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص263.

5- ابن سعيد: المصدر نفسه: ج1 – ص264.

6- ينظر المقري: النفح – ج4 – ص234 و ج5 – ص18.

7- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة – مج2 – ق2 – ج4 – ص414.

بيت بني مذحج بن حزم الاشبيلي، فكان أرومة هذا الأخير في هذا الميــدان، أبــو الحكم عمرو بن مدحج[1] وأخوه أبو بكر محمد بن مدحج، الا أن أخاه كان أظهــر وأكبــر وأشعر منه.[2]

ولحق بهذا البيت، بنو فرج الجياني، الذي عُدَّ بحق من الأســر الأدبيــة، وأفــراده قرضوا الشعر، وألفوا فيه.[3]

فممن ظهر منهم، باني بيت الشرف

أحمد بن محمد بن فرج (ت 366هــ أو 367هــ/976م-977م)، فقد كــان مــن المعدودين في شعراء بلده، وكان ممن يقرض الشعر الحسن.[4]

ولحق به أخوه أبو عثمان سعيد بن فرج، والذي عد هو كذلك من الأدباء الشعراء، و استمر قرض الشعر بين أفراد هذا البيت، فظهر أخو المتقدم ذكره، أبو محمد عبــد الله بن فرج، والذي كان هو بدوره ممن يحسن قرض الشعر، وما يدل على ذلك ما حفظتــه كتب التراجم لنماذج من شعره هذا.[5]

لم تقتصر كتب الأدب والتراجم والصلات على هذه العيّنات فقط، ولكن كان لأسر أخرى نصيبهم الأوفر في ظهورهم ظهورا بارزا بسبب تعاطيهم للأدب، فمن أشهر هــذه البيوتات، بيت بني برد وبيت بني شهيد، وبيت بني دراج القسطلي وغيرها من البيوتــات التي جعلت من الأدب، وبخاصة الشعر صناعتها، وسنقتضب الكلام اقتضابا عن ذكر كل البيوتات الأدبية، فسنخصص لهم حيزا أوفر عند تعرضنا لاسهاماتهم في هذا الميدان.

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، نستطيع القــول أن أبنــاء البيوتــات الأندلســية استفادت من التقاليد العلمية المتبعة في زمنهم لترسيخ نباهة بيتهم، وتخليد ذكــر أهلــيهم، فاستطاعوا كيف يستفيدون من قدراتهم العلمية والأدبية، فجعلــوا ذلــك مطيــة لتحقيــق طموحاتهم حينا، ومركبا يحتمون به كلما عصفت بهم رياح الدهر وأدارت بوجهها عنهم.

وهذا الجدول يظهر مدى اهتمام بعض الأسر بهذا الجانب

1- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص174.
2- نفسه: ج1- ص175. وينظر المقري: المصدر السابق – ج4 – ص257.
3- سنتعرض لآثارهم في موضعه.
4- الحميدي: الجذوة – ص92. الضبي: البغية –ص130. ابن الأبار القضاعي : التكملة – ج2- ص235.
5- الحميدي: نفسه- ص222. ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص235

البيت	عدد أفراده	نوعية الأدب المتوارث	الفترة الزمنية المختارة
بنو الزجالي	03	الشعر والنثر	ق 3هـ و 4هـ/ م-10م
بنو فرج الجياني	03	الشعر + التأليف فيه	ق 4هأ/ 10م
بنو الجد	02	الشعر + النثر	ق 5هـ /11م
بنو مذحج	02	الشعر	/

***اشتراك أبناء البيوتات في التأليف:**

اضافة الى اشتغال البيوتات في ميداني العلم والأدب، والتي اعتبرت من أهم مظاهر الترابط بين أبنائها، هناك عامل آخر دعّم هذا الظهور، ألا وهو اشتراك بعض أفراد هذه الأسر في التأليف، ولنا في ذلك نماذج نختصرها فيما يلي:

من البيوتات التي حافظت على ظهورها ردحا من الزمن، بيت بني حزم نذكر منهم: أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384هـ-456هـ/994م-1063م) الذي ألف كتابه الموسوم بـ: "المحلى في شرح المجلى"[1] والذي لم يستطع اتمامه اذ عاجلته المنية، فأكمله ابنه أبو رافع الفضل بن علي (479هـ-1086م).[2]

ومن بيت بني حزم العوفي السرقسطي نذكر أبو محمد قاسم بن ثابت (ت 302هـ/914م) الذي ألف كتابا في شرح الحديث سماه "كتاب الدلائل"[3] الذي بلغ فيه الغاية من الاتقان، الا أنه لم يستطع اكماله، فقام بذلك أبوه ثابت[4]، وهذا ما يؤكد اشتراك الاثنين – الابن والوالد – في تأليفه، وهو ما أكده بدوره ابن خير الاشبيلي في فهرسته حين قال: "ويقال أن قاسم وأباه ثابتا اشتركا في تأليفه."[5]

1- ينظر الفيروز آبادي : البلغة – ص120.
2- ينظر ابن حزم القرطبي: المحلى – مقدمة المحقق – ص3.
3- ينظر عنه ابن خير: فهرسة – ص191.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص283.
5- ابن خير: نفسه – صص191-192.

ويستمر هذا التواصل العلمي بين أفراد هذه الأسرة، فهذا ابن المتقدم ذكره ثابت بن قاسم بن ثابت (289هـ-352هـ/902م-962م) الذي حدث بكتاب أبيه، وكان قد أخذه عن جده ثابت بن حزم.[1]

لم يكتف هذا الحفيد بنقل تراث الأسرة فحسب، بل كانت له فيه زيادات[2]، ونتيجة لهذه الاضافات، فقد اختلط الأمر على بعض من ترجموا له، فنسبوا كتاب الدلائل السالف الذكر الى هذا الحفيد، الا ان الحميدي يؤكد على أنه رواه عن والده، فكان بذلك أجل رواياته، ثم يضيف قائلا: بأن هذا الكتاب هو من تأليف قاسم بن ثابت والده، وهذا ما أكده كذلك ابن حزم.[3]

ومن بيت بني دينار نذكر الأخوين محمد وعبد الله ابني عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار اللذين اشتركا في اختصار المبسوطة[4] التي ألفها يحي بن اسحاق بن يحي الليي القرطبي (ت 303هـ/915م)، وكان ذلك بطلب من الخليفة الحكم المستنصر بالله.[5]

لقد استفاد أبناء البيوتات الأندلسية من التقاليد العلمية المتبعة في زمنهم لترسيخ نباهة بيتهم وتخليد ذكر أهليهم، فاستطاعوا كيف يستفيدون من قدراتهم العلمية والأدبية، فجعلوا ذلك مطية لتحقيق طموحاتهم حينا، ومركبا يحتمون به كلما عصفت بهم رياح الدهر وأدارت بوجهها عنهم.

وهذا الجدول يوضح نماذج من هذه البيوتات التي اشتركت فيه أفرادها في التأليف.

1- ابن خير: المصدر السابق – ص192.

2- الحميدي: المصدر السابق – ص299.

3- الحميدي: نفسه – ص263-299. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص90.

4- المبسوطة: وهي عبارة عن مجموعة كتب في اختلاف أصحاب مالك وأقواله. طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية – نشأتها في المشرق – انتقالها الى الأندلس – دعم الأندلسيين لها – تأثيرها على أوربا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1424هـ/2004م- المجلد الثاني – ص755.

5- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص317. ابن فرحون: الديباج المذهب – ص358. وينظر عبد الكريم قبول: الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي – دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 1424هـ-1425هـ/2003م-2004م- صص103-104 وطه عبد المقصود : نفسه – مج2 – ص755.

البيت	عدد أفراده	نوعية التأليف الذي اشتركوا فيه	الفترة الزمنية المختارة
بنو حزم الفارسي	02	الفقه (كتاب المحلى)	ق 4هـ و5هـ/10م-11م
بنو حزم العوفي	02	الحديث (كتاب الدلائل)	ق3هـ و4هـ/9م-10م
بنو دينار	02	الفقه (المبسوطة)	ق3هـ/9م

إن استعرضنا لبعض أبناء هذه البيوتات الأندلسية، وقد اختصرنا الكلام عنهم اختصارا إذ ليس هدفنا التعريف بهم ثقافيا، وإنما لإثبات مدى أهمية هذه الأسر في الميدان الثقافي، و بخاصة علوم الشريعة والأدب، ولذا فقد امتلأت كتب التراجم بذكرهم وذكر أبنائهم، وهذا ما يوضح تلك الصلة التي كانت موجودة بين هذه الأسر العلمية، ومدى ارتباطها بالسلطة الحاكمة، فنتيجة لاحتكارها العلم وتمكنها في الأدب، جعل السلطة الحاكمة تجتذبهم إلى صفها، وتلحقهم بخدمتها، فكان جل اعتماد الدولة الأموية بالأندلسية في إدارة شؤون الحكم على مثل هذه البيوتات، فاشتغال هذه الأخيرة بالعلم والأدب، هو الذي أوصلها إلى بعض الخطط السنية من الحجابة والوزارة والكتابة، ولنا في بعض البيوتات نماذج يمكن الاقتصار على بعض منها.

جـ) <u>العامل السياسي</u>:

*<u>**اعتماد حكام بني أمية على البيوتات**</u>. ومن عوامل نباهة القدر وظهور البيوتات، هو اعتماد الدول المتعاقبة على حكم الأندلس على أبناء البيوتات، فقد وضعت الدولة المروانية ثقتها لمدة ثلاثة قرون خلت، في عدد لا يستهان به من البيوتات ذات الأصول العريقة منها: العربية والبربرية، فترددت بذلك المناصب الرفيعة في أبنائها الذين توارثوها كابر عن كابر، فكان منهم عدد من رجال أكفاء وقوادها ووزرائها وحجابها، فارتبطت دولة بني أمية ارتباطا وثيقا بهذه الأسر حتى أصبحوا جزءا لا يتجزأ منها، فتحولوا إلى إحدى الركائز الأساسية التي رسخت حكم بني أمية بالأندلس.[1]

لقد انتهج معظم حكام الأندلس سياسة تقريب أبناء البيوتات والاعتماد عليهم في تسيير أمور الدولة، حتى أننا لا نكاد نجد بيتا من هذه البيوتات لم يتقلد أحد أبنائه منصبا

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس- ق2- مقدمة المحقق- د/ محمود علي مكي – ص123.

من هذه المناصب السالفة الذكر، فكانت بذلك خدمة الدول المتعاقبة على حكم الأندلس من أهم المرتكزات التي قامت عليها هذه البيوتات، والمتتبع لخط سير تاريخ هذه الأخيرة يجد أن بعضها اكتسب النباهة وجلالة القدر والمنزلة الرفيعة لقربها من الحكام.[1]

لقد أعطى عبد الرحمن بن معاوية أهمية كبرى لهؤلاء الموالي، فهو أول من سار سير من يعرف الدولة ونظامها، فاعتمد على رجال من هذه البيوتات نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر بيت بني مغيث وبني غانم وبني شهيد وبيت بني عبد الرءوف وبيت بني وانسوس، وغيرها من البيوتات التي لا نستطيع الإتيان على ذكرها كلها لأنها أكثر من العد والحصر، وبذلك تأصّلت في أُسَرِهِم معرفة الإدارة وشؤون الحكم، فلم يكونوا يعتمدون إلا عليهم، وقد أخلصت[2] بعض بيوتات أولئك الموالي إخلاصا عميقا ومستمرا، حملت عن البيت الأموي جانبا كبيرا من المسؤولية.[3]

هذه العلاقة الوطيدة بين هذه البيوتات وحكام بني أمية التي قربتهم من بلاط بني أمية كانت من بين العوامل التي ساعدتها على الظهور، فلا يمكن لنا التطرق إلى هذه العلاقة التي جمعت الطرفين دون إعطاء نماذج عنها، والتوقف عند بعضها.

وفي هذا المقام سنتوقف عند أهم البيوتات الأندلسية التي كان لها باع طويل في الميدان الإداري، ألا وهو بيت بني أبي عبدة التي أولت إليهم الإمارة الأموية اهتماما كبيرا وقلدتهم أهم المناصب الإدارية.

من المناصب التي توارثتها هذه الأسرة منصب الحجابة[4] نذكر منهم أبو أمية عبد الغافر بن حسان بن أبي عبدة، إذ سمّاه عيسى الرازي في حُجَّاب هشام الرضَى بن عبد الرحمن بن معاوية (172هـ-180هـ/788م-796م)، كما تولى أخوه عبد العزيز بن

1- عبد السلام شقور: البيوتات الأندلسية – ص254.

2- لم تكن البيوتات دائما مخلصة للبيت الأموي، فهناك أفراد من الأسر خرجت عن طاعته، فعبد الرحمن بن مروان بن يونس الجليقي خرج عن الطاعة سنة 261هـ/864م. ينظر عنه ابن القوطية: المصدر السابق – صص74-76. وابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – صص343-344. ابن عذاري : البيان...ج2 – ص102 و كذا بيت بني هابل على عهد الأمير عبد الله. ابن عذاري : نفسه – ج2 – ص136.

3- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس – دار الرشاد – القاهرة – ط3 – 1406هـ/1999م– ص299. نفسه – فجر الأندلس – ص468.

4- كانت الحجابة في الأندلس لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، فيكون بذلك واسطة بينه وبين الوزراء فما دونهم، فلذلك كانت من الخطط الرفيعة. ابن خلدون: المقدمة – ج2 - ص 640.

أبي عبدة نفس الخطة للحكم بن هشام الرضى (180هـ-206هـ/796م-822م) بعد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.[1]

كما تولاها حفيد هذا الأخير، عيسى بن حسن بن عبد الغافر على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بعد الحاجب عيسى بن شهيد، على الرغم من أن المصادر الأندلسية لا تمدنا بمعلومات وافية عنه فيما عدا ابن حيان[2]. كما شغل منصب حجابة الأولاد أبو عثمان عبيد الله بن محمد والذي كان صاحب الشرطة العليا (ت 296هـ/909م)، وهي خطة مستقلة عن الحجابة، فأبو عثمان هذا حجب الأمير محمد وهو ولي العهد.[3]

كما تولى بعض أفرادها منصب الوزارة، حيث قام عبد الرحمن الداخل بتولية أبي عبدة حسان بن مالك على هذه الخطة بعد تقديمه يد العون للداخل[4]، فورث هذه المكانة ابنه أبو أمية عبد الغافر بن حسان، فولاّه على نفس الخطة[5]، كما تصرف الابن الثاني عبد العزيز بن حسان الوزارة على عهد الحكَم بن هشام[6]، ولحقه في ذلك حفيده حسن عبد الغافر إذ أشار ابن حيان في سياق حديثه عن تعداد وزراء الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى تقلده هذا المنصب[7]، وتولى أحد أحفاد عبد الغافر وهو أبو عثمان عبيد الله بن محمد (ت 296هـ/909م) الوزارة على عهد الأمير عبد الله، وقد نال هذا المنصب عن جدارة واستحقاق بسبب حسن بلائه في مواجهة المارق عمر بن حفصون وانتصاره عليه.[8]

وهناك مناصب أخرى تولاها أفراد هذه الأسرة منها ولاية الشرطة، فكان أول من تقلدها منهم أبو أمية عبد الغافر حسان أيام الأمير هشام بن عبد الرحمن[9]، وعباس بن احمد بن محمد (ت302هـ/914م) الذي كان صاحب الشرطة العليا سنة

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس- السفر الثاني – صص189-190. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص17.

2- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص152. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص93

3- نهلة شهاب أحمد: أسرة أبي عبدة ودورها في تاريخ الأندلس في عهد الولاة والامارة (92هـ-316هـ) مجلة البحث العلمي– يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي– الرباط – العدد– 35 – 1405هـ/ 1985م – صص58-59.

4- مجهول: أخبار مجموعة... ص136. ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق – ج2 – ص48. المقري: المصدر السابق – ج3 – ص309.

5- ابن الأبار القضاعي: الحلة... ج1 – ص247 و ج2 – ص30.

6- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص190.

7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص29.

8- نفسه

9- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص61.

301هـ/913م[1]، أضف إلى ذلك ولاية الأقاليم، إذ استأثر بعض أفرادها بهـذه الخطـة، باعتبار أسرة أبي عبدة كانت من المدافعين عن الدولة الأموية ولم تخرج عن طـاعتهم[2]، وكان أولهم في هذه الفترة أبو عثمان عبيد الله بن محمد (296هـ/909م) إذ ولاه الأمير عبد الله على كورة جيان[3]، ثم توارثها أفرادها في العهد الذي أعقبت فترة الإمارة.[4].

وقد لحق بهذا البيث بيت بني غانم، إذ كان بيتهم "بيت أدب راسخ وفهم وكتابـة و لياقة ومروءة".[5] فثقافة هذا البيت هي التي جعلت حكّام بني أمية يعتمدون عليه فـي إدارة الحكم، ولذلك كله تولوا مناصب عليا في دولتهم، وهذا ما نستشفه مـن خـلال تعرضـنا لأفراده الذين تولوا أرقى المناصب في الدولة الأموية.

أولهم عبد الحميد بن غانم الذي كان على رأس هذه الأسرة المشهورة، إذ كان مـن كبار رجالات الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصاحب الرجالة، حيث اسـتعان بـه فـي القبض على الثائر يحيى بن يزيد التجيبي وكان هذا الأخير يتولى خطة القضاء.[6]

أما ابنه عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم، فكان من سـراة الـوزراء وأولـي الأحلام على عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ومن بين أعاظم وزراء هـذا الأخيـر، حيث تصرف له في خطط عديدة منها: الحجابة والوزارة وولاية المدينـة وغيرهـا مـن الخطط السنية، وكان يتقاضى عليها أجرا يقدر بثلاثمائة وخمسين دينار.[7] إلى غاية وفاتـه سنة 210هـ/826م بالسجن.[8]

وما قيل عن الجد والابن، يقال عن الحفيد وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بـن غانم (ت272هـ أو 292هـ/886م أو905م) الذي كان من الوزارء الأجلاء ممن كـان يعتز بهم الأمير محمد بن عبد الرحمن، فقد ولي خططا عدة منهـا: الـوزارة والمدينـة

1- ابن عذاري: المصدر السابق- ج2 – ص 165-167
2- ابن حيان القرطبي: القسم الثالث – ص68.
3- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج1 – ص146-247.
4- نحن بهذا الصدد اعطاء نماذج عن أفراد هذه الأسرة الذين ظهروا قبل القرن الرابع الهجري (10م).
5- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص174.
6- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص48. مجهول: أخبار مجموعة...ص154.
7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – صص295-296. ابن القوطية: المصدر السابق – ص59.
8- ابن حيان القرطبي: المقتبس – القطعة الثانية – ص77.

والكتابة بسبب أنه "كان كاتبا مرسلا بليغا"، ونتيجة لثقافته الواسعة بقي يتناوب على هـذه الخطط إلى غاية وفاته سنة 292هـ/905م، وهذا ما يدل على جلة قدره في الدولة.[1]

وسيتألق نجم هذا البيت ويظهر على الساحة الأندلسية أكثر فأكثر في بـاقي أفـراد هذه الأسرة، نذكر ابنا المتقدم ذكره محمد وعبد الرحمن، إذ كان كباقي أفـراد بيـتهم، إذ ولى الثاني المدينة والوزارة والكتابة وارتفع – كسلفه – قدره في الدولة.[2]

هذان نموذجان لبيتين كان للعامل الثقافي دوره في تعلقهما بحبال السياسـة، وتقلـد أفراده لمناصب رفيعة في الدولة الأموية، مما أدى إلى ظهورها على السـاحة السياسـية بالأندلس واعتماد الدول المتعاقبة على عدد كبير من أمثال هذه البيوتات، فما نكاد نتصفح كتاب المقتبس لابن حيان إلا ونجده يتحدث عن مشاركة أسر بأكملها فـي إدارة الحكـم، واليك مستخرجا من كتابه هذا على سبيل المثال لا الحصر، فلو ذكرنا كل مـا ورد فيـه لكان لنا فيه غنية.

يذكر ابن حيان في تعداد وزراء عبد الرحمن بن الحكم "وكان قد اجتمع إليـه مـن سراة الوزراء وأولي الأحلام والنهي وذوي المعرفة والحجا رهط لم يجتمع شرواهم لمـن قبله ولا بعده من الخلفاء، منهم: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، الحاجـب الكاتـب القائد، وعيسى بن شهيد ويوسف بن بخت وعبد الله بن أمية بن يزيد، وعبد الرحمن بـن غانم، وعبد الرحمن بن رستم وعيسى بن عبد الغافر بن أبي عبده، وعبد العزيز بن هاشم بن خالد، وغيرهم ممن لا يتخلف عن هواهم".[3]

ونفس النصوص تتكرر، حيث تورد مدى أهمية الأدوار التي أسندت لهذه البيوتات في تسيير شؤون الدولة، فعلى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن يذكر معاوية بن هشـام الشبينصي[4] ما نصّه: "مما يؤثر من كريم أفعال الأمير محمد في مواليـه وأهـل خدمتـه وركوبه سنن سلفه في إحياء بيوتات الشرف في دولتهم، وإجراء الأيادي عندهم".[5]

1- ابن حيان القرطبي: المصـدر السـابق – ق2 – ص 141-172-174-177-271. ابـن الأبـار القضـاعي: الحلة...ج1 – ص162 – ج2 – ص374. المقري: المصدر السابق – ج4 – ص175.

2- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – ق2 – ص174.

3- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص295.

4- هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد بن الأمير هشام بن عبد الرحمن. ولمزيد من المعلومات عنه، ينظر ابـن الأبار القضاعي: التكملة – ج2 – ص183. ابن حزم : جمهرة – ص96

5- ابن حيان القرطبي: نفسه – ق2 – ص143.

مثل هذه النصوص تبين ذلك التواصل الذي كان بين أبناء البيوتات في خدمة أمراء بني أمية، وقد اعتمد عليهم هؤلاء لتسيير شؤون البلاد، وسيستمر الاعتماد عليهم إلى غاية انقضاء الدولة الأموية. فاعتماد الدول المتعاقبة بالأندلس لم يأت من فراغ، بل لما كانت تتمتع به من مكانة علمية رفيعة، و هذا ما يتأكد لنا جليا بعد وفاة الوزير الكاتب حامد الزجالي السالف الذكر، الذي ترك فراغا في خطة الكتابة، فتطلع إليها قوم من جلة الموالي من الوزراء وغيرهم، فاختار الأمير واحدا من هذه البيوتات وهو عبد الملك بن عبد الله بن أمية وقلده الكتابة.[1]

د) العامل العسكري:

هناك بيوتات ظهرت بفضل خدمتها للدول المتعاقبة بالأندلس، وهذه المرة عسكريا، حيث أسندت لها عدة مهام من هذا النوع منذ الفتح الإسلامي لها نذكر منها بيت بني ثعلبة بن عبيد الجذامي، وبنو ثعلبة بن عبيد هؤلاء كانت لهم بالأندلس "رياسة وتفرع، وولاتهم معروفة"[2] وأما الذي ساعدهم على الظهور، أن معظم أفرادها تولوا عدة مناصب عسكرية بسبب تلك الظروف التي كانت تعيشها أرض الأندلس بين الفينة والأخرى، وهذا ما سيتوضح لنا جليا عند تعرضنا لأهم قادة هذا البيت.

يعتبر ثعلبة بن عبيد الجذامي[3] جدهم – وهو إذ ذاك من وجوه أهل فلسطين من جذام – لم يكن يومها من القواد البارزين، إلا أن عبد الرحمن بن معاوية قربه منه عندما أعلمه ابن عبيد هذا بما يدبر له من قتله، الأمر الذي أدى بابن معاوية إلى ضم مواليه وجعلهم حرسه الخاص، كان منهم بيوتات تتمتع بالثروة والعدد، فمنذ تلك اللحظة ستسند له عدة مهام عسكرية منها: الوقوف في وجه الثائر بسرقسطة المدعو سليمان بن اليقضان الأعرابي سنة 164هـ/780م، فنازل أهل هذه المدينة، وقاتلهم أياما إلى غاية أسره.[4]

1- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق – ص143.

2- ابن حزم: المصدر السابق- ص421.

3- الجذامي: بضم الجيم وفتح الذال المعجمة، هذه النسبة الى جذام ولخم، وجذام قبيلتان من اليمن نزلتا الشام، وجذام هو الصدف بن شوال بن عمرو بن دعمي بن زيد بن حضر موت، ويقال: انه الصدف بن أسلم بن يزيد بن مالك بن زيد بن حضر موت الأكبر. السمعاني: الأنساب – مج2 – ص56.

4- مجهول: المصدر السابق – ص156. ابن الدلائي: المصدر السابق – ص25.

لقد كانت بداية ظهور هذه الأسرة بعد تولي هذا الجد مثل هذه المهام العسكرية والتي سيتوارثها أبناؤه من بعده، فامتلأت كتب التاريخ التي اهتمت بعدد لا يستهان من أفراد هذه الأسرة بهذا الميدان، فمن عقب هذا الجد وردت عدة أسماء نذكر منها:

عبد الله بن كليب بن ثعلبة الذي أسندت إليه عدة مهام عسكرية نذكر منها أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أوكل له مهمة عسكرية سنة 211هـ/826م. لمواجهة بربر أهل ماردة و استطاع عن طريقها دخول قورية.[1]، كما أشترك في صائفة 226هـ/841م مع المطرف ابن الأمير عبد الرحمن، وكان أيامها من الكتاب، فافتتحوا أشونة وطرطانة[2]، كما شارك في مواجهة خطر المجوس (النورمان) باشبيلية سنة 230هـ/845م.[3]

وأخوه عامر بن كليب الذي خرج مع جيش الأمير عبد الرحمن، وكان متقلدا أيامها خطة الشرطة سنة 215هـ/830م إلى الثغر[4] ، ونتيجة لخبرته العسكرية فقد ولي على طليطلة سنة 226هـ/840م مكان أخيه عبد الله بن كليب[5]، وابنه عامر بن عامر بن كليب الذي كان من وجوه الموالي في عسكر السلطان.[6]

ومن عقب هذه الأسرة، نذكر اسم قائدين من قواد الأمير عبد الله بن محمد هما: كليب بن محمد بن كليب القائد وابن عمه عبد السلام بن عبد الله بن كليب اللذين أخرجهما الأمير محمد بن عبد الرحمن لمواجهة المجوس سنة 247هـ/861م، وكان عبد السلام هذا من القواد الشجعان الذين أوكلت لهم مهمة حراسة مدينة رية، كما استطاع دحر هجومات المجوس على أهل الجزيرة فولوا الأدبار أمام حنكة عبد السلام هذا وبلائه الحسن في هذه المعركة، وهذا ما أدى بشاعر الجزيرة عبد الله بن محمد الموروري لأن يخلد اسمه في قصيدة شعرية يمتدحه بها، فمما جاء فيها:

وَكَانَ كُلَيْبٌ فِي إِدَارَةِ حَرْبِهِ ⟡ كَحَالِمِ أَضْغَاثِ الكَرَى وَهُوَ نَائِمُ.[7]

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص421.
2- نفسه – صص445-446.
3- نفسه – ص451. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص87.
4- ابن حيان القرطبي: نفسه – ص424.
5- نفسه – ص446.
6- ابن حيان القرطبي: المقتبس – القطعة الثانية – ص157. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص54.
7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – صص312-314.

لقد استطاع هذا البيت أن يخلد وجوده في المصادر الأندلسية وغيرها من كتب التاريخ والتراجم، إلا أن ظهوره قد توطد بفعل تلك الانتصارات التي كان يحققها بعض أفراد هذه الأسرة، فالشعراء الذين كانوا يرافقون مثل هذه الجيوش عملوا على تخليد أسماء من أمثال هؤلاء القواد الشجعان الذين فرضوا وجودهم على ساحة الوغى، وهذا ما ينطبق على بيت بني ثعلبة بن كليب هذا.

وقد لحق بهذا البيت، بيت أخر كان للعامل العسكري دوره في ظهوره ألا وهو بيت بني مغيث الرومي، فجدهم مغيث هذا هو الذي أسندت له مهمة فتح قرطبة في حملة طارق بن زياد[1]، ومن عقبه عبد الواحد بن مغيث (ت 198هـ/814م) الذي فتح أربونة على عهد هشام (172هـ-180هـ/788م-796م).[2]

ومن نسل عبد الواحد هذا ثلاثة أبناء كلهم خدموا بني أمية، منهم: عبد الحميد بن مغيث[3] الذي عهد له الأمير محمد بن عبد الرحمن بعد إنشائه للمراكب سنة 266هـ/880م قيادتها، فقدمه عليها ليقودها إلى البحر المحيط.[4]

وأخو المتقدم ذكره عبد الملك عبد الواحد بن مغيث القائد، حيث تولى للأمير هشام الرضى ولاية سرقسطة[5]، واغزاه سنة 177هـ/793م إلى أرض الروم، وهي من الغزوات الشهيرة التي أشرف فيها على بلاد المجوس، فخرب القرى والحصون وأوقع بمدينة أربونة.[6]

وأبرز هؤلاء الإخوة على الإطلاق هو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الذي كان من أكابر رجال الدولة الأموية على حد قول أحمد الرازي: "كان أحد رجال الكمال المعدودين الأراجح بالأندلس، جامعا للخصال التي بخصلة منها يرتقي صاحب الدنيا إلى الذروة، إذ كان فارسا شجاعا..."[7]

1- ابن القوطية: المصدر السابق – ص99.

2- ابن القوطية: نفسه – ص46. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص17.

3- ينظر عنه: Levi provençal : L'Espagne Musulmane aux 10em Siecle – p152.

4- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص104، وقد ذكره تحت اسم عبد الحميد الرعيطي المعروف بابن مغيث.

5- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1- ص135.

6- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص64.

7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص188.

إضافة إلى الخطط الرفيعة التي تولاها[1]، فقد أسندت له قيادة بعض الحروب الجسام ضد العدو بالداخل والخارج، ففي سنة 179هـ/795م أوكل له الأمير هشام مهمة إلى أرض العدو والتي وصل فيها إلى مدينة أسترقة داخل جليقية[2] ، كما أخرجه الأمير الحكم الربضي لمحاربة عمروس الذي خلع الطاعة له بسرقسطة[3]، ومحاربة بلاد المشركين سنة 200هـ/815م حتى أشرف على آرون، فدخلها وحطم زروعها[4]، كما أسندت له مهمة القيادة على عهد عبد الرحمن بن الحكم في غزوة ألبة والقلاع[5] [6]، وبقي هذا القائد العسكري المحنك يقود الجيوش لأمراء بني أمية إلى غاية وفاته في الغزوة الأخيرة سنة 209هـ/825م.[7]

وقد لحق بهذين البيتين بيت بني أبي عبدة السالف الذكر، والذي ظهر على الساحة السياسية، كما سيظهر ظهورا بارزا كذلك في الميدان العسكري، وهذا ما سنستشفه من خلال تعرضنا لأفراده الذين كان لهم اليد الطولى في مواجهة أعداء الدولة الأموية داخليا وذلك بقمع الفتن الداخلية وحركات التمرد، وخارجيا: رفع لواء الجهاد لموجهة اعدائهم من المماليك الاسبانية والنورمان.

أما داخليا: فقد استطاع عدة أفراد من هذه الاسرة أن تواجه المخاطر التي كانت تواجه الدولة، فقد استطاع عبيد الله بن محمد بن الغمر، وكان حينها عاملا على جيان، الذي خرج لمحاربة أحد المخالفين للأمير عبد الله والممثل في الثائر سعيد بن عبد الله بن

1- ينظر عنها: ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1 – ص136. ابن عذاري: المصدر السابق– ج2 – ص 75-80.
2- ابن عذاري: نفسه – ج2 – صص 64 -65
3- ابن الأبار القضاعي: نفسه... ج1 – ص136. ابن حيان القرطبي: نفسه – ص133.
4- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص75.
5- ورد اسم هذين العلمين عند ابن الدلائي: المصدر السابق – ص37 – وأما ألبة: فهو اسم علم يقع هذا الاقليم عند منابع نهر إبره على الضفة الشمالية له، وأصل تسميته غير معروفة، فمنهم من ذهب الى أصله (Urba)، اذ أن هذا الاسم لم يظهر الا بعد دخول المسلمين الى الأندلس. أما القلاع، فوردت عند ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج1 – ص135. ويراد بها المنطقة التي تعرف اليوم بقشتالة القديمة، وسماها العرب كذلك لكثرة قلاعها. ينظر ابن الأبار القضاعي: نفسه – صص 135-136. Christophe (P) : Le Portugal Musulman (VII- XIII siècle)- L'occident d'Al-Andalus- Maisonneuve et larose- 2000 – P36 – 119 – 120.
6- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص81. ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص418.
7- ابن حيان القرطبي: المقتبس – القطعة الثانية – ص77.

خنجر، و قد استطاع هذا القائد أن يلحق به هزيمة نكراء ويأسر منهم خمسة وسبعين رجلا.[1]

لم يكن هذا القائد مجرد رجل حرب فقط، بل كان ممن يقترحون الخطط العسكرية، منها تلك الخطة التي اقترحها على الأمير ونالت رضا هذا الأخير والتي كانت سببا في هزيمة الثائر عمر بن حفصون، فكان ذلك سببا في توطيد مكانة هذه الأسرة العسكري.[2]

وسار على نفس الدرب كل من سلمة بن علي بن أبي عبدة وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة، اذ قادا الخيل بالصوائف، فهذا يدل على أنهما قاما بأدوار فاعلة لكي يتخلصا من أعداء الدولة الذين تمردوا على السلطة المركزية آنذاك.[3]

وأبرز قواد هذا البيت الجليل هو:

أبو العباس احمد بن محمد بن أبي عبدة، الذي كانت له حنكة سياسية وخبرة عسكرية، فقد استطاع أن يقضي على عدد من الثورات، وقد تحمل عبء القيادة بعد مقتل عبد الملك بن عبد الله بن أمية.[4] [5]

فمن هذه الثورات التي خاضها هي ثورته ضد عمر بن حفصون سنة 284هـ/897م وقد عرفت هذه الغزاة بغزوة الجزيرة واستطاع القائد ابن أبي عبدة أن يحرز انتصارا باهرا على ابن حفصون.[6]

وقد ورث القيادة ابني المتقدم ذكره، وهما:

عباس وعيسى ابنا أحمد بن محمد، فقد شاركا أباهما في قمع بعض حركات التمرد في كل من لبلة وشريش واشبيلية وكان ذلك سنة 284هـ/897م.[7]

1- ابن حيان القرطبي: المقتبس – نشر ملشور انطونيا – صص51-52.

2- نفسه – ص95.

3- ابن عذاري: البيان – ج2 –ص152. ولا يفيدنا ابن عذاري سوى بهذه المعلومة بأنهما قادا الصوائف، ولا يزيد على ذلك.

4- وقد جمعت له الوزارة والقيادة، وعندما بعث الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة سنة 283هـ/896م، وكان معه عبد الملك بن أيمن، ففتك بهذا الأخير لعداوة بينهما – لم يحددها ابن خلدون – وخلفه في هذا المنصب ابنه أمية. ابن حيان القرطبي: المصدرنفسه – ص5. ابن خلدون: العبر – ص987.

5- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس – ص86. مجهول: أخبار مجموعة – ص175.

6- ينظر عن تفاصيل هذه الغزوة: ابن حيان القرطبي: المصدرنفسه –ص119 وما يليها و ينظر خالد الصوفي: المرجع السابق – ج2 – صص295-296.

7- ابن حيان القرطبي: المصدر السابق– ص120.

وخارجيا: فقد تحملت هذه الأسرة عبء محاربة الممالك الاسبانية الثلاث، وهي: مملكتا ليون وقشتالة ومملكة النافار ومملكة الثغر القوطي، وممن اشتهر بالقيادة من أفراد هذه الأسرة نذكر.

عيسى بن الحسن بن أبي عبدة والذي استطاع ان يتوغل باشبيلية ويدوخ أرض العدو ويجوب ذلك في غزوة ألبة[1] والقلاع[2] والمعروفة في المصادر الأندلسية بـ: "وقيعة المركويز"[3] المشهورة[4]، اضافة الى تلك الصوائف التي شارك فيها كقائد عسكري، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، وكان ذلك على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238هـ-273هـ/852م-886م) حيث كانت ملاقاته لمراكب جيوش المجوس الذين قاموا باستباحة اشبيلية واحتلال الجزيرة الخضراء، فاستطاع هذا القائد من الذود عليها.[5]

ومن أبرز قواد هذه الأسرة هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة الذي قاد الصوائف لعبد الرحمن الناصر، وبخاصة تلك الحملة التي وجهها هذا الأخير الى أرض العدو بمملكة ليون (304هـ/916م)، ردا على تلك الحملات التي وجهها هؤلاء سنة (302هـ/914م) والتي أودت بحياة ابنه العباس بن أحمد[6]. اضافة الى غزوة لبلاد قشتيلية سنة (305هـ/917م).[7]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، يظهر لنا جليا مدى اعتماد حكام بني أمية ببعض أفراد هذه الأسرة، فمشاركتهم في مثل هذه الحروب خلد اسمهم منذ دخول جدهم الأول حسان بن مالك الى آخر أفرادها.

1- ألبة: (ALAVA) هو اسم علم، ويقع هذا الاقليم عند منابع نهر إبره على الضفة اليمنى (الشمالية) للنهر، وأصل تسميته غير معروفة، فمنهم من ذهب الى أن أصله (URABA) أو عربه (Araba)، اذ أن هذا الاسم لم يظهر الا بعد دخول المسلمين الى الأندلس. ينظر ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء – ج1 – هامش رقم2 – صص135-136. وينظر .Levi Provençal : La descrition...p104

2- القلاع: وردت عند ابن الأبار، ويراد بها المنطقة التي تعرف اليوم بقشتالة القديمة، وسماها العرب كذلك لكثرة قلاعها. ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج1 – ص135 وينظر هامش 2 من نفس المصدر – ج1 – ص136.

3- ينظر عنه: ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 –ها: 519 – صص605-606.

4- نفسه: ص312-319.

5- نفسه – ص308-312.

6- ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبار بلد الأندلس – تحقيق: ب – شالميتا و ف. كورنتي و م. صبح – المعهد الاسباني العربي للثقافة – كلية الآداب الرباط – مدريد – 1979م– القطعة 5 – ص107-127.

7-ابن حيان: تفسه ـــ ص135. ابن عذاري: البيان المغرب – ج2 – ص170.

وهذا الكلام ينسحب على أسر أخرى كان لها نفس الحظ الذي كان لهــذه البيوتــات نخص بالذكر منهم:

بيت بني جهور اليختيون، وكان على رأس هذه الأسرة، أبو الحجاج يوسف بن بخت[1] الفارسي الذي كان في جيش طالعة بلج بن بشر القشيري[2] سنة 123هــ/741م، وقــد عهــد هشام بن عبد الرحمن (172هــ-180هــ/788م-796م) ببعض مناصب القيادة في دولته اذ قاد له الحملة التي توجهت الى جليقية سنة (176هــ/792م)، فالتقى بــ: "برمــود الكبيــر" "Vermudo" وهزمه هزيمة ساحقة، فبلغ الفيء في هذه السنة تسعة وثلاثين ألفا.[3]

ومن أحفاد هذا القائد ظهر محمد بن عبد الملك بن جهــور (ت 273هـــــ/886م) اذ أسند له مهمة الغزاة لصائفة سنة (264هــ/877م) على عهد الولد المنذر بن الأمير محمــد حيث اقتحم بجيشه سرقسطة والذي استطاع أن يحدث بها عدة أضرار بزروعها وعماراتها، ثم تقدم بعدها، فتغلب على بني قسي فانتسفها – على حد قول ابن حيان – الى أن وصل الى بنبلونة وأعمل سيفه في أهلها[4]. اضافة الى مقاومته لبعض الخارجين عن السلطة المركزية، منها: مقاومته لعمر بن حفصون واستطاع بفضل كفاءته العسكرية تحقيق نصر ساحق عليــه وكان ذلك في سنة 273هــ/886م.[5]

وقد لحق بهذه الكوكبة بيت بني عمروس (ت 198هــ/814م) الذي ولاه الحكم بــن هشام (180هــ-206هــ/796م-822م) القيادة حين ثار بطليطلة الى جانبه الذين قاموا بقتل هذا الثائر، دون تكبد هذا القائد لخسائر جسيمة في صفوف جيشه.[6]

ومن ذرية عمروس هذا، عمروس بن عمروس بن يوســف (ت 262هـــــ/876م) الذي ولي على مدينة وشقة واعمالها سنة (275هــ/888م) فأصبح قائدا لهذه المدينة الــى غاية وفاته.[7]

1- تنظر ترجمته عند ابن الأبار: الحلة السيراء ــ ج2 ــ ص375.
2- يسميه ابن القوطية: يوسف بن جميل، وهو خطأ – المصدر السابق – ص69
3- ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج2- ص375. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – صص63-64.
4- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص385.
5- ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص106.
6- ابن عذاري: المصدر السابق– ص63. وعن خروجه عن السلطة المركزية ينظر ابن حيان القرطبي: المقتــبس – السفر الثاني – ص105 وصص119-121. ابن عذاري: نفسه – ج2 – صص69-70
7- ابن حيان القرطبي: نفسه – ق2 – صص331-332.

ومن البيوتات الكبرى التي تولت القيادة العسكرية بيت بني حدير، أولهم: أبو موسى حدير المعروف بالمذبوح، اذ يفهم من كلام ابن عذاري أنه ولي ماردة ليمنع دخول سليمان بن عبد الرحمن أخو هشام الرضى من دخول هذه المدينة، وقد استطاع هزيمته، وكان ذلك سنة (173هـ/789م).[1]

وقد استمرت القيادة في هذا البيت والمتمثلة في شخص الوزير أبي عمر أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير (255هـ-327هـ/868م-938م) اذ أوكل له عبد الرحمن الناصر مهمة قيادة الجيش سنة (301هـ/913م) لفتح اشبيلية، و كان أول قائد أنفذه الأمير لملاينة أهل هذه المدينة واستمالتهم للطاعة.[2]

وبحنكة هذا القائد وخبرته العسكرية استطاع دخول "ببشتر" ويطمئن الثائر حفص بن عمر ويسكن من روعه، وكان ذلك سنة (316هـ/928م)[3]، كما استطاع هذا القائد من احراز النصر على أعدائه بالثغر الأعلى (طليطلة) عندما رام العدو التسلل اليها.[4]

وكما كانت لأسرة بني حدير موطئ قدم في توليها للخطط السنية الرفيعة كالحجابة والوزارة، فقد كان لها النصيب الأوفر في قيادة الجيوش الأمر الذي خلد ذكرهم لكل من رام أن يؤرخ للأحداث العسكرية التي مرت بها الأندلس منذ القرن الثاني الهجري الى القرن الرابع الهجري (8م-10م).

هذه نماذج لبعض البيوتات والتي كان لها الدور الحاسم في تسيير شؤون الدولة عسكريا، فصار هذا العامل سببا في ظهورها ردحا من الزمن، واليك هذا الجدول الذي يوضح توارث الأبناء القيادة العسكرية

البيوتات	عدد أفرادها	مواجهتهم للأعداء داخل البلاد وخارجها	الفترة الزمنية المختارة
آل أبي عبدة	07	مواجهتهم للتمردات الداخلية وقمعها، مثل: فتنة بني حفصون، وكذا محاربتهم للممالك الاسبانية	ق2هـ و4هـ/8م-10م
بنو ثعلبة الجذامي	06	القيادة العسكرية في عدة مدن منها: أشونة – طرطانة وطليطلة.	ق 2هـ و 3هـ/8م-9م

1- ابن عذاري:المصدر السابق – ج2 – ص62.
2- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق5 – ص70.
3- نفسه: ق5 – ص220-230.
4- نفسه: ق5 – ص288. ابن عذاري: نفسه – ج2 – صص204-205.

		مواجهتهم لخطر المجوس (النورمان) وحماية الثغور	
بنو مغيث الرومي	04	مقاومتهم للفتن الداخلية كفتنة عمر بن حفصون مقاومتهم للمجوس (النورمان)	ق 2هـ-3هـ/8م-9م
بنو جهور البختيون	02	مواجهتهم للأعداء بـ: جليقية – سرقسطة - طليطلة	
بنو حدير	02		
بنو عمروس	02		

هذه جملة من العوامل التي ساعدت كثيرا على ظهور هذه البيوتات حتى أصبحت ظاهرة ميزت تاريخ الأندلس برمته، وما يدل على أهمية هذه العوامل مجتمعة، فعند تتبعنا لتشكل مثل هذه الأسر نلاحظ تلك الحلقة المفرغة التي واكبت هذا الظهور، وهذا ما يتوضح لنا من خلال هذا الجدول.

البيوتات	الجد الداخل	مراحل ظهورها	اختفاء البيت التقريبي	المدة	الظهور مرة أخرى
آل الخالدين	عبد الله بن خالد الالبيري	قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية	من 138هـ الى 238هـ	100 سنة	من 238هـ الى 395هـ[1]
بنو شهيد	شهيد بن عيسى	188هـ. أخريات أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية	من 278هـ الى 316هـ	38 سنة	من سنة 316هـ تقريبا الى سنة 393هـ[2]
بنو جهور المرشاني	عبد الرحمن بن موسى الهواري	أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية	من سنة 197هـ	248 سنة	في القرن الرابع الهجري[3]
بنو عباد	عطاف	في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة 123هـ	من سنة 123 هـ	291 سنة	من 414هـ الى 484هـ[4]
بنو الزجالي	غياب تام وعدم ذكر للجد الداخل للأندلس	على عهد عبد الرحمن بن الحكم	تواصل وجوده	//	//[5]

من خلال استقرائنا لهذا الجدول، نلاحظ تلك الحلقة المفرغة التي واكبت ظهور هذه النماذج من البيوتات، فمثلا بعض الأسر تسجل ظهور الجد مؤسس هذا البيت أو ذاك، ولكن سرعان ما نلاحظ اختفاء مفاجئ له، ثم يعود للظهور مرة أخرى، وهذا الكلام

1- ابن القوطية : المصدر السابق – ص35
2- ابن حيان القرطبي: المقتبس – السفر الثاني – ص222. ابن الأبار القضاعي: الحلة...ج1- ص238.
3- عياض: ترتيب المدارك... ج2- ص261.
4- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص153. ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص34.
5- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق2 – ص34.

ينسحب على آل الخالدين الذين يضربون بجذورهم إلى الجد الأعلى باني هذا البيت وهـو عبد الله بن خالد الالبيري.

ونفس الكلام ينطبق على بيت بني شهيد الذي ظهر في أخريات الأمير عبد الرحمن بن معاوية، إلا أنه سيختفي مدة تدوم 38 سنة ليعود للظهور مرة أخرى، وسيحافظ علـى هذا الظهور مدة 77 سنة، ليختفي بعدها.

أما بيت بني جهور المرشاني، فكان ظهور جدهم أبي موسى الهواري على عهـد الأمير الداخل، ليسجل غيابا دام مدة 100 سنة ليعود للظهور في القرن الثالث الهجري.

إن تفسير هذه الظاهرة يعود إلى:

أ- اعتماد بعض البيوتات على الجانب السياسي في ظهورها، ولكن سرعان ما يكبـو بها فرس السياسة مما يضطرها للاختفاء عن الأنظار.

ب- ارتكاز بعض الأسر على الثراء الذي سهل عليها عملية الظهـور فـي بـدايات أمرها، ولم تقم بتدعيمه بجوانب أخرى- كالاشـتغال بـالعلم والأدب – فبفقـدها لمكانتها الاجتماعية تفقد وجودها على الساحة الأندلسية.

ج- في حين نجد أسرا اختصت بعلم من العلوم، ولم تقم بتوسيع مـداركها الثقافيـة، فأصبحت حبيسة ذلك العلم، وفي المقابل قد تظهر أسر علمية قوية، وخاضت فـي ميادين معرفية شتى فبالضرورة ستنسحب الأولى من الساحة لحساب الثانية.

يظهر لنا من خلال ما تقدم ذكره، أن للهجرات المشرقية والمغربيـة نحـو بـلاد الأندلس كان لها أكبر الأثر في ميلاد طبقة اجتماعية، والتي ستعرف في أدبيات التـاريخ بـ: "ظاهرة البيوتات" والتي ستتفاعل ايجابا مع هذه الأرض التي وطئت أقدامها بهـا، الا أن ما يلفت انتباه كل من يروم البحث فيها، أن ذكرها سيتكرر في مضان كتـب التـراجم والصلات، لا لشيء الا لأنها أولت للجانب الثقافي أهمية كبرى، فخاضت بذلك في ميادين معرفية شتى، فكانت علوم الشريعة هي أولى العلوم التي نالت اهتمامات هـذه البيوتـات، فأنجبت لنا هذه الظاهرة أسرا حق لنا أن نطلق عليها اسم "البيوتات العلميـة" وهـذا مـا سنستشفه من خلال تناولنا لاسهاماتها في هذا الميدان.



إسهامات البيوتات في العلوم النقلية

1) نماذج من البيوتات وأبرز علمائها في الفقه.

أ ـ بيوتات من الطبقة الأولى

ب ـ بيوتات من الطبقة الثانية

2) مشاهير بيوتات علم الحديث وانجازاتها فيه

أ ـ مشاهير البيوتات وانجازاتها

ب ـ مشاركة بيوتات علمية أخرى

3) عناية البيوتات بالقران وعلومه.



تمهيـــــــــــــــد: لم تكن الحياة الثقافية بالأندلس محصورة في جانب معين من جوانب العلم بل شملت ميادين معرفية شتى، فكانت أولى هذه العلوم، علوم الشريعة التي طبعت معالم الحضارة العلمية أكثر مما تظهر في أي فرع أخر، فلقيت هذه الأخيرة اهتماما كبيرا عند الأندلسيين، كالفقه والحديث وعلوم القرآن، فكان بذلك متعاطو هذه العلوم يمثلون شريحة هامة في المجتمع وبخاصة الفقهاء، فهم قادة الأمة الحقيقيون وحسب فتاواهم يسير الناس، إضافة إلى أنها كانت تسمح لهم الوصول إلى مناصب عليا في الدولة، ولذا كان طالب العلم يهتم في بدايات تلقيه له بهذه الدراسات إذا لم تتناف مع المذهب المتبع.[1]

ويؤكد لنا المقري توجّه الأندلسيين نحو هذه العلوم بقوله: "وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وان ملوكها كانوا يتواضعون لأهلها."[2] ويذكر صاعد في نفس المنحى: "لا يعني أهلها من العلوم إلا بعلوم الشريعة وعلم اللغة إلا أن توطّد الملك لبني أمية."[3]

أما سبب توجّه الأندلسيين إلى هذه العلوم، هو رغبتهم في الحصول على مناصب عليا في الدولة، وهذا ما يتأكد من قول التادلي: "ودرس الناس الفقه ثم تركه[4] لما رآه نالوا به الخطط والعمالات."[5]

ونتيجة لما اكتسبته علوم الشريعة من مكانة مرموقة داخل المجتمع الأندلسي، فقد كان للبيوتات إسهامات جليلة فيها، حيث تركت لنا بصماتها في هذا النوع من العلم وهذا ما يتوضح لنا جليا من خلال هذا الرسم البياني.

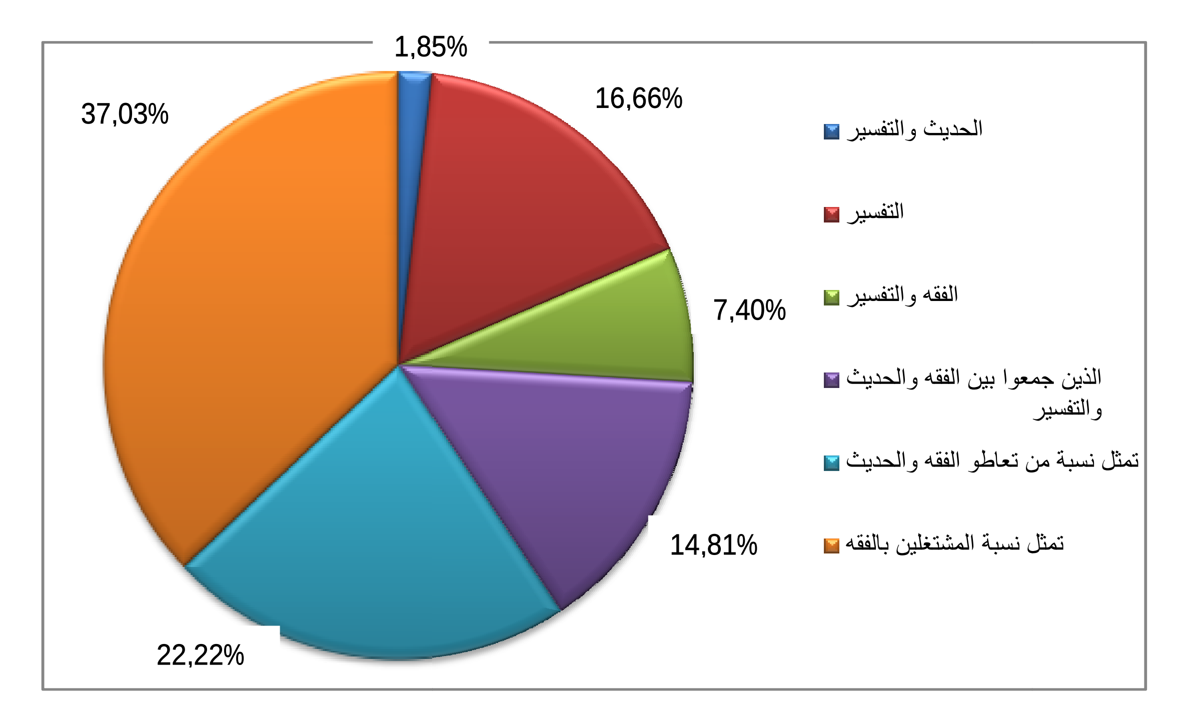
1- بحوث ندوة الأندلس: الدرس والتاريخ – تقديم: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركـــي – كليـــة الآداب – جـــامع الاسكندرية – 1414هـ/1994م – ص194.

2- المقري: المصدر السابق – ج4 – ص49.

3- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص155.

4- الهاء تعود على أبي محمد عبد العزيز التونسي.

5- التادلي: التشوق الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي. تحقيق: أحمد التوفيق – منشورات كليـــة الاداب والعلوم الانسانية بالرباط – المغرب – ط3 – 2010م – ص92.



يمثل لنا هذا الرسم البياني الممثل في الدائرة النسبية، مشاركة البيوتات الفاعلة في علوم الشريعة وقد اشتركت فيها البيوتات التي اختصت في هذا الميدان وغيرها من البيوتات الأخرى، و التي كان لها حظ فيه.

تمثل النسبة الأولى 37,03 % نسبة مشاركة البيوتات في الفقه، وهي أعلى نسبة في هذا الرسم، وهذا بسبب ما احتله هذا العلم من مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي، وبه كانوا ينالون المراتب العليا والخطط الرفيعة لذا تهافت على تعاطيه جلّ العلماء[1]، في حين جمعت بعض البيوتات بين الفقه والحديث إذ احتلت المرتبة الثانية بنسبة 22,22 % وهذا يظهر لنا مدى اهتمام هذه الأسر بعلمي الفقه والحديث، فانعكس ذلك ايجابا، فظهرت لهم فيهما بعض المؤلفات أصبحت مرجعا أساسيا لمن سيأتي بعدهم من طالبي العلم.

وهناك فئة أخرى جمعت بين علوم الشريعة بنسبة 14,81 % فغطّت بذلك جزءا من علوم الشريعة، فَحُقَ لنا أن نطلق عليها "اسم الأسر العلمية"، وأما باقي النسب الأخرى والتي تتراوح بين 7,40 % و 16,66 % و 1,85 % فَتَوَزّعَتْ جهودها حول تعاطي أفرادها للفقه تارة وللحديث تارة أخرى وللتفسير مرة أخرى، وذلك بسبب أن بعض هذه الأسر كانت لها اهتمامات أخرى شغلتها عن تعاطي مثل هذا العلم.

1 - لهذا السبب اقبل الأندلسيون على تعلمه منذ نعومة أظافرهم لتوطيد مكانتهم الاجتماعية.

1) نماذج من البيوتات وأبرز علمائها:

أ ــ بيوتات من الطبقة الأولى:

في هذا المقام سنركز على تلك الأسر التي نالت حظها في كتب التــراجم وبــاقي المصادر الأخرى، والتي أخذت حظهافي هذا الحقل المعرفي، إذ وصفتها هــذه الأخيــرة بأوصاف شتى، فتارة تطلق عليها هذا الوصف، بيوتات العلم والفقــه، أو بيوتــات العلــم والنباهة، أو عندما تترجم لأحد أفرادها، فتذكر ما مفاده، أنه ينتمي إلى بيت فقه وجلالــة، أو فقيه البيت في العلم، وغيرها من الأوصاف التي تنعتها بها.

فمن هذه البيوتات التي نالت حظها في هذا الميدان **بيت بني أبي زمنين** الــذي ذاع صيته على الساحة الأندلسية وهو من البيوتات العريقة التي تضرب بجذورها في انتمائها إلى بني مرّة بن سعد[1]، وقد ذكرهم ابن حزم، فقال: "ودار بني مرة بالأندلس إلبيرة."[2]

تدل كتب التراجم أن هذه الأسرة هي أسرة علم وفقه وقضاء، فقد برز منهم عــدد من العلماء الفقهاء، وأول من نبدأ بهم هو:

أبو محمد عبد الله بن عيسى بن محمد بن أبي زمنين (ت359هــ/969م) الذي كان ذا مهابة ومكانة في قومه، من الفقهاء العلماء، تلقى علمه ببجانة على يدي علي بن الحسن المري وابن فحلون، وبقرطبة من محمد بن عبد الملك بن أيمن وابن أبي دليم وغيرهم من الشيوخ، وقد تخرّج على يديه في هذا العلم، ابنه محمد بــن عبــد الله، وأشــهر هــؤلاء، القاضي أبو الحسن يونس بن مغيث، إلا أن مسيرة هذا الفقيه العلمية قد توقفت بعد بلوغه سن تسع وخمسين سنة.[3]

ومن أفراد هذا البيت النبيه نذكر منهم: أبو بكر ابن عبد الله (ت428هـــــ/1036م) الفقية وقد كان أخوه أحد شيوخه ولي القضاء بإلبيرة لتفقهه، وبقي على هذه الخطــة إلــى غاية وفاته[4]، ومن بقية أفراد هذه الأسرة أحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى مــن أهــل

1- يظهر أن أصول هذه الأسرة كانت عربية فالمري نسبة الى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن عطفان بن سعد ن قيس عيلان. ابن عبد البر: الأنباه على قبائل الرواة – ص71. الحازمي: عجالة المبتــدى وفضــالة المنتهى في النسب – ص157. ابن رسول: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب – ص53.

2- ابن حزم: جمهرة...ص254.

3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص191. مخلوف: المصدر السابق – ص101.

4- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1 – ص303. مخلوف:المصدر السابق – ص113.

إلبيرة الذي اتبع نفس طريقة أبيه أبي عبد الله في الصلاح، وكان أحد شيوخه الذين أخـذ عنهم هذا العلم.[1]، وقد لحقه في هذا الميدان أبو الأصبغ عيسى بن محمد بن أبي عبـد الله من أهل إلبيرة (ت بعد 400هـ/1009م) اكتفى ابن الخطيب بالقول: أنه كان نبيه القـدر، أخذ عن شيوخ بلده، إلا أنه عدّه من الفقهاء والطلبة النجباء.[2]

وأشهر أفراد هذه الأسرة على الإطلاق هو:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بـن محمـد بـن إبـراهيم بـن محمـد (و324هـ/936م - 398هـ/1007م)، الذي طبعت سيرته بحياة الزهد والورع، وهذا ما أجمعت عليه معظم كتب التراجم، إلا أن ذلك لم يمنعه من تلقي العلم والخوض فيه. وخير من وصفه تلميذه أبو عمرو المقريء، أقرب الناس إليه الذي قال في حقه: "...مع حسـن هدي واستقامة طريق وظهور نسك". ثم يضيف قائلا: بأنه كان مـن الـورعين البكـائين الخاشعين.[3]

كما وصفته المصادر بنفس الأوصاف، فهذا ابن فرحون يقول: "متصرفا في حفـظ المعاني...مع النسك والزهد، والاستبيان بسنن الصالحين...متبتلا، متقشفا دائم الصـلاة و البكاء، واعظا مذكرا بالله، فاشي الصدقة، معينا على النائبة."[4] وأما ابـن مفـرج، فبعـد التعريف به ثقافيا، قال: بأنه رجل زاهد في الدنيا ورع، مقتفيا لآثار السلف، وذهب نفـس المذهب أبو عبد الله الخولاني.[5]

كل ذلك، سيؤثر لا محالة على إنتاج ابن أبي زمنين الثقافي، ويطبعه بطابع الزهـد والورع، وهذا ما يؤكده لنا الحميدي حين قال: "له تواليف متداولة فـي الـوعظ والزهـد وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا[6] وأشعار كثيرة في نحو ذلك.[7]

1- نفسه: ج1 – ص23.
2- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج4 – ص199.
3- ابن بشكوال: الصلة – ص483.
4- ابن فرحون: المصدر السابق – ص365.
5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260.
6- هو عبيد الله بن محمد بن عبيد يكنى أبا بكر القرشي الأموي مولاهم، البغدادي، ولد سنة 208هـ/823م. كـان ورعا زاهدا عالما بالأخبار، محدث حافظ، له عدة مؤلفات منها: كتاب فقه النبي – صلى الله عليه وسلم – وكتـاب ذم الملاهي وذم الفحش، وكتاب تزويج فاطمة – رضي الله عنها - وغيرها من المؤلفات التي بلغت نحو 198 مؤلفا.ابن النديم: فهرسة – ص258. ابن خير: فهرست – صص282-283.
7- الحميدي: المصدر السابق – ص51.

تفقه ابن أبي زمنين هذا على جلة من العلماء نذكر منهم علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصر، سعيد بن فحلون بن سعيد[1] (256هــ-346هــ/869م-957م)[2] واحمد بن يحـــي بن زكريا المعروف بابن الشامة المكنى بأبي عمر[3]، وقد تخرج على يديه جمع من الطلبة منهم: أبو عمر احمد بن محمد بن يحي بن الحذاء[4] وأبو بكر بن عبد الله بن أبي زمنـــين[5] وأبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث.[6]

لقد تميز محمد بن عبد الله هذا بتأليفه الواسعة في هذا الميدان، والذي كان لـــه فيـــه مساهمة فاعلة، وهو أول من اشتهر من هذه الأسرة، ولذلك أولته المصادر أهمية كبرى عدا ابن الفرضي الذي لم يترجم له على الرغم من أنه ترجم لوالده أبي عبد الله، ولا ندري لماذا كان تجاهل ابن الفرضي له؟ هل كان بسبب حياة العزلة والتقشف أم لأسباب أخرى؟

ومهما يكن الأمر، فقد انفردت كتب التراجم بترجمة وافية له، فهذا ابن عفيف قال في حقه: "كان من كبار...الفقهاء الراسخين في العلم." وأضاف الخولاني قوله: "كان رجلا زاهدا صالحا من أهل الحفظ والعلم، أخذ في المسائل، قائما بها."[7] ووصفه الحميدي بأنـــه، "فقيـــه مقدم، زاهد متبتل."[8] في حين جعله ابن الخطيب من كبار العلماء الراسخين في هذا العلم.[9]

لم تكتف المصادر بالثناء عليه، وإنما ذكرت له بعض المؤلفات في هـــذا الميـــدان والتي بقيت بعض آثارها متداولة لحد الآن، وهذا عكس ما ذهب إليه الباحث بويكا حـــين توهَّم بأن مؤلفاته كلها اعتبرت في عداد الكتب المفقودة.[10]

ومن تأليفه الواسعة في الفقه ما أفادنا بها الحميدي حين قال: "له تواليف متداولة في الوعظ والإرشاد والزهد وأخبار الصالحين على طريقة ابن أبي الدنيا."[11] في حين ذكـــر تلميذه أبو عمر المقريء أنه كان حافظا للمسائل، وأنه ألف كتبا عدة، ولم يكتف بذلك بـــل

1- يذكره مخلوف هكذا – ابن مجلون – المصدر السابق – ص89.
2- الحميدي: نفسه – ص204. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – صص144-145.
3- ينظر عنه ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص42.الحميدي: نفسه – ص131. ابن بشكوال: الصلة – ص483.
4- ينظر في ترجمته ابن بشكوال: نفسه – صص62-63. الحميدي: نفسه – ص362.
5- ينظر عنه: مخلوف: نفسه – ص113.
6- في ترجمته ينظر الحميدي:نفسه- ص347. عياض: المصدر السابق - ج2- صص305-306.
7- عياض: نفسه–ج2- ص260.
8- الحميدي: المصدر السابق – ص51.
9- ابن الخطيب: الإحاطة...مج3 – ص132.
10- ك. بويكا: المرجع السابق - ص215.
11- الحميدي: نفسه – ص51.

أثنى عليها بقوله: "حسن التأليف للفقه." ونتيجة للقيمة العلمية لما ألفه، فقد ولع الناس بها وانتشرت في كل اسقاع البلاد.[1]

وعلى ضوء ما تقدم ذكره، اعتبر ابن أبي زمنين هذا، من الأعلام الذين ظهروا على عهد المنصور بن أبي عامر الذي نبغ في دراسة الفقه والتأليف فيه، وقد تميزت تصانيفه بالوعظ والإرشاد، فنبغ في هذا الميدان وطارت شهرته شرقا وغربا.[2]

فمن مؤلفاته هذه نخصّ بالذكر.

- **كتاب المُنْتَخَب**:[3]

ذكره القاضي عياض عند تعرضه لمؤلفات أبي عبد الله ابن أبي زمنين، حيث أثنى عليه بقوله: "وكتاب المنتخب في الأحكام الذي ظهرت منفعته". ثم يذكر بأن هذا المؤلف لم تقتصر شهرته على الأندلس، فقد عرف بالعدوة المغربية، وتخطّت شهرته إلى بلاد المشرق.[4] ونفس المذهب ذهب إليه ابن فرحون حين قال: "وكتاب المنتخب في الأحكام الذي ظهرت بركته، وطار شرقا وغربا ذكره."[5] وأما ابن خير الاشبيلي، فقد اكتفى بذكر عنوان الكتاب دون استطراد.[6]

لقد اتفقت معظم المصادر على عنوانه، ولكن محققه – عبد الله بن عطية الرداد الغامدي ذكر أنه في نسخة (و) ورد العنوان على هذا النحو "منتخب الأحكام وسيرة القضاة والحكام".[7] وأظنه هو العنوان الكامل له، لأنه كان موجها للقضاة والحكام حتى يساعدهم على تنفيذ الأحكام بدون أن يلقوا صعوبة في ذلك[8].

أما عن سبب تأليفه لهذا الكتاب، فيخبرنا ابن أبي زمنين بذلك، فقال: "...فإن هذا كتاب جمعت فيه عيونا من مسائل الأقضيات، استخرجتها من الأمهات، وانتخبتها حسانا

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص483
2- أنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص71.
3- قامت بطبعه مؤسسة الريان في طبعتها الأولى سنة 1419هـ-1998م.
4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260.
5- ابن فرحون: المصدر السابق – ص365.
6- ابن خير: المصدر السابق – ص251.
7- ابن أبي زمنين: منتخب الأحكام- مقدمة المحقق – ص49.
8- أمحمد بوشريط: الامام ابن أبي زمنين واسهاماته في الفقه "كتاب المنتخب والمغرب أنموذجا" – منشورات جامعة معسكر – مجلة المواقف – العدد السادس – ديسمبر 2011م – ص350.

جيادا، أردت بذلك النصيحة لمن كان من حكام المسلمين قد شغله ما قلده وعصب به[1] عن درس كتب الفقه ومطالعتها والاستكثار من النظر فيها يستغني بما انتخبته منه ذلـــك – اذا علمه – عن المشهور فيه حتى نزل به شيء منه..."[2]

هذا ما ذكره ابن أبي زمنين، إلا أن مخلوف وابن فرحون يذكران بأنه ألفه لأجـــل أخيه أبو بكر بن عبد الله أثناء توليه قضاء إلبيرة.[3]

- **المُغْرِب في اختصار المدونة**:

لقد اختلفت المصادر في تسمية هذا الكتاب، فالذين قالوا بـــ: "المُغْرِب" نذكر منهم: القاضي عياض حين تعرض لأهم مؤلفاته، فقال: "ككتابه المغرب في اختصــــار المدونـــة وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها." ويضيف قائلا: "ليس في مختصراتها مثله باتفاق." كما أثنى عليه ابن سهل بقوله: "هو أفضل مختصرات المدونة وأقربهـــا ألفاظـــا ومعـــاني لها."[4] وذهب نفس المذهب ابن فرحون، وأضاف قائلا: "...مع تحريه للفظهـــا، وضـــبطه لرواياتها."[5] وبنفس العنوان ذكره ابن خير دون طنطنة، فقال: "كتاب المغرب في اختصار المدونة."[6] ونحا نحو هؤلاء المؤرخين ابن عبد الرفيع الـــذي ذكـــر اســـمه مختصـــرا – المغرب-[7] وبنفس الاسم ذكره ابن هشام.[8]

أما من قال بالقاف – المُقَرِّب – نذكر ابن بشكوال: "...له مختصر فـــي المدونـــة سماه المقرب، بسط مسائله وقربها."[9]

1- العصب، وهم خيار القوم، وهو ضم ما تفرق، والمقصود هنا، مشاغل القضاء. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص107.

2- ابن أبي زمنين: نفسه – ج1 – صص83-84.

3- ابن فرحون:المصدر نفسه – ص366.

4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260.

5- ابن فرحون المصدر السابق:– ص365.

6- ابن خير: فهرسة – ص251. وينظر مخلوف – المصدر السابق – ص101.

7- ابن عبد الرفيع: معين الحكام على القضايا والأحكام – تحقيق: محمد بن قاسم بن عياد – دار المغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – 1989 – ج1 - ص238 -352 -625.

8- هشام بن عبد الله الأودي: المعين للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام – مخطوط – ج1 – ص20 – ج2 – ص562.

9- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص484. وينظر عبد الكريم قبول: المرجع السابق – ص97. وينظر ابـــن أبـــي زمينين: المنتخب...هامش رقم 3 –ص43.

إضافة إلى هذه المؤلفات الفقهية، فقد ألف ابن أبي زمنين فيه كتبا أخـرى، نـذكر منها: كتاب ــ المشتمل في علم الوثائق ــ أو أصول الوثائق، وكتاب المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ.[1]

وقد لحق بهذا البيت **أسرة بني شريعة** التي نالت حظها في هذا الميدان، ويعرفـون كذلك ببيت بني الباجي الذي نبه في العلم واشتهر به. أنجبت هذه الأسـرة أولادا رأسـوا بلدهم في العلم والقضاء إلى زمن القاضي عياض، فمن أعلام هذا البيت:

أبو محمد عبد الله بـن محمـد بـن علـي بـن شـريعة والمعـروف بالبـاجي (291هــ/378هــ/903م-988م) والذي وصفه ابن مفرج بالمعرفة في الفقه والراسخين فيه والحافظين له[2]، في حين اكتفى كل من الحميدي وابن فرحون وابن خيـر الاشـبيلي بوصفه بالفقيه والعالم الفاضل والشيخ الفقيه.[3]

لقد أخذ هذا العلم عن شيوخ كبار، فبقرطبة تتلمذ على محمد بن عمر ابـن لبابـة وأسلم بن عبد العزيز القاضي وقاسم بن أصبغ، وكانت له رحلة إلى البيرة أخذ فيها عـن محمد بن فطيس وسمع منه كثيرا، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهم[4]، وممن تخرج على يدبه خلف بن سعيد بن احمد المعروف بابن المنفوخ كبير فقهاء اشبيلية وعالمها.[5]

ومن ذرية أبي محمد هذا أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي (331هــ-332هــ-400هــ/942م-943م-1009م) والذي خصّته المصادر بترجمة وافية، وان لم تكن له نفس المكانة التي كانت لوالده، ولم يصل إلى نفس المنزلة التي كانت لابنه محمـد في ميدان التأليف، إلا أن وصف كتب التراجم له تظهر تمكنه في هذا العلم، فمن ذلك مـا قاله في حقه أبو عمر ابن عبد البر: "كان أبو عمر الباجي إمام عصره وفقيـه زمانـه."[6] وأشاد به ابن حيان حين قال: "كان أكبر أهل العلم بإشبيلية..." أما عياض فاكتفى بـالقول أنه كان "فقيها."[7]

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260. ابن خير: نفسه – ص251. الداودي: طبقات المفسرين- ص410.
2- عياض: ترتيب المدارك...ج2 – ص200.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص219.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص198.
5- الحميدي: نفسه – ص220.
6- الحميدي: نفسه – ص114.
7- عياض: نفسه- ج2 – صص 267-268.

ومن هذا النسل الطيب، ابنه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبـــد الله (356هـــــ-433هـــ/966م-1041م) الذي يعتبر من أولئك الذين كان لهم صيت في هذا الميـــدان، إذ ورث الفقه عن أبيه، وحتى يوسع من معارفه فيه، فقد ارتحل مع والـــده إلـــى المشـــرق، فسمع عددا من شيوخها وفقهائها، فنال بذلك الحظ الأوفر فيه، ولذلك كله أثنت على علمه بعض المصادر من ذلك أنه "كان أجل الفقهاء...بصيرا بالعقود متقدما في علـــم الوثـــائق وعللها"[1]. و سار على نفس الوصف القاضي عياض الذي نوّه به وببيته، إذ اعتبـــره مـــن بيوتات العلم التي حازت بعلمها مكانة مرموقة، فترأسوا القضاء، فكان أبو عبـــد الله هـــذا واحد منهم.[2] في حين اكتفى الضبي بالقول أنه "فقيه محدث مشهور".[3]

لم يكتف أبو عبد الله هذا بتعليم أهل الأندلس العلم، وإنما ألف فيـــه كتابـــا حســـنا، فأوفى بذلك هذا العلم حقه، وهو كتاب في سجلات القضاة وهو مستوعب، إذ اعتمد فيـــه على ما جمعه من أقوال الشيوخ المتأخرين، وبتأليفه هـــذا فـــاق شـــيوخه فـــي المكانـــة والسؤدد[4].

ويكفينا في التنويه بهذا العلم وأفراد أسرته شهادة أحد تلامذته وهو الخولاني الـــذي قال في حقه: "كان من أهل العلم... والحفظ للمسائل قائما بها واقفا عليها، عاقدا للشروط، محسنا لها". ثم يضيف مادحا لأفراد بيته المتقدمين في الذكر: "بيئة علم ونشأة وفهم وهـــو وأبوه أبو عمر وجده أبو محمد، وكان جميعهم في الفضل و التقدم على درجاتهم في أليق، وعلى منازلهم في السبق".[5]

كما أفادنا ابن خير في فهرسته بمؤلفين لأبي عبد الله هذا، هما: جزء فـــي تفســـير الزكاة اختصره هذا الفقيه، وقد حدث به باقي أفراد أسرته. وكتاب الوثائق، وهـــو علـــى مذهب مالك.[6]

وعلى الرغم من شهرة بيت بني شريعة في الفقه، إلا أن كتب التراجم ذكرت فقـــط لواحد منهم مثل هذه المؤلفات، فكانت بذلك مساهمة منه في إثراء الساحة الثقافية بالأندلس

1- ابن بشكوال: الصلة...صص 522-523.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص318.
3- الضبي: المصدر السابق – ص42
4- ابن بشكوال:المصدر السابق – ص523 – مخلوف: المصدر السابق – ص114.
5- ابن بشكوال: نفسه- ص 523.
6- ابن خير: فهرسة.... ص247 و ص 252.

بمثل هذه الكتب، ولكن شهرة هذا البيت لم تنقطع، وإنما استمرت في ذرية من جاء بعدهم، نذكر منهم:

أبو محمد أو أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الملك بن أحمد وهو أحد أحفاد أبي عمر أحمد بن عبيد الله، إلا أن من ترجم له اكتفى بذكر من أخذ عنهم العلم والرفع من نسبه منهم ابن الأبار الذي يكتفي بذكر شيخه الذي تلقى عنه العلم، وهو عمه أبو عبد الله محمد بن أحمد (356هـ-433هـ/966م-1041م)، وابنه أبو مروان عبد الملك (ت 532هـ/1127م)[1]

أما الفرع الثاني من هذه الأسرة العلمية، فيتمثل في عدة أفراد نجبوا في هذا العلم كابر عن كابر، فمن نسل أبي عبد الله محمد بن أحمد نذكر.

أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد (393هـ-462هـ/1002م-1069م) من أهل اشبيلية، ذكره ابن بشكوال وأثنى على بيته بقوله: "وكان نبيه البيت والحسب" أخذ العلم عن والده صاحب الوثائق محمد بن أحمد.[2]

وكان من نسل هذا الأخير ثلاثة أبناء أولهم: أبو الأصبغ عبد العزيز بن علي بن محمد (ت473هـ/1080م) الذي أخذ عن والده صاحب الوثائق محمد بن أحمد، مما يدل على أنه خاض في الفقه إلا أنه لم يظهر فيه ظهورا بارزا بسبب أن الأدب كان الغالب عليه وعلى الرغم من ذلك، فقد ولي خطة الرد.[3]

وأخو هذا الأخير، أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن أحمد الاشبيلي (ت 478هـ/1085م) كان من الفقهاء الفضلاء، تفقه هو كذلك بجده صاحب الوثائق.[4]

لم تبق المشاركة العلمية لأفراد هذه الأسرة منحصرة على الرجال، بل كان للمرأة الأندلسية مشاركة فاعلة في الحياة الثقافية بالأندلس، وان لم تحظ هذه الأخيرة بنفس المكانة في كتب التراجم، فمن هذا البيت ظهرت.

1- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج3 – ص89
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص418.
3- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ص371.
4- نفسه – ص285.

فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة التي شاركت أخاها أبا محمد عبد الله بن محمد في بعض شيوخه، وقد أجاز لها محمد بن فطيس الالبيري جميع روايته، كما فعل مع أخيها المتقدم ذكره.[1]

يفهم مما تقدم ذكره أن المرأة الأندلسية لم تكن محجوبة عن العلم، فقد كان لها النصيب الأوفر، فهي لم تتلقاه وهي قابعة في بيتها وإنما كانت تخرج لتلقيه في حلقات العلم من شيوخ كانت لهم مكانة علمية في مجتمعهم، ففاطمة هذه كانت تتلقى العلم من هؤلاء الشيوخ بنفس درجة أخيها، فهي لم تكتف بتعلمه فقط، ليبقى علمها حبيس الدار، وإنما كان هؤلاء الذين تلقت عنهم العلم يجيزون لها – كأخيها الرجل – جميع رواياتهم، فيفهم من هذا الكلام أنها هي نفسها كانت تقوم بتلقين ما تعلمته لغيرها، وان لم تذكر المصادر المكان الذي كانت تقوم فيه بهذه المهمة، وهل كان تعليمها هذا يقتصر على النساء فقط دون الرجال أم كلاهما معا.

إلى هنا تنتهي مشاركة بني شريعة في ميدان الفقه الذي توارثوه أبا عن جد، و بقي متسلسلا إلى أخر أفراده والذين واصلوا مسيرتهم العلمية إلى غاية القرن السابع الهجري (13م)، فهذا يدل أن العلم وبخاصة الفقه قد تجدر فيهم، وبقي متوارثا كابر عن كابر. فكان جميعهم في الفضل على درجاتهم في السنن ومنازلهم في السبق[2] فأنجب لنا عددا لا بأس به من العلماء الفضلاء.[3]

ومن البيوتات التي وصفت بالعلمية **بيت بني عتاب،** فعلى الرغم من أن كتب التراجم أفادتنا بثلاثة أفراد من هذه الأسرة، فقد هيأ لها ذلك الجو المناسب للاهتمام بهذا الميدان، وبخاصة أن وضعيتها الاجتماعية التي وصفت بالميسورة كانت من أهم العوامل التي جعلها تبرز في العلم وبخاصة في الفقه، فبتتبعنا لبعض العبارات المتناثرة هنا وهناك، نجد بأن هذه الأسرة لم تكن في حاجة للتقرب من السلطان، ففي إشارة وردت عند

1- ابن بشكوال: المصدر السابق– صص691-692. وينظر عن فاطمة هذه عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام- مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق – سوريا – ط1 – 1432هـ - ج3 – ص469.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص199-318.
3- المقري: المصدر السابق – ج3 – ص125.

القاضي عياض تظهر بأنه عرض عليه منصب القضاء مرات عدة، وبذلوا له ما بوسعهم ليقبل ذلك الرزق الواسع فامتنع عن ذلك.[1]

إن الوضعية الاجتماعية لهذه الأسرة هي التي فتحت الباب واسعا أمامها لأن تغرف من هذا العلم على الرغم من أنها صادفت مرحلة عصيبة في القرن الخامس الهجري (11م)، فمن أفرادها نذكر مؤسس هذا البيت وهو:

أبو عبد الله محمد بن عتاب[2] بن محسن الجذامي[3] (389هـ أو 388هـ - 462هـ/998م-1069م) شيخ المفتين بقرطبة، أخذ الفقه وتعلمه على ثلة من العلماء كان منهم: أبو الأصبغ القرشي والقاضي ابن بشير، حيث صحبه أكثر من اثني عشر عاما، والذي كتب له مدة قضائه، وتحول هذا الشيخ من مرحلة التعلم الى مرحلة تلقين ما تعلمه، فمن بين أولئك الذين تفقهوا على يديه ابناه: عبد الرحمن وعبد العزيز والقاضي ابن سهل وغيرهم[4] .

ويبرز لنا تلميذه ابن سهل اتساع مداركه العلمية التي نال بها صدارة الفتوى بقوله: "كان إماما جليلا، متصرفا في كل باب من أبواب العلم، أحد الفقهاء بالأندلس مستنبطا بصيرا بالأحكام والعقود". ثم يضيف قائلا بأن الفقه الذي أخذه عنه – أي عن ابن عتاب – كان أكثره منه، فيقول في ذلك: "معه كان أكثر تفقهي وصحبته طويلا ورويت عنه كثيرا". ولذلك كله أجاز له جميع ما رواه، كما أثنى عليه أبو علي الغساني بقوله: أنه "كان من جلة الفقهاء، وأحد العلماء الأثبات"، ثم يضيف قوله بأن له تقدم "في المعرفة بالأحكام وعقد الشروط وعللها فاق في ذلك أقرانه"[5].

ولتفقه وورعه وعلمه، فقد تقلد الشورى، فكان أهلا لها في وقته ومدار الفتوى في زمانه كانت عليه، وعلى الرغم من تمكنه في الفقه إلا أنه كان يرفض دائما خطة القضاء

1- عياض: نفسه – ج2 – ص354.

2- يذكر الضبي – ابن عقاب – المصدر السابق – ص99.

3- الجذامي: بضم الجيم وفتح الذال المعجمة. هذه النسبة الى جذام واسمه عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل جذام: وهو الصدف بن شوال بن عمرو بن دعمي بن زيد بن حضر الموت، وغيرها من الأقوال: السمعاني: الأنساب – مج2 – ص56. الحازمي الهمداني: عجالة المبتدى...ص69. وجذام قبيلة من اليمن. السيوطي: لب اللباب...ص109.

4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص353.

5- عياض: نفسه – ج2- ص354. ابن بشكوال: المصدر السابق – ص546. ابن فرحون: الديباج...ص370.

كلما عرضت عليه.[1] في حين اكتفى الضبي الذي لم يوفه حقه بالقول أنـــه "فقيـــه حـــافظ متقدم."[2]

يبدو أن أبا عبد الله ابن عتاب هذا، لم يكن من المقلدين للآخـــرين، وإنمـــا يمكـــن تصنيفه ضمن العلماء المجتهدين، فتتبعنا لتلك العبارات المتناثرة في المصادر تثبـــت مـــا ذهبنا إليه، فابن بشكوال الذي أوفاه حقه يقول: "وكانت له اختيارات من أقاويـــل العلمـــاء يأخذ بها في خاصة نفسه، لا يعدو بها إلى غيره"[3]. ونحا نحوه الصفدي.[4]

ومن ذرية أبي عبد الله هذا ابنان ورثا العلم عن والدهما هما:

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب (433هـــ-520هـــ) الذي يعد من أولئك الذين طارت شهرتهم بتآليفهم، شأنه في ذلك شأن بعض البيوتات العلمية الأخرى، فـــأول من أخذ عليه والده الذي أجاز له وهو في حداثة سنه، فخلد له بذلك شرفا.

لقد وجد هذا الشيخ نفسه في وسط علمي الأمر الذي ساعده على أخذ نصيب وافر من العلم، مما خول له أن يصبح فقيها، فهذا ابن فرحون أشاد به وأثنـــى عليـــه، فقـــال: "...شوور في الأحكام بقية عمره، وكان صدرا فيما يستفتى فيه، وكانت الرحلة في وقتـــه إليه". الأمر الذي جعل طالبي العلم يستفيدون منه وكذا الآباء والأبناء وحتى عامة الناس.[5]

لم يكتف محمد هذا، بتعلم الفقه بل أخذ يلقنه لعامة الناس، الذين انتفعوا بعلمه، ومما زاد في شهرته هو خوضه في ميدان التأليف، فخلد اسمه في كتب التـــراجم والصـــلات، وهذا ما يفهم من نص ابن بشكوال: "كتب بخطه علما كثيرا في غير ما نوع من العلـــم". وذكر له مؤلفات في الزهد والرقائق سماها "شفاء الصدور" وهو كتاب ضخم[6].

وذهب نفس المذهب ابن خير الاشبيلي، فذكر هذا المؤلف تحـــت عنـــوان "شـــفاء الصدور في الوصايا والوعظ"، ولم يكتف بذكره، بل أثنى عليه بقوله: "جليل شريف كبير"

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص544.
2- الضبي: المصدر السابق – ص99.
3- ابن بشكوال: نفسه –ص544
4- الصفدي: الوافي بالوفيات- دار الفكر – بيروت – لبنـــان – ط1 – 1425هـــــ- 1426هــــ- 2005م – ج2 – ص479.
5- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246.
6- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ص349.

علما بأن ابن خير يذكر لاحقا بأن ابن عتاب أجاز له جميع تواليفه[1]. ونحا نحـــو هـــؤلاء الداودي[2]، في حين تشير بعض المصادر إلى أنه خاض في ميدان التـــأليف، إلا أنهـــا لا تفيدنا بعناوينها كما هو الشأن لابن فرحون، إذ يكتفي بوصفها بالمفيدة والحسنة[3]، في حين اكتفى الضبي بنعته بالفقيه والعارف[4].

هذه الترجمة لا تخدم منزلة ابن عتاب العلمية، إذ لم تفدنا بإسهاماته في هذا الميدان لا من قريب ولا من بعيد، ومن هنا تكمن صعوبة تصنيف مثل هـــؤلاء العلمـــاء حســـب مكانتهم التي يستحقونها، فلو كان اعتمادنا على مثل هذه التراجم، لما صنف ابـــن عتـــاب ضمن الفقهاء الذين كانت لهم إسهامات جليلة على الساحة الثقافية بالأندلس.

لقد كان انطلاق ابن عتاب في تأليفه لهذا الكتاب من تكوينه الفقهي الحديثي، و قـــد يكون اشتمل على استشهادات فقهية وحديثية وعلـــى آراء المفســـرين تعكـــس شخصـــيته العلمية.[5]

هذا عن أعظم من أنجبه هذا البيت، إلا أن العلم لم ينقطع تعاطيه عنده، وإنما كـــان لهذا الأخير أخ شاركه فيه، وسار على نفس الدرب الذي سطره له والده، وهذا الأخ هو: أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن عتاب (440هـــ-491هـــ) الذي اشترك مع أخيه فـــي الأخذ عن والده، فروي عنه كثيرا من رواياته، وأجاز له أغلبها، كما أجاز له كذلك أبـــو عمر ابن الحذاء، وعلى الرغم من قصر عمره إلا أنه أخذ حظه من هذا العلـــم إذ "كـــان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه بصيرا بالفتوى، صدرا في الشورى عارفا بعقـــد الشروط وعللها، مقدما فيها".[6]

لم تبق المرأة في بيت بني عتاب بعيدة عن الجو العلمي الذي ساد هذا البيت النبيه، بل كان لإحداهن دور فاعل فيه وهذه العالمة هي ابنة فائززوج أبي عبد الله بن عتاب كما

1- ابن خير: فهرسة – ص289.
2- الداودي: طبقات المفسرين – ص202.
3- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246 – عياض: فهرسة شيوخ القاضي عياض المسمى "الغنية" تحقيق: د/ علي عمر – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط1 – 1423هـــ-2003م – ص118 وما يليها.
4- الضبي: المصدر السابق – ص311.
5- خالد الصمدي: حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري – وزارة الأوقـــاف والشـــؤون الاســـلامية – المملكة المغربية – 1415هـــ-1995م – ص316.
6- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص371.

أخذت عنه الرقائق، ورحلت إلى دانية[1] للقاء أبي عمرو الداني القرطبي[2] ثم رحلت إلى الحج لأداء فريضة الحج، وتوفيت أثناء عودتها إلى بلاد الأندلس سنة 446هـ/ 1054م[3] وهذا ما يتأكد لنا من خلال النص، "ابنة فائز قرطبية زوج أبي عبد الله بن عتاب أخذت عن أبيها فائز... وعن زوجها الفقه والرقائق."[4]

واستمرت المرأة في أسرة بني عتاب حاضرة بعلمها، وهذا ما يفيدنا به ابن الأبار عند ترجمته لأبي الوليد الحسن ابن أبي الحسن عيسى بن اصبغ بن محمد بن محمد بن أصبغ الأزدي المعروف بابن المُنَاصِف، فقال أن أمه هي بنت أبي القاسم عبد العزيز بن عتاب ثم علق على ذلك بقوله: "فطرفاه عريقان في النباهة وروى عن أبي محمد بن عتاب عن أمه."[5]

لا يخامرنا الشك أن هذه الأسرة بالرغم من قلة أفرادها الذين اشتغلوا في هذا الحقل إلا أن ذلك لم يمنع من أن يكون لها فيه إسهامات جليلة بفضل ما تركته من آثار في كتب التراجم والصلات، وما ميز هذا البيت هو مشاركة المرأة، إذ لم يبق هذا الحقل مقتصرا على الرجال وحكرا عليهم.

ومن البيوتات التي نالت شهرة وذاع صيتها على الساحة الثقافية الأندلسية **بيت بني جمرة** الذي ينتمي أفراده إلى أبي العباس محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار المكنى بأبي جمرة، ومنه أخذت هذه الأسرة اسمه[6]، وعلى عهد هذا الجد ارتفع نجم هذه الأسرة العلمية وبخاصة الفقه، فممن وقفنا عليهم من أعلام هذا البيت الأندلسي العريق في العلم والنباهة نذكرهم على التوالي:

1- دانية: مدينة تقع شرق الأندلس على الساحل، بها عمارة متصلة وشجر تين كثيرة وكروم ومنها كان يخرج الأسطول للغزو، ومن علمائها أبو عمرو الداني القرطبي. الحميري: الروض المعطار – ص232.

2- هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي كان يعرف قديما بابن الصيرفي ثم عرف بأبي عمرو الداني، سكن مدينة دانية فنسب اليها. كان امام وقته في الاقراء، محدث أديب ولد سنة 371هـ/981م، كانت له رحلة الى المشرق ثم عاد الى الأندلس، فتصدر القراءات، كان له فيها تآليف، توفي 444هـ/1052م. الضبي: المصدر السابق – ص361. ابن بشكوال: الصلة – صص405-406.

3- ابن الأبار القضاعي: التكملة – ج4 – ص67.

4- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج4 – ص67 . وينظر عمر رضا كحالة: أعلام النساء... – ج3 – ص396.

5- ابن الأبار القضاعي: المعجم ... – صص75-76.

6- ابن الأبار القضاعي: التكملة – ج1 – ص285.

مروان بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن خطاب بن نذير بن عبد الجبار من أهل تدمير (ت350هـ/961م) تفقه على والده، وأخذ عن سحنون بن سعيد، ولقن ولده علمه الذي ورثه هو بدوره عن والده[1]. انتقل بعدها إلى قرطبة فلازم فيها أحمد بن خالد وتفقه معه على يدي بعض شيوخ قرطبة منهم: منذر بن سعيد البلوطي القاضي وغيره من الشيوخ الجلة[2].

ولمروان هذا، ولد ابن نبغ في الفقه اسمه وليد بن مروان بن عبد الملك ين محمد (ت 393هـ/1002م) كانت له عناية بالعلم ودرسه، وممن أخذ عنه هذا العلم والده وغيره من الشيوخ[3]، وممن تفقه بهم أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الذي صحبه مدة ليستفيد من علمه[4] فأصبح من أولي النباهة في هذا العلم.

ومن ذرية وليد هذا، نخصّ بالذكر، ابنه محمد بن وليد بن مروان الذي تفقه بأبيه إذ أخذ عنه مدونة سحنون وحدث عنه[5]، وقد تسلسل العلم لدى بقية أفراد هذه الأسرة فهذا وليد بن محمد بن وليد (ت440هـ/1048م) ابن المتقدم ذكره روى عن والده محمد[6]، كان مشاركا في عدة علوم كان الفقه إحداها، وبقي ببلده ينشر العلم إلى غاية وفاته[7]. ولحقه في ذلك ابنه أبو مروان عبد الملك بن وليد بن محمد (ت460هـ) من أهل مرسية والمعروف بابن أبي جمرة، روى عن والده وليد، وحدث عنه بمدونة سحنون بن سعيد خلفا عن سلف[8]. كان يميل إلى الاجتهاد مع إيثاره لمذهب مالك، وكان لا يقضي إلا به[9].

وأعقب عبد الملك هذا ابنا اسمه أبو جمرة موسى بن عبد الملك بن وليد (ت 470هـ/1077م) الذي عاصر حالة الاضطراب التي شملت الأندلس بعد انهيار الدولة العامرية وقيام دول الطوائف (422هـ/1031م)، فعلى الرغم من ذلك بقي بيت بني أبي

1- ابن الأبار القضاعي: التكملة – ج2 – ص183.
2- ابن الزبير: صلة الصلة- ضبط نصه وعلق عليه – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1429هـ - 2008م – ص29.
3- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص183 – ج4 – ص151.
4- ابن الزبير: نفسه– ص315.
5- ابن الأبار القضاعي : نفسه – ج1 – ص293 – ج4 – ص151.
6- نفسه : ج4 – 152.
7- ابن الزبير: نفسه – ص315.
8- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج3 – ص69.
9- ابن الزبير:المصدر السابق – ص136.

جمرة يستغل مكانته الاجتماعية، ويستثمر أمواله في الرحلة وطلب العلم، وخير من مثـل هذه الأسرة هو: موسى هذا الذي كان من كبار الفقهاء زمن الفتنة، وهذا ما يؤكـده ابـن الأبار بقوله: أنه "كان من فقهاء بلده ونبهائه" فنباهته في العلم لم تتأت له إلا بالأخذ عـن بعض الشيوخ الجلة، أولهم والده عبد الملك، ثم شيوخه الذين لقيهم أثناء رحلته إلى قرطبة والتي سمع فيها على أبي المطرف القنازعي الفقيه[1] وأبي الوليد يونس بن مغيـث وكـان ذلك سنة 428هـ/1036م فأكثر عنه ولازمه إلى غاية وفاته، ولتمكنه في هذا العلم فقـد أجاز له جميع ما تعلمه عنه[2].

وما يدل على أنه استوسق علما جما، هو بناؤه لمسجد حمل اسمه، وجلس فيه يعلم الأجيال مما تعلمه من شيوخه، وبقي منشغلا بالتدريس فيه إلى غاية وفاته بمسجده هـذا، الأمر الذي يدل على أنه عكف بقية حياته يمتهن مهنة التعليم.[3]

لم يقتصر موسى على نشاطه العلمي المعتاد، بل انتقل إلى ميـدان جمـع الكتـب والتأليف، فما جلبه أثناء رحلته إلى قرطبة كتب – المستخرجة - للعتبي[4] الذي أفـاد بهـا أهل بلده[5]، ثم انتقل إلى عملية التأليف منها كتابه "رد الأبهري[6] على المزني[7]، حيث يـرد فيه على مالك، وبهذا التأليف يكون قد قطع شوطا كبيرا في هذا الميدان إذ أصـبح مـن المتخصصين فيه[8].

1- تنظر ترجمته عند: الحميدي: المصدر السابق – صص246-247. ابن بشكوال: الصلة – ضبط نصه وعلق عليه: جلال الاسيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1429هـ - 2008 – مـج1-ج1- صـص280-281. ابن فرحون: المصدر السابق – ص249. الداودي: المصدر السابق – صص203-204. وينظر: رضا كحالة: معجم المؤلفين – اعتنى به وجمعه – مكتب تحقيـق التـراث – مؤسسـة الرسـالة – ط1 – 1414هـ-1993م – صص123-124.

2- ابن الأبار القضاعي : المصدر نفسه – ج2 – ص172. ابن الزبير: المصدرنفسه – ص22 – وينظر: سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو خطاب- صص56-57.

3- ابن الزبير: نفسه – ص22.

4- العتبي: هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن حميد بن عتبة (ت 255هـ/869م) أندلسي فقيـه، يعـرف بالعتبي، لأنه ينسب الى ولاء عتبة بن أبي سفيان، روى عن يحي بن يحي الليثي، وكانت له رحلة الى المشرق أخذ عن شيوخها، ألف في الفقه كتبا كثيرة سميت بـ: "العتبية" وهي المستخرجة من الأسمعة المسموعة من مالـك بـن أنـس. الحميدي: المصدر السابق – ص36. حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – دار الكتـب العلميـة – بيروت – لبنان – 1427هـ-1428هـ/ 2007م – ج6 – ص14. طه عبد المقصود: المرجـع السـابق – مـج2 – صص 754-755.

5- ابن الأبار القضاعي: التكملة – ج2 – ص172.

6- تنظر ترجمته عند: الصفدي: الوافي بالوفيات – ج2 – ص363.

7- تنظر ترجمته عند: ابن النديم: المصدر السابق- ص295.

8- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص82.

كاد مشوار موسى هذا العلمي ينقطع بالأندلس، فحسب رواية أحد أفراد هذه الأسرة وهو أبو بكر القاضي محمد بن أحمد بن عبد الملك (518هـ- 593هـ) الذي أورد في كتابه "الإنباه بأبناء أبي الخطاب"[1] أخبارا تتعلق بأسرته، ورد فيه خبر نية موسى بن عبد الملك الرحلة إلى المشرق لكثرة الفتن بالأندلس، وكان ذلك سنة 426هـ/1034م، إلا أن شيخه أبا الوليد يونس بن مغيث أقنعه بضرورة البقاء بها بعد أن ضرب مثلا بـ"حنش بن عبد الله الصنعائي"[2] الذي قدم من المشرق وبقي بالأندلس إلى غاية وفاته بسرقسطة، فقال له: "فإذا كان أهل المشرق من التابعين يقصدون الأندلس، فكيف يرحل عنها من حل فيها."[3]

لزم موسى أرض الأندلس، وبقي فيها ليورث العلم لذريته، فكان منهم:

أبو مروان عبد الملك بن موسى بن عبد الملك بن وليد (ت 485هـ/1092م)، تفقه على والده وعدة من شيوخ كان منهم أبو الوليد يونس بن مغيث، الذي حصل منه على إجازة رواية كتبه كما تفقه على أبي محمد مكي بن أبي طالب[4] وغيرهم.[5]

لم يبق أبو مروان تابعا للمذهب المالكي السائد بالأندلس، بل كان من المجتهدين لا المقلدين، فتتبعنا لما ورد عند ابن الزبير يثبت لنا ذلك، وهذا ما يفهم من قوله: "وكانت له اختيارات في فتاويه ومذاهب يأخذ بها ويفتي".[6]

ومن ذرية عبد الملك بن أبي جمرة أبو العباس[7] وليد بن عبد الملك بن أبي جمرة محمد (ت393هـ/1002م) إذ سمح له مركزه الاجتماعي على مواصلة مشواره العلمي، فاعتنى بالعلم وسمع من غير واحد، ولتمكنه من الفقه، فقد استقضى على تدمير وطليطلة،

1- ابن الأبار: المصدر السابق – ج2 – ص81.
2- نفسه – ج2 - 172
3- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص172.
4- تنظر ترجمته عند: القفطي: إنباه الرواة...ج3 – صص313-315. الحميدي: المصدر السابق- ص318. الداودي: طبقات المفسرين – صص521-522.
5- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص172 – ج3 – ص71.
6- ابن الزبير: المصدر السابق – ص136.
7- نسبه ابن الفرضي خطئا الى العنقيين. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص418. ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج2 – ص82.

وبذلك يكون قد خلف والده عبد الملك في الدراسات الفقهية، وأصبح مـــن بـــين الفقهـــاء النابغين على عهد الخلافة.[1]

وأما الفرع الثاني من شجرة هذه الأسرة التي تفرعت عن خطاب بن محمد بن أبي جمرة، فقد وقفنا على بعض من أفرادها نذكر منهم:

أبو الأصبغ موسى بن أبي عمر أحمد المعروف بالخازن بن عبد الرحمن بن دحيم الذي كان على عهد المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبـــي عـــامر (392هـــــ-399هــ/1011م-1008م). كان من كبار الفقهاء ببلده مرسية، وما يدل على ذلك، توليـــه لخطة القضاء في أماكن عدة منها: بلنسية وطرطوشة[2]، وجزيرة يابسة وجزيرة ميورقـــة وجزيرة منورقة[3] [4].

لم تنقطع عطاءات هذا البيت العلمية بوصولنا إلى أخر أفراده، بل ستســـتمر إلـــى غاية القرن السابع الهجري (13م)، فهذا المشوار الطويل لهذه الأسرة والذي بدأ منذ القرن الرابع الهجري (10م) جعل كتب التراجم والصلات، تهتم أكثر فأكثر بأفرادهـــا، بســـبب تدعيمها للمذهب المالكي بهذه الديار، فاحتل هؤلاء مكانة عالية في فقه الإمام مالك.

والتحق بهذه الكوكبة **بيت بني السليم** الذي يعتبر من البيوتات التي حازت عصـــا السبق في العلم، إذ كانوا فيه ذوي نباهة ورأسوا فيه، فكانت بذلك هذه الأسرة أسرة علم و نباهة، فأول من نفتتح بهم الكلام هو:

أبو بكر إسحاق بن منذر[5] بن إبراهيم بن محمد بن سليم بن أبـــي عكرمـــة مـــولى سليمان بن عبد الملك، ذكره ابن الأبار وصنفه ضمن الفقهاء، لكن دون طنطنة أو إبـــراز مواهبه في هذا الميدان واكتفى بالقول انه من "أهل العلم والفقه"، ولم يذكر إن كان قد تفقه على والده إذ ورد اسم هذا الأخير عرضا عند ذكر المصادر لنسب هذا البيت، وهذا مـــا

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص418.

2- طرطوشة: مدينة تقع شرقي بلنسية وقرطبة، متقنة الأسوار، أنافت على نهر ابرو قريب من البحر الشامي الـــذي يصب فيه هذا النهر، وهي باب من أبواب البحر يسلكه التجار في كل جهة، و هي كثيرة الخيرات، وبينها وبين مدينـــة بلنسية مائة وخمسون ميلا. Provençal : La description de l’Espagne d’Ahmed Al Razi. P72. ابن غالب: فرحة الأنفس – صص285-286.

3- ينظر عن هذه الجزر: الحميري: المصدر السابق – ص549 – 567 – 616.

4- ابن الدلائي: ترصيع الأخبار...صص15-16.

5- ومنذر والده هو الذي ثار بمدينة السليم المنسوبة الى جده من كورة شذونة، فاقتصد في سيرته ولـــم يظهـــر نبـــذ الطاعة الى أن قتله مملوك له يسمى غلندة. ابن عذاري : المصدر السابق – ج2 – ص135.

يدفعنا للقول أن أباه لم يكن من أهل العلم، وقد يكون أخذ عن بعض شيوخ بلده والتي لـم تفدنا بهم كتب التراجم بأسمائهم، وإنما اكتفى ابن الأبار بذكر رحلته للحج لأداء المناسك، كعادة الحاج يستغل هذه الفرصة للأخذ من شيوخ المشرق[1].

وقد أعقب لنا أبو بكر هذا ولدين كان أشهرهما على الإطلاق.

أبو بكر محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم (302هـ-367هـ/914م-987م) الذي أشادت المصادر به وببيته وصنفته ضمن بيوتات العلم والنباهة، وهذا ما ذهب إليه الرازي[2]. كما ذكره القاضي عياض وأثنى عليه في العلم، وفي هذا الصدد يورد لنا شهادة الخليفة الحكم المستنصر بالله، ويكفينا في ذلك شهادة هذا الحاكم الذي كان هو نفسه رجل علم ومعرفة والذي قال في حقه: "هو فقيه بمذهب مالك" إذ لم يل القضاء أفقه منه، ونحا نحوه ابن مفرج حين رام التنويه بمكانة هذا العالم، فقال: "كان ابن السليم راسخا في العلم مجتهدا في طلبه عالما بالحديث والفقه" إضافة إلى جودة استنباط الفقه والفتيا.[3]

لم تصمت باقي المصادر في الثناء عليه وعلى علمه والرفع من منزلته، فهذا ابن الفرضي رام في ترجمته له توضيح ما كان له من العلم بقوله: "كان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف"[4]. فهذا يدل على أنه لم يكن من أولئك الفقهاء الذي اتبعوا التقليد دون الرجوع إلى تلك الاختلافات الواردة في قضية من القضايا. وبنفس الأوصاف نعته الحميدي، فقال: "كان من العدول المرضيين و الفقهاء المشهورين."[5]

ولتفقهه وعلو منزلته ومكانته العلمية التي حظي بها عند أهل بلده، فقد ولي عدة خطط منها أحكام المظالم بقرطبة، إذ لم يل القضاء[6] قبله ولا أعلم منه منذ أن دخل الإسلام هذه الديار، فكان عنده من "الفضل في علمه وفهمه وحسن النظر في الأمور...ما هو معروف عند القضاة المتقدمين"[7]، وأضاف على هذا القول صاحب شجرة النور الزكية

1- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج1 – ص161 – ج2 – ص190.
2- ابن الأبار القضاعي: نفسه-ج1- ص161.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص174. ابن فرحون: الديباج...ص356.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص356.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص39.
6- ينظر عن توليه القضاء: النباهي: المصدر السابق – ص75.
7- الخشني: قضاة قرطبة...ص176.

قوله: "ترجمته عالية وفضائله جمة". ثم يردف قائلا: "الفقيه الحافظ الفاضل الزاهد العـــالم العامل"[1]. واكتفى ابن الأبار بالقول أنه: "من أهل العلم والفقه والنباهة."[2]

ونتيجة لأخذه نصيبا وافرا في الفقه، فقد كان يشرف على عقد الشهادة فـــي نســخ البيعة بين يديه، يأخذها على كل من يشهده، منها: شهادة الوثائق الخاصة بإعتاق العبيد[3].

بعد هذا الثناء الذي حظي به ابن السليم هذا، فقد كانت له تأليف في هذا الميـــدان، نخص بالذكر منها: كتابه في الفقه الذي ذكره أبو محمد الباجي والموسوم بــــ: "كتـــاب التوصل مما ليس في الموطأ" و "اختصار كتاب المروزي[4] في الاختلاف."[5]

أما أخوه أبو بكر منذر بن إسحاق بن منذر، فكان أسن من أخيه، ولم يكن له نفـــس حظ أخيه في العلم بدليل أن كتب التراجم لم توله اهتماما كبيرا، ولذلك اكتفى بأن يكـــون مشاورا لأخيه الأصغر بقرطبة.[6] وذهب نفس المذهب ابن الأبار إذ لم يفرد لـــه ترجمـــة ليبرز مناحيه الثقافية إذ ذكره وباقي أفراد أسرته مجتمعة، فقال: أنه كان" هو وأخوه محمد قاضي الجماعة و أبوهما إسحاق من أهل العلم والفقه والنباهة."[7]

ومن نسل أبي بكر ابن السليم قاضي الجماعة ابنان هما:

إسحاق بن محمد بن إسحاق بن منذر الذي اكتفى الرازي بالتنويه ببيته، ولم يـــذكر لنا إن كانت لهذا الأخير، إسهامات في الفقه، ويعود سبب ذلك غلبة الأدب عليـــه الأمـــر الذي لم يتح له الفرصة – كبقية أفراد أسرته – من أن ينال حظه من علوم الشريعة.[8]

أما الابن الثاني، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن إسحاق بن منـــذر (ت 402هـــــ) الذي تقلد منصب القضاء والشورى، فعلى الرغم من قلة علمه، فإنه كان له حظ في مثـــل هذه الخطط لا لشيء إلا لأنه ينتمي لبيت علم ونباهة، وتنويها بمكانة أسرته العلمية وكان

1- مخلوف: المصدر السابق – صص98- 99.
2- ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج2 – ص190. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص147.
3- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء – ج1 – ص258. ابن حيان القرطبي: المقتبس في أخبـــار بلـــد الأنـــدلس – شرحه واعتنى به – د/ صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1426هـــ/ 2006م – ص162.
4- المروزي: هذه النسبة الى مرو الشاهجان، وانما قبل لها الشاهجان، يعني "شاه جاء" في موضع الملوك ومستقرهم.
5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص175. ابن فرحون: المصدر السابق – ص356.
6- عياض: نفسه – ج2 – ص179.
7- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج2 – ص190.
8- نفسه – ج1 – ص161.

ذلك أيام الفتنة فقد قلده مثل هذه الخطط المستعين[1]، وهذا ما يفهم من كلام عياض: "تنويها بمكانه، ولم يكن أهلا لذلك"[2]. وذهب نفس المذهب ابن بشكوال حين قال: "كان في عداد المشاورين بقرطبة من تقديم سليمان المستعين بن الحكم، وكان قليل العلم."[3]

يفهم مما تقدم ذكره، أنه ليس كل من يتولى منصبا مهما كانت أهميته، يعني بالضرورة أن هذه الشخصية أو تلك، كانت وافرة العلم، بل قد يكون عاطلا عن العلم تماما. هذا ما يؤكده لنا المثال الوارد أعلاه، والذي كان ينتمي إلى أكبر بيوتات العلم بقرطبة.[4]

هذا عن هذه الأسرة الذي تعاطى أفرادها العلم وبخاصة الفقه، وتناقلوه أبا عن جد، إلا أن تعاطيهم لهذا العلم كان بنسب متفاوتة، حتى أننا نرى تغييب المصادر لبعض أفرادها[5]، وحتى تلك التي ذكرتهم، لم تفدنا بمعلومات مفصلة عنهم، وقد يكون مرد ذلك إلى أن بعضهم اختصوا في ميدان غير هذا الميدان، أو ركب بعضهم فرس السياسة، فأغفلوا الجانب الثقافي، وعلى الرغم من كل ذلك، فقد برز منهم فقهاء علماء تولوا مناصب إدارية[6]، بسبب بروزهم في الفقه، وكان أبو بكر ابن السليم أحد هؤلاء.

كما ظهرت في هذا العلم **أسرة بني الحذاء**[7]، إذ كان أفراد هذا البيت ذوي وجاهة في أعمال السلطان بالأندلس من التقديم على مهم الأعمال والتصريف في الأمور الجليلة، وذلك بفضل علمهم الذي اشتهروا به[8].

ولعل أقدم علم رأس هذا البيت في العلم هو:

أبو عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود التميمي (347هـ-416هـ/958م-1025م) الذي تفقه على جلة من العلماء كان منهم أبو عيسى الليثي وأبو محمد الباجي وغيرهما، وللتوسيع من مداركه في هذا العلم، فقد رحل إلى

1- تنظر ترجمته عند: ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص114 – 119. ابن عذاري : البيان – ج3 – صص91-92.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص179.
3- ابن بشكوال: الصلة – ص251.
4- سنتعرض الى ذلك في موضعه.
5- ينظر شجرة نسب هذه الأسرة في الملحق – ص 467 من هذا البحث.
6- من هذه المناصب: الوزارة – ولاية المدينة – ولاية السوق
7- نسبهم- الحذاء – بالذال المعجمة، وحكى ابن عفيف: أنهم يأبون ذلك، ويقولون: هو بدال مهملة من حذ الابل، وان جدهم الذي ينسبون اليه، هو حادي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولكن لما سكن أولنا بربض الحذائين تصحف على الناس نسبنا لقرب الحرفيين. عياض: المصدر السابق -ج2 – ص301.
8- عياض: نفسه – ج2 – ص301.

المشرق وحج سنة 372هـ/983م و سنه آنذاك خمس وعشرون عاما، ثم انتقل إلى المدينة فمصر وسمع من شيوخها، كما تفقه بالقيروان على يدي عالمها أبي محمد بن زيد القيرواني، ولم يكتف بتلقي العلم بل أخذ يعلمه لغيره، فكان من أبرز تلامذته أبو عمر ابن عبد البر[1].

لقد أولت المصادر لهذا العَلَم الجليل ترجمة وافية، فهذا أبو علي الغساني قال في حقه: "كان أبو عبد الله ابن الحذاء أحد رجال الأندلس فقها وعلما ونباهة، متفننا في العلوم يقضا... وكان حافظا للفقه بصيرا بالأحكام". ونحا نحوه ابن عفيف بقوله: "كان أبو عبد الله هذا، فقيها عالما حافظا". كما ذكره ابنه أبو عمر القاضي، فقال: "كان له علم الفقه". ويظهر لنا أبو عبد الله الخولاني بأنه لم يكن من الفقهاء المقلدين، وهذا ما يفهم من قوله: "كان من أهل العناية بالعلم، متقدما في الفهم والنبل، وكان من النقاد يشبه المتقدمين في حذقهم وسيرهم".[2] في حين اقتصر كل من الضبي ومخلوف على وصفه بـ: "الفقيه والمشاور في الأحكام"[3].

إن إلمام أبي عبد الله هذا بالفقه وعلو مكانته فيه، كان بسبب تقربه من القاضي ابن زرب، وهو إذ ذاك يبلغ من العمر أربعة عشرة عاما على حد قول القاضي عياض أو خمسة عشرة عل أقصى تقدير، لأن بداياته الأولى لطلب العلم كانت سنة 362هـ/972م، فهو منذ تلك السن كان قريبا من شيخه هذا الذي صحبه، وهو في مثل هذا العمر، ومما زاد في اتساع أفقه المعرفية، تلك الرحلات التي قام بها شرقا وغربا، وعند عودته إلى الأندلس أدخل كتبا أفاد بها أهل بلاده كانوا في أمس الحاجة إليها، فلذلك كله علت مكانته ومنزلته من بين أقرانه.

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص505-507. عياض: نفسه – ج2 – ص301. وينظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي – نشر مكتبة: آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم – إيران – 1403هـ-1983م- مج1- ج3- ص177.

2- عياض: المصدر السابق- ج2- ص301.

3- الضبي: البغية – ص126. مخلوف: المصدر السابق – ص112.

إن اطلاع هذا الفقيه واتساع أفقه المعرفية، هي التي دفعته ليخــوض فـــي ميـــدان التأليف الواسعة، فمن بين مؤلفاته التي وردت في بعض المصادر كتابه الموســوم بـــــ: "كتاب الاستنباط للسنن والأحكام". ويظهر من خلال عنوانه هذا أنه كتاب فقه وحديث[1].

كان ابن الحذاء في عداد الفقهاء المشاورين بسبب تفقهه في هذا العلم، ولذلك كلـــه تولى بعض الخطط، منها: خطة الوثائق السلطانية، وخطة القضاء في مناطق عدة، نـــذكر منها: بجانة و اشبيلية، ثم خرج عن قرطبة أيام الفتنة واستقر بالثغر الأعلى، واستقضـــى بمدينة تطيلة[2]، ثم مدينة سالم[3] ثم سرقسطة[4] [5].

وقد سار على نفس الدرب ابنه: أبو عمر أحمد بن محمد بـــن يحـــي بـــن أحمـــد (380هـــ-467هـــ/990م-1074م) تلقى العلم وهو لا يزال حدثا إذ كان عمـــره حينهـــا أربعة عشرة سنة، أي ابتداء من سنة 393هـــ/934م، فاخذ عن والده أبي عبـــد الله، ثـــم استمر في طلب العلم على عدة شيوخ منهم: عبد الوارث بن سفيان وســـعد بـــن نصـــر وغيرهم إلى أن وصل إلى درجة عالية من العلم كوالده[6] فأصبح بذلك مـــن أهـــل العلـــم وغيره[7].

لم تذكر لنا كتب التراجم تأليفا له في الفقه، إلا أنها أفادتنا بمعلومات تذكر إسهاماته فيه وذلك من خلال نسخه لبعض الكتب، وقد يكون من هذه الكتب التي قام بنسخها كتبـــا في الفقه، وحسب اطلاعنا، لم نعثر له على عناوين لها بالمصادر، توضح لنا بما لا يدعو

1- عياض:المصدر السابق – ج2 – ص302. مخلوف: المصدر السابق – ص112. وينظر محمـــد بـــن عبـــد الله التليدي: تراث المغاربة في الحـــديث النبـــوي وعلومـــه – دار البشـــائر الاســـلامية – بيـــروت – لبنـــان – ط1 – 1416هـــ/1995م - ص69.

2- تطيلة: مدينة عظيمة تقع على نهر إبره، وهي طيبة الهواء والماء حسنة البناء، كثيرة الخيرات كانت أخـــر عمـــل الموحدين بالأندلس. مجهول: تاريخ الأندلس – صص133-134.

3- وتنسب الى بني السليم

4- ينظر عنها: الحميري: المصدر السابق – ص317 وابن غالب: المصدر السابق – ص287. Provençal- opcit p78 –. ابن سعيد: المصدر السابق – ج2 – ص352.

5- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص368-507. عياض: المصدر نفسه – ج2 – ص301. ابن فرحون: المصدر السابق - ص368.

6- ابن بشكوال: المصدر السابق– صص62-63.

7- الحميدي: المصدر السابق – ص362. الضبي: المصدر السابق – ص459.

للشك أنه أثرى الساحة الثقافية بالأندلس بما نسخه هذا العالم الجليل، إلا أنها تخبرنا بأنـــه ارتقى بعلمه هذا، إلى أعلى درجات العلم والمعرفة[1].

ولتمكنه في هذا العلم، فقد تولى خطة القضاء كوالده في عدة مـــدن كانـــت مدينـــة طليطلة إحداها، وفي أخر عمره انصرف إلى قرطبة وبقي مترددا بينهـــا وبـــين اشـــبيلية متوليا القضاء بهما[2].

وأما ابنه الثاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحي بن الحذاء من أهـــل قرطبـــة، سكن سرقسطة، تلقى العلم عن والده وغيره، فنال حظه من الفقه، فتـــولى بـــذلك خطـــة القضاء كبقية أفراد أسرته، وقد أجاز له ولأخيه السالف الذكر أبو عمرو السفاقسي ســـنة 436هــ/1044م[3].

لم تقتصر إسهامات هذا البيت على هؤلاء الأفراد فقط، بل وصلت عطاءات هؤلاء إلى القرن السابع الهجري (13م)، فهذا يدل على أن توارث العلم بقي متوارثا ومتـــداولا بينهم إلى فترة متأخرة الأمر الذي حافظ على وجود هذه الأسرة، وخلدت ظهورها كتـــب التراجم التي اعتنت بتدوين أسمائهم على مر العصور والأجيال.[4]

ب ــ <u>بيوتات من الطبقة الثانية:</u>

ويندرج ضمن هذه الطبقة تلك البيوتات التي كان لبعض أفرادها تاليف فـــي هـــذا الميدان إلاّ أنها لم تكتس نفس الشهرة التي كانت للبيوتات السالفة الذكر وقد ظهر منها:

بيت بني لبابة الذي اعتبر من بيوتات العلم بالأندلس – وقد ظهر منهم عدة أفراد عاشوا خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري (10م)،منهم:

أبو حفص عمر بن يحي بن عمر بن لبابة (كان أيام الناصر سنة 326هــ/937م) الذي يعتبر من بين أحد الفقهاء الذين تصدروا الفتوى، ولذلك كان من بين شهود الأمـــان

1- ابن بشكوال: المصدر السابق- ص63.

2- الحميدي: نفسه – ص362. ابن خير: فهرسة – ص93. ابن بشكوال: نفسه – ص63.

3- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج2- ص240.

4- من هؤلاء محمد بن يحي بن محمد بن متوكل التميمي من أهل اشبيلية، وأصله من قرطبة ويعرف بابن الحـــذاء، وهو من بيت أبي عمر القاضي، يكنى أبا بكر، كان يعقد الشروط، توفي سنة 600هــ أو 601 هــ/1203م-1204م). ابن الأبار القضاعي: المصدر السابق – ج2- ص86. ياقوت الحموي: ارشاد الأريب الى معرفـــة الأديـــب – حققـــه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدم له: الدكتور عمر فاروق الطباع – مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط1 – 1420هــ/1999م – مج7 – ص77.

الذي عقده الناصر لمحمد بن هشام التجيبي صاحب سرقسطة[1]، وقبل ذلك "كان أحد الفقهاء المشاورين الذي تدور عليهم الفتوى"[2].

أما أخوه أبو عبد الله محمد بن يحي بن عمر المعروف بالبوجون (ت 330هـ/941م)[3] ويلقب بالبربري ابن أبي الشيخ، أخذ جل علمه عن عمه محمد بن عمر بن لبابة وغيره، وكانت له رحلة إلى القيروان أخذ فيها عن حماس بن مروان[4] ويبين لنا القاضي عياض تمكنه في الفقه بقوله: "وكان أحفظ أهل زمانه للمذهب، عالما بعقد الشروط، بصيرا بعللها وله اختيارات في الفتوى والفقه خارجة عن المذاهب".[5] وتبعه في ذلك الخشني حين قال: "كان حافظا لرأي مالك كَثْبًا للوثائق والشروط، مشاورا في الأحكام."[6] ونحا نحوهما ابن الفرضي فذكر بأنه "كان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، عالما بعقد الشروط بصيرا بعللها."[7]

أما الحميدي فقال: "كان فقيها مقدما"[8] وبنفس الأسلوب عبر مخلوف حين ترجم له، فذكر ما مفاده: "الإمام الفقيه الموثق."[9] في حين وصفه ابن حيان بـ: "الفقيه المشاور."[10]

لقد تميز أبو عبد الله هذا عن بقية أفراد أسرته بمؤلفاته في الفقه. فالقاضي عياض الذي فصّل في ترجمته ذكر له كتابين وهما: كتاب المُنْتَخَبَة وكتاب في الوثائق[11]. في حين ذكر له الحميدي مؤلفا واحدا وهو كتاب "المنتخبة"[12] ونفس الأمر بالنسبة لمخلوف الذي

1- ينظر عن عهد الأمان ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق5 – ص409. ان علم الوثائق هي من أجل العلوم قدرا ادبها تثبت الحقوق وعلم الوثائق علم يلجأ اليه الملوك والفقهاء وأهل الحرف والسوقة والسواد. الونشريسي: المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق- دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن حمود – دار البحوث للدراسات الاسلامية واحياء الثرات – ط1 – 1426هـ/2005م – ج1 – ص31.

2- ابن الابار القضاعي: التكملة...ج3- ص146.

3- يذكر الحميدي: سنة 330هـ وقيل سنة 331هـ/942م بالاسكندرية. المصدر السابق – ص87 وسنة 336هـ عند مخلوف: المصدر السابق – ص86

4-تنظر ترجمته عند ابن حارث الخشني: طبقات علماء افريقية – جمع وتحقيق: د/ محمد بن أبي شنب –ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2006 – ص153.

5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص80.

6- الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص135.

7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص334.

8- الحميدي: المصدر السابق – ص87.

9- مخلوف: المصدر السابق – ص86.

10- ابن حيان القرطبي: المقتبس – ق5 – ص103.

11- عياض:المصدر السابق – ج2 -ص80.

12- الحميدي: نفسه – ص87.

أفادنا بنفس المؤلف تحت عنوان "الوثائق المنتخبة"[1]، واقتصر ابن الفرضي بالقول أن لـــه كتب مؤلفة في الفقه[2] ونحا نحوه الخشني[3].

وما يدل على قيمة ما ألفه أبو عبد الله هذا، ذلك الثناء الذي استأثر به، فابن حـــزم ذكر بأن ليس لأصحابه مثل "المنتخبة"، وهي على مقاصد الشرح لمسائل المدونة، وهذا ما يفهم من كلامه حين قال: "ما رأيت لمالكي قط، كتابا أنبل منه في جميع روايات المذهب، وشرح مستغلقها وتفريع وجوهها."[4]

ولعلو مكانته العلمية لدى حكام بني أمية، فقد ولي عدة خطط منها: خطة الشورى[5] على عهد عبد الرحمن الناصر، ثم ولي خطة الوثائق والشورى إلى أخر عمره[6]، كما ولي قضاء إلبيرة[7].

وإذا انتقلنا الآن للحديث عن الفرع الثاني لهذه الأسرة، فسيبرز فردان منهمـــا، وان كان قد عاشا فترة وجيزة من حكم الخليفة عبد الرحمن، إلا أنهما حافظا علـــى مكانتهمـــا على عهده.

أولهما: أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة[8] (ت314هـ/926م)، أخذ العلم على جلة من العلماء منهم: عبد الله بن خالد وأبان بن عيسى بن دينار وغيرهما، وقد تفقه علـــى يديـــه خلق كثير كان أبو العباس ابن ذكوان احد هؤلاء[9] وهذا ما يؤكده لنا الخشني، فكـــان مـــن العلماء الذين أقبلوا على دراسة المؤطأ والمدونة والمستخرجة، وقام برواياتها لطلبته.[10]

1- مخلوف: نفسه – ص86

2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص334.

3- الخشني: نفسه- ص135.

4- المقري: المصدر السابق – ج4 – صص17-18.

5- ولكن سرعان ما عزله الناصر عن هذه الخطة لأشياء نقمت عليه، وهذا ما يؤكده ابن عفيف بقوله: أن الناصر رفع عن ابن لبابة أشياء قبيحة، فأمر باسقاط منزلته من الشورى والعدالة، والزامه بيته ومنعه أن يفتي أحدا، فأقام على ذلك وقتا، ثم أعاده الناصر الى عادته. عياض: المصدر السابق– ج2 –ص80-82. ابن فرحون: المصدر السابق–ص348.

6- عياض:المصدر السابق – ج2 – ص80. ابن فرحون: المصدر السابق – ص348. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص334.

7- الخشني: المصدر السابق – ص135.

8- كان ولاء ابن لبابة لأل أبي عثمان – الخشني: نفسه – ص107.

9- ابن الفرضي الأزدي: نفســه – ص320. الحميــدي: المصـــدر الســـابق – ص67. ابـــن فرحـــون: نفســـه – ص343.مخلوف: المصدر السابق – ص86.

10- الخشني: نفسه – ص106 وينظر طه عبد المقصود: المرجع الســـابق – ج2 – ص754. ك. بويكـــا: المرجـــع السابق – صص75-76.

وبالرغم من أن ابن لبابة هذا لم تكن له رحلة لطلب العلم، إلا أنه استفاد كثيرا من علماء الأندلس في هذا الميدان، إذ أدرك من رجالاته جلّة منهم[1]. فأصبح من فقهاء بـــلاده المتميزين، وهذا ما شهد له به من ترجم له، فابن الفرضي قال في حقه: "كان إماما فـــي الفقه، مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا...ثم انفرد بالفتيا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر، فلم يكن يشركه احد في رياسة البلد والقيام بالشورى."[2] كما نعتـــه مخلوف بـــ: "الفقيه العالم الإمام الحافظ المشاور." فأصبح بعدها صاحب الفتوى بعد أيوب بن سليمان ودارت عليه الأحكام نحو سنتين.[3]

وفي التأكيد على علو منزلته في الفقه يقول الصدفي بهذا الصدد: كان "مـــن أهـــل الحفظ للفقه والفهم به، أفقه الناس وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك وغيره، وشاهد القضايا والأحكام، مع تمييز وإدراك، لم يكن لأحد ممن رأينا وشاهدنا."[4] وسار على نفس الـــدرب في بيان منزلته العالية الخشني بقوله: كان من "الفقهاء المبرزين، أقر له بـــذلك المحـــب والكاره...مع حسن القريحة والرسوخ في صنعة العلم."[5] وأما الحميدي، فـــاكتفى بـــالقول أنه: "كان من الأئمة في الفقه."[6]

لقد حظي أبو عبد الله ابن لبابة هذا، بحظ وافر في كتب التراجم، وبخاصة تلك التي عاصرته أو كانت قريبة من عصره، شأنه في ذلك شأن ابن أخيه محمد بن يحي المكنـــى هو كذلك بأبي عبد الله، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على علو منزلته في الفقه، والذي اشتهر فيه بتحرير الشروط والوثائق والسجلات، وكان له فيه تآليف.[7]

لم يبق هذا العلم حكرا عليه، بل سيورثه لابنه فيما بعد وهو:

أبو عمر[8] احمد بن خالد بن عمر بن لبابة[1] (ت325هـــ/936م) الذي تفقه على يدي والده، ثم سمع من أحمد بن خالد وغيرهما، وكان منهم أصحاب أبيه، فإضافة إلى تعاطيه

1- الخشني: نفسه – ص106.
2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص320. وينظر ابن فرحون: نفسه – ص343.
3- مخلوف: المصدر السابق- ص86. ابن فرحون: المصدر السابق – ص160.
4- ابن فرحون: نفسه – ص343. وينظر: سعد قاسم علي: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية – ج3 – ص1155.
5- الخشني: المصدر السابق – ص106.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص67.
7- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص763.
8- يكنيه عياض: أبا عمران – المصدر السابق – ج2 – ص83

لعلم الحديث ، فقد كان "فقيه الصدر ذكي العقل حاد الذهن حسن التصرف"[2] ولعلو منزلته في الفقه، فلم "يكن بقرطبة في وقته أكمل منه علما، ولا أظهر فقها، وكان محبا في الناس تحمد خصاله، عاقلا حصيفا فقيها." وهذا ما ذهب إليه القاضي عياض حين جعله "شيخ الفقهاء"[3].

هذا ما ورد عن أفراد هذا البيت الذي أولت لهم كتب التراجم حيزا أكبر في تراجمها، بسبب بروزهم في هذا العلم، فذهبت في أحايين عدة في إعطاء ترجمة مفصلة لبعض أفراده والتي أفادتنا كثيرا في إبراز إسهاماتهم الثقافية، وبخاصة الفقه.

ومن بيوتات العلم والشرف **بيت بني أبي معيط** وكان على رأس هذه الأسرة الوليد بن محمد بن يوسف بن عقبة بن أبي معيط (ت323هـ/934م)، وهو باني شرف هذه الأسرة بالأندلس. طلب العلم وقيّده على جماعة منهم: يحي بن عمر وغيره.[4]

وقد حظيت هذه الأسرة بعد قدومها الأندلس بشهرة علمية كان لها دور بارز في ازدهار الحركة العلمية بهذا البلد، وذلك بفضل عقبه الذين أنجبهم، ونخص بالذكر منهم:

أبو القاسم العباس بن الوليد بن محمد بن يوسف بن أبي معيط (274-294هـ-352هـ/887م-906م-963م) ولد بالمشرق، ثم قدم بعدها إلى الأندلس مع والده. ذكره ابن الأبار في موضعين، واختصر القول عنه في ولادته ورحلته، ولم يفدنا بإسهاماته العلمية، ويبدو أن كتب التراجم لم تول له اهتماما بسبب عدم دخوله معترك الحقل المعرفي، وهذا ما يفهم من كلام ابن الأبار في أخر ترجمته، حيث قال: "ذكره أبو عمر ابن عبد البر، وفيه يسير عن غيره."[5]

ولكن من حسن حظ هذا الوالد أنه أنجب ولدا سيحتل مكانة مرموقة على الساحة الثقافية بالأندلس وبخاصة الفقه، وهو أبو مروان عبيد الله بن الوليد بن محمد بن عقبة بن أبي معيط (300هـ-302هـ-378هـ/912م-914م-988م) إذ استفاد من شيوخ جلة

1- جعله عبد الرحمن علي الحجي عما لمحمد بن يحي، وفي الحقيقة هو ابن عم هذا الأخير، وهو خطأ، فقد اعتمد على ابن الفرضي، وهذا الأخير ينسبه مباشرة الى جده أحمد بن عمر، فظن الحجي أنه ابن لعمر. ينظر عياض: نفسه – ج2 – ص83 – ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص41. الحجي: المرجع السابق- ص168.

2- الخشني: نفسه – ص22.

3- عياض: المصدر نفسه – ج2 – ص83.

4- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج4 – صص155-156.

5- ابن الأبار القضاعي: نفسه ج 4 – ص31.

نذكر منهم بقرطبة قاسم بن أصبغ ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم وغيرهما، ولتفقهه فقد تخرج على يديه ابن الفرضي الذي استفاد من علمه، وهذا ما يؤكده بقوله: "وسمعت أنا منه كثيرا."[1]

ويكفينا في علوم منزلته ومكانته العلمية شهادة تلميذه هذا الذي أثنى عليه، فقال في حقه: "وكان عالما بالفتيا، بصيرا بالمسائل والشروط، مشاورا في الأحكام، مستفتي مع نظرائه."[2] وأضاف عياض قوله: "واليه والى ابن أبي دليم، انتهت رئاسة الفتوى أيام الحكم."[3]

وكان من صلب هذا الفقيه ابنان وهما:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد بن أبي معيط (ت432هـ/1040م) الذي أثنت عليه المصادر وعلى بيته، فتارة تصفه بأنه "من بيوتات العلم والشرف بقرطبة."[4] وأخرى تصفه بأنه "من أهل الشرف والسؤدد."[5] واكتفت بذلك ولم تبين إسهاماته في هذا الميدان، وقد يكون له حظ في الفقه بدليل أنه تولى خطة الشورى بقرطبة.[6]

وعلى ضوء ما تقدم ذكره، يظهر من خلال تلك الترجمات المقتضبة لهذه الشخصية فيما يتعلق باتجاهاته الثقافية، وبخاصة في الفقه، أظهرت هذه المصادر بأنه ركب فرس السياسة الأمر الذي أبعده عن الحقل المعرفي، إذ بويع له بالخلافة بشرق الأندلس إلا أن فرس السياسة كبا به مما اضطره إلى ترك دياره بقرطبة لينتقل بعدها إلى بجانة ليشتغل بها مؤدبا للصبيان إلى أن أدركته المنية بها.[7]

أما أخوه أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الوليد (327هـ أو 329هـ-ت367هـ/938م-940م-ت977م) فكان أوفر حظا من أخيه في العلم، الذي أخذه عن

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص208.
2- ابن الفرضي: المصدر السابق: نفس الصفحة.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص179.
4- نفسه: ج2 – ص309.
5- الصفدي: المصدر السابق – ج2 – ص155.
6- عياض: نفسه – ج2 – ص309.
7- عياض: نفسه – ج2 – ص309. ابن بشكوال: المصدر السابق – صص269-270. ابن عذاري : المصدر السابق – ج3 – صص115-116. الصفدي: نفسه – ج12 – ص115. علي قاسم: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية – ج2 – ص 725. خير الدين الزركلي: المرجع السابق – ج4 – ص102

والده وبعض الشيوخ كمحمد بن أحمد بن الفزار القروي وغيره، وهذا ما يتضح لنا جليا من خلال استقرائنا لبعض المصادر التي ترجمت له، فهذا ابن الفرضي الذي رفع من منزلته قال في حقه: "قرطبي جليل، من أبناء الأشراف، وجلة الفقهاء." ثم يضيف قائلا: "وكان حافظا للفقه، عالما بالرأي على مذهب مالك وأصحابه."[1] ونحا نحوه القاضي عياض حين قال: "من أبناء الأشراف وأعيان الفقهاء الأخيار." ولذلك كله، فقد ترأس العلم بقرطبة الأمر الذي قرّبه من الخليفة.[2] و التحق بهذه الكوكبة مخلوف بقوله: "الإمام الفقيه، العالم المتفنن."[3]

ولتمكنه في هذا العلم، فقد تولى خطة الشورى بقرطبة، إلا أنه رفض القضاء وهو في عنفوان شبابه، ولكن حاله لم تستقر على تلقي العلم وتعليمه، إذ زهد في الدنيا في أخر عمره واعتزل جميع الناس، وانصرف للعبادة، وعلى الرغم من ذلك، فقد ترك لنا أكبر أثر في حياته الثقافية وهو "كتاب الاستيعاب" الذي ألفه، أو أتممه مع أبي عمر ابن المكوي[4] [5].

وورثه في العلم ولده أبو مروان عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت401هـ/1019م)[6] الذي سيصبح من الفقهاء المشهورين، فقد أثنى ابن حيان عليه وعلى بيته بقوله: "كان حافظا عالما ورعا فاضلا، عظيم الصدقة، من بيت علم وفقه وعبادة."[7] و نفس المذهب ذهب إليه ابن بشكوال، فقال: كان "عالما حافظا، فاضلا ورعا، كثير الصدقة في بيت فقه وعبادة."[8]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدرنفسه – ص356.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص235.
3- مخلوف: المصدر السابق – ص99.
4- ينظر في ترجمته عند ابن فرحون: المصدر السابق- صص100-101
5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص356. عياض: نفسه – ج2 – صص235-236.
6- يذكر القاضي عياض سنة وفاته سنة 501هـ/1107م وهو خطأ، فبعملية حسابية بسيطة تثبث ذلك، فلو افترضنا أن هذه السنة هي الصحيحة، مع العلم أنه عاش 43 سنة فلا غرو بأنه ولد سنة 458هـ/1065م، وهذا غير معقول أن يولد الابن بعد وفاة أبيه بـ 91 سنة، ولهذا سأرجح سنة الوفاة سنة 401هـ/1010م وبالثالي تكون سنة ولادته هي سنة 358هـ/968م وهذا هو المعقول، فيكون هذا الابن قد ولد قبل وفاة أبيه بـ: 34 سنة. ينظر عياض: نفسه – ج2 – ص237.
7- عياض: المصدرنفسه – ج2 – ص237.
8- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص301.

ومن البيوتات التي ذاع صيتها على الساحة الأندلسية **بيت آل الحديدي** الذي يعتبر من بيوت الشرف والعلم بطليطلة، إذ شارك البيوتات المتقدمة الذكر في المكانة، حيث رأس هذا العلم، وبادئ ذي بدأ نبدأ بباني هذه الأسرة وهو:

أبو عمر أحمد بن يحي بن سعيد الحديدي الطليطلي. الذي أشاد ببيته صاعد حين قال: "آل الحديدي هو من بيوتات الشرف والعلم التي ترأست العلم بطليطلة" ثم يشيد بأبي عمر هذا، فيذكر بأنه من كبار العلماء ببلده، إذ كان "فقيها ذا رئاسة جليلة في بلده، وذا مكانة من الفقه."[1]

لم يبق العلم حكرا على الأب، بل ورثه الابن وهذا ما يؤكده لنا صاعد بقوله: "وتلاه في حاله ولده بعده."[2] وهذا الإبن هو أبو الطيب والمكنى كذلك بأبي عبد الله و أبي عثمان سعيد بن أحمد بن يحي بن سعيد المعروف بالحداد (ت 428هـ/1036م) الذي خلف أباه أبا عمر في رئاسة علم الفقه والوجاهة، وذكره صاعد في طبقاته، فقال: له "حظ من الفقه والرواية...وكتب العلم."[3]

إن تمكنه في الفقه كان نتيجة لرحلته إلى المشرق، إذ لقي بها جماعة من العلماء، فسمع بمكة من أبي القاسم سليمان بن علي الجبلي،وبمصر من أبي محمد عبد الغني بن سعيد وغيرهما من الشيوخ، كما استفاد أول أمره من والده، وبذلك اكتسب مكانة علمية مرموقة ببلده، وهذا ما يؤكده لنا ابن بشكوال بقوله: "وكان معظما عند الخاصة والعامة". ولم تبق شهرته محصورة بموطنه، بل طبقت الآفاق، حتى أن أهل المشرق أعجبوا به وهذا ما يفهم من قولهم: "ما مرّعلينا قط مثله."[4]

ومن نسل سعيد هذا ثلاثة أبناء وهم على التوالي:

أبو العباس أحمد بن سعيد بن أحمد بن الحديدي التجيبي (ت446هـ/1054م) اختصر ابن بشكوال في ترجمته، ولم يبرز لنا إسهاماته في الفقه وإنما اكتفى بالقول أنه أخذ عن والده ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج.[5]

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص261. وينظر ابن الأبار القضاعي: التكملة – ج1 – ص20.
2- عياض: نفسه – ج2 – ص261.
3- عياض: نفسه – ج2 – ص314.
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص219.
5- نفسه: ص53.

أما أخوه أبو بكر يحي بن سعيد بن أحمد (قتل سنة 460هـ/1067م)، فقد "كان نبيلا متفننا فصيحا فطنا مقدما في الشورى". وقد شارك أخاه في بعض شيوخه، كأبي محمد بن عباس وحماد بن عمار، ولتفقهه في هذا العلم، فقد حظي بمكانة مرموقة عند المأمون يحي بن ذي النون (ت 467هـ/1074م) إذ كان لا يأخذ في أمر إلا بمشورته.[1]

أما الأخ الثاني، وهو أبو الحسن علي بن سعيد بن أحمد (ت 474هـ/1081م)، يظهر بأنه كان أكثر حظا في الفقه، وهذا ما يفهم من بعض المصادر التي ذكرت بأنه كان متقدما في الفتوى، وهو ما يتأكد لنا من ترجمة ابن بشكوال له والذي قال في هذا الصدد: "كان فقيها في المسائل، مشاورا بصيرا بالفتيا، وكان يتحلق إليه ويناظر عليه."[2]

ومن عقب أبي بكر يحي المتقدم ذكره، ابنان: الأول: أبو الطيب سعيد بن يحي بن سعيد الطليطلي (ت472هـ/1079م)، كان من أهل الذكاء والعلم والفهم، ولتفقهه قدمه المأمون يحي بن ذي النون على قضاء طليطلة، وتولى الأحكام إذ كان ثقة فيها، إلا أن الظروف السيئة التي عاشتها الأندلس مدة حكم ملوك الطوائف لم تسعفه ليبرز أكثر في الفقه، فكان مصيره كمصير والده فقد سجن بوبذى[3] في السنة المذكورة أعلاه.[4]

وأما الابن الثاني، فهو محمد بن يحي بن سعيد، ورد ذكره عرضا عند ابن الخطيب، و لم يذكر له إسهامات في هذا الميدان، إلا أنه صنفه ضمن الأعلام البارزين، فكان من أولئك الذين حضروا بيعة هشام بن الحكم والذين وصفهم بـ: "هضاب راسية وبحار في العلم زاخرة، و أعلام قولهم مسموع.[5]

من خلال هذا العرض الموجز لبيت آل الحديدي، يظهر بأنهم تعاطوا الفقه أبا عن جد، إلا أن ظروف الأندلس السياسية حالت دون بروزهم كأعلام تتحدث عنهم المصادر بإطناب وعلى الرغم من عدم خوضهم في التأليف، إلا أن بعضهم اكتفى بنقل هذا العلم عن طريق إعادة نسخ بعض الكتب، كما هو الشأن لسعيد بن أحمد بن يحي.

1- ابن بشكوال: المصدر السابق ــ صص669-670.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق: ص419.
3- وبدى: ووبدة، ينظر عنها الحميري: المصدر السابق – ص607
4- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ص223.
5- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص48-52.

ومن **بيت بني أبي دليم** الذي يعتبر هو كذلك من البيوتات العلمية بالأندلس الـذين تركوا بصماتهم على الساحة الثقافية ، وبخاصة الفقه، إذ ظهر منهم عدة أعلام نذكر منهم في هذا العلم.

أبو عبد الملك محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن دليم (338هـ/949م)، فمـن خلال تصفحنا لما كتب عنه، يبدو أنه لم يبرز في الفقه كبروز بعض أفراد أسرته، ولـذا اقتصر بعض من ترجم له، كابن عفيف على وصفه بأنه "كان من أهل العلم"[1] ولكن مـن حسن حظ هذه الأسرة أن ظهر من عقب أبي عبد الله هذا ولدان هما:

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (288هـ- 372هـ/900م-982م) سـمع عدّة شيوخ منهم أسلم بن عبد العزيز ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهما، وكان ابـن الفرضي من أبرز تلامذته وقد شارك أخاه في بعض شيوخه.[2]

بعد هذا الثناء الذي حظي به من بعض من ترجم له تبين لنا بأنه كان يتميز باتساع مداركه العلمية، وهذا مايفهم من قول ابن عفيف: "كان من أهل العلم الواسع" إضافة إلـى أنه كان من النساك الزاهدين والصالحين.[3] وتبعه في ذلك مخلوف[4]. كما أثنى عليه محمد بن يحي بن الجزار بقوله: "كان من خيار الناس وعلمائهم". أما القاضي عياض، فقد أبرز إسهاماته في الفقه حين قال: "كان عالما فقيها، زاهدا ورعا، عفيفا جلدا".[5]

وما يدل على تفقهه، وتمكنه في هذا العلم، وضعه لعدة شـروط والتـي يجـب أن يتّبعها الفقيه ليستحق أن يطلق عليه هذا الاسم، وهذا ما يفهم من قول القاضي عياض،الذي قال: "وكان لا يرى أن يسمى طالب العلم فقيها حتى يكتهل ويكمل سنة، ويقـوى نظـره، ويبرع في حفظ الرأي ورواية الحديث وتبصّره، ويميز طبقـات رجالـه، ويحكـم عقـد الوثائق، ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف، ويعرف مذاهب العلماء والتفسـير، ومعـاني القرآن، فحينئذ يستحق أن يسمى فقيها، وإلا فاسم الطلب أليق به."[6]

1- علي سعيد قاسم: جمهرة تراجم الفقهاء – ج3 – ص117.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص361. الحميدي: المصدر السـابق – ص35. مخلـوف: المصـدر السابق – ص99.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 -ص108.
4- مخلوف: المصدر السابق – ص99.
5- عياض: نفسه – ج2 –ص 108. ابن فرحون: المصدر السابق – ص350.
6- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص109 .

وقد لحق بمكانته أخوه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبـــي دلـــيم (ت 351هـ/962م) وكان قد شارك أخاه في شيوخه[1]، وقد اشتهر كفقيه ومحدث، إذ كان من الأئمة الفقهاء المشاورين[2] ولذلك ولي خطة القضاء على عهد الحكم المستنصر بالله فـــي كل من إلبيرة وبجانة[3] بسبب تلك المكانة التي حظي بها عند هذا الخليفة.[4]

لم تنته مسيرة هذا الفقيه العلمية عند هذا الحد، بل توّجت بأحد الكتب التي ألفها في طبقات الفقهاء والموسومة بـــ "كتاب الطبقات فـــيمن روى عـــن مالـــك وأتبـــاعهم مـــن الأمصار".[5] و قد صرّح عياض بأنه نقل عنه في مواضع كثيرة.[6]

إن تأليفه لهذا المؤلف ينمّ عن حقيقة اتساع اطلاع ابن أبي دليم ليس بفقهاء المالكية بالأندلس، بل تعداها إلى فقهاء المغرب الأقصى والقيروان ومصر وأهل العراق، ولكن ما يؤسف له أن هذا الكنز لازال مفقودا، ومن حسن حظ تراثنا الإسلامي أن القاضي عياض قد حفظ لنا أجزاء مهمة منه في ترتيبه.

ومن نسل هذا البيت الجليل أبو عمر عثمان بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي دلـــيم (ت 434هـ/1042م) من أهل بجانة، وهو ابن أخي أحمد بن إسماعيل بن دليم الجزيري، تفقه ببجانة على شيوخها قبل الفتنة قريبا من الأربعمائة، فأصـــبح بعـــدها "مـــن الفقهـــاء المذكورين." وقد أدركه الحميدي وأخذ عنه، كما ذكره أبو نصر ابن ماكولا فـــي كتابـــه: "المؤتلف والمختلف"[7]

أما عمه أبو عمر أحمد بن إسماعيل بن دليم الجزيري الســـالف الـــذكر القاضـــي (تقريبا من 440هـ/1048م) لم نقف على ترجمة وافيه له تطلعنا على مدى إسهاماته في هذا الميدان، فاكتفينا بما ذكره الحميدي عنه، من أنه تلقى تعليمه على شيخه محمـــد بـــن محمد بن الخلاص وغيره، والذي لم يوفه حقه على الرغم من أنه كان أحد تلامذته.[8]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص191.
2- مخلوف: المصدر السابق – ص90.
3- وردت عند عياض – بجاية –وأظنه خطأ مطبعي: نفسه – ج2 – ص108.
4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص192. وينظر ك. بويكا: المرجع السابق – ص170.
5- سنتعرض اليه لاحقا.
6- عياض: نفسه – ج2 – ص108.
7- الحميدي: المصدر السابق – ص272. ابن بشكوال: المصـــدر الســـابق – ص405. ابـــن الأبـــار القضـــاعي: التكملة...ج3 – ص167.
8- الحميدي: المصدر السابق – ص105. الضبي: المصدر السابق – ص146.

لم تقتصر كتابات الفقهاء المالكية الأندلسيين على عرض فروع المذهب المالكي و بيان أصوله، بل تناولت الرد على أصحاب المذاهب الأخرى لدحض آرائهم، وألفوا في ذلك كتبا خاصة، فمن هؤلاء نذكر من **بيت بني زرب**.

أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب بن مسلمة (317هـ381هـ/929م-991م) القاضي، ذكره ابن الفرضي وفصّل في ترجمته، فقال عنه: "عني بدرس الرأي، فتقدم فيه أهل وقته، وتفقه عند أبي بكر اللؤلؤي، وأبي إبراهيم، وكان أحفظ على مذهب مالك وأصحابه." وقد أكد على مكانته العلمية محمد بن إسحاق بن السليم حين قال: "يا أبا بكر لو رآك عبد الرحمن بن القاسم لعجب منك."[1]

وقال في حقه القاضي عياض: أنه كان "دقيق الفقه، مستبحرا في المسائل حافظا للأصول، حاذقا بالفتوى كثير الاقتداء، متثبتا في أحكامه". ثم استطرد قائلا: "وكان الفقه جلّ علمه."[2] ونحا نحوه الحميدي بقوله: "وكان فقيها نبيلا فاضلا جليلا."[3]

هذا ما ذكره جل من ترجم لهذا العالم الجليل، فأوفوه حقه، ونتيجة لغلبة الفقه عليه، فقد كان له فيه تأليف، وهذا ما يفهم من كلام الحميدي حين قال: وله كتاب في الفقه سماه – الخصال -."[4] أما القاضي عياض، فزيادة على ذكره لعنوان هذا الكتاب، فقد أثنى عليه وذكر سبب تأليفه له في النص الذي أورده "وألف كتاب الخصال المشهور في الفقه على مذهب مالك عارض به كتاب الخصال لابن كاوس[5] الحنفي، فجاء في غاية الإتقان، وله كتاب في الرد على ابن مسرة."[6]

وذكر هذا الكتاب ابن خير دون تفصيل[7] ، في حين لم يذكره النباهي الذي فصّل في ترجمة ابن زرب واكتفى بالثناء عليه بقوله: "وهو أحد صدور الفقهاء في زمانه

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق- ص369. وينظر ابن فرحون: المصدر السابق- ص364.

2- عياض: المصدر السابق– ج2– ص233. وينظر طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية- ج2– صص757-758.

3- الحميدي: المصدرنفسه – ص89. وينظر ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص147.

4- الحميدي: نفسه – ص89. وينظر ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص147. وهذا الكتاب مطبوع حققه: د/ عبد الحميد العلمي سنة 1426هـ2005م.

5- عند ابن فرحون: ابن كابس– المصدر السابق – ص364. وابن كاديس عند ابن زرب كتاب الخصال– مقدمة المحقق–ص30.

6- عياض:المصدر السابق – ج2 – ص234. الصفدي: الوافي – ج3 – ص361.

7- ابن خير: المصدر السابق – ص246.

بالأندلس... وكان له حظ من علم... الفقه."[1] ونفس القول ينطبق على ابن الفرضي الذي لم يذكر له مثل هذا المصنف[2]ولمكانته العلمية فيه، فقد شوور في الأحكام أيام القاضي ابن السليم سنة 360هـ/970م كما تولى خطة قضاء الجماعة سنة 367هـ/977م واستمر فيها مدة أربعة عشر عاما مما يدل على تفوقه في هذا العلم.[3] حتى أن ابن أبي عامر كان يحله ويعظمه، إذ كان يبادر للقائه عند حضور ابن زرب إليه، ويجلسه بقربه، وبعد وفاته فقد الناس فيه علمه وأثنوا عليه ثناء حسنا، وأظهر المنصور حزنه الشديد على فقد مثل هذا العالم الجليل.[4]

أما ابنه أبو بكر يحي بن محمد بن يبقى بن زرب القرطبي (382هـ/447هـ/992م-1055م) لم يكن كوالده في العلم والتقدم فيه، على الرغم من أنه اخذه على شيوخ كبار كالقاضي يونس بن عبد الله وغيره بدليل قول ابن بشكوال: "ولم يكن له علم". ورغم ذلك، فقد قلده أبو الوليد محمد بن جهور أحكام القضاء بقرطبة بعد أبي علي بن ذكوان وهو عميد فقهاء عصره، وبقي كوالده متقلدا لهذه الخطة إلى غاية وفاته.[5]

وما قيل عن هذا الأخير، يقال عن عم القاضي محمد بن يبقى وهو عبد الله بن محمد[6] بن زرب إذ اكتفى ابن الفرضي بنعته بالرجل الصالح مع ذكر رحلته إلى المشرق، ولم يفدنا بإسهاماته في هذا الحقل المعرفي أو غيرها من الحقول المعرفية الأخرى كما فعل مع ابن أخيه السالف الذكر.[7]

و**بيت بني دينار** الذي كان هو كذلك من البيوتات المعروفة بالعلم، أصلهم من الشام، وقد ضمت هذه الأسرة علماء ذوي قدر وجلاله في كل من قرطبة وطليطلة، فبيتهم بيت جلالة ونباهة والذي استطاع أن ينجب لنا عدة أئمة تولى بعضهم خطة القضاء.[8]

1- النباهي: المصدر السابق – ص77.
2- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – صص369-370.
3- عياض: نفسه – ج2 – ص233-235.
4- ابن فرحون: المصدرنفسه – ص364.عياض:المصدر نفسه – ج2 – ص235.
5- ابن بشكوال: المصدر السابق – صص668-669. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص105.
6- يسميه ابن الفرضي الأزدي – عبد الله بن يزيد بن مسلمة – المصدر نفسه – ص185.
7- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص185.
8- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص372. ج2 – ص107. ابن بشكوال: المصدر السابق – ص245.

ومن أوائل أفراد هذه الأسرة نذكر.

أبو محمد أوأبو القاسم أبان بن عيسى بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن واقد بن ورجا[1] الغافقي (281-349هـ/894هـ-960م)، ذكره ابن الفرضي واكتفى بذكر شيوخه كان على رأسهم والده، وغيره من الشيوخ[2]، وبقي العلم متسلسلا في بنيه، إذ كان من بين تلامذته ابناه: محمد وعبد الله، وعلى الرغم من خوضه في هذا الميدان، إلا أنه كان من الفقهاء الذين كانت لهم معرفة متواضعة في الفقه، فقد تحدثت عنه كتب التراجم بنوع يشوبه الغموض، فهي لم تفصل في ترجمته، ولم تبين إن كانت له إسهامات في هذا الميدان، وعلى الرغم من شهرة هذا البيت العلمية، إلا أن ما نلاحظه من خلال مترجميه أنهم اكتفوا بذكرمن تلقى عنهم العلم، وتلامذته الذين أخذوا عنه، ثم تذكر سنة ولادته ووفاته فقط، إلاّ أن عياض يورد مناحيه الثقافية عند ترجمته لإبنيه، فقال : "كان من جملة فقهاء قرطبة"[3]

وقد خلف أبان هذا ابنين ورثا العلم عنه نذكر منهما:

أبو عبد الله و أبو محمد محمد بن أبان بن عيسى بن أبان، الذي تلقى العلم عن والده ووهب بن مسرة وأحمد بن مطرف[4]، ونتيجة لتلقيه العلم على مثل هؤلاء الفقهاء أصبح هو كذلك من جملة فقهاء قرطبة.[5]

وأخوه أبو محمد عبد الله بن أبان بن عيسى (326هـ-395هـ/937هـ-1004م) الذي أخذ العلم بدوره عن والده، ترجم له ابن بشكوال واقتصر على ذكر من تلقى عنهم، ورفع من نسبه وذكر أصل هذا البيت، إلا أنه لم يفدنا بمعلومات تخص أثاره العلمية.[6]

لم يبق بيت بني دينار بعيدا عن التأليف في الفقه المالكي، بل شارك بعض البيوتات – كبيت آل تاجيت – في كتابة المختصرات، حيث برز ابنا أبان بن عيسى المتقدم ذكرهما، فإن كانت المصادر لم تفدنا بأي تأليف لوالدهما، فإن الحظ كان بجانب ولديه إذ اختارهما الحكم المستنصر بالله (350هـ366هـ/ 961م-676م) ليقوما بعملية اختصار

1- ابن راء عند ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1 – ص257.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – صص27-28.
3- عياض: المصدرنفسه – ج2 – ص107-184.
4- نفسه: ج2 – ص184.
5- ابن فرحون: المصدر السابق – ص358. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص184.
6- ابن بشكوال: المصدر السابق – صص244-245.

الكتب المبسوطة التي ألفها يحي بن إسحاق بن يحي الليثي (ت 303هـ/915م)، وهي عبارة عن مجموعة كتب في اختلاف أصحاب مالك – وقرباها، وقام بعدهما أبو الوليد الباجي باختصار اختصارهما.[1] في حين ترجم ابن بشكوال للابن الثاني وهو عبد الله بن أبان، ولم يذكر له هذا الأثر الثقافي، وهذا ما يصعب علينا استخراج بعض مؤلفات هؤلاء في هذا الميدان.[2]

وبالرغم من قلة أفراد هذه الأسرة التي تعاطت هذا العلم، إلا أنها ظهرت كأسرة فاعلة على الساحة الثقافية الأندلسية بما تركته من بصمات في ميدان التأليف، ولا ندري إن استمر تعاطي هذا العلم والتأليف في نفس الوقت لأفراد أحجمت المصادر عن ذكرهم لسبب أو لأخر، إلا أن هذا الأثر قد خلّد اسم هذه الأسرة في مضان كتب التراجم والصلات، وسنحاول تتبع أثرهم في حقول معرفية أخرى.

وكان لـ: **آل تاجيت** الذي اعتبر بيت "علم ونباهة وفضل وصيانة وجلاله."[3] دور بارز في هذا العلم، هذا ما نستشفه من خلال رصدنا لتراجم أفراده في مضان المصادر، والتي كانت شحيحة مقارنة ببعض الأسر.

وترأس هذا البيت، أبو محمد بن أبي عبد الصمد موسى بن محمد بن تاجيت البكري (394هـ-464هـ/1003-1071م) من أهل قرطبة، الذي وصف بأكثر من صفة المفتي والتي أوصلته الى هذه المرتبة، فهذا عياض أثنى عليه بقوله: "جليل مفت مع أصحابه، فقيه البيت في العلم". ونحا نحوه ابن حيان حين قال:"كان من فضلاء قرطبة". إضافة إلى أنه "كان مشاورا في الأحكام بقرطبة". وما يدل على أنه حاز درجة عالية في الفتوى ما ذكر من أن مالك بن أنس لو رآه لقرّت عينه به بسبب تفقهه وتمكّنه في هذا العلم.[4]

وكان لأبي عبد الصمد هذا ابنان هما:

1- عياض: المصدرنفسه – ج2 – ص184. ابن فرحون: المصدرنفسه – ص358. النباهي: المصدر السابق – ص99. ابن خير: فهرسة – ص243.

2- ابن بشكوال: المصدر نفسه – صص244-245. وينظر طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية- ج2 – ص755. و عبد الكريم قبول : الاختصار والمختصرات ...– صص103-104.

3- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص377.

4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص 356. ابن بشكوال: نفسه – صص609-610.

عبد المولى بن موسى بن هذيل (ت 458هـ/1065م)، فعلى الرغم من توفيه شابا في حياة أبيه، وكان يبلغ حينها الثلاثين سنة إلا أنه "كان ذا حظ من الفقه والمعرفة، ذا هدي وفضل".[1]

وكذا أخوه أبو الحسن بن موسى بن هذيل، وما يدل على تفقهه هو وأخيه السالف الذكر، أنهما كانا يشاركان أباهما في الفتوى.[2]

لم يبق هذا العلم محتكرا على هذين الأخوين، بل سيبرز أخ ثالث سيكون له دور فاعل في هذا الميدان، وهذا الأخ هو: أبو بكر أو أبو جعفرعبد الصمد بن موسى بن هذيل (433هـ-495هـ/1041م-1101م) الذي لم يكتف بتلقي العلم وتعليمه، بل كان له فيه تأليف، مما جعله أحد الأفراد البارزين في هذه الأسرة، فعلت بذلك مكانته.

من خلال تصفحنا لما دوّنه، يظهر أنه لم يتبع نهج الفقهاء المالكيين، إذ اعتمد هؤلاء على التآليف الواسعة، وأما هو فقد أقبل على كتابة المختصرات، ويذكر ابن خلدون توجه العلماء إلى هذا النوع من التأليف بقوله: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائلها وأدلتها باختصار في ألفاظها، وحشر القليل فيها معاني كثيرة من ذلك الفن."[3]

لا يمكن لهذا العلم أن يخوض في هذا النوع من التأليف، إلا إذا كان متمكنا في الفقه، وهذا ما يؤكده لنا ابن بشكوال بقوله: كان "مشاورا في الأحكام بقرطبة، وكان له حظ من الفقه ومعرفة جيدة بالشروط". فكان له في هذا الشأن كتاب "المختصر". ولبراعته في هذا الميدان وتمكنه فيه، فقد ناظر عند أبي عمر بن اليقضان وهو من الفقهاء المشهورين، كما أجاز له أبو عمر ابن عبد البر جميع رواياته، فهذا يدل على ثقة هذا الأخيربه.[4]

1- عياض: المصدر نفسه – ج2 – ص356.
2- نفسه: – نفس الصفحة.
3- ابن خلدون: المقدمة - ص3 – ص1109
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص377.

وعلى الرغم من سكوت بعض المصادرعن إسهامات هذه الأسرة العلمية، إلا أنه من خلال تتبعنا لما ورد في مضان بعضها، أبرزت لنا ذلك الدور الذي كان لهذا البيت في الفقه، فكان عبد الصمد هذا، قطبا فاعلا فيه، فقد ترك لنا أثرا في هذا الحقل المعرفي استطاع بواسطته أن يخلد اسمه و اسم أسرته بفضل تعاطيه لهذا العلم، والبروز فيه.

ومن البيوتات التي خاض بعض أفرادها في ميدان التأليف نذكر **بيت بني رشيق** والذي وقفت فيه على فردين: الوالد وابنه.

أما الوالد، فهو أبو عمر أحمد بن رشيق (ت446هـ/1054م) الذي كان من أولئك الذين تصدوا للفتوى، ولذا أثنت عليه المصادر وجعلته من شيوخ بلده وكبرائها، وهذا ما يفهم من كلام عياض: "شيخ فقهاء المرية، وكبير مفتيها." ثم يردف قائلا: "وكان من أهل العلم والنظر، مقداما في جودة الفتيا."[1] فكان بذلك من أولئك الذين تؤخذ مشاورتهم، حيث "شوور في المرية أو نوظر عليه في الفقه، وكان له حافظا"[2].

ولتفقهه وتقدمه في الفتوى، فقد أخذ عنه عدد من فقهاء المرية الذين استفادوا من علمه، كان منهم حجاج الماموني بن القاسم، فهذا الأخير هو الذي قام بتخطئة أبي عمر، فلما بلغ هذا الأمر أباه القاسم قال له قولته المشهورة، والتي تدل على مكانة ابن رشيق العلمية. "إلى هنا بلغت معه، والله ما يحسن بك أن تتكلم بين يديه فكيف تخطئه؟".[3]

هذا النص الأخير يبين بما لا يدعو للشك تمكن ابن رشيق في ميدان الفتوى، وما وصفته به المصادر أهلته لأن يتصدرها، ويصبح أحد أقطابها.

ولبني رشيق كذلك ذكر في حركة التأليف التي شهدتها الساحة الثقافية بالأندلس، نخص بالقول ابن المتقدم ذكره وهو أبو القاسم أيوب بن أحمد بن رشيق الذي ذكره ابن الأبار بقوله: "كان فقيها أديبا شاعرا". ولم يكتف بالتعريف به ثقافيا، بل أضاف إلى ذلك إسهاماته في هذا الميدان منها: تأليفه في النفقات والحضانات وأسباب الزوجات والتي

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص363.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – ج2 – ص53.
3- عياض: نفسه – ج2 – ص363.

استفاد منها جمع من الناس.[1] وكعادة ابن فرحون أثنى عليه وعلى ما ألفه، ووصف مؤلفاته بالحسنة.[2]

ومن نسل أيوب هذا، أبو الحسن مكي بن أيوب بن أحمد من أهل شاطبة، ذكره ابن الأبار ولم يذكر له إسهامات في هذا العلم، بل في علوم أخرى.[3]

لم تنقطع عطاءات هذه الأسرة عند هذا الابن، بل استمرت إلى غاية سنة 556هـ/1160م وقد تمثلت في أحد أحفادها[4] مما ساعد على تخليد ذكر اسمها في كتب التراجم والصلات.

هذه جملة من الأسر، والتي كانت لها مشاركة فاعلة في الفقه والتأليف فيه، إلا أن هذه الأسر مجتمعة لم تبق اهتماماتها مقتصرة على هذا العلم، وإنما ستتعداه إلى علم الحديث، وسيكون لبعض أفرادها إسهامات جليلة فيه، وهذا ما سنستشفه من خلال رصدنا لبعض منها.

1- ابن الأبار القضاعي: التكملة...ج1-صص165-166.

2- ابن فرحون: الديباج..ص160.

3- ابن الأبار القضاعي: نفسه – ج2 – ص206.

4- وهو عبد الغني، ويسميه ابن فرحون- عبد العزيز – بن مكي بن أيوب بن أحمد بن رشيق التغلبي مولاهم من أهل شاطبة وأصله من بجانة ونسب أهله اليها، يكنى أبا محمد روى عن أبيه وأبي عبد الله بن سيف وغيرهم. ابن فرحون: نفسه – ص160. ابن الأبار القضاعي: التكملة... – ج3 – ص137. ابن الأبار القضاعي: المعجم ... – ص268.

2) **مشاهير بيوتات علم الحديث وانجازاتها فيه**

بدأت دراسة الحديث بالأندلس اعتمادا على علماء المشرق[1]، إذ عرف هذا النــوع من العلم طريقه إلى الأندلس في وقت مبكر، فقد عرفوا قيمة هذه المادة العلمية واعترفــوا بأهميتها، وفي ذلك يقول ابن عبد البر: "إن أول ما نظر فيه الطالب وعني به العالم بعــد كتاب الله عز وجل وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي المنبئة لمراد الله عز وجل من مجملات كتابه، والدالة على حدوده والمفسرة له، والهادية إلى صراطه المستقيم".[2]

وفي محاولة لاستنطاق كتب التاريخ، فلم أجد إلا كتب التراجم والفهارس والصلات التي احتوت صفحاتها على عبارات متناثرة هنا وهناك، فسعيت على جمعها، وجمع شتات بعض أفراد البيوتات ومدى اسهاماتها في هذا العلم تأليفا ومشاركة حتى يمكن لنا تســليط الضوء أكثر فأكثر على هذا النوع من الحقل المعرفي.

أ) **مشاهير البيوتات و إنجازاتها فيه.**

من البيوتات التي كانت لها إسهامات فاعلة في هذا العلم، بيت **بني ثابت بن حــزم** العوفي وهو من البيوتات النبيهة ذات الحسب، إذ كان أهل الأندلس يفــاخرون بأســلافهم الأوائل لعلمهم. وبخاصة في علم الحديث.[3]

وأول أفراد هذه الأسرة هو: أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن ســليمان العوفي السرقسطي (ت313هــ/925م) تلقى العلم عن عدة شيوخ ببلده الأنــدلس مــنهم: محمد بن وضاح بن بزيغ محدث الأندلس المشهورين ومن الرواة المكثــرين، والخشــني الذي كان من المحدثين بالأندلس زمنا طويلا، وغيرهما[4]. حتى يوسع من مداركه العلمية، فقد كانت له رحلة إلى المشرق مع ابنه قاسم، فسمع بمكة من عبد الله بن علي بن الجارود

1- من أمثال هؤلاء: معاوية بن صالح الشامي الحمصي وصعصعة بن سلام الشامي: ينظر عنهما: ابــن الفرضــي: المصدر السابق – صص400-401. الحميدي: المصدر السابق – صص304-305. الضــبي: المصــدر الســابق – صص400-402.

2- ابن عبد البر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب –مكتبة مصر- دت- ج1 – ص5. وينظر مخلوف المصدر السابق – ص21. وطه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص513.

3- ابن بشكوال: الصلة – ص123.

4- ينظر عنهما الحميدي: المصدر نفسه – صص83-61. ابن فرحون: الديباج – ص338. مخلوف: المصدر نفســه – ص76.

(ت307هـ/919م) ومن مصر أحمد بن شعيب النسائي (215هـ-303هـ/830م-915م).[1]

وفي بيان منزلته العلمية في هذا العلم يقول ابن الفرضي: "كان عالما متفننا بصيرا بالحديث" إضافة إلى علوم أخرى[2]. أما الحميدي فاكتفى بالقول أنه محدث من أهل سرقسطة.[3] و نحا نحوهما كل من ابن فرحون والسيوطي[4]، في حين أثنى عليه صاحب شجرة النور الزكية بقوله: "العلامة المتبحر الفاضل العمدة البصير بالحديث."[5] وبذلك أصبح كثير الرواية.[6]

وما يدل على علو مكانته العلمية، هو خوضه في ميدان التأليف وهذا ما يترجمه كتابه الموسوم بـ: "الدلائل في شرح ما أغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث"[7]، في حين اختصر عنوانه كل من الذهبي والسيوطي على هذا النحو "الدلائل"[8].

إن أصل تأليف هذا الكتاب هو لمؤلفة قاسم بن ثابت بن حزم ابن المتقدم ذكره، إلا أنه أدركته المنية ولم يستطع إتمامه، فأكمله والده هذا، وهذا ما يؤكده ابن فرحون بقوله: "فتممه أبوه"[9]. وينطبق قوله هذا مع قول ابن عطية الذي أدلى بدلوه عن مؤلف الكتاب فقال: "شرع في تأليف هذا الكتاب قاسم بن ثابت بن حزم، توفي قبل إكماله، فأكمله أبوه ثابت بعده." ثم يضيف قائلا: "أن ثابتا وابنه قاسما ألفاه جميعا."[10] وقد أثنى عليه ابن فرحون بقوله: "وناهيك به اتقانا"[11].

1- ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص51.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص89.
3- الحميدي:المصدر السابق – ص162.
4- ابن فرحون:الديباج – ص168. السيوطي: طبقات الحفاظ –راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان - ص357.
5- مخلوف: المصدر السابق – ص86. وينظر الفيروز آبادي: البلغة في تاريخ أئمة اللغة – اعتنى به وراجعه: بركات يوسف هبود- المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1422هـ/2001م - ص141.
6- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص191.
7- ابن فرحون : المصدر نفسه...ص168. وينظر رضا كحالة: معجم المؤلفين – ج1 – ص465.
8- الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2-ج3- ص58. السيوطي: المصدر السابق – ص357. وينظر خليفة حاجي: المرجع السابق – ج5 – ص204.
9- ابن فرحون: نفسه – ص168.
10- ابن عطية: فهرسة – ص140.
11- ابن فرحون: نفسه – ص168.

ومن عقب هذا العلم المشهور أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (255هـ/302هـ/868م-914م) السالف الذكر، كانت له رحلة مع أبيه، وشاركه في بعض شيوخه، عني هو وأبوه بجمع الأحاديث، فأدخلا الأندلس علما كثيرا، فكان بذلك "عالما بالحديث والفقه، متقدما في معرفة الغريب[1]، وكان مع ذلك ورعا ناسكا"[2]. وهذا ما ذهب إليه ابن فرحون[3]، كما وصفه مخلوف بقوله: "الإمام الجليل العالم المتفنن العمدة، آية الله في الذكاء والحفظ والإتقان"[4]. وقد أكد صفة الذكاء هذه الذهبي حين ترجم لوالده، فقال: "وكان ابنه من الأذكياء الكبار"[5]، فكان له بذلك معرفة بهذا العلم وتقدم فيه.[6]

أما الكتاب الذي احتفى به الأندلسيون وعدّوه من مفاخرهم في هذا الباب، فهو كتاب "الدلائل" وهو في غريب الحديث لمؤلفه أبي محمد هذا، وقد ورد عند ابن خير تحت اسم "كتاب شرح غريب الحديث ومعانيه وهو المسمى بكتاب الدلائل"[7].

وقد أثنى على هذا الكتاب جلّة من علماء المشرق والأندلس وفضّلوه، فهذا أبو القاسم إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ذكره منوها به: "كتبت كتاب الدلائل وما أعلم وضع بالأندلس مثله"، فعقب ابن الفرضي على كلام القالي، فقال: بأنه أحرى عليه أن يقول: بأن علماء المشرق لم يصنفوا مثله.[8]

1- الغريب لغة: المنفرد في الجماعة بشي ما، والبعيد عن وطنه وأقاربه. واصطلاحا: ما يتفرد بروايته شخص، والتفرد قد يكون في بعض حلقات السند، وقد يكون في جميعها. فإن رواه إثنان أو ثلاثة سمي عزيزا، وان رواه جماعة يسمى مشهورا. الجرجاني: فن أصول مصطلح الحديث – تحقيق ودراسة: أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي – دار الفضيلة – القاهرة – مصر – 1423هـ-2002م – ص103. القسطلاني: السعي الحثيث الى جمع فوائد علم الحديث – تقديم وتعليق: بشير ضيف بن أبي بكر – ديوان المطبوعات الجامعية –بن عكنون- الجزائر – 1994م – ص39. ابن أبي بكر بشير ضيف: مذكرة في مصطلح علم الحديث – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون- الجزائر – ط2 – 1994م – ص22. الفيروز آبادي محمد أبو الليث: معجم المصطلحات الحديثية – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط1- 1426هـ/2005م-ص63.

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص284. السيوطي: بغية الوعاة – ص686.

3- ابن فرحون: المصدر السابق – ص322

4- مخلوف: المصدر السابق - 86

5- الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3 – ص58.

6- المقري: النفح – ج2 – ص217. وقد ورد عند المقري في موضع آخر اسم عامر بن خلف السرقسطي في شرح الحديث ولم يرد اسم قاسم بن ثابت. ينظر نفسه – ج4 – ص17.

7- ابن خير: فهرسة – ص191.

8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص283. المقري: نفسه - ج2 –ص217. محمد بن عبد الله التليدي: تراث المغاربة ...- ص144.

أما الزبيدي، فقد روى في طبقاته أن أبا علي القالي طالع كتابي الخشني في شـــرح الحديث[1] وكتاب عبد الملك بن حبيب[2]، ففضل عليهما كتاب "الدلائل" لقاسم بن ثابت وهــذا ما يفهم من قوله: "لم يؤلف بالأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث..."[3]

يكفينا دليلا على قيمة هذا الكتاب وتفضيله على كتب المشارقة في هذا الباب شـــهادة أبي علي القالي الناقد العالم اللغوي الكبير[4]، ولذلك فقد أفاض كل من ذكر هذا المؤلف في مدحه له والثناء عليه، فمنهم من استحسنه وجعله من المؤلفات المشهورة[5] ومنهم من ذكر بأنه بلغ فيه الغاية من الاتقان.[6]

وذهب ابن حزم إلى أن أبا عبيد القاسم بن سلام الجمحي[7] (ت224هــــ/838م) إن كان له فضل في تصنيف "غريب الحديث" فإنه يرجع إلى تقدمه[8]، وفي بيان منزلـــة هــذا الكتاب العلمية الذي طارت شهرته شرقا وغربا يقول الضبي: "وهو كتاب مفيد ذكر فيه ما لم يذكر أبو عبيد ولا الخطابي[9]، وأورد فيه من اللغة مـــا لـــم يـــورده أحـــد مـــن أهـــل الأغربة."[10]

وثالث أفراد هذه الأسرة هو: ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم (ت352هــــ/963م) الذي ورث علم الحديث عن سلفه، فسمع من أبيه وجده، كما حدث بكتاب والده الموســـوم بـــ "الدلائل"[11] وهذا ما يتأكد لنا عند اطلاعنا على ما ورد عند الحميدي الذي قال: "روى

1- ينظر عنه وعن إسهاماته في علم الحديث الخشني: اخبار الفقهاء والمحدثين – ص95 وما يليها. ابـــن الفرضـــي الأزدي: نفسه – صص304-305. ابن خير: فهرسة – ص195.

2- ينظر: ابن خير: نفسه – ص202. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص221-223. ابن فرحون:المصدر السابق – صص252-255. محمد بن عبد الله التيلدي: المرجع السابق – ص175.

3- الزبيدي: المصدر السابق – ص285.

4- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 –ص745.

5- الحميدي: المصدر السابق – ص299.

6- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص283.

7- ينظر عنه الداودي: المصدر السابق – ص325 وما يليها. ابن النـــديم: الفهرســـت – ص127. القفطـــي: إنبـــاه الرواة...ج3 – ص12 وما يليها. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين –تقديم وتعليق: د/محمد زينهم محمد عزب – دار الآفاق العربية – القاهرة – مصر – ط. 1423هـــ/2003م-ص125.

8- المقري: المصدر السابق – ج4 – ص17. ويذكر فيه عامر بن خلف السرقسطي وهو سهو من الناسخ.

9- تنظر ترجمته عند القفطي: المصدر السابق – ج1 – ص160. ويذكره الذهبي – حمد – بدل أحمـــد – المصـــدر السابق – مج2 –ج3 – ص149.

10- الضبي: المصدر السابق – ص216.

11- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص90.

كتاب غريب الحديث[1] الذي لأبيه عنه"[2]. ويضيف ابن عطية قوله: "وكذلك يرويه ثابت بن قاسم عن أبيه وجده إجازة من أبيه وقراءة على جده."[3]

لقد اختلط على مترجميه نسبة هذا المؤلف نتيجة لتواتر رواية هذا الكتاب، فأشـكل على بعضهم، فنسبوه إلى ثابت هذا، ويعزى ذلك إلى أن هذا الأخير جعل من كتاب والده هذا، من أجل رواياته، أضف إلى ذلك، فقد كانت له فيه زيادات، وهذا ما أخبر بـه أبـو محمد ابن حزم.[4]

أما الضبي، فيخبرنا بأن نسبة الكتاب هي ثابتة لثابت من خلال ما قرأه ونقله مـن شيخه القاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد، ثم يضيف قائلا: "وقد رأيت في بعـض النسخ كتاب "الدلائل" لثابت رواية أبيه قاسم عنه". ثم يذكر طرحا آخر، وهـو أن بعـض شيوخه – لم يذكر أسماءهم – قال: "أن قاسما روى هذا الكتاب عن أبيه، وأن المؤلف ألفه بمصر والله أعلم."[5]

ولثابت بن قاسم عقب اسمه: سعيد بن ثابت بن قاسم بن ثابت، حدث بكتاب الدلائل عن أبيه عن جده، كانت له رحلة لأداء فريضة الحج سنة 355هـ/965م وعاد بعدها إلى الأندلس سنة 356هـ/966م، ولم يذكر ابن الأبار الشيوخ الذين لقيهم، وهذا ما يفهم مـن كلامه حين قال: "وما أراه سمع في رحلته من أحد."[6]

ومن عقب هذا الأخير أبو القاسم ثابت[7] بن سعيد بن ثابت بن قاسم، حدث هو كذلك بكتاب سلفه، وهذا ما ذكره ابن الأبار موضحا تداول هذا الكتاب بين جميع أفـراد هـذه الأسرة، فقال: "حدث عن أبيه سعيد بكتاب جده قاسم بن ثابت العوفي المعروف بالـدلائل

1- غريب الحديث: وهو الغامض والخفي واصطلاحا: هو الحديث الذي وقعت في متنه لفظة غامضة بعيدة عن الفهم لقلة استعمالها. محمد الخير آبادي: المرجع السابق – ص63.

2- الحميدي:المصدر السابق – 163.

3- ابن عطية: المصدر السابق – ص140.

4- الحميدي: المصدر السابق – ص163.

5- الضبي: المصدر السابق – ص216.

6- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص110. ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق – حققه عن نسخة الاسكوريال: د/ احسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – دت - السفر الرابع – صص27-28.

7- يذكر محقق كتاب التكملة – د/ عبد السلام الهراس – أن وفاة المترجم له كانت سنة 213هـ/828م، اعتمادا على ابن عذاري، فكان ذلك سهو منه، فالمقصود به الجد الأعلى ثابت بن حزم العوفي. ينظر ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص191. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص191.

عن سلفه، وحدث به ابنه عبد الله بن ثابت."[1] وكان ابن هذا الأخير خاتمة أفراد هذا البيت الذين حملوا على عاتقهم رواية هذا الكتاب، وقد نوهت المصادر باتصال سنده بسلفه في رواية كتاب الدلائل.[2]

ولحق بكوكبة هؤلاء المحدثين من **بيت بني أصبغ** محمد بن أصبغ بن محمد البياني (255هـ-306هـ/868م-918م) الذي كان من علماء الحديث ضابطا لما يكتبه[3]، وفي بيان منزلته العلمية يقول ابن أبي دليم: "كانت له مناظرة ودراسة وحفظ للمذهب"[4]، وعلى الرغم من قصر عمره إلا أنه استطاع اقتفاء أثر والده الذي أولى لهذا العلم اهتماما كبيرا[5].

وسيحمل المشعل من بعده أخوه أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد (244هـ-340هـ/858م-951م) الذي حدث عن أخيه وروى عن جلة من علماء الأندلس من أمثال محمد بن وضاح، وقد سارت الأندلس به دار الحديث.[6]

وليوسع من معارفه العلمية في هذا العلم شد الرحال إلى بلاد المشرق بصحبة محمد بن عبد الملك بن أيمن ولقي فيها عدة علماء، كان أحمد بن زهير بن أبي خيثمة واحد من أولئك المحدثين الجلة، فحدثهم قاسم بن أصبغ هناك عما تعلمه عن وكيع محدث العراق وإمامها الحافظ[7] وبذلك يكون قد سمع في رحلته هذه من مشاهير الرواة.[8]

بعد هذه الرحلة لطلب العلم رجع إلى الأندلس بعلم كثير، فسكن قرطبة وكان له بها قدر عظيم، إذ سمع منه الناصر لدين الله قبل ولايته، وولي عهده الحكم إبنه، وطال عمر محدثنا هذا، فلحق الأصاغر فيه الأكابر وشارك الآباء فيه الأبناء، فكانت الرحلة إليه

1- ابن الأبار:المصدر السابق – ج1 – ص191. ابن عطية: المصدر السابق – ص140.
2- نفسه – ج2 – ص242. الصفدي: الوافي...ج7-ص312. محمد بن العابدين: المرجع السابق – ص39.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص315.
4- علي سعد قاسم: المرجع السابق – ج2 – ص1035.
5- ابن الأبار: المصدر نفسه – ج1 – ص169.
6- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص 286-287.
7- الداودي : المصدر السابق – ص539.
8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص282. الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – صص232-233.

بالأندلس.[1] أوعلى حد تعبير ابن الفرضي: "وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول...وألحق الصغار بالكبار في الأخذ عنه."[2]

وقد ترجمت مكانته العلمية في الحديث ما أوثر عليه من أقوال بعض من ترجم له، منهم: ابن الفرضي الذي قال: "وكان قاسم بن أصبغ بصيرا بالحديث والرجال."[3] وابن فرحون الذي ذكر بأنه "كان تبثا صادقا، حليما مأمونا، بصيرا بالحديث والرجال...غلبت عليه الرواية و السماع، وهو مذكور في أئمة المالكية."[4] وهو ما ذهب إليه الداودي.[5] فأصبح بعدها من أئمة الأندلس في هذا العلم ومن حفاظ الحديث.[6]

كان قاسم من العلماء الذين يعتمدون على السند، ولذلك عد من رجال الحديث المسندين[7]، كما عرف بعلو الإسناد[8]، وهذا ما يتأكد لنا من وصف السيوطي له حين قال: "وانتهى إليه علو الإسناد بتلك الديار والحفظ والجلالة."[9]

ولضلوعه في علم الحديث، فقد كانت له فيه مصنفات عدة وصفت بالحسنة منها:

كتاب السنن: وهو من الكتب التي تعتبر عنوانا على وصوله درجة عالية في هذا الميدان، ومصنف قاسم هذا هو مستخرج على كتاب أبي داود السجستاني[10]، وقد قام باختصاره و سماه "المجتنى"، وكان ذلك سنة 324هـ/935م، وقد احتوى مختصره هذا على ألفين وأربعمائة وتسعين حديثا في سبعة أجزاء.[11]

1- ابن فرحون: المصدر السابق – ص321.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص287.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدرنفسه – ص287.
4- ابن فرحون: المصدر نفسه – ص321.
5- الداودي: المصدر السابق – ص324.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص298. الذهبي: تذكرة الحفاظ – ج3 – ص49.
7- الذهبي: نفسه – ج3 – ص49.
8- السند: هو الطريق الموصل الى المتن، أي رجال الحديث، وأما علو الاسناد، فهو علو عدد فكلما قل عدد الرجال قلت الوسائط، وكلما قلت الوسائط ضعف احتمال الخطأ وعلو الصفة بأن يكون رجال السند أثبت في الحفظ وفي العدالة. الجرجاني: المصدر السابق- ص34. القسطلاني: المصدر السابق– ص39.
9- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص354.
10- تنظر ترجمة السجستاني عند الذهبي: تذكرة الحفاظ- مج1 – ج2 – صص127-128.
11- ابن خير: فهرسة – ص125. المقري: المصدر السابق – ج4 – ص16. وينظر أبو عبيه طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – صص732-733. محمد التليدي: المرجع السابق - ص166.

وهذا النوع من التأليف الذي سار عليه قاسم، هو التأليف على الأبواب، إذ قام فيه بتخريج الأحاديث على أحكام الفقه وتنويعها أنواعا، فتجمع بحسب الموضوعات والأبواب، وهذا ما ذكره ابن خير بقوله: "مصنف على أبواب الفقه."[1]

وقد أثنى ابن حزم على هذا الكتاب في رسالته في فضل الأندلس، حيث أشار على أنه من المصنفات الرفيعة، إذ احتوت من صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات، ثم وصف مصنفاته بالحسنة[2]. وهو نفس ما ذهب إليه الحميدي حين قال: "صنف في السنن كتابا حسنا."[3]

ولقاسم هذا، تأليف حسان نذكر منها:

كتاب المجتبى: الذي ألفه على أبواب كتاب ابن الجارود[4] "المنتقى" والذي أثنى كذلك عليه ابن حزم بقوله: "وهو خير منه وأنقى حديثا وأعلى سندا وأكثر فائدة."[5]

إضافة إلى مؤلفات أخرى، نذكر منها: "مسند قاسم بن أصبغ" المعروف بالعوالي والذي يتكون من ستين جزءا و "غريب حديث مالك مما ليس في الموطأ" و "مسند حديث مالك" من رواية يحي الليثي، وكتاب "الصحيح" على هيأة "صحيح مسلم" إذ وضعه على ترتيبه و منهجه[6].

وفي بيان علو منزلته في هذا العلم تلك القصة التي رواها لنا القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾[7] أن قاسما هذا عند رحيله إلى المشرق نزل القيروان والتقى ببكر بن حماد[8] الذي أخذ عنه حديث مسدد، فقرأ عليه يوما فيه حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنه قدم عليه من مضر مجتابى النمار"[9] فقال له

1- ابن خير: المصدر السابق – ص125. وينظر أبو عبية طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج1 – ص96.

2- المقري: المصدر السابق – ج4 – ص16.

3- الحميدي: المصدر السابق – ص298.

4- ينظر ترجمته عند الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2- ج3 – صص12-13.

5- الحميدي: نفسه – ص298. المقري: نفسه – ج4 – ص16. وينظر خليفة حاجي: كشف الظنون – ج4 – ص288. ومحمد التليدي: المرجع السابق – ص243.

6- الحميدي: نفسه – ص298. ابن فرحون: المصدر السابق – ص322. الذهبي: نفسه – مج2 –ج3 – ص49. الداودي: طبقات المفسرين – صص324-325. السيوطي: طبقات الحفاظ – ص354.

7- سورة البقرة: الآية رقم 32.

8- تنظر ترجمته عند مخلوف: شجرة النور الزكية – ص72.

9- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم المسمى المسند الصحيح – رقم كتبه ووضع فهارسه: محمد نزار وهيثم بن نزار – ص453.

بكر: إنما هو مجتابى الثمار، فاحتكما إلى شيخ كان بالمسجد والذي أكد على ما ذهب إليه محدثنا قاسم، فما كان على شيخه بكر بن حماد إلا الاعتراف بمكانة تلميذه وهذا ما يفهم من قوله: "رغم أنفي للحق."[1]

ستنقطع مسيرة هذا العالم العلمية بانقطاعه عن رواية الحديث وذلك صونا لعلمه ويرجع سبب ذلك إلى حالة النسيان التي أصابته ابتداء من سنة 337هـ/948م، فمنذ هذا التاريخ سيتغير حال ذهنه إلى غاية وفاته.[2]

ومن ذرية قاسم هذا، حفيده أبو محمد قاسم بن محمد قاسم بن قاسم بن أصبغ (ت 388هـ/ 998م) الذي حمل عن جده رواية الحديث، سمع منه جماعة من الناس كما كتب عنه تلميذه ابن الفرضي.[3]

وابن حفيده أبي عمرو أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم (ت 430هـ/1038م) والذي سار على نفس الدرب الذي سطرته له أسرته، فتوارث هذا العلم كابر عن كابر، وما يدل على ذلك ما ذكرته لنا المصادر التي اختصت بالترجمة له، فهذا الحميدي يذكر بأنه: "محدث من أهل بيت حديث"، فهذه الشهادة تدل على أن الإسناد قد حافظ على ظهور مثل هذه الأسر و حفاظها على تراثها الثقافي، وهذا ما أكده لنا ابن حزم بقوله: " أخبرنا أبو عمرو أحمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ قال: حدثني أبي قال: حدثني جدي قاسم بن اصبغ". إلى آخر القول[4]. وهذا ما ذهب إليه صاحب الصلة حين ذكر أن أبا عمرو هذا روى عن والده وعن جده.[5]

هذا يبين لنا أن بعض البيوتات حرصت أشد الحرص على أن يكون سند متن من المتون هو أقواها، وذلك بالحفاظ على تسلسل السند، حتى صار سند مثل هذه البيوتات فيه من أعز الأسانيد الذي تشد له الرحلة، وكان بيت بني قاسم خير من يمثلها.[6]

1- المقري: المصدر السابق – ج2 – صص216-217.
2- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص354. ابن الفرضي: المصدر السابق- ص287. السيوطي: بغية الوعاة – ص686.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدرنفسه – ص288. الحميدي: المصدر السابق – ص297.
4- الحميدي: نفسه – ص125.
5- ابن بشكوال: الصلة – ص47.
6- عبد السلام شقور:المرجع السابق - ص271

ومن بين البيوتات التي ذاع صيتها في ميدان التأليف **بيت بني فطيس** والذي كان منهم أئمة الحديث وأعلام الرواية، ونخص بالذكر منهم:

أبو عبد الله محمد بن فطيس بن واصل الغافقي (229هـ أو 230هـ - 319هـ/ 843م-844م- 931م) وهو باني هذا البيت المنيف ورأس هذه الأسرة المشهور، تلقى العلم عن جلة من العلماء، فبالأندلس عن أكبر محدثيها من أمثال: بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهما، كما كانت له رحلة إلى بلاد المشرق، فأخذ عن شيوخها بمصر ومكة.[1] وقد لقي في رحلته نحو مائتي شيخ[2]. وهذا ما يؤكده ابن فطيس نفسه حين قال: "لقيت في رحلتي مائتي شيخ ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم." وكان من هؤلاء أعلام الرواية وأئمة الحديث، فأدخل إلى الأندلس علما كثيرا.[3]

وفي علو منزلته فيه، قال الخشني: "كان الأغلب عليه السماع والتقييد والرواية، وكان ثقة في نقله يرحل إليه الناس من بلدهم للسماع منه" فأصبح محمد بن فطيس هذا، ممن عني بعلم الحديث العناية التامة.[4]

أما ابن الفرضي الذي فصّل في ترجمته، قال: "وكان محمد بن فطيس نبيلا، ضابطا لكتبه ثقة راوية، صدوقا في حديثه." ثم يضيف قائلا: أن طالبي الحديث كانوا يرتحلون إليه من مختلف أرجاء الأندلس إلى إلبيرة وبخاصة من قرطبة، وعلت بذلك درجته فيه ، وحاز الرئاسة في الإسناد[5]. وأما ابن فرحون، فقد زاد عليه قوله: "كان من حفاظ المذهب...كثير الروايات."[6] في حين اكتفى الحميدي بالقول أنه "من أهل الحديث والفهم والحفظ والبحث عن الرجال."[7] ونحا نحو هؤلاء السيوطي.[8]

1- ينظر عن هؤلاء الشيوخ، الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين- ص113.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص325.
3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص325. السيوطي: طبقات الحفاظ – ص337.
4- الخشني: المصدر نفسه – ص113.
5- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص325.
6- ابن فرحون: المصدر السابق – ص344.
7- الحميدي: المصدر السابق – ص75.
8- السيوطي: المصدر السابق – ص336.

ومن تصانيفه كتاب "الدعاء والذكر"[1] وكتاب "الفتن" وقد ورد هذا الأخير عند ابـــن فرحون على هذا النحو "تحذير الفتن".[2]

ومن عقبه أبو المطرف عبــد الـــرحمن بـــن محمــد بـــن فطـــيس (348هـــــ-402هــ/959م-1011م) الذي اشتهر بجمع الكتب في ميادين معرفية شتى، إذ جمع ما لم يجمعه أحد من علماء عصره بالأندلس قاطبة، فهو لم يكتف بهذه العملية، بل اعتنى كذلك بعملية نسخ الكتب، فكان له ستة وراقين ينسخون له بصفة دائمة، حتـــى اجتمعـــت لديـــه مكتبة ضمت أمهات الكتب، وما يدل على ضخامة هذه المكتبة، فبعد وفاته حـــاول أهـــل قرطبة بيعها، فاستمرت هذه العملية مدة عام كامل بالمسجد، أما قيمتها فقد قدرت بأربعين ألف دينار قاسمية[3] بلغ صرفها ثمانمائة ألف درهم.[4]

ولاهتماماته بهذا العلم، فقد أثنى عليه مترجموه، فهذا القاضي عياض قال في حقه: أنه كان " من مشاهير علماء القرطبيين وجلتهم وفضلائهم" ثم يبرز لنا العلم الذي كان لـــه فيه باع، فيقول: " وكان الغالب عليه الحديث" والذي تفوق فيه، ويكفينا في ذلك شهادة أبي محمد ابن حزم الذي ذكر ما نصّه: " وكان واحد زمانه في جمع الحديث وروايتـــه." ثـــم يثني عليه بقوله: "ولم يكن بالأندلس من يملي الحديث من حفظه على رسم أهل المشـــرق وسواه أحد من أئمة السنن."[5]

ولانصرافه للحديث وعلومه، فقد تصدر أقرانه فيه، إذ كـــان مـــن أولئـــك الـــذين يعتمدون الإسناد، فأصبح خبيرا فيه نقادا له، وهذا ما يفهم من كلام السيوطي حين قـــال: "كان من جهابذة[6] الحديث عارفا بالرجال، أملى من حفظه."[1] ونعته بنفس الوصف مخلوف

1- ابن فرحون: نفسه – ص344. الذهبي: المصدر السابق – مج2- ج3 – ص17. وينظر حاجي خليفة: المرجـــع السابق – ج6- ص26.

2- ابن فرحون: نفسه – ص344. محمد التليدي: المرجع السابق – ص220.

3- قاسمية: نسبة الى الدنانير التي ضربها القاسميون في قرطبة، وكان أولهم: محمود القاسم. عبد الحي الكتاني: تاريخ المكتبات الاسلامية ومن ألف في الكتب – ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنبين وعبد القـــادر ســـعود – ط2 – 2005م – ص60.

4- ابن فرحون: نفسه – ص245. الداودي: المصدر السابق – ص202.

5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص259. كما ذكره السخاوي تحت هذا العنوان، "دلائل الســـنة فـــي فضـــائل الصحابة" ويذكر أنه يحتوي على خمس مجلدات. السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ –ص166.

6- جهابذة: جمع جهبذ، وهو النقاد الخبير. السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي تحقيق: محمد أيمن عبد الله الشبراوي ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ 1431هــ/2010م - ج1- ص284. الفيروز آبادي: المصدر الســـابق – ص33.

حين ترجم له، فقال: "من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين، فاضـــلا متفننـــا فـــي العلوم."[2] في حين اكتفى الضبي بالقول: أنه "فقيه محدث."[3]

أما ابن بشكوال، ذكره في صلته وقال: "كان عالما بالحديث والتقييد، واسع الرواية، كتب الحديث عمره كله."[4]، كما خصّه أبو عمر ابن الحذاء بترجمة في كتـــاب رواياتـــه، فذكر: بأنه كان "عالما بالحديث والتقييد."[5] ونحا نحوه ابن سعيد.[6]

وبناء على ما تقدم ذكره، يمكن اعتبار ابن فطيس هذا أحد أقطاب علماء الحـــديث والدليل على ذلك أن عددا من علماء المشرق كتبوا إليه، كان منهم: أبو محمد الحسن بـــن رشيق وأبو الطيب أحمد بن سليمان الجريري وأبو الحسن بن علي بن عمـــر الـــدارقطني وأبو بكر الأبهري.[7]

وضع ابن فطيس مجموعات من الأحاديث المسندة ومعاجم خصّصها للرواة مـــن مختلف الأجيال، ومن مختلف أنحاء الخلافة، نذكر منها:

- **فضائل الصحابة**: وقد ذكره السيوطي في طبقاته[8]، وورد عند ابن بشـــكوال تحـــت اسم "المصابيح في فضائل الصحابة في مائة جزء وتبعه في ذلك صـــاحب هديـــة العارفين.[9]
- **معرفة التابعين**: وقد ورد بهذا الاسم عند الكتاني[10] في حين ورد عند ابن بشكوال على هذا النحو "فضائل التابعين لهم بإحسان" في مائة وخمسين جزءا[11] وتبعه فـــي ذلك الداودي.[12] في حين أضاف صاحب هدية العارفين "إلى يوم الدين"[1]، وأما ابن

1- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص415.
2- مخلوف: المصدر السابق – ص102.
3- الضبي: المصدر السابق – ص309.
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص312.
5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص259.
6- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1- ص148.
7- ابن بشكوال: نفسه – ص309. ابن فرحون: المصدر السابق – صص245-246. الضبي: نفسه – ص309.
8- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص415.
9- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ضبطه: جلال الأسيوطي- ج1 – ص273. الداودي: المصدر السابق – ص203. اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج5 – ص515.
10- محمد الكتاني: المرجع السابق - وينظر: محمد التليدي: المرجع السابق – ص221.
11- ابن بشكوال:المصدر نفسه – مج1 – ج1 – ص273.
12- الداودي: المصدر السابق – ص203. حاجي خليفة: المرجع السابق – ج5- ص419.

فرحون، فقد اكتفى كعادته بالقول أن تأليفه كانت كثيرة ومفيدة.[2] وقد اعتبر هذا الكتاب من المؤلفات التي تعرّضت للجرح والتعديل.[3]

- **<u>كتاب الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين من المخالفين:</u>** وقد اختصره السيوطي على هذا النحو، "الإخوة."[4]
- **<u>كتاب عن الإجازة[5] والمناولة[6]:</u>** وهو في مصطلح الحديث، ويتكون هذا المؤلف من عدة أجزاء.[7]

إضافة إلى مؤلفات أخرى نذكر منها: **أعلام النبوة ودلالات الرسالة**، وهو في عشرة أجزاء إذ يشتمل على فقه الحديث استشهادا وتحليلا وإثباتا، وكتاب مسند قاسم بن أصبغ – العوالي – يتكون من 60 جزءا، وكتاب مسند حديث محمد بن فطيس والده، من خمسين جزءا، وأخر في الجرح والتعديل.[8]

هذه مجموعة من المؤلفات الحديثية التي عكف على تصنيفها عبد الرحمن بن فطيس، و التي أفادت الأندلسيين كثيرا، وبخاصة إذا علمنا اهتمام هذا الشيخ بهذا العلم، فمعظم ما كانت تحتويه مكتبته كانت في علم الحديث.

وقد سار على نفس الدرب أخوه أبو بكر عبد العزيز بن محمد بن عيسى بن فطيس (ت 448هـ/1056م) الذي كانت له في هذا العلم إسهامات، إذ لم يكتف بسماعه من الشيوخ فقط، وإنما كان ينقل ما يسمعه عنهم، من أمثال أبي القاسم خلف بن القاسم

1- اسماعيل باشا البغدادي: المرجع السابق – نفس المجلد والصفحة.
2- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246.
3- مخلوف: شجرة النور الزكية – ص102. وينظر خالد الصمدي: حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري – أبو محمد عبد الرحمن بن عتاب نموذجا – 1415هـ/1995م – ص191.
4- الداودي: نفسه – ص203. ابن بشكوال: نفسه – مج1 –ج1 – ص273. السيوطي: المصدر السابق – ص415. حاجي خليفة: نفسه – ج5 –ص419. محمد التليدي: نفسه – ص56.
5- الإجازة هي الاذن، وصورتها ان يقول الشيخ لأحد طلابه: أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري، مثلا: ويؤديها بلفظ أجاز لي فلان، أو حدثنا اجازة أو أخبرنا اجازة. الجرجاني: المصدر السابق – ص165 وما يليها. محمد الخير آبادي: المرجع السابق –ص10. محمد رواس قلعى جي وآخرون : معجم لغة الفقهاء – دار النفائس – بيروت – لبنان – ط2 – 1427هـ/2006م - ص43.
6- المناولة: وهي الإعطاء، وهي احدى طرق التحمل والأداء، وصورتها أن يدفع الشيخ الى الطالب كتابه ويقول له: هذا روايتي عن فلان، فاروه عني، ثم تبعته تمليكا أو اعارة لينسخه ويؤديها التلميذبلفظ ناولني أو حدثني مناولة. الجرجاني: نفسه – ص170. محمد الخير آبادي: نفسه – صص101-102.
7- الداودي: نفسه – ص203. ابن بشكوال: نفسه – مج1- ج1 – ص273.
8- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص273. الداودي:المصدر السابق – ص203. مخلوف: المصدر السابق – ص102. حاجي خليفة: المرجع السابق – ص419. خالد الصمدي: المرجع السابق – ص185.

الحافظ، وكتب من رواياته أجزاء بخطه، بمعنى أنه اتبع نفس طريقة أخيه في نسخ كتب الآخرين، ولكن هل كان يلقن ما تعلمه على شيوخه؟ هذا ما لم يذكره ابن بشكوال، حتى أنه لم يفرد له ترجمة وافية يفيدنا بها في هذا الميدان، وقد يعود سبب ذلك إلى أنه كان منطويا على نفسه ولم يتح للآخرين سماعه، وهذا ما يفهم من كلام ابن بشكوال: "وكان منقبضا من الناس عفيفا."[1]

وبقية ذرية ابن فطيس أبو الأصبغ عيسى بن فطيس بن أصبغ، فقد روى عن أحمد بن بقي بن مخلد[2] و أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت 409هـ/1018م) الذي سمع عن والده، واكتفى ابن بشكوال بالقول أنه من " أهل المعرفة والفهم والعفة."[3]

كما برز في ميدان التأليف من **بيت العائدي** أبو زكريا يحي بن مالك بن عائذ بن كيسان من أهل طرطوشة (300هـ-375هـ-376هـ/912م-976م). أخذ هذا العلم على الراوية أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري (ت 322هـ/933م-934م). كما درس بوشقة[4] على يدي الخبير بمؤلف الموطأ لمالك بن أنس عبد الله بن الحسن السندي (ت 335هـ/947م)، وفي سنة 310هـ/922م على يدي بعض محدثي قرطبة من أمثال: أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وغيرهما.[5]

وللتوسيع من أفقه المعرفية رحل سنة 347هـ/958م[6] لأداء مناسك الحج، فسمع بمصر من ابن الورد البغدادي وأحمد بن حسن الرازي وأبي قتيبة مسلم بن الفضل البغدادي وغيرهم من الرواة المحدثين الحفاظ، كما سمع ببغداد من جماعة بالبصرة والأهواز وغيرها من كور العراق، وقد بلغ عدد من سمع في بغداد وحدها أكثر من 700 رجل، وطال به المقام في رحلته هذه نحو اثنين وعشرين سنة.[7]

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 –ج3 – ص14.
2- ابن الأبار: التكملة...ج4 – ص4.
3- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج3 – ص122.
4- ينظر عنها: E. Levy- Provençal, la description de l'Espagne – p75
5- ابن الفرضي: المصدر السابق – ص443.
6- يذكر الحميدي: قبل سنة 350هـ/961م. المصدر السابق – ص343.
7- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص443. الحميدي: نفسه – صص343-344.

وبعد عودته إلى الأندلس سنة 369هـ/979م كان قد جمع علما كثيرا لـم يجمعـه أحد قبله، فاستفاد من علمه هذا، طبقات طلاب العلم وأبناء الملوك، وجماعة من الشـيوخ والكهول كان ابن الفرضي أبرز تلامذته.[1]

لقد قام يحي بن مالك كسلفه عبد الملك بن حبيب بتدوين عدد كبير من الكتب التـي تضمنت الأحاديث وكتب عن طبقات المحدثين إذ كان اعتماد ابن الفرضي في هذا الميدان اعتمادا كبيرا[2]، واستطاع بذلك أن يجمع عددا لا يحصى من هذه الكتـب، ويـذكر ابـن الفرضي تلميذه، أن كتبه لو أحصيت بعدد الأيام التي قضاها بالمشرق، لكانت أكثر بكثيـر من تلك الأيام، و التي أفاد بها أهل بلده، وبخاصة في علم الحديث.[3]

أما ابنه أحمد بن يحي بن مالك، فقد ورث عن والده رواية الحديث، إذ سـمع أول أمره من والده، وغيره كأبي المغيرة خطاب بن بترى وهو من الرواة المتفنين فـي هـذا العلم[4]. وأبا بكر عباس بن أصبغ الحجاري وغيرهما، كما ارتحل مع والده إلـى مصـر، فأجاز له أبو محمد الحسن بن رشيق، وأبو محمد بن أبي زيد القيرواني وغيرهما، فأصبح بذلك همه سماع العلم ولقاء الشيوخ.[5]

أما أخوه زكريا بن مالك بن يحي بن عائد، فعلى الرغم من انتمائه إلى بيت علم إلا أنه لم يظهر فيه كسلفه، ولذلك اكتفى الحميدي بالقول أنه: "محدث من أهل طرطوشـة."[6] في حين يذكر ابن الأبار بأنه لم يحدث.[7]

ومن أبناء عمومتهما أحمد بن يحي بن عائد والذي سمع سنة 419هـ/1028م من أبي ذر الهروي[8] صحيح البخاري بمكة بدار خديجة بنت خويلـد – رضـي الله عنهـا – وغيره من الشيوخ.[9]

1- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص443. الحميدي: نفسه – ص343.
2- سنتعرض الى ذلك في موضعه
3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص444.
4- ينظر ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص115.
5- ابن الأبار: التكملة...ج1 – ص20.
6- الحميدي: المصدر السابق– ص191. الضبي: المصدر السابق – ص253. ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص128.
7- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص263.
8- تنظر ترجمته عند ابن فرحون : المصدر السابق – ص311. وينظر رضا كحالـة : المرجـع السـابق – ج2 – ص229. خير الدين الزركلي: الأعلام – ج4 – ص66.
9- ابن الأبار: نفسه...ج1 – ص22.

وأما ابن العم الثاني، فهو أبو الحسن علـــي بـــن عبـــد الـــرحمن بـــن عائـــد (ت 495هــ/1101م) الذي تلقى الحديث على عدة شيوخ كان منهم أبو العباس العذري والذي أخذ عنه صحيح مسلم سنة 474هــ/1084م[1]، ولحقه في ذلك ابنه محمد بن علي بن عبد الرحمن.[2]

ومن **بيت بني أيمن** عالمها أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن[3] (252هــــــ-330هــ/866م-942م). أخذ عن علماء الأندلس، ثم تابع دراسته في كل من مصر ومكة وبغداد على أيدي بعض المحدثين الرواة كان منهم المحدث الحافظ علي بن عبد العزيـــز البغوي[4] صاحب التصانيف، كما ارتاد محاضرات ابن أبي خيثمة النسائي الذي سمع منـــه مؤلفه عن الرواة[5] وعاد إلى الأندلس بعلم كثير.[6]

لقد كان ابن أيمن هذا من الحفاظ المحدثين، وما يدل على قوة حفظه تلـــك القصـــة التي رواها لنا الأعناقي، فقد كان أبو عبد الله ابن أيمن يأتيه إلى منزله، فيطلب منه إخراج إحدى الكتب التي تحتويه مكتبته، ويذكر أن فيه حديث كذا وكذا ومسألة كذا وكذا، فيكـــون رد الأعناقي عليه: "لست أحفظ هذا". فيقوم ابن أيمن بإخراج الكتاب الذي طلبه منه، فيثني عليه الأعناقي بقوله: "يا أبا عبد الله أنت أحفظ بكتبي مني لها."[7]

قال ابن الفرضي في حقه: "كان...عالما حافظا...وكان رواتـــه ذا جلالـــة، وكـــان ضابطا لكتبه ثقة."[8] ولذلك كله وصف بمسند الأندلس بسبب معرفته للحديث وحفظه له.[9]

إن مكانة هذا الشيخ العلمية قد توطّدت من خلال ما ألفه في هذا الحقل المعرفـــي، فمعظم من ترجم له يذكر إسهاماته فيه، فهذا ابن الفرضي يقول: "وألف مصنفا في الســـنن

1- ابن الأبار: المعجم ... – ص118. ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 –ج2 – ص55.
2- ابن الأبار: نفسه – ص117.
3- ورد عند اسماعيل باشا البغدادي "ابن المزين" بدل "ابن أيمن" وهذا مثال للتحريف والخلط الذي يقع فيه الـــبعض. ينظر اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين- مج6 – ص34. محمد بن عبد الله التليدي: المرجع السابق – ص166.
4- الصفدي: الوافي بالوفيات – ج14- ص403.
5- ينظر عنه ابن النديم: الفهرست – ص314. حاجي خليفة: المرجع السابق – ج5 – ص309. رضا كحالة: المرجع السابق – ج1 – ص737.
6- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص333.
7- الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص119.
8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص333.
9- الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3 – صص38-39.

على تصنيف أبي داود أخذه الناس عنه."[1] وتبعه في ذلك ابن فرحون بقوله: "وألف كتابا على سنن أبي داود."[2] ونحا نحوهما كل من الذهبي والسيوطي.[3] وقد أشاد بهذا الكتاب ابن خير، فقال: "وهو كتاب متقن حسن."[4]

وكتاب السنن هذا هو عبارة عن مستخرج من سنن أبي داود الذي احتوى على صحيح الحديث وغريبه على ما ليس في كثير من المصنفات، وقد قام بتصنيفه عند رحيله إلى العراق فوجد أبا داود السجستاني قد توفي قبل وصوله، فصنف هذا الكتاب على تراجم كتاب أبي داود هذا، وخرج الحديث من روايته عن شيوخه.[5]

يعتبر هذا المؤلف من المؤلفات القيمة التي قام بتأليفها، بدليل أن كلا من اطلع عليه أعجب به وأثنى عليه، فهذا ابن حزم قال عنه: "مصنف ابن أيمن مصنف رفيع، احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنفات."[6] وبنفس الثناء مدحه ابن خير بقوله: " وهو كتاب متقن حسن". ولم يكتف بذلك، بل نعته بالجليل.[7]

إلى جانب التأليف، فقد جلب أثناء رحلته عددا من المؤلفات إلى قرطبة منها: مؤلفات ابن قتيبة البغدادي، وابن خيثمة أحمد بن زهير بن حرب المحدث والمؤرخ. وبهذا نجده تأثر بمنهج العراقيين في تأليفه لهذا الكتاب.[8] وقد رواه عنه عدد من تلامذته.[9]

ومن ذرية هذا المحدث الشهير والعالم المصنف اثنين:

أبو مروان عبيد الله بن محمد بن عبد الملك الذي لم يكن كوالده في هذا العلم إذ اخذ عن والده وقاسم بن أصبغ، وهما من المحدثين الكبار بالأندلس، فقد يكون العلم الذي أخذه عنهما هو علم الحديث مما لا شك فيه. لذلك وصف بحفظ المسائل.[10] وتبعه في ذلك

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص333.
2- ابن فرحون: المصدر السابق – ص409.
3- الذهبي: المصدر السابق – مج2 – ج3 – ص39. السيوطي: طبقات الحفاظ – ص349.
4- ابن خير: فهرست – ص124.
5- ابن خير: المصدر السابق – ص124 . المقري: المصدر السابق – ج4 – ص16.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص61. المقري: المصدر نفسه – ج4 – ص16. مخلوف: المصدر السابق – ص88.
7- ابن خير: المصدر السابق – ص124.
8- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج3 – ص530.
9- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص333. وينظر ابن عطية: فهرست – صص79-80. ابن الأبار: التكملة-ج3 – ص66.
10- ابن الفرضي: المصدرنفسه – ص208.

الابن الثاني أبو بكر أحمد بن محمد (ت 347هـ/958م) والذي سمع من عـدة محـدثين مشهورين كان أولهم والده وأحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة وغيرهم.[1]

وكان **لبيت بني عتاب** مشاركة فاعلة في الحديث، وهذا ما تبرزه لنا كتب التـراجم التي تناولت إسهاماتهم الحديثية، فالحديث عن الوضع العلمي لأسرة بني عتاب يجرنا لأن نقف على شخصية أفرادها واحد واحدا، ولنبدأ بمؤسس هذه الأسرة وهو:

أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن الجـذامي (383هـ-462هـ/992م-1069م) ذكره أبو علي الغساني في كتاب رجاله الذين لقيهم، فقال: كان ممن عنى بـ: "سماع الحديث دهره، وقيده فأتقنه.[2] وقد قال في حقه ابنه عبد الرحمن: "كان أبي يقول: لا غنى للطالب عن الإجازة وان سمع الديوان أو الحديث قراءة على المحدث أو منه لجـواز السهو والغفلة والسنة على أحدهما." وعلى هذا كان ابنه هذا يعتمدها في روايته.[3]

وفي بيان منزلته في هذا العلم يقول الصفدي: "كان بصيرا بالحديث وطرقه، عالما بالوثائق لا يجارى فيها."[4] ولذلك كله نجده قد اعتنى بسماع الحديث، فكان له فيه بصـر، وسيصبح بعدها من الحفاظ المحدثين الكبار.[5]

لم يقف تعاطي ابن عتاب لهذا العلم، بل تصدى للتأليف فحصـل لـه مـن ذلـك مصنفات وهذا ما يؤكده ابن سعيد بقوله: "وألف كتابا في الحديث."[6] وله تـأليف احتـوى على تراجم لشيوخه المحدثين.[7] وبما أنه كان يتميز بخط حسن، فقد خط بيده علما كثيرا.[8]

إن تميز ابن عتاب هذا في علم الحديث كان بفضل أولئك الشيوخ الذين أخذ عنهم، منهم:عبد الرحمن بن مروان القنازعي وأبـو عمـر الطلمنكـي وهمـا مـن المحـدثين الموسوعيين وغيرهما من الشيوخ.[1]

1- نفسه – ص45.

2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص164. ابن فرحون: المصدر السابق – ص370.

3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص354.

4- الصفدي: المصدر السابق – ج2 – صص478-479.

5- ابن فرحون: نفسه – ص370.ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص162. عياض: نفسه – ص354. مخلوف: المصدر السابق – ص119. الضبي:المصدر السابق – ص99.

6- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب –ج1 – ص108.

7- ابن خير: المصدر السابق- ص426.

8- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص164.

ومن عقبه ابنين وهما:

أبو القاسم عبد العزيز بن عتاب (440هـ-499هـ/1048م-1105م) الذي اقتفى أثر أبيه في هذا العلم، روى عنه كثيرا إضافة إلى شيوخ آخرين كان منهم أبو حفص الزهراوي وأبو عمر ابن الحذاء. لقد اعتنى كأبيه بعلم الحديث ونقله وروايته وتقييده، فأصبح من المحدثين الذين يتمتعون بالخط الحسن مما يساعده على نقل ما أخذه عن شيوخه، إلا أنه لم يحدث إلا بالقليل لقصر عمره، وعلى الرغم من ذلك فقد ارتفعت منزلته العلمية، فأصبح معظما عند الخاصة والعامة.[2]

أما الابن الثاني، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب (433هـ-520هـ/1040م-1126م) كان أكثر حظا من أخيه، فإضافة إلى شهرته في الفقه، فقد أشادت به بعض المصادر التي ترجمت له، فهذا الضبي قال في حقه: "محدث مكثر – رحمه الله – في الرواية معددا."[3] و زاد عليه ابن بشكوال قوله: "هو آخر الشيوخ الجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وصحة الرواية."[4]

ولتمكنه في هذا العلم، طارت شهرته شرقا وغربا، واليه كان مقصد العلماء، ومدار أهل الحديث عليه، فأخذ عنه الأبناء والآباء، ومما رفع من منزلته خوضه في ميدان التأليف شأنه في ذلك شأن والده، فأنجبت قريحته تآليف حسنة ومفيدة.[5] ومن هذه المؤلفات كتابه الموسوم بـ: - **شفاء الصدور** – السالف الذكر، إذ احتوى على استشهادات حديثية.[6] وذلك بسبب تكوينه الحديثي، وهذا ما يفسر سعة اطلاعه على الصحاح منها صحيحا مسلم والبخاري، وسنن أبي داود والنسائي والترميذي.[7]

1- الضبي: المصدر السابق – ص99. ابن بشكوال:المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص162. ابن فرحون:المصدر نفسه – ص370.

2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص15.

3- الضبي: المصدر السابق – ص311.

4- ابن بشكوال: نفسه – مج1-ج1- ص302. الداودي: المصدر السابق – ص202.

5- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246. الداودي: نفسه – ص202.

6- ابن خير: المصدر السابق – ص289. عياض: الغنية – ص162. خالد الصمدي: المرجع السابق – ص316.

7- ابن خير: نفسه – ص96-100-102-111-120.

ومن **بيت بني مفرج** أبو القاسم أحمد بن محمد بن يحي بن مفرج[1] (ت 336هـ/947م) الذي عُدَّ من رواة قرطبة ذا نباهة وسمت وصلاح، روى عن جلة من العلماء كان منهم الحافظ المحدث محمد بن وضاح والأعناقي وغيرهما.[2] إلا أنه كان قليل العلم في هذا الميدان وهذا ما يفهم من كلام ابن الفرضي حين قال: "ولا أعلم أحدا حدث عنه الا ابنه."[3]

لم يبق بيت بني مفرج بعيدا عن ميدان التأليف التي خاضت فيه البيوتات السالفة الذكر، بل كان لأحد أفراده مشاركة فيه وهو: أبو عبد الله محمد بن احمد بن محمد والمكنى كذلك بأبي بكر المعروف بالمنتوري[4] (315هـ[5]-380هـ/927م-990م). كانت بداية أخذه علم الحديث عن قاسم بن أصبغ البياني أحد أقطاب مدرسة الحديث بالأندلس، فقد اختص بالسماع منه كثيرا، كما درس على عدة رواة منهم أحمد بن عباد الرعيني، ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم.[6]

أقام محمد هذا بالمشرق ابتداء من سنة 337هـ/948م إلى سنة 345هـ/956م-957م، حيث أكمل دراسته بها على علماء جلة في كل من مكة والمدينة والقدس وغزة، فممن أخذ عنهم الرواية المكي أبو سعيد بن الأعرابي الذي قضى عنده آخر أعوام حياته، وأبو الحسن محمد بن جبريل العجيفي، الذي سمع منه – كتاب الأسماء والكنى – لعبد الله بن علي بن الجارود، وقد حصل منه على حقه في روايته، فبلغ عدة شيوخه الذين سمع منهم مائتا شيخ وثلاثون شيخا.[7]

وعند عودته من رحلته العلمية هذه، قدم إلى الأندلس بعلم كثير، الأمر الذي يترجم تلك الحفاوة التي لقيها من طرف الخليفة الحكم المستنصر بالله، فكانت له عنده مكانة

1- مفرج هو مولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وقال القيسي مولى عبد الرحمن بن معاوية. عياض: ترتيب المدارك...ج2-صص104-105.

2- عياض: نفسه – ج2 – ص105.

3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص39.

4- نسبة الى – فنت أورية – وهي قرية بقرطبة، ووردت عند ابن فرحون بهذا الرسم - عين قبتاروية – بقرطبة كذلك. ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2-ج3 – ص142. ابن فرحون: المصدر السابق – ص405.

5- جعل رضا كحالة هذه السنة 284هـ/897م وأحال في الهامش قوله: أنها وردت في بعض المصادر سنة 315هـ/957من وهذا سهو منه. معجم المؤلفين – ج3 – ص108.

6- ابن فرحون: نفسه – ص405. الذهبي: نفسه – مج2 – ج3 – ص142.

7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – صص368-369. ابن فرحون: المصدر نفسه – ص406.

خاصة[1] الأمر الذي أدى بكتب التراجم للثناء على عالمنا هذا، فالقاضي عياض قال في حقه: "...فتفرد بعلم الحديث، وكان من أعلم أهل الأندلس به وأقواهم عليه وأوثقهم فيه."[2] ونحا نحوه ابن عفيف بقوله: "كان أبو عبد الله بن مفرج من أغنى الناس بالعلم وأحفظهم للحديث، ما رأيت مثله في هذا الفن، من أوثق المحدثين وأجودهم ضبطا."[3] وأضاف ابن الفرضي "كان حافظا للحديث، عالما به بصيرا بالرجال، صحيح النقل، جيد الكتاب على كثرة ما جمع."[4] وذهب نفس المذهب الصفدي.[5]

وقد ترجمت مكانة ابن مفرج هذا الرواية الجليل من خلال ما ألفه في هذا الميدان منها في فقه الحديث[6]، كما قام بشرح فصل من كتاب الأسماء والكنى لأبي عبد الرحمن النسائي كما قام بتبويبه[7] إضافة إلى مصنفات ترجم فيها للرواة[8] وله "مسند الموطأ" أو "مسند حديث مالك"[9]، ومسند حديث قاسم بن أصبغ في مجلدات والذي ألفه للحكم المستنصر بالله.[10] إضافة إلى جمعه لمسند ابن الفرضي.[11]

ومن البيوتات التي كان لها إسهامات في ميدان التأليف **بيت بني الحذاء** والممثل في أحد أفراده المشهورين، وهو أبو عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن عبد الله بن الحذاء (347هـ-416هـ/958م-1025م) كان رجل حديث مميزا له ولرجاله.[12]

وفي بيان منزلته في هذا العلم يذكر ابنه أبو عمر أحمد بن الحذاء: أن له "علم بالحديث وعبارة الرؤيا."[13] وذهب نفس المذهب ابن عفيف وأبو علي الغساني الذي أثنى

1- نفسه – ص368.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص105.
3- الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3 – ص142.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص368. وينظر ابن فرحون:المصدر السابق – ص406. والسيوطي: طبقات الحفاظ – ص400.
5- الصفدي: الوافي...ج1 – ص324.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص37.
7- ابن خير: فهرسة – ص96. وينظر ك. بويكا: المرجع السابق – ص203.
8- سنعود إليها عند تعرضنا لإسهامات البيوتات في كتب التراجم.
9- عياض:المصدر السابق – تد: د/ أحمد بكير محمود – ج1 – ص199.
10- الحميدي: نفسه – ص37. الذهبي: تذكرة الحفاظ –ج3 – ص142.
11- ابن فرحون: نفسه – ص406.
12- عياض: المصدرنفسه – ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم – ج2 – ص301.
13- نفسه – نفس الصفحة.

عليه بقوله: "ممن عنى بالآثار وأتقن حملها ويميز طرقها وعللها."[1] ويضيف أبو عبد الله الخولاني: "كان من النقاد يشبه المتقدمين في حذقهم وسيرهم."[2]

والسبب الذي أدى به للحذق في علم الحديث أنه آثره على غيره من علوم الشريعة وهذا ما يؤكده ابن عفيف بقوله: "وغلب عليه الحديث فجد في علومه[3] أهل زمانه."[4] وأشار الى ذلك أبو علي الغساني وابن فرحون[5]، وبذلك أصبح من المحدثين الحافظين لهذا العلم، وممن برع كذلك في علم الأثر.[6]

ومما تقدم ذكره، يظهر لنا حذق عالمنا هذا في الحديث وتمكنه فيه، وبخاصة إذا علمنا بأنه أخذ عن شيوخ جلة من مصر والقيروان وغيرها[7]، إذ تفقه عندهم في الحديث، وقد بلغ عدة شيوخه ستون شيخا، وكان من هؤلاء راوية الأندلس عبد الله بن محمد من بيت بني شريعة و محمد بن أحمد من بيت بني مفرج السالف الذكر، وغيرهما.[8]

كل ذلك ساعده على أن يخوض في ميدان التأليف منها: كتاب – الاستنباط والأحكام من أحاديث الموطأ – وهو يحتوي على ثمانين جزءا[9]. وله كتاب آخر يدرج ضمن كتب تراجم الفقهاء والمحدثين.[10]

وقد اقتفى ابنه أبو عمر أحمد بن محمد بن يحي بن الحذاء (380هـ-467هـ/990م-1047م) أثر والده في هذا الميدان، إذ حصل له سماع عال من بعض الشيوخ وكان والده أحد هؤلاء، ولقلة المصادر التي ترجمت له، فلم يسعفنا الحظ للاطلاع

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص128.
2- عياض: نفسه – ج2 – ص301.
3- يقصد بها علوم الحديث بالمعنى العام وهي جميع العلوم والمعارف التي بحثت في الحديث من حيث رواته وجمعه في الكتب أو من حيث بيان صحيحه من ضعيفه أو من حيث بيان ناسخه و منسوخه أو مختلفة ومتعارضة أو من حيث شرح معناه واستخراج الأحكام منه، الى غير ذلك من العلوم التي دارت في فلك الحديث الشريف. د/ محمد بن محمد أو شهبة: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث – عالم المعرفة – جدة – المملكة العربية السعودية – ط1 – 1403هـ/1983م- ص23.
4- عياض:المصدر السابق – ج2 – ص301.
5- ابن بشكوال:المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص128. ابن فرحون: المصدر السابق – ص368.
6- الضبي: المصدر السابق –ص126. مخلوف: المصدر السابق – ص112. الصفدي: الوافي – ج3 – ص370.
7- ينظر عن هؤلاء الشيوخ عياض: نفسه – ج2 – ص301.
8- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص37- 198.
9- عياض: المصدر نفسه – ج2 – ص301. ابن فرحون: المصدرنفسه – ص368. وينظر محمد بن عبد الله التليدي: المرجع السابق – ص69.
10- سنتعرض الى هذا المؤلف في موضعه.

على إسهاماته في هذا الميدان، إذ اكتفت بالقول أنه من أهل العلم.[1] ونفس القول ينطبق على الابن الثاني عبد الله بن محمد المكنى بأبي محمد (كان حيا سنة 436هـ/1044م).[2]

ب) **مشاركة بيوتات علمية أخرى:**

لا يخامرنا الشك في أن البيوتات السالفة الذكر كان لبعض أفرادها مشاركة فاعلة في ميدان التأليف، إلا أن بعضها كان لها إسهامات جليلة في علم الحديث، وان لم تخلف فيه آثارا تشهد على تفوقها فيه، إلا أن أفراد بعض هذه النماذج وصفوا بأوصاف شتى تدل على أنهم كان لهم باع في هذا العلم، فمنهم من تأكدت فيهم أكثر من صفة من صفات التعديل، و منهم من وصفوا بعلو درجتهم فيه ومنهم من حمل على عاتقه رواية الحديث.

فمن هذه البيوتات **بيت بني شريعة** والذي يعتبر من البيوتات التي اشتهرت برواية الحديث، فممن برز من أفراده فيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة الباجي (291هـ-378هـ/903م-988م) وقد عرف بالراوية لأن علم الحديث وروايته غلبت عليه[3]،كما عرف بضطبه وثقة روايته وصدقه فيها وله بصر بمعاني الحديث، ولذا لم يوجد بالأندلس شيخ مثله، حتى أن بعض من ترجم له يقارنه بعبد الملك بن حبيب. فهذا يظهر بما لا يدعوا للشك إلمامه بهذا العلم وعلو درجته فيه، وهذا ما يتأكد لنا من قول ابن مفرج عنه: " كان الباجي من أهل الرواية العالية، والبصر والحديث..."[4]

وفي بيان مكانته العلمية فيه، نعته الذهبي بـ: "الحافظ الحُجّة العلامة محدث الأندلس"[5] وهو ما ذهب إليه الصفدي بقوله: "كان حافظا ضابطا متفننا بصيرا بمعاني الحديث."[6] في حين اكتفى البعض بالقول أنه من المحدثين الذين أكثروا من الروايات.[7]

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص62. الحميدي: المصدر السابق – ص362.
2- ابن الأبار: التكملة- ج2 – ص240.
3- عياض :المصدر السابق – ج2 – ص200.
4- عياض : المصدر نفسه – ج2 – ص200.
5- الذهبي: تذكرة الحفاظ –مج2 – ج3 – ص140. وينظر السمعاني: الأنساب – مج1 – ص256.
6- الصفدي: المصدر السابق – ج12 – ص251.
7- الحميدي: المصدرنفسه – ص219. مخلوف: المصدر السابق – ص100. السيوطي: طبقات الحفاظ – ص399.

إن إلمام شيخنا هذا بهذا العلم كان بفضل شيوخه الذين أخذ عـنهم، وكـان علـى رأسهم المحدث العالم محمد بن فطيس الذي سمع منه كثيرا بإلبيرة، وبذلك استطاع بلـوغ ما رواه من الدواوين مائتين وثمانين ديوانا.[1]

ولعلو منزلته العلمية، فقد حظي بمكانة مرموقة لدى أمراء بني أمية، فقد أُسْتُقْدِمَ من بلدة إشبيلية ليستفيد أهل قرطبة مما تكتنزه قريحته من علم الحديث، إذ استمر يحدث بهـا من سنة 368هـ/978م إلى سنة 370هـ/979م، وبعدها عاد إلى موطنه الأصلي، إلا أن ذلك لم يمنع طلاب العلم من التوافد عليه من كل ناحية، وكان منهم ابن الفرضـي الـذي سمع منه بقرطبة، وشـدّ الرحـال إليـه إلـى إشـبيلية مـرتين: سـنتي 373هـ و 374هـ/983م-984م، واستمر هذا الراوية بتعليم أبناء بلده مدة خمسين سنة.[2]

وقد ورث ابنه أبو عمر أحمد بن عبد الله بـن محمـد بـن علـي (330هـ أو 332هـ/396هـ/941م-943م1005م) علم الحديث عنه، فقد سمع منه كتاب المصـنف لابن أبي شيبة[3]، فأصبح ذا رواية مشهورة عن والده[4]، فجمع بين الفقه والحديث وأصـبح بذلك إمام عصره، وهذا ما يفهم من ترجمة أبي عمر ابن عبد البر له، فبعد التنويه ببيتـه قال: "كان إمام عصره... جمع الحديث والرأي، ...كان يذاكر بالحديث والرجال ويحفـظ غريب الحديث لأبي عبيد وأبي محمد بن قتيبة[5] حفظا حسنا."، وذكره أبو محمد عبد الغني في كتابه – المؤتلف – (مشتبه النسبة)، فقال: كان "من أهل العلم كتبت عنه وكتب عني."[6]

وأضاف أبو عبد الله الخولاني قوله: " كان أبو عمر عارفا بالحديث ووجوهه إماما مشهورا...لم ترعيني مثله، محدثا سمتا ووقارا."[7] ووصفه السـيوطي بالعلامـة الحـافظ الكبير، وجعله من العلماء بالحديث.[1]

1- عياض:المصدر السابق – ج2 – صص199-200.
2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص199. عياض: نفسه– ج2 – ص200.
3- ينظر ترجمته عند الذهبي: المصدر السابق – ج2 – صص16-17. فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج1 – ج1 – ص205.
4- عياض: نفسه – ج2 – ص268.
5- لقد مرت ترجمتهما.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص114-115. الذهبي: المصدر نفسه – مج2 – ج3 – ص174. ابـن بشـكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص12.
7- ابن بشكوال : المصدر السابق – مج1- ج1 – ص12. الذهبي:المصـدر السـابق – مـج2 – ج3 – ص174. السمعاني: المصدر السابق – مج2 – صص256-257.

وما يدل على اتساع أفقه المعرفية في الحديث، أنه كان على إطلاع على مؤلفات لشيوخ جلّة، منها: كتب "المنتقى" و "الضعفاء والمتروكين" و "أبي حنيفة" و "الآحاد" لابن الجارود[2]، وهذه الكتب كلها سمعها منه تلميذه أبو عمر ابن عبد البر.[3]

ومن ذرية أبي عمر هذا، أبو عبد الله محمد بن أحمد (356هـ-433هـ/966م-1041م) كان من جلة المحدثين[4]، عني بحفظ مسائل الحديث، راوية لما تعلمه من هذا العلم حتى أصبح من المحدثين المشهورين.[5]

ولحق بهذا البيت **آل أبي عيسى** السالف الذكر، والذي اعتبر بيت سنة ورواية ظهر منهم في علم الحديث ثلاثة أفراد، وهم على التوالي:

أبو عيسى يحي بن عبد الله بن يحي الليثي (287هـ-367هـ/900م-977م)، كان ممن وصف بعلو درجته في هذا العلم، وهذا ما يفهم من المصادر التي ترجمت له، فهذا عياض يقول في حقه: "كان أبو عيسى جليل القدر، عالي الدرجة في الحديث."[6] ونحا نحوه ابن فرحون.[7] وذهب نفس مذهبهما مخلوف حين قال: "العالم الجليل القدر، النبيه العالي الدرجة في الحديث."[8]

إن أول من تلقى العلم عليه، هو ابن عم والده عبيد الله بن يحي، الذي أخذ عنه بعض الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها: الحديث الذي تناول مسألة القنوت، إذ كان أبو عيسى هذا، لا يرى القنوت في الصلاة ولا يقنت في مسجده البتة، وكان يحتج بالحديث الذي رواه عن عم أبيه، إنما قنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو لقوم على آخرين، ثم أتاه جبريل – عليه السلام – فقال: " يا محمد إن الله لم يبعثك سبابا ولا لعانا،

1- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص414.
2- ينظر عنهما ابن خير: فهرسة – ص122-215. الذهبي: نفسه – مج2- ج3 – ص12. رضا كحالة – ج2 – ص260. و د/ نجم عبد الرحمن خلف: استدراكات على تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين في علم الحديث – دار الستائر الاسلامية – بيروت – لبنان – 1421هـ/2000م – ص464.
3- الحميدي:المصدر السابق – ص115.
4- الحميدي: نفسه – نفس الصفحة
5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص318. ابن بشكوال: نفسه– مج2 – ج2 – ص144
6- عياض: المصدرنفسه – ج2 – ص90.
7- ابن فرحون: المصدر السابق – ص434.
8- مخلوف: المصدر السابق – ص99.

إنما بعثك رحمة، ولم يبعثك عذابا."[1] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[2] فاحتج أبو عيسى بهـذا الحديث منذ أن سمعه من عم أبيه هذا، ولم يقنت بمسجده.[3]

لم يكتف أبو عيسى بالاختلاف إلى شيخ الأسرة هذا، والذي أظهر رغبته الشـديدة للسماع منه[4]، بل سمع من محدثين جلّة، وعلماء مشهورين في هذا الحقل المعرفـي كـان منهم: سعيد بن فحلون، والذي وصف بالصّدوق فيما كان يرويه من الأحاديث.[5]

ولعلو منزلته فيه، فقد رحل إليه الناس من جميع أنحاء الأندلس لروايـة الموطـأ، وحديث الليث، وسماع ابن القاسم، وعشرة يحي بن يحي، ونيف من حديث الشيوخ، وهذا ما يؤكده ابن عفيف بقوله: "سمعنا منه الموطأ في أزيد من خمسماية تلميذ." فسـمع منـه عالم عظيم.[6]

وقال تلميذه ابن الفرضي: "اختلفت إليه في سماع حديث الموطأ سنة ست وسـتين و ثلاثمائة، وكانت الدولة فيه في أيام الجمع بالغدوات، فتم لي سماعه منه...ولـم أشـهد بقرطبة مجلسا أكثر بشرا من مجلسنا في الموطأ، إلا ما كان من مجالس يحي بن يحي بن مالك بن عائد، ولم أسمع منه غير الموطأ."[7]

وما يؤكد على هذه المنزلة الرفيعة ، اعتماده على الإسناد إذ كان من أرفع مسندي الحديث في وقته بقرطبة، ولذلك كله فقد أجلسه الحكم المستنصر بالله لتأديب ابنـه أبـي الوليد هشام المرشح لولاية عهده، وكل ذلك "لسمو درجته في العلم واعتلاء منزلتـه فـي الرواية." إذ كانت رواية الحديث لدى هذه الأسرة متوارثة بين أفرادها.[8]

أما أخوه أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن يحي (284هـ-339هـ/ 897م-950م) وان كان أقل علما من أخيه أبي عيسى، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يكـون مـن المعتنيين بعلم الحديث الحافظين له، والمهتمين بجمع الآثار والسنن[9]، كما تميز بالروايـة

1- صحيح مسلم: باب استحباب القنوت – صص302-305.
2- سورة آل عمران: الآية 128.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص90.
4- عياض: نفسه– نفس الصفحة.
5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص145.
6- عياض: نفسه – ج2 – ص90. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص442.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص442.
8- ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس – ص170.
9- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص340. النباهي: مرقبة...صص59-60.

الواسعة[1]، إذ تسلسلت رواية الموطأ بين أفراد هذا البيت، فأصبح بذلك هذا البيت، بيت ترسّخ فيه علم الحديث وروايته.[2]

وآخر أفراد هذه الأسرة أبو القاسم أحمد بن محمد بن يحي بن عبيد الله بن يحي (كان حيا سنة 357هـ/967م)، وهو يمثل الفرع الرابع لشجرة آل أبي عيسى هؤلاء، قام بعدة رحلات إلى المشرق، إلا أن كتب التراجم التي إعتنت بالترجمة له لا تمدنا بمعلومات وافية عن إسهاماته في هذا الميدان، إلا أن الحكم المستنصر بالله يذكر بأنه وجد بخطه في آخر حديث شعبة بن الحجاج[3]: "نسخ من نسخة أحمد بن محمد بن يحي بن عبيد الله بن يحي بن يحي بن أبي عيسى الليثي: يعني هذا، سنة سبع وخمسين وثلاثمائة."[4]

يمثل هؤلاء العلماء الثلاثة الثلة التي أنجبها هذا البيت العريق في العلم والنباهة، وان كانت المصادر في أحايين عدة لا تبرز إسهامات بعض أفراده في العلم، إلا أن رواية الحديث قد توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد وان كانت بدرجات متفاوتة.

ونحا نحو هذا البيت في توارث رواية الحديث **بيت بني سراج** وهذا ما يفيدنا به ابن الأبار حين ترجم لأحد أفراده، حيث ذكر لنا سندا تكرّر فيه عدد من أسماء أفراد هذه الأسرة والذين نقلوا رواية الحديث من الموطأ، فعدّهم على النحو التالي: أبو مروان بن سراج وأبيه القاضي أبي القاسم سراج بن عبد الله ووالد هذا الأخير عبد الله بن محمد، فرواية الحديث قد ترسّخت بين هؤلاء[5] نذكر منهم: أبو الزناد سراج بن سراج بن محمد بن سراج (364هـ-422هـ/974م-1030م) الذي تأكدت فيه أكثر من صفة التعديل، وهذا ما يفهم من قول ابن خزرج: "كان من أهل العلم، قديم الاعتناء به ثقة صدوقا."[6]

1- ابن فرحون: المصدر السابق – ص361. مخلوف: المصدر السابق – ص88.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص85.
3- تنظر ترجمته عند الذهبي: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص144 وما يليها. الصفدي: الوافي بالوفيات – ج11 – صص119-120.
4- ابن الأبار: التكملة...ج1 – صص16-17.
5- ابن الأبار:المصدر السابق – ج2 – ص236.
6- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص200.

وعم المتقدم ذكره، عبد الله بن محمد بن سراج الذي حدّث بالموطأ، وسمع الحديث من وهب بن مسرة المحدث المشهور والعارف بعلله.[1] وأبي عيسى الليثي وغيرهما. حدث عنه ابنه أبو القاسم سراج بن عبد الله.[2]

أما ابنه أبو القاسم سراج بن عبد الله[3] بن محمد بن سراج (ت 456هـ/1063م). أخذ علم الحديث عن جلّة من الشيوخ منهم: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي[4] الذي سمع منه صحيح البخاري، وفاته منه يسير أجازه له، كما سمعه من القاضي أبي عبد الله محمد بن زكريا المعروف بابن برطال، إضافة إلى سماعه من جهابذة الحديث، وبخاصة من القاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيره.[5]

لم يبق أبو القاسم هذا مجرد متلق لهذا العلم، بل استفاد من حلقاته العلمية عدد من طلاب علم الحديث، كان أولهم ابنه أبو مروان عبد الملك بن سراج الحافظ، وابن طريف الكاتب[6]، وأبو علي الجياني وغيرهم.[7]

وكان من عقبه ابنه أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله (400هـ-489هـ/1009م-1095م) روى عن أبيه القاضي ويونس بن عبد الله وغيرهما، فأصبح من أكثر الناس دراية بعدة علوم، كان الحديث واحدا منها، وهو القائل: حدثنا وأخبرنا واحد، ويحتج بقوله تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[8]، فجعل بذلك الحديث والخبر أمرا واحدا.[9]

لقد أكثر مؤرخو الأندلس من وصفهم له، وأثنى عليه كل من ترجم له، فهذا أبو الحسن ابن مغيث أشاد بشهرته وشهرة بيته، وبمكانته لدى خلفاء بني أمية، فقال: " كان

1- ينظر عنه: ابن فرحون: المصدر السابق – ص429.

2- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص236.

3- ورد عند مخلوف: سراج بن محمد بن عبد الله – نفسه – ص118.

4- تنظر ترجمته عند ابن الفرضي: المصدر السابق – صص205-206. الحميدي: المصدر السابق- صص225-226. ابن فرحون: نفسه – صص224-225. الذهبي: المصدر السابق – مج2 – ج3 – صص152-153.

5- ابن بشكوال: المصدرنفسه – مج1 – ج1 – ص201. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص357- مخلوف: المصدر نفسه – ص118.

6- تنظر ترجمته عند القفطي: إنباه الرواة...ج1- ص118. وقد أورد هذا الأخير سنة وفاته 432هـ/1040م في حين وردت عند ابن بشكوال سنة 520هـ/1126م،

7- عياض: نفسه – ج2 – ص357.

8- سورة الزلزلة: الآية رقم 4.

9- ابن بشكوال:المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص9.

حسنة من حسنات الزمان، وبقية من الأشراف والأعيان." ثم يبرز اهتباله بعلم الحديث إذ كان واسع الرواية وله علم بمعاني الحديث ومن حفاظه الكبار، فعنده كان يسقط حفظ الحفاظ، ودونه يكون علم العلماء، ونحا نحوه أبو علي الجياني بالقول: أنه "العالم الجليل الحافظ، إمام الأندلس في وقته." ولعلو منزلته في العلم، فقد ارتحل إليه الناس من جميع جهات الأندلس.[1]

ومن البيوتات التي اشتهرت في الفقه ولم تنس نصيبها في علم الحديث **بيت بقي بن مَخْلَدْ** إذ توارثه أفراده عن مؤسس هذه الأسرة العلمية بقي بن مخلد والذي كان أحد حفاظ المحدثين والأئمة المشهورين.[2]

فمن عقب هذا العَلَم الجليل، أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد (260هـ-324هـ أو 344هـ/873م – 935م – 955م) الذي أثنى عليه وعلى مكانته العلمية ابن عبد ربّه حين عدّه من عجائب الدنيا، جامعا للخلال الرفيعة منفردا بها، فكان بذلك نسيج وحده.[3]

في حين اكتفى الحميدي بنعته بالمحدث.[4] ونحا نحوه ابن الفرضي بقوله: أنه كان من الفضلاء الزهاد، ولم يبرز إسهاماته في هذا الميدان.[5]

هذا لا يعني أنه لم تكن له مشاركة في هذا العلم، إذ أن أول من تعلم على يديه كان والده، وهذا الأخير كانت له فيه عدة تآليف، فلا مناحة من أن ابنه استفاد من كتبه الحديثية[6] التي كانت لوالده ورواها لتلامذته، وهذا ما يؤكده الخشني بقوله: "وكان سمع من أبيه كتبه." ولعلمه في الحديث، فقد وصف بأكثر من صفات التعديل، منها: أنه كان عدلا ثقة، صدوقا أمينا.[7]

1- ابن فرحون: المصدر السابق – ص257. مخلوف: المصدر السابق – ص122.

2- تنظر ترجمته عند الخشني: أخبار الفقهاء...ص37 وما يليها. الذهبي: المصدر السابق – مج1 – ج2 – ص151 وما يليها.

3- ابن فرحون: المصدر نفسه – ص98.

4- الحميدي: المصدر السابق – ص105.

5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص38.

6- من هذه الكتب: ذكر ما للصحابة في الحديث من العدد وكتاب الفضائل والمسند المصنف: ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص83. الحميدي:المصدر السابق – ص156. مخلوف: المصدر السابق – ص87. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج1 – ج1- ص296. محمد بن عبد الله التليدي: تراث المغاربة...ص147-207-208. و د/ نجم عبد الرحمن خلف: استدراكات على تاريخ التراث العربي – ص357.

7- الخشني: المصدر السابق – ص13.

ومن عقب أبي عبد الله هذا، ابنه أبو الحسن أو أبو يزيد عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد (ت366هـ/976م). أخذ عن جلة من العلماء منهم: المحدث المشهور، قاسم بن أصبغ ومحمد بن قاسم وغيرهما. "كان ضابطا لما كتب، ثقة فيما روى، وقور المجلس" وهو القائل: "الإجازة عندي، وعند أبي وعند جدي كالسماع." فحاز بذلك رفعة، ومكانة مرموقة في هذا الميدان، إذ كان يحضر مجلسه عدد من طالبي العلم، فسمع منه أناس كثيرون وعنه عدة أعلام.[1]

ومن ولد عبد الرحمن هذا، أبو عبد الله مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد (332هـ-408هـ/943م-1017م) الذي تتلمذ على والده وغيره، كان منقطع النظير في هذا العلم، وهذا ما يتوضح لنا من خلال وصف المصادر له، فابن حيان قال في حقه: "كان ثبتا صدوقا." ويظهر لنا تعلقه بالحديث ما حكي عنه من أنه رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في منامه وكان ذلك سنة 391هـ/1000م، فقال له: يا رسول الله، حديث بلغنا أنك قلته – من كذب عليّ معتمدا، فليتبوأ مقعده من النار، فقال له (صلى الله عليه وسلم) : أبو هريرة رواه عني.[2]

هذه القصة لخير دليل على مدى اهتبال هذا الشيخ وانشغاله بهذا العلم، إذ كان همّه الوحيد هو التثبت من صحة الأحاديث وسندها، وقد يكون هذا الحديث من بين الأحاديث الكثيرة التي أرّقته حتى جعلته يراها في منامه.

وقد أطلعنا ابن بشكوال على ابنين له، وهما:

أبو الحسن عبد الرحمن بن مخلد بن عبد الرحمن (358هـ-437هـ/968م-1045م) الذي اكتفى صاحب الصلة بذكر من سمع منهم العلم، إذ روى عن أبيه سماعا وعن جده عبد الرحمن إجازة وقد يكون توليه لبعض الخطط كالسوق وأحكام الشرطة وغيرهما سببا في انقباضه عن العلم والبروز فيه.[3]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدرنفسه – ص216.
2- صحيح مسلم – ص15 . ابن بشكوال: المصدر السابق - مج2 – ج2 – ص232.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص286.

أما أخوه أبو عبد الله احمد بن مخلد، فقد اكتفى ابن بشكوال بالقول أنه حدث عن أبيه مخلد برواية سلفه.[1]

وابن هذا الأخير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مخلد (397هـ-470هـ/1006م-1077م) فقد وصفه الضبي بالمحدث المشهور، وأثنى على بيته واعتبره من بيوتات العلم والحديث.[2] وعن طريق أبي عبد الله هذا، استمرت رواية الحديث إذ روى عن والده أحمد وعن عمه أبي الحسن عبد الرحمن، كما انتقلت الرواية إلى ابنيه، فحدث عنه أبو الحسن عبد الرحمن (432هـ-515هـ/1040م-1121م)[3] وابنه الثاني أبو القاسم أحمد (446هـ-532هـ/1054م-1137م) الذي أخذ الحديث عن جلّة من العلماء، نذكر منهم أبا عبد الله محمد بن فرج، الذي أخذ عنه بعض رواياته، كما أجاز له أبو العباس العذري المحدث.[4]

ويكفينا في شهادة الضبي وثنائه على هذا البيت، ما يثبت أن أفراده حملوا على عاتقهم رواية الحديث وتوارثوها، وما يدل على ذلك تواتر روايته بين أفراده، وإن كان بعض من ترجم لهذه الأسرة لم يوفها حقها، إلا أن استمرار ظهورها لهو خير دليل على ذلك التواصل الثقافي بينها.

ومن البيوتات الكبرى التي كان لها باع على الساحة الثقافية نذكر **بيت بني دليم** الذي ظهر منهم عدد من الأفراد خاضوا في الحديث وروايته نذكر:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن أبي دليم (ت 338هـ/949م) الذي أخذ عن جلّة من المحدثين منهم: ابن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني وعبيد الله بن يحي الليثي، كما تتلمذ على يديه أناس كثيرون كعبد الوارث بن سفيان.[5]

ومن صفات التعديل التي نعث بها صفة التوثيق، وهذا ما يفهم من كلام ابن الفرضي حين ترجم له، فقال: "كان شيخا طاهرا ثقة، سمع منه الناس كثيرا."[1] وأضاف ابن عفيف قوله: "كان من العلم والرواية" إلا أن علم الرأي[2] كان الغالب عليه.[3]

1- نفسه – ص47.
2- الضبي: المصدر السابق – ص142.
3- الضبي: نفسه – ص310. ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج1 – ج1 – ص301.
4- ابن بشكوال: نفسه – مج1 – ج1 – ص71. ومج2 – ج2 – ص168.
5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق– ص338. الحميدي: المصدر السابق– ص49. الضبي: م س–ص65.

ولقد أعقب ابنا وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (228هـ-372هـ/842م-98م) الذي سمع بدوره من جلة شيوخ الأندلس كأحمد بن خالد وعبد الله بن يونس، وقاسم بن أصبغ وغيرهم، ومن أبرز تلامذته ابن الفرضي.[4]

وأبو عبد الله هذا، كان أكثر حظا من والده وهذا ما نستشفه من خلال ترجمة بعض المصادر له إذ تأكد بأكثر من صفتي التعديل التي تلازم المحدث وتجعله في مراتب عليا في هذا العلم منها: صفة الضبط والثقه والإتقان مع سعة العلم، فكان بذلك "ضابطا لكتبه متفننا لروايته، ثقة مأمونا."[5] [6] فَعُدَّ من أولئك العلماء الذين تميزوا باتساع أفقهم المعرفية وممن لم تكن له صبوة ولا زلّة. حتى شبه بعبد الله المعيطي في العدالة، وهذه الصفة تحمل كل راوي أن يكون ملازما للتقوى والزهد، وهاتين الصفتين لازمت أبا عبد الله، فطبعت شخصيته بالزهد منذ صغره. حتى أن أبا محمد الباجي قال: "من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة – إن شاء الله – فلينظر إلى محمد بن أبي دليم."لذلك، فقد سمع منه عالم كثير.[7]

أما أخوه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت 351هـ/962م) شارك أخاه في شيوخه[8]، وقد توفرت فيه الشروط الواجبة لكل محدث إذ "كان نبيلا في الحديث ضابطا لما رواه."[9] كما نعت بـ "الإمام المشاور العالم بالحديث، الضابط لما رواه."[10]،

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدرنفسه – ص338.

2- أهل الرأي هؤلاء أطلق على علماء الكوفة وفقهائها من قبل أناس من رواة الحديث، كان جل علمهم أن يخدموا ظواهر ألفاظ الحديث، ولا يرومون فهم ما وراء ذلك من استجلاء دقائق المعاني وجليل الاستنباط، وكان هؤلاء الرواة يضيقون صدرا من كل أعمل عقله في فهم النص. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص17.

3- ينظر قاسم علي سعيد: المرجع السابق – ج3 – ص1117.

4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص361. الحميدي: المصدرنفسه – ص35. مخلوف: المصدر السابق – ص99. عياض: المصدر السابق– ج2 – ص108.

5- وهي من ألفاظ التعديل، يكتب حديث أهلها وينظر فيه للاعتبار. محمد أبو الليث الخير آبادي: المرجع السابق – ص76.

6- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص361.

7- عياض: نفسه – ج2 – ص108.

8- ينظر عياض: المصدر السابق – ج2 – ص108.

9- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص191. ابن فرحون: المصدر السابق – ص228. عياض: نفسه – ج2 – ص108.

10- مخلوف: المصدر السابق– ص90.

وذهب نفس المذهب ابن الحارث، فقال: "كان ممن طلب وسمع وتفقه في الحديث، وعرف بذلك وشهر به، وهو من أهل الضبط والإتقان."[1]

لقد خوّلت له هذه الأوصاف التي تأكدت في شخصيته العلمية أن ينتزع تلك المكانة من أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله، إذ كان هذا الأخير يعظّمه، ويجلّ فيه العلم الـــذي كان هو حامله،فلا مراء في أن يحوز عصا السبق في قصر هذا الخليفـــة، وهـــو العـــالم العارف بأحوال العلماء من أمثال ابن أبي دليم هذا.[2]

ومن ذرية بيت بني دليم أبو محمد عبد الله بـــن أبـــي دلـــيم[3] (كـــان حيـــا ســـنة 436هــ/1044م) سكن بلنسية، وسمع بطرطوشة من أبي القاسم خلف بن هانئ العمـــري سنة 405هــ/1014م، وكان هذا الشيخ من محدثي بلده[4]. فمن الأحاديث التي أخذها عـــن شيوخه أحاديث خراش بن عبد الله والتي أفاد بها تلامذته.[5] [6]

وممن خاض في هذا العلم كذلك، **بيت بني درهم** نذكر منهم سبعة أفراد وهم:

أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير بن أبي درهـــم التجيبـــي (336هـــــ أو 338هــ - 421هــ/947م – 949 م -1030م) الذي روى عن جلة من علماء الحـــديث منهم: محمد بن عمر بن عيشون وغيره[7]. كان من المحدثين ببلده وشقة، ولذا فقد حـــدث عنه كثيرون من علمائها منهم القاضي أبو عمر ابن الحذاء وابنه أبو الأصبغ، وسمع منـــه أبو الوليد بن فتحون رواية الموطأ برواية يحي بن يحي الليثي.[8]

ومن ذرية خلف هذا، أبو الأصبغ عيسى بن خلف الذي اكتفـــت المصـــادر بـــذكر شيوخه، كان والده واحد منهم، ومحمد بن علي الشبل. حدث عنه أبو الوليد الباجي بكثيـــر من رواياته.

1- ينظر علي سعد قاسم: المرجع السابق – ج2 – ص752.
2- عياض: نفسه – ج2 – ص108.
3- أظنه عبد الله بن اسماعيل بن أبي دليم.
4- ينظر عنه الضبي: المصدر السابق – ص248.
5- من هؤلاء أبو داود المقرئ، اذ سمع منه سنة 436هــ/1044م.
6- ابن الأبار: التكملة...ج2 – ص241.
7- عياض: المصدرنفسه – ج2 – ص271. ابن فرحون: المصدرنفسه – ص351.
8- الحميدي: المصدر السابق – صص182-183.

ونفس الكلام ينطبق على والده أبي عبد الله يحي بن عيسى الذي ورث العلم عـــن عمه، كما حدث عنه أبو الوليد الباجي.[1]

وإذا انتقلنا إلى الفرع الثاني لهذه الأسرة، فيمثله أبو هارون موسى بن خلـــف بـــن عيسى بن أبي درهم (كان حيا 445هـــ/1053م)، فقد كانت له في الحديث نفس المكانـــة التي كانت له في الفقه والذي ورثه عن والده المحدث.[2]

وممن اخذ عنهم هذا العلم، شيخ أخيه محمد بن الشبل الذي شاركه في السماع إليه، فعند قدوم هذا الشيخ إلى وشقة حمل عنه شرح الحديث لمحمد بن سحنون، مناولة[3] وأثناء رحلته إلى مكة لأداء مناسك الحج سنة 447هـــ/1055م سمع من أبي عبد الملك البوني[4] كتابه في شرح الموطأ وبالقيروان من أبي عمر الفاسي[5] صحيح البخاري، وقد كان الفاسي من أعلم الناس وأحفظهم، كما سمع من ابن أبي صفرة[6] ملخص القابسي[7]، واستفاد من أبي ذر الهروي المحدث والذي أجاز له سنة 408هـــ/1017م، إلا أنه لم يسمع منه وهذا مـــا يفهم من كلام ابن الأبار حين قال: "ولم يسمع منه فيما احسب." كما حمل شرح الحـــديث عن أبي عبد الله محمد بن علي بن شبل صاحب الأحكام عندما لقيه بتطيلة.[8] [9]

لم يكتف هذا المحدث بتلقي العلم فقط، بل كان يجلس بجامع وشْقَة[10]، ويعلّم النـــاس مما تعلّمه من شيوخه، فمن تلامذته إبنيه: أبو موسى هارون وأبو مطرف عبـــد الـــرحمن

1- ابن بشكوال: المصدر السابق - مج2 – ج2 – صص66-67 – ص270. ابن الأبار: التكملة...ج1 – ص306. ج2 – ص174.

2- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص173.

3- الخشني: قضاة قرطبة...ص178.

4- تنظر ترجمته عند الحميدي: نفسه – صص307-308. ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص225.

5- ابن فرحون:المصدر السابق – ص423. الضبي: المصدر السابق– ص399. محمد بن عبد الله التليدي: المرجـــع السابق – ص211.

6- الحميدي: نفسه– ص55. مخلوف: المصدر السابق– ص114. محمد بن عبد الله التليدي: نفسه–ص190.

7- تنظر ترجمته عند الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3 – ص186-187. في حين يترجم له رضا كحالـــة فـــي موضعين: الأول: تحت اسم ابراهيم وفي الثاني تحت اسم علي. المعجـــم – ج1 – ص61. ج2 – ص502. وينظـــر حاجي خليفة: المرجع السابق – ج5 – ص549.

8- تنظر عنها البكري: المسالك والممالك – حققه ووضع فهارسه – د/جمال طلبة – دار الكتب العلمية – بيـــروت – لبنان – ط1 – 1424هـــ/2003م – مج2 – ص395.

9- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص173. مخلوف: المصدر السابق – ص115.

10- وقد وردت بهذا الاسم – أشقة – عند البكري: نفسه – ص379. وهي مدينة تتصل بأحواز بربطانية، تقع شـــرق سرقسطة وقرطبة، يشقها نهر - بانشه- كثيرة المساجد، تربتها طيبة، تحيط بها جنات وحدائق من الثمار، منه التفـــاح والكمثري وغير ذلك. ابن الدلائي: المصدر السابق – ص55. الحميري: المصدر السابق – ص612.

وابن أخته أبو الحزم خلف بن محمد بن خلف بن حاتم العبدري صاحب الأحكام بسرقسطة وقد حدث ولداه بما رواه والدهما بدانية.[1] [2]

ومن ذرية موسى بن خلف ثلاثة أبناء نذكر منهم ممن عاصر الفترة المعالجة أبـا موسى هارون بن موسى (ت 484هـ/1091م)،ذكره ابن بشكوال واكتفى بـالقول: أنـه حدث عن والده، وأجاز له الطلمنكي رواياته.[3]

لم تنته عطاءات هذا البيت العلمية، بل ورث باقي الأبناء[4] علم الحديث كابر عـن كابر وإن كانت بعض المصادر لم تفدنا بإسهاماتهم في هذا الميدان، ومرد ذلـك أن جـلّ أفراده تولوا خطة القضاء الأمر الذي صعّب عليهم الخوض في ميدان التأليف، أو الاهتمام أكثر بهذا العلم.

وكان على رأس **أسرة بني نابل** جدهم محمد بن عمر بن نابل الذي أنجب لنا ذرية كان لها باع في رواية الحديث نذكر من نسله.

أبو بكر حسين بن عمر بن نابل (296هـ-374هـ أو 379هـ)، ذكره عياض حين ترجم لحفيده فقال: أنه كان "من أهل الرواية الواسعة"، روى عن عدة شيوخ كان القاضي أسلم واحد منهم، فعلى الرغم من تعدد مناحيه الثقافية إلا أن الرواية غلبت عليه.[5]

ولحق الابن أبو حفص عمر بن حسين بن محمد (ت 401هـ/1010م) أباه في رواية الحديث، وهذا ما يفهم من ترجمة عياض له حين قال: كان "من أهل العلم والرواية أيضا." وكان آخر من حمل عنه الرواية، قاسم بن أصبغ، كما استفاد من ابن أبي دليم وغيرهم، فأصبح بعدها ممن تأكدت فيهم أكثر من صفة التعديل إذ "كان مسندا صدوقا عفيفا."[6] وهذا ما يؤكده ابن بشكوال الذي فصّل في ترجمته.[7]

1-مدينة تقع شرق الأندلس، تقع على البحر، ذات عمارة متصلة بها أشجار كثيرة وكروم ترد عليها السفن مـن كـل الجهات، الحميري: نفسه – ص231. ابن الدلائي: نفسه – ص19. وينظر الادريسي: القارة الافريقيـة ...– ص282. مجهول: تاريخ الأندلس – ص135.

2- ابن الأبار: نفسه – ج2 – صص173-174.

3- نفسه – ج2 – ص173. مخلوف: نفسه – ص115.

4- من هؤلاء أبو عبد الله يحي بن هارون بن موسى وأبو هارون موسى بـن خلـف. ابـن الأبـار: نفسـه– ج4 – ص166- ج2 – ص174. الحميدي: بغية الملتمس – ص167. وينظر رضا كحالة: نفسه – ج1 – ص216.

5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص299. الحميدي: الجذوة – ص170

6- عياض: نفسه – ج2 – ص299.

7- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص33.

وثالث أفراد هذه الأسرة، أبو القاسم يحي بن عمر بن حسين (ت 401هـ/1010م) كان أنجب أفراد بيته في العلم، حيث اشتهر بالحفظ الجيد.[1] وكعادة ابن بشكوال، فقد فصّل في ترجمته وأثنى على بيته، فقال: "كان من أهل الفضل والصلاح والخير مع التقدم في الفهم والإمامة في العلم، من بيت طهارة وهدي وسنة."[2]

وبالرغم من أن هذه الأسرة قد ضمت عددا قليلا من أفرادها الذين كانت لهم مشاركة في علم الحديث، إلا أنه اعتبر بيت علم ودين وسنة إذ عنوا بهذا العلم على مذهب الشيوخ والمحدثين بالروايات والسماع.[3]

وشابهه في ذلك **بيت بني هارون بن رفاعة** والذي نذكر منه علمين: الأب والابن. أما الأب، فهو أبو خيثمة نمر بن هارون بن رفاعة بن مفلت (ت 311هـ/923م) سمع من محدثي الأندلس، منهم بقي بن مخلد الذي ملأ الأندلس علما وحديثا.[4] ومن محمد بن عبد السلام الخشني وغيرهما. وفي بيان منزلته في هذا العلم، قال ابن حارث: "كان من أهل الحديث" وممن اعتنى بطلبه[5]، ونحا نحوه ابن الفرضي بقوله: "وكان له حفظ من الحديث."[6] في حين ذكر عياض بأن "له حفظ من الحديث."[7] في حين ترجم له الحميدي ولم يذكر له فيما إذا كانت له إسهامات في هذا العلم، وتبعه في ذلك الضبي.[8]

أما ابنه محمد بن نمر المكنى بابن أبي خثيمة، فكان له علم بالحديث إذ أخذه عن والده حتى أصبح أوفر حظا منه، وممن أخذه عنهم جلة من الشيوخ، نذكر منهم: أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن صاحب تصنيف السنن، وغيرهم من العلماء الأجلاء.[9]

لقد أولى هذا العلم اهتماما كبيرا بجمع الحديث، فجمع منه الكثير[10]، فأخذ هذا العِلْمَ جلّ اهتماماته، وهذا ما يبينه عياض حين قال: "وكان الأغلب عليه الحديث."[11]

1- عياض: نفسه – ج2 – ص299.
2- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص264.
3- ابن بشكوال: نفسه – ج2 – ص33 -264.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص82.
5- الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص153.
6- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص417.
7- ينظر علي قاسم: المرجع السابق – ج3 – ص1302.
8- الحميدي: المصدر السابق – صص323-324. الضبي: المصدر السابق – ص417.
9- الضبي: نفسه – ص87.
10- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص345.
11- ينظر علي قاسم: نفسه – ج3 – ص1216.

ومممن ظهر من **بيت بني الشامة** يحي بن زكريا بن يحي بن عبـد الله الثقفـي (ت 327هـ/938م) الذي ترأس هذه الأسرة في هذا العلم بفضل شيوخه الذين أخذ عنهم منهم أبان بن عيسى بن دينار وإبراهيم بن قاسم بن هلال وغيرهما[1]. فأصبح من أوثق النـاس في الحديث ومن أثبت أصحاب محمد بن وضاح.[2]

وفي علو منزلته فيه، قال أحمد بن خالد: "كان ثقة مأمونـا."[3] واكتفـى الحميـدي بالقول أنه محدث، ومما رواه من الأحاديث[4]، حديث ذكره الحميدي[5] حين ترجم لخلف بن قاسم بن سهل هذا نصّه :"حدثنا أحمد بن يحي بن زكريا بن الشامة، قال حدثني أبي قـال: حدثني خالي إبراهيم بن قاسم بن هلال، قال حدثني فطيس السبائي، قال: سـمعت مالكـا يقول في قول الله عز وجل ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[6].

أما ابنه أبو عمر أحمد بن يحي (343هـ/954م)، فقد سار على نفس الدرب الذي سار عليه والده إذ سمع منه ومن شيخه ابن وضاح وهو لازال حدثا وأخذ عن احمد بـن خالد وغيره، فأصبح بعدها من المحدثين[7]، ولتمكنه في هذا العلم، فقد أخذ عنه عدة أعلام من بينهم تلميذه أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل، الذي أصبح بفضل شـيخه هـذا مـن جهابذة الحديث بالأندلس.[8]

وكان من عقب هـذا الأخيـر، أبـو محمـد عبـد الله بـن أحمـد (311هـ-381هـ/923م-990م) أخذ عن والده وبعض الشيوخ من بينهم وَهْب ابن مَسَرَّة، وعلـى الرغم من ذلك، فلم يكن كسلفه في هذا العلم، "فلم يكن عنده علم"[9] على حـد قـول ابـن الفرضي، وزاد عليه عياض، فقال: "وعلى الرغم من قلّة علمه، فقد حـدّث وسـمع منـه بعض الناس."[10]

1- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص436-437.
2- الخشني: قضاة قرطبة...ص61-109.
3- الخشني: أخبار الفقهاء...ص288.
4- الحميدي: المصدرنفسه – 339-340.
5- الحميدي: نفسه – ص185.
6- سورة ق – الآية رقم 18.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص42. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص96.
8- الحميدي: المصدر السابق – ص131.
9- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص201.
10- عياض: نفسه – ج2 – ص96.

ومن بيوتات العلم بطليطلة **بيت بني وسيم** والممثل في مؤسس هذه الأسرة النابهة في علوم الشريعة وهو:

أبو محمد وسيم بن سعدون بن عمر القيسي، الذي سمع بقرطبة من حافظ الأندلس ومحدثها محمد بن وضاح، وليوسّع من معارفه العلمية، سافر إلى المشرق، فلقي بعض شيوخها من أمثال: علي بن عبد العزيز والزهري المُصَنِّف (ت 286هـ/899م)[1] وغيره[2] وقد شبّهه ابن حارث بمحمد بن عثمان[3] في الحَمْل[4] والرواية.[5]

كما اشتهر من أبناء هذه الأسرة، ابنه أبو بكر محمد بن وسيم (ت 352هـ/963م) سمع من والده بطليطلة، ومن باقي شيوخ الأندلس ومحدثيها كأحمد بن خالد وقاسم بن أصبغ وغيرهما.[6]

تعددت مناحي هذا العالم الجليل، إذ خاض في ميادين معرفية شتّى[7]، وهذا ما يفهم من كلام عياض حين قال: "وكان رأسا في كل فن متقدما فيه." فلكل ذلك علا ذكره، فعلت منزلته من بين علماء الأندلس.[8]

أما عن إسهاماته في الحديث، فقد اكتفت المصادر بالقول : أنه كان "بصيرا بالحديث"[9] أو "ذا بصر بالحديث" أو تكتفي بالقول أنه محدث.[10]

أما حفيد مؤسس هذه الأسرة العلمية أبو بكر (أبو عمر) احمد بن محمد بن وسيم (ت 401هـ/1010م) فكان مثل والده في تعدد مناحيه الثقافية، إذ خاض في علوم شتى،

1- ينظر في ترجمته الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج1 – ج2 – ص147. وينظر خير الدين الزركلي: الأعلام – ج4 – ص300.

2- ابن الفرضي: المصدر نفسه – ص422.

3- تنظر ترجمته عند ابن النديم: الفهرست – ص314. الذهبي: نفسه – مج1 – ج2 – ص171. الصفدي: الوافي بالوفيات – ج2 – ص481.

4- الحمل فيها على فلان، يعنون به: المتهم في وضعه، فهو أعلى مراتب ألفاظ الجرح. محمد أبو الليث الخير آبادي: المرجع السابق – ص40.

5- الخشني: أخبار الفقهاء...ص259.

6- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص346.

7- سنتعرض لها لاحقا.

8- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص121.

9- ابن الفرضي: نفسه – ص346.

10- الداودي: طبقات المفسرين – ص487. عياض: نفسه – ج2 – ص121. عادل نويهض: المرجع السابق – ج2 – ص646.

فكانت له أسمعة عن أبيه وجده، وهذا ما يعرف برواية الأبناء عن الآباء والأجداد[1]. أما ابن بشكوال، فلم يفدنا بإسهاماته في علم الحديث، واكتفى بالقول أنه كان كثير السماع لكتب الحديث[2]. وأما ابنه أبو بكر وسيم بن أحمد، فلم يكن أكثر حظا من والده، إذ اقتصر ابن الفرضي على الرفع من نسبه فقط، دون إبراز إسهاماته الثقافية.[3]

ومن البيوتات التي كانت لها مشاركة في الفقه، إلا أن أفرادها تعاطوا هذا العلم نخصّ بالذكر، **بيت بني مَسْلَمَة بن خطاب** الذين أحصينا منهم ثلاثة أفراد وهم على التوالي:

أبو المغيرة خطاب بن مَسْلَمَة البُثْرِي (294هـ-372هـ/906م-982م) الذي كان من أهل العلم والحديث ومن الأبدال، وقد جعله ابن بشكوال من الثُّقَات حين ترجم لابنه محمد بن خطاب فوصفه بـ "الراوية الثقة."[4]

أما ابنه أبو عبد الله محمد بن خطاب بن مسلمة (كان حيا 414هـ/1023م)، فقد اقتفى أثر والده في هذا العلم إذ كان "من أهل العلم والرواية"[5] فاعتنى برواية الحديث، وجلّ ما رواه كان عن والده.[6]

ومن عقب هذا الأخير، أبو عبد الله محمد بن مسلمة (290هـ-339هـ/902م-950م) وإن لم يكن له إسهام في هذا العلم وبقية العلوم الأخرى، إلا أن ابنه أبا عبد الله أو أبا محمد مسلمة بن محمد (ت 391هـ/1000م) كان من المحدثين، وكان أكثر ما يحمله من الحديث عن طريق الإجازة[7]. وهذا ما يؤكده أبو عمر ابن عبد البر حين ذكر بأنه حدّث بكتاب محمد بن أحمد بن خالد بن يزيد الموسوم بـ: "فضل طلب العلم."[8]

هذه نماذج من بيوتات شتّى، قد أسهمت مساهمة فاعلة في علم الحديث سواء أكان ذلك بالتأليف فيه أو تعاطيه وتعليمه لمن جاء بعدهم، وهذا ما تبين لنا من خلال استقرائنا

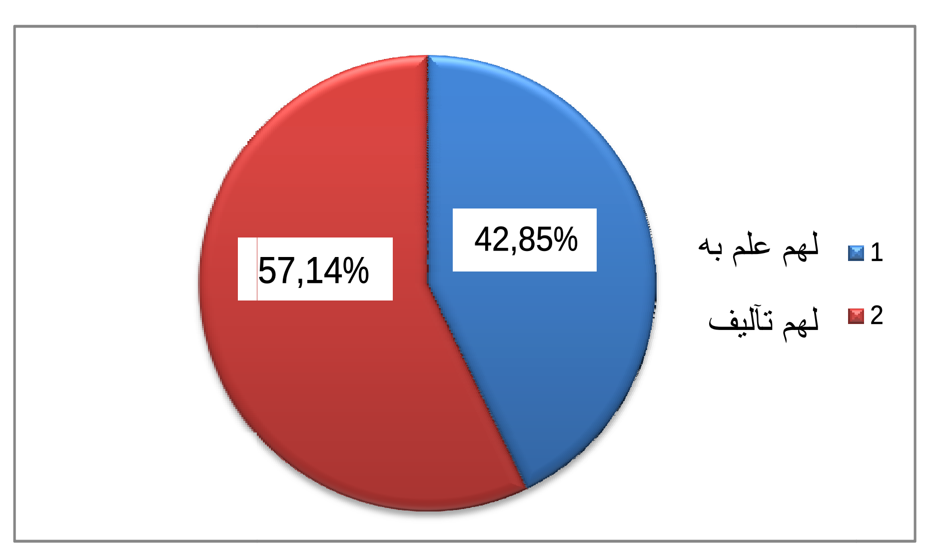
1- ينظر محمد أبو الليث الخير آبادي: نفسه– ص43.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ص23.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص422.
4- ابن بشكوال: الصلة: بتحقيق جلال الأسيوطي – مج2 – ج2 – ص133.
5- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
6- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص395
8- الحميدي: المصدر السابق – ص313.

للمصادر التي ترجمت لهذه البيوتات، إلا أن تعاطيها لعلوم الشريعة لم يقتصر على الفقــه والحديث بل تعدّاه إلى القرلن وعلومه، وان كان بدرجة أقل، وهذا ما سنستشفه من خلال مطالعتنا لكتب التراجم والصِلات.

3-عناية البيوتات بعلوم القرآن:

لما كانت الحركة العلمية بالأندلس في عصر الخلافة قد ازدهرت ازدهارا ملحوظا، فإنه من الطبيعي أن يكون لعلوم القرآن نصيب وافر، ولذا اهتمت المدرسة الأندلسية بعلم التفسير إذ اعتمدوا فيه على اللغة والعناية بها وفهم معاني القرآن وشرح كله من الناحية اللفظية اللغوية، وكان معظم اعتمادهم في التفسير على الحديث النبوي الشريف، وهو ما أكّده صاحب كتاب القول الأحوط حين قال: أن علم التفسير هو "بيان معاني القرآن بما هو مأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين."[1] وكان هدفهم في ذلك هو التوفيق بين ما جاء في الأحاديث وبين آي الكتاب المُنَزّل، ولذا اعتنوا بهذا الجانب في بعض الكتب الشاملة للخوض في هذا الميدان.[2]

لقد كان لبعض أفراد البيوتات إسهامات جليلة في هذا الميدان، وإن لم تظهر أسر خاض جميع أفرادها فيه، إلا أن منهم من اهتم بهذا الجانب، والتي اختلفت باختلاف اهتماماتهم به، ودرجة تفوقهم فيه، وهذا ما يوضّحه لنا هذا الرسم البياني:



من خلال هذه النماذج التي وقع عليها اختيارنا، يظهر لنا هذا الرسم نسبتين متقاربتين، فالأولى تبرز لنا مدى إسهامات بعض الأسر سواء أكانوا أفرادا أو أكثر من

1- مجهول: القول الأحوط في بيان ما تداول من المعلوم وكتبها بالمغربين الأقصا والأوسط الورقة 1.
2- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص717. أنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص407. وينظر مروان سليم أبو حويج: أصالة التثقيف التربوي الإسلامي في الفكر الأندلسي – الدار الجامعية – الكويت – 1987م – صص309-310.

بيت واحد ــ في التأليف في علوم القرآن من تفسير وعلم الناسخ والمنسوخ وأحكام القرآن وأسباب النزول وغيرها.

أما النسبة الثانية والممثلة بـــ 57,14 % وهي أعلاها، فتمثل لنا مشاركتها في هذا العلم دون التأليف فيه، إذ وصفتهم المصادر بأن لهم يد طولى في التفســـير أولهـــم علـــم بالتفسير ومعانيه وغيرها من الأوصاف.

ـــــ إنتاج البيوتات خلال القرنين الربع والخامس الهجريين

فمن أفراد هذه البيوتات والتي احتلت الصدارة بما ألفته في هذا الميدان، وقد شـــهد على ذلك كل من ترجم لهم، نذكر **بيت بني أبي زمنين** والممثل في أحد أفراده وهو: أبـــو عبد الله محمد بن عبد الله (324هـ-399هـ/935م-1009م) الذي صـــنّف كتابـــا فـــي "تفسير القرآن" وقد أثنى على هذا الكتاب ابن فرحون حين قال: "كان حسن التأليف ملـــيح التصنيف، ككتابه في "تفسير القرآن"[1] وتبعه في ذلك السيوطي[2]. وقد ظل هـــذا التفســـير متداولا بالأندلس إلى غاية عصر أبي عبد الله المجاري (ت 826هـــ/1457م) وقد أخـــذه هذا الأخير عن شيخه أبي عبد الله محمد بن علي المشهور بالحَقَّار[3]. كما اختصر "تفسير يحي بن سلام القيرواني[4] الذي زاد فيه مما لم يذكره ابن ســـلام مـــن تفســـير وإعـــراب وصرف، فضلا عن التأويلات الفقهية التي دعّمها بالأدلة اللغوية وغيرها.[5]

وممن ظهر في نفس الفترة **بيت بني وسيم** والممثل في أبي عبد الله محمد بن وسيم بن سعدون (ت 352هـــ/963م). ترجم له عياض وقال في حقه: "لـــه حـــظ مـــن العلـــم باللغة...والتفسير" ولم يقف عند هذا الحد، فقد بيّن لنا بأن له فيه تأليف، وهذا ما يترجمـــه

1- ابن فرحون: المصدر السابق – ص365. ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج3 – ص133. مخلـــوف: المصدر السابق – ص101.

2- السيوطي: طبقات المفسرين – ص410.

3- المجاري: برنامج– تحقيق: محمد أبو الأجفان –دار الغرب الاسلامي– بيروت– لبنان– ط1 – 1982م– ص104-112-115. وينظر طه عبد المقصود: المرجع السابق– ج2– ص708. وك. بويكا: المرجع السابق– ص215.

4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260. ابن فرحون: المصدر نفسه – ص366..الداودي: المصدر السابق – صص410-411. السيوطي: طبقات المفسرين – تحقيق: علي محمـــد عمـــر- مكتبـــة وهبـــة – عابـــدين – ط1 – 1396هـــ/1976م - -ص104.

5- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – صص708-709. السجل العلمي لندوة الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات – ابراهيم أحمد الوافي – التفسير وعلوم القرآن بالغرب الاسلامي من القرن الثاني الى القرن الثامن الهجري – مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة – 1417هـــ/1996م – القسم الخامس – ص22.

كتابه الموسوم بــ: "الناسخ والمنسوخ"[1]، على الرغم من ترجمة ابن الفرضي له، فلم يفدنا بهذا المؤلَّف ونحا نحو السيوطي[2]، في حين اكتفى الداودي بالتعريف بـــه ثقافيـــا، فقـــال: "وحظ من علم العربية والتفسير."[3]

وتبعه في ذلك من **بيت آل المنـــذر** أبو الحكم منذر بن سعيد بن عبد الله[4] البَلُّـــوطِي (349هـــ/960م) كان من أولئك العلماء الذين اشتهروا بتأليفهم الواسعة في علوم القرآن، فكان من العلماء الذين لم تحفظ لهم قضية جور ولم يزِلُّوا في أحكامهم، أما عن مشـــاركته في هذا العلم، فتظهر لنا جليا من خلال ما ألفه في هذا الميدان، وهذا ما يفهم من كلام ابن الفرضي حين قال: وله "كتب مشهورة كثيرة مؤلفة في القرآن" واكتفى بذلك ولـــم يطلعنـــا على ما ألفه أبو الحكم هذا.[5]

أما الحميدي الذي ذكر المذهب الذي انتصر له منذر هذا – القول بالظاهر – فقـــد أفادنا على غير عادة ابن الفرضي بإسهاماته في هذا العلم منها: "الإنبـــاه علـــى اســـتنباط الأحكام من كتاب الله". وهو المعروف بكتاب "أحكام القرآن" وكتاب "الناســـخ والمنســـوخ" وكتاب في "تفسير القرآن."[6]

وفي بيان منزلته في هذا العلم يقول الزبيدي: "وكان ذا علم بالقرآن حافظا لما قالت العلماء في تفسيره وأحكامه ووجوهه في حلاله وحرامه، كثير التلاوة له، حاضر الشهادة بآياته." ثم يثني بعدها على مؤلفاته هذه[7]، ونحا نحوه القفطي[8]، وهو ما يؤكده الداودي في طبقاته حين قال: "وكان حافظا للقرآن، كثير التلاوة، عالما بتفسيره وأحكامه."[9] وأضـــاف الفيروز آبادي قوله: "وكان ثاقب الذهن غزير العلم."[10]

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص121.

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص346. السيوطي: بغية الوعاة – ص223. وينظر عـــادل نـــويهض: معجم المفسرين – ج2 – ص646.

3- الداودي:المصدر السابق– ص478.

4- ينظر ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص404.

5- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص405.

6- الحميدي: المصدر السابق – ص315. وينظر عن هذه المؤلفات ابن خير: فهرسة – ص54. المقري: النفح – ج4 – ص16.

7- الزبيدي: طبقات النحويين...ص295. وينظر النباهي: المصدر السابق – ص74. و السيوطي: نفسه ــ ص723.

8- القفطي: انباه الرواة...ج3-ص325.

9- الداودي: طبقات المفسرين – ص524. والمقري: المصدر السابق – ج2 – ص196.

10- الفيروز آبادي: البلغة...ص185. وينظر الحميري: الروض المعطار...ص95.

لقد لقيت مؤلفاته هذه استحسان كل من ترجم له، ففي سياق المفاخرة بعلماء الأندلس أثنى ابن حزم على كتاب "أحكام القرآن"[1] ووصفه القفطي بالمفيد.[2]

وسار على نفس درب هؤلاء من **بني أصبغ البياني (247هـ-340هـ/861م-951م)** إبنه قاسم، فمن تأليفه في هذا الميدان كتاب في "أحكام القرآن" على أبواب كتاب إسماعيل القاضي[3] والذي يقع في اثني عشرة جزءا والذي حاكى فيه أحكام القرآن لهذا القاضي، كما ألف في "الناسخ والمنسوخ"[4]. إلا أن ابن الفرضي الذي فصّل في ترجمته لم يذكر له مثل هذه المؤلفات واقتصر على ذكر باقي إسهاماته في علوم الشريعة والأدب.[5]

وممن تميز بالتأليف الواسعة من **بيت بني فطيس** أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (348هـ-402هـ/960م-1012) الذي أثنى عليه الداودي في طبقاته وذكر بعض مؤلفاته، فقال: "وصنف كتبا حسانا منها كتاب ــ القصص والأنساب التي نزل من أجلها القرآن ــ في نحو مائة جزء ونيف"[6] في حين ذكره السيوطي على هذا النحو جمع "أسباب النزول"[7]، وتبعه في ذلك الذهبي[8]، وله تأليف في "الناسخ والمنسوخ" وقد احتوى على ثلاثين جزءا، وهذا باتفاق المصادر التي ترجمت له[9]. في حين اكتفت أخرى بذكر العنوان فقط، دون إفادتنا بأجزائه التي احتواها كتابه هذا.[10]

1- المقري: نفسه – ج4 – ص17.

2- القفطي: المصدر السابق – ج3 – ص325.

3- هو اسماعيل بن اسحاق البغدادي المالكي ت 282هـ/895م. أصله من البصرة وبها نشأ واستوطن بغداد، أخذ العلم عن جلة من العلماء. ابن فرحون: المصدر السابق – صص151-152. الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج1 – ج2- ص149. مخلوف: المصدر السابق – صص65-66. الصفدي: المصدر السابق – ج15 – ص174.

4- الحميدي: المصدر السابق – ص298. الداودي: نفسه – ص325. السيوطي: المصدر السابق – ص686. ابن فرحون: نفسه– ص322. طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص715.

5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص287.

6- الداودي: المصدر نفسه – ص203. مخلوف: المصدر نفسه – ص102. عادل نويهض: المرجع السابق – ج1 – ص272. ولكن حاجي خليفة يفصل بين الكتابين، فيذكر الأول تحت عنوان "أسباب النزول" والثاني "القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن في مائة جزء". حاجي خليفة: كشف الظنون...ج5 – ص419.

7- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص415.

8- الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3 – ص176. ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص273.

9- الذهبي: المصدر السابق – ج3 – ص176. الداودي:المصدر السابق – ص203. وينظر عادل نويهض: المرجع السابق– ج1 – ص272.

10- مخلوف: المصدر السابق – ص102.

وكعادة ابن فرحون، فقد اقتصر على تعداد كتبه فقط دون الإشارة إلى تأليف بعينها في هذا الحقل المعرفي، وهذا ما يفهم من كلامه حين قال: "وله تأليف كثيرة مفيدة يطـول إيرادها."[1] ونحا نحوه ابن سعيد.[2]

ومنهم من شارك ولو بطريقة غير التأليف، كنقل كتب الآخرين ليفيدوا بها أهـل الأندلس، نذكر من **بيت بني حزم القلعي** – وهو غير بيت بني حزم الفارسي – أبو محمد عبد الله بن محمد بن قاسم بن حزم بن خلف والذي يعرف بالبطرقولي (ت 383هـ/993م) وهو أحد شيوخ ابن الفرضي إذ أخذ عنه هذا الأخير مؤلفات المشارقة في هذا العلم، وهذا ما يؤكده بقوله: "وكان ممن أخذنا عنه مما لم يكن عند شيوخنا – معاني القرآن – للزجاج[3]، ثم يضيف بأن أبا محمد هذا، قرئ عليه فسمعه منه عدا سورة البقرة، فيكون ابن الفرضي قد قرأ عليه الكتاب من أوله إلى آخره، واستفاد من شيخه هذا، وأجاز له جميع رواياته.[4]

وعن حصيلة هذا القرن (4هـ) من التفسير، تجمّعت لدينا مجموعة من المؤلفات في هذا الحقل المعرفي، وان كانت متواضعة من حيث الكم لكنها متميزة بما تعكسه من إتباع وإبداع، فقد تجلّى فيها أثر الاستفادة من عطاءات الآخرين، إما بالنقل أو الاقتداء أو الاستيعاب أو الاختصار، إلا أن هؤلاء استمروا في عطاءاتم بحلول القرن الخامس الهجري (11م) وازداد اهتمام علماء البيوتات بتفسير القرآن والتأليف فيه وباقي العلوم التي تُعَدُّ من فروع هذا العلم، وظهر فيهم مفسرون كبار يمكن اعتبارهم مدرسة التفسير في الغرب الإسلامي، وفيما يلي استعراض لذكر من تعاطى هذا العلم تأليفا.

فمن أعلام البيوتات الذين ظهروا في هذا القرن نذكر من **بيت بني صُمَادِح** أبو يحي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح التجيبي (ت 419هـ/1028م) وهو من

1- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246.

2- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص148.

3- هو ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج أبو اسحاق النحوي المفسر، ونسبته الزجاج لأنه كان يخرط الزجاج، تنظر ترجمته عند ابن النديم: المصدر السابق – ص92-93. السيوطي: بغية الوعاة – صص338-339.

4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص202-203. ابن فرحون: المصدر نفسه – ص237. الصفدي: المصدر السابق – ج12 – ص252.

أسرة شهيرة بالأندلس. ألّف في "غريب القرآن" وكتابه الموسوم بـــ "اختصار في غريـــب القرآن"[1]. والذي استخرجه من تفسير الطبري، وسيرويه ابنه الآتي ذكره.[2]

أما ابنه أبو الأحوص مَعْن بن محمد بن أحمد (ت 443هــ/1051م) "كان مرضي السيرة عدلا باسطا للحق...وكان ذا حظ من العلم" ويظهر لنا ذلك التواصل الثقافي بـــين أفراد هذه الأسرة، أخذه لكتاب والده أبي يحي – مختصره لغريب القرآن ـــــ الواقع فـــي تفسير الطبري الكبير.[3]

ومن **بيت بني الأفطس** المظفر أبو عبد الله محمـــد بـــن عبـــد الله (460هـــــ أو 461هــ/1067م-1068م) صاحب التواليف المختلفة في شتَّى العلوم، فكان بذلك من أعلم أهل عصره[4] وهذا ما تشهد به عليه تآليفه منها في تفسير القرآن والـــذي أضـــاف إلـــى رصيده في العلوم السالفة الذكر علما لا يخوض فيه إلا مـــن كـــان متمكنـــا فـــي علـــوم الشريعة.[5]

وعلى الرغم من أن **بيت بني برد** يعد من بيوتات الأدب النابهة فيه، إلا أن ذلك لم يمنع أحد أفراده للخوض في هذا الميدان وهو أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن بـــرد الأصغر (ت 445هــ/1053م) الذي طرق هذا النوع من الحقل المعرفي، إذ كانـــت لـــه إسهامات جليلة في علوم القرآن، إذ تشهد له على ذلك مؤلفاته، منها: كتاب "التحصيل في تفسير القرآن" و "كتاب التفصيل في تفسيره". فكل هذه المؤلفات ذكرت عنـــد كـــل مـــن الصفدي والسيوطي والداودي نقلا عن الحميدي، فلعلّ نقل هؤلاء كان مـــن كتـــاب آخـــر للحميدي، أو النسخة المطبوعة من الجذوة ناقصة.[6]

1- طبع في جزئين: ينظر عادل نويهض: معجم المفسرين – ج2 – ص475.
2- ابن الأبار: التكملة...ج1 – ص308 ص325.
3- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص202- وتنظر ترجمته عند ابن بسام الشنتريني: المصدر الســـابق – ق1 – ج2 – ص557 .
4-ينظر ابن الأبار: المصدر نفسه – ج1 – ص318. ابن بسام الشنتريني: ق2 – ج3 – صص478-479. الصفدي: الوافي...ج2 – ص376.
5- عادل نويهض: المرجع السابق – ج2 – ص801.
6- الداودي: طبقات المفسرين – ص51. السيوطي: طبقات المفسرين – ص32. الصفدي:المصدر الســـابق – ج5 – ص168. وينظر الحميدي: المصدر السابق – ص101. الضبي: المصدر السابق – ص141. عادل نويهض: المرجع السابق– ج1 – ص352.

ولا ننسى أن نذكر من **بيت بني حزم** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي، فمن تآليفه نذكر كتابه في "الناسخ والمنسوخ" وكتاب "القراءات" وكتاب في تفسير ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾[1] ورسالة القراءات المشهورة في الأمصار[2] وما يؤسف له أنّ بعض هذه المؤلفات أحرقت.[3]

هذه نماذج من أعلام بعض البيوتات التي خلفت لنا آثارا في علوم القرآن، وفيما يلي سأتعرض لذكر من تعاطي هذا العلم، والذي اكتفت المصادر بنعثهم ببعض الأوصاف مثل نعثهم بأن لهم يد طولى في التفسير أو لهم معرفة بمعاني القرآن وغريبه، وغيرها من الأوصاف.

فمن هذه البيوتات **بيت بني مغيث** والممثل في أحد أفراده، وهو أبو جعفر أحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصدفي الطليطلي المالكي (406هـ-459هـ/1015م-1066م) ذكره الداودي في طبقاته وأثنى عليه بقوله: "كان من أهل البراعة والفهم والرياسة في العلم." ثم يضيف قائلا: "وله يد طولى في التفسير."[4]

وترجم له القفطي وأثنى عليه، وفي بيان اتساع أفقه المعرفية قال: "يعلم علوما كثيرة" فكان منها علم التفسير[5]، كما رفع من مكانته العلمية صاحب الصلة، فقال: "هو من جلة علمائها، من أهل البراعة والفهم والرياسة والعلم" ثم يبرز العلوم التي خاض فيها وكان التفسير أحدها.[6]

وكعادة ابن فرحون، فقد أوجز في ترجمته ولم يبرز لنا هذا الجانب من ثقافة ابن مغيث هذا[7]، ونحا نحوه مخلوف[8]، و تبعهما في ذلك حاجي خليفة الذي اقتصر على إبراز إسهاماته في الفقه فقط، دون أن يولي أي اهتمام لمكانته في علوم القرآن كالتفسير مثلا.[9]

1- سورة يوسف الآية رقم 110.

2- ينظر عن مؤلفاته عادل نويهض: نفسه – ج1 – ص352. محمد حمزة الكتاني: الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1425هـ/2004م– ص85.

3- الذهبي:تذكرة الحفاظ – مج2 – ج3- -ص 230. ابن بسام الشنتريني:نفسه – ق1 – ج1 – ص139.

4- الداودي: المصدر نفسه – ص68.

5- القفطي: إنباه الرواة...ج1 – ص170.

6- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص53.

7- ابن فرحون: المصدر السابق – ص103. وينظر رضا كحالة: المرجع السابق – ج1 – ص311.

8- مخلوف: المصدر السابق – صص118-119. السيوطي: طبقات المفسرين – ص34.

9- حاجي خليفة: المرجع السابق – ج5 – ص67.

ومنهم من وُصف بمعرفته بالتفسير دون طنطنة، نذكر من **بيت بني غزلــون** أبــو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، يعرف بابن العسال (ت 487هــــ/1095م)، الذي ضرب في كل علم بسهم[1]، وبنفس النعوث وصفه ابن بشكوال وأضاف قوله: بأنــه كان له علم بالتفسير.[2]

وبالرغم من ضلوعه في علوم الشريعة، إلا أن كل من ترجم له لم يبــرز لنــا إن كانت له إسهامات في هذا الميدان، وإنما اقتصرت بعض المصادرعلى القــول بــأن لــه معرفة بالقرآن و تفسيره[3]. ولكن نظرة سريعة لما كتبه عنه السيوطي تظهر بأنــه ألــف[4] وهو ما أكده ابن الخطيب بقوله: " وألف في أنواع من العلوم"[5] إلا أنها لم يحددا فــي أي نوع من أنواع العلم كانت تآليفه هذه.

لم يكتف ابن غزلون بذلك، بل أفاد بعلمه هذا خلقا كثيرا، فعمل على تلقينه لطلبته، إذ "كان له مجلس حفيل، يقرأ عليه فيه التفسير." وكان ذلك بجامع غرناطة[6] وما يدل على مكانته العلمية فيه، فبعد وفاته "حشر إليه الناس رجالا ونساء."[7]

وممن تأكدت فيهم صفتان في هذا العلم وهما – العلم بالتفسير ومعــاني القــرآن – نذكر من **بيت بني سِــرَاج** أبو مروان عبد الملك بن ســراج بــن عبــد الله بــن محمــد (400هــ-489هــ/1009م-1095م) كان من العلماء الذين فصّــل ابــن بشــكوال فــي ترجمتهم، فقال: أنه "عالم بمعاني القرآن."[8]، ونحا نحوه القفطي[9]، وأضاف أبو الحسن ابن مغيث قوله: "بحر علم، عالما بالتفسير ومعاني القرآن."[10]

وممن عني بسماع بعض مؤلفات الآخرين في علم التفسير لإفادة أهل الأندلس بــه أبو عيسى يحي بن عبد الله بن يحي الليثي من **بيــت آل أبــي عيســى** الســالف الــذكر

1- الداودي: المصدر السابق – ص174.
2- ابن بشكوال: نفسه – مج1 – ج1 – ص251.
3- الداودي: نفسه – ص174.
4- السيوطي: بغية الوعاة – ص529.
5- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج3 – ص353.
6- ابن الخطيب: نفسه – ج3 – ص352. ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج1 – ج1 – ص251.
7- السيوطي: نفسه – ص529.
8- ابن بشكوال:المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص9.
9- القفطي: المصدر السابق – ج2 – ص208.
10- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص9.

(287هــ-367هــ/900م-977م) الذي سمع من علي بن الحسن المري[1] كتاب "التفسير" ليحي بن سلام، كما سمع من سعيد بن فحلون[2] تفسير عبد الرحمن بن زيـــد بـــن أســـلم[3] وسمع منه كذلك كتاب "التفسير لعبد الله بن نافع"[4]، وكان ذلك سنة 366هــ/976م.[5]

وبناءً على ما تقدم ذكره، يبدو أن أبا عيسى هذا، لم يكتف فقط بسماع هذا العلم من علماء أجلاء لهم مكانتهم فيه ، بل نحا نحوهم في عملية تعليم أبناء بلده علوم القرآن منها: التفسير.

أما **بيت بني عتّاب**، فقد ظهر منهم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بـــن عتـــاب الجذامي (433هــ-528هــ/1041م-1133م) كان له اطلاع بالقراءات ومعرفة غريـــب القرآن ومعانيه، وهذا ما يتأكد لنا من خلال مطالعتنا لما ذكره ابن فرحون عنـــه: "وكـــان عالما بالقراءات السبع[6]، وكثير من التفسير وغريبه ومعانيه."[7]

وكان ممن قرأ القرآن بالسّبع على أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شـــعيب المقرئ وجوّده عليه وكثر اختلافه إليه، فأصبح بعد ذلك حافظا للقرآن العظيم كثير التلاوة له، عارفا برواياته وطرقه، واقفا على كثير من تفسيره وغريبه ومعانيه.[8]

كما وجهت بعض البيوتات الأندلسية بعض اهتماماتها للقراءات باعتبارها من أهـــم العلوم القرآنية، وهي فرع من فروع علم التفسير، بل هو الأساس لذلك العلم، لأن التفسير لا يصحّ إلا بصحة القراءة[9]، ولذا ظهر بعض القُرَّاء من أفراد بعض الأسر منهم:

1- تنظر ترجمته عند الضبي: المصدر السابق – ص370.
2- تنظر ترجمته عند ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – صص144-145. والحميدي: المصـــدر الســـابق – صص204-205.
3- هو محدث ومفسر له كتاب "التفسير" و "الناسخ والمنسوخ" توفي سنة 182هــ/798م – ولمزيد مـــن المعلومـــات ينظر الداودي: المصدر السابق – ص188-189. ابن النديم: المصدر السابق – ص310. فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج1 – ج1 – ص88. رضا كحالة: المرجع السابق – ج2 – ص265.
4- تنظر ترجمته عند ابن فرحون: المصدر السابق – ص213.
5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص442.
6- ابن فرحون: المصدر السابق – ص246.
7- ابن فرحون: نفسه – ص246. الداودي: المصدر السابق – ص208.
8- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص302.
9- محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس – دار الفكر العربي – ط1 – 1982م – صص285-286.

أبو الأصبغ عيسى بن عبد الرحمن بن عقاب الغافقي من أهل قرطبة، الذي تصدّر للإقراء بجامع قرطبة الأعظم، وقد ورث ابنه أبو عبد الله محمد بن عيسى هذا العلم عن والده.[1]

وممن ظهر في هذا العلم من **بيت بني رشيق** فردين أولهما: أبو عمر أحمد بن رشيق الذي تعلمه على أبي القاسم ابن أبي الحصن الجدلي[2]، وتبعه في ذلك حفيده مكي بن أيوب بن أحمد بن رشيق، حيث أخذ القراءات على أبي داود المقرئ وغيرهم.[3]

ومن **بيت بني الحذاء** أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحذاء (252هـ-335هـ/866م-946م). كان قارئا للقرآن، وهذا ما يفسره لنا، اختصاصه بالصلاة بالأمير عبد الله مدة أربعة عشر عاما وبالخليفة عبد الرحمن الناصر أول خلافته إلى غاية وفاته.[4]

ومن المقرئين من **بيت بني رافع** بن حلبس أبو الأصبغ عيسى بن رافع بن أحمد بن خليفة الذي أخذ القراءات على أبي داود المقرئ وأبي الحسن ابن البياز وتصدر للإقراء و الأخذ عنه.[5]

ولحق في هذا العلم ابنه أبو بكر خليفة بن عيسى بن رافع، من أهل بلنسية، روى هو كذلك عن أبي داود المقرئ، وسمع منه، كما شارك أباه في بعض شيوخه منهم أبو الحسن البياز، وقرأ عليه أحزابا من القرآن وأجاز له رواياته.[6]

ومنهم من كان من المتهجدين له، فمن **بيت بني سميق** أبو عمر أحمد بن يحي بن أحمد بن سميق (372هـ-451هـ/982م-1059م) إذ "كان من المتهجدين بالقرآن، كان له منه حزب بالليل وحزب بالنهار." وقد أخذ هذا العلم عن يونس بن عبد الله بن مغيث، وابن أبي زمنين صاحب التفسير وغيرهما.[7]

1- ابن الأبار: التكملة...ج4 – ص9.
2- ابن بشكوال: المصدرنفسه – مج1 – ج1 – ص49.
3- ابن الأبار: المصدر نفسه – ج2 – ص206.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص39.
5- ابن الأبار: المصدر السسابق – ج3 – ص199.
6-ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص251.
7- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص51.

وتبعه في ذلك من **بيت بني عمروس** والممثل في أحد أفراده وهو أبو عمر يوسف بن محمد بن عمر بن يوسف بن عمروس بن يوسف (322هـ-393هـ/923م-1002م) الذي كان "له حظ من التهجد بالقرآن."[1]

وممن وصف بتلاوة القرآن والتهجد به، فمن **بيت بني نويرة** أبو بكر يحي بن عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك (305هـ-389هـ/917م-998م) والذي كان "يكثر من تلاوة القرآن بالنهار ويتهجد بالليل."[2]

ومن **بيت بني يبقى** نذكر يبقى بن محمد بن زرب الذي كان أحد قراء القرآن على الناس[3]، وكذا ابنه محمد بن يبقى المكنى أبا بكر (317هـ-381هـ/929م-991م) و الذي كان يكثر من الصلاة والتعبد، ويكثر كذلك من تلاوة القرآن الكريم.[4]

ومنهم من وصف بحفظه وتجويده، فمن **بيت آل طاهر** أبو الحسن طاهر بن مفوز (427هـ-487هـ/1035م-1094م) كان من حفاظ القرآن وممن يجودونه.[5]

ولحق بهذا البيت **بيت بني جهور** والذي ظهر منهم في هذا الحقل المعرفي أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله (391هـ-462هـ/1000م-1069م) و الذي تميز بغزارة علمه بسبب اعتنائه بسماع العلم من الشيوخ وروايته عنهم، فهذا يدل على مدى اهتمامه بحلقات العلم والعلماء.[6]

لم يكتف ابن جهور هذا بقراءة القرآن فقط، وإنما قام بحفظه وتجويده، فهذا يدل على مدى معرفته بأحكام التجويد، وهذا ما يفهم من كلام ابن بشكوال: "قرأ القرآن وجوده على أبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ." ثم يضيف قائلا: "وكان حافظا للقرآن العظيم، مجودا لحروفه، كثير التلاوة له."[7]

لم تنته عطاءات هذه البيوتات الثقافية على هذا الميدان، بل شملت تطلعاتها ميدان الأدب بشعره ونثره، فاشتغل بعضها بقرض الشعر والتأليف فيه، فتعددت أغراضه كما

1-ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص454. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص267
2- عياض: نفسه – ج2 – ص180.
3- عياض: نفسه – ج2 – ص 233-235.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص370.
5- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص447.
6- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص164.
7- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص164.

كانت لها اسهامات في فن الترسل، ويظهر لنا ذلك من خلال خطة الكتابة التـــي تولاهـــا بعض أفراد هذه الأسر، وبذلك امتلأت كتب التراجم والصلات بما أنتجه هؤلاء في الشعر والنثر على حد سواء، فظهرت بذلك بيوتات وسمت بالأدبية بما خلفته من انتاج غزير في هذا الحقل المعرفي، وهذا ما سنستشفه من خلال تناولنا لمشاركة مثل هذه البيوتات فيه.



I) انجـــازات البيوتــــات في ميــــدان الأدب واللغة

1- البيوتـــــات الأدبيـــة وإسهاماتـــها في الشعر.

أ) أشهر البيوتات الأدبية في ميدان الشعر.

ب) شعراء من بيوتات أخرى.

2- مســـــاهمتهـــا فـــي النثـــــــــر

أ ــ أهم البيوتات التي اشتغلت بالنثر

ب ــ آثارها في فن الترسل

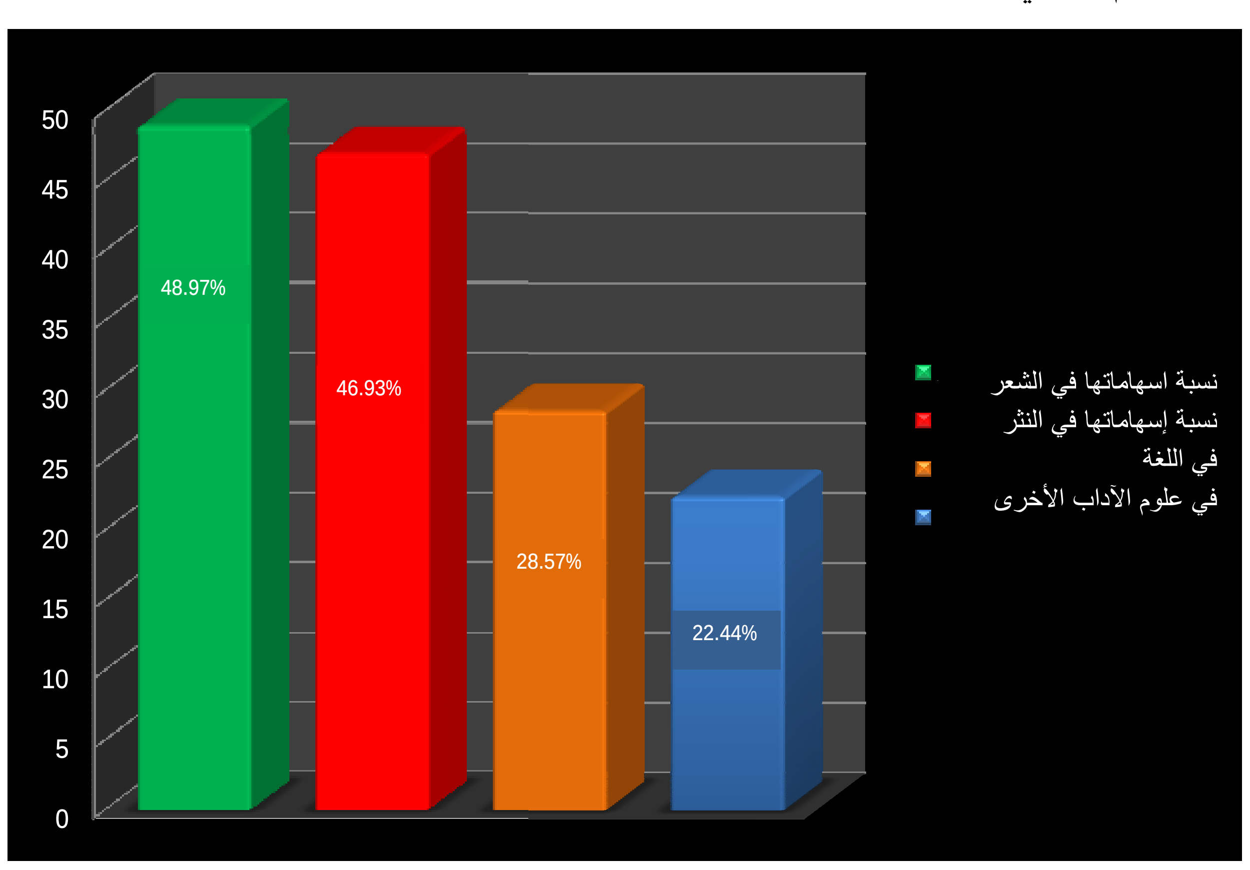
- الكتابة الديوانية
- الكتابة الاخوانية
- أنواع أخرى من النثر





تمهيـــــــــــد: لقد نهض الأدب الأندلسي خلال فترة القرنين الرابع والخامس الهجريين (10 و 11م) نهضة عظيمة، والتي اقترنت بالاعلان عن الخلافة الأموية بالأندلس سنة 316هـــ/926م ففي هذا العصر عرف الأدب الأندلسي تطورا ملحوظا، فهذا الأدب لم يكن نتاج مرحلة معينة يمكن حصرها في هذا العصر أو ذاك، وانما هو نتاج أجيال ولدت وترعرعت على هذه الأرض، فتلاءمت مع هذه البيئة الجديدة، وكان الجمال الطبيعي الذي حباها الله بها هو المنطلق الرئيس لأدباء الأندلس الذين استوحوا منها كل انتاجهم الأدبي بشعره ونثره، مما أدى الى وفرته وخصوبته، فعُدَّ الأدب من السِّمات الرئيسة للحضارة الاسلامية بالأندلس.

أما مشاركة البيوتات في الأدب على اختلاف تخصّصاتها تظهر لنا جليّا من خلال هذا الرسم البياني:



يتضح لنا من خلال هذه الأعمدة البيانية مشاركة البيوتات الفاعلـــة فـــي الأدب اذ نلاحظ احتلال الشعر على المرتبة الأولى بنسبة تقدر بـــ 48,97 %، ويعزى ذلـــك الـــى تهافت الأدباء على هذا النوع من الأدب، والذي خاضوا فيه مهما تعددت أغراضه فنـــالوا

مكانة مرموقة عند خلفاء بني أمية، أضف الى ذلك تلك العطايا التي كانوا يحضـــون بهـــا من هؤلاء الأمراء أو أصحاب السياسة والسلطة.

أما النثر، فقد احتل المرتبة الثانية بعد الشعر بنســبة 46,93 % وهـــي نســبة لا يستهان بها، فقد كان الكُتَّاب يحتلون بدورهم مكانة مرموقة لدى البلاط الأموي، فالكاتـــب الجيّد[1] كان يحصل على خطة يرتزق بها كل شهر، وعن طريقها يحتل مكانـــة سياســية مرموقة في المجتمع الأندلسي، اذ كانت له علاقة مباشرة بالحاكم، فهو الذي يقوم بتحرير كل مراسلاته السياسية والعسكرية، ولهذا كان الأمراء لا يستغنون عنه في انشاء مثل هذه الرسائل.

وتأتي اللّغة في المرتبة الثالثة بنسبة 28,57 % ثم باقي العلوم الأخرى كالقواعــد والاعراب والصرف والعربية بنسبة 22,44 % وقد يعزى عدم بروزهم في هذه العلوم الا في عصور متأخرة، اذ تفيدنا بعض المصادر أن اعتناء الأندلسيين باللغة كان أول أمرهم لا يتعدى ولا يخرج في أغلبه عن تأثر هؤلاء بالمشارقة اذ أن المادة اللغوية التي صــنّفها الأندلسيون هي مادة مشرقية أعادوا ترتيبها، وأضافوا اليها من بنات أفكـــارهم[2] ونفـــس القول ينطبق على النحو، اذ عكف الأندلسيون على دراسة الكتب[3] الوافدة مـــن المشـــرق وحفظها ونشرها في ربوع الأندلس.

1) <u>البيوتات الأدبية وإسهاماتها في الشعر:</u>

لم يصل الشعر الى أوجه وازدهاره وسمته الجمالي الا في القرن الرابـــع الهجـــري (10م) الذي صادف قيام الخلاقة الأندلسية على عهد عبد الرحمن الناصـــر (300هـــــ-

1- بنظر عن شروط الكتابة، ابن رضوان النجاري: الشهب اللامعة في السياسة النافعة – تح: محمـــد حســـن – دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان – 1425هــ/2004م – ص119.

2- من هذه المؤلفات كتاب في (النوادر) والذي عد من التراث الأندلسي لأبي علي القالي (ت356هــ/967م) فكـــان أكثره لغة وشعرا. المقري: المصدر السابق – ج4 – ص18 وما يدل على تأخر مثل هذه الدراسات قول ابن خير عند تعرضه لكتاب "التنبيه لأبي عبيد البكري (ت487هــ/1094م) اذ نبه هذا الأخير على أن مؤلف البغدادي القـــالي قـــد احتوى على أوهام. ابن خير: فهرسة – ص325.

3- من هذه الكتب التي عني بها الأندلسيون كتاب الكسائي، وقد شرحه أبو الحسن مفرج بن مالك النحـــوي القرطبـــي المعروف بالبغل (ت بعد 200هــ/815م). الزبيدي: المصدر السابق – ص273. السيوطي: بغية الوعـــاة...ص720. وينظر طه عبد المقصود: المرجع السابق - مج2 – ص775. وكتاب سيبويه الذي شرحه أبو محمد عبد الله بن حمـــود الزبيدي الاشبيلي (ت372هــ/982م). ابن الأبار: التكملة...ج2- ص234.

350هـ/912م-961م) الذي اتسم عهده بالأمن والاستقرار، وأعـاد للأنـدلس وحـدتها السياسية بعدما "كانت جمرة تحتدم، ونار تضطرم شقاقا ونفاقا."[1]

لقد رأى هذا الخليفة تقوية دولته بالارتكاز على الجانب الثقـافي، وبخاصـة الأدب اقتداء بالعباسيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بالناحية العلمية، فأراد أن يقلدهم في ذلك، وبما أن الأندلس لا تتوفر على معلمين كبار[2] لنشر الثقافة العربيـة بـين ظهـرانيهم، ارتـأى تعويض هذا النقص عن طريق جلبهم من بلاد المشرق، فكان على رأس هؤلاء أبو علـي اسماعيل بن القاسم البغدادي[3] الذي وفد عليه من العراق، وكان "أمير الكلام وبحر اللغة"[4].

ونحا نحوه ابنه الحكم المستنصر بالله (350هـ-366هـ/961م-976م) الـذي نهض بالحياة الثقافية نهضة شاملة، وكان الأمن والرخاء الذي وفرهما له والده أكبر الأثر في دفع النهضة الأدبية نحو الأمام، فكان محبا للعلم والعلماء، وبذل لارضـائهم الأمـوال الطائلة بجلب نفائس الكتب من بلدان شتى وأقاليم نائية[5]، وحذا حذوه كل من جـاء بعـده، وبذلك استكملت الأندلس في عصرها الذهبي هذه النهضة وأخذت تنمو وتزدهر.[6]

أما على عهد الدولـة العامريـة التـي ترأسـها المنصـور بـن أبـي عـامر (ت393هـ/1002م) كان هو كذلك من المشجعين للأدباء وبخاصة الشـعراء، اذ طلـب الأدب ومهرفيه[7]، وقد أنشد ابن حيان شعرا له[8]، فأنشأ لذلك دواوين منها "ديوان النـدماء" وفيه اهتم بترتيب الشعراء على حسب طبقاتهم، كما كان يصحب الشعراء الـى غزواتـه لوصف معاركه التي كان يخوضها ضد أعدائه.[9]

وعلى عهد ملوك الطوائف (422هـ-484هـ/1030م-1091م) لـم يبـق الأدب منحصرا بقرطبة التي كان يؤمها العديد من الأدباء، حتى أصبح اسمها مـرتبط ارتباطـا

1- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص157.
2- أحمد امين: ظهر الاسلام – دار الكتب العلمية – ط1 – 1425هـ/2004م- ج3 - ص64.
3- تنظر ترجمته عند: الزبيدي: طبقات...ص121. القفطي: أنباه الرواة...ج1-ص239 وما يليها
4- المقري: المصدر السابق – ج1 – ص288.
5- ابن الأبار: المصدر السابق – ج1 – ص226.
6- ابراهيم بيضون: الدولة العربية في اسبانيا –ص273-274. علي محمد راضي: الأندلس والناصر – دار الكتـاب العربي للطباعة – 1967 – ص55.
7- الحميدي: المصدر السابق – ص69.
8- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب- ج1 – ص139
9- آنجل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي – ص65.

وثيقا به، وهذا ما أكده لنا ابن بسام حين قال: "وحضرة قرطبة...كانت منتهى الغاية ومركز الراية...ومن أفقها طلعت نجوم الأرض وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر..."[1]ولكن سيتعداه الى مناطق أخرى ضاهت قرطبة ونافستها في مدن شتى[2]، فاعتبر لأجل ذلك هذا العصر سطوع الأدب وبخاصة الشعر، فانتقل ذلك الزخم المتراكم من انتاج الأدباء الى مدن أخرى، ولنا في اشبيلية خير مثال على ذلك.[3]

أ) **<u>أشهر البيوتات الأدبية في ميدان الشعر</u>**:

لقد كان لبعض البيوتات موطئ قدم في هذاالميدان، اذ لا يخلو أي بيت من هذه البيوتات على فرد من أفرادها – ان لم نقل كل أفرادها – الا و كانت له مشاركة فيه، وهذا ما سنستشفه من خلال هذه النماذج التي سنتعرض لانتاجها في هذا الميدان من تأليف وقرض للشعر.

من هذه البيوتات التي تركت بصماتها فيه، **بيت بني شهيد** الذي يعتبر من البيوتات الأندلسية الكبرى التي خاضت في هذا الميدان، وخير من يمثل هذا البيت هو أبو عامر ابن شهيد، وقبل التطرق الى اسهامات هذه الشخصية الفذة يجب أن نعرج الى باقي أفراد هذه الأسرة الأدبية، واول من نستهل به الكلام هو:

أبو مروان عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد (ت322هـ/933م)، قال في حقه الحميدي: أنه "أديب شاعر ومن بيت أدب"[4] ونحا نحوه ابن الأبار بقوله: "وكان مع وزارته ونباهته من أهل العلم والأدب"[5]، وقد حفظ لنا الحميدي أبياتا مطلعها [من السّريع]

أَقْبَلَ فِي غِيدٍ[6] حَكَيْنَ الظبَا بيضٍ تَرَاقٍ[1] حُمْرِ أَفْوَاهِ

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص37.
2- مثل سرقسطة
3- فارس بوز: تاريخ العرب في الأندلس – من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة- منشورات جامعة دمشق – 1415هـ-1416هـ/1994م-1995م – ص193.
4- الحميدي: المصدر السابق – ص253.
5- ابن الأبار: المصدر السابق – ج3 – ص68.
6- الغادة جمع غيد وهي المرأة الناعمة اللينة البينة الغيد، والغيداء: المتثنية لينا. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص276.

يَأْمُرُ فِيهِنَّ وَيَنْهَـــى فــَلاَ ✧ يَعْصِيَنَّهُ مِـــنْ آمِرٍ نَـــاهِ

حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنَـــي أَمْــرُهُ ✧ تَرَكْتُهُ مِنْ خَشْيَـــةِ اللَّهِ[2]

وابنه أحمد بن عبد الملك والذي لم يكن أقل شاعرية من والده، فلذلك كله عُدَّ "مـــن أهل الأدب البارع له قوة البديهة."[3] وبنفس الوصف نعته ابن الأبار.[4] أما ابن خاقان، فقـــد أكثر من مدحه،[5] فقال: "مفخر الامامة وزهر تلك الكمامة، وحاجب الناصر عبد الرحمن، وحامل الوزارتين على سموها في ذلك الزمان...وكان له أدب تزخر لججه وشعر رقيـــق لا ينقد، ويكاد من اللطافة يعقد."[6]

ومما أنشده له ابن خاقان [من الطويل]

تَـــرَى البَـــدْرَ مِنْهَا طَالِعـًا وكَأَنَّمـَـا ✧ يَجُولُ وشَاحَهَا عَلَىَ لُؤْلُو رَطْـــبٍ

بَعِيدَةُ مَهْوَى القُرْطِ[7] ضَامِرَةُ[8] الحَشَـــا ✧ وَمُقْعَمَةُ الخلخــــالِ مُقْعَمَـــةُ القَلْـــبِ

مِنَ اللاَّئِي لَمْ يَرْحَلْنَ فَوْقَ رَوَاحِــلِ ✧ وَلاَ سِرْنَ يَوْمًا فِي رِكَابٍ وَلاَ رَكْـــبِ

وَلاَ ابْرَزَتْهُـــنَّ المُـــدَامُ[9] لِنَشْـــوَةٍ ✧ فَتَشْدُوا[10] كَمَا تَشْدُو القِيَانُ عَلَى الشُّرْبِ

كما أنشد له هذين البيتين الحميدي [من الطويل]

أَتَيْنَاكَ لاَ عَنْ حَاجَةٍ عَرَضَـــتْ لَنَا ✧ إِلَيْكَ وَلاَ قَلْبٍ إِلَيْكَ مَشُـــوقِ

وَلَكِنَنَا زُرْنَـــا بِضُعْـــفِ عُقُولِنــَا[11] ✧ حِمَارًا تَوَلَّىَ[12] بِرَّنَا بِعُقُـــوقِ[13]

وأما المناسبة التي قرضت فيها، فعندما كان أبو عامر ابن شهيد مارا بقرب ربض عبد الملك بن محمد بن جهور أراد زيارته ولم يكن راغبا في ذلك، فوافقه ابـــن جهـــور

1- جمع ترقوة وهي العظيم بين ثغرة النحر والعاتق. الفيروز آبادي: نفسه – ص783. وهي مقتبسة من قوله تعـــالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَرَاقِي﴾ - سورة القيامة – الآية26.

2- الحميدي: المصدر السابق ــ ص253. الضبي: المصدر السابق – ص332

3- الحميدي: نفسه – ص116.

4- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج1 – ص238.

5- وقع ابن خاقان في خلط حين كناه بأبي العباس، وكذا عند الرفع من نسبه، فذكر ابن أشهب، عوض ابن شهيد.

6- ابن خاقان: مطمع الأنفس – ص9. وينظر المقري: المصدر السابق – ج1 – ص296.

7- القرط بالضم، هو نبات كالرطبة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص613.

8- مخطفة عند المقري: المصدر السابق – ج1 – ص296.

9- المدام: هو المطر الدائم والخمر. الفيروز آبادي: نفسه – ص1000.

10- وشدو: عند المقري: نفسه – نفس الجزء والصفحة.

11- حلومنا: عند ابن خاقان:المصدر السابق – ص9. والمقري: نفسه – ج1 – ص297.

12- فكيف تلاقي: عند ابن خاقان- نفسه – ص9. والمقري: نفسه – ج1 – ص297.

13- الحميدي: المصدر السابق – ص177. ابن الأبار: الحلة السيراء – ج1 – ص238.

محجوبا ولم يستطع الوصول اليه والاجتماع به، وتأخر خروج الاذن اليه، فضجر من حجابه وغضب منهم فكتب اليه بهذين البيتين، وكان عبد الملك بن جهور هذا يلقب بالحمار.[1]

ومما ورد عند المقري هذين البيتين: [من الطويل]

أَمَوْلاَيَ هَذَا البَدْرُ سَارَ لِأُفقِكُمْ ⁂ ولَلأُفْقُ أَوْلَىَ بِالبُدُرِ مِنَ الأَرْضِ

أرَضِيُّكُمْ بِالنَّفْسِ وَهِيَ نَفِيسَةٌ ⁂ ولَمْ أرَ قَبْلِي مَنْ بِمُهْجَتِهِ يُرْضِي.

وكانت مناسبة قرض هذين البيتين، فعندما ظفر عمر ابن شهيد بأحد الغلمان النصارى لم تقع العيون على شبهه، فلمحه الناصر وأعجب به، فقال لابن شهيد: "تتحفوننا بالنجوم وتستأثرون بالقمر."[2]

وفي نفس السياق يذكر له المقري هذه الأبيات [من الطويل]

أَمَوْلاَيَ، هَذِي الشَّمْسُ وَالبَدْرُ أَوَلاً ⁂ تَقَدَّمْ كَيْمَا يَلْتَقِي القَمَرَانِ

قِرَانٌ لَعَمْرِي بِالسَّعَادَةِ قَدْ أَتَى ⁂ فَدُمْ مِنْهُمَا فِي كَوْثَرٍ وَجِنَانِ

فَمَا لَهُمَا وَاللَّهِ فِي الحُسْنِ ثَالِثٌ ⁂ وَمَا لَكَ فِي مُلْكِ البَرِيَةِ ثَانِي[3]

أما مناسبتها، فهي نفسها التي ذكرت في الأبيات أعلاها، الا أنه في هذه المرة ستكون جارية أهديت لابن شهيد، وكانت ذات حسن وجمال، فخاف أن يصل خبرها الى الخليفة عبد الرحمن الناصر، فيطلبها فتكون كقصة الغلام، فأرسلها اليه مرفقة بهدية وكتب معها هذه الأبيات.

وله بعض الأبيات يردّ فيها على حسّاده، فلما رأى هؤلاء الوشاة أن مكانة ابن شهيد قد تمكّنت لدى الخليفة، فحاولوا ايغار صدره ضدّه وأعلموه أن نفس ابن شهيد طاقت الى الغلام الذي أهداه اياه، وأنه ندم عليه، فأرسل الخليفة الناصر هذا الغلام اليه ومعه رسالة، فما كان على شاعرنا هذا الا أن يردّ عليه بهذه الأبيات [من الطويل]

أَمِنْ بَعْدِ إِحْكَامِ التَجَارِبِ يَنْبَغِي ⁂ لَدَيَّ سُقُوط الطَيْرِ فِي غَابَةِ الأَسَدْ

وَمَا أَنَا مِمَنْ يَغْلِبُ الحُبُّ قَلْبَهُ ⁂ وَلاَ جَاهِلٌ مَا يَدَّعِيهِ أُولُو الحَسَدْ

1- ابن خاقان: المصدر السابق – ص9. الحميدي: م س – ص117. ابن الأبار: المصدر السابق – ج1 – ص238.
2- المقري: المصدر السابق – ج2 – ص283.
3- المقري: نفسه – نفس الجزء والصفحة

فَإِنْ كُنْتُ رُوحِي قَدْ وَهَبْتُكَ طَائِعًا ... وَكَيْفَ يُرَدُّ الرُّوحُ إِنْ فَارَقَ الجَسَــدْ[1]

وابن هذا الأخير عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك (ت493هـــ/1098م) الــذي فصّل في ترجمته ابن بشكوال وعدد مناحيه الثقافية منها: أنه "كــان أوحــد النــاس فــي علم...اللغة والأشعار."[2] ونحا نحوه الفيروز آبادي، فقال: أن "شــعره رائــق."[3] واكتفــى الحميدي بالقول أنه كان "من أهل الأدب والشعر."[4]

ومما أورده الحميدي من شعره قوله: [من السريع]

أَقْصَرْتَ[5] عَنْ شَأْوِي فَعَادَيْتَنِــي ... أَقْصِرْ فَلَيْسَ الجَهْلُ مِــنْ شَأْنِــــي

إِنْ كَانَ قَدْ أَغْنَاكَ مَــا تَحْتَــوِي ... بُخْلاً فَإِنَّ الجُودَ أَغْنَــــــانِــــــي[6]

كان عبد الملك بن شهيد هذا، نديما من ندماء المنصور بن أبي عامر، بــل كــان أقرب هؤلاء اليه، وأكثر اجتهادا في مرضاته حتى لقد حاول أن يرقص في مجلسه رغــم كبر سنّه فتحامل على أصحابه ليسرّ به المنصور، فحين استدعاه هــذا الأخيــر بعــض وزرائه وندمائه وكان من بينهم ابن شهيد هذا، الذي كان به مــرض، وهــو داء يصــيب المفاصل وبخاصة إبهام رجليه، فعندما سما الطرب وتهــايج القــوم ورقصــوا وجعلــوا يرقصون كل حسب دوره حتى انتهى الدور الى ابن شهيد، فساعده أبو عبد الله بن عباس وأخذ يرقص وهو متوكئ عليه، ويرتجل ويومىء الى المنصور وقد غلب عليه الســكر، وأخذ يقرض هذه الأبيات

هَاكَ شَيْخًــا قَادَهُ عــُذْرٌ لَكَــا ... قَــــامَ فِــي رَقْصَتِــهِ مُسْتَهْلِكًــــــا

[من الرمل]

لَــمْ يُطِقْ يَرْقُصُــهَا مُسْتَثْبِــتاً ... فَأَنْثَنَى يَرْقُصُهاَ لاَ مُسْتَمْسِكاً

عَاقَــهُ عَــنْ هَــزِّهَا مُنْفَــرِدًا ... نِقْـــرِسٌ[7] أَخْنَــى عَلَيْــهِ فَاتِكــًا

الى أن يقول:

1- المقري: نفسه – ج1 – ص283.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص3.
3- الفيروز آبادي: البلغة...– ص110
4- الحميدي: المصدر السابق – ص248.
5- قصرت عند ابن الأبار: الحلة...ج1 – ص240.
6- الحميدي: نفسه – ص248.
7- نقرس بالكسر، ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص520.

قَهْقَهَ الإبْرِيقُ مِنِي ضَاحِكـًا وَرَأَى رِعْشَةَ رِجْلِي فَبَكَى[1]

هذه نماذج من شعر عبد الملك بن شهيد، ويبدو أن ولده أبو عامر سينحو نحو والده وسيخوض في أغراض شتّى، وهذا ما سنتعرض اليه في حينه.

أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن احمد بن شـهيد (382هــ-426هــ/992م-1035م) يعتبر ابن شهيد هذا، أبرز من أنجبتهم أرض الأندلس في هذا الميـدان، فعلـى الرغم من الفتنة التي ضربت بأطنابها أرض الأندلس، فإن لسانه لم يعقـل عـن قـرض الشعر الذي أجاد فيه، فلذلك لقي الكثير من الثناء لكل من ترجم له، فهذا ابن حزم رفيـق دربه يذكر بأنه كان "حامل لواء الشعر...لم يخلف لنفسه نظيرا" في هذا الحقـل[2]، ونحـا نحوه الحميدي الذي جعله "من العلماء بالأدب ومعاني الشعر...وله حظ في ذلـك بسـق فيه...وشعره كثير مشهور."[3] وأما ابن بسام الشنتريني الذي حفظ لنا الكثير من آثاره قال: "نظم كما اتسق الدر على النحور." وقد أثنى على شعره ابن حيان بقوله: "وشعره حسـن عند أهل النقد، تصرف فيه تصرف المطبوعين فلم يقصر عن غـايتهم"[4]، وذهـب نفـس مذهب هؤلاء الثعالبي حين قال: "...ونظمه في غاية الفصاحة".[5]

ان شهادة هؤلاء لخير دليل على مكانة ابن شهيد في الشعر، وبخاصة ثناء الثعالبي عليه الذي كان يعيش بعيدا عنه وكان اذ ذاك معاصرا له، وهي من الشهادات التـي قـد يعتزّ بها ابن شهيد ويهتزّ لها فرحا واعجابا، وقد يكون هذا الاثراء قد وصل الى مسـامع شاعرنا.[6]

1- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج2 – ص229

2- الحميدي: المصدر السابق – ص118-120. ابن حزم: نفسه – مج1 – ج2 – ص188.

3- الحميدي: نفسه – ص118. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص75.

4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص155.

5- الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان – ط1 – 1403هـ-1983م. ج2 – ص57

6- بويحي الشاذلي: ابن شهيد الأندلسي – حياته – شعره ونثره، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشـر والتوزيـع – تونس – 1993 – ص36.

ولهذا كله، فقد اعتبر من أظهر شعراء عصره، ومن أدباء الأندلس الشعراء المعدودين في القرن الخامس الهجري (11م)، الذي كان من المعجبين بشعره، فأصبح بذلك من الشخصيات الأندلسية البارزة في الدراسات البلاغية والنقدية ببلده الأندلس[1]

لقد طرق ابن شهيد مختلف الأغراض الشعرية التي كانت معروفة لدى الشعراء العرب، فلو تعرضنا لها بأكملها، لكان لنا في ذلك غنية، ولذا سنقتصر على نماذج منها.

فمن قصيدة يصف فيها نفسه قوله: [من البسيط]

وَمَا لِسَانِي عِنْدَ القَوْمِ ذُو مَلَـــقٍ ✧ وَلاَ مَقَالِي إِذَا مَا قُلْــتَ إِدْهَــانُ

وَلاَ أَفُوهُ بِغَيْرِ الحَقِ خَوْفَ أَخِي ✧ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِي وَهُوَ غَضْبَــانُ.[2]

فمن خلال البيت الأول، يصرّح بأن ما ينطق به لسانه ليس فيه غشّ، ولا يصانع من يوجّه له هذا الخطاب، ويظهر له خلاف ما يضمر وذلك امتثالا لقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[3] ولا يتفوّه الا بما يراه حق في هذا الرجل أو ذاك، وحتى اذا لم يستجب ممدوحه أو لم يلب له طلبه، وهذه قمّة تسامح ابن شهيد.

ومن جملة من مدحهم المؤتمن عبد العزيز بن عبد الرحمن العامري (ت452هـ/1060م)

فمما جاء فيها :

سَقْيًا لِطِيبِ زَمَانِنَا وَسُــرُورِهِ ✧ وَغَرِيرِ عَيْشٍ[4] مُسْعَفٍ بِغَرِيرِهِ[5]

وَتَكَفّرِي بِردَاءِ وَصْلٍ مُقَرْطَقٍ[6] ✧ كَتَبُوا بِنِقْسِ[7] المِسْكِ فِي كَافُورِهِ

مُتَلَفّــعٌ[8] بِحَــرِيــرِهِ، مُتَضَمِخٌ ✧ بِعَبِرِهِ، مُتَـــرَنِّـــحٌ بِفُتُــورِهِ[1]

1- ينظر آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص73. احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط6 – 1981م – ص97. محمد رضوان الداية: الأدب الأندلسي والمغربي – مطبعة خالد بن الوليد – دمشق – سوريا – 1400هـ-1980م-1981م – صص108-109. طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص797.

2- ابن شهيد: ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله – جمعه وحققه وشرحه: د/ محي الدين ديب – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – 1422هـ-2002م – ص132. الحميدي: المصدر السابق – ص119.

3- سورة آل عمران – الآية رقم 167.

4-غرير العيش: ما لا يفزع أهله، ويقصد به العيش الناعم – للفيروز آبادي: المصدر السابق – ص405.

5- الغرير: شاب لا تجربة له: الفيروز آبادي: نفسه – ص405.

6- القرطق: هو نوع من اللباس – الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص828.

7- النقس: بالكسر، هو المداد. الفيروز آبادي: نفسه – ص520.

8- متلفع: وهو الملحفة أو الغطاء أو الكساء. الفيروز آبادي: نفسه – ص685.

كان استهلا له لهذه القصيدة ببيت ذكر فيه ما كان له من عزّ ونعيم ورغد العـــيش الذي تمتع به في قصور بني عامر وسروره بهذا المقام عندهم منـــذ أن كـــان صـــغيرا، وبعدها يتأسّف على تلك الذكريات الجميلة التي قضاها في زمن كان زمانه، فيقول:

زَمَنٌ قَضَى ثُمَّ انْقَضَى فَكَأَنَّهُ ◆ حُلْمٌ قَرَأْتُ المَوتَ فِي تَفْسِيرِهِ[2]

ثم يتخلّص ابن شهيد الى صلب الموضوع الذي من أجله نظم هذه القصيدة، وهـــو مدحه في أبيات لا تتعدى أربعا من مجموع ثلاث وعشرين بيتا، وهي قليلة جدا.[3]

حَتَّى بَدَا عَبْدُ العَزِيزِ لِنَاظِـــرِي ◆ أَمَلِي، فَمُزِّقَت الدُّجَى عَنْ نُـــورِهِ

مَلِكٌ تبقَّى المَجْدَ نَاصِرُهُ لـــــهُ ◆ وَتَقَيَّـــلَ العَلْيَـــاءَ عَنْ مَنْصُـــورِهِ

طَلَبَ الحَوَادِثَ مُعْرِبًا عَنْ ثَارِهِ ◆ فَجَرَتْ دِمَاءُ الخَطْبِ فِي مَأْثُورِه

وَرَأَى الزّمَانُ يَحِيدُ عَنْ تَأْمِيرِهِ ◆ فَسَقَى سِهَامَ المَجْدِ مِنْ تَامُـــورِهِ[4] [5]

وله في الرثاء قصيدة يرثي فيها الوزير أبا عبدة حسان بن مالك والتي جاء فيها:

أَفِــي كُلِ عَامٍ مَصْرَعٌ لِعَظِيمِ؟ ◆ أَصَابَ المَنَايَا حَادِثِي وَقَدِيمِي[من الطويل]

هَوَى قَمَرًا قَيْس بْنِ عَيْلاَنُ آنِفاً ◆ وَأَوْحَشَ مِنْ كَلْبٍ مَكَانَ زَعِيمِ[6]

كان استهلال ابن شهيد لقصيدته تنبيء عن تعجبه لوفاة هذا الوزير، الا أن ذلك ليس بالأمر الجديد، فكم من أمم كان لهم ذكر في أقوامهم، ويعطينا مثالا عن هؤلاء وهما:قيس

وخندق[7] ثم ينتقل بعدها لذكر الأوصاف التي كانت تميّز المرثى عليه فيقول:

أَبَا عَبْدَة إِنَّا غَدَرْنَاكَ عِنْدَمَـــــا ◆ رَجَعْنَا وَغَادَرْنَاكَ غَيْرَ ذَمِيـــمِ

أَنَخْذُلُ مَنْ كُنَّا نَرُودُ بِأَرْضِـــهِ ◆ وَنَكرَعُ مِنْـــهُ فِي إِنَـــاءِ عُلـــــومِ[1]

1- ابن شهيد: ديوان – ص83. ابن بسام الشنترني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص167.

2- ابن شهيد: نفسه – ص84. ابن بسام الشنتريني: نفسه – ص168.

3- وفي نفس المنحى يذكر ابن قتيبة ما مفاده: "فقد كان بعض الرجال أتى نصر بن سيار (تنظر ترجمته عنـــد خيـــر الدين الزركلي: الأعلام – ج8 – ص23) والى خراسان لبني أمية فمدحه بقصيدة تشبيبها مائة بيت، ومـــديحها عشـــرة أبيات، فقال نصر: والله ما بقيت كلمة عذبة، ولا معنى لطيف الا وقد شغلته عن مدحي بتشبيبك، فـــإن أردت مـــديحي فاقتصد في النسيب" ابن قتيبة: الشعر والشعراء – دار صادر – بيروت – لبنان – ليدن – 1902 – ص15.

4- التامور: نقول: ونفس تمرة بكذا أي طيبة – الزمخشري: المصدر السابق – ص39.

5- ابن شهيد: المصدرالسابق ـــ ص83. ابن بسام: المصدر السابق– ق1 – ج1 – ص168.

6- ابن شهيد: المصدر نفسه – ص119. الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص45. ابن سعيد: المصدر الســـابق – ج1 – ص44.

7- ينظر ابن عبد البر: انباه الرواة – صص38-39. ابن حزم: جمهرة...ص243-479.

لقد كانت لنكبة قرطبة أكبر الأثر في نفسية أبي عامر هذا، لما أصابها من قتل وتشريد ونهب واستباحة أعراضها[2] وما لحق مدينة الزاهرة من خراب[3]، وهذا ما عبّر عنه ابن الخطيب بقوله: "ولما فرغ من تحويل ما كان بالزاهرة أمر[4] بهدمها وحطّ أسوارها، وقلع أبوابها وتشعيت قصورها وطمس آثارها."[5]

وفي هذا يقول ابن شهيد في رثاء قرطبة [من المتقارب]

عَجُوزٌ لَعَمْرِ الصبِا فَانِيَهْ ◇ لَهَا فِي الحَشَا صُورَةُ الغَانِيَهْ

زَنَتْ بِالرِّجَالِ عَلَى سِنِّهَا ◇ فَيَا حَبَّذَا هِيَ مِنْ زَانِيَهْ !

تُرِيكَ العُقُولَ عَلَى ضَعْفِهَا ◇ تُدَارُ كَمَا دَارَتْ السَّانِيَهْ[6] [7]

وممن هجاهم ابن شهيد هجاء مقذعا، أحد الكُتَّاب الذي لم يذكر لنا اسمه، فقال بازدراء هذين البيتين [من البسيط]

وَيْحُ الكِتَابَةِ مِنْ شَيْخٍ هَبَنَّقَةٍ[8] ◇ يَلْقَى العُيُونَ بِرَأْسٍ مُخُّهُ رَارُ[9]

وَمُنْتَنِ الرِّيحِ إِنْ نَاحَيْتَهُ أَبَدًا ◇ كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خَيْشُومِهِ فَارُ[10]

وما يؤثر على هجاء ابن شهيد أنه قليل، وذلك بسبب تورع الروّاة من نقل كثير من شعره لما فيه من ثلب واستهتار بالقيم واتصافه بفحش القول وبديء الشتم أحيانا.[11]

وله في الغزل قصائد نذكر منها هذه الأبيات [من المتقارب]

وَنَاظِرَةٌ تَحْتَ طَيِّ القِنَاعِ ◇ دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ وَالخَيْرُ دَاعِ

سَعَتْ بِابْنِهَا تَبْتَغِي مَنْزِلاً ◇ لِوَصْلِ التَّبَتُّلِ وَالانْقِطَاعِ

1- ابن شهيد: نفسه – ص120. ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص200. المقري:النفح – ج4 – ص323.

2- ابن الأبار: الحلة...ج2 – ص7.

3- ابن عذاري:المصدر السابق – ج3 – ص64.

4- يقصد به المهدي محمد بن هشام بن عبد الرحمن الناصر.

5- ابن الخطيب: أعمال الأعلام...ص111.

6- السانية: الناقة التي يسقى عليها – الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1167.

7- ابن شهيد: المسدر السابق – صص138-139.

8- هبنقة: هو لقب ذي الوداعات، يزيد بن ثروان لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لجيته، فسئل، فقال: لئلا أضل، فسرقها أخوه في ليلة و تقلدها، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه، فقال: أخي أنت أنا، فمن أنا؟ فضرب بحمقه المثل. الفيروز آبادي: المصدرنفسه - ص692-836..

9- الرار: الذائب من المخ. الفيروز آبادي: نفسه – ص358.

10- ابن شهيد: الديوان – ص75. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص230. وقد ذكر ابن سعيد البيت الأول. المصدر السابق – ج1 – ص46.

11- بو يحي الشاذلي: ابن شهيد الأندلسي – ص78.

الى أن يقول:

فَوَلَّتْ وَلِلْمِسْكِ مِنْ ذَيْلِهَا ⟡ عَلَىَ الأرْضِ خَطٌّ كَظَهْرِ الشُّجَاعِ[1] [2]

فالمجون في هذه القصيدة يعتمد على المفارقة بين غاية المرأة وغاية أولئك الــذين يرصدون خطواتها وهي تؤم مكانا للعبادة.[3]

هذا غيض من فيض مما جادت به قريحة بيت بني شهيد، وبخاصّة أبي عامر ابــن شهيد هذا، الا أن هناك بيوتات أخرى كان لها باع على الساحة الأدبية الأندلســية، فمــن هؤلاء **بيت بني فرج الجياني** الذي ضمّ أفرادا من الشعراء، فعدّ بيتهم من بيوتــات الأدب فممن برز منهم:

أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج الجياني (366هــ أو 367هــ/976م-977م) وقد ينسب الى جده فيقال: احمد بن فرج. كان "وافر الأدب، كثير الشعر معدود فــي العلمــاء وفي الشعراء."[4] وكان له علم باللغة، الا ان الشعر كان الأغلب عليه.[5] وأثنى ابن خاقــان عليه بقوله: "ذكي الخلد مع قوة العارضة..."[6]، ونحا نحوه ابن الأبار، فقال: "كــان أحمــد أغزرهم أدبا وتصرفا في الشعر." فكان ممن يقرض الشعر الحسن.[7]

يعتبر ابن فرج الجياني من الشعراء الموهوبين، والذين تميزوا بغزارة انتــاجهم و ضلوعهم في الأدب، مما أكسبه نفوذا واسعا بين الشعراء بقرطبة، فانتمى بذلك الى حاشية الحكم الثاني.[8] وقد ساعدت شهرته هذه على الخوض في التأليف في هذا الميدان.[9]

وعلى الرغم من ان الحَكَم قام بسجنه لأمر نقمه عنه، اذ يحكى أن ابن فرج هــذا، هجا الحَكَم بقصيدة، فحبس جراء ذلك لمدة سبع سنين أو أزيد، فلم يعقل لسانه عن قــرض

1- الشجاع: الحية أو الذكر منها. الفيروز آبادي: نفسه - ص659.

2- ابن شهيد: نفسه – ص93. المقري: المصدر السابق – ج2 – ص128. ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص206.

3- محمد سعيد محمد: ابن شهيد الأندلسي- أديبا وناقدا – شبها – 1988م – ص157.

4- الحميدي: المصدر السابق – ص92. وينظر الضبي: المصدر السابق – ص136.

5- ابن بشكوال: المصدر السابق – ج1 – ص7.

6- ابن خاقان: مطمح الأنفس...ص79.

7- ابن الأبار: التكملة-ج2 – ص235.

8- ك. بويكا: المصادر التاريخية العربية...ص110.

9- سنتعرض الى ذلك في موضعه.

الشعر، اذ كانت له أشعار كثيرة مشهورة بالسجن، ورسائل كثيرة بعث بها الى الحَكَم الا أنها كانت لا تصل اليه.[1]

كان ابو عمر ابن فرج هذا، شاعرا مكثرا، وبقي لنا من شعره بعض قصائده في الغزل ووصف الطبيعة، وأحسن شعره في الغرض الأول الذي كان يمثل الغزل العفيف، اذ اعتبر من أبرز النماذج التي تمثل لنا الجانب الجاد من حياة أمثال هؤلاء الشعراء، فهو بذلك يصوّر فيه الغزل العذري في أسمى صوره، فكان هذا النوع من الشعر صادق العاطفة عميق الشعور سامي الروح، نبيل الاحساس.[2]

فمن قوله في هذا الغرض الذي يمثل الغزل العفيف [من الوافر]

وَطَائِعَةُ الوِصَالِ عَدَوْتُ[3] عَنْهَا ◆ وَمَا الشَّيْطَانُ فِيهَا بِالمُطَاعِ

بَدَتْ فِي اللَّيْلِ سَافِرَةً[4] فَبَاتَتْ ◆ دِيَاجِي[5] اللَّيْلِ سَافِرَةَ القِنَاعِ[6]

وَمَا مِنْ لَحْظَةٍ إلاَّ وَفِيهَا ◆ إلَى فِتَنِ القُلُوبِ لَهَا[7] دَوَاعِي

فَمَلَّكَتْ النُّهَى[8] جَمَحَاتِ[9] شَوْقِي ◆ لأجْرِي فِي العَفَافِ[10] عَلَى طِبَاعِي

وَبِتُّ بِهَا مَبِيتُ السَّقْبِ[11] يَظْمَا ◆ فَيَمْنَعُهَا الكِعَامُ[12] مِنَ الرَّضَاعِ[13]

وأنشد له ابن حزم هذه الأبيات يصف فيها خيالا طرقه، [من الوافر]

بِأَيِّهِمَا أَنَا فِي الشُّكْرِ[1] بَادِي[2] ◆ بِشُكْرِ الطَّيْفِ أَمْ شُكْرِ الرُّقَادِ

1- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ج1 -ص7. الصفدي: الوافي...ج5 – ص264. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص62.

2- عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – دت – ص172. أحمد هيكل: المرجع السابق – ص220.

3- عففت: عند ابن سعيد: المصدر السابق – ج2 – ص46. وصدرت: عند المقري: المصدر السابق – ج4 – ص228.

4- ساترة: عند ابن خاقان: المصدر السابق – ص80 .

5- ظلام: عند ابن خاقان: نفسه – نفس الصفحة.

6- ورد هذا البيت عند المقري على هذا النحو بدت في الليل ساترة ظلام الدياجي منه سافرة القناع. المقري: المصدر السابق – ج4 – ص415.

7- بها: عند ابن سعيد: المصدر السابق – ج2 -ص46.

8- الهوى: عند المقري: نفسه-ج4 – ص228.

9- حجاب: عند ابن سعيد: نفسه – نفس الجزء والصفحة. وابن خاقان: نفسه نفس الصفحة

10- بالعفاف: عند ابن خاقان: نفسه – نفس الصفحة. وكذا عند المقري: نفسه – ج4 – ص415.

11- الشقب: مهواة بين كل جبلين يوكر فيه الطير. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص95. وقد وردت السقيب: عند ابن سعيد: نفسه – ج2 – نفس الصفحة والطفل عند ابن خاقان: نفسه – نفس الصفحة.

12- الكعام: هو المضاجعة في ثوب واحد: الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1042. وقد وردت بهذا الرسم – الفطام: عند ابن خاقان: المصدر نفسه – ص80.

13- الحميدي: المصدر السابق – ص93.

سَرَى وَأَرَادَ بِي[3] أَمَلِي وَلَكِنْ ⁂ عَفَفْــتُ فَلَمْ أَنَــلْ مِنْــهُ مُـــرَادِي

وَمَا فِي النَّوْمِ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ ⁂ جَرَيْتُ مَعَ العَفَافِ عَلَى اعْتِيَادِي[4] [5]

وله في نفس الغرض قوله من [الكامل]

أَبْصَرْتُ دِينَارًا بِكَفِّ مُهَفْهَفٍ ⁂ يُزْهَى بِهِ مِنْ كَثْرَةِ الإعْجَـــابِ

أَوْمَا بِهِ مِنْ فِيهِ ثُمَّ رَمَـــى بِــهِ ⁂ فَكَأَنَّـــهُ بَــدْرٌ رَمَـــى بِشِهَــابِ

فأما المناسبة التي قرض فيهما هذين البيتين، فذات مرة كان في لمّة من أهل الأدب في مجلس أنس، فاحتاج ربّ المنزل الى دينار، فدخل عليهم من الصـــيارف ذو جمـــال، فرمى بالدينار اليهم من فيه تماجنا، فقال فيه هذا الشعر.[6]

كما حفظت لنا يتيمة الدهر بعضا من أشعاره، نختصرها في هذه الأبيات كقوله

بِنَفْسِي مَنْ يَصُدُّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ⁂ سِـــوَى إِدْلَالـــَـــهُ ثِقَـــــةً بِحُبِّـــي

[من الوافر]

عَجِبْتُ لِقَلْبِهِ قَاسٍ كَجِسْمِي ⁂ وَيَحْكِي جِسْمُه فِي العَيْنِ قَلْبِي

وقوله [من الطويل]

بِمَهْلَكَةٍ يَسْتَهْلِكُ الجُهْـدَ عَفْوَهـَـا ⁂ فَتَتْرُكُ شَمْلَ العَــزْمِ وَهُــوَ مُبَــدَّدُ

يَرَى عَاصِفَ الأَرْوَاحِ فِيهَا كَأَنَّهُ ⁂ مِنَ الأَيْنِ[7] يَمْشِي ظَالِعٌ[8] وَمُقَيَّدُ[9]

وكان لأحمد هذا، أخوان شاعران، وأن كثيرا من أشعارهما أنشدهم أخوهما هذا في كتابه "الحدائق"، فيكون بذلك قد حفظ لنا ما يمكن حفظه من آثار في هذا الميدان، كان منهم: أبو عثمان سعيد بن محمد بن فرج[10] المعروف بالرشاش الذي كان هو كذلك من العلماء الأدباء الشعراء.

1- الحب: عند الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص19.
2- أراد أن يقول باذيء فلم يستقم له الوزن، فقلب الهمزة ياء
3- وازداد في: عند ابن خاقان: المصدر نفسه – ص80. فازداد لي: عند المقري: المصـــدر نفســه – ج4 – نفــس الصفحة. فأراده: عند ابن دحية الكلبي: المصدر السابق – ص21.
4- اعتقادي: عند الثعالبي: المصدر انفسه – ج2 – ص19.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص93.
6- المقري: المصدر انفسه – ج4 – ص89.
7- الأين: هو الاعياء. الفيروز آبادي: المصدر السابق –ص1062.
8- الظالع: المائل في مشيته اذا كان برجله عيب، وهو شبه العرج. الفيروز آبادي: نفسه – صص670-671.
9- الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص19.
10- توفي في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن، ولذلك لن أتعرض لإسهاماته الأدبية فهو خارج الفترة المدروسة.

أما الأخ الثاني، فهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرج الجياني[1] كـان شـاعرا اديبا[2] وممن يقرض الشعر ويحسنه.[3] ومن حسن حظ هذا الشاعر ان أخاه، قد حفـظ لنـا بعض اسهاماته في هذا الميدان.

فمما أنشده له الثعالبي خمس مقطوعات منها: [من الطويل]

شَكَا السُّقْمَ مَنْ أهْوَى وَجَدَّ بِهِ الصبَا ✧ وَلاَ مِثْلُ مَا جَدَّ الصبَابي فِي الحُبِّ

وَمَـا عُدْتُهُ إلاَّ وَسقمـيَ وَاحِـدٌ ✧ وَأُبْتُ[4] وَلِي سقْمَان بِالحُبِّ وَالكُرْبِ

وقوله [في الخفيف]

مَا لِهَذَا الصدُودِ مِنْ غَيْرِ مَعْنَـى ✧ يَا حَبِيبِي إلَـى مَتَى تَتَجَنَـى[5]؟

أنْتَ غُصنٌ، فَكَيْفَ تَقْسُو لِجَـانٍ ✧ مَـدَّ كَفًـا وَأنـْتَ تَهْتَـزُ لَدُنـًا[6]

إنْ تَكُنْ قَدْ مَلَلْتَ قُرْبـِي تَبَاعَـدْ ✧ تُ قَلِيلاً لَعَلَنِي سَـوْفَ أدْنَـى

أيُّهَا البَاخِلُ المُمَانِـعُ جُـدَّ لـِي ✧ من حَيَـاتِـي بِبَعْـضِ مَـا أتَمَنَـى

أوْ أرِحْنِي بِالمَوْتِ فَالمَوتُ عِنْدِي ✧ هُوَ خَيْرٌ مِـنْ أعِيـشَ مُعَنَّـى[7] [8]

من خلال هذه القصيدة، نلحظ أن أبا محمد هذا، قد اقتفى أثر أخيـه فـي الغـزل العفيف، اذ احتوت أبياته على كلمات ليست بالماجنة تصل الى اظهار مفاتن من أحبّها، بل هو يشبه محبوبته بما هو موجود في الطبيعة، فهي كالغصن على حد تعبيره يريد قطـاف ثمارها ويشبّه هذا الأخير على أنه كف معشوقته اللين الطري الذي يدل على أنوثتها، ثـم يشكو اليها جفاءها لقربه الدائم منها، ويجعل من البعد وسيلة يتقرب بها اليها، وفي أخـر القصيدة يعبّر عن حالة اليأس التي وصل اليها من عدم حصول المراد، فيتمنـى المـوت على أن يعيش معذبا طول حياته.

وله في نفس الغرض [من المتقارب]

نَظَرْتُ إلِىَ عَقَدَاتِ الكَثِيـبِ ✧ بِعَيْنَـيْ مُشَـوَّقٍ إلَيْهـَا كَئِيـبِ

1- ذكره ابن الأبار ضمن أعلام القرن 4 هـ، ولا نعلم سنة وفاته
2- الحميدي: المصدر السابق – ص222.
3- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص235.
4- أبت: رجعت نقول: فلان أواب تواب، أي رجاع الى التوبة. الزمخشري: المصدر السابق – ص12.
5- تتجنى: ادعت عليه – الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص1144.
6- اللدن: اللين: الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص1109.
7- معنى: الذي يعاني، أي المعذب. الفيروز آبادي: السابق– ص1184.
8- الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص31.

وكَمْ نَظْــرَةً مَلأَتْ نَاظِــرِي ⟡ إليــْهَا دمــَا مُسْتَـــلَّ الغُـــــرُوبِ

رَعَى اللَهُ أَهْلَ كَثِيبِ[1] اللّــوَى[2] ⟡ كَرَعْيِكَ مِنْهُمْ عُهُودَ الحَبِيبِ [3]

كما أنشد له الحميدي مقطوعتين منهما [من السريع]

سُؤَالُكَ المَيْــتَ عَــنِ الحَــيِّ ⟡ ضَرْبٌ مِنَ العَيِّ[4] أَوِ الغَيِّ[5]

مَا وِقْفَةٌ فِــي طَلَــلٍ[6] وَاقِــفٍ ⟡ عَلَى البِلَى يَسْأَلُ عَــنْ حَــــيِّ[7]

ففي هذين البيتين يتغزّل شاعرنا في أسلوب حواري مع نفسه، وليس مع من أحــب – كما جرت عليه عادة الشعراء ــــــ فهو في موقف يائس من بعض التساؤلات والبحث عمّن يحب من نساء هذا الموضع والتي تدعى "مي" فسؤال الميت عنهــا هــو درب مــن المستحيل، وكعادة شعراء الجاهلية، يستفتح قصيدته هذه بالوقوف علــى الأطــلال لبكــاء الأحبة.

وأنشد له [من المتقارب]

تَدَارَكْتُ مِــنْ خَطَئِــي[8] نَادِمــًا ⟡ أَنْ أَرْجُو[9] سِوَى خَالِقِي رَاحِمًا

فَلاَ رُفِعَتْ صَرْعَتِي[10] إِنْ رَفَعْــ ⟡ ـتُ يَدَيَّ إِلىَ غَيْــرِ مَوْلاَهــِمَا؟[11]

لقد كانت هذه الأسرة بيت أدب وشعر، فكان الإخوة الثلاثة، أحمد و عبد الله وسعيد أبناء محمد بن فرج الجياني من أهل المعرفة، وكانوا ممن يقرضون الشّعر الحسن،إلاّ ان أخاهما أحمد صاحب كتاب الحدائق كان أغزرهم أدبا وتصرفا في الشعر وهذا بشهادة كل من ترجم له.[12]

1- الكثيب: هو التل من الرمال.الزمخشري: المصدر السابق – ص387.
2- اللوى: ما التوى من الرمل. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص1198.
3- الثعالبي: المصدر نفسه – ج2 – ص32.
4- العي: العجز وعدم الاهتداء. الزمخشري: نفسه-ص319.
5- الغي: الظلال. الفيروز آبادي: نفسه – ص1187.
6- الطلل: ما بقي شاخصا من آثار الديار. الزمخشري: المصدر انفسه- ص283. الفيروز آبادي: المصــدر نفســه- ص924.
7- الحميدي: المصدر السابق – ص222.
8-خطى: عند ابن سعيد: المصدر السابق- ج2- ص47. خطأى: عند الضبي: المصدر السابق- ص289.
9- أأرجو: عند ابن سعيد: نفسه- نفس الجزء والصفحة. ولم يورد سوى البيتين الأولين وكذا عند الضبي: المصــدر نفسه – ص289.
10- ضرعتي: عند ابن سعيد – ج2 – نفس الصفحة.
11- الحميدي: المصدر السابق – ص222.
12- ابن الأبار: التكملة- ج2 – ص235.

ومن البيوتات التي جعلت من الشعر صناعتها **بيت بني برد**، وهم من موالي بني شهيد[1] وقد أثنى عليه ابن خاقان بقوله: "هذه ثنية غذيت بالأدب، وربت في أسماء الرتب، ما منهم الا شاعر كاتب، ولازم بباب السلطان مراتب."[2] فكان بذلك بيت أدب ورياسة.[3]

وأول أفراد هذه الأسرة هو الجد:

أبو حفص احمد بن برد الأكبر[4] (ت418هـ/1027م) ذكره الحميدي ولم يذكر له مشاركته الأدبية، واكتفى بالقول أنه "كان ذا حظ وافر من الأدب والبلاغة والشعر".[5]

ونفس المذهب ذهبه الصفدي حين قال: "كان ذا حظ وافر...من الأدب والشعر رئيسا مقدما في الدولة العامرية."[6]

وقد أثبت له الصفدي عددا من الأبيات نذكرها على التوالي: فمن شعر الغزل بفتاة أعجب بها قال: [من البسيط]

أَصَبْتُ بِالعَيْنِ صَبْرِي فِي هَوَى قَمَرٍ ... قَدْ أُوتِيَ الحُسْنَ فِي جِيدٍ[7]

تَوَقَّدَتْ نَارُ خَدَيْهِ فَسَالَ بِهَا ... مِنْ مِسْكِ لِمَّتِهِ[8] خَطًّا غدَارَيْنِ

ففي هذين البيتين طغى الغزل الحسّي على غيره من ضروب الغزل، بحيث أصبح همّ شاعرنا هذا،وصف حسناه، وحمرة خدي محبوبته، حتى أن شدّة سمرتها، جعل المسك التي تعطّرت به يكتسي لونها هذا، وكأنه سيل خط جدولين، وكأنه نهر.[9]

ولابن برد هذا أيضا من [مخلع البسيط]

قَدْ أَلْحَفَ الجَوْدَ فِي انْسِكَابِهِ ... وَأَلْحِفَ الجَوُّ فِي رَبَابِهِ[10]

وَقَامَ دَاعِي السُّرُورِ يَدْعُو: ... حَيَّ عَلَى الزُّقِ[11] وَانْتِهَابِهِ

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 –ج1 –ص91. ابن الأبار: نفسه- ج1- ص314. ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص141.

2- ابن خاقان: مطمح الأنفس –ص24.

3- الحميدي: نفسه – ص101.

4- تمييزا له عن حفيده الذي حمل نفس الاسم والكنية

5- الحميدي: المصدرنفسه – ص101.

6- الصفدي : المصدر السابق – ج4 – ص191.

7- مقتبسة من قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ سورة المسد. الآية 5.

8- اللمة: السمرة – الزمخشري: المصدر السابق – ص415.

9-غدارين: خط لسيلين – الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص404.

10- الرباب: هو السحاب الأبيض. الفيروز آبادي: نفسه – ص82. ويقال: أظلتهم الرباب والربابة. الزمخشري: المصدر السابق – ص150.

11- الزق: بالضم، هي الخمر. الفيروز آبادي: نفسه – ص802.

وَفَاؤُهُ فـِـي النَّــدِيــم[1] لَمــَّـــــا ⸎ تَزْدَحِمُ الرُّسُلَ عِنْــدَ بَابِــهِ[2]

فهنا، نجده يصف مشهدا من مجالس اللهو مع عصابة من الأصــدقاء، اذ يظهــر شغف هؤلاء الى مثل هذه المجالس التي يجتمع أهلها على الشرب، كما جمع شاعرنا هذا بين الشرب ومظاهر الطبيعة، اذ كان هذا اليوم قد التحف بوابل من الأمطار، تغطي سماه سحابة بيضاء، فلا محالة أن يكونوا قد اجتمعوا في احدى منازل هؤلاء الأصدقاء.

أما حفيده أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد الأصغر (كــان حيــا ســنة 440هــ/1048م) كان "بديع الاحسان، بليغ القلم واللسان...وشعره مثقف المباني، مرهف كالحسام اليماني."[3] وكان شعره مليح، وهذا ما يعكس شهرة هذا البيت الأدبية.[4] ونحا نحو هذا الثناء والاستحسان ابن بسام الشنتريني الذي حظي كتابه الذخيرة بكثير من اســهاماته الشعرية، فقال: أن نظمه ناصع، فكان في وقته البلاغة تدور حوله وحول ما أنتجه في هذا الميدان[5] وعلى حد قول ابن دحية "المبدع في التشبيه والبارع فــي المحاكــاة والتخيّــل". وبعدها أشاد ببيته.[6]

وبالرغم من قلة المصادر التي ترجمت له، والتي لم توف هذا الأديب حقــه، ولــم توفر لنا من أخباره الا النذر القليل، فهذا لم يمنعنا من تتبع آثاره، فمما أنجبته قريحته فــي هذا الحقل المعرفي، هو خوضه غمار التأليف، فلحق بكوكبة من سبقوه فيه، فمــن آثــاره كتابه الموسوم بــ: "سر الأدب وسبك الذهب"[7] والذي أورد فيه بعض أشعاره منها يفتخــر بجده ابن برد الأكبر، فيقول:

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا بِأَقْصَى الجَهْــدِ ⸎ إِسْــعَ بِجَــدٍ مِنْــكَ لاَ بِكَــدِ

بدأ مطلع قصيدته هذه بكلام موجّه الى من يسمعه، وعلى كل من يطلــب العلـــى، فعليه أن يكون مجدا في طلبه، وكأن هذا الشطر موجه لمعاصريه، وقد يكونــوا انتقــدوه، فأراد ردّ الاعتبار الى شخصه وجدّه. ثم يواصل في مدح نفسه، فيقول:

1- يقال: نادمه على الشراب منادمة ونداما. خير الدين الزركلي: المرجع السابق– ص451. ونادمه أي جالسه علــى الشراب. الفيروز آبادي: المصدرنفسه – ص1047.
2 - الصفدي : المصدر السابق – ج4 – صص191-192.
3- ابن خاقان: المصدر السابق – ص24.
4- الحميدي: المصدر السابق – ص101.
5- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص374.
6- ابن دحية الكلبي: المصدر السابق- ص115.
7- سنعود الى هذا الكتاب عند تعرضنا لنثر ابن برد هذا.

مَنْ شَاءَ خُبْرِي فَأَنَا ابْنُ بُـــرْدٍ ⟡ حَدُّ حُسَامِي قِطْعَةٌ مِنْ حَـــدِّي.

وفيه كأنه يتحدى كل من أراد الانتقاص من شعره، فيطلب منه أن يباريـــه علـــى الساحة الأدبية ان كان ندا له.

بعد هذا يتخلّص في قصيدته هذه الى صلب الموضوع الذي كان سبب قرضه لهذه الأبيات وهو مدحه لجدّه ابن برد الأكبر، والذي سيشيد فيها بشعره ونثره، فيقول في ذلك:

وَأَرْفَعُ النَّاسِ بِنَـــاءً جَـــدِّي ⟡ مَنْ نَظَـــمَ الأَلْفَاظَ نَظْـــمَ العِقْـــدِ

وَنَقَدَ الكَـــلاَمَ حَـــقَ النَّقْـــدِ ⟡ وَكَفَّ بِالأَقْـــلاَمِ أَيْـــدِي الأَسَـــدِ

فإذا علم أن اصغاء سامعيه قد استوثق، بدأ في ذكر مكانة هذا الجد لـــدى أمـــراء الأندلس،[1] فبرز بذلك على نظرائه وأشكاله[2] مؤكدا ذلك بقوله:

بِهِ اسْتَضَاءَ فِي الخُطُوبِ الرَّبْـــدِ ⟡ كُـــلُّ إِمَامٍ وَوَلِـــيِّ عَهْـــدٍ[3]

لم يكتف ابن برد بمدح أسرته فقط، وانما كان كذلك مدحه للأسرة الحاكمـــة، فقـــد أثبت له ابن الخطيب قطعة شعرية يهنئ فيها عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر بولايـــة العهد، فقال كاتب الرسائل[4] وأفرط في قوله: [من الكامل]

الآنَ عَادَ الدَّهْرُ غَضًّا مُشْرِقـــًا ⟡ وَتَمَكَّنَتْ أَرْجَاؤُهُ وَاسْتَوْسَقَـــا

وَغَدَا هِلاَلُ الحَقِ بَدْرًا بَعْدَمَـــا ⟡ قَدْ كَانَ أَصْبَحَ شَمْلُهُ مُتَفَرِّقـــًا

بِوَلِيِّ عَهْدِ المُسْلِمِينَ وَمَنْ غَدَا ⟡ فِي المُشْرِكِينَ إِذَا تَقَحَّمَ فَيْلَقـــًا

فَإِنَّهُ يَشْهَـــدُ لِلْمُـــؤَيِّـــدِ أَنَّـــهُ ⟡ قَدْ حَاطَ أُمَّةَ أَحْمَـــدَ مِنْهُ بَقَـــا

وفيها الى آخرها.

فَرَمَى[5] إِلىَ المَأْمُونِ[6] أَمْرَ جَمِيعِهِمْ ⟡ إِذْ لَمْ يَزَلْ حَدْبـــًا عَلَيْهَا مُشْفِقـــًا

لَـــوْ أَنَّ فِيكُمْ ســـَالِمـــًا قَـــدَّمْتـــُهُ ⟡ لِيَلِي الأُمُورَ مَغْرِبًا[7] وَمَشْرِقـــًا[8]

1- كان رئيسا مقدما في الدولة العامرية، تقلد الكتابة ومنصب الوزارة. الحميدي: المصدر السابق – ص106.

2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 –ص90.

3- نفسه – ق1 – ج1 -ص375.

4- هكذا تطلق عليه المصادر منهم ابن الخطيب: أعمال الأعلام بتحقيق: ليفي بروفنسال – ص95.

5- فرسي: عند ابن الخطيب: المصدر السابق – تد: د/ كسروي – ج2 – ص90.

6- هو المأمون ناصر الدولة أبو المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المقصود بالتهنئة في هذه القصيدة.

7- ضبطها كسروي بضم الميم – مغربا – نفسه – نفس الصفحة.

8- ابن الخطيب: نفسه – تحـ: إ – ليفي بروفنسال – صص95-96.

فكان بذلك مدح ابن برد موجّه الى أمراء الأندلس وخلفائهم، فوصف ممدوحه ببعض الصفات التي كان يتحلّى بها، وتلك كانت عادة شعراء العرب منذ القديم، اذ كان العربي يطيب له أن يوصف ببعض الأوصاف كالمروءة والشجاعة.[1]

لم يقتصر شاعرنا على هذا الغرض، وانما تعدّاه الى غرض أخر اشتهر به الشعر العربي منذ الأزل، ألا وهو الغزل، فمن محاسن ما أورده فيه، قوله: [من مجزوء الكامل]

لَمَّا بَدَا فِي اللاَّزَوَرْدِي[2] ⁂ الحَدِيرِ[3] وَقَدْ بَهَرْ[4]

كَبَّرْتُ مِنْ فَرْطِ الشَّبَا ⁂ بِ[5] وَقُلْتُ مَا هَذَا بَشَرْ

فَأَجَابَنِي: لاَ تُنْكِرَّنْ[6] ⁂ ثَوْبَ السَّمَاءِ عَلَى القَمَرْ[7]

لقد اعتمد ابن برد في هذه المقطوعة على الأوزان القصيرة مما جعل هذا النوع من الغزل قابلا للغناء، كما أكثر فيه من الحوار وعرض العُقْدة والحَلّ للقصيدة الغزلية.[8] اضافة الى تأثير شاعرنا بآي القرأن الكريم، فنجد عجز البيت الثاني اقتبسه من قول الله عزّ وجلّ ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[9]

وله أيضا فيمن ودعه، وأودع قلبه من فرط الهوى ما اودعه [من الكامل]

يَا مَنْ حُرِمْتُ لِذَا ذَاتِي بِمَسِيرِهِ ⁂ هَذِي النَّوَى[10] قَدْ صَعَّرَتْ لِي خَدَّهَا[11]

زَوِّدْ جُفُونِي مِنْ جَمَالِكَ نَظْرَةً ⁂ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا[12]

وله من [الكامل] في نفس الغرض

1- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص185.

2- وهي من أصل كلمة لآزورد: وهي فارسية معربة من "لاجورد" وتدل على حجر معدني كريم لونه أزرق ضارب الى الحمرة أو الخضرة وقد يكون للون هذا اللباس سبب هذه التسمية – ينظر عنه: القزويني: عجائب المخلوقات ... – ص206. حسان حلاق وعباس صباغ- المعجم ... – ص194. رجب عبد الجواد: ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 1423هـ/2003م- ص216.

3- اللباس: عند الصفدي: المصدر السابق – ج5 – ص168. الحريز: عند الحميدي: المصدر السابق – ص101. وعند المقري: المصدر السابق – ج4 -ص320. وعند ابن دحية: المصدر السابق – ص116.

4- بهر: نقول قمر باهر وهو الذي يدهشنا ضوءه. الزمخشري: المصدر السابق –ص32.

5- الجمال: عند الصفدي: نفسه – ج5 – ص108. والحميدي: نفسه – ص101. والمقري: نفسه – ج4 – ص320.

6- تنكروا: عند المقري: نفسه – ج7 – ص133. وكذا عند ابن دحية: نفسه – ص116.

7- ابن خاقان: المصدر السابق – ص24.

8- يوسف طويل: مدخل الى الأدب الأندلسي – دار الفكر اللبناني – بيروت – لبنان – ط1 – 1991م- ص61.

9- سورة يوسف – الآية 31.

10- النوى: الدار والتحول من مكان لأخر، وهي كذلك مخفض الجارية. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1206.

11- صعر خذه: أماله كبرا. الزمخشري: المصدر السابق – ص254.

12- ابن خاقان: المصدر السابق – ص25.

قَلْبِي وَقَلْبُكَ لاَ مَحَالَــةَ وَاحِــدٌ ◇ شَهِدَتْ بِذَلِكَ بَيْنَــنَا الأَلْحــَاظُ

فَتَعَالَ فَلْنَغِظْ الحَسُودَ بِوَصْلِنــَا ◇ إِنَّ الحَسُودَ بِمِثْلِ ذَاكَ يُغَــاظُ[1]

لقد اتسم شعره هذا، بجمال الأسلوب، اذ أنه استعمل الألفاظ الرقيقة، بعيدة كل البعد عن استعمال الكلمات الغريبة، بل أنها كانت موسيقية منتقاة، ولكن في المقابل غلبت على هذا النوع من الشعر الصور البيانية والبديعية، وهذا ما يعرف بالتزويق اللفظي.[2]

وقد طرق ابن برد هذا، غرضا آخر فرضته طبيعة الأنــدلس الخلاّبــة، ألا وهــو وصف ما تقع عليه عيناه من هذه المناظر، مثل وصفه للبهار الــذي يقــول فيــه [مــن الطويل]

تَأَمَّلْ فَقَدْ شَقَّ البَهَارُ كَمَائِمــًا[3] ◇ وَأَبْرَزَ عَنْ نُوَّارِهِ الخَضِرِ النَّــدَى[4]

مدَاهِنَ تِبْرٍ[5] فِي أَنَامِلِ فِضَّـــةٍ ◇ عَلَى أَذْرُعٍ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ[6]

ففي هذين البيتين، يصف ابن برد النرجس الذي هو البهار عند الأندلسيين، ويسمّى كذلك "العَبْهَر"[7] وقد أثنى عليهما ابن دحية بقوله: "وهذا من مليح التشبيهات في النــرجس، وبديعها وغريبها، وصنيعها، وأكثر ما تواردت خواطر الشعراء علــى تشــبيهه بــالعيون المِرَاض."[8]

ومن تلاعبه المرقص، وتشبيهاته الحلوة قوله وهو يصف كلف البدر [من الكامل]

وَالبَدْرُ كَالمِرْآةِ غَيَّــرَ صَقْلَــهَا ◇ عَبَثُ العَذَارَى فِيهِ بِالأَنْفَــاسِ

وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِضَوْءِ صَبَاحِــهِ ◇ مِثْلَ الْتِبَاسِ النَّقْسِ بِالقِرْطَاسِ[9]

ومن شعره في الخمريات:

1- نفسه – نفس الصفحة. الصفدي: المصدر السابق – ج5 – صص168-169.
2- يوسف طويل:المرجع السابق – ص61.
3- كماميه: عند الحميدي: المصدر السابق – ص101.
4- ورد هذا البيت عند كل من ابن دحية: المصدر السابق – ص115. والمقري: المصدر السابق – ج4 – ص112. والصفدي: المصدر السابق– ج5 – ص168. على هذا النحو

تنبه فقد شق البهار مغلســا ◇ كمائمه عن نوره الخضر النــدى

ولكن في موضع أخر عند المقري، يرد هذا البيت مطابق لما هو موجود بالمتن: نفسه – ج4 – ص320.
5- هو فتات الذهب قبل ان يصاغ، الفيروز آبادي : المصدر اسابق – ص321.
6- ابن خاقان: المصدر السابق – ص24.
7- المقري: نفسه – ج4 – ص112.
8- ابن دحية: نفسه – صص115-116.
9- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص400 – ج4 – ص659.

سَقَانِي وَجَفْنُ اللَّيْلِ يَغْسِلُ كُحْلَهُ ﴿﴾ بِمَاءِ الصَّبَاحِ وَالنَّسِيمُ رَقِيقُ

مُدَامًا كَذَوْبِ التِّبْرِ أَمَا نِجَـارُهَا ﴿﴾ فَضَخْمٌ وَأَمَّا جِرْمُهَــــا فَدَقِيقُ

من خلال هدين البيتين، يظهر وكأن ابن برد هذا، كان في مجلس من مجالس اللهو، اذ يصف فيها مشهدا من الملاهي التي كان يتعاطاها وينعم طيلة ليلته الى غاية بزوغ الصباح، وهو ما عبّر عنه باستعماله لمحسن بديعي وهو "الطباق" الممثل في –الليل و الصباح – اضافة الى الاستعارة، فاستعار الغسل من الانسان وجعله ليل، حتى يبين لنا أن السّهرة دامت الليل بطوله.

هذا قليل من كثير مما أنجبته قريحة شاعر زمانه، والذي استطاع أن يتقن في تصويره ما كان يدور في خلجانة صدره، فشبّه بابن رشيق وابن عبد ربّه.[1] وفي بيان منزلته الشعرية يقول ابن بسام حين رام المقارنة بينه وبين الأديب أبي المطرف عبد الرحمن بن فتوح،[2] فقال:"وبينه وبين ابن برد من مسافة البعد ما بين القطب الثابت، والقطب النابت...على اني ظلمت ابن برد ولم أعدل...وأكثر شعر ابن برد مليح السرد متمكن القوافي لا تكاد له قافية تخرج من مركزها."[3]

وقد لحق بكوكبة هؤلاء الشعراء **بيت بني دراج القسطلي**[4]، اذ تداول على قرض الشعر فردان وهما:

أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج (ت قريبا من 420هـ/1029م)، وهو أحد شعراء الأندلس شهرة، وهذا ما يتأكد لنا عند مطالعتنا ليتيمة الثعالبي حين قال: "كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام، وهو أحد الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول."[5]

وفي بيان علو منزلته فيه، ذكر ابن بسام أنه كان في وقته لسان الجزيرة شاعرا، وأولا ...وآخر حاملي لوائها، وبهجة أرضها وسمائها." فطارت بذلك شهرته شرقا وغربا اذ وصلت الشام والعراق".[6] كما ذكره ابن حيان، مظهرا اعجابه بأدبه، ومعربا عن جلالة

1- ابراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس – صص170-171.
2- تنظر ترجمته عند ابن الأبار: التكملة...ج3 – ص11.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه –ق1 – ج2 – ص586.
4- نسبة الى قسطلة من أعمال جيان. ابن سعيد: المصدر السابق – ج2 – ص50.
5- الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص119.
6- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص56.

قدره، فقال: "وأبو عمر القسطلي سبّاق حلبة الشعراء العامريين وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين."[1]

ويكفينا في بيان هذه المنزلة ما ذكره في حقه شاعر الأندلس أبو عامر ابن شهيد حين قال: "والفرق بين أبي عمر وغيره، أن أبا عمر مطبوع النظام...وملكه لأحرار الألفاظ، وسعة صدره وجيشة بحره...وطول طلقه في الوصف وبغيته للمعنى." وحذا حذوه ناقد الأندلس ابن حزم بقوله: "لو قلت انه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج لم أبعد." ثم يردف قائلا: "لو لم يكن لنا من فحول الشعراء الا أحمد بن دراج لما تأخرعن شأو بشار بن برد والمتنبي."[2]

وعلى الرغم من هذا الاثراء الذي استأثر به من فطاحلة الشعراء، الا أن ابن بسام الشنتريني يرى بأن كل من ذكره "لم يوفه حقه، ولا أعطاه رفقه، ولا استوفى تقدمه وسبقه، ولو أوفى الأيام، واستنفد القراطيس والأقلام."[3]

لقد كان ابن دراج هذا، شاعر المنصور بن أبي عامر، بسبب علو منزلته عنده، فكان على رأس الشعراء الذين صحبوا هذا الحاكم[4]، اذ كان هذا الحاجب يحسّ بالحاجة الملحّة الى تثبيت سلطانه غير الشرعي، فكان يتخذ من أفواه الشعراء أبواقا دعائية.[5]

وله من قصيدة يعارض فيها أبا العلاء صاعد اللغوي جاء فيها [من الطويل]

أَضَاءَ لَهَا فَجْرُ النُّهَى[6] فَنَهَاهَا ⁂ عَنِ الدَّنَفِ[7] المُضْنَى[8] بِحَرِّ هَوَاهَا

وَظَلَّلَهَا صُبْحٌ جَلاَ لَيْلَةَ الدُّجَى ⁂ وَقَدْ كَانَ يَهْدِيهَا إِلَى دُجَاهَا[9] [10]

لعل الحظوة التي نالها صاعد اللغوي عند المنصور بشعره، قد تركت أثرا في نفسه فأراد لها شيئا شبيها بها، أضف الى ذلك، رغبته في أن يكون اسمه مقيد في ديوان

1- نفسه: ق1 – ج1 – ص57.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص36.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص58.
4- ابن بسام الشنتؤيني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص57. ابن سعيد: المصدر السابق – ج2 – ص50.
5- أحمد هيكل: المرجع السابق – ص276.
6- النهى: نقول وهذا منتهى الأمر وغايته: الزمخشري: المصدر السابق – ص475.
7- الدنف: المرض الملازم. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص730.
8- المضنى: الذي اشتد مرضه، به داء مخامر. الزمخشري: نفسه – ص272.
9- الدجى: شدة الظلمة. الفيروز آبادي: نفسه – ص171.
10- الحميدي: المصدر السابق – ص97. ابن دراج القسطلي: ديوان – حققه وعلق عليه وقدم له: محمود علي مكي – المكتب الاسلامي- ط2 – 1389هـ- ص8.

الشعراء يرتزقون منه،[1] الا ان حسّاده تألبوا عليه ورموه بالانتحال والسرقة، وأنه لا يجيد في شعره، ولا يعرف سوى المعارضة، فوصل الخبر الى المنصور بن أبي عامر.[2]

وللتحقق من ذلك أرسل في طلبه ابن أبي عامر لاختباره، فاستطاع ابــن درّاج أن يبعد التهمة على نفسه وهو اذ ذاك يبلغ من العمر ثمان وثلاثين سنة، فما كان من ابن أبي عامر سوى مواصلته بمائة دينار، كما أجرى عليه الرزق، وبهذه المناسبة قــال قصــيدته المشهورة أولها مدح للحاجب [من البسيط]

حَسْبِي رِضَاكَ مِنَ الدَّهْرِ الذِي عَتَبَا ❊ (وَعطْفُ نعْمَاكَ) لِلْحَظِ الذِي انْقَلَبَا

وبعدها يتنقل مباشرة لردّ الاعتبار لشخصــه وشــعره، اذ كــرّر المعنــى الــذي استحضره من أجله الحاجب، وتكذيب ما قذفه به حسّاده من السرقات الشعرية، فقال منها:

وَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَعْيَتَ بَدَائِعُــــهُ[3] ❊ فَاسْتَدْعَتِ القَوْلَ مِمَنْ ظَنَّ أَوْ حَسِبَـا

إِنَّ إِمْرَأَ القَيْسِ فِي بَعْضٍ لَمُتَّهَــمٌ ❊ وَفِي يَدَيْهِ لِــوَاءُ الشِّعْــرِ "إِنْ رَكِبَـا"

وَالشِّعْرُ قَدْ أَسَرَ الأَعْشَى وَقَيَّــدَهُ ❊ دَهْرًا، وَقَدْ قِيلَ: "وَالأَعْشَى إِذَا شَرِبَا"[4]

ففي هذه الأبيات يذكر كيف أن الناس قد اعتادوا اتهام أشهر الشــعراء وأجــودهم مشيرا بذلك الى القول الشائع "أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب، والأعشــى اذا شــرب" مدافعا عن نفسه بأجود ما جادت به قريحته، متهما خصومه بــأن خيــالهم أضــيق ممــا يتصورون.[5]

وله من قصيدة يلحّ فيها على المنصور أن يضع ثقته فيه، وأن لا يأخــذه بجريــرة الظروف القاسية التي مرّ بها، فيقول [من الطويل]

أَثِرْنِي لِخَطْبِ الدّهْرِ، وَالدَّهْرُ مُعْضِلٌ ❊ وَكِلْنِي لِلَيْثِ الغَابِ وَهُوَ هَصُــورُ[6]

وَقَدْ تُخْفَضُ الأَسْمَــاءُ وَهْــيَ سَوَاكِنُ ❊ وَيَعْمَلُ فِي الفِعْلِ الصَحِيحِ ضَمِيرُ

وَتَنْبُــو الرَّدِينِيــَاتُ وَالطَّــولُ وَافِــرُ ❊ وَيُبْعِدُ وَقْعُ السّهْمِ وَهُوَ قَصِيــــرُ[7]

1- الحميدي: المصدرنفسه – ص98

2- نفسه – نفس الصفحة. وينظر احسان عباس: المرجع السابق – ص238

3- بدايته: عند الضبي: المصدر السابق – ص137.

4- الحميدي: المصدر السابق – صص97-98. ابن دراج القسطلي: ديوان – ص309.

5- احسان عباس:المرجع السابق – ص239.

6- هصور : نقول هصر الأسد الفريسة اذا أمالها. الزمخشري: المصدر السابق – ص485.

7- الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص131. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص76.

ففي هذه الأبيات يريد دفعة قوية من المنصور، وثقة تجعله يقابل نكبات الدهر ويكتسح عرين الأسد ليواجهه، وان كان ابن دراج كالسهم القصير، فهذا لا يمنع من أن يكون مفعوله أقوى من السهام الطويلة فيما اذا استغلت أحسن استغلال، وهنا يتساءل احسان عباس، أهي تدل على عجز جسماني؟ أم هي تدل على مجرد حالة نفسية؟ أم هي حكمة ليس لها مدلول وراءها؟ والحقيقة أن ابن دراج في أول عهده بالمنصور لم يكن مطمئنا الى ثبوث مكانته عنده، لذلك جاءت قصائده الأولى على هذا النحو.[1]

وفي أحايين أخرى، يخلط المدح بالوصف كذلك، وقد تكون الفاقة أكبر باعث على قول المديح، ففي قصيدة طويلة في المنصور بن أبي عامر، يستهلها ابن درّاج وصف وداعه الحزين لزوجته من أجل الحصول من الممدوح على مال يسدّ منه رمقه، وينقده من براثن الفقر فيقول: [من الطويل]

دَعِي عَزَمَاتِ المُسْتَظَامِ تَسِيــرُ ⟵⟶ فَتُنْجِدُ فِي عَرْضِ الفَلاَ[2] وَتَغُــورُ

لَعَلَّ بِمَا أَشْجَاكَ مِنْ لَوْعَةِ النَّوَى[3] ⟵⟶ وَأَنَّ بُيُوتَ العــَاجِزِيــنَ قُبُــورُ

ولَمْ تَزْجري طَيْرَ السَّرَى بِحُرُفِهَا ⟵⟶ فَتُنْبِيكَ إنْ يَمَّــنَ فَهُــوَ سـُـرُورُ

يُخَــوِّفُنِي[4] طُولَ السّفَــارِ وَأَنّــهُ ⟵⟶ لِتَقْبِيلِ كَــفَّ العـَــامِــرِيِّ سَفِيرُ

دَرِينِي[5] أرِدْ مَاءَ المَفَاوِزِ آجِــنًا[6] ⟵⟶ إلىَ حَيْثُ مَاءُ المكــرمــَاتِ نَمِيــرُ[7]

وبعدها ينتقل الى وصف وداعه لمن تخلفه وذكر ابنه الصغير "بما لا شبيه لــه ولا نظير ولا مثيل ولا عديل."[8]

ولَمَا تَدَانَتْ لِلْوَدَاعِ وَقَــدْ هَفَــا ⟵⟶ بِصَبــْرِي مِنــْـهَا أنَّةٌ وَزَفِيــرُ

تُنَاشِدُنِي عَهْدَ المَوَدَةِ وَالهَــوَى ⟵⟶ وَفِي المَهْدِ مَبْغُومُ[9] النِّدَاءِ صَغِيرُ

عَيِيٌّ بِمَرْجُوعِ الخِطَابِ، ولَفْظُهُ[1] ⟵⟶ بِمَوْضِعِ[2] أَهْوَاءِ النُّفُوسِ خَبِــيرُ[3]

1- احسان عباس: المرجع السابق – ص240-241.
2- الفلاة: القفر، أو المفازة لا ماء فيها، أو الصحراء الواسعة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1189.
3- النوى: الهلاك، والدار والتحول من مكان لأخر. الفيروز آبادي: نفسه –ص1206.
4- تخوفني: عند ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص75.
5- دعيني: عند ابن بسام: المصدر نفسه -ق1 – ج1 – ص75. والصفدي: الوافي بالوفيات- ج5 – ص243.
6- آجنا: الآجن: هو الماء المتغير الطعم واللون. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص1058.
7- نمير: الزاكي من الماء. الفيروز آبادي: نفسه – ص439. ونقول ماء نمير: عذب ناجع. الزمخشري: المصدر السابق – ص473.
8- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص75.
9- مبغوم: للظبية والناقة بغام، وهو أرخم صوتها. الزمخشري: المصدر السابق – ص27.

وبعد انقضاء الدولة العامرية اتجهت أشعاره المدحية الى بعض من جاء بعده من أمثال سليمان بن الحكم، فاغتنمت شعراؤها الوضع الذي آلت اليه الأندلس من اشتداد الفاقة، فأصبح هؤلاء كالبزاة الفذة الجياع[4]، فكان من بين هؤلاء ابن دراج الذي مدحه بقصيدة طويلة [من الطويل]

هَنِيئاً لِهَذَا المَلِكِ رَوْحٌ وَرَيْحَانُ ـــ وَلِلدِينِ وَالدُّنْيَا أمانُ وَإِيمَانُ

فَإنَّ قَعِيدَ الخَزْيِ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهُ ـــ وَإِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانُ

سَمِيٌّ الذِي انْقَادَ الأَنَامُ لأمْرِهِ ـــ فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الأَرْضِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌ

يظهر من خلال هذه الأبيات أن ابن دراج ظن أن انتصار سليمان هذا قد يحقق له تلك الحياة الكريمة التي عاشها في ظل الدولة العامرية، فما ان دخل الخليفة الجديد قرطبة وكان ذلك سنة 403هـ/1012م، أسرع في تهنئته بالملك، ويظهر شماتته للمهدي بن عبد الجبار والذي وسمه بقعيد الخزي.[5]

وله يصف رجاله المحاربين:

وَقَدْ لَمَعَتْ حَوَلَيْكَ مِنْهُمْ أَسِنَّةٌ ـــ تُخَيِّلُ أَنَّ الحزْنَ[6] وَالسَّهْلَ نِيرَانُ

أُسُودُ هِيَاجٍ مَا تَزَالُ تَرَاهُمْ ـــ تَطِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الكَرِيهَةِ عُقْبَانُ

وَأَقْمَارُ حَرْبٍ طَالِعَاتٌ كَأَنَّمَا ـــ عَمَائِمُهُمْ فِي مَوْضِعِ الرَّوْعِ تِيجَانُ[7]

فبعد وصفه لجنود سليمان هذا، وما كانوا يتمتعون به من قوة وشجاعة سيقوم بعدها بتحديد أعراقهم وانتماءاتهم بقوله:

وَكُلُّ زَنَاتِيٌّ كَأَنَّ حُسَامَهُ ـــ وَهَامَةَ منْ لاَقَاهُ نَارٌ وَقُرْبَانُ

وَأَبْيَضُ[8] صِنْهَاجٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ[9] ـــ شِهَابٌ إِذَا أَهْوَى لِقَرْنٍ وَشَيْطَانُ[10]

1- لحظه: عند الصفدي – المصدر السابق – ج5 – ص243.
2- بموقع: عند ابن بسام الشنتريني: ق1 – ج1 – ص75. وعند الصفدي: نفسه – ج5 – ص243.
3- الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – صص129-130.
4- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص122-123.
5- ابن الخطيب: نفسه – ص123 وما يليها. ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص64.
6- الحزن: ما غلظ من الأرض. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1071.
7- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص64.
8- الأبيض: السيف. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص573.
9- السنان: جمع أسنة، وهو نصل الرمح. الفيروز آبادي: السابق – ص1088. ونقول : أسننت كأن سنانه الرمح. جعلت له سنان. الزمخشري: المصدر السابق – ص222.
10- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص65.

فمن هذه الأعراق البربر والممثلين في زناتة وصنهاجة، فبعد دخول سليمان المستعين قرطبة سنة 403هـ/1012م سكن الزهراء، وقام بترتيب أموره، فقام بتقسيم كور الأندلس بين رؤساء البربر، فأعطى صنهاجة إلبيرة وبني برزال وبني يفرن جيّان، وغيرها من القبائل البربرية وذلك بسبب شجاعتهم واستيلائهم على قرطبة، فكان منهم الحاجب والوزير.[1]

وقال في مدح الفتى خيران العامري[2] قصيدة طويلة جاء فيها [من الطويل]

لَكَ الخَيْرُ قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانُ ✧ وَبُشْرَاكَ قَدْ وَافَاكَ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

هُوَ النَّجْمُ لاَ يُدْعَى إِلىَ الصُّبْحِ شَاهِدُ ✧ هُوَ النُّورُ لاَ يَبْغَى عَلىَ الشَّمْسِ بُرْهَانُ[3]

وبعدها ينتقل الى وصف الأسطول الذي كان خيران هذا متوجها به الى سرقسطة سنة 407هـ/1016م،فيقول:

إِلَيْكَ شَحَنَّا الفُلْكَ تَهْوِي كَأَنَّهَا ✧ وَقَدْ ذعرَتْ عَنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ غربَانُ

عَلىَ لُجَجٍ خُضْرٍ إِذَا هَبَتْ الصَّبَا ✧ تَرَامَى بِنَا فِيهَا ثَبِيرٌ وَثَهْلاَنُ[4]

ثم يعود للمدح مرة اخرى فيقول منها:

وَلاَ يَأْسَ مِنْ رَوْحٍ، وَفِي اللَهِ مَطْمَعٌ ✧ وَلاَ بُعْدَ مِنْ[5] خَيْرٍ وَفِي الأَرْضِ خَيْرَانُ[6]

ويدلي أحمد أمين بدلوه حول هذه القصيدة، فيقول: "وحتى هذا الوصف الجميل للأسطول انما ورد أثناء مدحه للأمير، وكذا وصفه لأشياء أخرى، فهو قد جنى على نفسه بتوجيهها الى المديح فقط، والمديح غالبا لا ينبع من القلب، وانما ينبع من غريزة الطمع". ثم يضيف قائلا: بان الاشادة به يجب ان يتعرض الى فخامته وعظمته، لا لأنه هو ملك لأمير، وانما يمثل عظمة هذه الأمة وعزّتها وقوّتها، واعتزازها بالآلات الحربية التي

1- ينظر عن دور البربر ومساندتهم له عند ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص111. ابن الخطيب: المصدر السابق – ص119.

2- يمكن تتبع أخباره عند ابن عذاري: البيان – ج3 – ص96-120-121.

3- هذان البيتان لم يردا عند الثعالبي، وقد أثبتهما من الذخيرة – ق1 – ج1 –ص82.

4- ثبير وثهلان: أما الأول فهو أعلى جبل بمكة وأعظمها، وأما الثاني: فهو جبل باليمن. الحميدي: المصدر السابق – ص149 و ص151. البكري: المسالك والممالك – مج1 – ص57.

5- عن: عند الثعالبي: المصدر السابق – ج2 – ص122.

6- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص82-84.

تملكها دولته[1]، في حين نجد ابن بسام قد أثنى ثناءً حسنا عند ايراده لهذه القصيدة، وهذا ما يفهم من قوله: "ورأيت اثبات بعضها لحسنها".[2]

وله في مدح المنذر بن يحي التجيبي صاحب سرقسطة، وهو من مستحسن شـــعره [الكامل]

يَا عَاكِفِينَ عَلىَ المُدَامِ تَنَبَّهــُوا ⸎ وَسَلُوا لِسَانِي عَنْ مَكــَارِمِ مَنــْذِرِ

مَلِكٌ لَوِ اسْتَوْهَبْتَ حَبَّةَ قَلْبِــهِ ⸎ كَــرَمًــــا لجـَـادَ بهَا ولَمْ يَتَعَــذَّرِ[3]

لقد جانب شاعرنا هذا، جانبا من الحقيقة عند تركيزه على كرم المنذر، فالمصـــادر التي ترجمت لهذا الأخير، تذكر بأنه كان كريما، وكان يزدل العطاء لكــل مــن يقصــده، ولكرمه هذا، فقد وفدت اليه الوفود من كل حدب وصوب، وكان نتيجة كل ذلك ان عمرت مدينة سرقسطة، فحسنت أيامه، فهتف المداح بذكره.[4]

وقد ظهرت صورة الحرب في شعر الطبيعة على يــدي ابــن دراج حــين جعــل الرياض أرضا للعدو يجب غزوها، وجعل السوسن معاقل شــيدها الربيــع يجــب دكهــا بالمجانيق[5]، فمما جاء فيها قوله:

جَهِّزْ لنَا فِي الأَرْضِ غَزْوَةَ مُحْتَسِبْ ⸎ وَانْدُبْ إِلَيْهَــا مَنْ يُسَاعِــدُ وَانْتَــدِبْ

وَأَهِبْ بِأَجْنَادِ السُّرُورِ وَقُــدْ بِــهَا ⸎ نَحْوَ الرِّيَاضِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ منْ ركَبْ

وَانْصِبْ مَجَانِيقًــا مــِنَ النِّيَمِ[6] التـِّـي ⸎ أَحْجَارُهُنَّ مِنَ الرَوَاطِــمِ[7] وَالنُخَــبِ

لِمَعَاقِلٍ مِنْ سَوْسَــنٍ قَــدْ شَيــَّدَتْ ⸎ أَيْدِي الرَّبِيعِ بِنَاءَهَا فَوْقَ القُضْــبِ.[8]

1- أحمد أمين: ظهر الاسلام – ج3 – صص100-101.

2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص82.

3- الحميدي: المصدر السابق – ص99. ابن دحية الكلبي: المصدر السابق – ص137.

4- ابن الخطيب: المصدر السابق – ص196. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص176.

5- يوسف طويل: المرجع السابق – ص85.

6- النيم: ج- نيمة وهي عند أهل الأندلس القنينة أو الزجاجة، والنيم: شجر يتخذ منه القداح. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1050.

7- الرواطم : ج رطومة، ومعناها أيضا القنينة، وهو لفظ أندلسي مأخوذ من اللغة الاسبانية القديمة Rotama. يوسف طويل: المرجع السابق- ص85.

8- ابن دراج: ديوان - ص

وأما ثاني أفراد هذه الأسرة هو: الفضل بن أحمد بن درّاج (كان حيا في ق5هـ/ 11م) الذي كان من الأدباء الشعراء، وقد حذا حذو أبيه في قرض الشعر، فسار على طريقة والده[1]، وقد انشد له الحميدي [من الخفيف]

وإذَا مَا خُطُوبُ دَهْرٍ أَنَافَتْ[2] ⟡ وَأَطَافَتْ[3] كَأَنَّهَا الجِنُّ تَسْعَى

كَلأَتْنَّ مِنْ لَسْعِهِنَّ أَيَادِي ⟡ مَلِكٍ يَكْلأُ[4] الأنَامَ وَيَرْعَى

مَلِكٍ إنْ دَعَاهُ لِلنَّصْرِ يَوْمًا ⟡ مُسْتَضَامٌ[5] كَفَاهُ نَصْرًا وَمنعًا

أَوْ عَرَاهُ السَّلِيب صِفْرًا يَدَاهُ ⟡ جَمَعَ الرِّزْق مِنْ نَدَاهُ[6] وَأَوْعَى[7]

وهي قصيدة مدحية، قالها في اقبال الدولة بن مجاهد صاحب الجزرودانية

يبرز الفضل بن أحمد في هذه القصيدة المدحية، قوة وشجاعة ممدوحه، فهذه الصفة هي التي خوّلت له السيطرة على الجزائرودانية عوض أخيه حسن، ثم يضيف اليه صفة الكرم التي اختص بها، فهو ناصر المظلوم ان دعاه لذلك محتاج أو فقير، وكيف لا، وهو الذي وجّه الى مصر مركبا ضخما مملوءا بالطعام عام المجاعة التي كانت عام 446هـ/1054م، وبذلك وقف شاعرنا هذا، بمجانبة الصواب في مدحه له، وان كان غرض شعره كوالده، هو استعطاف هذا الحاكم ليناله من كرمه بعض ما نال الآخرين.[8]

ب) شعراء من بيوتات أخرى

ومن البيوتات النابهة بقرطبة، **بيت بني الطبني**[9] المعدودون من بيوتات الأدب والشعر اذ اشتهر أفراده بقرض الشعر[1] وهذا ما يؤكده الشنتريني حين قال: "اشتهروا بالشعر، اشتهار المنازل بالبدر."[2]

1- الحميدي: المصدر السابق – ص294.
2- أطلت: عند الضبي: المصدر السابق – ص386.
3- وردت عند ابن سعيد هكذا – أطافت... وأنافت. المصدر السابق – ج2 – ص51.
4- كلأه: حرسه. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص48.
5- مستضام: مظلوم – نفسه – ص1021.
6- الندا: هو السخاء والفضل – نفسه – ص1204.
7- الحميدي: نفسه – ص294.
8- ابن الخطيب: المصدر السابق – ص221.
9- الطبني: هذه النسبة بضم الطاء المهملة، وسكون الباء المنقوطة من تحتها بنقطة وكسر النون المشددة هي بلدة بالمغرب من أرض الزاب. السمعاني: الأنساب- ج4 – ص28.

وأول من ظهر من هؤلاء، أبو مُضَر محمد بن الحسين بن محمد بن ابراهيم التميمي الحماني[3] (300هـ-394هـ/912م-1004م) أحد شعراء هذا البيت، وهذا ما شهدت به المصادر التي ترجمت له، فهذا الحِجاري قال في حقه: "وكان من شعره وعلمه وارتفاع مكانه، له خفة الروح وانطباع نادر."[4] أما الحميدي أثنى على بيته، ثم قال: "شاعر مكثر وأديب مفتن."[5] ونحا نحو هؤلاء ابن الفرضي بقوله: وكان "شاعرا محسنا على قدرة من الأدب."[6] كما ذكره ابن بشكوال في طبقات الأدباء، فقال: "دخل الأندلس سنة خمس وعشرين و ثلاثمائة ولم يصل الى الأندلس أشعر منه، وكان واسع الأدب والمعرفة."[7]

ومن الأغراض الشعرية التي طرقها الهجاء، وفي هذا الميدان يقول ابن بسام "ولما صنت كتابي هذا عن شين الهجاء وأكبرته أن يكون ميدانا للسفهاء"[8]، فهذه العبارات أعلن فيها هذا الأديب قراره بصون كتابه الذخيرة عن ذم الآخرين وقدحهم، لأنه لا يرضى أن يكون ميدانا لمثل هؤلاء السّفهاء على حد تعبيره.[9] وهذا ما أكده لنا ابن حزم بقوله "وأما من قال هاجيا لمسلم، ومادحا بالكذب...فهو فاسق".[10]

ولهذا كله، قد لا نعثر على الكثير من مثل هذه القصائد في شعر محمد بن الحسين هذا، وقد يكون ذلك تحسبا للفقهاء، مما فسح المجال لشعر التعفف والحظ على المكارم الأخلاقية.[11]

وفي القليل مما وصلنا من هجائه، نذكر قصيدته النونية التي جاء فيها [من الوافر]

وَوَغْدٍ إِنْ أَرَدْتُ لَهُ عِقَابا ... عَفَا عَنْ ذَنْبِهِ حَسَبِي[12] وَدِينِي

1- الحميدي: المصدر السابق – ص45. المقري: المصدر السابق – ج3 – ص111.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص414.
3- وهو من بيت بني سعيد بن زيد من بن تميم بن مر بن أدد. الحميدي: نفسه – ص88.
4- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص142.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص25. وينظر السمعاني: المصدر السابق – ج3 -ص131.
6- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص387.
7- ابن بشكوال: الصلة – ج2 – ص206.
8- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص420.
9- علي بن محمد: ابن بسام الأنداسي وكتاب الذخيرة – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م- ص339.
10- ابن حزم: رسائل – المج2 – ج3 – ص164.
11- محمد سعيد محمد: ابن شهيد الأندلسي – ص145.
12- الحسب: وهو النسب وما يعد من مفاخر الأباء – الزمخشري: المصدر السابق – ص83.

يُؤَنِبُنِـــي بِغَيْبَـــةِ مُسْتَطِيـــلِ[1] ⟡ وَيَلْقَـــانِـــي بِصَفْحَـــــةِ مُسْتَكِيـــنِ
وَلَوْلاَ الحِلْمَ -إنّ لَهُ لِجَامًا- ⟡ لَــــدَاسَ الفَحـــــلُ ابـــنَ اللَّبـــُـونِ[2]
وَقَالُوا قَدْ هَجَاكَ فَقُلْتُ كَلْبٌ ⟡ عَوَى جَهْلاً إلِىَ لَيْثِ العَرِيـــنِ[3] [4]

ففي هذه الأبيات، يستعمل الطبني كلمات لاذعة حين رام هجو غريمه، كاســتعماله للفظة – وغد – و – كلب - وفي المقابل يصف نفسه بأوصاف تعلو أوصاف مهجــوه، فجعل نفسه ذو حسب ونسب وأنه ليث، وهذا في حد ذاته يظهر لنا مدى حِلمــه وصــبره على أدى صاحبه وقدحه له، وما منع الطبني من الرد بالمثل هو ورعه وتدينــه، وكأنــه يشير الى الآية الكريمة التي نهت عن مثل هذا، فقال أعز من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَــابِ بِــئْسَ الِاسْــمُ الْفُسُــوقُ بَعْــدَ الْإِيمَانِ﴾.[5]

وله في الغزل، وهو اذ ذاك في مجالس الأنس والمرح والشرب مع المنصور بــن أبي عامر اذ كانت بهذا المجلس قيّنة غنّت بيتين من نظم هذا الشاعر جاء فيه:

صَدَقَتْ ظَبْيَةَ الرّصَافَةِ عَنَّــا ⟡ وَهِيَ أَشْهَى مِنْ كُلِّ مَا يَتَمَنَى
هَجَرَتْنَا فَــمَــا إِلَيْهــا سَبِيــلُ ⟡ غَيْرَ أَنَّا تَقُــولُ: كَانَــتْ وَكُنَّــا

فردّدها محمد بن الحسين الطبني، فأنكر ذلك المنصور بن أبي عامر، فعلم ما كانت له من مكانة في هذا المجلس وهيبة لم ترق قلبه، فكان مصير الجاريــة قطــع رأســها، ووضعه في طست وجعله بين يدي الطبني، ثم أمره ابن أبي عامر أن يطلب منها اعـــادة هذين البيتين، فسقط في يده.[6]

ومن شعره في الخمريات ما اورده الحجاري في مسهبه:

إجْتَمَعْنَا بَعْدَ التَفَــرُّقِ دَهــرًا ⟡ فَظَلِلْنَـــا نَقْطَـــعُ العُمــرَ سُكــْـرًا
لاَ يَرَانِي الإِلَـــهُ إِلاَّ طَرِيحًا ⟡ حَيْثُ تُلْقِي الْغُصُونُ حَوْلِي زَهْرًا

1- استطال: اشتد وارتفع، وتفضل. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص925.
2- ولد اللبون: ابن الناقة اذا كان في العام الثاني واستكمله، أو اذا دخل فــي الثالــث . الفيــروز آبــادي: نفســه – ص1108.
3- العرين: مأوى الأسد. الفيروز أبادي – نفسه – ص1095.
4- الحميدي: المصدر السابق – ص45.
5- سورة الحجرات، الآية 11.
6- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص142.

قَائِلاً كُلَّمَا فَتَّحْـــتُ جُفُونِــي ⟡ مِنْ نُعَاسِ الخُمَارِ: زِدْنِــي خَمْــرًا

هذه الأبيات الشعرية تومىء بما لا يدعو للشك، أن مجالس الأنس والسمر لم تكـن دائما تعقد في الأماكن المغلقة، بل كانت في أحايين عدة تعقد بين أحضان الطبيعة بسـبب تلك المناظر الخلابة من طيب التربة وخصب الجناب، والأنهار الغزار والعيون العذاب.[1]

وفيها يصف الحال الذي وصل اليها شاعرنا هذا، من ذماثة أخلاقه، فقد أكثر مـن الشرب حتى عجزت قدماه عن حمله.

ولم تخل مناسبات الأعياد الدينية من شعره، اذ استغل هذا الظـرف فـي توجيـه المدح، و كان ذلك سنة 360هـ/970م، ففي هذا اليوم السعيد ظل الخطبـاء والشـعراء يرتجلون القول وينشدون الشعر، فأكثروا واجادوا، فكان من أحسن ما قـرض فـي هـذا المقام المهيب، قول شاعرنا الطنبي [من الكامل]

نَظَرَ الإِلَهُ إِلىَ البَرِيـَّةِ رَحْمَــةً ⟡ فَاخْتَارَ أَفْضَلَهَــا لَهـَا وَتَخَيـَّـرَا

مَلِكٌ أَقَامَ العَـدْلَ فِـي أَيَامِــهِ ⟡ سُوقًا، فَصَارَ الحَقُّ فِيهِ مَتْجَرًا

لَمْ يَجْرِ طِيّب ذِكْرِهِ فِي مَجْلِسٍ ⟡ إلاَّ حَسِبْتَ بِهِ الهَوَاءَ تَعَطّـرَا

مَلأَ العِبَـادَ سَنَـاؤُهُ[2] وَثَنَـاؤُهُ ⟡ عَدْلاً فَأَكْسَدَ[3] مِسْكَهَا وَالعَنْبَرَا

لاَ يَبْتَغِي السَّارِي دَلِيلاً نَحْوَهُ ⟡ فَالبَـدْرُ مِنْ لَألائِـهِ قَـدْ أَسْفَـرَا

يَجْلُو ظَلاَمَ اللَّيْلِ نُورُ جَبِينِهِ ⟡ فَكـَأَنَّ مُـرْتَتَقَ الدّجنَّـةِ فَجـْـرَا

ففي هذه الأبيات، يثني شاعرنا على الحكم المستنصر بـالله علـى أن اختـاره الله رحمة لرعيته، وفي عهده انتشر العدل وأصبح سوقا نافقة، وأن بكريم أخلاقـه وخصـاله ملأ نوره ظلام الليل، حتى أن نور البدر انكشف أمامه.

ثم ينتقل في الأبيات الأخيرة الى وصف الجمع الغفير الذي حضر لتهنئة خليفـتهم، وهو جالس على السرير بقصر الزهراء، فكان منهم الوزراء والحجاب وأهـل الخدمـة، وهذا ما عبر عنه بـ "أركان السرير"، فقال في هذا الصدد:

فَلَوْ أَنَّ أَرْكَانَ السَّرِيرِ كَوَاكِـبٌ ⟡ يُشْرِقْنَّ لاَسْتَحْقَقْتْ مِنْهَا أَكْثَـرَا[1]

1- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص291.

2- السناء: الرقي والرفعة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1167.

3- اكسد الشيء: أفسده، جعله كاسدا غير مربح، ومنها كسدت سوقهم. الزمخشري: المصدر السابق – ص392.

وله في نفس المناسبة من عيد فطر سنة 361هـ/971م أحسن ما أنشده في جمع غفير بقصر الخلافة قوله من قصيدة طويلة، وصفها ابن حيان بالحسنة، فقال: [من الطويل]

يَا ابْنَ الخَلائِفِ قَدْ عَرَجَتْ إِلىَ المَدَى ⟡ بِـالبِرِّ وَالتَقْـوَى بِـأَكْرَمَ مَعْـرِجِ

وَنَصَـرْتَ أُمَّـةَ أَحْمَـدَ وَحَمَلْتَهُـمْ ⟡ بِيضَ الوُجُوهِ عَلىَ بَيَاضِ المُنَهَجِ

وَلَقَـدْ حَفِظْـتَ وَدِيعَـةَ اللَّهِ التِـي ⟡ اسْتُودِعْتَ حِفْظَ الخَائِفِ المُتَحَرِّجِ

وبعدها يستخلص فيها من مدح الوالد الى مدح الابن هشام المؤيد، والـذي جعلـه حصن أسرته المنيع، وسيقوم بحماية الدين والملة المحمدية، فعن طريقه يمكن اصلاح كل اعوجاج يقع في أركان دولة أبيه، فمبايعته هي من أوجب الواجبات، اذ يضرب بأصـوله العريقة الى أصول النبي – صلى الله عليه وسلم – فعند تتبعنا لنسب بني أميـة، فهـؤلاء يلتقون معه عند عبد مناف بن قصي[2]، فهو بذلك فرع من تلك الفروع المتداخلة والملتفـة كعروق الأشجار. فبالأصل الذي ينتسب اليه يمكن أن يفتح البلاد البعيدة، كـبلاد الأفغـان وفي هذا يقول

حَصِّنْ بِهِ دِينَ النَبِـيِّ مُحَمَّـدٍ ⟡ وَأَقِـمْ بِـهِ أَوَدَ[3] الزَّمَـانِ الأَعْـوَجِ

لَهِجَتْ بِبَيْعَتِهِ النُّفُوسُ فَأَخَـذَهَا ⟡ مِنْ وَاجِبِ الأَشْيَـاءِ لَوْ لَمْ تَلْهَـجِ[4]

عُودُ النُبُوَةِ وَالخِلافَـةِ أَصْلُـهُ ⟡ فَالفَرْعُ مِنْ تِلْكِ العُرُوقِ الوُشَّـجِ[5]

وَإِذَا تَبَلَّجَ[6] وَجْهُ صُبْحٍ مُقْبِـلٍ ⟡ فَالشَّمْسُ تَحْتَ ضِيَائِـهِ المُتَبَلِّـجِ

وَرَامِ المَشَارِقَ بِاسْمِهِ فَلْيَفْتَحَنَّ ⟡ مَا بَيْنَ مِصْرَ إِلىَ بِلاَدِ الرُّخَّـجِ[7]

يَا رَبُّ بَلِّغْـهُ جَمِيعَ رِجَائِـهِ ⟡ لِأَبِي الوَلِيدِ[1] وَزِدْهُ مَا لَمْ يَرْتَـجِ

1- ابن حيان: المقتبس في أخبار الأندلس – ص42.

2- ان نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأما نسب بني أمية، فهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. ينظر ابن الوردي: تاريخ ... – ج1 – ص95.

3- الأود: هو الإعوجاج. الزمخشري: المصدر السابق – ص12.

4- لهج به: أغري به، فثابر عليه. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص186.

5- الوشج: نقول وشجت العروق والأغصان، اذا تشابكت. الزمخشري: نفسه – ص499. الفيروز آبـادي: نفسـه– ص190.

6- تبلج: نقول: بلج الصبح، أضاء وأشرق. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص165.

7- ينظر عنها: ابن خردادبة: المسالك والممالك – مطبعة بريل – 1889م -ص35-39.

لِيَدُمْ سِرَاجُ اللَّهِ فِي هَذَا الوَرَى ⸎ فَضِيَاؤُهُ مِنْ فَضْلِ نُورِ المُسْرِجِ[2]

ففي مدحه لابنه الوليد هذا، وهو لا يزال صغيرا نوع من المبالغة من طرف هــذا الشاعر، لأن خصال المرء ورجولته تظهر عند وصوله الى مرحلة الشباب، وما يدل على هذه المبالغة أن ممدوحه سيرث الملك ولن يحكم ساعة واحدة، وسيتسلط عليــه الحاجــب المنصور بن أبي عامر.

كما تطرق هذا الشاعر الى الوصف، منها وصفه لناعورة، فأحســن وصــفها، اذ جعل لها أنينا كأنين الانسان الذي هجره أليفه، ثم يصف دورانها وهي تلقي المــاء علــى الأرض لتسقي به الزرع، وكأنه دموع حبيب على حبيبه، تبكي هذا الفراق ومن تحت هذه الدموع أزهار تبتسم فرحة بذلك، وفي ذلك يقول:

أَنَّــتْ أَنِينَ مُغَــرَّبٍ عَنْ إِلْفِـــهِ ⸎ وَدُمُوعُهَا مِثْلُ الجُمَانِ سَوَابِــقُ

تَبْكِي وَيَضْحَكُ تَحْتَ سَيْلِ دَمْعِهَا ⸎ زَهْرٌ تَبَسَّــمَ نَــوْرَهُ وَشَقَــائِــقُ[3]

لقد كان تصويره هذا تصويرا رائعا تخللته بعض المحسنات البديعية منها: التشبيهه كتشبيهه للدموع بالجمان، وطباق الايجاب بين تبكي ويضحك.

لقد كان محمد بن الحسين هذا، هو أصل بيت بني الطبني، وبه بدأت مسيرة هــذه الأسرة الأدبية، الا أن قول الشعر وقرضه لم يبق حبيس قريحة هذا الشاعر، وانما كان "له أولاد نجباء مبرزون في الأدب".[4]

فمن هؤلاء نذكر ابا عبد الله بن أبي مضر محمد بن يحي الطبني، وقد أشــاد كــلا من الحميدي والحجاري ببيته ووصفاه بالأدب والشعر، الأمر الذي مكّنه مــن مصــاحبة شعراء ذوي جاه ورياسة من أمثال أبي الحزم جهور وابنه أبي الوليد، كمــا كانــت لــه صحبة بشاعر الأندلس وناثرها ابن شهيد.[5]

ومن شعره الى أبي محمد علي بن أحمد بن حزم أبياتا يذكر فيها حبــل الوصــال الذي كان موجودا بين الرجلين، وفيه يتساءل شاعرنا، هل يتجدد أم يبلى بمرور الأيام، ثم

1- هو هشام بن الحكم

2- السراج: المصباح المنير- نقول سرج الله تعالى وجهه، حسنه وبهجه. الزمخشري: المصدر السابق – ص207

3- ابن الكتاني: التشبيهات من أشعار أهل الأندلس – تحقيق: د/ احسان عباس- دار الثقافة – بيروت – 1966- نقلا عن يوسف طويل: مدخل الى الأدب الأندلسي – ص92.

4- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص52.

5- الحميدي: المصدر السابق – ص88. ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص52.

يستمر قي مناجاته من بلاط مغيث الرومي الذي كان يقطن به، وفي ذلــك يقــول: [مــن الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ حَبْلِ[1] وَدِّكَ هَلْ يمْــ سي جَدِيدًا لَدَيَّ غَيْرَ رَثِيــثِ

وَأَرَانِـــي أَرَى مُحَيَّـــاكَ يَوْمـًــا وَأُنَاجِيــكَ فِي بـِـلاَطِ مُغِيـــثِ

يبدو أن هناك عائق حال دون لقاء الطرفين، فيذكر أنّه لو كان بيده لطار قلبه اليــه دون ملل أو تراخي، وبعدها يستمر في اظهار مدى شوقه له، وحتى ان هذا البلاط الــذي يعد من الجماد لو أنهضه الشوق لجاء اليك يستغيث بك، ويضيف قائلا: وعلى الرغم مــن انك تناسيت العهد الذي بيننا، فإن عهدي لازال قائما في قلبي ولن أنكثه، وهذا ما يفهم من هذه الأبيات.

فَلَوْ أَنَّ الْقُلُــوبَ تَسْطِيـــعُ سَيْــرًا سَارَ قَلْبِي إِلَيْكَ سَيْـــرَ الحَثِيـــثِ[2]

ولَوْ أَنَّ الدِيَارَ يُنْهِضُــهَا الشـَّــوْ قُ أَتَــاكَ البـَــلاَطُ كَالمُسْتَغِيـــثِ

كُنْ كَمَا شِئْتَ لِي، فَإِنِي مُحِــبٌّ لَيْسَ لِي غَيْرَ ذِكْرِكُمْ مِنْ حَدِيــثِ

لَكَ عِنْدِي، وَإِنْ تَنَاسَيْتَ، عَهْــدٌ فِـــي صَمِيـــمِ الفـــؤَادِ غَيــْـــرَ نَكِيـــثِ[3]

ما من شك أن هذه الأبيات تنمّ عن حقيقة تلك الصداقة التي كانت تجمع بين الطبني وابن حزم، وهذا ما يقرّ به هذا الأخير حين قال: "وكنت أنا وهو متقاربين في الأســنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخدنين لا يجري الماء بيننا الاصفاء"، ثم يوضح سبب عدم التقائــه بصاحبه هذا، بسبب الفتنة التي ضربت بأطنابها، وما وقع من نهب البربر لمنــازل ابــن حزم وأسرته، مما اضطرهم الخروج عن قرطبة وسكن مدينة المرية، وبقي تبادل الــنظم والنثر بينهما، وكان هذا الشعر آخر ما قرض بينهما.[4]

1- جفل: عند الضبي: المصدر السابق – ص126.
2- الحثيث: السريع: الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص153.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص88. ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف – حققه وصوبه: أ/ حسن كامــل الصيرفي – دار الفكر – دت – ص118.
4- ابن حزم: المصدر السابق ـــ صص117-118.

ومن أحفاد أبي مضر هذا، أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (ت بعد 450هـ أو 457هـ/1052م -1064م مقتولا). كان أحد أدباء بني الطبني، وشعرائها المطبوعين و شعره كان على طريقة العرب.[1]

ومن شعره المتعلق بمهنة التدريس على طريقة الشيوخ قوله: [من البسيط]

إِنِي إِذَا احْتَوْشَتْنِي[2] أَلْفُ مِحْبَرَةٍ ⁂ يَكْتُبْنَ، حَدَثَنِي طَوْرًا وَأَخْبَرَنِي

نَادَتْ بِعُقْوَتِي[3] الأَقْلاَمُ مُعْلِنَةً ⁂ هَذِي المَفَاخِرُ لاَ قَعْبَانِ[4] مِنْ لَبَنِ[5]

وكانت المناسبة التي قرض فيهما هذين البيتين، فعند عودته من المشرق[6] الى قرطبة، التف حوله بمجلس املائه عدد كبير من الطلاب، عبّرعن هذا الجمع الغفير مفتخرا بذلك بهذا الشعر، فهذا المجلس على حد تعبيره، مجلس علم لا مجلس أكل وشرب.

وله في الهجاء هذه الأبيات:

شَكَرْتُ لِلْعَامِرِيِّ مَا صَنَعَا ⁂ وَلَمْ أَقُلْ لِلْحُذَيْلِمِي لَعَا[7]

الى أن يقول: وَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ شَاهِدًا لَهُمَا ⁂ حَتَّى تَرَى العَيْنُ ذُلَّ مَنْ خَضَعَا[8]

والمناسبة التي قيلت فيه هذه القصيدة، لما ضرب ابن أبي عامر الحذيلمي هذا، وكان من جلسائه ضربا موجعا والطبني آنذاك كان غائبا عن المجلس، فلما بلغه ذلك قالها هاجيا له ومتشفيا.

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص414. وينظر ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص53. الحميدي: المصدر السابق – ص251. ينظر الضبي: المصدر السابق – ص330.

2- احتوشتني: أحاطت بي. الزمخشري: المصدر السابق –ص99.

3- عقرتي: عند الحميدي- تحقيق: السويفي- ص252. والعقوة: ما حول الداروالمحلة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1102.

4- القعب: هو القدح الضخم. الفيروز آبادي: نفسه – ص117.

5- الحميدي: نفسه – تحقيق: صلاح الدين الهواري- ص276. ابن بشكوال: الصلة – ج2 – ص8. الضبي: بتحقيق: السويفي – ص330.

6- يذكر رابح بونار أنه عاد من المغرب. رابح بونار: المغرب العربي – تاريخه وثقافته – دار الهدى – عين مليلة – الجزائر – دت – ص183.

7- من اللعلاع: وهو الجبان. الفيروز آبادي: المصدر السابق– ص685.

8- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص419.

أما في مدح ما خلفه المشارقة في ميدان الأدب، حتى أنه يقــوم بمقــارنتهم بأهــل الأندلس في اتهامه لهؤلاء بأن ليس لهم أدب بالمرّة، فأدب المشرق قد ضاهى في جودتــه كل أدب، وفي ذلك يقول:

يَا أَهــْلَ أَنْــدَلُسٍ مَا عِنْدَكُــمْ أَدَبٌ ❖ بِالمَشْرِقِ الأَدَبُ النَفــّاحُ بِالطِيــبِ

يُدْعَى الشَّبَابُ شُيُوخًا في مَجَالِسِهِم ❖ وَالشَّيــْخُ عِنْدَهُــمْ يُدْعــَى بِتَلْقِيــبِ[1]

وله شعر على طريقة العرب قوله [من الطويل]

وَضَاعَفَ مَا بِالقَلْبِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ ❖ عَلَىَ مَا بِهِ مِنْهُم حَنِينُ الأَبــَاعــِـرِ[2]

أَتَجْزَعُ آبــَالُ[3] الخَلِيــطِ[4] لِبَيْنِهِمْ ❖ وَتَفْسَحُ[5] مِنْ دَمْعٍ سَرِيعِ البــَوَادِرِ

وَأَصْبِرُ عَنْ أَحْبَابِ قَلْبٍ تَرَحَّلُوا ❖ أَلاَ إِنَّ قَلْبِي طَائِرٌ غَيْــرَ صــَابِــرِ[6]

هذه القصيدة هي طللية كعادة شعراء العرب القدامى، فالوقوف على الأطلال، هــو محاولة الشاعر التواصل مع من كان لهم معهم وصال، والوقوف على آثارهم ليبكي فراق الأحبة، فشاعرنا هذا، أحسّ بوهن وضعف في قلبه مذ أن رحلت عنه معشوقته، حتى أنــه حنّ الى بعيرهم، وهذا يدل على أنه فقد الأمل في عودتهم، ولم يجد سوى الصبر لفراقهم، وأن قلبه لازال يهفو اليهم.

لم يبق قرض الشعر منحصرا على هؤلاء، وانما ظهر أفــراد آخــرون، قرضــوا الشعر فأحسنوا، نذكر منهم: أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن زيادة الله، وابنــي عمــه ابراهيم وزيادة الله بن عبد الملك، فتوراث هؤلاء قرضه أبا عن جد.[7]

كما ظهر على الساحة الأدبية **بيت بني الباجي،** فكانوا مــن ذوي البراعــة فيــه[8]، فورثوا ذلك كابر عن كابر، كان منهم:

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص7.
2- الأباعر: ج- بعير. الزمخشري: المصدر السابق – ص26.
3- أمال: عند الحميدي: المصدر السابق – تحقيق: السويفي – ص330.
4- الخليط: هو الشريك، والمشارك في حقوق الملك كالشرب والطريق. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص599.
5- سفح الدمع: سفحت العين دمعا، أي أرسله سفحا وسفوحا. الزمخشري: المصدر نفسه – ص211. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص204.
6- الحميدي: المصدر نفسه – ص252.
7- ينظر في ترجمته – ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص417-422. ابن ســعيد: المصــدر السابق – ج1 – ص53.
8- ابن الأبار: التكملة...ج1 – ص193.

أبو عمر يوسف بن أحمد بن محمد القيسي (ت404هــ/1013م)، كان من الأدبـــاء البارعين، الا أن المصادر لم تتبث له أبياتا شعرية كبقية شعراء عصره، بسبب غلبة النثر عليه.[1]

واقتفى أثره ابنه أبو القاسم جعفر بن يوسف بن أحمد (ت435هــ/1043م) تـــرجم له الحميدي واكتفى بالقول: أنه كان يروي الأشعار عن أبي العلاء صـــاعد بـــن الحســـن اللغوي وغيره،[2] ونحا نحوه ابن بشكوال[3] فكانت براعته في هذا الميدان كبراعـــة والـــده، وكان ابنه كبقية أفراد أسرته في الآدب والتقدم فيه.[4]

وممن برز في الشعر من أبناء أبي القاسم، أبو عمر يوسف بن جعفر بن يوســـف، كانت له منزلة خاصة عند المقتدر بن هود ملك سرقسطة[5]، وهذا ما يؤكده ابـــن خاقـــان بقوله: "واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله وأحلّه من الحظوة لديه ما أحلّه" وعلى حد قوله أنه بحر في ميدانه هذا، فكان لا يجارى فيه ولا يبارى.

ومن شعره يخاطب اخوانه [من المتقارب]

سَلاَمٌ عَلَـــى صَفَحَـــاتِ الكَـــــرَمِ ⟡ عَلَىَ الغرَرِ[6] الفَارِجَاتِ الغمَـــمِ

عَلَى الهِمَمِ الفَارِعَاتِ[7] النُّجُـــومُ ⟡ عَلَىَ الأَيمَنِ الغَامِـــرَاتِ الديـــــمِ

إلى قوله:

شَجَى[8] عَنْ نِزَاعٍ يُذِيبُ الدُّمُوعَ ⟡ بِنَــــــــارِ الجــوَانِــــــحِ[9] لاَ عـــَـــــــنْ نـــَـــــــدَمِ[10]

ومن شعره يشيد فيه بتلك الانتصارات التي حققها المعتمد على احـــدى الحصـــون الواقعة بالقرب من حصن بطروش الواقعة بمدينة غافق، والذي يعتبـــر مـــن الحصـــون

1- نفسه – ج1 – 193 – ج4 – ص199.
2- الحميدي: المصدر السابق – ص164.
3- ابن بشكوال: الصلة – ج1 – مج1 – ص115.
4- ابن الأبار: المصدرنفسه – ج1 – ص193.
5- ابن سعيد: المصدر اسابق – ج1 – ص328.
6- الغرر: من غر أي خدع والغرور هي الدنيا والغرير هو الخلق الحسن. الفيـــروز آبـــادي: المصـــدر الســـابق – ص405.
7- الفارعات: ج فارع، المرتفع الهيء الحسن. الفيروز آبادي: نفسه – ص672.
8- الشجي: المشغول. الفيروز آبادي: السابق – ص1169.
9- الجوانح: هي الضلوع تحت الترائب، مما يلي الصدر. الفيروز آبادي: نفسه – ص196.
10- ابن خاقان: قلائد العقيان – ص116.

الحصينة والمعاقل الجليلة[1]، اضافة الى حصن المدوّر وهـــي مـــن المعاقـــل المشـــهورة بالأندلس.[2]

ففي هذه الأبيات يبين لنا أبو عمر هذا، أحقية تاريخية مرّت بها الأندلس اذ تســلط ابن ذي النون على حصن المدور الأمر الذي أدى بأبي الوليد ابـــن جهـــور بالاســتنجاد بالمعتمد الذي استطاع أن يسترجع هذين الحصنين.[3]

وفي ذلك يقول: " مادحا المعتمد على شجاعته وقوة بأسه مبيّنا رجوع كل من غافق والمدوّر الى جادة الصواب

أنـــارَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَوَجْهُكَ أَنْوَر ُ ◆ وَجَلَّتْ عَطَايَاهاَ وَقَدْرُكَ أَكْبَـــرُ

وَدارَ كَمَا شِئْتَ القَضَاءُ مُسَاعِدًا ◆ فَجَاءَتْ وِلاَءً غَافِقٌ وَالمُـــدَوَرُ

وفيها يبين كذلك ضخامة جيش المعتمد الذي جهزه لتفيء رؤوس الفتنة الى جـــادّة الصواب، اذ وجّه لهم ثلاثمائة فارس، وأضاف اليها ألف فارس مع قائديه خلف بن نجاح ومحمد بن مرتين[4]، فقال:

أَزَرَتَهُمَـــا بَحْـــرَ الكَتَائِـــبِ مُزْبِـــدًا ◆ فَألقَتْ عَنَانَ الطَوْعِ رضوَى[5] وَصَنْبَرُ[6]

سَرَى فَاسْتَطِيرُوا خِفْيَةً مِنْ تَدْبِيرِهِ ◆ وَلَمْ تَـــكُ لَيــْلاً قَبْلَــهُ الجـــنُّ تُدْعَـــرُ

الى أن يقول في آخرها.

وَهَلْ تَلْتَقِي الأَجْفَانُ إلاَّ عَلَى الرِّضَى ◆ وَأَنْتَ عَلَـــى الدُّنْيَا الإِمَامُ المُؤَمَـــَّرُ[7]

تعتبر هذه الأبيات تأريخ لتلك الأحداث الداخلية التي شهدتها الأندلس عبر تاريخهـــا الطويل "فالمشهور منها كثير، والشعر الذي أثارته غزير كذلك".[8]

لم يقتصر شعر ابن الباجي على الحماسة، بل تعدّاه الى غرض أخر، وهـــو رثـــاء الأفراد و الملوك، وهو ما يعرف بالتأبين، فإذا كان المدح هو الثناء على الشـــخص فـــي

1- الحميري: الروض المعطار...ص426.
2- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص159
3- ابن عذاري : المصدر السابق – ج3 – صص259-260.
4- ابن عذاري: المصدر نفسه– ج3- ص290.
5- رضوى: فرس وجبل بالمدينة. الفيروز آبادي: المصدرنفسه – ص1160.
6- صنبر: ما غلظ من الأرض، ويقصد به الجبل. الفيروز آبادي: نفسه – ص385.
7- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – ص156.
8- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص96.

حياته، فإن هذا النوع من الشعر، هو كذلك بمثابة ثناء على الشخص بعد موتـــه، وذكـــر مآثره، اضافة الى التعبيرعن الفجيعة فيه بقرض أبيات للتعبيرعن فاجعته فيمن فقده.[1]

وهذا ما تترجمه قصيدته التي يؤبن فيها المقتدر بن هود.[2]

كَأَنَّكَ مَا اتَخَذْتَ القَصْــرَ دَارًا ⟡ وَلاَ أَوْقَــــدْتَ بِالعَلْـيــــاءِ نَــارًا

وَلاغَدَت الجُمُوعُ عَلَيْكَ خرسًا ⟡ يَهَابُــونَ السَّكِينَـــة وَالــوَقـــارَا

سَكِينَةُ أَلْمَعِيٍّ[3] فــِي حُبــَاهـَـا ⟡ شَمَائِلُ تَكْسِــبُ الأُنْسَ النّــوَارَا

خَلاَئِقُ يَسْتَنِيرُ الفَضْلُ مِنــْهَا ⟡ رِيَاضُ الحَزْنِ سَامَرَتِ القِطَارَا[4]

ولا يخامرنا الشك في ان **بيت بني الهوزني** كانت له مشاركة في قرض الشعر لــم نقف الا على اثنين نذكرهما على التوالي:

أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن (392هــ-460هـ/1001م-1067م)، والذي كان له عند عبّاد مكانة مرموقة، وهذا ما عبّرعليها ابن بسام بقوله: "وكـــان بينـــه وبين عبّاد قبل افضاء الأمر اليه، ومدار الرياسة عليه، ائتلاف الفرقدين، وتضافر اليـــدين واتصال الأذن بالعين."[5] كما تميّز باتساع أفقه المعرفية، وهذا ما يفهم من كلام ابن خزرج حين قال: "كان متفننا في العلوم، قد اخذ من كل فن منها بحظ وافر مــع تقــوب فهمـــه، وصحّة ضبطه."[6] ونحا نحوهما عياض بقوله: "نظر في علوم قديمـــة مـــع أدب صـــالح، وشعر حسن."[7]

ومن شعره قوله [من الطويل]

أَعَبَّادُ جَلَّ[8] الرُزْءُ[9] وَالقَوْمُ هُجَّعُ ⟡ عَلـــــَى حـَالــــــَةٍ مِــــــن[10] مِثْلِهَـــا يُتــَوَقـــَّعُ[1]

1- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص194.
2- ينظر شجرة نسب بني هود عند الحجي: التاريخ الأندلسي – صص358-359
3- الألمعي: ومنها اليلمعي، وهو الذكي المتوقد. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص686.
4- القطارا: ومنها القطر من قطر الواحدة قطرا. ج قطار، و يقصد بها الدمغ. الفيــروز آبـــادي: نفســه – ص418. وينظر الزمخشري: المصدر السابق – ص370.
5- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3- صص66-67.
6- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص38.
7- عياض: ترتيب المدارك...بتحقيق: أحمد بكير محمود – مج2 – ج4 – ص826.
8- حل: عند عياض: المصدر السابق– مج2 – ج4 – ص826.
9- الرزء: هي الرزئية أي المصيبة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص40
10-. ما: عند المقري: المصدر السابق- ج2 – ص251.

فَلَقٌ[2] كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً ⸎ وَإِنْ طَالَ فَالمَوْصُوفُ[3] لِلطُّولِ مَوْضِعُ

إِذَا لَمْ أبثُّ الدَاءَ رَبَّ دَوَائِهِ[4] ⸎ أَضَعْتُ وَأَهلٌ لِلمُلاَمِ[5] المُضَيَّعِ[6]

تعتبر هذه القصيدة من انواع الشعر الذي دارت موضوعاته حول تحريض الحكّام على الجهاد وغزو الشرك في عقر ديارهم، وذلك لصد هجمات العدو واسترجاع ما سلب من الوطن الجريح، فكان أبو حفص هذا أحد العلماء الذين خاضوا في ذلك، بعد ان غلب الروم على مدينة بربشتر[7] سنة 456هـ/1063م، فعظمت نكبة المسلمين بهذه المصيبة التي أحاطت بهم، فضاقت بهم الأرض شرقا وغربا، فخاطب أبو حفص الهوزني هذا، برقعة ضمّها هذا الشعر الذي خاطب به المتعضد من مرسية، يحظّه على الجهاد من أجل دحر العدو واسترجاع الأرض المسلوبة.[8]

ومن شعره كذلك يحظ على الجهاد ويستنفر كواف البلاد، قوله [من المديد]

بَيَّتِ الشَّرَّ فَلاَ يَسْتَزِلُّ[9] ⸎ طرق النّوامَ سَمْعٌ أزَلُّ[10]

فَثِبُوا وَاخْشَوْشِنُوا وَاحْزَئِلُوا ⸎ كُلُّ مَا رِزْءٍ سِوَى الدينِ قُلُّ[11]

صَرَّحَ الشَّرُّ فَلاَ يُسْتَقَلُّ ⸎ إِنْ نَهَلْتُمْ[12] جَاءَكُمْ بَعْدُ عِلُّ[13]

بَدْءُ صَعْقِ الأرْضِ نَشْءٌ[1] وَطَلٌّ[2] ⸎ وَرِيَاحٌ ثُمَّ غَيْم أبَلُّ

1- يتقنع: عند عياض: نفسه – نفس الصفحة.

2- تلق: عند عياض: نفسه – نفس الصفحة.

3- فالوضع: عند عياض: نفسه – نفس الصفحة.

4- نجاحه: عند ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص172. شكاية: عند المقري:المصدر السابق – ج2 – ص251.

5- البلاء: عند عياض: نفسه – نفس الصفحة.

6- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – ص68.

7- ينظر في ترجمتها ابن غالب: قطعة من فرحة الأنفس – ص295.

8- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق2 – ج3 – ص67. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص171. عياض: المصدر نفسه – مج2 – ج4 – ص826. وينظر يوسف طويل: المرجع السابق – ص29. والحجي: التاريخ الأندلسي- ص348.

9- يستزل: من زلت، اذا زلقت في طين. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص909.

10- السمع الأزل: ذئب ارسح، يتولد بين الضبع والذئب. الفيروز آبادي: نفسه – ص909. وينظر الزمخشري: المصدر السابق – ص195.

11- القل: بالضم والقلة بالكسر، ضد الكثرة. الفيروز آبادي: نفسه – ص945.

12- النهل: هو أول الشرب. الفيروز آبادي: نفسه – ص960.

13- الغل: والغلل محركة، الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا- نفسه – ص932.

قَــدْ رَجَــتْ عــَادٌ سَحَابٌ يُهِلُّ ❊ فَإذَا رِيــحٌ دَبُـــورٌ مِحَـــــلُّ[3]

نَقّبُــوا[4] فَالـــدَاءُ رُزْءٌ يَحُـــلُّ[5] ❊ وَاغْمِدُوا سَيْفــًا عَلَيْكُــمْ يُسَــلُّ[6]

ففي هذه الأبيات يحذّر الهوزني من سطوة هؤلاء الذئاب الذين أرادوا الشر بهـم، ويطلب منهم بألا يستخفّوا بهؤلاء الأعداء وان كانوا قلة، فسيصبحون من بعد كُثُر يهددون كيانكم، فشبّههم بذلك الوابل من المطر الذي يكون في بدايته أمطـارا ضـعيفة لا خـوف منها، ولكن سرعان ما تتحوّل الى سيول جارفة تأتي على الأخضر واليابس.

لم يكتف بهذا التشبيه، بل شبّه حالتهم هذه بقوم عاد الذين رأووا سـحابة، وكأنهـا منذر خير، ولكن سرعان ما أصبحت ريحا صرصرا، جعلت الأرض بورا بسـبب ذلـك الجفاف والقحط الذي أصاب أرضهم، ولهذا كله، فهو يطلب منهم ضرورة الوقـوف فـي وجه هذا الخطر المحدق بهم.

كما نلاحظ من خلال هذه الأبيات تأثره بمـا ورد فـي الأثـر، فاسـتعماله لـــ "اخشوشنوا" فهذا مقتبس من قول عمر بن الخطاب – رضـي الله عنـه – الـذي قـال: "اخشوشنوا، فإن النعمة لا تدوم." ، كما اقتبس الهوزني في شعره هـذا مـن آي القـرأن الكريم قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْـهِ إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[7]

ويتكرّر تأثره بآي القرآن الكريم في قصيدته "الدالية" الذي يتأسف فيها على ذهـاب الدين امام مرآى من أعين المسلمين، ويجهرون بالكفر على الملأ، ثم يقوم بتوجيه تحـذير لهؤلاء مما سيلحق بهم، كما لحق بقوم ثمود، وكأنه يشير الى الآية الكريمة ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُـرُونَ ، فَمَـا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾.[8]

وفي هذا المعنى يقول:

1- رش: عند المقري: المصدر السابق – ج2 – ص252. والنشء: هم صغار الابل. الفيروز آبادي: نفسه – ص51.
2- الطل: هو المطر الضعيف، أو اخف المطر أو أضعفه، أو الندى أو فوقه. الفيروز آبادي:السابق – ص923
3- المحل: الجذب والشدة، وانقطاع المطر – نفسه – ص952.
4- خفظوا: عند المقري:السابق – ج2 – ص252.
5- أجل: عند المقري: نفسه – نفس الجزء والصفحة.
6- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – صص72-73. المقري: نفسه – ج2 – ص252.
7- سورة الذاريات- الآية41.
8- سورة الذاريات – الآية – 43 – 44 – 45.

أيــَا أسَفــًا لِلدِينِ إذِ ظَلَّ نُهْبَةً ⇜ بِأعْيُنِنَا وَالمُسْلِمُونَ شُهُــودُ
أفِي حَرَمِ الرَّحْمَنِ يُلْحَدُ جَهْرَةً ⇜ وَيَجْعَلُ أشْرَاكَ الإلَهِ يَهُــودُ
وَيُثْلَبُ بَيْتُ اللَهِ بَيْــنَ بُيُوتِكُــمْ ⇜ وَقَادِرُهُ عَنْ رَدِّ ذَاكَ قَعِيــدُ

هذا بعض من كل ما جادت به قريحة شاعرنا هذا، الا أنه أورث الشعر وقرضه لخلفه والذي كان منهم: أبو القاسم الحسن عمر الهوزني (435هـ-512هـ/1043م-1118م)، ترجم له ابن بشكوال ولم يذكر له اسهامات في هذا الميدان،[1] أخذ عن والده وقد يكون الأدب احدى العلوم التي أخذه عنه.[2]

ومن البيوتات التي وصفتها المصادر بالتمكن في الأدب **بيت آل المصحفي،** فممن ظهر منهم: أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي (ت372هـ/982م) فصل في ترجمته ابن خاقان وقال في حقه: "كان له أدب بارع وخاطر الى نظم القريض مسارع."[3] وهذا ما يؤكده لنا ابن الأبار بقوله: "وله شعر كثير مدون يدل على تمكنه من الاجادة، وتصرفه في أفانين البيان."[4] ونحا نحوه الحميدي، فقال: "كان من أهل العلم والأدب البارع، وله شعر كثير رائع، يدل على طبعه وسعة أدبه."[5]

فمن شعره يحكي فيه ما أصابه من نكبات الدهر، قوله يستريح من نكبته [من الطويل]

صَبَــرْتُ عَلىَ الأيَامِ لَمــَّا تَوَلّتْ ⇜ وَألْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهاَ فَاسْتَمَرَّتْ
فَوَا[6] عَجَباً لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرَافُــهُ[7] ⇜ وَلِلْنَفْسِ بَعْدَ العِزِّ كَيْفَ اسْتَــذَلَّــتْ

وكان سبب قرضه لهذه الأبيات تلك النكبة التي أصابته، فقد سخط عليه المنصور بن أبي عامر وأبعده عن الحجابة، سنة 367هـ/977م ولم يكتف بذلك، بل أمر بالقبض عليه وعلى ولده وابن أخيه هشام، وانتزعت من بين أيديهم الخطط التي كانوا على رأسها، كما أخذت منهم الأموال وانتهكت حرماتهم حتى مزقهم كل ممزق، وانتهى الأمر بآل

1- ابن بشكوال: المصدر السابق- مج1 – ج1 – صص124-125.
2- عياض: المصدر السابق – مج2 – ج4 – ص826.
3- ابن خاقان: مطمح الأنفس...ص4.
4- ابن الأبار: الحلة السيراء...ج1 – ص259.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص164.
6- فيا: عند ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص268..
7- اضطباره: عند ابن عذاري: نفسه – نفس الصفحة.

المصحفي الى قتل هشام المذكور، واستمرت النكبة على جعفر عدة سنين، يحـــبس مـــرة ويطلق مرة أخرى.[1] ولكي ينتقم منه ابن أبي عامر، فكان يخرجه معه في غزواته.[2]

ومن شعره يستعطف ابن بي عامر قوله [من المتقارب]

عَفَا اللــَّهُ عَنْــكَ أَلاَ رَحْمَـــةً ◆ تَجُودُ بِعَفْــوِكَ أَنْ أَبْعَــدَا

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِــدْهُ ◆ فَأَنْتَ أَجَــلُّ وَأَعْلَــى يَــدَا

أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَـــدَا طَــوْرَهُ ◆ وَمولًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى

وبقي المصحفي هكذا، متقلبا بين اليأس والأمل، مستشفعا إياه، الا أن شعره هذا، لم يفده في ذلك، وبقي بالمطبق في سجنه الى أن وافته المنية سنة 372هـ/982م فأسلم الى أهله في أقبح صورة، وقيل قتل خنقا.[3]

وفي أبيات شعرية، يظهر لنا تلك الحالة المزرية التي وصل اليها، اذ لم يكن له لا مال ولا زاد، وهو يسف ابنه عثمان دقيقا قام بخلطه بالماء وهو يقول: [من الطويل]

تَأَمَّلْتُ صَرْفَ الحَادِثَاتِ فَلَمْ أَزَلْ ◆ أَرَاهَا تُوفِي[4] عِنْدَ مَوْعِدِهَا الحُــرَّا

فَلِلــَّهِ أَيَــامٌ مَضَــتْ بِسَبِيلِــهَا[5] ◆ فَإِنِــي لاَ أَنْسَــى لَهَا أَبَدًا ذِكْــرَا

الى قوله:

وَمَـــا هَذِهِ الأَيَــامُ إِلاَّ سَحَائِــبٌ ◆ عَلىَ كُلِّ أَرْضٍ تُمْطِرُ الخَيْرَ وَالشَرَّا[6]

وله في تعزية نفسه حين أودعه المنصور المطبق، فقال [من المتقارب]

أُجَازِي الزَّمَانَ عَلَــى حَالِــهِ ◆ مُجَازَاةَ[7] نَفْســي لِأَنْفَاسِــهَا

ومن شعره في الوصف، يصف سوسنة جاء فيها [من]

يَا رُبَّ سَوْسَنَةٍ قَدْ بِــتُّ أَلْثُمُــهَا[8] ◆ وَمَالَهَا غَيْرَ طَعْمِ المِسْكِ مِنْ رِيقِ

مُصْفَرَّةُ الوَسْطِ، مُبْيَضٌ جَوَانِبُهَا ◆ كَأَنَّهَا عَاشِــقٌ فِي حِجْــرِ مَعْشُــوقِ[9]

1- ابن عذاري: نفسه – نفس الجزء – صص267-268.
2- ابن خاقان: المصدر السابق – ص4.
3- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج1 – ص259.
4- توافي: عند ابن عذاري: المصدر السابق– ج2 – ص271.
5- لسبيلها: عند ابن عذاري: نفسه – نفس الجزء والصفحة.
6- ابن خاقان: نفسه – صص6-7.
7- مجازاة: عند الحميدي: المصدر السابق – ص164.
8- ألثمها: من فعل لثم ومنه لثم فاها، أي قبلها. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1043.
9- ابن الأبار: الحلة...ج1 – ص261.

وقوله يصف سفرجلة، وقيل أنه ارتجلها

وَمُصْفَرَّةٌ تَخْتَالُ[1] فِي ثَوْبِ نَرْجِسٍ ـــ وَتَعْبَقُ عَنْ مِسْكٍ ذَكِيٍّ التَنَفُّـــسِ

لَهَا رِيحُ مَحْبُوبٍ وَقَسْـــوَةُ قَلْبِـــهِ ـــ وَلَوْنُ مُحِبٍّ حُلَّةَ السَّقْمِ مُكْتَسِي[2]

فهذه الأبيات التي طرقها شاعرنا هذا، تدل على شغفه بالصورة التي تقـــع عليـــه عيناه، فاستخرج من الطبيعة صورا غريبة، فهو تارة يُشَبِّه السوسنة كأنها حبيب في حجر حبيبة، وتارة اخرى حين وصفه ـــ لسفرجلةــ يجعلها أدمية تلبس حلّة، وريـــح طيبهـــا كريح المحبوب، ثم يُشَبِّه صفرتها من صفرته هو، وبذلك جعل لنا الجماد في وصفه كأنـــه حيٌّ يكاد ينطق من فرط جماله الذي حباه الله به.

أما أبو بكر محمد بن هشام بـــن محمـــد بـــن عثمـــان المصـــحفي (393هـــــ-481هــ/1002م-1088م) قال في حقه أبو علي الغساني أنه: "كان من المتحققين بالأدب، الدائبين على طلبه مدة عمره، وكان ذا صيانة وجلالة.". وذهب نفس المذهب أبو الحســـن ابن المغيث حين قال: "كان حافل الأدب، متسع المعرفة، من بيت وجاهة ونباهة... وكان مثابرا على المطالعة..."[3] واكتفى الحميدي بالقول: أنه "أديب لغوي".[4]

وما يدل على تمكنه في الشعر أنه كان على اطلاع على شعر الجاهلية، اذ قرأ على جده محمد أبي بكر، وكان حين يقرؤها على صاعد اللغوي يسأله عن تفســـير الحـــروف، فكان يورد عليه ما حفظه في اللوح كلمة على كل كلمة.[5]

كما كان **لبيوتات العلم و الرياسة** اسهامات في هذا الميدان، ومرد ذلك أنه بحلـــول ق4هــ (10م) بدأت انظار أفراد هذه الأسر تتجه نحو قرض الشعر والظهور فيه، اضافة الى خوضها في ميادين معرفية أخرى، ولنا في ذلك نماذج عدة سنقتصر على بعض منها.

أول هذه البيوتات **بيت بني يحي الليثي**، فممن ظهر منهم أبو عبد الله محمـــد بـــن عبد الله بن يحي بن يحي الليثي (284هــ-339هـــــ/897م-950م)، فقـــد كـــان ممـــن يقرضون الشعر، وهو ما يؤكده لنا ابن عبد الرعوف في طبقاته حين قال: "كان يتصرف

1- تختال: تتكبر وتتمختر. الفيروز آبادي: نفسه – ص897.
2- مكتس: عند ابن الأبار: المصدر السابق– ج1 – ص261.
3- ابن بشكوال: الصلة – ص556.
4- الضبي: البغية – ص121.
5- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص307.

في علم الأدب تصرف اتقان، وله رسوخ في أفانينه" ثم يضيف قائلا: "وكان ممن قال الشعر بطبع حسن." وتبعه في ذلك الحسن بن محمد بن مفرج في كتابه "الانتخاب"، فقال "لم يكن في قضاة الأندلس أكثر شعرا منه." وقد حضي بحظ وافر حين ذكره ابن عبد الرعوف في كتابه "الشعراء بالأندلس" فقال: "وأخبار ابن أبي عيسى وأشعاره كثيرة."[1]، وقد أثنى عليه كل من ترجم له.[2]

فمن شعره قوله

أَتَتْنِي عَنْكَ أَخْبَارُ ❊ لَهَا فِي القَلْبِ آثَارُ

فَدَعْ مَا قَدْ أَتَيْتَ لَهُ ❊ فَفِيهِ العَارُ وَالنَّارُ

أما المناسبة التي قرض فيهما هذين البيتين، أن أحد أصحاب ابن أبي عيسى هذا جاءه ليلا يخبره بأن فقيهين مشهورين يصحبانه، جاء بشهادة مدخولة، فنصحه بان يرفضها فلما جاء أحدهما، أعرض القاضي عنه وتبسم في وجهه لعله يقوم عنه، الا أنه تمادى، فلما رأى ابن أبي عيسى تصميمه على الادلاء بشهادته المدخولة، كتب هذين البيتين من حيث لم يره الآخر، فألقاها في حجره، فلم يكد يقرأ هذا الشاهد حتى قام من المجلس فارا هو وصاحبه لينجوا بنفسيهما.[3]

وقد طرق شاعرنا هذا غرضا آخر كان يعرف في أدبيات الشعراء بشعر الحنين، فكان هؤلاء من ذوي القلوب والأقلام الشاعرة[4] فانحصرت موضوعاته حول التذكر والتشوق الى الأهل والديار.[5]

فمما أورده أحمد بن فرح الجياني في كتابه "الحدائق" شعره قوله في الغربة [من البسيط]

وَيْلُ أُمِ ذِكْرَايَ[6] مِنْ وُرْقٍ[7] مُغَرَّدَةٌ ❊ عَلَى قَضِيبٍ بِذَاتِ الجِزَّعِ[1] مَيَّاسِ[2]

1- عياض: المصدر السابق – تحقيق: محمد سالم هاشم – ج2 – ص85-89.3

2- ينظر ابن خاقان: المصدر السابق – ص46. الحميدي: المصدر السابق – ص66. ابن الفرضي: المصدر السابق – ص340. مخلوف: المصدر السابق – ص88. ابن حارث الخشني: قضاة قرطبة...صص174-175.

3- عياض: المصدر نفسه– ج2 – ص86.

4- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص273.

5- يوسف طويل: المرجع السابق – 135.

6-وردت عند الثعالبي: "بل ما ادكارك" اليتيمة – ج2 – ص72. وعند ابن خاقان: "ماذا كابد" – مطمح الأنفس – ص47.

7- الورق: هو الذئبة والحمامة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص835.

الى قوله: هِجْنَ[3] الصَبَابَةَ[4] لَوْلاَ هِمةٌ شَرَقَتْ ⸎ فَصَيَّرَتْ قَلْبَهُ كَالجنْدَلِ[5] القَاسِـــي

ففي هذه الأبيات يعبر فيها عن وحشته لأهله ووطنه بمحسنات بديعية تعبر عما في خلجات نفسه من حنين اليهما، فهو يشبه الذي آل اليه بحمامة تنشد وهي بمنطقـــة جـــدباء جرداء لا ماء فيها، وهي تتمختر في مشيتها، فشجى صوتها شاعرنا وذكّره بغربته، وبعده عن مدينته قرطبة، فصار قلبه كالصخرة القاسية.

وله في نفس الغرض قوله [من الخفيف]

لاَ تَلُمْنِي عَلَىَ البُكَاءِ وَالعَوِيـــلِ ⸎ ذَكَّرَتْنِي نَخِيلُ فَاسَ نَخِيلِـــي[6]

ومن شعره في تقلقله في بعض السفرات حين كان عبد الرحمن الناصـــر يرســـله لترتيب المغازي قوله [من]

أَلِفَتْنِي الهُمُومُ مُذْ كُنْـــتُ طِفْـــلاً ⸎ لَمْ تَرُعْنِي وَقَدْ عَلاَنِي القَتِيـــرُ[7]

كُلَّمَا قُلْـــتُ سَالَمَتْنِـــي اللَّيَالِـــي ⸎ وَصَفَا العَيْشُ، شَابَهُ التَكْدِيـــرُ

الى قوله:

زَوْجَتِي أَيِّـــمٌ وَابْنِـــي يَتِيـــمٌ ⸎ فِي حَيَاتِي وَمَنْزِلِي مَهْجُـــورُ[8]

يبدو أن الهموم قد صاحبت شاعرنا منذ صغره حتى اعتاد عليها، فهي تارة صافية خالية من الكدر والشقاء، وتارة اخرى مكفهرة، وما يعبر عن طول هجره لأهله وولده هو ما ورد في البيت الأخير، اذ ان زوجته أرملة وابنه يتيم على الرغم من أن ربّ الأسرة لا زال على قيد الحياة.

وباعتباره من الفقهاء، فقد كان له نصيب في شعر الزهد والرقائق، والأمر الـــذي يدفع الشعراء الى هذا النوع هو قرب هذا الشاعر أو ذاك من الشيخوخة وما تحدثه مـــن

1- الجزع: مكان بالوادي لا شجر فيه. الفيروز آبادي: نفسه – ص638.
2- مياس: المتبختر – نفسه – ص518.
3- هم: عند ابن خاقان: نفسه – ص47. والمقري: المصدر السابق – ج2 – ص189.
4- الصبابة: الشوق. الفيروز آبادي: نفسه – ص97.
5- الجندل: هو الموضع أو البقعة التي لها حجر. الفيروز آبادي: نفسه – ص882.
6- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص88.
7- القتير: من القتور، وهو النخل. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص414.
8- عياض: نفسه – ج2 – ص87

خشية الموت وما بعده.[1] أو يصدر عن بعض الفقهاء الأتقياء، أو عن أناس تابوا عما بدر منهم من معاصي.[2]

وفي هذا يقول ابن أبي عيسى، وكان قد أمر أن يكتب على سريره.

لاَ يَغُرَنَّـكَ يَـا مُحَمَّـدُ لَيْـلٌ ... بِـتَ فِيـهِ عَلَىَ فِـرَاشٍ وَثِيـرِ[3]

مُنَعَّـمِ البَـالِ مُطْمَئِنـًا فَلاَبُـ ... دَّ مِنَ النَّعْشِ بَعْدَ هَذَا السَّرِيرِ

كَمْ فَتَى مِنْهُمْ وكَهْلاً وَشَيْخًـا ... أَلْحَدَتْهُ[4] كَفَاكَ وَسَـطَ الحَفِيـرِ[5]

هذه الأبيات هي عبارة عن أسلوب حواري بين أبي عيسى ونفسه، فقد بدأها بعدم الاغترار، عملا بقوله تعالى: ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[7]

ثم يدعو الى تذكر أفراد أسرته الذين غابوا عن هذه الدنيا، وأصبحوا أثرا بعد عين فيقول:

وَتَذَكَّر بَنِي أَبِيكَ أَبِي عِيسَـى ... ذَوِي الجَاهِ وَالعَدَدِ الكَثِيـرِ[8]

أما اخوه، فكان أقل حظا منه في هذا الميدان، وهو: أحمد بن عبد الله بن يحي ثلاثا (324هـ/935م) ذكره الرازي، ووصفه بالتقدم في اللغة وحسن الشعر والعناية بالعلم.[9] ونحا نحوه ابن عبد الملك المراكشي حين استحسن شعره.[10]

وقد لحق هذا البيت، **بيت بني مغيث** الذي اشتهر بالعلم، الا أن بعض أفراده كان لهم اطلاع بالأدب، فممن ظهر منهم.

أبو محمد عبد الله بن محمد بن مغيث ابن الصفار (285هـ-352هـ/ 898م-963م) كان أديبا ذا مكانة مرموقة شاعرا، ولذلك نال حظوة عند حاكمها الحكم الثاني،

1- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين – ص130.
2- يوسف طويل: المرجع السابق – ص128.
3- فراش وثير: فراش ناعم. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص442.
4- عملت له لحدا، أي: شقا. الفيروز آبادي: المصدر السابق – صص286-287.
5- الحفير: القبر – نفسه – ص341. الزمخشري: المصدر السابق – ص88.
6- سورة لقمان – الآية رقم33.
7- سورة آل عمران: الآية رقم 185.
8- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص87.
9- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص15.
10- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق – تحقيق: محمد بن شريفة – دار الثقافة – بيروت – لبنان – دت – السفر الأول – ق1 – ص190. السيوطي: بغية الوعاة –ص269.

ترجم له ابن بشكوال، وفصل في ترجمته مبينا مكانته فيه، فقال: "من أهل الأدب البارع والشعر الرائق". ولم يكتف بذلك، بل ألف كتابا جمع فيه شعراء الخلفاء من بني أمية[1]، فاعتبر بذلك من المشاهير في العلم والأدب.[2]

لم يبق من شعره الا أقل القليل، وهي أبيات متناثرة بين ثنايا بعض المصادر، فمن ذلك ما أنشدنا اياه ابن حزم [من]

أَتَوْا حِسْبَةً[3] أَنْ قِيلَ جَدَّ نُحُولَهُ ✧ فَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ وَلاَ عَظْمِ

فَعَادُوا قَمِيصًا فِي فِرَاشٍ فَلَمْ يَرَوْا ✧ وَلاَ لَمَسُوا شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى جِسْمِ

طَوَاهُ الهَوَى فِي ثَوْبِ سُقْمٍ مِنَ الضَنَى ✧ فَلَيْسَ[4] بِمَحْسُوسٍ بِعَيْنٍ وَلاَ وَهْمِ

يصف في هذه الأبيات الحالة التي وصل اليها وهو في سن السابعة والستين، اذ نحف جسمه حتى يُتَخَيَّل للناظر أن لحمه اختلط بعظمه، فأصبح جزءا من الفراش الذي ينام عليه لشدة نحالة جسمه.[5]

ومن بين أبنائه الذين اشتهروا بقرض الشعر، نذكر

أبو الوليد يونس بن عبد الله (338هـ-429هـ/950م-1038م) كان "قائلا للشعر النفيس في معاني الزهد وما شابهه." وهو ما يؤكده ابن سعيد في تحليله مبرزا مكانته فيه، فقال: أنه كان "راوية للشعر...له ضلع صالح في الشعر، أنشده في الصبا على الرقيق، وفي المشيب على الوعظ."[6] وهذا ما ذكره ابن خاقان.[7]

من حصاد هذه الفقرات، يظهر أن أبا الوليد هذا، كانت له اسهامات جليلة في هذا الميدان، حتى ان البعض زعم أن انتاجه من الشعر الذي خصه للزهد والتصوف جمع في ديوان.[8]

فمن شعره في هذا المعنى، أي الرقائق والزهد، قوله [من الوافر]

فَرَرْتُ اِلَيْكَ مِنْ ظُلْمِي لِنَفْسِي ✧ وَأَوْحَشَنِي العِبَادُ، فَأَنْتَ أُنْسِي

1- ابن بشكوال: الصلة – مج1 – ج1 – ص214.
2- الحميدي: المصدر السابق – ص221.
3- الحسبة: بالكسر، هي الأجرة – الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص70.
4- وليس: عند ابن خاقان – المصدر السابق – ص59.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص222.
6- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص104.
7- ابن خاقان: المصدر السابق – ص59.
8- ينظر اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج6 – ص572.

رِضَاكَ هُوَ المُنَى وَبِهِ افْتِخَارِي وَذِكْرُكَ فِي الدُّجَى قَمَرِي وَشَمْسِـــــي[1]

قَصَدْتُ اِلَيْكَ مُنْقَطِعًـا غَرِيبًـا لِتُؤْنِسَ وِحْدَتِــي فــِي قَعْــــرِ رَمْسِي[2]

وَلِلْعُظْمَى مِنَ الحَاجَاتِ عِنْدِي قَصَدْتُ وَأَنْــتَ تَعْلَــمُ سِــرَّ نَفْســـِي[3]

هذه الأبيات تدل على شدة ورع شاعرنا، فهو في امس الحاجة الى خالقه، في يـــوم لا ينفع صديق ولا أهل، فرجاؤه هو ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، و يعبر على ذلـــك بصورة بيانية اذ جعل الله قمره الذي يضيء بنوره عليه ليلا، وشمسه في نهاره.

وابن المتفدم ذكره أبو بكر محمد بن يونس (367هـ-418هــــ/977م-1027م)، الذي كان من البلغاء متيقضا.[4]

أما ثالث أفراد هذه الأسرة فهو، أبو الوليد محمد بن مغيث بن محمد بن يونس (ت 401هــ/1059م) الذي كان "مقدما في المعرفة والذكاء والفهم" كما كانت له مشاركة جيدة في الأدب.[5]

ومن البيوتات اتي خاضت في ميادين معرفية شتى، كان الأدب احداها، **بيت بنـــي سراج**، فممن ظهر منهم:

أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله (400هــ-489هــ/1009م-1095م) الذي أطنبت المصادر في الاشادة بشعره، فهذا ابن خاقان قال فـــي حقــه: "أحـــد أعـــلام البيان... وكان بالأندلس كعمر بن بحر[6]... وكانت دواوين العلم مقفلة ففتحهـــا، ومبهمـــة فاوضحها وشرحها."[7] وعدّه ابن بسام "فذ العصر، وعلم الفخر."[8]، ويبين لنا عياض تمكنه في الشعر بقوله: أنه من "أذكرهم لشوارد أشعارهم وأوثقهم في ذلك، واليه كانت الرحلـــة في جميع جهات الأندلس."[9] ونحا نحوه ابن بشكوال.[10]

1- هذا البيت ناقص عند ابن خاقان: المصدر السابق – ص59.
2- الرمسي: هو كتمان الخبر، والدفن والقبر – ص494. الزمخشري: المصدر السابق – ص178.
3- الحميدي: المصدر نفسه – ص346. ابن خاقان: نفسه – ص59.
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص130.
5- نفسه – نفس الجزء – ص154. وينظر محمد زين العابدين: بيوتات العلم والحديث – ص42.
6- تنظر ترجمته عند الزركلي: الأعلام – ج5 – ص74.
7- ابن خاقان: قلائد العقبان – ص217.
8- ابن بسام الشنتريني: المصدر اسابق – ق1 – ج2 – ص614.
9- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص357.
10- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج2- ج2 – ص9. الصفدي: الوافي بالوفيات – ج14 – ص83.

فمن شعره، قوله في الجدري:

جُدِرَتْ، فَقَالُوا بِهـَا عِلَّـــــةٌ ⟡ سَتَقْبُـــحُ بَعْــــدُ بِآثَـارِهـَــا

ألاَ إنَّهَا رَوْضَـــةٌ نَـــــوَّرَتْ ⟡ فَزَادَتْ جَمَـالاً بِأنْـــــوَارِهـَــا[1]

يظهر من الوهلة الأولى ان قرض مثل هذا النوع من الشعر غريب على الســاحة الأدبية، لأن الشاعر كثيرا ما يتعرض في وصفه الى جمال الطبيعة، واذا تغزل، فسيصف محاسن المرأة وجمالها، أما الوضع بالنسبة لشاعرنا، فيختلف اذ أحب امرأة كانت جميلة، ولكن أصابها مرض الجدري، مما جعل الناس تشمئز من النظرة اليها، وعلى الرغم مــن ذلك فقد قام أبو مروان هذان فأحسن وصفها، اذ جعلها كالبستان الذي نــور وروده، فلــم يزده ذلك الا جمالا.

ويؤكد لنا ابن بسام غرابة استعمال هذا النوع من الشعر بقوله: أن هذا الصنف من النظم هو غير موجود في أشعار المحدثين والمولدين والعصريين الا نادرا.[2]

ومن بدائع أقواله المستحسنة، قوله يمدح المظفر بن جهور [من الكامل]

أمَّا هـَوَاكِ فَفِــي أعَــزِّ مَكَــــانِ ⟡ كَمْ صَارِمٍ مِنْ دُونِهِ وَسِنَــانِ

بَيْنَ[3] حُرُوب لَمْ تَــزَلْ تَغْذُوهُــمْ ⟡ حَتَّى الفِطَــامُ ثُدَيُّـــهَا بِلبَـــانِ

فِي كُلِّ أرْضٍ يَضْرِبُونَ قِبَابَهُــمْ ⟡ لاَ يَمْنَعُـــــونَ تَخَيُّــرَ الأوْطَــانِ

فبعد هذا المدح الذي خصّه لابن جهور هذا ومحاربته للأعداء بشجاعة واقدام، يبين بعدها ذلك الأمان الذي عم عهده، وقد صاغ أبياتها طغى عليها أسلوب الحوار والمجادلــة فقال:

فِي لَيْلَــةٍ نَظَرَتْ إلَــيَّ نُجُــومَــهَا ⟡ أتَقَحَّمُ العَمَرَاتِ غَيْــرَ جَبَــانِ

قَالَــتْ فَتــَاتُهــُمْ وَقَــــدْ نَبَّهْتُهــَا ⟡ وَاللَّيْلُ مُلْقِي كَلْكَــلٍ وَجِــرَانِ

كَيْفَ اجْتَرَأْتَ عَلَىَ تَجَاوُزِ مَنْ تَرَى؟ ⟡ مِنْ نَائِمٍ حَوَالِي وَمِنْ يَقْظَــانِ

ثم تسأله محاورة له

أوَلَسْتَ إنْسَانــًا وَمَـــا أنْ تَنْتَهـــي ⟡ هَذِي النِّهَايَةُ جراءَة الإنْسَـــانِ

1- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج2 – ص603. وابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص71.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق– ق1 – ج2 – ص603.
3- وبنى: عند ابن سعيد – المصدر السابق – ج1 – ص71.

ثم يجيبها وهو مطمئن مرتاح البال:

فَأَجَبْتُهَا أَنَّ ابْنَ جَهْــوَرَ الرِّضَـــى ⟡ مَنَعَ المَخَاوِفَ أَنْ تَحُلَّ جِنَانِي[1]

ومن ذريته أبو الحسين سراج بن عبد الملك (439هـ/1047م) الذي أشاد بشعره ابن بسام، فقال: "اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، فإنه سراج علم وأدب....ولنظمه...ديباجة رائقة."[2] وقد كانت له عناية كاملة بكتب الآداب[3] ونحا نحوه عياض[4] كما كان له اطلاع على أشعار العرب.[5]

فمن مختاراته الشعرية في الغزل، قوله [من الكامل]

لَمَّا تَبَوَّأَ[6] مِنْ فُــؤَادِيَ مَنْــزِلاً ⟡ وَغَــدَا يُسَلِّـــطُ مُقْلَتَيْــهِ عَلَيْــهِ

نَادَيْتُهُ مُسْتَرْحِمًا مِنْ زَفْــرَةٍ[7] ⟡ أَقْضَتْ بِأَسْرَارِ الضَمِيــرِ[8] إِلَيْــهِ

رِفْقًا بِمَنْزِلِكَ الــذِي تَحْتَلُــهُ ⟡ يَــا مَــنْ يُخَــرِّبُ بَيْتَــهُ بِيَــدَيْــهِ

ان هذا النوع من الغزل، هو صادر من فقيه تحاشى فيه ذكر بعض مفاتن المرأة ووصف محاسنها الجسدية، وهذا الكلام ينسحب على بعض الفقهاء الذين تطرّقوا لهذا النوع من الشعر، واكتفوا فيه بذكر لوعتهم، ومكانة محبوبتهم في قلب محبيهم.

وقد طرق شاعرنا غرضا أخر، قلّما يلجه الشعراء، وهو وصفه لكتاب جاء فيه [الوافر]

كِتَابٌ يَزْدَرِي بِالسِّحْــرِ حُسْنًــا ⟡ وَسِمْت بِهِ زَمَانكَ وَهُــوَ غِفْــلُ

مَعَانٍ تَعْبَــقُ الآفَـــاقَ مِنْــهَا ⟡ يَشِيبُ لَهَا حَسُودُكَ وَهْوَ طِفْــلُ[9]

يصف في هذين البيتين المظهر الخارجي لهذا الكتاب، اذ كانت الكتب كثيرا ما تزين بالوان ذهبية، مما يجعل الناس يتهافتون على اقتنائها، الا ان شاعرنا لم يكتف بهذا

1- ابن خاقان: قلائد العقبان – صص217-218.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج3- ص623.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص201.
4- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص357.
5- السيوطي: بغية الوعاة – ص465. الصفدي: المصدر السابق – ج10 – ص236.
6- تمكن: عند ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج3 – ص623.
7- عبرة: عند ابن بسام الشنتريني- نفسه – نفس الجزء والصفحة.
8- الضلوع: عند ابن سعيد – المصدر السابق – ج1 – ص72.
9- نفسه – ص231.

المظهر الخارجي، بل بما احتواه من معلومات قيمة، الأمر الـذي أثـار حفيـدة الحسـاد وحسب اعتقادي، فالمقصود هنا مدح مؤلفه بالدرجة الأولى.

ومن البيوتات التي اشتهرت في ميادين معرفية شتى **بيت بني حزم** الذي يعتبر من البيوتات التي وسمت بالجلالة والرياسة اذ عد من الأسر العلمية ذات الفضل الكبير[1]، وقد ظهر منهم افراد برزوا في ميدان الأدب أولهم:

أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم (ت قريبا من 400هـ/1009م)[2]، كان من أهـل الأدب والعلم[3] فمن شعره يوصي فيه ابنه ابن حزم الظاهري، حفظت لنا المصادر ببيـت منه يقول فيه [من الطويل]

اِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا غَنِياً فَلاَ تَكُـنْ عَلَى حَالَةٍ اِلاّ رَضَيْتَ بِدُونِـهَا[4]

وكان من نسله أحد الأدباء العظام ألا وهو: أبو محمد علي بن أحمـد بـن سـعيد (384هـ-456هـ/994م-1063م). "كان له في الآداب والشعر نفس واسع وباع طويل" ولم يكن أحد مثله من يقول الشعر على البديهة أسرع منه.[5] وهو ما أكده صـاعد بقولـه: "...وقسم صالح من قرض الشعر."[6] وفصل في ترجمته ابن حيان في كتابـه "المتـين"ن وذكر أن من بين العلوم الجمة التي اهتم بها هي الأدب[7]، فكان له في الأدب عصا السبق، لم يماثله فيه أحد.[8]

وبذلك اعتبر ابن حزم من أهم شعراء الأندلس الذين عاشـوا فـي فتـرة انهيـار الخلافة، ويشهد على ذلك مجموعته الشعرية التي خلّفها لنا، ويبدوا أنه قال الشـعر وهـو بعد صبي فاكتسب بذلك قريحة طيبة تعينه على الارتجال دون تكلف.[9]

فمن أشعاره التي يفتخر فيها بنفسه قوله [من الطويل]

1- الحميدي: المصدر السابق – ص285. وينظر المقري: المصدر السابق – ج3 – صص224-225.
2- ذكر ابن حيان أنه توفي سنة 402هـ/1011م. ابن بشكوال: الصلة – مج1 – ج1 – ص24.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص112. الضبي: المصدر السابق – ص156.
4- الحميدي: نفسه – نفس الصفحة. ابن بشكوال: نفسه – مج1- ج1 – ص24.
5- الحميدي: نفسه – ص277.
6- صاعد: طبقات ... – ص184.
7- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص136.
8- ابن خاقان: مطمح الأنفس...ص56. وينظر ابن بشكوال: الصلة – مج2 – ج2 – ص50. وابن سعيد: المصـدر السابق – ج2 – ص239.
9- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – صص74-75.

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَــوِّ العُلُــومِ مُنِيــرَةٌ ✧ وَلَكِنَّــيَ[1] عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِي الغَــرْبُ

وَلَوْ أَنَنِي مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِــعٌ ✧ لجــدَّ[2] عَلَىَ مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْــرِي[3]

وَلِي نَحْوَ أَكْتَــافِ[4] العِرَاقِ صَبَــابَةٌ ✧ وَلاَ غَرْوَ أَنْ يَسْتَوحِشَ الكَلِفُ الصَبُّ

تعتبر هذه الأبيات من أكثر الاستشهادات له من طرف دارسي الفكـر الأندلســي، واعتبرت شاهدا على اعتزازه بالانتماء الى الغرب الذي درج المشـارقة علـى اعتبـار بضاعته مستجلبة من الشرق[5]، وفيها كذلك تبدو حسرة أبي محمد على انكار اهل الأندلس لفضله، وتوقعه الرحلة الى العراق، وهي أماني جاشت في نفسه، ثم صرفته الأيام عن كل ذلك.[6]

وله في الرد على من يهجوه من أبيات [من المتقارب]

تَتَبَّــعْ[7] سِــوَايَ امْرَأً يَبْتَغِــي ✧ سِبَــابَــكَ إِنَّ هَــوَاكَ السِّبَــابُ

فَإِنِّــي أَبَيْــتُ طِــلاَبَ السِّفَــاهِ ✧ وَنَزَّهْتُ عِرْضِي[8] عَمَّا يُعَــابُ

وَقُــلْ مَا بَدَا لَكَ مِــنْ بَعْــدِ ذَا ✧ وَأَكْثِرْ[9] فَإِنَّ سُكُوتِي خِطَــابُ[10] [11]

وقال في نفس المعنى [من الطويل]

كَفَانِي بِذِكْرِ النَّاسِ لِي وَمَآثِــرِي ✧ وَمَالَكَ فِيهِمْ يَا ابْنَ عَمِّي ذَاكِــرُ

عَدُوِّي وَأَشْيَاعِي كَثِيرٌ، كَذَاكَ مَنْ ✧ غَدَا وَهُوَ نَفَّاعُ المسَاعِي وَضَائِرُ

وَإِنِّــي وَإِنْ آذَيْتَنِــي وَعَقَقْتَنِــي ✧ لَمُحْتَمِلٌ مَا جَاءَنِي مِنْكَ صَابِــرُ[12]

1- لكن: عند الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص141. والمقري: المصدر نفسه – ج2 – ص242. وعبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب – شرحه واعتنى به – د/ صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان – ط1 – 1426هـ/2006م – ص45.

2- أجد: عند ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص276.

3- ذكري: عند ابن سعيد: نفسه- نفس الجزء والصفحة.

4- أكناف: عند ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص141. آفاق: عند المقري: المصدر السابق – ج2 – ص242.

5- سالم يفوت: ابن حزم والفكر الأندلسي – ص37.

6- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص321.

7- تبغ: عند ابن سعيد – المصدر السابق – ج1 – ص275.

8- وصنت محلي: عند ابن سعيد – المصدر السابق – ج1-ص 275

9- أكثر: ساقطة عند ابن سعيد – نفسه – ج1- ص275

10- جواب: عند الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص134.

11- ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص274.

12- ابن سعيد: نفسه – ج1 – صص275-276. المقري: المصدر السابق – ج2 – ص240.

أما السبب الذي أدى به الى قرض هذه القصيدة الثانية، أن ابن عمه أبـا المغيـرة ذكر له انه نسي ذكر حاشيته وشيعته في القصيدة الأولى، فرد ابن حزم عليه بالثانية.[1]

وله في الرثاء والتوجع قوله [من الوافر]

وَدِدْتُ بِأَنَّ ظَهْرَ الأَرْضِ بَطْـنٌ ✧ وأَنَّ البَطْنَ مِنْهَا صَارَ ظَهْـرًا

وَأَنِّي مِتُّ قَبْـلَ وُرُودِ خَطْـبٍ ✧ أَتَى فَأَثَارَ فِي الأَكْبَـادِ جَمْـرًا

وأما مناسبة قرضه لهذه الأبيات، أنه نعي اليه بعض من كان يحبه في بلدة نازحة، فقام فارا بنفسه نحو المقابر وجعل يمسي بينهما، ويقول هذه الأبيات، الا أنه جاءه تكـذيب ذلك الخبر.[2]

وله في وصف روضة قوله [من الطويل]

ولَمـَّا تَرَوَّحْنَـا بِأَكْنَـافِ رَوْضَـةٍ ✧ مَهَّدَ لَهُ الأَفْنَان فِي تُرْبِهَا النَّـدَى

وَقَدْ ضَحِكَتْ أَنْوَارُهَـا وتَضَوَعَـت ✧ أَسَاوِرُهَا فِي ظِلِّ فَـيْءٍ مُمَـدَدِ

ولِلْمَـاءِ فِيـمَا بَيْنَنَـا مُتَصـرف ✧ ولِلْعَيْـنِ مُرْتَـاد هُنَاكَ ولِلْيَـدِ

وقد قال هذه الأبيات عندما خرج مع بعض أصدقائه من أهل الأدب الى بستان أحد أصحابه، فأعجبه مظهر هذه الروضة، وكان حينها قد وصفها وصفا نثريا ثم ألحـق بهـا هذه الأبيات وقالها بديهة[3]. فشعره هذا، ينم عن عاطفة حارة مشبوبة، فهو يصف ما شاهده وأحس به احساسا عميقا في أسلوب جزل لطيف.[4]

ومن شعره قوله عندما احرق المعتضد بن عباد كتبه باشبيلية [من الطويل]

فَإِنْ تَحْرِقُوا القِرْطَاسَ لاَ تَحْرِقُوا الذِي ✧ تَضَمَّنَهُ القِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي

يَسِيرُ مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّـتْ رَكَائِبِـي ✧ وَيَنْزِلُ إِنْ أَنْزِل وَيُدْفَنُ فِـي قَبْـرِي[5]

فالمناسبة، هي ما لحق من حرق كتبه تحت تأثير الفقهاء الخانقين على ابـن حـزم وعلى حد قول أحمد هيكل أنها "منافية لحرية الرأي واحترام كرامة العقل."[6]

1- ينظر المقري: المصدر انفسه – ج2 – ص240.
2- ابن حزم: طوق الحمامة...ص88.
3- ابن حزم: نفسه – ص100.
4- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص75.
5- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 -ص140. وقد وردت ثلاثة أبيات عند المقري لم تحمل نفس الترتيب، فليراجع المقري: المصدر السابق – ج2 – ص242، كما أورد بيتين منها في ج4 – ص31.
6- المقري: نفسه – ج2 – ص242. وينظر احمد هيكل: المرجع السابق – ص357.

ويبدو أن ابن حزم لم ينس في شعره المذهب الذي ينتمي اليه، فمن ذلك قوله: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنِّي ظَاهِــرِيٌّ وَأَنَنــِـــي ⸎ عَلَىَ مَا أَرَى[1] حَتَّى يَقُومُ دَلِيـــــلُ[2]

هذه نماذج من أشعار ابن حزم، وهي أكثر من العد و الحصر، الا أن أبا حزم هذا، عاقه عن بلوغ الغاية في شعره كثرة تفقهه وعلمه، اذ نجد له معاني لطيفة جدا ولكنها في أسلوب الفقهاء، وقد عد عند كثير من الناس أعلم أهل الأندلس، ولكن لم يَعُدُّوهُ أشــعرهم، وكان ابن حيان دقيقا في قوله: أنه تعلق بأذيال الأدب من غير طنطنة ولا فخفخة، كعادته في وصف الشعراء.[3]

وكان لابن حزم أبناء عمومة منهم: أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمــد بــن عبــد الرحمن بن سعيد، الوزير الكاتب. (ت 483هــ/1046م)، قال في حقه ابن خاقان: "وأمــا شعر أبي المغيرة، فمرتبط بنثره، ومختلط بزهره."[4] ونحا نحوه الحميــدي بقولــه: "مــن المتقدمين في الآداب والشعر...وشعره كثير مجموع."[5]

ومن شعره في الغزل، قوله [من الخفيف]

كَيْفَ كَيْفَ الوُصُولُ لِلأَقْمَــارِ ⸎ بَيْنَ سُمْرِ القَنَا[6] وَبِيضِ الشِّفَــارِ[7]

لَــوْ عَلِمْــنَا أَنَّ حُبَّــكَ حَــقٌ ⸎ لَطَلَبْنَــا الحَـيَاةَ مِنْــكَ بِثــَــارِ

وَإِذَا مَا الكِرَامُ هَمُّــوا بِشَــيْءٍ ⸎ خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِي الأَخْطَــارِ[8]

ومناسبة قرضه لهذه الأبيات، أنه سامر المنصور في مجلس حافل غنت فيه جارية تدعى أنس القلوب أبياتا شعرية منها: [من الخفيف]

لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْــهِ سَبِيــلٌ ⸎ فَأَقْضِي مِــنَ الهَوَى أَوْطَــارِي

1- بدا: عند ابن حاقان: مطمح الأنفس – ص56.
2- المقري: نفسه – ج2 – ص243.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص136. وينظر أحمــد امــين: ظهــر الاســلام – ج3 - ص150.
4- ابن خاقان: المصدر السابق – ص22.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص259. وينظر الضبي: المصدر السابق – ص343. الصفدي: المصدر الســابق – ج14 – ص147. رضا كحالة: المرجع السابق – ج2 – ص338.
6- القنا: نقول: قنا الأنف، ارتفاع أعلاه واحد يداب وسطه. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1193.
7- الشفا: ج الشفر بالضم، وهو أصل منبت الشعر في الجفن. الفيروز آبادي: نفسه – ص377.
8- المقري: المصدر السابق – ج2 – صص124-125.

فأحس أبو المغيرة أنها تقصده، فرد عليها بهذه الأبيات المذكورة أعــلاه، فصــب المنصور جام غضبه على الجارية، وقال لها: قولي وأصدقي الى من تشيرين بهذا الشوق و الحنين، فردت عليه الجارية: "ان كان الكذب أنجى، فالصدق أحرى وأولـــى، والله مـــا كانت الا نظرة، ولدت فكرة فتكلم الحب على لساني، وبرح الشـــوق بكتمـــاني، والعفـــو مضمون لديك عند المقدرة..." فلم يجد المنصور الا العفو عنها وعن أبي المغيــرة هــذا، وأهدى له الجارية.[1]

وله في نفس المعنى [من الطويل]

تَبِيتُ بِذِي الأَرْطَى[2] وَقَدْ بَاتَ طَيْفُهَا ⸎ لَنَا صَنَمًا نَحْنُــو عَلَيْهِ وَنَعْكُـــفُ

هَبِيك[3] سريتِ اللَّيْل فَرْعُكِ أَسْحَـــمُ[4] ⸎ وَثَغْرُكِ بَسَّامُ، ولَحْظُكِ[5] أَوْطَــفُ[6]

فَأَنَّى أَطَلْقتِ المَشْيَ، قَــدُّكِ مَائِــدُ[7] ⸎ وَرَدْفُكِ رَجْرَاجُ[8]، وَخَمْرُكِ أَهْدَفُ[9]

اعتمد شاعرنا في هذه الأبيات على الغزل الذي يبين بشكل واضح الأعضاء التـــي يتغزل بها، فهو يتعرض الى طيفها وكأنه صنم ينحني اليه كل من لاح في أفقـــه، وهـــذا التشبيه قد يبدو غريبا، لأنه صادر من احدى بيوتات العلم ومن بيت فقـــه المشـــهود لهـــم بثقافتهم الدينية، فكيف ينحني العبد لغير خالقه؟ ثم يستمر بالتغزل بباقي الحـــواس، بفمهـــا ومؤخرة عينيها وقدها المتمايل وخصرها النحيف.

ولكن شاعرنا هذا، لا يخفي دائما اسم من يتغزل بها، وهذا ما يظهر لنا في هذا البيت [من]

وَلِلّهِ سَلْمَى يَوْمَ أَهْدَى سَلاَمَـــهَا ⸎ بِذِي سَلَمٍ نَحْوِي البَنَان[10] المُطَـــرَّفُ[11]

1- المقري: المصدر نفسه – ج2 – ص125.

2- الأرطى: شجر نوره كنور الخلاف، وثمره كالعناب، مرة، تأكلها الابل غضة، و عروقه حمر الواحـــدة أرطـــأة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص592.

3- هبيك: من الهبكة أي الأحمق، والأرض التي تسوخ فيها القوائم –نفسه – ص361.

4-أسحم: أسود. الفيروز آبادي: نفسه – ص1010

5- اللحظ: مؤخرة العين – نفسه – ص.629

6- اوطف: من الوطف وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين – نفسه – ص774.

7- مائد: متبختر –الفيروزابادي ــ المصدر نفسه – ص290.

8- رجراج: الرجرجة وهو الاضطراب. الفيروز آبادي: نفسه – ص174.

9- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص144.

10- البنان: من البنة وهي الريح الطيبة. الفيروز آبادي: نفسه – ص1064.

11- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص144.

وله في الاعتذار عما حدث له مع الجارية أنس القلوب[1] قوله [من]

أَذْنَبْـــتُ ذَنْبــًا عَظِيمـــًـا ⟡ فَكَيْـــفَ مِنــْهُ اعْتِـــذَارِي؟

وَاللَّــهُ قَــدَّرَ هَـــــــذَا ⟡ ولَـــمْ يَكُـــنْ بِاخْتِيـــَـارِي

وَالعَفْــوُ أَحْسَــنُ شَــــيْءٍ ⟡ يَكُـــونُ عِنْـــدَ اقْتِـــــدَارِ[2]

وله من رقعة يرد فيها على ابن عمه أبي محمد ابن حزم، حين وصلته منه رقعة، فأراد أبو المغيرة تمزيقها وعدم الرد عليها، فعدل عن ذلك وكتب علـــى ظهرهـــا [مـــن المتقارب]

نَعَقْتَ ولَمْ تَدْرِ كَيْفَ الجَــوَابُ ⟡ وَأَخْطَأْتَ حَتَّى أَتَاكَ الصَــوَابُ

وَأَجْرَيْتَ وَحْدَكَ فِـــي حَلْبَـــةٍ ⟡ نَأَتْ عَنْكَ فِيهَا الجِيَادُ العِـــرَابُ

وَبِتَ مِنَ الجَهْـــلِ مُسْتَنْبِحـــًا[3] ⟡ إِذَا انْتَفَضَتْ[4] فِي الخَمِيسِ العِقَابُ

هذه نماذج من شعر أبي المغيرة هذا، الا أن تعاطي الأدب لم ينته عنده، بل استمر متوارثا بين الأبناء منهم: أبو الخطاب العلاء عبد الوهاب ابن أبي المغيـــرة (421هــــ-450هــ/1030م-1058م) وان لم تبرز المصادر مشاركته في هذا الميدان الا انها اكتفت بالقول أنه من أهل العلم والأدب، وما يدل على أنه تعاطى الشعر، هـــو روايتـــه لكتـــاب ابراهيم بن محمد بن زكريا[5] في شرح معاني شعر المتنبي[6]، وتبعه في ذلـــك أبـــو رافـــع الفضل بن علي بن احمد بن حزم (ت 479هــ/1086م) الذي كان هو كذلك مـــن أهـــل الأدب.[7]

هذه أشهر النماذج ممن وقفنا عندهم من بيوتات مختلفة، فمنها من أشتهرت بإنتاجها في هذا الميدان، فتركت بذلك بصماتها فيه بما خلّفته من مؤلفات في هذا الحقل المعرفـــي وخير من يمثلها، بيت بني شهيد وتبعه في ذلك بيت يني فرج الجياني، ثـــم لحقـــت بهـــا

1- ينظر المقري: المصدر السابق – ص124.
2- المقري: نفسه – ج2 – ص125.
3- مستصحبا: عند المقري: المصدر السابق – ج2 – ص241. مستنتجا: عند ابن سعيد: المصـــدر الســـابق- ج1 – ص277.
4- انقضت: عند المقري: نفسه – ج2 – ص241.
5- تنظر ترجمته عند الحميدي: المصدر السابق – ص133.
6- الحميدي: نفسه – ص285. ابن بشكوال: الصلة – مج2 – ج2 – ص74.
7- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص89.

بيوتات أخرى، وإن لم تكن بنفس المكانة التي كانت لهذه الأخيرة، إلاّ أن مشاركتها فيه كانت واضحة للعيان بما قرضته من شعر في أغراض شتى، إلاّ أنها لم تبق إتجاهاتها الثقافية مقتصرة على قرض الشعر والتأليف فيه، بل تعدته الى ميدان اخر لا يلجه إلاّ من كان متيحرا في الأدب وعلومه، ألا وهو النثر، أو ما يعرف في أدبيات هذا النوع من الأدب، - فن الترسل- ولنا في بعض البيوتات نماذج عدّة.

2) مساهمتها في النثر

لقد عرف الأندلسيون كل فنون النثر التقليدية التي عرفها العرب، وزادوا عليها على حسب ما اقتضته ظروف معيشتهم الخاصة، فكان وليد أمزجتهم وثقافتهم، ولذا عرف هذا العصر نوعين من الكتابة، الكتابة الديوانية والإنشائية، إضافة إلى الخطابة، وفي هذا الصدد سنقتصر على هذا النوع من النثر والذي أسهمت فيه بعض البيوتات إسهامات جليلة وهذا ما سنستشفه من خلال تعرضنا لنماذج منها.

أ) **أهم البيوتات التي اشتغلت بالنثر**: كما كانت للبيوتات دور بارز في الشعر، فقد كانت لهم مساهمة فاعلة في النثر، وقبل أن نعرّج إلى إنتاجهم فيه، فلا مناحة من سرد لأسماء بعض الأسر التي خاضت في هذا الحقل المعرفي، وبرزت على الساحة الأدبية، فمن هذه البيوتات نذكر

بيت بني برد الذي عُدَّ من البيوتات الأدبية الكبرى بالأندلس، وهذا ما يتضح لنا من خلال استقرائنا لبعض المصادر، فهذا ابن خاقان قال: "ما منهم إلا شاعر كاتب..."[1] وهذا ما أكده ابن بسام بقوله: "آل برد جمهور كتابة، ومحور خطابة."[2]

وممن اشتهر منهم: أبو حفص أحمد بن برد الأكبر (ت418هـ/1027م) من أدباء الدولة العامرية و "كان ذا حظ وافر من الأدب والبلاغة"[3]. ولعلو منزلته في الكتابة، فقد

1- ابن خاقان: مطمع الأنفس- ص24.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص375.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص106. ابن بشكوال: الصلة – ضبط وتعليق: جلال الأسيوطي – مج1 – ج1 – ص34. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص83.

ولاّه المظفر بن أبي عامر[1] ديوان الإنشاء، ثم كتب عن سليمان المستعين وغيره من أمراء الفتنة[2]، وقد وصلت إلينا كتاباته أشبه ما يكون بِكُتّابِ رؤساء دواوين الإنشاء بمصر، فكان أستاذ أهل زمانه في صناعة الكتابة.[3]

أما ابنه محمد بن برد، فيذكر ابن الأبار: أنه أخذ عن والده، وعدّه "من بيت كتابة ونباهة."[4]

ومن أحفاده، أبو حفص أحمد بن محمد بن احمد الأصغر (حيا 440هـ/1048م) الذي كان أديبا، بليغ الكتابة[5]، وهذا ما أشار إليه ابن خاقان بقوله: "بليغ القلم واللسان، مليح الكتابة فصيح الخطابة."[6]

وأما ابن بسام فقد أثنى على منزلة جده، وهو ما فعله مع الحفيد في تبيان مكانته في النثر، فقال: كان "في وقته فلك البلاغة الدائر...وقام من أودها بناصع نظمه وبارع نثره."[7] في حين اكتفى ابن الأبار بوصفه بالكاتب[8]. فأصبح بعدها أعذبهم لفظا وأرجحهم وزنا أنيق رقيق الحاشية.[9]

كان ابن برد من بلغاء الكتّاب[10]، ومن أصحاب التواليف[11] بسبب تلك البيئة العلمية والأدبية التي تربى في كنفها، فقد كان لهذه الأخيرة الأثر الطيب في تكوين وصقل شخصيته الثقافية واكتمال بيانه، وذرابة لسانه، وحسن نطقه بين الكتاب، ولهذا كله وصفته المصادر بكاتب الرسائل، وقد يكون أحس بمكانته هذه بين الكتاب، وأنه عريق في هذه

1- - ينظر عن أخباره ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص222-225.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1- ج1 – ص91.
3- ابراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي – ص167.
4- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص314.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص118.
6- ابن خاقان: المصدر السابق- ص23.
7- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص374. وينظر ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص49.
8- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج1 – ص271.
9- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص585-598.
10- ينظر خير الدين الزركلي: الأعلام – ج1 – ص213.
11- فؤاد سزكين: المرجع السابق – ج5 – ص83

الصناعة بعراقة أسرته في هذا النوع من الفن[1]. اذ كانت لابن برد هذا، رسـائل سـائرة لعذوبة كلامه في نثره.[2]

وكان **لبيت بني حزم** كذلك مشاركة فاعلة فيه، فعلى الرغم من أنه ضرب في كـل علم بسهم، فقد كانت له اليد الطولى في النثر، فممن ظهر من أفراده.

أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم (ت تقريبا من 400هـ/1009م) الذي كان علـى رأس هذه الأسرة، فإضافة إلى قرضه للشعر، فقد كان له في البلاغة يد طولى، وما يـدل على ذلك ما أخبرنا به أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب حين قال: بأن أبا عمر هذا، كان يستنكر كل من كان يلحن في مخاطبة، أو يأتي بلفظة في مكاتبة، ويطلب من هؤلاء إن لم يكن لهم علم بها، فليطلب ميدانا آخر يكون فيه أفضل من غيره، ويثمن هذا القول الحميدي "وهذا لا يقوله إلا المُتَبَحِّر الواسع العلم."[3]

واشتغل بخطة الكتابة – لتمكنه فيها – للمنصور بن أبي عامر، وهذا ما تشهد عليه الرقعة التي كلفه بكتابتها، والتي يستعطف فيها لأم رجل مسجون، فكان يتقن ما يكتبه دون الوقوع في اللحن.[4]

أما ابنه أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ/1063م) فكـان منقطـع النظير في هذا الفن، وهذا ما يتأكد لنا من خلال أقوال من ترجم له، فهذا الحميدي يقـول في حقه: "وكان له في الأدب.... نفس واسعة وباع طويل."[5] ونحا نحوه المراكشي بقوله: وله "قسم صالح من... صناعة الخطابة."[6] فعلى الرغم من أنه ضرب في كل علم بسـهم، إلا أنه توسع في البلاغة وعلوم اللسان، فكانت له رسائل في معاني شتى.[7]

1- ابراهيم أبو الخشب: المرجع السابق – صص166-167.

2- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق3 – ج6 – ص617.

3- الحميدي: المصدر السابق – ص112.

4-نفسه – نفس الصفحة – ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص24. ابن الأبـار: إعتـاب الكتـاب – صص192-193.

5- الحميدي: نفسه – ص278.

6- المراكشي عبد الواحد: المعجب – بتحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي – ص73. صاعد: طبقـات الأمم- ص184.

7- السيوطي: طبقات الحفاظ – ص435. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 -ص139. وينظر أحمد هيكل: المرجع السابق- ص360. وأحمد أمين: المرجع السابق – ج3-ص212.

وان كان ابن حزم لم يشغل نفسه بوضع نظرية نقدية أو بلاغية شاملة، لكنه تعرّض لكثير من الموضوعات النقدية والبلاغية في عدة مواضع من كتبه ورسائله، بل انه صنف كتابا في "الفصاحة والبلاغة"، وقد أشار في كتابه "التقريب لحد المنطق" أنه حاول الخوض في هذا الميدان – التأليف في البلاغة – لكنه ترك ذلك حين علم أن صاحبه ابن شهيد وضع كتبا في ذلك، لأنه من المتمكنين فيها.[1]

ومن ذرية أبي محمد هذا، ابنه: أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد (ت 479هـ/1086م) كان من أهل الأدب والنباهة، دون أن تشير المصادر القليلة التي ترجمت له إن كانت له إسهامات في ميدان الترسل.[2]

ومن بني عمومة ابن حزم الظاهري أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد ابن حزم (ت 483هـ/1046م) الذي كان من أكبر كُتَّابِ عصر الفتنة الناثرين، كما كان من أسمح كُتَابِ الأندلس آنذاك طبعا في هذا الميدان.[3]

لقد حظي أبو المغيرة بثناء علماء كتب التراجم، كان منهم ابن خاقان الذي أثنى عليه بقوله: كان "في الكتابة أوحد، لا ينعث ولا يحد، وهو فارس للمضمار...إذا كتب وشى المهارق[4] وذبج، وركب من بحر البلاغة الثبج"[5] [6]، فأصبح بعدها من المقدمين في البلاغة وأحد فرسان البيان.[7] ولذلك فقد اتخذه عدد من الأمراء[8] ككاتب لهم، فنال بذلك مكانة مرموقة عندهم.[9]

1- ابن حزم: رسائل – مج2 – ج4 – ص351.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 -ص89.
3- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة – ص333.
4- المهارق: هي الصحيفة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص837. وهي معربة من العثماني إذ هي من لوازم الكتابة في العهد المملوكي ويقصد بها القرطاس – حسان حلاق: المعجم -ص214.
5- الثبج: وهو وسط الشيء ومعظمه. الفيروز آبادي: نفسه – ص116.
6- ابن خاقان: مطمع الأنفس –ص22.
7- الحميدي: المصدر السابق –ص259. وينظر الضبي: المصدر السابق – ص343. الشنتريني: المصدر السابق – ق1- ج1 –ص111.
8- منهم أبو الحكم منذر بن يحي التجيبي الملقب بالمنصور، صاحب سرقسطة والثغر الأعلى. الصفدي: الوافي...ج14- 147.
9- ابن حيان: من نصوص كتاب المتين جمع وتحقيق: عبد الله محمد جمال الدين – المجلس الأعلى لثقافة – القاهرة – 1418هـ-1997م – ص46. وينظر ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص111. والمقري: المصدر السابق – ج2 – ص124.

وتبعه في ذلك **بيت بني الزجالي**، وهو من البيوتات التي تولى بعض أفرادها خطة الكتابة كابر عن كابر، وهذا ما يفهم من نص ابن القوطية حين ترجم لمؤسس هذا البيت المنيف وهو محمد بن سعيد الزجالي، فقال: "فاستكتبه الأمير عبد الرحمن بن الحكم... وعبد الله و حامد أبناء محمد بن سعيد، فكانا كاتبين تحريرين..."[1] فكان هذا الجد هو الذي أورث عقبه خطة الكتابة.[2]

فممن ظهر من هذه الأسرة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد الزجالي (ت302هـ/914م). يدل تاريخ وفاته أنه عاش أكثر فترات حياته في القرن الثالث الهجري (9م) الا أن ما يهمنا في الأمر أنه بقي متوليا لخطة الكتابة الى غاية وفاته، أي على عهد الناصر لدين الله[3]، فهذا يدل على أن هذا الأمير قد أقره عليها – على الكتابة العليا.[4]

ومن نبهاء هذا البيت، عبد الرحمن بن عبد الله ابن المتقدم ذكره، والذي جمع بين خطتي الكتابة والوزارة، وكان ذلك سنة 329هـ/940م اذ أسند له عبد الرحمن الناصر تنفيذ كل ما يخرجه من التوقيعات والعهود وغيرها.[5]

لقد أصبح الزجالي هذا، الكاتب الخاص للخليفة، اذ كان من أبرع الكتّاب في عصره، وأبلغهم على الاطلاق، وكان ممن يتقن فن الترسل[6]، ولذلك سيكلفه بانشاء رسالة لا يكلف بها أحد لما تكتنفه مواضيعها من خطورة، وهو التنديد بمذهب ابن مسرة.[7]

وعلى عهد الحكم المستنصر بالله، سيظهر ثالث أفراد هذه الأسرة وهو عبد الله بن عبد الله الزجالي أبو بكر (كان على أيام هذا الخليفة 375هـ/985م) كان من أدباء عصره، الا أنه ليست لدينا معلومات ان كان قد حذا حذو الآخرين في فن الترسل.[8]

1- ابن حيان: المقتبس من أبناء أهل الأندلس – ص32.
2- ابن الأبار: اعتاب الكتاب – ص174.
3- ابن حيان: نفسه – ص32.
4- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص165. ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس – ج5 – ص103.
5- ابن عذاري:السابق – ج2 – ص220.
6- محمد حقي: البربر في الأندلس – ص227.
7- ينظر عنه الحميدي: المصدر السابق – ص56. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص323-324. وآنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص326 وما يليها.
8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص196. ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس – تد: صلاح الدين الهواري – ص59.

وآخر وجوه هذه الأسرة، أبو الوليد الزجالي، الذي صاحب ابن شهيد، فهذه العلاقة التي جمعت الأديبين تنم عن حقيقة خوض الزجالي في هذا الميدان.[1]

ومن البيوتات التي ذاع صيتها في النثر **بيت ابن الباجي**، اذ أنجب هذا الأخير عددا من الأدباء البلغاء، وهذا ما يؤكده ابن بسام بقوله: "أنسل أربعة من حملة الأقلام وفرسان الكلام." وفي بيان منزلتهم في النثر يضيف قائلا: "واحسان بني الباجي كثيرة وترسيلهم مشهور."[2]

لقد كان بيت ابن الباجي بيت كتابة بلا منازع بدءا بجدهم يوسف الى آخر أفراده، وهذا ما يتأكد لنا من خلال قول ابن الأبار حين ترجم لجعفر بن يوسف الباجي "كان هو وأبوه وأبو عمر يوسف وابناه عبد الله ويوسف أبو عمر من ذوي البراعة في الآداب، والتقدم في صناعة الكتابة."[3]

وأول افراد هذه الأسرة هو أبو عمر يوسف بن أحمد بن محمد القيسي (ت 404هـ/1013م) كان موصوفا بالبلاغة، أديبا ماهرا، وكان ممن كتب للعامرية في ديوان الرسائل، بسبب تمكنه في صناعة الكتابة.[4]

وقد نحا نحوه ابنه أبو القاسم جعفر بن يوسف بن أحمد (ت 435هـ/1043م) كان بارعا كوالده في الآداب والتقدم في صناعة الكتابة، اذ كتب في صدر الفتنة لعدد من كبار الملوك، كان آخرهم يحي بن اسماعيل بن ذي النون (435هـ-460هـ/1043م-1068م) المأمون، الى أن توفي عنده.[5]

وآخرهم هو: عبد الله بن جعفر بن يوسف، كان كبقية أفراد أسرته من ذوي البراعة في الآداب والتقدم في صناعة الكتابة.[6]

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص258.
2- نفسه – ق2 – ج3 – ص148-155.
3- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص193.
4- ابن الأبار: المصدر السابق – ج1 – ص193 – ج4 – ص199.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص164. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص193.
6- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص193.

واذا انتقلنا الآن للحديث عن **بيت بني عبد الصمد**، فهو من البيوتات التي كان لهـــا شأن في خطة الكتابة، وهذا ما يؤكده ابن بسام بقوله: "وهــؤلاء الصـــمديون قـــوم ذوي الهيئات، متقدمون في الكتابة وأدوات أهل النباهة."[1]

ومن **بيت بني درّاج** القسطلي برز منهم فردان، أولهما: أبو عمر أحمد بـــن دراج (347هــ-421هــ/958م-1030م) كان وقتها "لســـان الجزيـــرة...وأســـوة كتابهـــا...و سار...نثره في الأقاصي والأداني مسير الشمس"، فطارت شهرته شرقا وغربا، بسبب أن نثره كان يبهر العقول.[2]

وفي بيان منزلته فيه يقول الحميدي أنه " معدود في جملة العلماء...والمذكورين من البلغاء...وله طريقة في البلاغة والرسائل، تدل على اتساعه وقوته." ولذلك كله فقد حـــاز على خطة الكتابة، فكان كاتبا من كتاب الانشاء أيام المنصور بن أبي عامر[3]، وقد حفظت لنا المصادر على أجزاء عدة من ترسيله.[4]

وأما ولده الفضل بن احمد بن دراج (كان حيا بعد 440هــــ/1048م)، فقـــد ورث عن والده تعاطي الأدب، وحذا حذوه[5] وهذا ما يؤكده الحميدي بقوله:وله "حظ من البلاغـــة وافر... والرسائل على طريقة أبيه."[6]

ومن أدباء **بيت بني الأفطس** المظفر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة، الملقب بالمنصور (ت 437هــ/1045م)، فقد عرف بالشعر والأدب[7]، وقد يكون تأليفه الموســـوم بـــ "المظفري" احتوى على نماذج من نثره، باعتبار أنه احتوى على علوم شـــتّى، كـــان الأدب احداها وهذا ما يتأكد لنا من خلال هذا الـــنص "احتـــوى الكتـــاب علـــى...الآداب المتخيّرة والطرف المستملحة والنكت البديعة والغرائب الملوكية."[8]

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق3 – ج2 – صص609-610.
2- نفسه: ق1- ج1 – ص56.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص97. وينظر ابن بشكوال: الصلة – مج1 – ج1 – ص36.
4- ابن دحية: المصدر السابق – ص137.
5- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج2 – ص51.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص294. الضبي: المصدر السابق – ص387. ابن بشكوال: الصلة – ج2 – ص88.
7- ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص236.
8- نفسه- ج3 – ص236. ابن الخطيب: أعمال الأعـــلام – ص183. المقـــري: الـــنفح – ج1 – ص341 – ج4- ص24. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج4 – ص478.

كما برز من هـذه الأسـرة ابنـه المتوكـل عمـر بـن محمـد بـن عبـد الله (قتل487هـ/1094م) الذي أطنبت المصادر في الثناء عليه، فهذا ابن خاقان قال في حقه: "ملك جند الكتائب والجنود...وطافت بكعبته الآمال، واعتمرت الى لسـن وفصـاحتها... ونثر تسري رقته سرى النسيم."[1] ونحا نحوه ابن الخطيب حين جعلهم، أهل البلاغة، حتى أصبحت على عهده بطليوس مقصدا للأدباء[2]، فكان له بذلك موطئ قدم في النثـر[3] ولـذا شبه بالمعتمد بن عباد بإشبيلية.[4]

لم يبق **بيت بني أضحى** بعيدا عن الساحة الأدبية، بل اعتبر من البيوتات الذي كان الأدب احد اهتماماتها بالرغم من خوضها في ميادين معرفية شتى، فكان "بيـت سـماحة، وفصاحة وخطابة."[5]

فممن ظهر منهم، محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بـن غريـب، كبيـر العرب بإلبيرة[6] كان "اديبا، يقوم بين الخلفاء في المحافل والمقاوم، فيحسن القول ويطيـب الثناء"[7] وذهب نفس المذهب ابن عذاري حين أكد على بلاغته.[8]

وجاء من نسله ابنه أحمد بن محمد، كان هو كذلك "من أهـل البلاغـة والبيـان، والأدب والشعر البارع" فجاء نسيج وحده في فصاحة واتساع أدبه، وقد ترجمـت قدرتـه على الابداع في النثر برقعة أشاد عبد الرحمن الناصر ببلاغته فيها، فأدنى منزلته وأجزل العطاء له، وصرفه لبعض المهمات.[9]

وبقيت عطاءات هذه الأسرة مستمرة الى غاية القرن السـادس الهجـري، الـذين تولواهم كذلك خطة الكتابة، مما يدل على تجدّرها في باقي أفراد هذا البيت.[10]

1- ابن خاقان: قلائد العقبان – ص41.
2- ابن الخطيب: نفسه – ص185.
3- المراكشي عبد الواحد: المصدر السابق – تد: صلاح الدين الهواري – ص62.
4- ابن سعيد: المصدر السابق - ج1 – ص285.
5- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج1 – ص49.
6- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص27.
7- ابن حيان: المقتبس – نشر انطونيا – ص31.
8- ابن عذاري: المصدر السابق- ج2 – ص137.
9- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص174-176.
10- ينظر الأمير عبد الله: كتاب التبيان – تحقيق وتعليق وتقديم – د/ أمين توفيق الطيبي – منشورات عكاظ – دت – ص92. ابن الزبير: صلة الصلة – مج6 – ص193.

والتحق بهذه القافلة **آل المصحفي**، فممن كانت له اسهامات في النثر، أبو الحسن جعفر بن عثمان بن قوي بن عبد الله بن كسيلة (ت 372هـ/982م) تقلّد خطة الكتابة لولي العهد الحكم المستنصر بالله، وعند توليه الحكم قلّده على الكتابة الخاصة، لا لشيء الا لأنه "كان مقدما في صناعة الكتابة." فكان ممن يفضلون على طبقته في البلاغة[1]. وهذا ما يؤكده ابن حيان بقوله: وكان "السامي المحك وقته ذلك، في الاشتمال على فني البلاغة من النثر والنظم."[2]

ومن ذرية هؤلاء المصاحفة أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام (393هـ-481هـ/1002م-1088م) الذي ورث عن سلفه الأدب، فكان من المتحققين فيه، وعلى الرغم من كبر سنه الا أنه داوم على مطالعة كل ما يقع على عيناه من كتب.[3]

ومن **آل تاجيت** نذكر أبو عبد الصمد هذيل بن محمد بن تاجيت (ت بعد 400هـ/1009م) ولبلاغته فقد تقلد الخطبة بجامع الزهراء[4]، ولحق به من بني عمومته عمر بن تاجيت الكاتب، الذي كتب لبدر بن أحمد مولى عبد الرحمن الناصر سنة 301هـ/913م اذ كان يقيم على خدمة الكتابة له، ويساعده فيها على أعبائها، كما تولاها سنة 302هـ/914م اذ أشرف على هذه الخطة لمساعدة عبد الملك بن جهور.[5]

ومن **بيت آل منذر البلوطي** أبو الحكم منذر بن سعيد (273هـ-355هـ/886م-966م) كان من المتمكنين في الترسل لبلاغته، الأمر الذي خول له من أن يكون من الخطباء المصقعين، اذ كان يتمتع بصوت جهوري مما جلب اليه أنظار مستمعيه[6]، فجاءت رسائله حسنة بديعة واحتل بذلك المراتب الأولى في هذا الميدان.[7] ونحا نحوه ابنه سعيد بن منذر.

1- ابن الأبار: الحلة...ج1 – ص257-259.
2- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص47. ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق4 – ج7 – ص51.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص174. الضبي: المصدر السابق – ص121.
4- ابن الأبار: التكملة...ج4 – ص147. ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ص262.
5- ابن حيان: المصدر السابق– ق5 – ص103.
6- الحميدي: المصدر السابق – ص315. ابن خاقان: المصدر السابق – صص37-38. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص54.
7- الزبيدي: المصدر السابق – ص295. وينظر السيوطي: بغية الوعاة – ص724.

ولقد شارك **بيت بني فطيس** أقرانه في هذا الميدان، اذ تولى بعض اعضائه خطة الكتابة منذ عهد هشام الرضى[1]، مما يدل على تجدر هذه الخطة عندهم وتمكنهم في ميدان الترسل.[2]

ولنا في أبي الأصبغ عيسى بن فطيس بن أصبغ (كان أيام الناصر) خير من يمثل هذه الأسرة، فقد ولاه الناصر خطة الكتابة العليا في حياة والده مرات متتالية[3]، فكان يشرف على انشاء بعض الرسائل الخاصة بالفتح وبعض الغزوات.[4]

ان مهمة الكاتب في أحايين أخرى كانت تتعداها للاشراف على عقد الأمان، ومخاطبة العامة، فلذلك كان يعتبر الناطق الرسمي للخليفة ولسان حاله، وهذا ما نستشفه من خلال أحداث سنة 328هـ/939م عندما رام الخليفة الاستعداد لغزو جليقية، تولى ابن فطيس هذا، مهمة مخاطبة العامة لحشد صفوفهم[5] وأخذ البيعة للناس.[6]

ومن نسل أبي الأصبغ نذكر أبا المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس (348هـ-402هـ/959م-1011م)، فقد تولى الخطبة في المسجد لبلاغته.[7]

اما رأس هذه الأسرة، فطيس بن أصبغ (ت 332هـ/943م) فقد ولي خطة الكتابة مما يدل على تمكّنه في ميدان الترسّل.[8]

ومن **بيت بقي بن مَخْلَد** الذي لم يكتف بعطاءاته في علوم الشريعة، بل كان لبعض أفراده مشاركة في هذا الميدان، نخصّ بالذكر منهم: أبو عبد الله أحمد بن بقي بن مخلد (ت 324هـ/935م) أثنى عليه الخشني بقوله: أنه كان "مجيدا في لفظه مبينا في كلامه،

1- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص17-148.
2- ولنا في بيت الزجالي خير مثال.
3- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص322. ابن الأبار: إعتاب الكتاب – ص190.
4- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص438. ومن هذه الغزوات، غزوة الخندق – ينظر عنها ابن حيان: نفسه – ق5 – ص431 وما يليها.
5- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص450.
6- المقري: النفح – ج1 – ص301.
7- ابن فرحون: الديباج – ص245. الداودي: طبقات المفسرين – صص202-203. النباهي: مرقبة – ص87.
8- ابن حيان –المصدر السابق – ق5 – ص98. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص164.

بليغ اللسان في خطبه طويل القلم في كتبه"[1]. ولبلاغته، فقد كانت تسند له مهمة مراجعة وتصحيح الوثائق.[2]

وقد ورث ابنه أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي (ت 366هـ/976م) فصاحة اللسان وبلاغة الكلام عن والده، وهذا ما يتأكد لنا من قول ابن الفرضي عنه: "فصيح اللسان بليغ المنطق، وقور المجلس."[3]

وأما حفيد هذا الأخير، أبو الحسن عبد الرحمن بن مخلد بن عبد الرحمن (358هـ-437هـ/968م-1045م) فلا يستبعد أنه تولى خطة الكتابة، بدليل أن من ترجم له ذكر بأنه كان حسن الخط، وهذه من اهم الصفات التي يجب ان تتوفر في الكُتَّاب.[4]

ومن **بيت ثابت بن حزم العوفي** نذكر ثابت بن حزم بن عبد الرحمن (ت 313هـ/926م) الذي كان ذا "بلاغة تامة وخطابة بارعة"[5] وسار على نفس الدرب حفيده ثابت بن القاسم بن ثابت (ت 352هـ/963م) الذي قال في حقه الحكم المستنصر بالله: "كان مليح الخط جيد الكتابة."[6]

ومن أكبر البيوتات ظهورا في الأدب **بيت بني فرج الجياني** منهم أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج (ت 356هـ/975م) الذي كان له تصرف في الخطابة[7] ولحق به أخوه أبو عثمان سعيد بن محمد بن فرج، ومما يدل على بلاغته ومقدرته على الترسل قول ابن حيان: "وقد ضرب به المثل في الفصاحة، كما ضرب ببكر الكناني رسيله."[8]

هذه جملة من البيوتات التي كانت لها مشاركة فاعلة في ميدان الترسل، الا ان هناك أفراد من بعض البيوتات كانت لهم اسهامات في هذا الميدان، سنتوقف عند بعضهم.[9]

من هؤلاء أحمد بن عبد الملك بن شهيد الذي كان من البلغاء، العالم بأقسام البلاغة، اذ لم ير لنفسه أحد في البلاغة يجاريه فيها[1] وتبعه في ذلك أبو حفص عمر بن الحسن

1- الخشني: أخبار الفقهاء...ص13.
2- الخشني: قضاة قرطبة – صص168-169.
3- ابن الفرضي: المصدر السابق – ص216.
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – ج1 – ص286.
5- الخشني: أخبار الفقهاء...ص51.
6- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص90.
7- ابن الأبار: التكملة...ج2 – ص235.
8- ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص70.
9- سنعود الى إنتاجهم لاحقا.

الهوزني الذي برع في النثر[2]، وحامد بن سمجون الذي كان من أهل البلاغة، وله في ذلك تأليف سمّاه – كتاب البديع –[3] وأبو عبد الله محمد بن يحي بن الحذاء، كان بليغـــا خطيبـــا مجيدا مرسلا[4]، وأبو بكر محمد بن السليم الذي كان يجيد في الخطابة لذلك ولي الصـــلاة[5] وغيرهم من أفراد البيوتات الذين ظهروا في هذا الحقل المعرفي سواء بثناء المصادر على بلاغتهم أو بما خلفوه من انتاج في ميدان الترسل.[6]

ب) آثارها في فن الترسل:

v الكتابة الديوانية:

وهي ما يعبّر عنها بالرسائل الديوانية، ويقال لها أحيانا "السُّلطانية" والتـــي كانـــت تصدر عن ديوان الخليفة، وهي عبارة عن رسائل مبايعة وتولية، ورسائل ادارية وتولية، وكان يتولاها الكاتب الخاص الذي كان يختص بالحاكم، ويطلب منه أن يكون خطه حســـنا مقبولا، بليغا عالما بما يجري في مجالس الملوك.[7]

وممن كانت له مساهمة فاعلة في هذا النوع من الترسُّل من **بيت بني بـــرد**، أبـــو حفص أحمد بن برد (ت 418هـــ/1027م) الذي كتب رسالة عن المظفر عبد الملك بـــن المنصور بن أبي عامر، والتي كانت موجهة الى أحد الخارجين عنه، وهو هذيل بن رزين البربري يقنعه فيها بالعدول عن انفصاله عن الدولة الأموية يقول فيها: "أما بعد – أتاك الله رشدك، وأجزل من توفيقي قسطك – فإن الله تعالى خلق الخلق عنيا عنهم وأنساهم بمهـــل

1- ابن خاقان: مطمح الأنفس – صص16-17. الحميدي: المصدر السابق – ص118. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص42. وينظر طه عبد المقصود – الحضارة الاسلامية – ج2 – ص820.

2- ينظر عنه عياض: المصدر السابق – تحقيق: أحمد بكير محمود – مج2 – ج4 – ص826. ابن بسام الشـــنتريني: المصدر السابق- ق2 – ج3 – صص67-68. ابن سعيد: نفسه – ج2 – ص251.

3- الحميدي: نفسه – ص173. ابن الأبار: التكملة...ج1 – ص290.

4- عياض: نفسه – تحقيق: محمد سالم هاشم – ج2 – ص301. ابن فرحون: الديباج – ص368. مخلوف: شـــجرة النور الزكية – ص112. فؤاد سزكين: المرجع السابق-مج1 – ج3 – ص177.

5- ابن الفرضي: المصدر السابق – ص356. عياض: نفسه – ج2 – ص174. ابن فرحون: نفسه – ص356. ابـــن سعيد: نفسه-ج1-ص147.

6- من هؤلاء أبو بكر يحي بن سعيد الحديدي ومحمد بن عبد الله بن أزهر وعبد الملك بن جهور البختيون ومحمد بن اسحاق بن طاهر وعبد الله بن يوسف بن عبد البر.

7- ابن خلدون: المقدمة بتحقيق: علي عبد الواحد واقي – ج2 – ص648. وينظر عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص449. يوسف طويل: المرجع السابق – ص198.

غير مهمل، بل ليحصي آثارهم وليبلو أخبارهم، وجعلهــم أخيافــا[1] متبــاينين، وأطــوار مختلفين، فمنهم المختص بالطاعة، ومنهم المبتلى بالمعصية، وبين الفريقين أقوام خلطــوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم، ولو شاء الله لكان الناس أمة واحدة."[2]

هذه **المقدمة** التي صدر بها الكاتب رسالته لا تظهر وكأنها موجهة الى ثائر علــى الحكم، حيث اتسم اسلوبها باللين، وكأنه يريد تهيئة نفسية هذا الثائر للعودة الــى الطاعــة دون استعمال للقوة ويظهر لنا أسلوب اللين الذي اتبعه كاتب الرسالة اعتماده على معــاني آي القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِــيُّ الْحَمِيدُ﴾[3] و قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[4]

وبعدها يذكره بما كان له من مكانة رفيعة ومنزلة عالية، فيقول في هــذا الصـــدد: "...بل كنتَ آمنا من المخاوف، بعيدا عن المكاره، قريبَ المكانة رفيعَ الدرجة، مُصَدَّرًا في أهل النصيحة..." ثم بعدها في آخر الرسالة يظهر لنا بين ثناياها تهديدا صريحا بما سيلحق العاصين و الخارجين عن الدولة فيقول:"...ولا يَذْهَبْ بِكَ اللُجَاج[5] الى عار الــدنيا ونــار الآخرة، اياك ومصارع الناكثين، وحذار مَوَارِطَ الغادرين."[6]

وله رسالة أخرى تدخل هي كذلك ضمن هذا النوع من الرسائل الديوانيــة، أو مــا يعبر عنه بالنثر الديواني الاعلامي الذي شاع استخدامه، وهو عبارة عــن منشــور كــان موجها من طرف المظفر عبد الملك الى الناس كافة، ويبدأ فيها ابن برد بقوله:

"أيّها النّاس – وَفَقَكُمْ اللَهُ لعصمته، واستنفذكم برحمته – اَنَّ من عَلِــمَ مــنكم حــال الخائن عيسى بن سعيد[7] بالمُشَاهَدَةِ، ورأى مبلغ النعمة عليه بالمُحَاضَرَةِ، فقد اكتفــى بمــا

1- الأخياف: المختلفون – الفيروزابادي: القاموس... ص729.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 –ص94.
3- سورة فاطر – الآية:15.
4- سورة هود – الآية:118.
5- اللجاج: الخصومة . الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص186.
6- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص95.
7- تنظر ترجمته عند ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص104 وما يليها.

شهد، واجتزأ بما عاين وحضر، ومن غاب عنه كنه[1] من عوامكم بانتزاح منزل أو لاتصال شغل."[2]

يظهر من خلال هذه الرقعة النثرية أن المُخَاطَبَ هي مجموعة من رعية عبد الملك بن المظفر ولكن سبب انشائها هو فرد واحد، وهو عيسى بن سعيد احد وزرائه الذي خرج عن طاعته، اذ لم يكتف هذا الأخير بعمله الشنيع هذا، بل جلب معه عددا من البيوتات منهم: آل فطيس وآل حدير، حتى يتقوى بهم، الأمر الذي أدى بالمظفر الى قتله، ولم يكتف بذلك، بل قام باحتزاز رأسه.[3]

وبعدها يصفه بالخائن، لأنه كان من أتباعه المخلصين، فقد استأثره المظفر وكان شديد التمسك به لما رأى من رجاحة عقله وحسن تدبيره، فارتفعت منزلته عنده وأصبح من خاصّته، وفي ذلك يقول: "فليعلم أنا اخذناه من الحضيض الأَوْهَن، وانتشلناه من شظف العيش الأَنْكَد، فرفعنا خَسِيسَتَه، وأتممنا نَقِيصَتَه، وخولناه صنوف الأموال، وصيرنا حاله فوق الأحوال، فَذَلَّلَهُ بذلك المنصور مولاي...، فاعتمدته ومَهَّدْتَ له فرش الكرامة وبَوَأته دار الفخامة..."[4]

وحتى لا يلقى من يعارضه من أبناء رعيته بسبب قتله لعيسى هذا، يُذَكِّرُهُمْ بتلك المكانة التي حظي بها في قصره بعد أن كان أسفل السافلين، اذ "لم يكن لعيسى بن سعيد مأثرة سلف، ولا بيت تقدم"[5]، ثم يبين أن سبب قتله لم يكن لأسباب شخصية، وانما لما لاقته الرعيّة من ظلم وتعسّف من هذا الوزير، فيقول: "فلم يُقِمْ لِلَهِ تعالى بِحَق، ولا قَابَلَ إِحْسَانَهُ بِصِدْق، ولا عامل رَعِيَتَنا بِرِفْق، ولا تناول خِدْمَتَنَا بِحِذْق."[6]

وهذا ما توضحه لنا بعض المصادر التي ترجمت لسيرة هذا الوزير، حيث قام هذا الأخير باستغلال انهماك المظفر في شرب الخمر وابتغاء اللذات، فقام هذا الوزير باغتنام

1- الكنة: بالضم – جناح يخرج من حائط أو سقيفة فوق باب الدار، أو ظلة هنالك، أو مخدع أو رف في البيت. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1107.
2- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص103.
3- ابن عذاري: المصدر السابق – ص29. وينظر النباهي: مرقبة...ص86.
4- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص103.
5- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص105.
6- الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص103.

هذه الفرصة وأقبل على جمع المال دون وجه حق، كما أخذ يقتطع الضياع لنفسه، فبلغ في هذا الأمر ما لم يبلغه أي وزير قبله.[1]

وله من رقعة أخرى كتبها عن المظفر بن أبي عامر، وهي موجهة الى بعض أهل خدمته لم يسمهم حيث يُركِّز فيها على ضرورة الاعتناء بالخط في الكتابة، فيقــول: "...أن تكون صدر كتب الاعتراضات وعنواناتها، وتواريخها والاعداد فـــي رؤوس رســـومها، بخطوط أيدي القواد والعمّال، من كان منهم كاتبا فَبيَدِه، ومن لم يكتب فـــبخط كاتـــب لـــه معروف..."

ففيها يوبّخ العمال لاستكتابهم الجملة من عمالهم الذين لم يحكموا الخط، ولم يميزوا انواع الرق المستعمل وكذا المداد، ثم يوجه لهم تهديدا في حالة عـــدم الالتـــزام بشـــروط الكتابة، بأن يكون مصير هذا العامل أو القائد العزل مع غرامة مالية، فيقول: "...علـــى أنه ان ورد لأحد من الخَدَمَة...كتاب اعتراض أو عمل في رَقٍّ رَدِيٍّ، بِمِدَادٍ دَنِيٍّ، أو خَـــطٍ خَفِيٍّ، فيه لحن[2]...ليبطلن سعي كاتبه فيما كتب،وليعاجلن بعقوبة العـــزل واغـــرام المـــال الثابت عدده في ذلك الفنداق."[3] [4]

يظهر من خلال هذه الرسالة ان الحكّام كانوا شديدي الاعتناء بسلامة الرسالة مـــن أي تحريف أو تشويش في استعمال الألفاظ، لأن لها علاقة بالمسائل الخَرَاجيَة، وهذا مـــا يوحي إلينا أنه كان هناك تلاعب في هذه المسألة والتي لها علاقة بالجانـــب الاقتصـــادي، الأمر الذي أدى به الى التشديد في العقوبة بمقدار ما هو مكتوب في القنداق.[5]

وقد لحق حفيده أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بجدّه في هذا الميدان، فمن أمثلة ما كتبه في هذا النوع من النثر، وهو يندرج ضمن المراسلات السياسية، خطابا موجها من أحد الأمراء الى بعض الثائرين في المقاطعات على حد قول علي بن محمد.[6]

1- ابن بسام الشنتريني : نفسه – ق1 – ج1 – ص105. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص29.

2- اللحن: هو الخطأ في القراءة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1108. الزمخشـــري: المصـــدر الســـابق – ص406.

3- الفنداق: هي الرقاع. الفيروز آبادي: نفسه – ص283. وينظر حسان حلاق: المعجم...ص177.

4- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص93.

5- احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص326.

6- علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس "مضامينه وأشكاله" – دار الغرب الاسلامي – بيـــروت – لبنان – ط1 – 1990م –ج1 – ص264.

يبدأ هذا الخطاب بقوله: "فقد آن أن توقضوا سواهي العقول، وأن تريحوا عـــوازب الأحلام، فتسلوا السخائم[1]، وتغمدوا الصوارم[2] وتعيدوا السهام في كنائنها[3]، وتقفوا الأســـنة في مراكزها، وتسلموا الخيول في مرابضها..."[4]

يظهر من خلال هذه الرقعة النثرية، أن ابن برد كتبها بطريقة فيها نوع من الليونة في مخاطبة مثل هؤلاء الثوّار، اذ أن الظروف الصعبة التي كانت تمرّ بها الأندلس، كانت تقتضي مثل هذا النوع النثري، وفيه حثّ ابن برد على ضرورة ارجـــاع الســـيوف الـــى أغمادها والرماح في سترها والخيول في اصطبلاتها، ولن يتم ذلـــك الا اذا تَـــدَخَّلَ ذوي العقول النيرة الراجحة، لاطفاء نار الفتنة.

ثم يذكر بعدها ما ينجم عن مثل هذه الثورات والتي ستأتي على الأخضر واليابس، ويذهب ضحيتها كل أفراد المجتمع وان لم يشترك بعضهم فيها، فيقول في هـــذا الصـــدد: "...فكم صال بناركم لم يشرككم في قدحها[5]، وشقي بفتنتكم ولم يغمس معكم يـــدا فيهـــا، و موفور سعيتم لذهاب وفره، ومستور أعنتم على انكشاف ستره..."

وبعدها ينتقل الى أسلوب التشدّد والتعنّت، فيقول: "أمـــا والله لتجـــرعنّ الخطبـــان[6] ولتقرعنّ[7] الأسنان، ولتحاولن الأوبة ولا مآب لكم، والتوبة ولا قبول منكم."

لقد تغيّر أسلوب كاتب الرسالة في هذه الفقرة، فقد بدأها بالقسم والوعيد، فالكاتـــب في هذا المقام كان مضطرا الى هذا النوع من الأسلوب، لأنه لم يجد استجابة من طـــرف هذا الثائر أو ذاك قد تريح القلوب، ويظهر لنا تصميم الحاكم على النيـــل مـــن هـــؤلاء اذ استعمل "لام التوكيد" ثلاث مرات متتالية، وحين رام تـــرهيبهم وتخـــويفهم، اســـتعمل "لام النافية" مرتين، وكأنه يريد من وراء ذلك، أنه في حالة عدم توبة هؤلاء والرجـــوع الـــى جادة الصواب، فلن ينتظر هؤلاء المتمردين من السلطة الحاكمة سوى الانتقام، حيـــث لا ينفع الندم.

1- السخائم: وهي السواد أو الأسود، ويقصد به الحقد. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1010.
2- الصوارم: ج صارم، وهو السيف القاطع. الفيروز آبادي: نفسه – ص1018.
3- الكنائن: ج كن بالكسر وهو وقاء كل شيء وستره. الزمخشري: المصدر السابق – ص399.
4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص383.
5- قدحها: اشعالها. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص214. الزمخشري: المصدر نفسه – ص356.
6- الخطبان: بالضم، نبت كالهليون والخضر من ورق السمر. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص76.
7- تقرعن: تقول: قرع فلان سنه: حرقه ندما. الفيروز آبادي: نفسه – ص674.

كما اختصّ ابن برد الأصغر بكتابة – عهد أمان – لثائر منيت ثورته بهزيمة نكراء فكان مصيره القبض عليه وأسره، الا ان ابن بسام لا يفيدنا في هذا المقام باسم الحاكم ولا الثائر، وما يثير تساؤلنا هو ذلك العفو الذي حاز عليه هذا الأخير، وفي ذلك يقول: "إن الغلبة لنا والظهور عليك جلباك إلينا على قدمك، دون عهد ولا عقد يمنعان من اراقة دمك."[1]

فهذا التمهيد الذي صدر به هذه الرقعة، ينم عن حقيقة مهمة، وهي عدم استسلام هذا المتمرد، وعلى الرغم من ذلك فقد حظي هذاالأخير بهذا العفو، فلماذا حباه السلطان بذلك؟

يمكن لنا أن نستشف الاجابة مما تلا هذه الرقعة من قول جاء فيه: "ولكنا بما وهب الله تعالى لنا من الاشراف على سرائر الرياسة، والحفظ لشرائع السياسة، تأملنا من ساس جهتك قبلنا، فوجدنا يد سياسته خرقاء[2]، وعين حزامته عوراء، وقدم مداراته شلاء[3]، لأنه مال عن ترغيبك، فلم ترجه وعن ترهيبك، فلم تخشه."[4]

ففي هذه الفقرة نجد الأمير يلتمس لهذا المتمرد الأعذار، ويلقي اللوم كله على الوالي الذي لم يحسن حكم مقاطعته، فأفسد تدبيره هذا، شؤون إمارته.

وفي الأخير يمنح هذا الحاكم عهد الأمان لهذا الثائر، فيواصل ابن برد في انشائه لهذه الرسالة ولكن بشروط فيقول: "...وأمان الله لك مبسوط منّا، ومواثيقه بالوفاء لك معقودة علينا، وأنت الى جهتك مصروف...الا ان تطيش الصنيعة عندك الربقة[5]، وتمرق عن الطاعة."[6]

وقد كتب ابن برد هذا – عهد بيعة – أهم ما جاء فيها: "بايع الامام عبد الله فلان بانشراح صدر، وطيب نفس ونصاحة جيب، وسلامة غيب، بيعة رضى و اختيار، لا بيعة

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص383.

2- خرقاء: الخرق وهو القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. الفيروز آبادي: القاموس – ص790. ويقصد بها هنا سياسة جوفاء.

3- الشلاء: من الشلو بالكسر، وهو العضو والجسد من كل شيء، وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقي منه بقية. الفيروز آبادي المصدر السابق: – ص1171.

4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص384.

5- الربقة: بالكسر، وهو حبل فيه عدة عرى، يشد به البهم. الزمخشري: المصدر السابق – ص152. الفيروز آبادي: نفسه – ص797.

6- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص384.

اكراه واجبار، على السمع والطاعة، والمؤازرة والنصرة، والوفاء و النصيحة في السر والعلانية والجهر والنية."[1]

يظهر من خلال هذه الرقعة ذكره لاسم – عبد الله – ولا ندري من هو ؟ وأن اسم المبايع مجهول، ولم يرد الاسم الكامل لهذا الامام، حتى يتسنى لنا معرفة مِمَنْ هؤلاء القضاة المقصودين في نص هذه الرسالة، والمنطقة التي ينتمي إليها، وما يفهم من ثنايا هذه الرقعة ان هناك ثمة خلاف بين الطرفين، وما يرجِّح ما ذهبنا اليه هي تلك اليمين المغلظة الواردة في الرسالة: "ويقسم على الوفاء به والقيام بشروط بيعته، بالله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم...ويعطيه على ذلك كله ذمة الله وذمة محمد رسوله، وذمة الأنبياء و المرسلين والملائكة والمقربين، وعباد الله الصالحين."

وينهي ابن برد هذه الرقعة بقوله: "ومتى خلعت ربقة بختر[2] أو غدر، أو طويت كشحا[3] على نكث أو حنث، فعليك المشي الى بيت الله الحرام ببطحاء مكة من مستقرك ثلاثين حجة، نذرا واجبا لا يقبل الله تعالى الا الوفاء به، وكل زوجة لك مهيرة[4]، أو تنكحها الى ثلاثين سنة، فطالق تحتك طلاق الحرج ثلاثا...وكل مال لك من صامت أو ناطق أو تملكه الى ثلاثين سنة، غير عشرة دنانير أو قدرها، فصدقة على الفقراء والمساكين."[5]

وقد لحق بهذه الأسرة **بيت الزجالي** ممثلا في أحد أفراده وهو عبد الرحمن بن عبد الله، والذي سيكلفه الخليفة عبد الرحمن الناصر بانشاء رسالة لا يكلف بها أحد بما تكتنفه مواضيعها من خطورة، وهو التنديد بمذهب ابن مسرة[6]، والتي اتخذت طابعا خاصا اقتضت أن يفتتحها بأفضلية الدين الاسلامي على باقي الديانات مستندا في ذلك على بعض آي القرآن الكريم جاء فيها: "أما بعد، فإن الله تعالى جده وعز ذكره، جعل دين الاسلام

1- المصدر السابق – نفس الجزء والصفحة.

2- الختر: هو الغدر والخديعة، أو أقبح الغدر. الزمخشري: المصدر السابق – ص103. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص345.

3- الكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلفي، وطوى كشحه على الأمر: أضمره وستره. الفيروز آبادي: نفسه – ص217.

4- المهيرة: الحرة الغالية المهر. الفيروز آبادي: نفسه – ص431.

5- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص383.

6- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص ص30-31. والمقري: النفح – ج4 – ص328. Claudio sanchez Albornos. L'Espagne Musulmane – Traduction claude Faraggi –opu – 1985 – P248.

أفضل الأديان، فأظهره و أعلاه، ولم يقبل من عباده غيره، ولا رضي منهم سواه، فقال في محكم تنزيله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] وقضى في محتوم أمره ونفاه حكمه أن ينسخ به الديانات ويختم برسالته الرسالات، فبعث محمدا خاتم النبيين وأكرم الأكرمين، وأعز الخلائق على رب العالمين.[2]

كان المراد من هذه المقدمة تهيئة الرأي العام لما سيأتي بعدها، فيجعله أكثر تقبلا لمحتوى هذه الرقعة، وليبين ان مذهب ابن مسرة هذا، هو فاسد وباطل، وهذا ما يفهم من قول ابن الفرضي: "...وتواليف نسبت اليه بذلك، مقالات نعود بالله منها."[3]

وبعدها يصوّر لنا ذلك الرخاء الذي عمّ الأندلس بعد اعتلاء عبد الرحمن الناصر الحكم، بعد أن كانت البلاد "جمرة تحتدم، ونار تضطرم شقاقا ونفاقا."[4]، فجاء هؤلاء لزرع بذور الخلاف والتفرقة، والتي يتهمها بالفرقة الضالة التي تضمر الحقد والكراهية لعامة الناس، وفي هذا المعنى يقول: "...ولما استوسعت الطاعة وشملت النعمة وعم الأقطار بعدل أمير المؤمنين السكون والدعة، طلعت فرقة لا تبتغي خيرا و تأتمر رشدا من طغام[5] السواد، ومن ضعف آرائهم ومن خشونة الأوغاد...كتبا لم يعرفوها ظلت فيها حلومهم، وقصرت عنها حلومهم، وظنوا أنهم فهموا ما جهلوا وتفقهوا فيما لا يدركوا..."[6]

وليكون نص هذه الرقعة الديوانية واضحا وبيّنا لدى العام والخاص، فقد طلب أن يقرأ على المنابر وكأنه خطاب ديني، فيقول:"...وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته، ليقرع قلب الجاهل، ويفت[7] كبد المستهتر الحائر، وينقض عزم المعاند المعاجل، ويضطر الغواة الى الانابة الصحيحة... ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[8]

1- سورة آل عمران – الآية – 35.
2- ابن حيان: المصدر السابق – ق5 – ص26
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص56.
4- ابن عذاري: البيان – ج2 – ص157.
5- الطغام: هم أوغاد الناس وأرذلهم. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1022.
6- ابن حيان: المصدر السابق – ق5 – ص27.
7- يفت: من الفت وهي الدق والكسر بالأصابع والشق في الصخرة ويقصد بها هنا: تشتيت جمعهم. الفيروز آبادي: نفسه – ص144.
8- سورة هود- الآية 76.

وينهي الزجالي رقعته هذه بالتهديد والوعيد، فيقول: "...وإياك أن تداهن[1] في اهــل الريبة وتتخطاهم الى ذوي السلامة والأحوال الصالحة، فإن فرّطت في أحد الأمــرين او كليهما، فقد بريء الله منك وأحل دمك، فأعلمه واعتلمه ان شاء الله تعالى."[2]

ومن **بيت بني الباجي** ظهر منهم: أبو عمر يوسف بن جعفر، له رقعة كتبها عــن ابن هود أحمد بن سليمان الملقب بالمقتدر أمير سرقســطة (ت 474هـــ/1081م) الـــى المعتضد ابن عباد اسماعيل بن عباد (431هـ-461هـ/1039م-1068م) يظهر وكأنهــا مدح لهذا الأمير، وتعداد لفضائله ومكارمه، فيقول فيها: "كثرت – أيدك الله – محامــدك، فصارت زاد الرفاق وأشرقت محاسنك، فرمت بساطع نورها الى الآفاق...في كــل أفــق بريد من انبائك يتعلل، ولفضائلك المأثورة حملة يتباينون في القدر، والله يصون ما ألبسك من المكرمات، ويزيد فيها خولك من الصالحات، بمنّه."[3]

ويواصل هذه الرقعة مبينا اخلاصه له، وشدة اعجابه به، وبالظفر بأحاديثه التي لا تمل، فقال في هذا المعنى: " وأنا لا أزال بفضل خلو اليك، وصدق انجذابي لــك، و شــدة اعتباطي بموهبة الله السنية فيك...مستهديا لطيب أحاديثك ومبهج اخبارك..."

ان هذه الرقعة التي كتبها سيرسلها مع احد التجار بجهته سرقسطة عندما أخذ هــذا الأخير يعدد مناقب المعتضد، فأراد ابن هود خطب ودّه عن طريق هذه الرقعة، فيقول في آخرها: "...وقام فيها بشكرك، تقت الى مواصلتك معه وتجديد العهد الكريم علــى يــده، فأصحبته كتابي هذا، مخبرا عن مقامه في بث مناقبك، وواصفا لحاله في نشر محامــدك، وحيلا عليه في وصف ودي، والاخبار عما عندي."[4]

وشارك أبو عمر أحمد بن محمد من **بيت بني دراج القسطلي** في الكتابة الديوانيــة وهذا ما يتوضح لنا من خلال كتابه في الفتح، اذ كان ابن دراج هذا كثيرا ما يخرج مــع المنصور بن أبي عامر للغزو دون أن يكون مشاركا فيها، فمن هذه الغزوات التي صحبه

1- المداهنة: من فعل ذاهن أي نافق. الفيروز آبادي: المصدر السابق– ص1079.
2- ابن حيان: المصدر السابق – ق2 – ص29.
3-ابن بسام البشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – ص149.
4- نفسه: نفس الجزء والصفحة.

فيها، "شنت ياقوب"[1] وغيرها من القلاع الحصينة، فقد وصف فيها الغزاة من أولهـا الـى آخرها كما قام بوصف كنيستها وصفا دقيقا، "بأحسن وصف، وأبدع وصف"، ولذلك لقيت استحسانا واعجابا، وكانت هذه الرسالة موجهة الى هشام المؤيد ليطلعه على هـذا الفـتح المبين[2] ولم يورد ابن بسام هذه القطعة، وهذا ما نستشفه من كلامه عن ابـن دراج هـذا، "ونثر أبي عمر دون نظمه...فلذلك ألمعت عنه بالشيء اليسير."[3]

ومن **بيت بني الأفطس** نذكر المتوكل عمر بن المظفر محمد بـن عبـد الله (ت ق 487هـ/1094م) له رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد ابن الحضرمي[4] وقد صرفه عـن خدمته ورد فيها: "ولما رأيت الأمر قد ضاع والادبار، قد انتشر وذاع، أشفقت من التلف، وعدلت الى ما يعقبنا – ان شاء الله – بالخلف، وأقبلت أستدفع مواقع أنسي، وأشـاهد مـا ضيعته بنفسي، فلم أر الا لججا[5] قد تورطتها، وغمرات[6] قد توسطتها، فشمرت عن الساق للجتها،...حتى خضت البحر الذي أدخلني رأيك، ووطئت الساحل الذي كان يحول بينـي وبينه فعلك."[7]

يظهر من خلال هذه الرقعة أن سبب هذا العزل هو طيش هـذا الـوزير وتجبـره المفرط، وسوء معاملته للناس، حتى كرهه أصحاب الدولة، فأقعده المظفـر عـن رتبتـه وأقعده عن خدمته.[8]

v **الكتابة الإخوانية:**

وهي أكثر شمولا من الرسائل الديوانية، وهي تشمل عدة أغراض منها: العتاب والتهاني والتعازي والتهادي والاستزارة والعتاب والتهنئة وغيرها من الأغراض[1]. ولكثرة هذه الأغراض سنحاول أن نختص كل بيت بواحد منها فرارا من التطويل.

1- شنت ياقوب: هي كنيسة عظيمة، وهي في ثغور ماردة مبنية على جسد يعقوب الحواري، وقد جرت هذه الغـزوة سنة 387هـ/997م. الحميري: الروض المعطار – ص348. احسان عباس: عصر سيادة قرطبة – ص240.
2- الحميدي: المصدر السابق – صص98-99.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق– ق1 – ج1 – ص61. وينظر علي بن محمد: ابن بسام الأندلسـي وكتـاب الذخيرة – ص289.
4- ينظر عنه ابن سعيد: المصدر السابق – ص286.
5- اللجج: بالضم، الجماعة الكثيرة، ومعظم الماء. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص186.
6- الغمرات: ج الغمر، وهو الماء الكثير، وهو كذلك لمن لم يجرب الأمور. الفيروز آبادي: نفسه – ص407.
7- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق2 – ج4 – ص483.
8- ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص286. ابن خاقان: قلائد العقبان – ص46.

ففي الصداقة وهو نوع من الترسّل يعرف بالنثر الاجتماعي، فخير من يمثل هــذا الاتجاه من **بيت بني برد** أحمد بن برد الأصغر الذي عبّر في رسالته هــذه عــن مقــدار الصداقة وخصائصها والتي يشيد فيها الى ما وصلت اليه مــن حــب وود، و نعــم هــذا الصديق الذي كان يقف الى جانبه اذا ما نزل بابن برد نازلة من النــوازل، وذلــك فــي أسلوب دقيق مسجوع، وفي ذلك يقول: "بيننا خصــائص ودادة، كأنهــا وشــائج[2] ولادة، ورعيت به السعدان[3]، وأخذت من ريب دهري به الأمان، جلى من مطلبي ما أظلم علــي، وأشعل من همتي ما خمد لدي أمضى لساني، وبــل ريقــي، وأشــاد باســمي، وأعلــى قدري....ناصري اذا تكاثرت الخطوب علي، ومجيري اذا أثخنت الأيام جانبي... يحســن عشرة الجار، ويسيء عشرة الدرهم والدينار."[4]

احتوت هذه الرقعة على معاني سامية للصداقة، قد تصل في بعض الأحيــان الــى منزلة الأخوة، فكانت محبته لصديقه محبة في الله، لا لمصلحة مادية، كما ورد في النص.

وفي العتاب، فللمتوكل عمر بن المظفر من **بيت بني الأفطس** له رقعة كتبها الــى أخيه المنصور يحي أيام توليه يابرة[5] بعد ان سمع بأنه قدح فيه بمجلس أخيــه هــذا، ورد فيها: "كل صديق – أيدك الله – اذا خاطب صديقه، فأغرب ما يطنب به عليه، ويسهب فيه لديه، أن يقول: أنا كأخيك، محبة فيك، فإذا كتب اليك، فأي غريبة أورد عليــك؟ و نحــن منتهى كتب المتخاطبين، وغاية آمال المتحابين؟ !".[6]

يظهر من خلال هذه الديباجة وكأن غرض الرسالة ليس اللوم، اذ تحمل بين جملها عواطف الأخوة الجيّاشة، والتي من المفترض ان تكون بين الشقيقين، وكأنه بهذه الطريقة يمهد له ليفرغ ما يختزنه من غضب دفين اتجاه هذا الأخ، ثم يتخلّص الــى اللّــوم وهــو صلب الموضوع ردا على ما جرى في مجلس أخيه حين ذكروه بالسوء[7]. فيقول: "غيــر

1- يوسف طويل: المرجع السابق – ص202. عبد العزيز عتيق – ص454.
2- الوشائج: من الواشجة، وهي الرحم المشتبكة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص190.
3- السعدان: هو نبت من أفضل مراعي الابل، وله شوك تشبه به حلمة الثدي. الفيروز آبــادي: المصــدر نفســه – ص262. الزمخشري: المصدر السابق – ص211.
4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص387.
5- ينظر عنها الحميري: الروض المعطار – صص615-616.
6- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق2 – ج3 – ص484.
7- ابن خاقان: قلائد العقيان – ص48. وينظر ابن دحية: المطرب...ص161.

أنه جرى في ناديك – لازال معمورا بمعاليك – أنني أبيع الأحرار والحرائر، واستصغر المعاصي والكبائر."

يظهر أن وصف يحي لأخيه كان صادقا، اذ كثيرا ما كان المتوكل يحضر مجالس اللهو و الشرب، الا أنه أقلع عن ذلك عندما أصاب الأندلس القحط أقلع عن الشرب، ونزع ملابس الخيلاء والزهو..."[1]

وفي الذم فخير من يمثله من **بيت بني حزم** أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد وتتمثل رسالته في تلك المساجلات التي وقعت بينه وبين ابن عمه أبي محمد ابن حزم فمما جاء فيها: "وقفت – كلأك[2] الله – وأنت عين التمام، وعلم العلام، على كتاب عنوانه باسمك أسمال[3] كأنه طلل بال، فكلما هززته هوم[4]، أو سألته استعجم، معنى كصدى الانسان[5]، ولفظ كمنهجات[6] الأكفان، وأغراض لا يدب فيها سهم مقرطس، وإظلام لا وضح فيه لصبح متنفس، ورطانة تمجها الأسماع، وتحتويها الطباع."

لقد صدر أبو المغيرة هذه الرسالة بإظهار مكانة ابن عمّه هذا، فإن كان أحد اعلام الأندلس المشهود لهم بالعلم، فكيف له ان يكتب لي برقعة وكأنها بقايا أثرية قديمة لا حياة فيها بما تحتويه من كلمات ومفردات غير مفهومة، فهي مبهمة الألفاظ لمن رام قراءتها.

ويظهر من خلال هذه الرقعة وكأن هذا الكتاب الذي خاطبه به ابن عمه كائن حي فكلما حاول تحريكه، فلا حياة لمن تنادي وكأنه في سبات عميق، وكلما سأله وقف عاجزا عن الاجابة، فهو جسد بلا روح، ظلام بلا نور، وكأن حروفه كتبت بالأعجمية.

فبعد هذا الحوار الجدلي بينه وبين الكِتَاب – الرقعة – يجري حوارا مع نفسه و قريحته اللتان أفهمتاه بأنه ليس بالنبي سليمان – عليه السلام – الذي علمه الله منطق الطير ولغة النمل، وفي هذا يقول: "فأقمت متبلدا، وعدت على نفسي وقريحتي مترددا، فقالتا:

1- ابن خاقان: المصدر السابق – ص48. المقري: النفح – ج2 – ص158.
2- كلأ: حرس. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص48.
3- أسمال: من السملة، وهو الماء القليل، وبقية الماء في الحوض. الفيروز آبادي: نفسه – ص914. الزمخشري: المصدر السابق – ص220.
4- هوم: من التهوم، وهو هز الرأس من النعاس. ص1057. الزمخشري:نفسه – ص489.
5- الصدى: هو الرجل اللطيف الجسد، وكذا الجسد من الأدمي بعد موته. الفيروز آبادي: نفسه – ص1172.
6- منهجات: من المهجة وهي الروح. الفيروز آبادي: نفسه – ص188.

أفق أيها الانسان، لست بالنبي سليمان، متى وعدناك أن نفهمك كلام الحكل[1] وسرار[2] النمل."[3]

وفي التشوق فلأبي المغيرة هذا رسالة اخوانية يصف حاله بعد ان فارقه أبو عمر ابن عبد البر صديقه، اذ أصابته جراء هذا الفراق – علة وان صبره نفذ، حتى كاد أن ينساه، فمما قاله فيها: "ولقد بقيت حالي بعدك مريضة، وعين آمالي مغضوضة[4] وأيدي انسي مقبوضة، وجيوش صبري عنك مفضوضة[5]، فقد كان ذلك البعد الطويل أحدث بعض السلوان، وأتى بما في طبيعة الانسان من النسيان...حتى اذا وقع اللقاء تأجح من ذلك الالتياع[6] خامدة، وثار راكده وسال جامده، وكان حالنا ما قال أبو الطيب[7]:

إِفْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمَّا الْتَقَيْنَـا ... كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعـًا[8]

وفي الاستجداء، فيعتبر أبو عمر احمد بن محمد من **بيت بني دراج القسطلي** من أولئك الذين طرقوا هذا الباب، وذلك بسبب تردي أحواله الاجتماعية، فقد: تطارحت به النوى، فقاس شدة التغرب[9]، فأخذ يتنقل ما بين الجزيرة وسرقسطة يستجدي ملوكها ويستعين بهم على نكبته، وذلك عن طريق مدحهم.[10]

وفي هذا الصدد يقول من رقعة له: "يا سيدي، ومن أبقاه الله كوكب سعده، في سماء مجد، وطائر يمن، في أفناء أمن، مرجوا لدفع الأسواء، موملا في اللاواء[11]، وكنت قد نشأت في معقل من العفا[12] والوفر، محد قايسور الأمن والستر."[13]

1- الحكل: بالضم، ما لا يسمع صوته. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص887. ويقال: في لسانه حكل، أي: عجمة. الزمخشري: المصدر السابق – ص91.

2- السرار: وهو السر، ما يكتم. الفيروز آبادي: نفسه – ص366.

3- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق- ق1 – ج1 – ص133.

4- مغضوضة: من غض بصره، أي خفضه. الفيروز آبادي: المصدر السابق– ص583. الزمخشري: المصدر السابق – ص325..

5- مفضوضة: من الفضاض، ما تفرق من الشيء عند كسره. الفيروز آبادي: نفسه – ص584.

6- الالتياع: الاحتراق من الهم. الفيروز آبادي: نفسه – ص686..

7- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج1 – ص131.

8- المتنبي أبو الطيب: ديوان مع السيرة والأقوال والنوادر – دار الراتب الجامعية – بيروت – لبنان – ط1 – 2008م – ص235.

9- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج2 – ص50.

10- ابن بسام الشنتريني: نفسه- ق1 – ج1 – ص57.

11- اللأواء: من اللواء،ويقصد بها الاستغاثة. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص1199.

12- العفا: من العفوة والعفاء، ويقصد بها هنا ما كان يفضله من النعمة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص1181.

13- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص58.

ان صدر هذه الرسالة تبين لنا توسل ناثرنا هذا الى ممدوحه، اذ يبين له بأنه كـــان بين أحضانه في دعة ورغد من العيش آمنا على حياته من عادية الدهر، الى أن يأتي الى ذكر أوجاعه وما أصابه من فقر طرق بابه مبكرا، فيقول في أحسن مـــا أبدعـــه خيالـــه، وقدرته على براعته الأدبية "متى أرسل الى سلطان الفقر، رسولا من نوب الدهر، يريـــد استنزالي اليه، وخضوعي بين يديه، فأبيت من ذلك عليه، فغزاني بكتائب مـــن النوائـــب، تسير تحت ألوية المصائب تبرق بسيوف الرزايا، وتشهر أسنة المنايا، يرمون عن قســـي الأوجال، ويضربون طبول الدعر".

ففي هذه الفقرة يظهر براعته في تخيل الأحداث، اذ جعل للفقر سلطانا، قد أرسل له من الهموم ما عجز كاهله عن حمله، ولم يكتف هذا السلطان، فبسبب شدة مقاومة كاتبنـــا ابن دراج، سيرسل له جيشا جرارا يقرع الطبول ليدخل في نفسه الهول والرعب.[1]

وعلى الرغم من كل ذلك، فلم يدخل الرعب قلبه، فهناك بصيص من الأمل وصـــله من ممدوحه الذي لم يسمه، فيقول: "فلم يرعني ذلك منهم أن تلقيتهم بمن معي من جنـــود الصبر، فافتتح معقلي سلطان الفقر وأخذني أسرا... فأوثقني في قيود الانقياد، و شدني في أغلال الأصفاد[2]، ووكل بي الحيرة والتبلد[3]، وأمرهما ألا يطلقا سبيلي الا بالفداء، فضاقت بذلك مذاهبي حتى اتى منك رسول يسمى حسن الثناء، فضمن لي عندك فديتي..."[4]

وفي الشفاعة كان **لبيت آل طاهر** دور فيه ممثل في أحد أفراده، وهـــو أبـــو عبـــد الرحمن محمد بن اسحاق بن زيد (407هـــ-507هـــ/1016م-1113م) له رقعـــة نثريـــة يطلب فيها الشفاعة لبعض أكابر القوم وعليتهم وأعيان المجتمع الأندلسي، اذ كثيـــرا مـــا يصيب هؤلاء الفقر بسبب تقلب الدهر عليهم، ففي رسالته يتشفع لرجل لـــم يـــذكر اســـمه سوى المنطقة التي ينتمي اليها وهي مدينة شلب[5]، فيبدؤها بقوله:

1- ينظر علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي – ج1 – ص301 – ج2 – ص595.
2- الأصفاد: القيود. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص266. الزمخشري: المصدر السابق – ص255.
3- التبلد: ضد التجلد. الفيروز آبادي: نفسه – ص244.
4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص58.
5- هي مدينة قديمة ازلية، حسنة البناء، حصينة، بها رياضات وجنات كثيرة، فاقت جميع بلاد الأندلس بكثرة خيراتها. مجهول: تاريخ الأندلس – صص100-101. وينظر عنها . – Christophe Picard : Le Portugal Musulmane – p199.

"لما أستحكم ما بيننا استحكام البنيان ذي القواعد، وصار ذلك مستقرا في علم الصادر و الوارد، جعلت اليك شفيعا، وارتجي النجح بي وشيكا سريعا."[1]

في هذه المقدمة يعطي التبرير الذي جعله يتشفع فيها لهذا الرجل، يذكر فيها للمتشفع عنده والذي تربطهما علاقة حميمية، حتى أنه شبهها في متانتها وصلابتها بالبناء المحكم البنيان، حتى علم بصداقتهما الداني والقاصي، فباسم هذه الأخوة والصداقة، جعلتني الأقدار ان أكون وسيطا لرجل من أهل بلدكم لأكون له شفيعا لديك، وأتمنى ألا تخذلني.

وبعدها ينتقل الى صلب الموضوع الذي أدى به الى تحرير هذه الرسالة، فيقول: "وتصل أحرفي هذه على يدي فلان من أهل شلب، ممن كانت له حال بذلك الغرب، الا أن عادة الأيام في مثله مبلوة، ومنازلهم عندها مجفوة، ونبذته عن الوطن والصميم، كما ينبذ الكراع[2] من الأديم."

ففي هذه الفقرة يصف فيها الحالة السيئة التي وصل اليها هذا الرجل، فقد كان فيما مضى ذا مكانة وجاه، فتغيرت حاله، ونفره وطنه، كما ينفر الماء عن الحب، مما يؤدي الى موته، وقد يكون هذا المشفع له من ضحايا اعتداءات العدو باعتبار مدينته قريبة من أرضهم، وهذا ما يؤدي الى فقدان ضياعه، وبالتالي مكانته الاجتماعية، ولذلك يجعل ابن طاهر المشفع لديه أمله الوحيد، فيقول: "واعتمد هذا الوفق، يرجو فيه الرفق، وأنت محط أمله، ويد عمله، آثرك لتشير له أمرا يتقلده...ورغبتي مؤكدة الى مجدك فيه، فله خلال تحظيه، وما يقع عنده من حسن صنيعتك، فهو واقع من اعتداده، موقع الماء من ذي الغلة الصادي."[3]

ففي آخر هذه الرسالة يطلب منه الرفق بحاله، وكان أمله الوحيد في أن يحوز عندك بخطة يتقلدها ليسترزق منها.

وفي التعزية، فممن ظهر من **بيت بني عبد البر** أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد البر (ت457هـ أو 458هـ/1064م- 1065م) له رسالة يعزي فيها صديقا توفيت والدته يبدؤها بقوله: "يا سيدي، ومن لا زال جأشه ساكنا، وحرمه آمنا، وباله

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه- ق3 – ج5 – ص49.
2- الكراع: وهو من الكرع، وهو ماء السماء. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص683.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق3 – ج5 – ص49.

ناعما...بودي – أعزك الله – لو خاطبتك بالتهنئة لا بالتعزيـــة، وشـــاركتك بالعطيـــة لا بالرزية، ولكنها الأيام تحلي وتمر، والأقدار تسوء وتسر، و الرزايا تتطـــرف وتتحيـــف، والمنايا تستدرج وتتحطف."[1]

لا يخامرنا الشك في أن المقدمة التي صدر بها ابن عبد البر رسالته هذه، الغـــرض منها هو تعزية صديقه، الا أنه كان يود أن يخاطبه في ظروف غير تلك الظروف، وتمنى أن تكون ظروفا حسنة وأفضل، ثم يقوم بتطييب خاطره، ويقول: بأن الأقدار قـــد تحـــيط صاحبها بغمامة سوداء، فيحزن لمصابه، وتارة تفرحه وتسره، الا أن المـــوت لا محالـــة تستدرج صاحبها وتنتزع روحه حيثما وجد.

ثم يستطرد قائلا: "واتصل بي وفاة الوالدة المرجو لك دعوتهـــا المبلـــوة بركتهـــا، فساءني يعلم الله أن يطرق خطب حماك."[2] ثم يواصل رقعته النثرية هذه بكلام غريب قـــد لا يفهم سببه، اذ يؤكد أن المكان المواتي لهؤلاء النساء هو القبر، وهذا ما يفهم من كلامه حين قال: "...والنساء كيف كانت مراتبهن، والحرم وان جلت منزلتهن، لم يغلق علـــيهن كأبواب الترب، ولم يسدل دونهن كستور القبور."[3]

يفهم من كلامه هذا، أن القبر هو حماية لهن، وهاك قولـــه: "ورب أم مبـــرورة، و أخت كبيرة، قد نزعت نزعا من الصيانة، وذهبت مذهبا مباحا من مباح الديانة، ود ابنهـــا وأخوها قبل ذلك لو طواها كفن، ووراها جنن."[4] [5]

هذه نماذج مما جادت به قريحة بعض البيوتات في هذا النوع من الكتابة الانشـــائية وما خلفوه فيه من آثار، وهي كثيرة، فلو ذكرناها كلها لكانت لنا في ذلـــك غنيـــة، الا ان عطاءات هذه الأسر، لم تقتصر على هذا النوع من النثر، بل تعدته الى نوع آخر وهو:

1- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق3 – ج5 – ص164.
2- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – نفس الجزء و الصفحة
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق3 – ج5 – ص165.
4- الجت: هو القبر والميت والكفن. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص1069.
5- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق3 – ج5 – ص165.

٧ أنواع أخرى من النثر:

تدور مواضيعها حول الأخلاق والسلوك الاجتماعي ووصف الطبيعة، والسيف والقلم والرحلات، وحثّ الحكام على توحيد الكلمة، وغيرها من الأغراض التي طرقتها ، ولذا فقد خاض فيها الأندلسيون، بأقلامهم وأكثروا القول فيه.[1]

ففي المناظرات الخيالية برز **ابن برد** الأصغر في هذا النوع من النثر، وخير ما أبدعته قريحته الأدبية رسالته في "المفاخرة بين السيف والقلم" والتي اعتبرت من "أنظر ما قدمه النثر الأندلسي في ذلك العصر أسلوبا ومضمونا"، فاحتوت على كلمات تجري مجرى المثل والحكمة.[2] فكان ابن برد أول من سبق للخوض فيها من أهل الأندلس.[3]

كانت هذه الرسالة موجهة الى الموفق أبي الجيش مجاهد العامري[4]، اذ جعل فيها السيف رمزا للجند والقلم رمزا للكتاب، وكان غرضه من كل ذلك أن يسوي بينهما في ظل حكم مجاهد هذا.

ومما جاء فيها: "...وان السيف والقلم لما كانا مصباحين حين يهديان الى القصد، من بات يسري الى المجد، وسلمين يلحقان بالكواكب...وطريقان يشرعان[5] نهج الشرف لمن تقرى[6] اليه، ويجمعان شمل الفخر لمن تأشب[7] عليه."

وعلى الرغم من التشابه بين الأداتين، واشتراكهما في عدة صفات مهما اختلفت طريقتهما فكلتيهما تصلان الى هدفهما بالرغم من اختلاف الوسيلة، الا أنهما سيدخلان في سجال، كل منهما يريد ابراز تلك الخصال التي يتميز بها عن الآخر، فيقول في هذا

1- يوسف طويل: المرجع السابق – ص206. عبد العزيز عتيق: المرجع السابق – ص469.
2- احسان عباس: عصر سيادة قرطبة- ص282.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص101. ابن خاقان: مطمح الأنفس – ص24. الصفدي: الوافي بالوفيات – ج5 – ص168. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص83. وينظر حاجي خليفة: الذي خلط بين ابن برد الأكبر والأصغر – المرجع السابق – ج5-ص62-65.
4- ينظر عنه ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص217-220.
5- يشرعان: يفتحان. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص660.
6- تقرى: قصد أو طلب. الفيروز آبادي: نفسه – ص1191.
7- تأشب: من الشؤبوب، وهو الدفعة الأولى من المطر، وأول ما يظهر من الحسن. الفيروز آبادي: نفسه – ص92.

الصدد: "...وادعى كل واحد منهما ان الفوز لقدحه[1] وأن الوري[2] لقدحه، وأن الدر من أصدافه، وأن البكر من زفافه، وأن البناء من تشييده..."

بعد هذا الخصام، كشف كل واحد عن وجهه، ودخلا في مساجلات حامية الوطيس، يصف كل واحد منهما جلالة قدره وفضائله، فيبدأ القلم يقول، وقد افتتحها بآي القرآن الكريم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[3] ثم يواصل قوله: "...فجلّ من مقسم، وعزّ من قسم، فما تراني وقد حللت بين جفن الايمان وناظره، وجلت بين قلب الانسان وخاطره؟ لقد اخذت الفضل برمته، وقدت الفخر بأزمته."[4]

ويرد السيف عليه ويقول: "وجه لئيم، وجسم سقيم، وغرب[5] يفل، ودم يطل ودموع سجام[6]، كأنهن سخام[7]، ورأس لم يتقلقل فيه لب، وجوف لم يتخضخض فيه قلب..."[8]

يظهر لنا من خلال هذا الوصف، وكأنه لا يذم أداة من ادوات الكتابة، وانما يذم شخصا بعينه، وقد يكون الأمر كذلك، لأن الكثير من الكتاب يستعملون بعض الأدوات الجامدة لاستخدامها بغرض الذم والمدح.[9]

ويجيبه القلم بأسلوب فيه احتقار، فيقول: "...تسود ما بيض الصفاء، وتكدر ما أخلص الاخاء، وتؤكد أسباب الفتن وتضرب بقداح الفتن."[10]

ويطول السجال بين الأداتين الى أن يصل ابن برد الى الغرض الذي من أجله انشأ رسالته، وهو مدحه لمجاهد العامري، وذكر مناقبة، فيقول: "تلك يد الموفق أبي الجيش مولى المعالي ومسترقها، ومستوجب المكارم ومستحقها...المطل بفخره على الأفلاك، والمقدم اذا احجمت الأبطال، والضاحك اذا بكت الآجال..."

1- القدح: بالكسر، هو السهم قبل أن يراش وينصل. الفيروز آبادي: نفسه – ص214. وأما القدح بالفتح، فهو الطعن. الزمخشري: المصدر السابق – ص356.
2- الوري: هو قيح في الجوف، أو قرح شديد يقاء منه القدح والدم. الفيروز آبادي: نفسه – ص1207.
3- سورة القلم – الآية 1
4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – ص403.
5- غرب: نقول سهم غرب، أي لا يدري راميه. الفيروز آبادي: المصدر نفسه – ص111.
6- سجام: من سجم، قطر الدمع. نفسه – ص1009.
7- سخام: من السخم، وهو السواد – المصدر السابق– ص2010.
8- ابن بسام الشنتريني: المصدر السالق– ق1 – ج1 – صص404-405.
9- علي بن محمد: النثر الأدبي الأندلسي – ص589.
10- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص403.

يتضح من خلال هذه الفقرة، أنه اراد بممدوحه شخصين في آن واحد، فهـو القلـم باعتباره أنه خاض في ميادين معرفية – الأدب وعلوم القـرآن[1] – وهـو السـيف فـي شخصيته الثانية، بسبب خوضه للحرب برا وبحرا.[2]

وفي الأخير، يطلب ابن برد ضرورة تصالح الاثنين، فكلاهما يحتاج الى الآخـر، ولهما نفس المميزات والخصائص، ويتفقا على ابرام صفقة بينهما، ويختمها بقوله:

قَدْ آنَ لِلسَّيْفِ أَلاَّ يَفْضُلَ القَلَـمَا ــ مُدْ سُخِّرَا لِفَتَى حَازَ العُلَى بِهِـمَا[3]

وفي المفاخرة بين الأزهار، فمن **بيت ابن الباجي** ظهر أبو عمر يوسف بن جعفـر الذي أنشأ رقعة على لسان البهار الى المقتدر ابن هود (ت 474هـ/1081م)، يقول فيها: "أطال الله بقاء المقتدر بالله، مولاي وسيدي، ومعلي حالي ومقيم أودي[4] وأعادني من خيبة العناء، وعصمني معه من اخفاق الرجاء، ولا أشمت بي عدوا من الريـاض يناصـبني، وحاسدا من النواوين يراقبني."[5]

يجري ابن الباجي – في هذه الرقعة – حوارا ساحته الرياض، يستنطق فيها أشكال الورد فيه، فهو لا محالة يريد التقرب الى المقتدر، اذ يثني فيها عليه ويرجـو ألا يخيـب أمله ولا يشمت فيه الأعداء الموجودين بهذه الرياض.

وبعدها يبدأ في مناظرته الخيالية بين البهار الذي يجسد شخصيته،وبين الورد الذي يحسده لأنه أحسن من النواوير الأخرى في المكانة، فكما يتفرّد البهار بين النـور، فإنـه يتفرّد بين كتاب عصره أمير الكتابة وسيد صناعة النثر[6]، ثم يوضح لهذا الحاكم بأنه عبده المطيع وهو الحاضر عندما يغيب الآخرون، ويرجو بعده أن يقرّبه من مجلسه، فيقول في هذا المعنى: "وقد علم الورد موقع إمارتي، وغني بلطيف إيمائي عن عبارتي، وانها تحية الزهر حياك بها،... وقد أتيت في أواني، وحضرت وغاب أقراني، ولم أخل من خـدمتك رتبة ومكاني...وأنا عبد مطيع مسخر، ومملوك يتصرف مدبر، حقيق بـأن يحسـن إلـي

1- نفسه – ق3 – ج5 – ص20. ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص218. الحميدي: المصدر السابق – صص344-345. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – صص155-156.
2- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق3- ج5 – ص20.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص406.
4- الأود: هو الاعوجاج. الزمخشري: المصدر السابق – ص12.
5- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق2 – ج3 – ص153.
6- بوسف طويل: المرجع السابق – ص217.

فأدنى، وجدير بأن يهتبل بي ولا أجفى، لأنـــي ســابق حلبــة النــوار، وأوائــل طلائــع الأزهار..."[1]

ثم يطلب منه أن يدني مكانته إليه، لا لشـــيء، الا لأن البهــار لا يعمــر طــويلا، فسرعان ما يذبل ويموت، وفي هذا يقول: "...فهل لمولاي أن يحسن الي صنيعا، ويكــرم النور جميعا ويدنيني فأرقى الى أختي الثريا سريعا...لأني سريع الذبول، وشيك الأفــول، لا يصحبني الظهور الا قليلا..."[2]

لقد نجح ابن الباجي في تصوير حاله الذي وصل اليه، فكان تشبيهه للبهــار علـــى سائر أنواع الأزهار في محله، اذ صور لنا ذلك الصراع الدائر رحاه بينه وبين من يحسده كصراع البهار و الورد فيمن هو أصلح، وعلى حد قول علي بن محمد: أن ابن الباجي لم يترك للبهار مجالا للتحدث على لسانه.[3]

وقد ساهم **بيت بني حزم** في هذا النوع من النثر، فخير من يمثله من أفراده ، أبــو المغيرة عبد الوهاب السالف الذكر، ففي هذا الغرض تستوقفنا رسالته التي ردّ فيها علـــى رقعة علي بن الربيب القروي، وهو من أدباء القيروان الذي ذكر بأن علماء الأمصار قــد دوّنوا فضائل بلدانهم وأخبار علمائهم وملوكهم وأمرائهم، فأبقوا لهم ذكرا فـــي الغــابرين، وبعدها يلقي اللوم على الأندلسيين ويخص بالذكر ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد الــذي يخصص في كتابه هذا مكانا لذكرهم.[4]

وكان رد أبي المغيرة بهذه الرقعة يقول فيها: "أبقاك الله من حميم صــريح الــود، أهدى تحيته على البعد، فإن الفهم رحم، والأدب ما بين أهله وسائل وذمم، ولـــيس عــدم الترائي والعيان بقاطع الأسباب والأقران، ولا تنائي الديار والمنازل، بقادح فـــي الأذمــة والوسائل، فالكتاب عوض عن الكلام، والتواصل بالنفوس لا بالأجسام.[5]

ثم يخبره بأن رسالته هذه وقعت بين يديه، ويأخذ في الثناء بما جاء فيها مــن نثــر وما احتوته من بيان، فيقول: "...فوقفت على الصحيفة التـــي ظاهرهــا ديبـــاج مرقــوم،

1- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج2 – صص153-154.
2- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ص154.
3- علي بن محمد: المرجع السابق – ص600.
4- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق1 – ج1 – صص112-113. المقري: النفح – ج4 – ص8.
5- نفسه – ق1 – ج1 – ص114.

وباطنها لؤلؤ منظوم ووشيء محوك وذهب مسبوك، فرأيت صور الأدب باهرة المـــرأى والعيان شاهدة لك بأذلق لسان وأصدق بيان، أنك أبو عذرتها[1] ومالـــك جملتهـــا، وواحـــد فنونها..."

وفي الأخير يعترف أبو المغيرة بما ذهب اليه ابن الربيب ويشكره علـــى عنايتـــه بالأندلس، وفي ذلك يقول: "وما أشبهنا بالغريبة التي خيرها يدفن وشرها يعلن يتعب أحدنا نفسه، ويرهق حسه، ويعارض السيف بفهمه، والبحر بعلمه، والنـــار بذكائـــه، والزمـــان بمضائه..."

ثم يرد عليه بطريقة ذكية ببيت شعري لـــ: قعنب[2]، يلخّص فيه أن علماء الأنـــدلس كثيرون تفتخر بهم الأندلس، الا أن أكثر الناس تأخذ بالخبر المشكوك، أما الحقيقة تدفن.

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طَارُوا لَهَا فَرَحًـــا ـ عَنْهُ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُـــوا[3]

وفي الاستنفار للجهاد، فقد كان لبعض البيوت آثار فيه منها: **بيت الهـــوزني**[4]، ففي رقعته النثرية يستنهض فيها همّة المعتضد بن عباد، حاكم اشبيلية لاسترجاع مدينة بربشتر فغزو هذه المدينة[5] سيجلب العار على سكانها وحكامها ويلحق الحرّ الكريم والشيخ والطفل وفي تصويره لروع هذه الكارثة يقول: "وكتابي عن حالة يشيب لشهودها مفـــرق الوليـــد، كما يغبر لورودها وجه الصعيد، بدؤها ينسف الطريف[6] والتالد[7]، ويستأصل الوليد والوالد، كذر النساء أيامى[8]، والأطفال يتامى..."[9]

بعد هذا التحذير، يتعجّب من وقوف المسلمين بدون حراك أمـــام هـــذه الفاجعـــة، وكأنهم نيام في بلهنية كأصحاب الكهف، فيقول في هذا التحذير: "كأن الجميع في رقدة اهل

1- العذر: بالضم هو الغلبة. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص394.
2- ينظر الزركلي: الأعلام – ج5 – ص202.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر نفسه – ق1 – ج1 – ص115.
4- منها بيت بني عبد البر. ينظر ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق3 – ج5 – ص133. وآل طاهر، ينظر نفسه – ق1 – ج1 – صص67-68.
5- ينظر عند هذه الغزوة: ابن عذاري: البيـــان...ج3 – ص225. وابـــن الخطيـــب: أعمـــال الأعـــلام – ص179. والحميري المصدر السابق– ص90. وعن مأساتها ينظر علي الحجي: التاريخ الأندلسي – ص359 وما يليها.
6- الطريف: من الطرف، وهو الرجل الكريم . الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص748.
7- التالد: ما ولد عندك من مالك،، والتليد والتلد، محركة من ولد بالعجم، فجهل صغيرا، فنبت فـــي بـــلاد الاســـلام. الفيروز آبادي: نفسه – ص245.
8- الأيم: من لا زوج لها. الفيروز آبادي: نفسه – ص972.
9- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق2 – ج3 – ص68.

الكهف، او على وعد صادق من الصرف والكشف، وأنى لمثلها بالدفاع عن الحريم، ولما نمتثل أدب العزيز الحكيم في قوله: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّــاسَ بَعْضَــهُمْ بِــبَعْضٍ لَفَسَــدَتِ الأرْضُ﴾[1]...ومن أين لنا دفعهم بالكفاية أو كيف، ولم نمتط اليهم الخوف..." ثم يوكل هذه المهمة للمعتضد للدفاع عن هؤلاء، فيقول: "...الا أن يسني الله على يديك دفعه وصده... فانتهز فرصتها، فقد بان[2] من غيرك العجز[3]...ومازلت أعتدك لمثل هذه الجولــة وزرا[4]، وأدخرك من ملمها[5] ملجأ وعصرا[6]...فالنهار من الصباح، والنور من المصباح."[7]

هذا كل ماجادت به قريحة شعراء هذه البيوتات ونثّارها وبرزت فيهما بروزا لفــت انتباه العديد ممن أرّخ للأدب الأندلسي، إلاّ أن إسهاماتها لم تبق حبيسة الثقافة الأدبية، بل تعدتها الى اللّغة وعلومها وهذا ما يتوضّح لنا جلياّ من خلال اطلاعنا على المصادر التــي ترجمت لبعض هذه البيوتات وما تركته من اثار في هذا الميدان.

3) <u>**مشاركتها في علوم اللغة:**</u>

واذا تتبعنا التراث الأندلسي في هذا الميدان، فإننا سنلاحظ تعدد الأوصاف التي نعثت بها المصادر ممن تعاطي من هذه البيوتات في هذه العلــوم، فتــارة تصــفهم بــالنحويين اللغويين، وأخرى بأن لهم علم بالعربية وبحفظ اللغات وضبطها، وحفظهم للسان العربــي وغيرها من النعوث التي نعتتهم بها كتب التراجم، ولنا في ذلك بعض النماذج من الأســر التي خاضت في هذا النوع من العلم.

فمن هذه البيوتات **بيت بني حزم**، كان على رأس هذه الأسرة الشهيرة أبــو عمــر أحمد بن سعيد بن علي بن حزم (ت تقريبا 400هــ/1009م) ذكره ابن حيان وقــال فــي

1- سورة البقرة – الآية – 251.
2- بان لك: عند المقري: المصدر السابق- ج2 – ص251.
3- ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – صص68-69.
4- الوزر: هو الجبل المنيع، وكل معقل والملجأ والمعتصم. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص443.
5- الملم: من لمه أي جمعه. الفيروز أبادي: نفسه – ص1045. الزمخشري: المصدر السابق – ص415.
6- العصر: هو الملجأ. الفيروز آبادي: نفسه – ص397.
7- ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق2 – ج3 – ص70. سالم بفوت: ابن حزم والفكر الفلسفي -ص38.

حقه: له "معرفة بالنحو"[1]، وتتأكد لنا مكانته فيه، قول الحميدي على لسانه: "اني لا أعجب ممن يلحن في مخاطبة، أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة."[2]

وقد نحا نحوه ابنه أبو محمد علي بن أحمد الظاهري، فقد كان له "تصيب وافر من علم النحو واللغة"[3]، ويظهر لنا اهتمام ابن حزم بهذا العلم، فيقول: "وأما علم النحو واللغة...فلها في جميع ذلك تصرف شديد وولوج لطيف وتكرر كثير ونفع ظاهر"[4]، اظافة الى أن له علم بالعربية.[5]

ومن **بيت بني ثابت بن حزم العوفي** نذكر منهم أبو القاسم ثابت بن حزم بن عبد الرحمن (ت 313هـ/925م) والذي أظهر اعتناءً بهذا الجانب، فقد كانت له اليد الطولى في اللغة، فهذا الخشني يقول في حقه: "وكان يبصر العربية بصرا جيدا."[6] وأضاف ابن الفرضي قوله: "كان بصيرا بالنحو والغريب"[7]، ونحا نحوهما ابن فرحون حين قال: "بأنه اعتنى باللغة والعربية[8] ووافقه القفطي في ذلك.[9]

وأثناء رحلته الى المشرق قام هو وابنه بجلب "كتاب العين" المنسوب للفراهيدي[10] [11]، فكان هذا الكتاب من الكتب اللغوية التي نشّطت الحركة اللغوية عامة والمعاجم بصفة خاصة، مما أتاح الفرصة لعلماء اللغة بالأندلس على اقتفاء أثره في هذا الميدان.[12]

1- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص49.
2- الحميدي: المصدر السابق – ص112.
3- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم – ص184.
4- ابن حزم: رسائل – مج2 – ج4 – ص103.
5- الذهبي: سير أعلام النبلاء – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الآرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ط1 – 1405هـ/1984م – ج18- ص186.
6- الخشني: أخبار الفقهاء – ص51.
7-. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص89. وينظر السيوطي: طبقات الحفاظ – ص357.
8- ابن فرحون: الديباج – ص168.
9- القفطي: إنباه الرواة – ج1 – ص297. وينظر الفيروز آبادي: البلغة – ص55. وابن عذاري: البيان المغرب – ج2 – ص191.
10- ينظر في ترجمته ونسبة الكتاب اليه – ابن النديم: الفهرست – صص68-70. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين – صص44-45. ابن حزم: جمهرة –ص380. القفطي: المصدر السابق – ج1 – صص376-377. السيوطي: بغية الوعاة – صص450-451. السمعاني: الأنساب – ج4 – ص332. وينظر ابن عطية: فهرسة – ص140.
11- الخشني: المصدر السابق – ص51. وينظر فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج8 – ج2 – ص484.
12- طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – ج2 – ص783.

وقد سار على نفس الدرب ابنه أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم، فحصل في ذلـــك تقدما في معرفة النحو والغريب[1]، فكان بذلك "أحد أوعية العلم"[2]، حافظا للغة بارعـــا فـــي فنون العلم." ولذلك عد من العلماء اللغويين.[3]

ومن **بيت بني ناصح الثقفي**[4] ظهر منهم ثلاثة أفراد نذكر منهم على التوالي:

محمد بن عبد الوهاب بن عباس (ت 328هـــ/939م) كان من الأدبـــاء النحـــويين والبصير باللغة العربية[5]، اضافة الى علمه بالاعراب[6]. وقد لحق به في هذا الميدان ابنـــه أبو عبد الله عبد الوهاب بن محمد الذي "كان متصرفا في اللغة والاعراب."[7]

وظهر من بني عمومتهما أبو العلاء عباس بن ناصح ذكره الزبيـــدي فـــي كتابـــه "طبقات العلماء باللسان العربي" وقال: كان "عالما لغويا."[8]

وممن ظهر من **بيت آل عاصم العريان** نذكر منهم: عبد الله بن محمد بن ابـــراهيم (ت بعد 300هـــ/912م) ذكره ابن حارث، وقال في حقه بعد الثناء عليه: كـــان "عالمـــا عارفا باللغة..."[9] وقد نعته ابن الفرضي بالبصر في اللغة.[10]

ومن أبناء عمومته أبو بكر[11] عبد الله بن حسين بن ابراهيم بن حســـين العاصـــمي المعروف بالغربالي (قتل في الفتنة سنة 403هـــ/1012م)، كان أحـــد وجـــوه البيوتـــات بقرطبة ومشيخة رجال السلطان الذين تصرفوا في الأعمال الجليلة، وأحد كبار العلم ومن

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص283. المقري: النفح – ج2 – ص217.

2- الفيروز آبادي: البلغة – ص141-55.

3- القفطي: نفسه – ج3 – ص12. وينظر فؤاد سزكين: نفسه – مج8 – ج2 – ص484.

4- لقد كان هذا البيت، بيت أدب ولغة منذ جدهم عباس بن ناصح، فقد رحل والده الى مصر والحجـــاز طالبـــا للغـــة العرب، كما رحل به أبوه الى العراق، فلقي الأصمعي وغيرهم من العلماء، ويكفيه في ذلك أن ابن الفرضي ذكره فـــي كتابه المؤلف في النحويين. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص238. وينظر عياض: المصدر السابق – ج1 – ص458.

5- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص237.

6- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص327.

7- ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء...ص202. ابن الفرضي: نفسه – ص230.

8- ابن حيان: المصدر السابق – ص234.

9- ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء – ص163.

10- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص182. السيوطي: بغية الوعاة – ص529.

11- لقد خلط محقق التكملة بينه وبين الأول، حين أحال الى مصادر ترجمته في كل من الجذوة تحـــت رقـــم 560- ص232 – والبغية رقم 938- ص302.

أصحاب التواليف المفيدة منها: اختصاره لكتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، الأمر الذي ينم عن تمكنه في اللغة.[1]

ومن **بيت بني وسيم** أبو بكر محمد بن وسيم بن سعدون بن عمر القيسي (ت 352هـ/963م) كان "ذا حظ من علم اللغة والنحو"[2] اضافة الى تمكنه في العربية[3]، ولحق به ابنه أبو عمر أو أبو بكر أحمد بن محمد بن وسيم (ت 401هـ/1010م) والذي كان "لغويا نحويا".[4]

ومن الأسر التي ذاع صيتها في الأدب **بيت بني فرج الجياني** نذكر منهم:

أبو عمر أحمد بن محمد بن فرج (ت بالسجن 356هـ/975م) الذي كان له حظ في اللغة، وهذا ما يتأكد لنا من خلال المصادر التي ترجمت له، فقد كان يفد اليه الطلبة وهو في السجن – ليقرأون عليه اللغة وغيرها من العلوم.[5]

وفي بيان علو منزلته فيه، قال ابن الأبار: أنه كان "من أهل المعرفة والفهم والوقوف على العربية واللغة."[6] وأما ابن دحية الكلبي، فقد وصفه بالنحوي اللغوي.[7]

وقد لحق به أخوه أبو عثمان سعيد بن محمد بن فرج الجياني، فقد كان أقوم الناس على لسان العرب وأحفظهم للغة. على حد قول ابن حيان، وتبعه في ذلك ابن سعيد[8]، وأضاف ابن الأبار وقوفه على العربية اضافة الى تمكنه في اللغة.[9]

أما الأخ الثالث، فقد نحا نحو أخويه في هذا الميدان، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرج، فقد كانت له دراية وعلم بالعربية ولغتها، فكان كبقية الأسر التي توارثت الأدب كابر عن كابر.[10]

1- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص238.

2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص346. وينظر عياض: المصدر السابق – ج2 – ص121. السيوطي: نفسه – ص223.

3- الداودي: طبقات المفسرين – ص478.

4- ابن بشكوال: الصلة – مج1 – ج1 – ص23.

5- ابن بشكوال:المصدر السابق – مج1 – ج2 – صص7-8.

6- ابن الأبار: التكملة-ج2- ص235.

7-ابن دحية: المطرب – ص20.

8- ابن سعيد : المغرب – ج1 – ص70.

9-ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص235.

10- ابن الأبارالمصدر السابق – ج2 – ص235. الحميدي: المصدر السابق – ص222. وينظر عن هذه الأسرة، فؤاد سزكين: المرجع السابق- مج2-ج5 – صص62-63.

ومن نبهاء **بيت بني الطبني**، فقد ظهر منهم أعلام في هذا الميدان منهم:

أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله بن أبي مضر محمد بن الحسين (396هـ-ق457هـ/1006م-1065م) أثنى عليه ابن بسام بقوله: "كان أحد حماة سرج الكلام وحملة ألوية الأقلام"[1]. فأصبح بذلك اماما في اللغة.[2]

ومن نسل هذا البيت الأديب محمد بن الحسين بن ابراهيم (300هـ-394هـ/912م-1003م) كان أديبا متفننا[3]، فكان له اطلاع واسع في هذا الميدان مما يدل على أنه خاض في علومه منها اللغة[4]، وهذا الكلام ينسحب على كل من عبد الرحمن بن زيادة الله بن علي (377هـ-401هـ/987م-1010م) وأبو عبد الله بن أبي مضر محمد بن يحي الذين كانا يجالسان أكبر الأدباء في عصرهما[5]، وبخاصة هذا الأخير مما يدل على أن لهما يد في هذا العلم.[6]

واشتهر من **بيت بني مسلمة البتري الايادي** ثلاثة أفراد خاضوا في هذا الميدان نذكر منهم:

أبو المغيرة خطاب بن مسلمة (294هـ-372هـ/906م-982م)، قال في حقه محمد ابن اسحاق بن سليم: أنه كان "بصيرا بالنحو والغريب."[7] ويضيف ابن عفيف قوله: أنه "من أهل العلم...والاعراب واللغة."[8]، وكان سبب بروزه في هذا الميدان بفضل شيخه النحوي أحمد بن مسعود.[9] [10]

1- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة – ق1 – ج1 – ص414. وينظر ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص53. المقري: المصدر السابق – ج3 – ص111.
2- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص8. وينظر رابح بونار: المرجع السابق – ص183.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص45.
4- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص206.
5- منهم: أبو عامر ابن شهيد وأبو الحزم ابن جهور وابنه أبو الوليد. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص52.
6- ابن بشكوال: المصدر نفسه – ص309. الحميدي: المصدر نفسه – ص88. ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص52.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص116.
8- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص191.
9- هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري (ت 338هـ/950م) من عائلة كانت تعمل بالنحاس، كان كثير التأليف، فمن مصنفاته، كتاب "الكافي" في النحو، و "اعراب القرآن"، و "الكافي في علم العربية"، وغيرها من المؤلفات. الزبيدي: طبقات النحويين – ص220. ابن خير: فهرسة – ص473. السيوطي: بغية الوعاة – ص301. القفطي: إنباه الرواة – ج1 – ص136 وما يليها. الصفدي: الوافي – صص177-178.
10- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص115. السيوطي: نفسه – ص447.

وممن ورث عنه هذا العلم، ابنه أبو عبد الله محمد بن خطاب بن مسلمة (كان حيـــا سنة 414هــ/1023م[1]) الذي برز في علم النحو، فأصبح من حاملي لوائه الذي شهر به، وبرز فيه والمشهود له بكفاءته فيه، وما يدل على علو منزلته فيه أن أكابر القــوم أخــذوا من معينه، وبخاصة علم العربية، دون أن نستثني طبقات المجتمع الميســورة ذات القــدر العالي و التي لم تغب عن مجالسه اللغوية لتستفيد من هذا الشيخ الجليل.[2]

لم يبق هذا العلم وتعاطيه مقتصرا عليهما فقط، بل حمله من بعدها ابن أخي المتقدم ذكره أبو عبد الله أو أبو محمد مسلمة بن محمد بن مسلمة (ت 391هـــــ/1000م)، ومــا يدل على أن له باع في النحو أن تلميذه الشنتجالي[3] كان يتدرب معه في كثير من النحـــو، وفي مسائل عدة.[4]

ومن **بيت آل أبي عبدة** السالف الذكر، ظهر أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك (ت 393هــ/1002م)، "كان أوحد الناس في...علم اللغة."[5]، فاشتهر في هذا العلــم وأصبح إماما فيه.[6]

وأما الفرع الثاني من آل أبي عبدة هؤلاء، فيمثلهم حسان بن مالك وبه تختم آخــر صفحة من صفحات الأدب لهذه الأسرة، فقد اشتهر هو كذلك في اللغة، فكان إمامــا مــن أئمتها بالأندلس.[7]

وعلى الرغم من أن **آل أبي عيسى**، قد نبهوا في علوم الشريعة، إلا أن ذلك لم يمنع بعض أفراده في الخوض في هذا الميدان، نخص بالذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن عبــد الله بن يحي ثلاثا (284هــ-339هــ/897م-950م)، كان متصرفا في علم الاعــراب[8].

1- يذكر السيوطي، سنة 398هــ، في حين يذكر الحميدي، قبل 400هــ، وعند مطالعتي لصلة ابن بشكوال، يذكر ان ابن خزرج أخذ عليه وأجاز له سنة 419هــ، ولم يقم محقق بغية الوعاة بالاشارة الى هذه الاختلافــات الــواردة فــي المصادر، واكتفى بذكر ما يقابلها بالميلادي فقط.

2- الحميدي: نفسه – ص48. الضبي: المصدر السابق – ص63. السيوطي: نفسه – ص105.

3- تنظر ترجمته عند ابن فرحون: الديباج – ص227. ورضا كحالة: المعجم – ج2 – ص244.

4- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص208.

5- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2-ج2-ص3.

6- ابن خاقان: مطمع الأنفس – ص26. الفيروز آبادي: البلغة – ص110. الصفدي: المصــدر الســابق – ج14-ص76. السيوطي: المصدر السابق – ص573.

7- الحميدي: المصدر السابق – ص171. ابن خاقان: نفسه – ص26. الصفدي: نفسه – ج8 – ص127.

8- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص340. السيوطي: المصدر السابق – ص141. النبــاهي: مرقبــة – ص60.

وأشاد ابن عبد الرءوف في طبقاته ببيته، وقال في حقه: "كان يتصرف في علم الأدب تصرف اتفاق، وله رسوخ في أفانينه من عربية ولغة."[1]، وهذا ما يؤكده لنا ابن فرحون بقوله: "كان متصرفا في علم الاعراب واللغة."[2]

وذكر الرازي أخاه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن يحي (324هـ/936م) ووصفه بالتقدم في اللغة[3].

وقد حظيت أسرة **بني ذكوان** بنصيب لها في هذا العلم، فممن ظهر من أفرادها فيه، ابو بكر عبد الله بن هرثمة بن ذكوان (370هـ/980م) الذي كان "أديبا عالما باللغة والنحو."[4]

وسار على نفس الدرب ابنه أبو حاتم محمد بن عبد الله (344هـ-414هـ/955م-1023م)، وفي بيان علو منزلته فيه يقول ابن حيان: "كان أبو حاتم أطلق من أخيه لسانا"، وهو ما يؤكده أبو الخيار الشنتريني بقوله: "وأما أبو حاتم فتلوه في الصنعة ودونه في العلم."[5]، في حين وصف أخوه أبو حفص عمر بالأديب.[6]

وممن ظهر في اللغة والاعراب من **بيت بني أزهر** موسى بن حريث (ت 306هـ/918م) كان إماما في اللغة[7] ومتصرفا في الاعر اب، إذ لم يكن يماثله فيه أحد من أهل استجه[8] وهذا ما يؤكده لنا الداودي.[9]

لقد كان هذا العلم متجدرا في هذه الأسرة، وهذا ما أكده لنا عيسى بن فطيس بقوله: أنه لم ير فيمن لقيه أفصح من ابن أزهر هذا وأخويه معه، إذ كانوا مطبوعين فصحاء، لا

1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص85.
2- ابن فرحون: نفسه – ص361.
3- ابن الأبار:المصدر السابق – ج1 – ص15.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص195. وينظر عياض: المصدر نفسه – ج 2 – ص253. والسيوطي: المصدر السابق – ص539.
5- عياض: نفسه – ج2 – صص256-257.
6- نفسه – ص256.
7- ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص143. الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص185.
8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص407.
9- الداودي: طبقات المفسرين – ص527.

يلحن واحد منهم في كلامه ولو بقدر حرف واحد[1]. فأصبح بذلك من أصـــحاب الفصـــاحة والبيان.[2]

وإذا انتقلنا للحديث عن **بيت بني دليم**، فممن تصدر هذا العلم أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك (351هــ/963م) الذي كان له بصر بالاعراب وعد من خير الكتاب.[3]

ومن نسل هــذا البيــت أبــو عمــر عثمــان بــن عبــد الله بــن اســماعيل (ت 434هــ/1042م) الذي عده الحميدي "من الأدباء الصالحين"[4] ونحا نحوه ابن بشكوال.[5]

وتبعه في ذلك **بيت بني جمرة** وليد بن مروان بن عبد الملك بن محمد بن مــروان بن خطاب (ت 366هــ/974م) من أهل مرسية[6]. أخذ اللغة والأدب عن أبي علي القــالي البغدادي وأبي بكر ابن القوطية، كما أخذ النحو عن أبي بكر الزبيدي.[7]

ونحا نحوه حفيده، وليد بن محمد بن وليد (ت 440هــ/1048م) الذي كان مشاركا في عدة علوم من بينها اللغة والنحو.[8]

ومن أشهر البيوتات في هذا العلم، **بيت بني سراج**، فممن برز منهم في اللغة أبــو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج (400هــ-489هــ/1009م-1095م)، كان إماما في اللغة ببلده الأندلس، ومن أحفظ الناس للسان العــرب، وأقــومهم بالعربية، فأصبحت الرحلة اليه ومدار أصحاب الآداب واللغات عليه، ولعلو منزلتــه فــي هذا الميدان لم يكن أحد ليجرؤ بالتكلم في مجلسه.[9]

وفي بيان منزلته فيه قال صاحب القلائد "أحــد أعيــان البيــان، وخــاتم أعــلام الكلام...على طموس رسم اللغات والآداب."[10] فأصبح في علم لسان العرب إمام وقته[1] فبه

1- علي سعد قاسم: جمهرة تراجم الفقهاء- ج3 – ص1280.
2- السيوطي: المصدر السابق – ص727.
3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص191. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص108.
4- الحميدي: المصدر السابق – ص272.
5- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص41.
6- يذكر ابن الأبار: من أهل تدمير –المصدر السابق – ج4 – ص151.
7- ابن الزبير: صلة الصلة – ص315.
8- نفسه – نفس الصفحة.
9- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص9.
10- ابن خاقان: قلائد العقبان – ص217.

أقيمت اللغة بالأندلس[2] ولتمكنه في هذا العلم، فقد كان يؤم مجالسه بكثرة، ويأتون إليه من كل حدب وصوب، حتى أصبح شعلة ساطعة في هذا العلم، فلم ير مثله لا قبله ولا بعده.[3]

وبعد وفاة أبي مروان هذا، صير مكانه وناب منابه ابنه أبو الحسين سراج بن عبد الملك (439هـ-508هـ/1047م-1114م) الذي اعتنى عناية كاملة بكتب الآداب واللغات، وتمكنه من هذا العلم كان بفضل والده الذي صحبه نحو أربعين سنة، فعد نحويا ابن نحوي.[4]

هذه نماذج من أسر خاض بعض أفرادها في هذا العلم، قد لا تتعدى مشاركة الأسرة الواحدة ثلاثة أفراد، الا أنه وجد عدد من أفراد من بعض البيوتات كان لهم مشاركة فيه، وفي هذا المقام، سنقتصر على نماذج منهم.

فمن أولئك الذين نعتثهم المصادر بالخوض في علوم اللغة ونحو ذلك نذكر

أبو محمد عبد الله بن فرج بن غزلون المعروف بابن العسال (ت 487هـ/1094م) الذي كان متفننا فصيحا لسنا، وكان الأغلب عليه حفظ... اللغة والآدب."[5] اضافة الى اطلاعه على النحو[6]، فأصبح بذلك من المتمكنين فيه.[7]

وأبو بكر محمد بن اسحاق بن منذر (302هـ/987م)، فكان هو كذلك من المتصرفين في علمي اللغة والنحو.[8]

وأبو جعفر عبد الولي البتي الذي كتب النحو اللغة.[9]

وأبو بكر محمد بن يحي بن مالك بن يحي العائدي (323هـ-360هـ/934م-970م) الذي تميز بحفظه للنحو اللغة.[10]

1- ابن فرحون: الديباج – ص257. عياض: نفسه – ج2 – ص357.
2- القفطي: انباة الرواة – ج2 – ص207.
3- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة – ق1 – ج2 – ص615. ابن سعيد: المغرب – ج1 – ص70.
4- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص199. ابن فرحون: المصدر السابق – ص206. ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق1 – ج2 – ص623. السيوطي: البغية – صص464-465.
5- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص251.
6- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج3 – ص353. وينظر السيوطي: نفسه – ص529.
7- ابن خاقان: مطمح الأنفس – ص61. رضا كحالة: المعجم – ج4 –ص170.
8- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص356. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص174. ابن فرحون: نفسه – ص356. السيوطي: نفسه – ص71.
9- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص30.
10- ابن الأبار: المصدر السابق– ص295.

وجعفر بن يوسف الباجي الكاتب (ت 435هـ/1043م)، فعن طريقه كان لهذا البيت مساهمة في اللغة، فقد تلقى هذا العلم عن أحد الشيوخ اللغويين وهو أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي وغيره[1]. فلابد وأنه استفاد من شيخه هذا، وبخاصة وأن الباجي كان كاتبا، والكاتب يجب أن يكون على اطلاع باللغة العربية وآدابها.[2]

وأبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله (338هـ-429هـ/949م- 1037م) الذي كان "وافر الحظ من علم اللغة العربية."[3]

وأبو بكر محمد بن يبقى بن زرب (317هـ-381هـ/929م-991م)، اضافة الى علمه بالمسائل، فقد كان كذلك بصيرا بالعربية وحسن الحكاية[4]. كما كان له حظ كبير من الاعراب[5] اضافة الى بصره في العربية.[6]

وأبو عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقي، فقد كان من الراسخين في العلم، بارعا في العربية."[7]

وأبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن (ت 347هـ/958م)، فبالإضافة الى اسهاماته في الشعر، فقد "كان له حظ في علوم اللغة وآدابها...مع بصره بالإعراب، وحفظه للغة."[8]

وأبو عمر أحمد بن محمد بن يحي العائدي (380هـ-*467هـ/990م-1047م) وان لم تذكر له المصادر صراحة مشاركته في اللغة، الا أنه كان له اطلاع على كتاب "العين"، وهي من الكتب اللغوية المشهورة في هذا الميدان اذ قام باختصاره في مدة وجيزة، وهذا ما يفهم من قول أبي علي الغساني "سمعت أبا عمر ابن الحذاء يقول: "

1- الحميدي: المصدر السابق – ص164.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص115.
3- علي سعد قاسم: المرجع السابق – ج3 – ص1404.
4- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص370. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص233.
5- النباهي: المصدر السابق – ص77.
6- الصفدي: الوافي – ج3 – ص361.
7- الصفدي: نفسه – ج1 – ص475.
8- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص45.

كتبت بخطي "مختصر العين" في أربعين يوما بمدينة المرية."، فهذا دليـــل علـــى إلمامـــه باللغة وآدابها.[1]

لا تكتمل الصورة الثقافية لهذه البيوتات اذا لم نبرز اسهاماتها في ميدان التأريخ، اذ ظهرت مجموعة من الأسر كان لها مشاركة في رواية الخبر، وكانت تلك الخطوة الأولى نحو التدوين التاريخي بالأندلس، الا أن هذا الأخير انحصر في بعض أفرادهـــا، - عـــدا نماذج منها – والذين تركوا لنا آثارا في هذا الميدان، وهذا ما سنتناوله بالدرس والتحليـــل في موضعه.

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص57.



دورهـــم في عمليـــة التدويـــن التاريخي وعلـــوم أخـــرى

1) التـــدويـــن التـــاريخـــي

أ- رواية الأخبار

ب- التدوين التاريخي واتجاهاته

- المحاولات الأولى للكتابة التاريخية بالأندلس
- اتجاهاتها

2) نمـــاذج من تراثهـــم التاريخـــي

أ- فنا التراجم والفهارس

ب- التأريخ للسير والأنساب

ج- التأريخ العام للأندلس

3) انجازات البيوتات في علوم أخرى

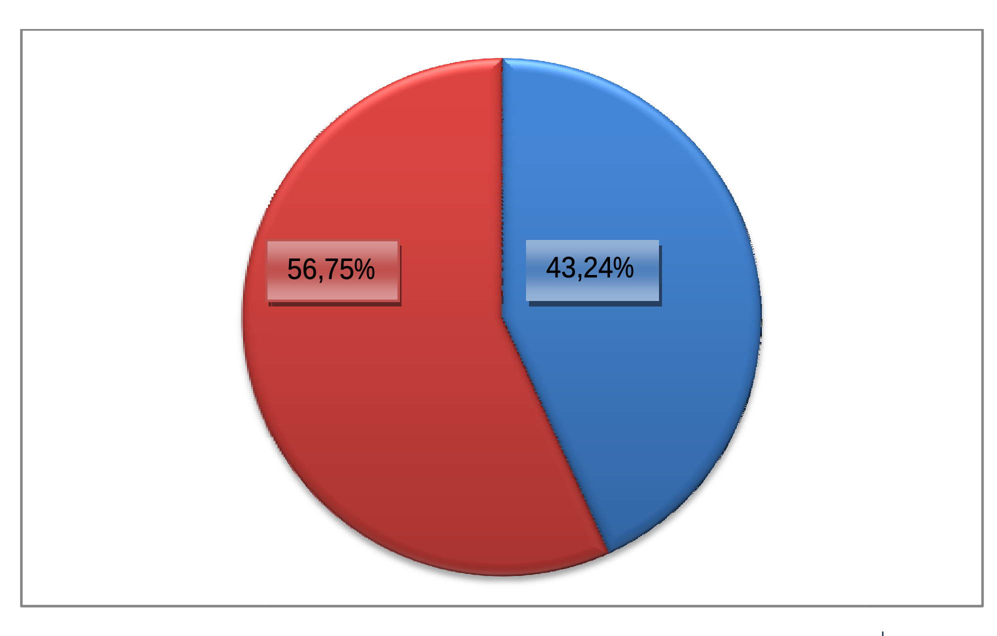
أ ــــ في الطب.

ب ــــ في الحساب والهندسة والفلسفة



1) التدوين التاريخي:

لم تكن البيوتات بعيدة عن هذا النوع من المعرفة، بل كانت لها فيها إسهامات، و هذا ما يتضح لنا من خلال رصدنا لبعض المصادر، سواء اقتصرت مشاركتها على أفراد منها أو أكثر، فالرسم البياني المرفق سيوضح لنا مدى مشاركة بعض الأسر في هذا النوع من المعرفة.



نسبة مساهمة البيوتات في رواية الأخبار

نسبة مساهمة البيوتات في عملية التدوين التاريخي

التعليق:

تمثل لنا هذه الدائرة النسبية عدد من اشتغلوا من بعض البيوتات في علم التأريخ بفئتيهم.

فالنسبة الأولى والمقدّرة بـ 43,24 % هي: نسبة مساهمة بعض البيوتات أو أفراد منها في رواية الأخبار والمشاهد والأيام، ونلاحظ على هذه العيّنة أن المصادر اهتمت بوصفهم بالأخباريين دون نعوت أخرى، كما أنها لم تبرز لنا دورهم فيه ولم تفدنا بعناوين لما قد يكونوا دوّنوه في هذا الحقل المعرفي، وإنما احتفظت بتراجم لهم تدل على أنهم خاضوا في هذا الميدان.

وأما الثانية، فهي أعلى نسبة من الأولى، والتي قدّرت بـ: 56,75 % إذ ركّزت على بعض الأسر أو أفراد منها، والذين تركوا بصماتهم في مضان بعض المصادر،

ومنهم من خلّفوا لنا آثارا من إنتاجهم في هذا الميدان، فساهموا به في التــأريخ لــبلادهم الأندلس.

من خلال استقرائنا لهذه النِّسب، نخرج بالملاحظات التالية:

أ- عدم بروز أسر قد توسم بالتاريخية، وهذا عكس مـا لمســناه بخصــوص علــوم الشريعة، ويعزى سبب ذلك إلى أن أوّل ما يتلقاه دارس العلم وهو طفل هي: هــذه العلوم لينشأ تنشئة إسلامية[1].

ب- نستشف من خلال مطالعتنا لهذه النماذج المختارة، أنهم توزعوا على فئتين:

الفئة الأولى: وهو من سُمُوا بالأخباريين، وقد ظهر منهم أفراد كان لهم فيه حظ.

الفئة الثانية: وهي التي احتفظت لنا بعض المصادر بإنتاجهم في هذا الميــدان، أو بعناوين لبعض مؤلفاتهم، ، أو بقي محفوظا في ثنايا بعض المصادر.

جـــ- أن علم التاريخ كان محتكرا من طرف علماء الشّريعة، وبخاصة المحدّثين[2] إلــى غاية القرن الرابع الهجري (10م)، وعلى وجه التحديد بعد ظهور أسرة الرازي، حيث بدأ هذا العلم ينفصل شيئا فشيئا عن باقي العلوم الأخرى، ويأخذ وضــعه اللائــق بــه، الأمر الذي أدى إلى اهتمام هذه الأسر بالعلوم السالفة الذكر، وأصبح التــأريخ يخضــع لهؤلاء ردحا من الزمن، فانحصر تعاطيه على أفراد من بعض هذه البيوتات.

1- ان الثقافة الدينية الوافدة مع الفاتحين هي الثقافة الدينية التي بلغت ذروتها والتي عملت على ازدهار الفكر ورواجه، وهذا ما جعل الأندلس تتعامل مع العلوم والمعارف من جانب جدواها وفائدتها والتي لا تتنافى مع المذهب المتبع. مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة محمد الخامس –العدد الثالث عشر – الربـــاط- ص22. Levi provençalM Histoire de l'Espagne Musulmane – T3 – p504.

2- ان ظاهرة احتكار أهل الحديث للكتابات التاريخية، قد عرفها المشرق الاسلامي قبل الأندلس، هذا يعني أنــه قبــل القرن الرابع الهجري (10م) لم يكن هناك مؤرخون متخصصون، فعلى الرغم من تلك المحاولات التي قام بها الــبعض في عملية التدوين التاريخي، الا أن عطاءاتهم لم تتخصص في جانب دون آخر، انما تنوعت، فمن أمثال هؤلاء، عبــد الملك بن حبيب الذي كان أندلسيا الا أن معلوماته استقاها من شيوخه المصريين، مثل: الليث بن سعد (75هــــ/791م) وعبد الله بن وهب (197هــ/812م) مما يدل على أن عملية التدوين التاريخي كانت متأثرة في هذه المرحلة بالفقهاء و الرواة المصريين، الأمر الذي يبعده عن الموضوعية لبعد مصدر الخبر عن الحادثة، وستستمر هذه الظاهرة الى غايــة ظهور أسرة الرازي. ينظر ابن الفرضي: المصدر السابق – صـــص35-36. صـــص286-287. وينظــر محمــود اسماعيل: اشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل – مجلة عالم الفكر – الفكــر التــاريخي – المجلــس الوطني للثقافة – المجلد 29- 2001 – ص46.

أ) **روايةُ الأخبار:** قبل التعرّض إلى إسهامات البيوتات أو أفراد منها في هذا الميدان، و الذين حملوا على عاتقهم رواية الخبر مهما تعدّدت مناحيه، سواء أكان الخبر يــؤرخ لحادثة سياسية أو عسكرية، أو يختصّ برواية سيرة الملوك وخَدَمَتِهِم، يجب التعرّض الى مفهوم هذا المصطلح وهو:

الأخْبَاري: هو مصطلح مأخوذ من خبر، فالخبر هو النبأ[1]، فيقال لمن يــروي الحكايــات والقصص والنوادر اسم "الأخْبَارِي"، والأخباري ليس له شغل إلا القصــص واســتيفاؤها والنقل عن السّلف، سواء أكانت الأخبار صحيحة أم باطلة.[2]

أما أحمد أمين، فيقول: أن الأخباري لا ينزل إلى درجة القصص، فيكون وليد الخيال ولا يرتفع إلى درجة التأريخ، فتفحص وقائعه وتضبط رواياته، بل هو مــزيج مــن هــذا وذاك.[3]

وقد ورد في كتاب الله عزّ وجلّ لفظ الخبر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لا تَعْتَــذِرُوا لَــنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾[4] وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾[5] هذا عــن الخبــر والنبأ، أما عن القصص، فقد وردت بعض الآيات التي تصب في هذا المنحى، مثل قولــه تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾[6] وقولــه تعــالى: ﴿ تِلْــكَ الْقُــرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾[7].

لقد كان هؤلاء في بادئ أمرهم، وفي المراحل الأولى يهتمون بجمع الأخبــار، لــذلك سُمُوا بــ: "الأخباريون"، فاهتموا بجمع أخبار الأحداث المختلفة والمواضيع المتنوعة مــن الروّاة وحتى من الأفواه كل منها على حدى، وفي كتاب يختصّ بموضوع واحــد، وهــي

1- الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص344. الزمخشري: المصدر السابق – ص102.
2- ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب – ج1 – ص34.
3- أحمد أمين: ضحى الاسلام – ج2 – ص356. وينظر أحمد بن محمد ابن الحمصي: حــوادث الزمــان ووفيــات الشيوخ والأقران – تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش – دار النفائس – بيروت – لبنان – ط1 – 1421هـــ/2000م – ج1 – ص37.
4- سورة التوبة – الآية: 94.
5- سورة الزلزلة – الآية: 4.
6- سورة يوسف: الآية: 5.
7- سورة الأعراف- الآية: 101.

أشبه بالرسائل الصغيرة، إذ احتوت على أخبار سياسية وحضارية، كما اهتمت بالأنساب والأنبياء وغيرها من المواضيع.

لم تكن البيوتات بعيدة عن هذا النوع من المعرفة، بل كانت لها فيه إسهامات، وهذا ما يتضح لنا من خلال رصدنا لبعض المصادر، سواء اقتصرت مشاركتها على فرد منها أو أكثر، والذين وصفتهم المصادر بأوصاف شتىّ، منها: أخباري وراوي للخبر والمشاهد والأيام، دون طنطنة أو إفادتنا بما احتوته قريحتهم من أخبار، أو ذكر لآثارهم في هذا النوع من الحقل المعرفي.

فمن هذه البيوتات **بيت بني معيط** الذي كانت له مشاركة في رواية الأخبار التاريخية، والتي كانت كثيرا ما تساعد على عملية التدوين التاريخي بالأندلس، فمن أفراده نذكر:

أبو مروان عبيد الله بن محمد المعروف بالمعيطي[1] (302هـ-378هـ/914م-988م) إذ كان "حافظ للأخبار"، ونحا نحوه ابنه أبو بكر محمد بن عبد الله بن الوليد (329هـ أو 327هـ-367هـ/940 – 938م – 977م) والذي كان بدوره "ذا رئاسة في العلم والخبر"[2]. وقد يكون أخذ هذا العلم عن والده، ويبدو أنّ سبب عدم بروزه فيه، قد يعود إلى اعتزاله عن الدنيا في أخريات أيامه، إذ زهد فيها ولزم العبادة إلى غاية وفاته.[3]

وتبعه في ذلك من **بيت بني ذكوان** عبد الله بن هَرْثَمَة بن ذكوان (ت 370هـ/980م) الذي كان "حافظا للمشاهد والأيام"[4]، ومن الشيوخ الذين تلقى عنهم هذا العلم، قاسم بن أصبغ البياني[5] (ت 340هـ/951م) الذي كان له باع في التأليف في الأنساب[1].

1- المعيطي: هذه النسبة الى معيط، بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، وترجع أصول هذه الأسرة الى أبان بن أبي عمر والمكنى بأبي معيط، وكان من ولد هذا الأخير عقبة الذي قتله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صبرا بعرق الظبية، وهي موضع بالصفراء، والصفراء واد من ناحية المدينة. ابن السائب الكلبي: جمهرة النسب – ص51. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – صص114-115. السمعاني: الأنساب – ج5 – ص237.

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص208.

3- عياض: ترتيب المدارك – ج2 – ص235. وينظر قاسم علي سعيد: جمهرة تراجم الفقهاء – ج2 – ص817.

4- ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق – ص195.

5- البياني: نسبة الى بيانة وهي مدينة بالأندلس من أعمال قرطبة، وتعد من مدن قبرة تقع بشرقها، على ربوة من الأرض كثيرة المياه، خصبة الأرض، بها حصن منيع وجامع بناه عبد الرحمن وهي كثيرة البساتين والكروم والزيتون،

وكذا الشأن بالنسبة لابنه أبي حاتم محمد بن عبد الله بن ذكوان (344هـ-414هـ/955م-1023م) وهذا ما يتبين من قول أبي الخيار الشنتريني الذي قال في حقه: له "علم بالخبر".[2]

ومن **بيت بني الطبني** الذي اشتهر بالأدب وبخاصة الشعر، ظهر منهم في هذا الميدان: أبو مروان عبد الملك بن أبي مُضَر زيادة الله بن علي التميمي الطُبْنِي (ت457هـ/1064م)، وهو من بيت جلالة ورياسة[3]، ذكره ابن حيان، فقال: أنه كان "عالما بأخبار العرب وأنسابهم"[4]، وبنفس الوصف نعته الحميدي، فذكر بأنه: كان "حافظا للأخبار، عالما بالأنساب"[5]، ونقل نفس المعلومة الضبّي.[6]

ولحق بهذه الأسرة **بيت آل أبي عيسى** محمد بن عبد الله بن يحي بن يحي بن يحي الليثي (284هـ-339هـ/897م-950م). يظهر أنه اخذ عن شيخه محمد بن لُبَابَة الذي كان له سعّة الاطلاع على أخبار الأندلس[7]، وما يدل على مدى اهتمامه بالتأريخ لبلده الأندلس، هو مصاحبته للعالم المؤرخ علي ابن أحمد بن حزم، وكان ذلك سنة 313هـ/925م.[8] وهذا ما يؤكده ابن عبد الرءوف في طبقاته والذي يؤكد بأنه كان عالما نسيبا، وكان له علم بالخبر.[9]

ومن **بيت بني سوار** أبو القاسم سِوَار بن أحمد بن سوار (ت 444هـ/1052م)، فقد ذكر ابن بشكوال مشاركته في عملية رواية الخبر وحفظه، فقال: كان "حافظا لأخبار

وهنا لا يجب أن نخلط بينها وبين بيانة البصرة. الحميري: الروض المعطار – ص119. اسماعيل باشا البغدادي: مراصد الاطلاع – ج1 – ص236. المقريزي: جني الأزهار...ص122. كما لا يجب أن نخلط بين البياني والتي تنسب الى بيان بن سمعان التميمي، والتي منها جاءت طائفة يقال لها "البيانة". السمعاني: المصدر السابق – ج1 – ص449. وعن هذه الفرقة ينظر الشهرستاني: الملل والنحل – تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي- المكتبة العصرية – صيدا- بيروت – لبنان – 1425هـ/2005م – ص122.

1- الحميدي: المصدر السابق – ص298. مخلوف: شجرة النور الزكية – ص99. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص253.

2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص257.

3- الصفدي: الوافي بالوفيات – ج14 – ص82.

4- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب- ج1 – ص142.

5- الحميدي: المصدر السابق – ص56.

6- الضبي: المصدر السابق – ص67.

7- ابن فرحون: الديباج المذهب – ص343.

8- مخلوف: المصدر السابق – ص88

9- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص85.

قرطبة وسير ملوكها المروانيين"[1]، ونفس المذهب ذهب إليه ابن حيان بقوله: أنه كـــان "ذا معرفة بأخبار بلده وملوكه."[2]

وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الملك (ت 403هــ/1012م) الذي ينتمي إلى بيت الجهاورة البختيين، فقد كان "من أهل الفهم والمعرفة بالأخبار، وللقائـــه الجلـــة مـــن الناس، وكان حسن الإيراد للأخبار"[3]، وقد يكون أخذ هذا العلم من سماعه لشيخه أحمد بن سعيد بن حزم الصَدَفي[4] صاحب التاريخ[5]، ويظهر أن عبد العزيز هذا قد يكون خاض في ميدان الأنساب، إذ أخذه عن مصنّف أبي عبد الرحمن النسائي[6] قراءة في أصل أبي بكـــر محمد بن معاوية[7]، مع العلم أن النسائي كان محدّثا، فقد ألّف في تراجم المحدثين.

وأبو بكر يحي بن هُذَيْل من **بيت بني نُوَيْرَة،** ذكره ابن مفرج، فقال: "كـــان عالمـــا نزيها فصيحا، راوي للحديث والخبر."[8]

وأبو عمر موسى بن أزهر بن موسى بن حريث (ت 306هــ/918م) من بيت بني أزهر والذي "كان حافظا للمشاهد...والخبر."[9]

ومن **بيت بني قادم** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قادم (ت 380هــ/990م)، فكان هو كذلك "حافظا للأخبار" إلا أنه لم يكن ضابطا لنفسه.[10]

1- ابن بشكوال: الصلة – ضبط وتعليق: جلال الأسيوطي – مج1 – ج1 – ص203.
2- عياض: نفسه – ج2 – ص337.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق– مج2 – ج2 – ص12.
4- الصدفي: ينسب الى كندة وحضر موت، فالأول: هو مالك بن مرتع بن كندة، وقيل: اسم الصدف، عمرو بن مالك بن أشرس، أخي الكون بن أشرس بن كندة، وأما الثاني: فهو شمال بن عمرو بن دعمي بـــن حضـــر مـــوت، وعليـــه فالصدفي هي: قبيلة من حمير. ابن عبد البر: الانباه على أنباء الرواة – ص113. السيوطي: لب اللباب فـــي تحريـــر الأنساب – ص251.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص256.
6- هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار المكنى بأبي عبد الرحمن، أصـــله مـــن نســـا – بخرسان الحافظ الامام، صاحب السنن، ولد سنة 215هــ/830م، وتوفي سنة 303هــ/915م. الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج1 – ج1 – ص194. خير الدين الزركلي: الأعلام – ج1 – ص171.
7- هو محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحاق بن عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبـــد الملـــك بـــن مروان، يكنى أبا بكر، ويعرف بابن الأحمر، توفي نحو 365هــ/975م. الحميدي: المصـــدر نفســـه – ص79. ابـــن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص347.
8- عياض: نفسه – ج2 – ص180.
9- ابن الفرضي الأزدي المصدر السابق – ص407. السيوطي: بغية الوعاة – ص727.
10- نفسه – ص374.

ومن **بني فطيس** أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى (348هـ-402هـ/959م-1011م) فقد كانت له مشاركة في سائر العلوم، وتقدم في معرفة الآثار والسير والأخبار..."[1] فكان أحد العالمين بتاريخ الرجال.[2]

وأبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم من **بيت بني حزم القلعي الثغري**، الذي سمع من أبي أحمد بن جعفر بن حمدان التاريخ.[3]

ومن **آل الخالدين** عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن يحي بن عبيد الله (ت 340هـ أو 344هـ/951م-955م) "كان متواضعا سمتا ذا معرفة بالخبر النادر."[4]

وتبعه في ذلك من **بيت بني الباجي جعفر** بن يوسف بن أحمد بن محمد القيسي، ذكره الحميدي، وقال: أنه تلقى عدة علوم على ثلة من الشيوخ، كان منها الأخبار.[5]

كما كان **لبيت بني سراج** أيضا مشاركة في هذا الحقل المعرفي، نذكر منهم: أبو مروان عبد الملك بن سراج بن محمد بن سراج (ت 489هـ/1095م) إذ "كان أحفظ الناس لأنساب العرب وأصدقهم وأقوم الناس بالعربية والأخبار، فاق الناس في وقته."[6]

ومن بيت **بني شهيد** نذكر أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك، الذي فصّل في ترجمته ابن بشكوال، وقال في حقه: "كان أوحد الناس بالتقدم في علم الخبر..."[7]، وهذا ما يؤكده الصفدي، بأنه كان من المتقدمين في العلوم، وكان منها: رواية الأخبار.[8]

ولحق بهذه الكوكبة من **بيت بني عبد البر النمري** أبو عمر يوسف بن عبد الله الذي فصّل في ترجمته ابن بشكوال، فقال في تحليته: "له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر."[9]

ومن **بيت بني حُدَير بن سالم** ظهر أحمد بن محمد بن عبد ربّه (ت328هـ/939م) الذي كان "عالم الأندلس بالأخبار."[10]

1- ابن بشكوال: المصدر انفسه – مج1 – ج1 – ص272.
2- خير الدين الزركلي: المرجع السابق – ج3 – ص325.
3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص202.
4- عياض: المصدر السابق – ج2 – 84.
5- الحميدي: المصدر السابق – ص164.
6- الصفدي: الوافي...ج14-ص83.
7- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص3.
8-الصفدي:المصدر السابق – ج14 – ص76. وينظر السيوطي: بغية الوعاة – ص573.
9- ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص277.
10- ابن الفرضي: المصدر السابق – ص29. السيوطي: نفسه – ص308.

وأما أكبر هذه البيوتات الذي كان لها باع طويل في حفظ أخبار الأندلس،أسرة **آل الرازي**، وهذا ما يفهم من كلام كل من ترجم لها، فهذا ابن الفرضي يترجم لأبي بكر أحمد بن محمد الرازي (ت 344هـ/955م) يقول في حقه: أنه كان "كثير الرواية، حافظا لأخبار الأندلس"[1] إلا أن روايته للخبر لم تبق حبيسة الدار، بل قام بتدوينها فخلّف لنا بذلك آثارا حُفِظَتْ في مضان بعض المصادر.[2]

ب) التدوين التاريخي واتجاهاته:

قبل التطرق إلى عملية الكتابة التاريخية بالأندلس، واتجاهات هذه الأخيرة في تدوين أخبارها، يجدر بنا التعريف بمصطلح التأريخ.

وعليه، فالتاريخ لغة: تعريف الوقت مطلقا ومنه: أرّخ الكتاب إذا وقته[3]، و يقال كذلك: أرخت الكتاب تأريخا وورخته توريخا[4] واصطلاحا: هو معرفة مختلف طوائف المجتمعات وبلدانهم وصنائعهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأحوالهم الغابرة، من أنبياء وعلماء وملوك وغيرهم، وأما عن فائدته، فهو الاعتبار بتلك الأحوال والاستفادة منها والوقوف على تقلبات الزمان.[5]

وعليه، فإن مهمة هذا المؤرخ، هو جمع هذه الأخبار وضمّها إلى بعضها البعض[6]، ليخرج في الأخير بنص تاريخي يمكن اعتماده في توثيقنا لحادثة من الحوادث وقعت في فترات متقطّعة أو متسلسلة.

- **المحاولات الأولى للكتابة التاريخية بالأندلس:**

تبدأ المحاولات الأولى للتدوين التاريخي بالأندلس بظهور بعض المحدثين الذين أسهموا في هذا الميدان اعتمادا على الأخبار التي استقوها من نظرائهم المشارقة، و في

1- نفسه – ص45. نفسه – ص318.
2- سنتعرض لآثاره التاريخية في موضعه
3- الفيروز آبادي: المصدر السابق – ص226.
4- السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – دت – ص6.
5- مخلوف: شجرة النور الزكية – ص6. حاجي خليفة: كشف الظنون – دار الفكر – 1410هـ/1990م – مج1 – ص35-55.
6- رجب عبد الجواد ابراهيم: ألفاظ الحضارة – ص24.

هذه العجالة سنقتصر على نماذج من هؤلاء، فمنهم من جعل التقليد مطيّة لإرساء قواعــد التأريخ بالأندلس، وآخرون أسسوا عن جدارة واستحقاق علم التاريخ.

فأول هؤلاء، عبــد الملــك بــن حبيــب الســلمي، المكنــى بــأبي مــروان (ت 228هـ/852م) الذي اعتبرت كتاباته أولى المحاولات لإرساء قواعد التدوين التــاريخي بالأندلس، وقد اعتبر من العلماء الموسوعيين الذي خاضوا في ميــادين معرفيــة شــتى، ويكفينا في ذلك شهادة محمد بن عمر بن لبابة الذي وصفه بعالم الأندلس.[1]

يعتبر ابن حبيب أول عربي تنتجه أرض الأندلس يؤلف كتابا يتعــرض فيــه إلــى تاريخ بلاده،[2] ولذا عُدَّ من أوائل المؤرخين الأندلسيين، وقد يكون من أقدمهم، فساهم هــذا العالم بإنتاجه المتعدد في السَيْر بعلم التاريخ قُدُمًا.[3]

يظهر من مؤلفاته أنه كان يسعى بشيء من التخصص إرساء دعائم الخبر التاريخي المحلي، إذ تأثر بالكتابات التاريخية المحلية عندما وضع كتابه –"التاريخ العالمي- والــذي يعرف بــ: "كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلــق الســموات وخلق البحار والجبال والجنّة..." إلى أن يصل إلى افتتاح الأندلس."[4] ولهذا جاءت كتاباتــه على حسب تكوينه العلمي، فجاء تدوينه للتاريخ ضمن هذا السياق لم يــرق إلــى درجــة التخصص.

لم تبق هذه المحاولات الأولى منحصرة في بيت بني عبد الملك بن حبيب السُّــلَّمِي بل انتقلت إلى أسرة أحد الفاتحين وهو موسى بن نصير والممثل في أحد أحفــاده، وهــو معارك بن مروان الذي تعود محاولاته إلى القرن الثالث الهجري (9م) وهذا مــا يؤكــده الحميدي بقوله: " وقد ألّف في أخباره في فتوح الأندلس وكيف جرى الأمر فــي ذلــك –

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق - صص221-222. ابن فرحون: الديباج المذهب – ص252. القفطــي: انباه الرواة على أنباء النجاة – ج2 – صص206-207.

2- عبد الواحد ذنون طه: نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس – سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة – هيئة كتابة التاريخ – دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية – ط1 – 1988م– ص7 وما يليها.

3- أحمد أمين: المرجع السابق – ص198. ك. بويكا: المرجع السابق – ص25. آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص193.

4- آنجل جنثالث بالنثيا:المرجع السابق – ص194.

رجل من ولده – يقال له معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أبو معاوية."[1]

يعتبر النموذجان المذكوران أعلاه بمثابة الخطوة الأولى لعملية التدوين التـــاريخي بالأندلس، ولكن هذه الطفرة ستتطور في القرن الرابع الهجري (10م) على يـــدي أســـرة الرازي التي شدّت عن القاعدة المتبعة من طرف مؤرخي الأندلس، وحتـــى نلحـــظ هـــذا الفرق، فسنقتصر في هذه العجالة على أحد أفرادها وهـــو، أحمـــد بـــن محمـــد الـــرازي (ت344هـــ/955م) صاحب كتاب "تاريخ دول الملوك."[2]

ما يهمنا في هذا المقام، الطريقة أو المنهجية التي أدخلها الرازي في كتابـــه هـــذا، وهذه المنهجية لم يتعوّد عليها الأندلسيون، وهذا بشهادة ابن حيـــان نفســـه، حـــين قـــال: "...فطلب العلم ومال إلى الأدب، فغلب عليه حب الخبر والتنقير عنه، ولم يكن من شـــأن أهل الأندلس، فألتقطه عمن من مشيختهم ورواتهم ودونه، ووضع قواعد التأريخ بالأندلس مبتدئا."[3]

إن المنهجية الجديدة التي أدخلها على علم التأريخ هو تصديره لكتابه السالف الذكر بفاتحة جغرافية وصف فيها الأندلس وصفا طبيعيا، وهذه الطريقة لم تكن معهودة من قبل، وأصبح منهجه هذا تقليدا لمن جاء بعده.[4]

من حصاد الفقرات السالفة الذكر، نلحظ ذلك التطور والنقلة النوعية في الكتابـــات التاريخية بالأندلس، وقد اعتبرت مدرسة أحمد الرازي المنطلق الأساس لهذا التطور الذي شهدته الأندلس في هذا القرن (ق4هـــ/10م).

- **<u>اتجاهاتها:</u>**

لقد تعدّدت الاتجاهات التي اتبعها مؤرخو الأندلس، وبخاصة البيوتات فـــي تـــدوين تاريخ بلادهم، إذ يمكن القول أن كلّ نشاط إنساني أثره في صيرورة وحركة التأليف، ولذا

1- الحميدي: المصدر السابق – ص304.
2- الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين – ص302. السيوطي: بغية الوعاة – ص393. ابن الفرضي: المصدر السابق – ص45. السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – ص101.
3- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص269.
4- من هؤلاء المراكشي في معجبه وابن عذاري في بيانه

امتاز التراث التاريخي الأندلسي بالتنوّع، وهذا ما يفهم من كلام السخاوي حين قال: "وأما موضوعه، فالإنسان والزمان، ومسائله أحوالهما المفصّلة للجزئيات تحت دائرة الأحـــوال العارضة الموجودة للإنسان وفي الزمان."[1]

ونحا نحوه صاحب شجرة النور الزكية بقوله: "وموضـــوعه، أحـــوال الأشـــخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم."[2]

لقد اتجهت همّة المؤرخين نحو التأريخ في عدة اتجاهات شملت مواضـــيع شـــتى، امتلأت بها كتب الأندلسيين، وبخاصة على عهد عصر الخلافة، الـــذي يعتبـــر العصـــر الذهبي للحياة الثقافية بالأندلس.

فأما التأريخ للســـير، فقد شملت السيرة النبوية الشريفة العَطِرَة، فقد كان للأندلسيين حظ وافر فيها، فما إن أطلّ القرن الخامس الهجري – عصر الازدهار العلمي بالأندلس – حتى ازدان هذا الأخير بجهود رائعة في كتابة السيرة[3]، وخير من مثّل هذا الاتجـــاه بيـــت بني حزم، وبيت بني عبد البر النمري.[4]

وفيما يخص **التأريخ للأنساب** والذي يعتبر فرع من فروع التأريخ الأندلسي، فقـــد كان لبعض البيوتات مشاركة فيه، حيث كان هذا النوع ضرورة حتمية بالأندلس لـــدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد واختلاطها واحتمال ضياع أنسابها.[5]

ويرى السيد عبد العزيز سالم أن السبب في عناية الأندلسيين بهذا الفن يرجع إلـــى قلة عدد العرب الصريحي النسب بالأندلس بعد أن تَعَقَّدَ المجتمع الأندلسي وأصبح يتكـــوَّن من أخلاط بشرية غير منتظمة، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقـــوم علـــى العنصرية الجنسية أو العصبية كالعرب والبربر والمولدين[6]، وقد وجد ذلك مـــادة خصـــبة لعلم الأنساب.[7]

1- السخاوي: المصدر السابق – ص7.
2- مخلوف: المصدر السابق – ص6.
3- طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – ج2 – ص828
4- سنتعرض لاسهاماتهم فيه لاحقا.
5- طه عبد المقصود: نفسه- ج2 – ص845.
6- ينظر عن طبقات المجتمع الأندلسي: حسين مؤنس – فجر الأندلس – ص287 وما يليها.
7- السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخـــون العـــرب – مؤسســـة شـــباب الجامعـــة – الاســـكندرية – 2006 – ص96.

وأما **التأريخ العام للأندلس**، فقد شملت همّة بعض البيوتات للتأريخ للأحداث التي جرت بالأندلس، منها الفتن[1] التي عمّتها ،منها: فتنة علي بن حمود[2] وما انجرّ عنها، والتأريخ لبعض الأسر الثقافية والسياسية منها: العامريون، وملوك الأندلس وخدمتهم وحروبهم والأحداث الكائنة بها.

أما الاتجاه الأخر، والذي كانت له أهميته عند مؤرخي الأندلس هو، **كتب التراجم** إذ تركّزت عناية الأندلسيين بهذا النوع من الفن، فعملت بكل ما في وسعها لخوض غمار هذا النوع من التأليف حتى أصبحت ذات صيت وشهرة لدى الأندلسيين، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على اتساع الأفق المعرفية لهؤلاء العلماء المُتَمَيِّزين، فهذه التراجم كانت ضرورة حتمية لتدوين ما خلّفه هؤلاء في ميادين معرفية شتى، وأن أول من بدأ بالتعامل مع هذا النوع من التراجم هم الفقهاء والمحدِّثون من أجل تدعيم وتثبيت المذهب المالكي بالأندلس.[3]

لقد ساهم هذا النوع من التدوين التاريخي من الاطلاع على بعض جوانب الشخصيات من الناحية الثقافية والسيرة الذاتية، وأهم المناصب التي تولوها، أضف إلى ذلك تواريخ ميلادهم ووفاتهم، وهي إفادات جدّ مهمة إذا أردنا التأريخ لعلم من الأعلام أو لأسرة من الأسر العلمية بالأندلس، كما يفيدنا هذا النوع من الفن بما تحتويه هذه التراجم من مادة تاريخية وان كانت مقتضبة في أحايين عدة، إلا أنها مفيدة للغاية، وبخاصة إذا أرشدتنا إلى مؤلفات هي في عداد الكتب المفقودة.

أما **الفهارس والبرامج**[4]، فيدخل هذا النوع من التأريخ ضمن كتب التراجم التي تترجم للشيوخ الذين تلقوا عنهم مادتهم العلمية، أو تترجم لمؤلفاتهم في ميادين معرفية شتى، فهذا النوع من التصنيف شغف به العلماء الأندلسيون شغفا كبيرا، وشارك فيه

1- مثل فتنة عمر بن حفصون.

2- سنتعرض الى النص الذي يؤرخ له لاحقا

3-ينظر ك. بويكا: المرجع السابق – صص 85-86. آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص266.

4-- الفهارس: ج – فهرسة، وهي في الأصل فارسية تدل على جملة عدد من الكتب، وعند تعريبها أصبحت فهرست، بكسر الفاء والراء واتق من ذلك فهرس، يفهرس، فهرسة. المجاري: برنامج – تحقيق: محمد أبو الأجفان – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1982م – مقدمة المحقق – ص59. د. حسان حلاق و د. عباس صباغ: المعجم الجامع – ص165.

والبرنامج: معربة من الفارسية من "برنامه" وتعني الجدول، جدول المقررات، وتعني الكتاب الذي يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم ذاكرا عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذي يقرأ عنه وسنده الى المؤلف. د. حسان حلاق و د. عباس صباغ: المعجم – ص39.

المتقدمون منهم والمتأخرون في إنتاجه مشاركة فاعلة، وقد كان لهذه الكتب أهمية بالغة، فهي تمدنا بصورة صادقة عن الحركة الثقافية في العصر الذي دونت فيه، وتعطينا صورة واضحة عن النشاط الذي كان يقوم به طلاب العلم وطريقة تعلّمهم، كما تحيطنا علما بالكتب المتداولة في مختلف الفنون، و تطلعنا على أهم الرحلات العلمية التي قام بها هؤلاء.[1]

هذه جملة من الاتجاهات التي خاضت فيه بعض البيوتات، فمنها من بقيت آثارهم حبيسة المصادر التي نقلت بعض ما دَوَّنُوهُ في هذه الاتجاهات، ومنها ما نجا ومنها ما فُقِدَ، وبقيت منه عناوين تدل على أنهم كانت لهم اليد الطولى في عملية التدوين التاريخي، والتي شملت تقريبا كل الاتجاهات السالفة الذكر، والجدول المرفق يوضح لنا بما لا يدعو للشك مدى مساهمة البيوتات أو أفراد منها في هذا النوع من التأليف.

البيوتات	أسماء بعض أفرادها	اتجاهاتهم التاريخية
بنو أبي دليم	عبد الله بن أبي دليم	تراجم الفقهاء
بنو الحذاء	محمد بن يحي بن محمد بن أحمد بن محمد بن يحي	تراجم الفقهاء، والخطب والخطباء، والفهارس
بنو أبي زمنين	محمد بن عبد الله بن عيسى	تراجم الصالحين
بنو عتاب	محمد بن عتاب بن محسن	فهرست
بنو حزم الصدفي	أحمد بن سعيد بن حزم	تراجم المحدثين
بنو مغيث الأنصاري	عبد الله بن محمد بن مغيث	تراجم الشعراء
بنو فرج الجياني	أحمد بن فرج	تراجم الشعراء
بنو حزم	علي بن أحمد بن سعيد الفضل بن علي بن أحمد	الأنساب – السيرة – الأنساب
بنو عبد البر النمري	يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد	الأنساب – السير –

1- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص864. آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص266.

	البر	المغازي
بنو سراج		الأنساب
بنو فطيس	عبد الرحمن بن فطيس	السيرة
آل عاصم العريان	حسين بن عاصم	السير
آل قاسم البياني	قاسم بن أصبغ	الأنساب
آل الرازي	أحمد بن محمد	الأنساب

بنو مزين	محمد بن عيسى بن محمد	التأريخ العام
بنو الأفطس	محمد بن عبد الله	
بنو شهيد	عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك	
آل الخالدين	أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم	
بنو بسيل	عبد الحميد بن بسيل	
آل الرازي	محمد – أحمد – عيسى	
بنو فرج الجياني	أحمد بن فرج	

2) **نماذج من تراثهم التاريخي:**

أ)**فنا التراجم والفهارس:**

- **كتب التراجم:**

ان معظم ما ألفه بعض أفراد هذه البيوتات في هذا النوع من التأليف تعتبر مفقــودة الا أنه يمكن اقتفاء أثرها وذلك اعتمادا على مؤلفات المتأخرين والذين اعتمــدوا اعتمـــادا كبيرا على مثل هذه البيوتات العلمية بمختلف مشاربها.

فبالنسبة **لتراجم الفقهاء** اذ اعتنى هذا النوع من التراجم برجال الأندلس وأعلامها، والذي يدور محور مادتها عن فقهاء المالكية، باعتبار الأندلس مالكية بطبعها وأبرز مــن مثّل هذا الاتجاه هو:

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله القرطبي (ت 351هـ/962م) وهو ينتمي إلى **بيت بني دليم،** الذي تتلمذ على ثُلَّةٍ من الشيوخ نذكر منهم: أسلم بن عبد العزيز وأحمد بن خالد[1] محمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهم.[2]

يعتبر ابن أبي دليم هذا، صاحب مجموعة طبقات المالكية، إذ قام بتصنيف هذه المجموعة باعتباره متمكنا في علوم الشريعة من فقه وحديث، وغيرها من العلوم الأخرى، وهذا بشهادة المصادر التي ترجمت له، فهذا ابن الفرضي يقول في حقه: "...وكان نبيلا في الحديث ضابطا لما رواه...خير الكتاب وأكثر الكتب التي سمعناها فيها من أخيه محمد بخطه."[3] وذكره محمد بن مخلوف بقوله: "الإمام المشاور، العالم بالحديث، الضابط لما رواه الفقيه."[4]

فهذه الأوصاف التي وصفته بها بعض هذه المصادر، تُخَوِّلُ له، وهو العالم بعلوم الشريعة ورجالها أن يصنّف مصنّفا في هذا الميدان، أو يقوم بالتأليف لسير وتراجم لفقهاء المالكية بالأندلس، وكان له بالفعل ذلك، وما اشتهر عنه في هذا الفن هو مؤلفه.

كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك

لقد اتفقت المصادر حول تسمية هذا المؤلف، فالقاضي عياض يفيدنا بالعنوان كاملا إذ يقول: "وألف كتاب الطبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار."[5] و نحا نحوه صاحب شجرة النور الزكية، فذكر ما مفاده: "ألف كتاب طبقات فيمن روى عن مالك وأتباعهم."[6] في حين اكتفى ابن فرحون بالقول: "له تأليف..." ولم يزد على ذلك.[7]

1- هو أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن مسالم، المكنى بأبي عمرو والمعروف بابن الجباب لأن أباه كان يبيع الجباب، أصله من جيان، ولد سنة 246هـ/861م وهو محدث مالكي له عدة تصانيف، منها: قصص الأنبياء، وكانت وفاته سنة 322هـ/933م. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – صص35-36. الحميدي: المصدر السابق – ص108. الضبي: المصدر السابق – صص150-151. ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب – ج1 – ص120. اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج5 – ص59.

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص191-192. عياض: المصدر السابق- ج2 – ص108.

3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – صص191-192.

4- مخلوف: المصدر السابق – ص90.

5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص108.

6- مخلوف: المصدر السابق – ص90.

7- ابن فرحون: الديباج المذهب...ص228.

لقد اعتمد القاضي عياض اعتمادا كليا على ما دوّنه ابن أبي دليم في هذا الميــدان وهذا ما يتضح من قوله: "وقد نقلنا منه الكثير في كتابنا هذا."[1]

أما سبب اعتماده عليه، فلأنه شكا بأن كل الكتب التي اطّلع عليها لم تشف غليلــه، ولم تحتو هذه الأخيرة سوى على معلومات قليلة عن هؤلاء الرجال من الفقهاء، ثم يضيف قائلا عند التحدث عن ابن أبي دليم هذا، فيقول: "على أن ابن دليم اتسع اتســاعا حســنا، فيمن ذكره من المغاربة من أتباع رواة مالك من المصريين والأندلســيين، وطائفــة مــن القرويين."[2] ويشير إلى أن مجموعات طبقات المالكية التي وضعها عبد الله بن أبي دلــيم هي أصغر المجموعات التي تضمّنت تراجم لطبقات المالكية، فيقول: "... واقتصر علــى ذكر طبقاتهم، دون شيء من أخبارهم وبيان أحوالهم." ثــم يعيــب عليــه عــدم تطرقــه للحجازيين والمشرقيين بالرغم من كثرة علمائهم، وكثرة أعلامهم."[3]

ومهما يكن الأمر، فهذا الكتاب يعتبر بحق مؤلفا تاريخيا يترجم للفقهــاء المــالكيين وان احتوى هذا الأخير على تراجم مختصرة، إلا أنه أحاط بعدد لا يستهان به من هــؤلاء الفقهاء، ولم يقتصر على منطقة دون أخرى، فزيادة على علماء الأندلس، فقد احتوى كتابه هذا على تراجم لشخصيات من العالم العربي، كمصر والقيروان متقيــدا دائمــا بالســرد المختصر لها.[4]

بعد استعراضنا لآراء بعض المؤرخين بخصوص هذا المؤلــف، ســنحاول قــدر المستطاع جمع شتات هذا التراث الذي ورد متناثرا بين جنبات كتاب القاضــي عيــاض والذي أبرز لنا وجها أخر من تراث هذا البيت – بيت بني أبي دليم – الثقــافي، والــذي تنوعت معارفه في هذا الحقل، وخير من يمثل لنا هذا النوع من التأريخ عالمنا الجليل عبد الله بن محمد بن أبي دليم.

لقد جمع القاضي عياض هذا التراث المفقود على أساس الطبقة التي تنتمي إليها كل شخصية والمنطقة التي ينتمي إليها، وهو حسب معلوماتنا المصدر الوحيــد الــذي أفادنــا بإسهامات هذا البيت في هذا الفن.

1- عياض: نفسه – ج2 – ص108.
2- عياض: المصدر انفسه – ج1 – ص8. وينظر السخاوي: المصدر السابق – ص100.
3- عياض: نفسه – ص8.
4- ك. بويكا: المرجع السابق – ص170.

فمن بين أولئك الذي ترجم لهم في **ميدان الفقه** نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

- **عبد الملك بن زونان**[1]: وهو عبد الملك بن الحسن بن محمد بن يونس بن عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أهل قرطبة، ينتمي إلى الطبقة الأولى، قال ابن أبي دليم: "كان فقيها، فاضلا ورعا."[2]
- **الأعنائي**[3]: يقول عنه: أنه "كان من أهل الفقه وجيها في هذه الطائفة."[4]
- **محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك**[5] من أهل قرطبة "كان فقيها حافظا شوور مع الشيوخ يحي وابن حسان وابن حبيب."[6]
- **محمد بن عبد الواحد**[7] من أهل طليطلة: "كان صاحب فقه."[8]
- **عمر بن زيد بن عبد الرحمن أبو حفص**[9] طليطلي "كان صاحب رواية وفقه."[10]

من خلال هذه النماذج لتراجم بعض الفقهاء، يمكن الخروج بالملاحظات التالية: وهي أن ابن أبي دليم اقتصر في ترجمته لهؤلاء على ميدان معين خاضوا فيه دون إعطاء تفاصيل أو توضيحات حول هذه الشخصية أو تلك، إذ وصفهم بالفقهاء لا غير، مع تسجيل غياب تام لسيرتهم الذاتية، أو ذكر لبعض مؤلفاتهم كما هو معمول به في كتب التراجم الأخرى.

ومن **رجال الحديث** الذين حظوا بنصيب أوفر في كتابه هذا، نذكر عيّنة منهم، وهم على التوالي:

- **داود بن جعفر بن صغير**[1] قرطبي، مولى بني تيم، قال فيه: "كان يميل إلى الحديث."[2]

1- تنظر ترجمته عند ابن الفرضي: المصدر السابق – ص220. والحميدي: المصدر السابق – ص250.
2- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص375.
3- تنظر ترجمته في نفس المصدر.
4- عياض: نفسه – ج1 – ص439.
5- تنظر ترجمته عند الضبي: المصدر السابق – ص122. وابن فرحون: الديباج...ص359.
6- عياض: نفسه – ج1 – ص447.
7- تنظر ترجمته ابن الفرضي: المصدر نفسه – ص299.
8- عياض: نفسه- ج1 – ص460.
9- تنظر ترجمته عند ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين –ص209.
10- عياض:المصدر السابق– ج1 – ص461.

- **عبد الله بن حسين** المعروف بابن السندي، أبو محمد[3] مولى بني فهر، مـن أهـل وشقة "كان حافظا للمذهب بصيرا بالشروط، حدّث وسمع منه وقرئ عليه."[4]

وما قيل عن الفقهاء يمكن تطبيقه على أهل الحديث، فهو لا يفصّل في ترجمة هـذه الفئة وفي بعض الأحيان يبرز موهبة هذا الشيخ – كما هو موضح في المثال الأخيـر – بأنه ليس حافظا له فقط، وإنما قام بتعليمه للآخرين.

وفي أحايين أخرى، يكتفي بذكر سنة الوفاة للمترجم له، فمن أمثال هؤلاء.

- **يحي بن معمر بن عمران بن حنبل** بن عبيد بن النيف الألهـاني[5] [6] مـن العـرب الشاميين، من أهل اشبيلية، قال فيه: "وتوفي سنة ست وعشرين ومائتين."[7]
- **عبد الله بن محمد بن يوسف** المعروف بالمري الأزدي أبو عبد الله، قرطبي، يذكر بأنه "توفي سنة سبع وعشرين."[8]

من خلال هذه النماذج التي ترجم لها ابن أبي دليم، فإنه لم يقتصر علـى ترجمـة علماء بلده أو المدينة التي ينتمي إليها، وإنما شملت تراجمه معظم مدن الأندلس التي ظهر بها أمثال هؤلاء العلماء.

وما يمكن ملاحظته من خلال ترجمته لعلماء آخرين، فقـد أحـاطهم بنـوع مـن التفصيل، إذ يذكر جوانب عدّة من شخصيتهم، وهذا ما نستشفه من خلال هـذه العيّنـات، أولها:

- **إبراهيم بن عبد الرحمن بن عمرو بن أبي الفياض**[1] مولى زهير، قال في حقه ابن أبي دليم: "كان صاحب حلقة أصبغ معدودا في فقهاء مصر، يروي عـن أشـهب[2]

1- تنظر ترجمته عند الحميدي: المصدر السابق – ص187.
2- عياض: المصدر نفسه - ج1 – ص296.
3- تنظر ترجمته عند عياض: نفسه- ج2 – صص116-117.
4- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
5- الألهاني: ينسب الى ألهان بن مالك أخي همدان: السيوطي: لب اللباب – ص48.
6- تنظر ترجمته عند ابن الفرضي: المصدر السابق – ص430.
7- عياض: المصدر نفسه – ج1 – ص394.
8- عياض: المصدر السابق– ج2 – ص96.

وابن وهب[3] و قدر من البرّ في الناس بمصر، وروى عنه يحي بن عمر... تـوفي سنة خمس وأربعين ومائتين."[4]

ففي هذه الترجمة لا يقتصر ابن أبي دليم على مناحي هذا العالم الثقافية فقط، و إنما يتعرّض لبعض شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والمعرفة، وهذا بحد ذاته يجعلنا نتعرّف أكثر فأكثر على الشخصية المترجم لها، وذكر الأسباب التي أدت به للنبوغ في هذا الميدان، فالتلميذ هو مرآة عاكسة لشيخه، ثم يبرز بعدها مكانة هذه الشخصية التي أصبحت من ذوي العطاءات الفكرية، والذي سيقوم بتلقين ما تعلمه للأجيال اللاحقة وهذا ما يفهم من خلال روايته لما تعلمه من هؤلاء الشيوخ.

- **<u>أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي</u>**[5] مولى آل جعفر بن أبي طلب ذكره بقوله: " يقال معاوية بن أحمد بن عون بن معاوية بن عبد الله بن أبي طالب...والأغلب عليه الحديث والرواية، وكان من أهل الورع والدين، منابيا لأهل البدع."[6]

لقد أفادنا ابن أبي دليم كثيرا في نسب هذا العالم، فغالبا ما تختلط أسماء مثل هؤلاء العلماء بسبب تشابه الأسماء وهذا ما يجب أن تتعرض له كتب التراجم، وان تحيط بهذا الجانب الحسّاس، وبعد الرفع من نسبه، يتعرض لميولاته الثقافية.

وفي أحايين أخر، يتعرّض ابن أبي دليم لشخصيات غير أندلسية، من حيث عطاءاتهم الفكرية، نذكر نموذجا منها:

- **<u>محمد بن سليمان بن سالم بن القطان أبو الربيع</u>** القاضي، يعرف بـابن الكحالـة، مولى لغسان، قال فيه ابن أبي دليم: "وكان الأغلب عليه الرواية والتفسير، وله تأليف في الفقه، تعرف كتبه بكتب السليمانية."[1]

1- تنظر ترجمته عند عياض: المصدر نفسه – ج1 – ص399.
2- تنظر ترجمته عند ابن فرحون: المصدر السابق – ص162. مخلوف: شجرة النور الزكية – ص59.
3- تنظر ترجمته عند ابن فرحون: نفسه – ص214-216. ومخلوف: نفسه – ص58-59.
4- عياض: نفسه – ج1 – ص399.
5- تنظر ترجمته عند عياض: المصدر نفسه – ج1 – ص366.
6- عياض: نفسه – ج1 – صص366-367.

لم يقتصر ابن أبي دليم في ترجمته لطبقات المالكية على الأفراد، فقد أخذت بعض البيوتات حظا أوفرا لديه، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بيت بني مرتيل[2] وبيت بني دينار[3] وبنو الصغير[4]، وغيرهم من الأسر العلمية التي كان لها باع في الحقل الثقافي، وهذا ما تطرقنا إليه حين تعرضنا لهذه الأخيرة وإسهاماتها في ميادين معرفية شتى.

هذا مستخرج مما صنّفه أحد أفراد أسرة بني أبي دليم أبو محمد عبد الله بن محمد، وان كانت في مجملها تراجم مختصرة – كما ذكر لنا ذلك القاضي عياض – إلا أنها أفادت المكتبة الأندلسية بأهم مؤلف في تلك الفترة، كما أفادت المكتبة العربية، مغربها ومشرقها بتراجم لعلماء أجلاّء، إذ خرج من إطاره الضيق الذي يختصّ بتراجم لأهل بلده إلى إطاره الواسع، فتعدّاه إلى بلدان أخرى، مما يدل على اتساع أفقه المعرفية في ميدان هو ميدانه.

ومن البيوتات التي كان لها باع في هذا الفن، **بيت بني الحَذّاء** والذي كانت له مشاركة فاعلة في تراجم الفقهاء والمحدّثين، وقد برز فيه فردان من هذه الأسرة أولهما:

أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن عبد الله التميمي، الشهير بابن الحذاء، والذي كتب لنا على أقل تقدير ثلاثة كتب تنتمي إلى فن التراجم نذكر منها: فهرست[5] وكتاب تراجم لبعض الفقهاء، وبادئ ذي بدء يجب إلقاء إطلالة على الكتاب الثاني والموسوم بـ:

*__كتاب رجال الموطأ:__ وقد ورد هذا المؤلف عند السخاوي بهذه الصيغة "رجال الموطأ"[6]، وأما القاضي عياض، فذكره على هذا النحو "كتاب التعريف برجال الموطأ". وقال بأنه يتكوّن من أربعة أسفار[7]، وحذا حذوه ابن مخلوف[8]، وأما ابن بشكوال، فقد ورد

1- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص505.
2- نفسه – ج1 – صص443-444.
3- عياض نفسه– ج1 – صص453-454 و ص373.
4- نفسه – ج1 – ص296 – ج2 – ص79.
5- سنعود الى هذا النوع في موضعه.
6- السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – ص116.
7- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص302.
8- مخلوف: المصدر السابق – ص112. ابن خير: فهرست – ص93. محمد بن عبد الله التليدي: تراث المغاربة – ص93.

عنده مفصّلا، فقال: "ومن تأليفه كتاب التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء والرجال"[1]. ونفس العنوان ورد عند الصفدي.[2]

قام أبو عبد الله ابن الحذاء في هذا الكتاب بإيراد تراجم لعدد من الرجال والنساء من الرواة وغيرهم من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم من المعروفين والمجهولين، وبوّبه على حروف المعجم، بحيث بدأ بمن يبدأ باسمه بالألف حتى ينتهي إلى من بأول اسمه ياء، كما قام بترتيب أسماء أكنياء على حروف المعجم، وهذا حتى يعرفنا بأسماء الرجال الذين عرفوا بكنيتهم لا غير، ثم من عرفوا بأسماء آبائهم وأجدادهم، وممن عرفوا كذلك بألقابهم فقط.[3]

أراد ابن الحذاء من وراء تأليفه لهذا الكتاب، أن يكون كتابا جامعا لكل ما يحتاج إليه من تعريف الرجال والنساء، ويستغنى عن غيره ولا يستغنى عنه، ويضيف ابن الحذاء قائلا: عن أهمية هذا الكتاب "إذا رأيت أنه يخصني من نفع هذا الكتاب ما يهم غيري ممن قرأه ونظر فيه، إذ هو علم متفرق الدواوين، وإذا عرضت الحاجة ودعت الضرورة إلى الكشف عن شيء من ذلك وجب طلبه في تلك الدواوين، وصعب ذلك لكثرة الأمر وافتراقه، فجمعته في هذا الكتاب ليكون أسهل على طالبه."[4]

يتضح لنا من خلال هذه المقدمة التي صدر بها ابن الحذاء كتابه هذا، أنه أراد تبسيط الأمور لكل من أراد التعرّف على بعض الشخصيات من الرجال والنساء، إذ يصعب على المرء أن يطلع على كتب عدة، حتى يتعرف على مثل هؤلاء المترجم لهم، فأراد به هذا المؤرخ أن يجمع عددا لا بأس به من المترجم لهم في كتاب واحد يجمعهم كلهم، وبذلك يصبح كتابا جامعا شاملا لا يمكن لأي إنسان أو طالب علم أن يستغني عنه،

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص128.
2- الصفدي: الوافي – ج3- ص370. وينظر فؤاد سزكين: تاريخ التراث المغربي – مج1 – ج3 – ص177. ومحمد بن عبد الله التليدي: نفسه – ص92.
3- محمد العابد الفاسي: فهرس المخطوطات – خزانة القرويين، قدم وترجم له ابنه محمد الفاسي – ط1 – 1399هـ/1979م – ج1 – الرقم17004 – ص186.
4- محمد العابد الفاسي: المرجع السابق – ج1 – صص186-187.

وبخاصة إذا علمنا أنه يجمع فيه 662 حديثا[1]، وهذه هي عادة العلماء إذا استعصي على القارئ أي شيء من هذه العلوم، يقومون بجمعها وتبسيطها لتكون في متناول الجميع.[2]

*<u>**كتاب الخطب والخطباء**</u>: ورد هذا العنوان على هذا النحو عند القاضي عياض[3]، ونحا نحوه ابن فرحون، وذكر بأنه يتكوّن من سفرين[4] وتبعهما في ذلك محمد بن مخلوف[5]، وأما الصفدي، فورد عنده بهذه الصورة، "الخُطَبَاءُ والخُطَبِ."[6]

وكعادة ابن بشكوال، فقد أفادنا بالعنوان الكامل لهذا المؤلف، وهو "كتاب الخطب وسير الخطباء" في سفرين[7]. ونقل عنه بويكا نفس العنوان، وهذا الكتاب يعتبر في عداد الكتب المفقودة.[8] وحسب عنوانه، فهو ينتمي إلى كتب التراجم التي تكون قد فصّلت في ترجمة السير الذاتية لهؤلاء الخطباء، وقد يكون على شاكلة كتاب "التعريف" السالف الذكر، كما لا يستبعد أن يكون قد احتوى على نماذج من خطب هؤلاء الرجال، و الى أن يعثر عليه، تبقى هذه الرؤى مجرد تخمينات فقط.

وثاني أفراد هذه الأسرة هو: أبو عمر أحمد بن محمد بن يحي بن الحذاء الذي شارك أباه في فن التراجم، وألف فيه كتابا وسم بـ:

*<u>**كتاب روايات ابن الحذاء**</u>.: ورد عنوان هذا الكتاب عند ابن بشكوال حين ترجم لأبي مطرف عبد الرحمن بن عيسى بن مطرف، قاضي الجماعة (348هـ-402هـ/959م-1011م) حيث قال: "وذكره أبو عمر بن الحذاء في كتاب رواياته، فقال الوزير القاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن فطيس قاضي الجماعة بقرطبة، وكان قبل القضاء صاحب المظالم، وكان عدلا شديدا في أحكامه، وكان عالما بالحديث والتقييد له، واسع الرواية، كتب الحديث عمره كله، وكان من أبناء الدين، فلما ولي

1- محمد بن عبد الله التليدي: المرجع السابق – ص93.

2- وهذا ما قام به ابن أبي زمنين صاحب كتاب – المنتخب – والذي ألفه من أجل أخيه، حتى يبسط الأحكام لكل من يتولى القضاء،.

3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص302..

4- ابن فرحون: المصدر السابق – ص368

5- مخلوف: المصدر السابق – ص112.

6- الصفدي: المصدر السابق – ج3 – ص370.

7- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص128.

8- ك. بويكا: المرجع السابق – ص228.

القضاء غيّر زيّه وترك زيّ الوزراء وعاد إلى زيّ الفقهاء – رحمه الله – أملـــى علينـــا مجالس من حديثه من حفظه، وأجاز لي جميع رواياته."[1]

يطلعنا هذا النص على علَمٍ من أعلام البيوتات الأندلسية التي كان لها بـــاع علـــى الساحة الثقافية بالأندلس، فأول ما بدأ به حين رام ابن الحذاء الترجمة لهذه الشخصية، بدأ بالرفع من نسبها، ثم تعرّض لأهم المناصب التي تولاها ابن فُطَيس هـــذا، مـــن خطتـــي الوزارة والقضاء، ثم ينتقل إلى الشق الثاني من شخصية هذا العالم وهو الجانب الثقـــافي، ونخصّ بالذكر علم الحديث الذي برع فيه، وبما أن أبا عمر ابن الحذاء هذا، كـــان مـــن أنجب تلامذته، فقد أجاز له ما تلقّاه منه من علم و معرفة.

أما القاضي عيّاض، فقد اعتمد هو كذلك على أبي عمر هـــذا حـــين تـــرجم لعبـــد الرحمن بن فطيس، ووردت نفس الترجمة التي اعتمدها ابن بشـــكوال، ولكـــن بطريقـــة مختصرة، إلا أنه لم يفدنا بعنوان هذا الكتاب.[2]

ولحق بهذا البيت في هذا النوع من التأريخ **بيت بني أبي زمنين**، فممن برز مـــنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى (324هـــ-398هـــ أو 399هـــ/936م-1008م)، فمما أوثر من مؤلفاته في هذا الميدان كتابه الموسوم بـــ:

*__أخبار الصالحين__: وهو نوع من التراجم التي تتناول حكايات الناس، ويتضـــح مـــن خلال عنوانه أنه تناول فيه سيرة بعض من اشتهر منهم بالزهد والتقشف والبعد عن الدنيا، والجري وراء الآخرة، كما كان هو نفسه من رجال الزهد، كما تخبرنا به المصادر التـــي ترجمت له، إن هذا الكتاب الذي ألفه يشبه إلى حد كبير طريقة التأليف التي ســـار عليهـــا

1- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص274.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص259.

الزاهد البغدادي ابن أبي الدنيا[1]، حين عالج فيها مسائل التقشف والصلاح، وغيرها من الأخلاق الإسلامية.[2]

لقد ورد اسم هذا الكتاب عند كل من الحميدي[3] وابن خاقان بنفس العنوان الوارد أعلاه، فهذا يدل على أن ابن أبي زمنين قد طرح الدنيا وابتعد عن ملذاتها ومغرياتها.[4]

أما ولده أبو محمد عبد الله بن عيسى بن محمد (ت 359هـ/969م)، فكل من ترجم له لم يذكر إن كانت له إسهامات في هذا الميدان، إلا أنه بعد اطلاعنا على بعض ما ورد في كتب التراجم تفيدنا بأنه أخذ العلم عن بعض من خاض في علم التأريخ كان منهم محمد بن عبد الملك بن أيمن.[5]

وممن خاض في **تراجم المحدثين** نذكر من **بيت بني حزم الصدفي المنتجلي** أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم[6]، ذكره ابن الفرضي وقال: بأنه قام بتصنيف كتاب تاريخي في المحدثين، وأثنى عليه بقوله: أنه "بلغ فيه الغاية"[7] وأضاف الحميدي قوله: أنه "ألف في تاريخ الرجال كتابا كبيرا جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة[8] والتجريح"[9] وقد استفاد منه بعض تلامذته، نذكر اثنين منهما: خلف بن أحمد المعروف

1- هو عبيد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القريشي الأموي (280هـ-281هـ/823م-894م)، كان ورعا زاهدا، عالما بالأخبار والروايات، له عدة تصانيف نذكر منها: كتاب "مكايد الشيطان" و "كتاب الحلم" وكتاب "فقه النبي (صلى الله عليه وسلم)" وكتاب "ذم الملاهي" وكتاب "ذم الفحش" وكتاب "العفو" وكتاب "ذم السكر" وكتاب "فضل شهر رمضان" وغيرها من المؤلفات. ابن النديم: الفهرست – ص258. الذهبي: تذكرة الحفاظ – مج1 – ج2 – صص181-182.

2- ك. بويكا: المرجع السابق – ص215.

3- الحميدي: المصدر السابق – ص51.

4- ابن خاقان: مطمح الأنفس...ص49.

5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص190. مخلوف: المصدر السابق – ص101.

6- لقد وهم محقق كتاب تاريخ علماء الأندلس – السويفي – حين ترجم لهذه الشخصية وأحال الى مصادر ترجمتها في هامش رقم 142، فأحال الى الحميدي، و ذكر أن ترجمته تحت رقم 215، كما أحال الى الضبي تحت رقم 412. وعند اطلاعي على هذين الرقمين وجدت أنهما يترجمان لأحمد بن سعيد بن حزم الفارسي وهو غير بيت بني حزم الصدفي المشار اليه في المتن. ينظر الحميدي: المصدر نفسه – ص112. الضبي: المصدر السابق – ص156.

7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – ص46.

8- العدالة: ويشترط فيها أن يكون الراوي بالغا مسلما، عاقلا سليما من أسباب الفسق وخوارم المروءة، فهي تحمل المسلم على ملازمة التقوى، حتى يحصل ثقة النفس بصدقه، و يتحقق كل ذلك باجتناب الكبائر والاصرار على الصغائر. علي الجرجاني: فن اصول مصطلح الحديث – ص151. الفيروز آبادي: المصطلحات الحديثية – ص59.

9- الجرح: لغة: التأثير في الجسم بالسلاح، والجرح باللسان في المعاني والأعراض، وأما اصطلاحا: هو وصف الراوي في عدالته أو ضبطه بما يقتضي تليين روايته أو تضعيفها، أو ردها من سوء الحفظ، أو كثرة الأوهام، ومنه يمكن تقسيمه الى الجرح البريء والجرم المبهم والجرح المفسر. الفيروز آبادي: نفسه – صص32-33. ولمزيد من

بابن أبي جعفر[1] وأحمد بن محمد الاشبيلي[2]، فحين ترجم الحميدي للتلميذ الثاني ذكر بأن هذا الأخير أخذ عن شيخه أبي عمرهذا، كتابه في التاريخ والذي وصفه بالكبير[3]، مما يدل على قيمة هذا المؤلف، فَحُقَّ له بعد ذلك أن يصفه بصاحب التاريخ[4]، ونحا نحوه الضبي.[5]

وقد لحق به في هذا الميدان من **بيت العائدي**: أبو زكريا يحي بن مالك بن عائد بن كيسان (300هـ-375هـ/912م-985م)، والذي قام كسلفه عبد الملك بن حبيب في خوض غمار التأريخ، وبخاصة التراجم التي تخصّ مدينة طرطوشة، فكان اعتماد ابن الفرضي عليه كثيرا، وهذا ما سنلحظه من خلال تعرضنا لما دونه في هذا الميدان.

ففي **تراجم المحدثين** نجده يترجم لأحد أعلام بلده، وهو: أحمد بن أيمن، إذ يذكر بأنه "كان فاضلا عابدا حدث"[6] ونفس الأمر ينطبق على محدث أخر وهو أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري، إذ يقتصر على ذكر سنة وفاته، فيقول: "توفي رحمه الله - سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وكان صاحب صلاة طرطوشة.[7]

وفي **تراجم القضاة** ظهر من **بيت بني أيمن** أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن (252هـ-330هـ/866م- 942م) الذي كان له مساهمة في أدب التراجم بالأندلس، فكان حافظا وجامعا لقصص قضاة قرطبة، والتي تلقى قسما منها عن أهله – والده وجدّه –[8] إذ كان هؤلاء على احتكاك مباشر مع القضاة، فمن بين أولئك الذين تلقى عنهم الأخبار زيد الغافقي[9] وبكر بن حماد الملقب بالقسام، كما سمع وأخذ التاريخ عن محمد بن أحمد بن زهير بن أبي خيثمة قبل سنة (279هـ/892م).[10]

المعلومات عن مفهومي الجرح والتعديل ينظر، القسطلاني: السعي الحثيث...صص15-16. وابن أبي بكر: مذكرة في مصطلح علم الحديث – صص28-29.

1- تنظر ترجمته عند ابن الفرضي: المصدر السابق – ص119. والحميدي: المصدر السابق– ص181.

2- تنظر ترجمته عن ابن الفرضي: نفسه – ص53. والحميدي: نفسه – ص95.

3- الحميدي: المصدرنفسه – ص95.

4- نفسه – ص256.

5- الضبي:المصدر السابق – صص155-156.

6- ابن الفرضي: المصدر نفسه – ص32.

7- نفسه – ص35.

8- ك. بويكا: المصادر التاريخية – صص149-150.

9- ينظر عن أخباره: ابن حارث الخشني: قضاة قرطبة وافريقية – ص100.

10- ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – صص117-118. ابن الفرضي: نفسه – ص333.

ومن المصادر التي استقى منها معلوماته مواد ديوان القضاة وأرشيفه[1]، فكانت لـــه في ذلك "حكايات حسنة، ومجالس مؤنسة"[2]، ولكن ما يؤسف له أن هذه الحكايات والأخبار ورواياته لأخبار الفقهاء لم تشتهر، لأنها بقيت متواترة في الوسط العائلي الضـــيّق، ولـــم تصل إلى الجماهير الواسعة.[3]

لم يبق علم التأريخ حكرا على أبي عبد الله هذا، بل توارثه ابنه أبو بكر أحمد بـــن محمد بن عبد الملك (ت 347هــ/958م) الذي أعطاه الحق في تواتر أخباره، وقد اشتهر هذا الابن بكتابه الذي تضمن قصصا عن القضاة.[4]

وفي **تراجم الشعراء** ظهر من **بيت بني فرج الجياني** أبو عمر احمد بن فرج (توفي بالسجن سنة 356هــ-367هــ/975م-978م) وهو ينتمي إلى بيـــت شـــهير فـــي الأدب الأمر الذي سهّل عليه الخوض في عملية التأليف في هذا الميدان، وأشهر كتاب جمع فيـــه تراجم الشعراء بما في ذلك إنتاجهم فيه، هو مؤلفه الموسوم بـــ:

<u>***كتاب الحدائق**</u>: يعتبر هذا المؤلف من المصادر الأدبية التي عدّها الأندلســـيون مـــن مفاخرهم[5]، وقد ألفه ابن فرج هذا، للحكم المستنصر بالله (350هــــ-366هــــ/961م-976م) وأهداه إياه، وفيه عارض كتاب "الزهرة"[6] لأبي بكر محمد بـــن داود بـــن علـــي الأصبهاني[7] أورد فيه هذا الأخير مائة باب في كل باب مائة بيت من الشـــعر، إلا أن أبـــا عمر الجياني، أورد مائتي باب، في كل باب مائتي بيت، ليس منها باب تكرر اسمه لأبـــي بكر[8]، وقد أثنى على هذا الكتاب أبو محمد ابن حزم الظاهري بقوله: "وأحسن الاختيار ما

1- ك. بويكا: نفسه – ص149.
2- ابن حارث الخشني: نفسه – ص118.
3- ينظر ك. بويكا: المرجع السابق – ص150.
4- ينظر ك. بويكا: نفسه – ص149.
5- طه عبد المقصود: الحضارة الإسلامية – ج2 – ص789.
6- هو كتاب "الزهرة في الآداب والشعر". ينظر عنه حاجي خليفة: كشف الظنون – ج6 – ص19.
7- هو الإمام الفقيه الأديب، حفظ القرآن وله سبع سنين، له عدة مصنفات منها: كتاب الإنـــذار والإعـــذار ومختـــار الأشعار والايجاز في الفقه وغيرها من المؤلفات، ولد سنة 255هــ/869م وتوفي ســـنة 297هـــ/910م. الصـــفدي: الوافي بالوفيات – ج2 – ص158. وينظر خير الدين الزركلي: الأعلام – ج6 –ص120.
8- الحميدي: المصدر السابق – ص92. الضبي: المصدر السابق – ص131.

شاء، وأجاد فبلغ الغاية، فأتى الكتاب فردا في معناه."[1] وبنفس الثناء وصفه الحِجَاري حين قال: "لم يكن في المائة الرابعة أشد اعتناء منه بتأليف شعر أهل الأندلس."[2]

يصنف هذا الكتاب ضمن كتب تراجم الشعراء الذين عاصروه ليصل بهم إلى منتصف القرن الرابع الهجري (10م)، إذ لم يترجم فيه إلا لشعراء أندلسيين فقط، مما أكسبه خصوصية أندلسية، وأصبح مؤلفه هذا، معينا استقى منه عدد من علماء الأندلس ومؤرخيها، فمن هؤلاء الحميدي في جذوته وابن سعيد في مغربه وابن الأبار في حلته.

إن تأليفه لهذا النوع من التراجم، يمثل لنا ظاهرة متصلة بالحياة الثقافية، فهي تنم عن حقيقة الوعي القومي لدى الأندلسيين في تخليد تراثهم في هذا الميدان، وبخاصة الشعر[3]، وفي بيان قيمة هذا الكتاب يقول ابن بسام الشنتريني: "ولم أعرض لشيء من أشعار الدولة المروانية، ولا المدائح العامرية، إذ كان ابن فرج الجياني، قد رأى رأيي في النهضة، وذهب مذهبي في الأنفة، فأملى في محاسن أهل زمانه كتاب الحدائق معارضا لكتاب الزهرة للأصبهاني، فأضربت أنا عمّا ألفه، ولم أعرض لشيء مما صنّفه."[4]

ومن أمثلة ما ورد من تراجم لبعض الشعراء في كتاب "الحدائق" مقطوعات شعرية أندلسية، نذكر ما حكاه ابن فرج من وفود بعض القرشيين إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206هـ-238هـ/822م-852م) فوقع هذا الأخير في ظهر كتابهم قوله:

شَتَّانَ[5] من قام ذا متعاضٍ ... مُنْتَضِيَ[6] الشفرتين نَصلاً [من]

فَجَاب قَفْرًا، وشقّ بحرًا ... مُسَامِيًا لُجةً ومَحْلاً

إلى قوله: أَلَمْ يكن حَقُّ ذا على ذا ... أَعْظَمَ من منعمٍ ومَوْلَى؟[7]

1- الحميدي: المصدر نفسه –ص92. الضبي: المصدر نفسه – ص131. المقري: المصدر السابق- ج4 – ص19 – ج3 – ص115. ابن حزم: رسائل – تحقيق: د/ إحسان عباس – المؤسسة العربية – بيروت – ط3 – 2007م – مج1 – ج2 – ص183. و ابن دحية: المطرب...ص20.

2- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب- ج2 – ص46.

3- أحمد هيكل: الأدب الأندلسي – ص193

4- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ق1 – ج1 – ص20.

5- سبان: عند ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص59.

6- بمنتضى: عند ابن عذاري: نفسه – نفس الجزء والصفحة.

7- ابن الأبار: الحلة السيراء –ج1 صص39-40.

فكان بذلك الأمير عبد الرحمن بن الحكم من بين الشعراء الذي ترجم لهم ابن فرج في كتابه هذا، وهناك عدة أمثلة لبعض هؤلاء الشعراء الذين وردت أشعارهم في نفس الكتاب المذكور أعلاه، نذكر بعضا منهم على سبيل المثال لا الحصر.

جَهْوَر بن عبيد الله بن محمد بن الغُمْر: أورد له أبياتا في تفضيل الورد منها:

الوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ وَأَزْ ⸻ كَى مَا سَقَى السَّحَابُ الحَاقِدُ.[1]

سعيد بن محمد بن فرج (أخو المترجم له) أورد له أشعارا كثيرة منها هذا البيت

لِلرَوْضِ حُسْنٌ، فَقِفْ عَلَيْهِ ⸻ وَأَصْرِفْ عِنَانَ الهَوَى إِلَيْهِ[2]

إبراهيم بن الأمير محمد بن عبد الرحمن: الذي انشد له:

دُنُوُكَ مِنِي فِي مَنْزِلِــي ⸻ هُوَ المُلْكُ يَسَّرَهُ اللَهُ لِــي[3]

ولكن ما يؤسف لهذا الكتاب الذي يحتوي على كمّ هائل من تراجم لشعراء أندلسيين أنه فقد، وما بقي منه سوى أبيات شعرية متناثرة في مضان بعض المصادر التي اعتمدت على هذا الكنز الثمين.[4]

وقد لحق بركب هذه الأسرة **بيت بني مغيث الأنصاري**، فقد ظهر منهم في هذا النوع من التأريخ عبد الله بن محمد بن مغيث (285هـ-352هـ/898م-963م) ترجم له الحميدي، وقال في بيان منزلته في هذا الفن، أن له إسهامات جليلة فيه، ثم أضاف قوله: "جمع في أشعار الخلفاء من بني أمية كتابا."[5]

وأثنى عليه ابن بشكوال، فقال في حقه: أنه كان "من أهل المعرفة والنباهة والذكاء واليقظة والحذق والفهم" وأفادنا بنفس المؤلف الذي أورده الحميدي[6]، وقد فرغ من تأليفه في مدة تقل عن الشهر.[7]

1- الحميدي: المصدر السابق – ص166.

2- الحميدي: المصدر انفسه– ص200.

3- ابن الأبار: المصدر السابق– ج1 – ص130. وينظر ص118-119-125-126-218.

4- فواد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص63.

5- الحميدي: نفسه – ص221.

6- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص214. وعن كتاب الشعراء ينظر، اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج5 – ص446.

7- ابن خاقان: مطمح الأنفس – ص59.

وقد حكى لنا ابنه أبو الوليد يونس سبب تأليفه، فقال: أن الحكـم المستنصـر بـالله عندما رام غزو الروم سنة 352هـ/963م تقدم إلى أبي محمد ابن مغيث ليصحبه معـه في هذه الغزوة، فاعتذر له بسبب سقم أصابه في جسمه، فاقترح عليه الخليفة أن يؤلف له في أشعار خلفاء بني أمية في المشرق والأندلس كتابا يكون شبيها بكتاب الصُـولِي فـي أشعار خلفاء بني العباس.[1]

لقد ترك له الخليفة الخيار بأن ينجز هذا العمل بمنزله، أو يكون بالقصر، فاختـار أن يؤلفه في دار الملك ليكفل الانقطاع والتفرد دون أن يقطع حبل أفكاره الزائرون، الذين كثيرا ما كانوا يترددون على بيته، فلما أكمل الكتاب، وكان في مجلد واحد لم يبقه أحمـد بن نصر حتى يعود الخليفة من غزاته، بل حمله إليه ليسرّ به، فلقيه بطليطلة عائدا، ففرح الخليفة بهذا الكتاب أيما فرح.[2]

كما انفردت بعض البيوتات بالترجمة لبعض **الشخصيات الفنية**، وخير من مثلها **آل الخالدين** أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيـز (ت 395هـ/1004م) فمـن مؤلفاته:

*<u>**كتاب أخبار زرياب**</u>: لقد اطلع ابن حيان على هذا الكتاب، وهذا يتأكد من خلال قوله: "وقرأت في كتاب أخبار زرياب"، فهذا الخبر الذي انفرد به ابن حيان يؤكد لنا بأن أسـلم هذا، قد خصصه لهذه الشخصية الفنية والفريدة من نوعها، فبين ثنايا هذا المؤلـف يفيـدنا صاحبه بمعلومات طيبة عن هذا المغني سواء من حيث ذكر اسمه وأنه مولى من مـوالي العباسيين، ثم ذكر لأستاذه الذي أخذ عنه هذه المهنة حتى فاق شيخه فيهـا، والـذي أدى بالخليفة العباسي طلب الحضور عنده ليسمع غناءه، فكانت تلك نهاية زرياب بسبب حسـد أستاذه الموصلي، مما أدى بالتلميذ للفرار إلى الأندلس، فمما جاء في هـذا الكتـاب هـذا المستخرج.

1- هو محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر الصولي كان من المتفنين في الآداب ومعرفة الأخبار، فكان بذلك أخباريا، له عدة مصنفات في هذا الميدان منها: كتاب الأوراق في أخبار الخلفاء والشعر (لم يتممه) والذي خرج منه أخبار الخلفاء بأسرهم وأشعار أولاد الخلفاء وأيامهم من السفاح الى أيام ابن المعتز، وأشعار من بقـي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة، ويتلو ذلك أشعار الطالبيين، ولد الحسن والحسين – رضي الله عنهما – وولد العباس بن علي وغيرهم. بالاضافة الى مؤلفات أخرى، منها: كتاب الوزراء وكتاب أدب الكاتب وكتاب رمضـان وغيرها. ابن النديم: فهرست – صص206-207. القفطي: إنباه الرواة...ج3 – ص233 وما يليها.

2- الحميدي: المصدر السابق – ص221. فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص30-61. احسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – ص70.

"كان زرياب واسمه علي بن نافع مولى محمد المهدي[1] الخليفة العباسي، تلميذا لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، كبير المغنيين في وقته، تلقف منه أغانيه استراقا، وهدي من فهم الصناعة، وحذق العمل مع طيب الصوت وجودة الطبع إلى ما فاق به إسحاق... إلى أن جرى للخليفة الرشيد[2] مع إسحاق خبره المشهور في اقتراحه عليه...فأحضره إياه، فلما كلمه الرشيد أعرب عن نفسه بأحسن منطق وأوجز خطاب، وسأله عن معرفته بالغناء، فقال: نعم، أحسن ما يحسنه الناس وأكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما لا يحسن إلا عندك، ولا يدخر إلا لك، فإن أذنت غنيتك ما لم تسمعه أذن قبلك ! فأمر بإحضار عود أستاذه إسحاق. فلما أدني إليه توقف عن تناوله، وقال: لي عود نحته بيدي وأرهفته بإحكامي لا أرتضي غيره...وطار بالرشيد طرب لم يعهد قط مثله...فسقط في يد إسحاق، وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره، فخلا بزرياب في منزله وقال له، يا علي إن الحسد أقدم الأدواء وأدواها. والدنيا فتانة، والشركة في الصناعة عداوة...وعن قليل تسقط منزلتي وترتقي أنت فوقي، وهذا ما أقرك عليه...فخذ من الآن حذرك مني، فلست والله أبقي عليك...فجزع زرياب لوعيده، وعلم قدرته على ذلك، واختار الفرار قدامه...ومضى زرياب إلى أرض المغرب، فنسي بالعراق خبره..."[3]

لقد أحاط أسلم بن أحمد هذا، في كتابه عن أخبار زرياب إحاطة شاملة، حيث تعرّفنا من خلاله لمسيرته الفنية، والظروف التي أحاطت به والأسباب التي أدت به للفرار من بلده العراق والاتجاه نحو بلاد الأندلس، والتي دخلها أيام الحَكَم بن هشام والتي توافق سنة 206هـ/861م[4]، وهي نفس السنة التي توفي فيها هذا الأمير، وقد رحب خلفه عبد الرحمن بن الحكم وقرّبه إليه، وارتفعت مكانته لديه، وبذلك أورث أهل الأندلس تقاليد المشرق في هذا الميدان.

1- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور، بويع له يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، كان أسمرا طويلا حسن الوجه بعينه اليمنى بياض، يباشر الأمور بنفسه، وكان كثير الولاية والعزل بغير سبب. توفي في المحرم سنة تسع وستين ومائة. الروحي: بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء – تحقيق: عماد أحمد هلال و محمد حسني وسعاد محمود – القاهرة – 1424هـ/2002م– ص215. ولمزيد من المعلومات ينظر اليعقوبي: تاريخ – مج2 – ص392 وما يليها.

2- يقصد به الخليفة: هارون الرشيد، بويع له بعد وفاة أخيه موسى الهادي سنة 170هـ/786م وتوفي سنة 193هـ/808م. الروحي: نفسه – ص219. ولمزيد من التفاصيل يراجع: اليعقوبي: نفسه – مج2 – ص407 وما يليها.

3- ابن حيان: كتاب المقتبس – السفر الثاني – صص309 – 312.

4- المقري: المصدر السابق – ج1 – ص270.

وما يجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن ابن حيان الذي استأثر بهذا النّص لم يفدنا باسم هذا الكتاب "أخبار زرياب"، ونفس القول ينسحب على ابن الفرضي الذي ترجم لأسلم هذا، لم يذكر له هذا المؤلف، ونحا نحوه المقري الذي اعتمد على ابن حيان في مقتبســـه، مع العلم أن هذا الأخير عرفنا بعنوانه كما أسلفنا ذكره آنفا.[1]

وعند مطالعتي لكتاب الجذوة للحميدي، نجده يذكر عنوان هذا الكتاب في موضعين مختلفين، الأول: عند ترجمته لأحمد بن كليب النحوي، فقال: "...وهو صـــاحب الكتـــاب المشهور في أغاني زرياب."[2]، والثاني: حين ترجم لمؤلفه أسلم، فقال: "وله كتاب معروف في أغاني زرياب."[3]

وقد لحق بالبيوتات السالفة الذكر **بيت بني بسيل** إذ كانت لـــ: عبد الحميد بن بسيل مشاركة في هذا النوع من التأريخ، إلا أن المصادر التي اطلعنا عليها لم تفدنا ولو علـــى عنوان واحد لمؤلفات ابن بسيل هذا، ولكن من حسن الحظ أن ابن حيان قد حفظ بعضا من تراثه، مما يدل على أنه اهتم برواية الأخبار، فمن هذه الأخبار ذكره لشخصية مشـــهورة في التاريخ الأندلسي، وهي شخصية عباس بن فرناس، فمما رواه عنه هذا النص.

ذكر عبد الحميد بن بسيل الوزير: "أبدع عباس بن فرناس طـــول أمـــده إبـــداعات لطيفة واختراعات عجيبة في غير ما صناعة من جد وهزل إلى أن ضرب بالعود، وصاغ الألحان الحسنة، وكان مع ذلك مجيدا للشعر، حسن التصرف في طريقه كثير المحاسن جم الفوائد، ذا خصال رائقة وأخبار سائرة، والمتأخرة أمده إلى أن هلك في أيام الأمير محمـــد بن عبد الرحمن بن الحكم سنة أربع وسبعين ومائتين، وقد والى صحبة الملوك الثلاثة مـــا بينه وبين جد الحكم، ومدحهم أجمعين بمدائح مختارة، وجرت له معهم أخبار حسنة."[4]

يؤرخ ابن بسيل في هذا النص لشخصية أحاطت بميادين معرفيـــة شـــتى، منهـــا: قرضه للشعر[5]، إضافة إلى أنه يهوى الغناء، فهو لم يكن كباقي الشعراء وذوي الألحـــان، وإنما كان من المبتكرين في هذا الميدان، فهو الذي أضاف وترا آخر للعـــود، ثـــم ينتقـــل

1- ينظر ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص82. المقري: المصدر نفسه – ج3 – ص381.
2- الحميدي: المصدر السابق – ص128.
3- نفسه – ص152.
4- ابن حيان: المقتبس – القطعة الثانية – صص241-242.
5- الحميدي: المصدر انفسه – ص286. الفيروز آبادي: البلغة – ص96.

بعدها إلى ذكر خصاله التي اعتبرها خصالا حسنة، وأنه كان مفيدا للمجتمع إذ خاض في عدة صناعات منها: الفلك والنجوم[1] والكيمياء، فأبدع في فنون التعاليم القديمة، وخاض في الحكمة[2]، ثم ينتقل إلى الحيز الزمني الذي عاش فيه، وهو يمتد إلى عقود طويلة شملت معاصرته لثلاثة أمراء، وهم: الحكم بن هشام وعبد الرحمن الثاني ومحمد بن عبد الرحمن، حيث كانت تربطه بهم علاقات طيبة مما وطد من مكانته السياسية.[3]

وفي **تراجم الإدارة والحكم**، فقد أفردت بعض البيوتات لسيرة هؤلاء، فأرخوا للخلفاء والأمراء والوزراء والحجاب، ومن الأمثلة على ذلك.

*<u>**في تراجم الخلفاء والأمراء**</u>: لقد كان **لبيت بني حزم** حضور في هذا الميدان، فظهر منهم بقوة أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1063م) الذي صنّف كتابا نفيسا عُدَّ مفخرة الأندلسيين في مجال الدراسات التاريخية، ألا وهو كتاب:

- <u>**نَقْط العروس في تواريخ الخلفاء:**</u> وقد سمّاه ابن حيان في مقتبسه بـ "نقط العروس في نوادر الأخبار"[4]، وهذه الرسالة تضم نصا نفيسا ضم تاريخا للخلفاء من النواحي العامة والسياسية حتى عصر ابن حزم، إلى منتصف القرن الخامس الهجري وتكمن أهمية هذه الرسالة في أنها خير معين لمن أراد أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ويطلع على حسناته وعيوبه.[5]

ففي هذه الرسالة يذكر معلومات مقتضبة عن خلفاء المشرق والأندلس وحكامها مرتبة فصولا بحسب جوامع مختلفة تربط بينهم[6]، وهذا ما يذكره ابن حزم بقوله: "...ونذكر الأسماء التي اشترك فيها اثنان...".[7]

إن أول ما يفتتح بها رسالته هذه هي: أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم – منها: الصديق والفاروق وذو النورين – ثم يذكر أسماء

1- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص14.
2- ابن حيان: المقتبس – القطعة الثانية – ص270.
3- ينظر: ابن الخطيب: نفسه – ص14. وابن حيان: نفسه – ص212. فؤاد سزكين: المرجع السابق – مج2 – ج5 – ص39. وينظر رضا كحالة: المرجع السابق – ج2 – صص34-35.
4- ابن حيان: المقتبس – تح: شالميتا – ق5 – ص37.
5- د.عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري – ص208.
6- طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – ج2 – ص857.
7- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج2 – ص43.

الخلفاء العباسيين يبدؤها بالسفاح عبد الله بن محمد[1] (132هـ-136هـ/750م-754م) وينتهي بالقائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر (422هـ-467هـ/1031م-1075م).[2]

ثم ينتقل بعدها إلى ذكر الخلفاء الأمويين بالمشرق ويبدأ بمعاوية بن أبي سفيان المعروف بالناصر لحق الله (41هـ-60هـ/661م-680م)، لينتهي إلى أخر خلفاء بني أمية بالمشرق وهو مروان بن محمد بن مروان (127هـ-132هـ/744م-750م) القائم بحق الله.[3] ثم ينتقل إلى ذكر الأمويين بالأندلس، ثم يسرد قائمة الأمراء الذين حكموا الأندلس بعد سقوط دولتهم بالمشرق بدءا بأبي المطرف عبد الرحمن بن معاوية.[4]
وبعدها يذكر من وليّ منهم صبيا[5] وأكثر الخلفاء عمرا[6] وما إلى ذلك.

والجدير بالملاحظة أن هذه الرسالة "نقط العروس" قد أكملها اسماعيل بن يوسف وسمّاها "تأنيس النفوس في إكمال نقط العروس."[7]

أما المؤلف الثاني لابن حزم، فهو:

- **<u>ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس</u>:** هذه الرسالة لم تصل إلينا لكن الحميدي وهو تلميذ ابن حزم قد لخّصها لنا، أو ربما حمل إلينا أكثر ما احتوته هذه الرسالة حين صدر بها كتابه "جذوة المقتبس" عن تاريخ الأندلس منذ افتتاحها إلى عصره، وهي الفترة التي كانت موضوع كتاب ابن حزم هذا.[8]

لقد كان الحميدي صادقا أمينا في نقله، فاعترف لنا بعد أن أورد مقدمته عن تاريخ أمراء الأندلس إلى عصره، إن ما أورده من تاريخ هؤلاء الأمراء قد استفاد أكثره من شيخه أبي محمد ابن حزم بدليل قوله: "هذا أخر ما استفدنا أكثره من شيخنا أبي محمد

1- نفسه – نفس الجزء – ص43.
2- نفسه – نفس الجزء – صص43-47.
3- نفسه – صص47-48.
4- ابن حزم: رسائل – ص49.
5- نفسه – ص79.
6- ابن حزم: المصدر نفسه – ص81.
7- التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج – تحقيق: د/ علي عمر – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر – ط1 – 1423هـ/2004م- ج1 – ص159.
8- د. عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص220. طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص857.

علي بن أحمد – رحمه الله - ، وعلمناه نحن من جمل أخبار من ذكرنا من ملــوك تلــك البلاد الى وقت خروجنا منها..."[1]

وهو لا يكتفي بذلك، بل يعلن صراحة عند ترجمته لبعض هؤلاء الأمراء أنه أخــذ ذلك عن ابن حزم، فيقول عند ترجمته للأمير محمد بن عبد الرحمن: "قال لنا أبو محمــد علي بن أحمد: وكان محبا للعلوم، مؤثرا لأهل الحديث، عارفا حسن السيرة."[2]

وعند ترجمته للخليفة عبد الرحمن الناصر يذكر ما نصه: "قال لي أبو محمد علــي بن أحمد: وكانت ولايته من المستطرف، لأنه كان في هذا الوقت شابا، وبالحضرة جماعة أكابر أعمامه وأعمام أبيه، وذوي القعدة في النســب مــن أهــل بيتــه، فلــم يعتــرض معترض..."[3] [4]

وبما أن هذه المعلومات التاريخية التي اعتمدها الحميدي لا توجد في كتب ابن حزم المطبوعة، فمن المرجح أن الحميدي يكون قد نقلها عن مخطوطة ابــن حــزم المفقــودة والموسومة بهذا العنوان "ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس"، ويضــيف عبــد الحلــيم عويس قوله: "وليس في مخطوطات ابن حزم كتاب مؤهل ليضم هذه المعلومات غير هذا الكتاب."[5]

*__**في تراجم الوزراء والحجاب**__: وفي تراجم الوزراء كان **لآل الرازي** دورا فاعلا فيهــا ممثلا في أحد أفراده وهو: **عيسى بن أحمد الرازي** والذي ألف كتابا عُدَّ من كتب التراجم والموسوم بـــ:

1- الحميدي: المصدر السابق – ص33.

2- الحميدي: نفسه – ص18.

3- الحميدي: المصدر لبسابق– ص18.

4- ينظر عن رسالة – "ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس". ابن حزم: رسائل – مج2 – الملحق – رقــم1 – مــن ص191 الى 208. اذ قام بجمعها محقق رسائل ابن حزم احسان عباس وبدأها بالأمير عبد الرحمن بن معاويــة الــى ولاية هشام بن محمد المعتد.

5- عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص220.

- **كتاب الوزراء والوزارة**: عرف هذا الكتاب من خلال عنوانه فقط، ولم نجد له أثرا مباشرا في المصادر التي أرّخت لهذه الفترة، وقد تكون هذه الأخير اعتمدت عليه بطريقة غير مباشرة عندما رامت الترجمة لهؤلاء الوزراء.[1]

لقد اتفقت بعض المصادر التي ترجمت للرازي هذا، على عنوان هذا المؤلف، فهذا ابن الأبار يقول: بأنه ألف للمنصور بن أبي عامر كتابا في الوزراء والوزارة[2] ونحا نحوه عبد الملك المراكشي، وقد أهداه هذا المؤرخ الذي كان حجّة في التاريخ الأندلسي إلى الحاجب المنصور بن أبي عامر.[3]

فمن بين النصوص الواردة في مضان بعض المصادر نجده يترجم للوزير الوليد بن عبد الرحمن بن غانم، ويظهر فيها مدى إعجاب الأمير محمد بوزيره هذا، مما أدى إلى رفعه إلى منصب الوزارة.[4]

وفي مقام أخر يتعرض عيسى الرازي في كتابه هذا، إلى أخبار هاشم بن عبد العزيز كوزير وكحاجب.[5]

*__كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس__: أطلقت عليه المصادر اسم "كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس" أو "كتاب الحجاب" كما ورد عند ابن الأبار والمراكشي[6]، وحتى يمكن لنا التعرف على بعض نصوصه فلا مناحة من الرجوع أولا إلى الاستشهادات التي اعتمد عليها ابن الأبار، إذ يذكر هذا الأخير في حلته: "وحكى عيسى بن أحمد بن محمد الرازي في كتاب الحجاب للخلفاء بالأندلس من تأليفه، إن المنذر بن محمد استخلف يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاثة وسبعين ومائتين...واستحجب هاشم بن عبد العزيز إلى أن قتله. قال: ولما قدم المنذر نزل السطح وقعد للبيعة في ثياب سفره...فلما دخل الناس، قام هاشم وبيده كتاب البيعة، فافتتح قراءته."[7]

1- أمحمد بوشريط: آل الرازي وآثارهم التاريخية...رسالة ماجستير – تحت اشراف – د/ بن معمر محمد – ص95.
2- ابن الأبار: المصدر السابق – ج4 – ص4.
3- عبد الملك المراكشي: المصدر السابق – ق3 –ص491.
4- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص176. وينظر صص177 -178 و ص386.
5- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج1 – ص138.
6- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص4. عبد الملك المراكشي: المصدر السابق – ق3 – ص491.
7- ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص138.

وممن خاض في **التأريخ للأمراء وخدمتهم، بيت بني بسيل**، وفي هذا الصدد نورد هذا النص الذي يفيدنا بمعلومات قيمة عن بعض هؤلاء الخدمة.

"كان خزان المال يقعدون عند حضور العطاء والحملان، فقعد في بعض الأيام عبد الله بن عثمان بن بسيل ومحمد بن وليد بن غانم، وكانا خازنين[1]، وكان صاحب العطاء معهما أحمد بن هشام بن عبد العزيز خليفة لأبيه هشام، فوجب عليه الكتاب باستيعاب خيل الحملان، فكتبوا بذلك، وقدم محمد بن الوليد غانم نفسه، وأخر عبد الله بن عثمان بن بسيل، فلما قرأ عبد الله الكتاب أبى من طبعه، وقال: والله لا أطيع كتابا تتقدمني أنت فيه، وأنا شامي وأنت بلدي."[2]

يطلعنا نص ابن بسيل هذا، على حقيقة ذات أهمية تتعلق بالجهاز الإداري الذي كان معتمدا بالأندلس، فيوضح لنا مما كان يتكون هذا الأخير على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، والمراتب التي كان يحوز عليها هؤلاء سواء أكانوا وزراء أو حجابا أو من الخزنة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فالملاحظ على هذا الأمير أنه لم يكن يضع نصب عينيه مقياس الكفاءة التي يجب أن يتميز بها صاحب هذه الخطة، وإنما كان ينظر إلى أي الموالي ينتمي هذا أو ذاك، وهذا ما وضحه لنا ابن بسيل من خلال هذا النص، وهو تقديم الموالي الشاميين على الموالي البلديين[3] باعتبار أن الشامي من موالي قريش.[4]

أما الأمر الثاني الذي نستشفه من خلال هذا النص، هو ذكره لبعض البيوتات والتي شملت عددا منها، والذي كان لها أثرها بالأندلس في نواحي عدة، كبيت بني بسيل الذي ينتمي ابن بسيل هذا المؤرخ إليه، وذكره كذلك لبيت بني غانم وآل الخالدين، والدور الذي لعبه هؤلاء على الساحة السياسية، نخص بالذكر منهم أثير الأمير محمد بن عبد الرحمن – هاشم بن عبد العزيز.

1- الخازن: من خزن المال، أحرزه، وهو احراز الشيء وجعله في خزانة. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص1075. د/ رجب عبد الجواد ابراهيم: ألفاظ الحضارة – ص124.

2- ابن حيان: المقتبس – بتحقيق: د/ محمود علي مكي – القطعة الثانية – ص137.

3- البلديون: هم أهل الطوالع السابقة على طالعة بلج الذين استقروا في البلاد و تقسموا خير نواحيها، اذ كانوا يعتبرون أنفسهم أهل البلد وأصحابها، فتسموا بالبلديين، فكرهوا قدوم الشاميين واقتسامهم ما كان يمتلكه البلديون في هذه النواحي، وأما الشاميون، هم الذين نزلوا مع طالعة بلج بن بشر. حسين مؤنس: فجر الأندلس – صص290-291.

4- ينظر ابن حيان: نفسه – ص196

وعلى الرغم من أن هذه الأسر منها من كانت تنتمي إلى البلـديين وأخـرى إلـى الشاميين فمقاليد الحكم كانت بأيدي مثل هذه الأسر، فكان بذلك دورها دورا فـاعلا فـي اتخاذ القرارات السياسية منها والعسكرية، فاهتمام مؤرخنا هذا بمثل هذا البيوتات، ينم عن حقيقة لا يمكن إنكارها، إذ كان لهذه الأخيرة الدور الأساس والمحوري في تاريخ الأندلس الإسلامية، إذ لا يمكن أن نؤرخ له دون التأريخ لهذه الأخيرة حتى أن هؤلاء كانوا يسمون بالأبناء ابتداء من حكم عبد الرحمن الناصر إلى غاية قيام الفتنة بقرطبة.

٧ <u>الفهارس والبرامج:</u>

وخير من يلخّص لنا هذا النوع من التأليف ابن خير حين قال: "لمـا اسـتخار الله تعالى شيخنا الفقيه القاضي أبو الوليد بـن رشـد – رحمـه الله – فـي النهـوض إلـى المغرب...وأزمع على التوجّه أول ربيع الأخر سنة 520هـ، سألته...أن يجيرني جميـع ما حملت من الكتب المؤلفة في ضروب العلم...من قراءة أو سماع أو مناولة أو إجـازة، وجميع ما ألفه أو وضعه أو أجاب فيه."[1]

هذا النص الأخير يؤكد ما ذهب إليه المؤرخون أعلاه، بأنه جمع كل فنـون العلـم المتداولة على الساحة الثقافية، ولذلك كله، وجدت ثلة من العلماء أفردوا أوقاتهم للتـأليف فيه، ونبدأ بإنتاج بعض البيوتات فيه، والذي ضاع ضمن ما ضاع مـن تـراث الأنـدلس الثقافي، ولم يبق منه سوى نتف بين ثنايا بعض المصادر، فمنه ما بقي كعنـاوين تشـهد لهؤلاء مشاركتهم فيه، ولذا سنحاول قدر المستطاع اقتفاء آثار بعض هذه الأسر التي كانت لها إسهامات جليلة في هذا الميدان ذي القيمة العظيمة.

فمن بين هذه البيوتات ممن استطعنا اقتفاء آثارهم في هذا الميدان، نذكر من **بيـت بني الحذاء**:

أبو عبد الله محمد بن يحي بن أحمد بن محمد (347هـ-416هـ/958م-1025م) الفقيه المحدّث، حيث أسهم في هذا النوع من التراجم بفهرسة، وهي عبارة عن سجّل فيـه أسماء شيوخه، والمواد التي درسها عليهم، ويذكر لنا ابن خيّر الاشبيلي صراحة ما يـدل

1- ابن خير: فهرست – ص453.

على أن أبا عبد الله ابن الحذاء هذا، كانت له فهرست اعتمد عليها في كتابه، وهذا ما يفهم من كلامه حين قال: "...إلا الجامع الكبير من المستخرجة[1] فيقال: أن ابن لبابة لم يـــروه، ذكر ذلك أبو عبد الله محمد بن يحي بن الحذاء – رحمه الله – في فهرسته."[2]

يفهم من خلال ما تقدم ذكره أن فهرسة ابن الحذاء هذا، كانت تضم ما كان يرويـــه العلماء، وبين الفينة والأخرى، كان يتدخل ليؤكد أو ينفي هذه الرواية أو تلك، إلا أنـــه لا يذكر المصدر الذي أخذ عنه مباشرة، ولا يسمّيه وإنما يكتفي فقط بذكر – يقال – وهذا قد لا يساعدنا في التثبت من صحّة هذا الخبر أو من عدمه.

واليكم مستخرجا مما ورد في فهرسة ابن الحذاء، إذ ترجم فيها لـــ:

عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري المكنى أبا محمد، يقال له القلعي[3] ويعرف بالبطرنولي (ت 383هـــ/993م)، قال عنه ابن الحذاء:

"وكان رجلا صالحا فاضلا زاهدا منقطع القرين... يذكر عنه أهل جهته فـــي هـــذا الباب مقامات مشهورة منها: أن العدو قصد بلادهم في نحو ثلاثة آلاف فارس، وكان قائد القلعة شجاعا أيضا فاجتمعا، فقال أبو محمد: معنا خمسماية فارس وأنت تعـــد بخمســـماية فارس، وأنا بخمسماية فارس، فقد وجب علينا لقاءهم بنص الكتاب..."[4]

يبدو أن أبا عبد الله ابن الحذاء يترجم لأحد شيوخه، فهو في ذلك – كما هو موضح في النص – يعتمد في إيراد هذا الخبر على مصدر مجهول غيـــر معلـــوم، ومـــن عـــادة المؤرخين الاعتماد على علم مشهور، يكون قد أرّخ لهذه الحادثة أو قرأها عنه أو أخبـــره بها، إلا أنه في هذا المقام يذكر – أهل جهته – فهنا مصدر الخبر متعـــدّد، غيـــر محـــدد بشخص لذاته، والخبر إذا انتشر بين مجموعة قد يحرّف عن قصده، ويحاط بهالـــة مـــن البطولات والخوارق، وبذلك يبتعد عن الدقة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نجد أن أبا عبد الله ابـــن الحـــذاء، يتـــرجم لهـــذه الشخصية ليس كشخصية ثقافية فقط، وإنما كعسكرية كذلك، فهو بـــذلك يـــؤرّخ لأحـــداث

1- منها مستخرجه العتبية، نسبة لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة بن محمد بن محمد بن عبيد الله بـــن يزيـــد. ينظر عنه الحميدي: المصدر السابق – ص36 و رضا كحالة: المعجم – ج3 – ص73.

2- ابن خير: فهرست – صص241- 242.

3- القلعي: نسبة الى قلعة أيوب من ثغر شرق الأندلس، وهي مدينة رائعة البقعة حصينة، كثيـــرة الأشـــجار والثمـــار رخيصة الأسعار، وهي قريبة من مدينة سالم ومدينة دروقة. الحميري: الروض المعطار...ص469.

4- عياض: ترتيب المدارك...ج2 – ص196.

عسكرية، حيث يبرز لنا أهمية هذه القلعة من الناحية الإستراتيجية بدليل أن العدو حشد لها أكبر قواته حتى يتمكن من الاستيلاء عليها، وبذلك اكتسب هذا النص أهمية تاريخية تعدّتها إلى الاكتفاء بالترجمة لشيخ من شيوخه.

ومن نفس هذا البيت، نذكر ابن المتقدم ذكره، أبو عمر أحمد بن محمد بن يحي بن الحذاء (380هـ-467هـ) والذي خلّف لنا آثارا في فن الفهارس، ولكن ما ألفه في هذا الميدان يُعَدُّ من تراث الأندلس المفقود، ولحسن حظ ابن الحذاء أن بعض المصادر قد حفظت جزءا من تراثه في هذا الحقل المعرفي إلى حين العثور على فهرسته كاملة.

لقد انتهى ابن الحذاء من تأليفه لفهرسته هذه قبل وفاته بسنتين، وذلك اعتمادا على ما ذكره ابن خيّر، والذي قال: بأن الفقيه أبا الحسن يونس بن محمد بن مغيث قرأها عنه مباشرة، وهذا ما يفهم من قوله: "قرأت جميعها على القاضي أبي عمر بن الحذاء – رحمه الله – في منزله بقرطبة في ذي القعدة من سنة 465هـ."[1]

وعلى ضوء هذا النص، فإن ابن الحذاء الابن يكون قد انتهى من تأليف فهرسته في سن متأخرة، وأنه لزم بيته حيث كان يقيم حلقات العلم لتلامذته، وذلك بسبب كبر سنه، وما يدل على ذلك، أن تلميذه يونس بن مغيث قرأ هذه الفهرست كاملة في مقر سكناه ليستفيد منها، وكان حينها شيخه ابن الحذاء يبلغ من العمر سبع وثمانين سنة.

يبدو أن ما ألفه أبو عمر ابن الحذاء في هذا النوع من التراجم كان يحتوي على مادة دسمة من التراجم والتي أفادت كثيرا طالبي العلم والمعرفة، كان منهم: أبو الحسن ابن المغيث المعروف بابن الصفار، فكان اعتماد ابن بشكوال المطلق على هذه الفهرست، ولكن ما يؤسف له أنها ضاعت ضمن ما ضاع من تراث الأندلس الثقافي، إلا أن ضياعها ككتاب لم يمنعنا من تتبع آثارها ومقتطفات منها في بعض المصادر، منها: كتابي الصلة لابن بشكوال وترتيب المدارك للقاضي عياض.

هناك عدة نصوص من فهرسته موزّعة على هذين المصدرين مع اختلاف كل مؤلف في طريقة اقتباسه منها، سواء من حيث التفصيل أو الاختصار، أو من حيث ذكر

1- ابن خير: فهرست – ص435.

المصدر أو من عدمه، وفي هذه العجالة سنتعرض إلى قطوف من هذه النصوص لكلا المؤلفين، ومحاولة المقاربة بينهما.

لقد اقتبس ابن بشكوال مجموعة من النصوص من فهرست ابن الحذاء تخص تراجم لعلماء أندلسيين، نخصّ بالذكر منهم ترجمته لـ:

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني المعروف بابن الجزار من أهل بجانة[1]. قال أبو عمر ابن الحذاء: "كان رجلا صالحا منقبضا، داره ببجانة قرب دار أبي الحصن[2]، كان معاشه من ثياب كان يبتاعه ببجانة ويقصرها ويحملها إلى قرطبة، فتباع ويبتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة، ويجلب كتبه، فيقرأ عليه في خلال ذلك."[3]

يحيط ابن الحذاء في هذا النص إحاطة شاملة بالشخصية المراد ترجمتها، إذ يقوم بتحديد سكناه والحرفة التي كان يزوالها – وهي التجارة – إلا أنه لا يحدد حجمها، وإنما يكتفي بذكر نوعيتها فقط، أما الأمر الملفت للانتباه أنه كان يستغل وقته أثناء عمله هذا، بمطالعة الكتب، فهذا ابن الحذاء يترجم لهذا الرجل ترجمة تحتوي على شقين: الرجل التاجر والرجل العالم في آن واحد.

وفي نفس السياق، يورد لنا نموذجا آخر لعالم وهو:

أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن سليمان، يعرف بالحبيب (317هـ-395هـ/929م-1004م)، قال ابن الحذاء: "كان شيخا صالحا عفيفا يتعيش من ضيعة ورثها عن أبيه – رحمه الله – وقال: قال لي: مولدي سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وتوفي يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة."[4]

يستفاد من هذه الترجمة أن هذا العالم الذي حدد ابن الحذاء مكانته الاجتماعية لم يكن من الطبقة الميسورة بدليل أن مصدر رزقه كان من تلك الضيعة التي ورثها، هذا دليل على أن بعض العلماء لم يكونوا برمتهم في فسحة من العيش، وعلى الرغم من ذلك،

1- بجانة: مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن، وبشرقيها جبلا شامخ فيه معادن، وفيه الجمة العجيبة الشأن ليس لها نظير بالأندلس في طيب مائها وعذوبته وصفاته ونفعه، كان يقصده ذوي العاهات والأسقام. الحميري: المصدر السابق – ص79.

2- لم أعثر له على ترجمة

3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص278.

4- ابن بشكوال:المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص24.

فقد برز في ميدان قد يصعب اقتحامه ألا وهو الميدان الثقافي، ويكفينا في ذلك شهادة تلميذه أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الذي أثنى عليه بقوله: أنه كان كثير الطلب للعلم من الشيوخ وملازما لهم كان منهم أكبر شيوخ قرطبة أبو محمد قاسم بن أصبغ.[1]

وفي مواضع أخرى يترجم لأحد أفراد بعض بيوتات الشرف والعلم، نذكر منهم:

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم ابن أبي زمنين (324هـ-399هـ/935م-1008م) ذكره القاضي أبو عمر ابن الحذاء وقال:" لقيته بقرطبة سنة خمسة وتسعين وثلاثمائة وأجاز لي جمع تواليفه، وكان ذا نية حسنة وعلى هدي السلف الصالح."[2]

هذا النص لم يوف صاحبه حقه، إذ لم يرد فيه ذكر لمؤلفات ابن أبي زمنين على الرغم من أن شهرتها طبقت الأرض، وطارت شرقا وغربا على حد قول القاضي عياض[3]، وقد يكون ذلك بسبب حداثة سن ابن الحذاء عند سماعه من شيخه هذا، أو لأن ابن بشكوال قد اختصر ما ورد في فهرست ابن الحذاء.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كان ابن بشكوال في بعض ما أورده من هذه الفهرست، يرجح قول ابن الحذاء هذا، لثقته فيه، وهذا ما يتبين لنا من قوله: "وقول ابن الحذاء في وفاة[4] ابن أبي زمنين أصح، لكثرة من قال به."[5]

هذه قلة من كثرة مما استخرجته من هذه الفهرست من كتاب ابن بشكوال، إلا أن القاضي عياض لم يغب كتابه ترتيب المدارك من مثل هذه الاستشهادات، فمن ذلك ترجمته لأحد أفراد بعض البيوتات بالأندلس، وهو بيت بني درهم والممثل في:

أبو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخَيِّر: (ت 411هـ/1020م) قال ابن الحذاء: "كان فاضل تلك الجهة وعاقلها."[6]

1- الحميدي: المصدر السابق – ص262.
2- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص106.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص260.
4- يقصد بها سنة 399هـ/1008م.
5- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص106.
6- عياض:المصدر السابق – ج2 – ص271. ونقل نفس الترجمة ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص150.

ففي هذه الترجمة المختصرة لأحد شيوخه، اقتصر فيها على ذكر بعض الصفات التي كان يتميز بها منها: - عاقل مدينة وشقة – دون ذكر سبب وصفه له بهذه الصفة، كما اعتدنا عليه في بعض المصادر.[1]

وهذا الكلام ينسحب على أحد علماء المرية، إذ تميزت ترجمة ابن الحذاء له بالاختصار، وهذا العالم هو:

أبو القاسم المهلب بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة التميمي (436هـ/1044م) قال أبو عمر ابن الحذاء: "كان أذهن من لقيت، وأفهمهم وأفصحهم."[2]

كما أحاط ابن الحذاء ببعض الشخصيات نذكر منها:

أبو الوليد محمد بن عبد الله البكري من أهل مرسية (362هـ-436هـ/972م-1044م) قال أبو عمر ابن الحذاء: "ما رأيت أتم منه ورعا، ولا أحسن خلقا وكرما، لم يأكل لحما، مذ وقعت الفتنة إلا من طير أو حوت ولا لبس خفّا إلا من جلود مَيُورْقَة، إذ لم يدخلها النهب."[3]

ما نستشفه من خلال استقرائنا لما ورد في نص هذه الترجمة، أن ابن الحذاء قد أفادنا بمعلومات قيّمة عن الوضع العام الذي كان سائدا بالأندلس، والذي عرف في بعض المصادر بـ: "الفتنة البربرية"[4]، فعمّتها الفوضى والاضطرابات، إلا أن بعض المناطق نجت من هذا القتل والتشريد، فكانت ميورقة إحداها، وهذه إفادات يمكن إدراجها ضمن النتائج الثقافية لهذه الفتنة.

تعتبر فهرست أبي عمر ابن الحذاء من الفهارس التي حملت بين طياتها مادة دسمة عن أولئك الشيوخ الذي أخذ عنهم العلم، والتي أفاد بها كثيرا من المؤرخين الذين نقلوا

1- وهذا ما يفيدنا به ابن حيان حين ذكر بأن يحي بن يحي الليثي الذي كان يفضل غيره بالعقل وقد سماه مالك بعاقل الأندلس، وكان سبب ذلك فيما روى أنه كان في مجلس مالك جماعة من أصحابه، فقال قائل: قد حظر الفيل، فخرجوا ولم يخرج يحي، فطلب منه مالك ان يخرج لرؤية الفيل، فكان جواب يحي هذا بقوله: " لم أرحل لأبصر الفيل، وانما رحلت لأشاهدك وأتعلم من علمك وهديك" فأعجب لرده مالك، فسماه منذ ذلك الحين بعاقل الأندلس. ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص84. الحميدي: المصدر السابق – ص346.

2- عياض: المصدر نفسه – ج2 – ص313. وينظر ابن بشكوال:المصدر نفسه – مج2 – ج2 – ص235.

3- عياض: نفسه – ج2 – ص313. وقد غاب من نص عياض هذه الفقرة وقد أوردها ابن بشكوال نصها: قال أبو عمر ابن الحذاء "منشأه بمرسية، وسكن قرطبة من صباه، وتفقه فيها، ونكح بها، وخرج منها بعد النهب وعاد الى مرسية.". ابن بشكوال: نفسه – مج2 – ج2 – ص148.

4- ينظر عنها: عبد القادر بوباية: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري

عنه، ويرجع الفضل في ذلك إلى تلميذه أبي الحسن ابن المغيث الذي سمعها منه و أخذها كاملة غير ناقصة.

لم يبق هذا النوع من التراجم مقتصرا على هذا البيت، بل نحا نحوه **بيت بني عتاب** والذي كانت له مشاركة فاعلة فيها، نذكر أول أفراد هذه الأسرة وهو:

أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (383هـ[1]-462هـ/993م-1069م)، وقد وردت فهرسته عند ابن خير الاشبيلي والتي نقلها من رواية ابنه الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد (433هـ-520هـ/1041م-1126م)[2]، وممن استفاد من فهرست ابن عتاب هذا، ابن بشكوال في صلته، إذ اعتمد فيها على تراجم بعض العلماء، إذ يصرح بأنه أخذها عنه، ولذا فإن جزءا من هذه الفهرست يحتويه كتابه الصلة، فبنقوله هذه يكون هذا المؤرخ قد حفظ لنا ولو على القدر اليسير منها، وعن طريق هذه النقول سنحاول استخراج نماذج لتراجم علماء ذكرهم ابن عتاب في فهرسته.

فمن هذه النماذج التي اعتمدها ابن بشكوال نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

أبو عمر أحمد بن ثابت بن أبي الجهم الواسطي، منسوب إلى واسط قبرة، سكن قرطبة (ت437هـ/1045م) يذكر عنه ابن بشكوال: "حدث عنه أبو عبد الله بن عتاب، ووصفه بالخير والصلاح."[3]

أبو سعيد خلف المقرئ مولى جعفر الفتى، من ساكني طلبيرة[4] المعروف بابن الجعفري، سكن قرطبة، يذكر ابن بشكوال: "حدث عنه أبو عبد الله بن عتاب، وقال: "كان خيرا فاضلا...كذا قال ابن عتاب سنة خمس وعشرين."[5] [6]

ونسجل لابن عتاب هذا، توخيه الدقة فيما يسرده من معلومات عن شيوخه، وهذا ما يتضح لنا جليا في ترجمته لأحد الأعلام منهم:

1- يذكر الضبي ولادته سنة 388هـ- البغية – ص99.

2- ابن خير: فهرست – ص427.

3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – ص46.

4- وهي مدينة تقع على ضفة نهر تاجه، وهي كبيرة إذ تعد من أشرف البلاد حسنا، وهو بلد واسع المساحة، به أسواق جميلة الترتيب، وبها أرجاء كثيرة. الادريسي: القارة الافريقية وجزيرة الأندلس – ص274.

5- يقصد سنة 425هـ الموافق لـ: 1033م.

6- ابن بشكوال:المصدر االسابق – مج1 – ج1 – ص150.

أبو القاسم سلمة بن سعيد بن سلمة ابن حفص بن عمر بن يحي بـــن ســـعيد بـــن مطرف بن برد الأنصاري الاستيجي، ساكن قرطبة، فيقول: "قال أبو عبد الله بن عتـــاب، توفي آخر سنة ست وأربعمائة، أول سنة سبع بإشبيلية."[1]

إن عملية التدقيق في السنوات لها أهميتها في فن التراجم، فعن طريقها يحـــدد لنـــا الإطار الزمني الذي عاش فيه هذا العالم، ومن تم تحديد الأحداث التاريخية التي مرت بها الأندلس، والتي من الممكن أن تؤثر على الإنتاج الثقافي للمترجم له وعطاءاته الفكريـــة، فهذه الشخصية المترجم لها قد عاصرت أحداثا صعبة مرت بها الأندلس.

وفي مواضع أخرى لا يكتفي بذكر السنة، وإنما يحدد سبب الوفاة، وهذا ما نلحظه من خلال ترجمته لإحدى الشخصيات وهي:

أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب بن الجسور الأموي مـــولى لهم، من أهل قرطبة (319هـــ أو 326هـــ/ 401هـــــ/931م- 937م – 1010م) حيـــث يذكر ابن بشكوال ما مفاده: " وقرأت وفاته أيضا على نحو ما ذكر بخط أبي عبد الله بـــن عتاب الفقيه، وقال: "كانت وفاته في الطاعون."[2]

كما نستشف من بعض تلك القطوف التي وردت في فهرسة ابـــن عتـــاب أمانتـــه العلمية، فعند عدم تأكده من معلومة ما، يذكر – أحسب – حتى يترك المجال مفتوحا لمـــن يريد تقصي الحقيقة، وهذا ما نلحظه عند ترجمته لـــ:

أبو أيوب سليمان بن خلف بن سليمان بن عمرو بن عبد ربّه، ويعرف بابن نفيـــل وابن عمرون (334هــ-408هــ/945م – 1017م). قال أبو عبد الله بن عتاب "هو خير فاضل، ولي القضاء في بعض الكور أحسبها إستجة."[3]

كما احتوت فهرسته هذه على تراجم وافية، وقد يعود سبب ذلك إلى أن المترجم له، هو أحد شيوخه المقربين إليه، كما هو الشأن لشيخه الزاهد أبو عثمان سعيد بن رشيق (ت 410هــ/1019م) يقول ابن بشكوال: حدث عنه أبو عبد الله بن عتاب وقال: "كانت لأبـــي عثمان رواية كثيرة، ودراية إلا أنه أغلق على نفسه باب الرواية والاجتماع إليـــه، وإنمـــا

1- ابن بشكوال: نفسه – مج1 – ج1 – ص199.
2-ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج1 – ج1 – ص23.
3- نفسه – مج1 – ج1 – ص175.

لمن قصده مفردا وعلم صحة قصده، واعتزل الناس و أقبل على العبادة، قرأت عليه بمسجد أبي علاقة منفردا، إذ لم يكن يجتمع إليه، وأجاز لي جميع رواياته."[1]

يتعرض أبو عبد الله في هذا النص إلى جوانب عدة من شخصية شيخه هذا، بادئا بمكانته العلمية، فعلى الرغم من كثرة علمه إلا أنه لم يعد يقبل في مجالسه الطلبة، بل اختصّ بعضا منهم، وبخاصة أولئك الذين يجد لديهم الاستعداد الفعلي والكافي لتلقي العلوم، ويَشْتَمُّ فيهم رائحة حب العلم والتعلم، كان منهم أبو عبد الله بن عتاب أحد هؤلاء المحظوظين.

لكن لا نفهم السبب الذي أدى به للانطواء، هل كان سببه الجهل الذي أصاب هذه الأمة، أم لأسباب تتعلق بالسلطان والفوضى التي عمت الأندلس، فلذلك كان عالمنا هذا يتحرى من بين طلابه من يتلقى العلم بين يديه بصرف النظرعن تلك الأهداف الخفية.

لم يكن ابن بشكوال هو الوحيد الذي اعتمد على فهرست ابن عتاب، بل استفاد منها القاضي عياض، وهذا ما يتوضح لنا جليا عند ترجمته لبعض العلماء، نخص بالذكر منهم:

أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون بن عبد الرحمن الأنصاري المعروف بالقُنَازِعِي القرطبي (341هـ-413هـ/952م – 1022م)، فقال: ذكر الفقيه أبو عبد الله بن عتاب: "كان خيرا فاضلا."[2]

لم يبق تعاطي هذا النوع من التراجم محتكرا من طرف باني هذه الأسرة العلمية بل كان لابنه أبي القاسم عبد العزيز بن عتاب (440هـ-491هـ/1048م-1097م) مشاركة فيه، إذ كانت له فهرست ترجم فيها لبعض العلماء نذكر منهم":

أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور المعروف بابن عصفور المكنى بأبي القاسم الحضرمي: الخطيب بجامع اشبيلية، حيث يقول: " وقرأت بخط أبي القاسم بن عتاب أنه توفي في شهر رمضان سنة عشر وأربعمائة وذكر أن أهل اشبيلية أرادوا هذا الشيخ على أن يتولى أحكامهم، فعزم على الخروج عن بلدهم حتى سكتوا عنه."[3]

1- ابن بشكوال: المصدر السابق– مج1 – ج1 – ص190.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص2.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج1 – ج1 – صص28-29.

إن أهمية هذا النص تمكن في أن ابن بشكوال قرأ هذه المعلومة مـن كتـاب أبـي القاسم بن عتاب، بمعنى أن هذا المؤلف كان في متناوله إلى غاية العصر الذي عاش فيـه هذا المؤرخ، وربما بعده بوقت طويل.

أما عن مصادره، فكان والده من أهمها، إذ أخذ عنه حين ترجم لـبعض الشـيوخ مثل:

خلف بن يحي بن غيث الفهري أبو القاسم (ت 405هـ/1014م) من أهل طليطلـة سكن قرطبة، فقال ابن بشكوال: "وقرأت بخط أبي القاسم بن عتاب قال: "سمعت أبي أنـه كان يقوم في مسجده في رمضان بتسعة أشفاع على مذهب مالك، ويختم فيه ثلاث ختمات الأولى: ليلة عشر، والثانية: ليلة عشرين" ثم يعتمد عليه كذلك في ذكر سنة وفاته فـذكر، قال ابن عتاب: "توفي بقرطبة في صفر سنة خمس وأربعمائة."[1]

لقد اعتمد ابن عتاب هذا في ترجمته لهذا الشيخ على الرواية الشفهية، ولكـن فـي مواضع أخرى يروي الخبر عن طريق المشاهدة كما هو الشأن بالنسبة لترجمته لـ: أبـي المطرف عبد الرحمن، حيث يقول أبو القاسم ابن عتاب: "كان أبي يحله من الفقـه بمحـل كبير، و من علم الشروط والوثائق بمنزلة عالية ومرتبة سامية، ويصـفه بـالعلم البـارع والفضل والدين واليقظة والذكاء، والتفنن في العلوم، ويرفع به ترفيعا عظيما ويذهب بـه كل مذهب، ويقول، انه آخر القضاة الجلة من العلماء."[2]

فترجمته لهذه الشخصية كانت من خلال ما شاهده من معاملة أبيه لهذا العالم ومـن خلال ما علمه عنه أثناء حضوره لمجالس أبيه في العلم، إذ أحـاط بجوانـب عـدة مـن شخصية هذا العالم تكاد تكون شاملة، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اتساع أفق هذا الشيخ العلمية.

ومن **بيت بني درهم**، وهو من البيوتات العريقة في العلم والصلاح والجلالة[3] ظهر منهم القاضي أبو هارون موسى بن خلف بن عيسى (كان حيا سـنة 445هـ/1053م) يفيدنا ابن الأبار بأن له برنامج وقد اطلع عليه، وهذا ما يؤكده بقوله: "وقرأت السماع عليه

1- ابن بشكوال: المصدر نفسه – مج1 – ج1 – صص146-147.
2- ابن بشكوال: نفسه – مج1 – ج1 – ص283.
3- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص173. مخلوف: المصدر السابق – ص115.

بخط ابنه هارون المذكور في سنة خمس وأربعين وأربعمائة بجامع وشقة أكثر من برنامج موسى هذا."[1]

يبدو من خلال هذا النص أن توارث هذا النوع من التراجم، قد توارث بين أبناء هذه الأسرة ولو عن طريق الرواية – وهي رواية الابن عن الأب – فكان ابن المتقدم ذكره وهو أبو موسى هارون بن موسى (ت 484هـ/1091م) هو من حفظ تراث والده والتعريف ببرنامجه، وما يحتويه من مادة علمية، وقد ساعده في ذلك، كونه خطيبا بجامع دانية.

ويظهر أن **بيت بني زهر** الذي اشتهر في الفقه والطب، كان له حظ في هذا الفن فأبو بكر محمد بن مروان بن زهر الايادي (338هـ-422هـ/949م-1030م) قد اشتغل في هذا الميدان، فابن خير ذكر له فهرست والتي عرفت عن طريق الشيخ أبي محمد بن عتاب.[2]

ب) التأريخ للسير والأنساب:

وقد تصدر هذه البيوتات في هذا الحقل المعرفي **بيت بني حزم**، وخير من مثله أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (456هـ/1063م)، ذكره القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد وقال في حقه: بأنه كان له حظ في التاريخ والأخبار.[3]
فمن مؤلفات ابن حزم في التأريخ للسيرة النبوية العطرة في كتابه:

- **جوامع السيرة:**

لقد استقل هذا الكتاب بموضوع واحد وهو سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم – وقد ورد في كل المصادر التي ترجمت له، فهذا الذهبي يذكر "وله السيرة النبوية في مجلد واحد".[4] وهو كتاب ضخم ضم بين دفتيه كل ما يتصل بالسيرة الزكية من نسبه (صلى الله

1- نفسه – ج2 – صص173-174.
2- ابن خير: فهرسة – ص435.
3- صاعد: طبقات – ص183. ابن بشكوال: الصلة – مج2 – ج2 – ص50. الذهبي: تذكرة الحفاظ – ج3 – ص228.
4- الذهبي: نفسه – مج2 – ج3- ص230.

عليه وسلم) ومبعثه ومعجزاته وحجه وعمراته وأسمائه ونسائه وأولاده وأخلاقه كما ضـــم جملا أكثر تفصيلا من تاريخ الرسول منها: المسلمون الأوائل و المجاهرون بالأذى، وعام الحزن، والإسراء وفرض الزكاة.[1]

- **حجّة الوداع:**

لقد ضم هذا الكتاب سردا لكل القضايا المتعلقة بحجة الوداع جمع فيه بين الحـــديث والتاريخ في تناسق وانسجام، وضم سردا لكل القضايا المتعلقة بهذا الحديث العظيم[2] فمـــن بين هذه القضايا تعرضه لتاريخ خروجه من المدينة والاختلاف في وقـــت دخولـــه مكـــة والاختلاف في مدة مقامه (صلى الله عليه وسلم) بمكة في حجـــة الـــوداع وغيرهـــا مـــن القضايا.[3]

- **تأريخه للسيرة في مواضع مختلفة:**

بالإضافة إلى هذين الكتابين، فقد تناول ابن حزم هذا الموضوع في غير مكان، فقد تناول السيرة النبوية من زاوية الدفاع عنها أمام أعدائها من اليهـــود والنصـــارى، حيـــث حصر الشبهات الأساسية التي أثارها أعداء الإسلام حول حياة النبـــي (صـــلى الله عليـــه وسلم)، فمن ذلك ما تناوله في كتابه "الفصل" من انقطاع الوحي عنـــه وتعـــرض اليهـــود للروح وأصحاب الكهف وقبوله الفداء وترك قتل الأسرى وقوله (صلى الله عليه وسلم) أنه لو كان مكان النبي يوسف (عليه السلام) لأجاب الداعي للخروج من السجن.[4]

ومن جانب أخر تناول ابن حزم السيرة في معرض استخلاص الأحكام الشـــرعية في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" كذكره لغسل الإناء من ولوغ الكلب ســـبع مـــرات

1- ينظر عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري – الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط1 – 1421هـ/2010م – ص202.

2- يراجع عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص203. وينظر طه عبـــد المقصـــود: المرجـــع الســـابق –ج2 – ص829.

3- ينظر ابن حزم: حجة الوداع – اعتنى به: أبو صيب الكرمي – بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض – السعودية – 1418هـ/1998م – ص230 – 261 – 328.

4- ينظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل – اعتنى به وحققه: أبو عبد الرحمن عادل بن سعد – دار ابـــن الهيثم – القاهرة – مصر – ط1 – 1426هـ/2005م – ج2 – صص126-127.

والسبب في جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في النهي عن ادخار لحوم الأضاحي أكثر من ثلاث ليال، فسبب ذلك إن دفت دافة بحضرة الأضحى، فيكون تحريم الادخار، وان لم يكن ذلك، فليدخر الناس لحومها ما شاءوا.[1]

ويرى محمد علي مكي أن السيرة التي كتبها ابن حزم كانت خاضعة لمنهجه النقدي، فجاءت مجردة من الأشعار والقصص، محررة في ضوء المذهب الظاهري الذي يدين به وينتصر له.[2] فتقويمنا السليم لجهود ابن حزم في السيرة النبوية، يجب التعرف إليها من خلال تقدير ابن حزم لهذه السيرة، فهو يراها الحقيقة الحية التي يمكن النظر إليها من أكثر من زاوية للوصول إلى الكمال الإنساني، فمحمد (صلى الله عليه وسلم) هو نموذج الكمال الأعلى الذي يجب الاحتذاء به.[3]

كما شاركت أسرة **بني فطيس** في التأريخ للسيرة النبوية منهم عبد الرحمن بن فطيس (ت 402هـ/1012م)، فمما جادت به قريحته كتاب "أعلام النبوة ودلالات الرسالة" والذي يقع في عشرة أسفار[4]، وهذا الكتاب يدخل في إطار إظهار جوانب مخصوصة من السيرة النبوية الزكية، كالخصائص والشمائل والمعجزات والمولد وغير ذلك.[5]

ومن بين من أرخوا للسيرة النبوية العطرة **بيت آل أبي عيسى**، فعلى الرغم من أن بيتهم كان بيت فقه، إلا أنه لم يبق محصورا فيه، بل سيطور معارفه إلى ميدان أخر، لم تسمح بدايات هذه الأسرة العلمية الخوض فيه، وهو التأريخ، فممن خاض فيه من هذه الأسرة أبو عيسى يحي بن عبد الله بن يحي بن يحي بن يحي الليثي الذي كتب مختصرا لسيرة حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ذكره ابن خير في فهرسته، حين قال: "كتاب اختصار سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، تأليف أبي عيسى يحي." وقد عرف هذا

1- ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام – ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2004م – مج2 – ج8 – ص584-593.
2- محمود علي مكي: السيرة النبوية في التراث الأندلسي – مجلة الهلال المصرية – عدد أغسطس – 1978م – ص105.
3- عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص205.
4- الذهبي: تذكرة الحفاظ – ج3 – ص176. الداودي: طبقات المفسرين – ص202. مخلوف: شجرة النور الزكية – ص102.
5- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص830.

المؤلف عن طريق تلميذه يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي[1]، وما يؤسف لهذا الكتاب أنه مفقود.[2]

ومن **بيت بني عبد البر النمري**[3] نذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت463هـ/1070م) كان مثل صديقه ابن حزم وملازما لابن الفرضي، فقد اختص السيرة النبوية بكتابه الموسوم "الدرر في اختصار المغازي والسير" يقع في ثلاثة أجزاء.[4] [5]

لقد حدّد ابن عبد البر بوضوح المصادر الأساسية التي استقى منها مادته من كتاب "المغازي" لموسى بن عقبة[6]، وكتاب ابن إسحاق[7]، فمن ذلك قوله: "اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة، وكتاب ابن إسحاق رواية ابن هشام وغيره...والنسق على ما رسمه ابن إسحاق، فذكرت مغازيه وسيره على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون دون الحشو والتخليط."[8]

لقد بدأ كتابه هذا، بمبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى وفاته ولم يتحدث عن مولده ونشأته، وغير ذلك من أخباره.[9]

وعند تصفحنا لكتاب الدرر، نجد ابن عبد البر قد اعتمد على مصادر أخرى في السيرة لم يذكرها في مقدمته، منها: كتاب "السير" ليحي بن سعيد الأموي[10] [1] وكتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي[2]، وهي من المصادر التي دخلت الأندلس.[3]

1- ابن خير: فهرست – ص232.

2- ك. بويكا: المرجع السابق – ص183.

3- النمري: بفتح النون والميم وفي آخرها الراء، هذه النسبة الى النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – ص300. وعن بني النمر هؤلاء، ينظر الكلبي: جمهرة النسب – ص576 وما يليها. السمعاني: الأنساب – مج5 – ص424.

4- يقصد بالأجزاء، أي الأجزاء ذات الموضوع الواحد، إذ صنف أصحابها كتبا مفردة في موضوعات شتى، وقد شمل ذلك كتب الفقه مثلا: وسميت بالأجزاء الفقهية ومنها جاءت الأجزاء الحديثية، وهي في اصطلاح علماء الحديث، هو الكتاب الذي جمع فيه أحاديث شخص واحد من الصحابة أو بعدهم الى زمن المؤلف. طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج1 – ص101 – ج2 – ص757. محمد الخير آبادي: معجم مصطلح الحديث – ص10.

5- الحميدي: المصدر السابق – ص332. مخلوف: المصدر السابق – ص119.

6- ابن خير: فهرست – ص220.

7- ينظر عنه ابن خير: نفسه – ص134 . اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج6 – ص7.

8- ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير – تحقيق: د/ شوقي ضيف – دار المعارف – القاهرة – ط -ص27.

9- طه عبد المقصود: نفسه – ج2 – ص829.

10- تنظر ترجمته عند الذهبي: طبقات الحفاظ – مج1 – ج1 – صص237-238.

أما فيما يتعلق **بالتأريخ للأنساب** والذي يعتبر فرع من فروع التأريخ الأندلسي فقد كان لبعض البيوتات مشاركة فيه، حيث كان هذا النوع ضرورة ملحة بالأندلس لدخول الكثير من القبائل العربية والبربرية إلى هذه البلاد واختلاطها واحتمال ضياع أنسابها[4] ويرى السيد عبد العزيز سالم أن السبب في عناية الأندلسيين بهذا الفن يرجع إلى قلة عدد العرب الصريحي النسب بالأندلس بعد أن تعقد المجتمع الأندلسي وأصبح يتكون من أخلاط بشرية غير منتظمة، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية أو العصبية، كالعرب والبربر والمولدين[5]، وقد وجد ذلك مادة خصبة لعلم الأنساب.[6]

أما أبرز هذه البيوتات والتي كان له مشاركة فاعلة في هذا الميدان هو: **بيت بني حزم**، فممن ظهر منهم أبو محمد علي بن أحمد (456هـ/1063م) والذي اعتبر إمام النسابين والمحققين[7] وقد قسم ابن حزم معرفة النسب إلى ما هو "فرض عين"، كمعرفة نسب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وما هو "فرض كفاية" كمعرفة أمهات المؤمنين ونسب الأنصار.[8]

فمن مؤلفاته المشهورة في علم النسب كتابه الذي طارت شهرته شرقا وغربا وهو:

- **<u>جمهرة أنساب العرب:</u>**

يتناول هذا الكتاب الكلام عن الأسر العربية والبربرية والاسبانية الأصل التي عاشت بالأندلس[9]، هذا الكتاب قد حظي بشهرة واسعة في الفكر التاريخي الإسلامي،

1- ابن عبد البر: نفسه- ص27.
2- نفسه: نفس الصفحة
3- ابن خير فهرست: ص236-237.
4- طه عبد المقصود:المرجع السابق – ج2 – ص845.
5- ينظر عن طبقات المجتمع الأندلسي: حسين مؤنس: فجر الأندلس – ص287 وما يليها.
6- السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق – ص96.
7- عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص188.
8- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – ص2.
9- مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – 1978م - صص323-324.

وتغلب عليه النزعة التاريخية وتمتزج امتزاجا كاملا بالأنساب "حين يبدو لنا النسب علما غير جاف، وبحيث يبدو لنا أننا أمام عمل يتكئ على النسب في تقديم مادته."[1]

لقد اعتمد ابن حزم كثيرا على ابن السائب الكلبي في كتابه "جمهرة النسب" إلا أنه كثيرا ما كان يصحح عنه، فمن ذلك قوله: "ذكر ابن الكلبي أنه أخو أسامة بن زيد[2] مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأمهما أم أيمن[3]، دايه رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

ففي عرضه لهذا النسب، لا يكتفي بقول ابن الكلبي، بل يأتي بما قاله ابن إسحاق، فيذكر وقال ابن إسحاق: "وأيمن بن عبيد هذا ليس هو أيمن بن أم أيمن، ذلك أيمن بن عبيد كان أبوه من الحبشة، ووافق اسمه واسم أبيه هذا الحبلى من الأنصار واسم أبيه".

لا يعتمد ابن حزم على عرض الأقوال فيما يتعلق بنسب هذه الشخصية، بل يرجح قول على أخر، وهذا ما يظهر لنا جليا في قوله: "والذي قال ابن إسحاق هو الصحيح، إلا أنه لا يكتفي بهذا الترجيح، بل يعطي تبريرا لذلك، فيضيف قائلا: "لأن أيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين، وكان أسن من أسامة، ومن المحال الممتنع أن تنكح أم أيمن بالمدينة، فتلد ولدا يقتل يوم حنين"[4]، وتتكرر عملية تصحيح ما جاء به ابن السائب الكلبي في عدة مواضع.[5]

لقد اعتبر كتاب جمهرة أنساب العرب كتابا جامعا لأنساب العرب[6] ونسب بني العباس[7] ونسب بني قسّي المولدين[8] ونسب بني إسرائيل[9] وقطعة من نسب الفرس[10] وأضاف في جمهرته هذه نسب البربر.[11]

1- عبد الحليم عويس: نفسه – ص189.
2- يقصد أيمن بن عبيد بن عمرو بن بلال.
3- أم أيمن هي زوجة زيد بن حارثة وهي أم أسامة: الروحي: بلغة الظرفاء – ص97.
4- ينظر عنها اليعقوبي: تاريخ – ص62 وما يليها. ابن الوردي: تاريخ – ج1 – ص125 وما يليها.
5- ابن حزم: المصدر السابق – ص355. وينظر ص 359- 373- 487.
6- ابن حزم: نفسه – ص7 وما يليها.
7- نفسه – ص18.
8- نفسه – صص502-503.
9- نفسه – ص503 وما يليها.
10- نفسه – ص511 وما يليها.
11- نفسه – ص495 وما يليها.

وأعقب ابن حزم هذا، ابنا خاض في علم النسب، وهو أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (479هـ/1086م)، فمن كتبه التي احتفظت لنا بها بعض المصادر كتابه الموسوم بـ:

الهادي إلى معرفة النسب العبادي:

وفيه يترجم لنسب محمد ابن إسماعيل اللخمي، فقال: "القاضي ابن عباد، هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم، و عطاف هو الداخل منهم بالأندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان عطاف من أهل حمص من صقع الشام، لخمي النسب صريحا، وموضعه من حمص العريش، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام، ونزل بالأندلس بقرية يومين[1] من إقليم طشانة من أرض اشبيلية.[2]

لقد فصّل أبو رافع هذا، في ترجمة نسب هذه الشخصية، حيث وصل إلى غاية الجد الأعلى لهذه الأسرة، ولم يكتف بذلك، بل وصله بالأصول الأولى لهذا البيت التي تعود إلى بلاد الشام، فهم بذلك من الموالي الشاميين والذين سيكون لهم الفضل في الاستقرار بالأندلس، والحصول على بعض الاقطاعات – كما مر معنا - ، فعن طريق هذه الترجمة التي فصّل فيها ابن حزم الابن، يتضح لنا جليا أن بني عبّاد هؤلاء هم من البيوتات العربية الصريحة النسب، فهم لخميون[3]، وهذا ما أكده أبو رافع الفضل ابن حزم.

ولكن عند تعرضه لدخول أفراد هذه الأسرة، فلم يورد ذلك الخلاف الحاصل فيمن دخل منهم إلى الأندلس، إذ اكتفى بالقول: أن الداخل هو فرد واحد وهو "عِطّاف" في حين نجد ابن الأبار، فزيادة على اعتماده على كتاب "الهادي" لابن حزم الابن، إلا أنه يورد لنا معلومة أخرى – ربما لم ينتبه إليها أبو رافع هذا – بأن الداخل لم يكن فردا واحدا، بل

1- يومين: حقق اسمها دوزي في تعليقاته على الترجمة اللاتينية لهذه القطعة. ابن الأبار: الحلة السيراء – هامش رقم 2 – ج2 – ص35.

2- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص34.

3- لخمي: نسبة الى لخم قبيلة باليمن ودار لخم بالشام، بين مصر والشام حوالي العريشة ودارهم بالأندلس شذونة والجزيرة وإشبيلية، وكان آل عباد هؤلاء منهم. ابن حزم: المصدر السابق – ص424 . السيوطي: لب اللباب في تحرير الأنساب – ص347. السمعاني: المصدر السابق – مج5 –ص11.

اثنين وهما: - عطاف ونعيم – وهذا ما عرف به ابن الأبار من التثبت مـــن المعلومـــات التي يستقيها من الآخرين.[1]

كما كان **لبيت بني عتاب** دور في هذا الحقل المعرفي، والممثل في أحد أفراده وهو أبو عبد الله بن عتاب السالف الذكر، وهذا ما يتضح لنا من خـــلال مـــا أورده القاضـــي عياض بقوله: "وجدت بخط أبي عبد الله بن عتاب أن صوابه سريعة بســـين مهملـــة وراء مفتوحة على وزن هبيرة، والمشهور الأول."

في هذا المقام يتعرض أبو عبد الله هذا إلى نسب بيت بني شـــريعة المشـــهور، و الممثل في أحد أفراده، وهو: عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بـــن محمـــد اللخمي، إذ يعرض علينا ما وقع فيه النسابون[2] من خلاف في نسب هذه الأسرة ويحـــاول تصحيح ذلك، فيذكر بأن الأصل "سريعة"، فوقع فيه تصحيف، ثم يقابل ذلك بالوزن الـــذي يوافق هذا النسب وهو "هبيرة" اقتداء بالعلماء المختصين بعلم الأنســـاب، إلا أنـــه يـــرجح النسب الذي اشتهرت به هذه الأسرة، وهو بسين معجمة أي: شريعة.

أما المصدر الذي اعتمده ابن عتاب، فهو مصدر شفهي بدليل قول القاضي عياض: "لكن ابن عتاب لا يحكي إلا ما سمع"[3]. وبذلك وضعنا عياض بين حقيقتين: فهذا المصـــدر الذي استقى منه ابن عتاب هذه المعلومة، قد تحمل بين جنباتها الخطأ أو الصواب، إلا أن هذا الأخير استطاع أن يتجنب ذلك، حين عرض رأيين مختلفين، وقـــام بتـــرجيح القـــول المشهور.

وفي أحايين أخر، لا يفصّل في نسب الشخصية التي يترجم لها، وإنما يكتفي فقـــط بذكر سبب هذه النسبة فقط، فأثناء ترجمته لأبي المطرف عبد الرحمن بن مروان بن عبـــد الرحمن الأنصاري المعروف بالقُنَازِعِي، إذ نسبه إلى الحرفة التي كان يمتهنها، فقال فيه: "أبو المطرف القنازعي منسوب إلى صنعته."[4]

1- ابن الأبار: نفسه-ج2 – ص34.
2- لا يفيدنا ابن عتاب بمثل هؤلاء النسابين.
3- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص199.
4- ابن بشكوال: الصلة – ج1 – ص281.

وقد لحق بهذه الأسرة، **بيت بني عبد البر النمري** أبو عمر يوسف بن عبد الله بـــن محمد بن عبد البر (368هـــ-463هـــ/978م-1070م)، فقد كانت "له بســـطة فـــي علـــم النسب والخبر."[1]

ومن مؤلفاته في هذا الميدان، كتابه الموسوم بـــ:

- **الأنباه على قبائل الرواة:**

وقد ورد ذكره عند ابن خير على هذا النحو "الانباه على القبائل الرواة عن النبـــي (صلى الله عليه وسلم)[2] في حين ورد عند حاجي خليفة بالهمزة على هذا النحـــو (الانبـــاء عن قبائل الرواة).[3]

لقد ذكر في كتابه هذا، أمهات القبائل التي روت عن رسول الله (صـــلى الله عليـــه وسلم) وجعله دليلا على أصول الأنساب ومدخلا إلى كتابه في الصحابة وهـــو المشـــهور باسم "كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، وكان الغرض من تأليفه له، أن يكون عونا على كل من اطلع عليه، ومنبها على ما يحتاج إليه في معرفة الأنساب.[4]

وعلى الرغم من صغر حجم هذا الكتاب، فقد جمع فيه أنساب العرب بـــدأه بـــــ: "عدنان" مرورا بقحطان وقريش وصولا إلى قبائل قضاعة وبطونها[5]. معتمدا في ذلك على عدة مصادر، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، هشام ابن الكلبي صاحب جمهـــرة النسب وابن إسحاق والواقدي وغيرهم[6]. وتارة أخرى لا يسمي المصدر الذي أخذ عنه بل يقول: أهل العلم أو أكثر أهل العلم وطائفة من أهل النسب وتارة يتركها مبنية للمجهـــول، كقوله: "وقد قيل".[7]

1- ابن بشكوال: الصلة – ج2 – ص277.
2- ابن خير الإشبيلي: المصدر السابق – ص214. عياض: ترتيب المدارك – مج2 – ج4 – ص809. وينظر خيـــر الدين الزركلي: الأعلام – ج8 – ص240.
3- حاجي خليفة: كشف الظنون – مج1 – ص171. اسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين – مج6 – ص550.
4- ابن عبد البر: المصدر السابق – ص11. ابن خير: المصدر السابق– ص214.
5- نفسه: ص26-40-136.
6- نفسه: ص20-33-34.
7- نفسه: ص20-25-34.

إضافة إلى هذا الكتاب، فلابن عبد البر هذا، كتاب آخر في نفس العلم – أي علم النسب – والموسوم بـ: "القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم."[1] وقد ذكره القاضي عياض بهذا العنوان: "القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم و أول من تكلم بالعربية من الأمم."[2] في حين يذكره الزركلي مختصرا على هذا النحو: "القصد والأمم" في الأنساب وهو صغير[3]، في حين اكتفى ابن سعيد الذي ترجم له بالقول: أن "علمه بالأنساب يفصح عما أورده في الاستيعاب" ولم يذكر له هذا المؤلف.[4]

وقد لحق بهذه الكوكبة من الأسر **بيت بني سراج الكلابي**، فممن ظهر منهم في علم النسب أبو مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج (400هـ-489هـ/1009م-1095م)، ففي بيان منزلته في هذا العلم يذكر ابن بشكوال: بأن له علم بـ: "الأخبار والأنساب...عنده يسقط حفظ الحفاظ، ودونه يكون علم العلماء فاق الناس في وقته."[5] ونحا نحوه الصفدي بقوله: "كان أحفظ الناس لأنساب العرب".[6]

أما ابنه أبو الحسين سراج بن عبد الملك (439هـ-508هـ/1047م-1114م) فقد اكتفت المصادر بالترجمة له[7] ولم تذكر أنه خاض في هذا الميدان وإنما اكتفت بإبراز مناحيه الثقافية التي خاض فيها كعلوم الشريعة، ولكن عودة سريعة إلى ما كتبه عنه القاضي عياض، فيظهر أنه كان على اطلاع بعلم النسب، وهذا ما أخبرنا به تلميذه عياض حين قام بتصحيح نسب أسرته، فقال ابن سراج هذا: "إن قرة بالراء وصوابه قوة بالواو، وكذا قيده أصحاب الصنعة."[8]

فلا مناحة من أن يكون أبو الحسين هذا، كان له علم واطلاع بكتب الأنساب بدليل ما ورد في النص – قيده أصحاب الصنعة – فلا يمكن له أن يقوم بمثل هذا التصحيح لولا اطلاعه على مثل هذه المؤلفات التي اختصت بدراسة الأنساب.

1- اسماعيل باشا البغدادي: المرجع السابق – مج6 – ص551. رضا كحالة: المعجم – ج4 -ص170.
2- عياض: المصدر السابق – مج2 – ج4 – ص810.
3- خير الدين الزركلي: المرجع السابق – ج8 – ص240.
4- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج2 – ص329.
5- ابن بشكوال : المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص9.
6- الصفدي: الوافي...ج14 – ص83.
7- من هذه المصادر كتاب الصلة لابن بشكوال – مج1 – ج1 – ص201.
8- عياض: المصدر نفسه – ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم – ج2 – ص357.

وهذا الكلام ينسحب على **أسرة الرازي** والممثلة في أحد أفرادها وهو أحمد بن محمد بن موسى الرازي[1] (ت 344هـ/955م) وهذا ما يتأكد لنا عند اطلاعنا على بعض المصادر التي ترجمت له، ففي بيان علو مكانته في هذا العلم يقول الحميدي: " ولأحمد بن محمد بن موسى كتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس من خمس مجلدات ضخمة من أحسن كتاب وأوسعه."[2] ونحا نحوه ابن حزم بقوله: "وكتاب لأحمد بن محمد بن موسى في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها[3]، وورد اسم هذا المؤلف عند ابن الأبار على هذا النحو "كتاب الاستيعاب في الأنساب"[4] وذكر له القاضي عياض عدة كتب في هذا العلم، وهذا ما يفهم من قوله: "كتب الاستيعاب". [5]

واليك مستخرجا من كتابه هذا، يشهد على براعته في هذا الميدان. قال الرازي في كتاب الاستيعاب: "اختلف الناس في نسب عبيد الله[6]، فقال قوم: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن البصري من مدينة سلمية[7]، وزعم هو أنه عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: وأخبرنا الثقة عن أبي القاسم أحمد بن إسماعيل الرئيسي الحسني، أنه قال: "بالله الذي لا اله إلا هو، ما عبيد الله منا ولا أقول هذا لما فعل، فقد فعل من لا يشك في نسبه أكثر من فعله وأشنع."[8]

1- الرازي: نسبة الى الري، وهي بلدة كبيرة من بلاد الديلم، وألحقوا الزاي في النسبة تخفيفا، لن النسبة على الياء مما يشكل ويثقل على اللسان والألف لفتحة الراء على أن الأنساب مما لا مجال للقياس فيها. السمعاني: الأنساب – مج3 – ص25.

2- الحميدي: المصدر السابق – ص92. الضبي: المصدر السابق – ص130.

3- ابن حزم: رسائل – تحقيق: د/ إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان – ط2 – 1987م – ج2 – ص184.

4- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج2 – ص366.

5- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص310.

6- ينظر في ترجمته: ابن حماد الصنهاجي أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم – تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1984م- صص17-18.

7- سليمة: هي بد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية، وهو حصن كالمدينة صغير عامر أهل، بينه وبين حمص مرحلة. الحميري: المصدر السابق – ص320 وينظر عنها ابن الفقيه: كتاب البلدان – تحقيق: يوسف الهادي – عالم الكتب – بيروت – لبنان – ط1 – 1416هـ/1996م – ص132. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف – عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1408هـ/1988م – ص231- 235 – 251.

8- ابن الأبار: الحلة...ج1 – ص190.

قد يكون أحمد الرازي هذا، قد أولى اهتمامه بالتأليف في هذا الميدان بطلب وتشجيع من الطبقة السياسية، وقد يكون ذلك إما لتجريد الشيعي هذا من النسب أو من أجل التشكيك في صحة نسبه، أو حتى إثباته لنسب الشيعي من وراء غرض، وهو إضفاء الشرعية لمحاربته، وبالتالي محاربة أتباعه ومريديه.[1]

كما اعتمد القاضي عياض على كتاب الاستيعاب، فحين ترجم ليحي بن يحي الليثي قال الرازي في كتابه هذا: "هو من مصمودة من مضارة، قبيلة منها" ثم لا يكتفي الرازي بذكر نسب هذه الأسرة، بل يذكر من دخل منهم أول الأمر إلى الأندلس وأهم المناصب التي تولاها بعض أفرادها، ثم يتطرق إلى سبب طلب يحي بن يحي للعلم ورحلته إلى المشرق للالتقاء بمالك.[2]

وعلى ضوء ما تقدم ذكره، إن دراسة الأنساب عند الرازي كانت كمثيلتها عند ابن حزم، إذ نهج منهجا منفردا، تغلبت فيه النزعة التاريخية، بما تحتويه هذه الأخيرة من معارف في ميادين شتى، وامتزجت هذه المادة امتزاجا كاملا بالأنساب، حتى يبد ولنا النسب علما غير جاف، فاعتمد على النسب في تقديم ما يريد من هذه المعارف المختلفة.

لم يبتعد **بيت بني قاسم بن أصبغ البياني** في الخوض في هذا العلم، وهذا ما يتأكد لنا عند تعرضنا لأحد أفراد هذه الأسرة وهو: أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني (ت 340هـ/951م) ألف كتابا في "الأنساب" والذي أثنى عليه ابن حزم بقوله: "وكتاب قاسم بن أصبغ في الأنساب في غاية الحسن والايعاب والإيجاز" وبمثل هذه المؤلفات انتشر ذكره وذاع صيته."[3]

ج) التأريخ العام للأندلس:

لقد كان لبعض البيوتات عناية فائقة في تدوين الأحداث التاريخية لبلادهم الأندلس، ولكن ما يؤسف له أن معظم ما دوّنه هؤلاء يعتبر في عداد المؤلفات المفقودة، إلا أنه

1- أمحمد بوشريط: آل الرازي وآثارهم التاريخية والجغرافية – صص72-73. وينظر بعض الاستشهادات عند ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص245-247.

2- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص310. وينظر نفسه – ج1 – ص372-454.

3- ابن حزم: رسائل – ج2 – ص184. وينظر الحميدي: المصدر السابق – ص298. المقري: النفح – ج4 – ص19.

يمكن تتبع بعض آثارهم من خلال النقول الواردة في مضان بعض المصادر التي اعتمدت في تأريخها للأحداث على ما دوّنه أفراد هذه الأسر العلمية.

فمن هذه البيوتات التي كانت لها مشاركة فاعلة في هذا الميدان **بيت بني مـــزين**[1]، فمن أشهر أفراده: أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد بن مزين (كان حيا سنة 471هـ/1078م)، فعلى الرغم من فقدان مؤلفاته، إلا أننا سنحاول اقتفاء أثر ما دونه من خلال تلك الاستشهادات الواردة في بعض المصادر، وكان من أهمها: كتاب الحلة السيراء لمؤلفها ابن الأبار القضاعي، والذي أفادنا ببعض المعلومات – وان كانت قليلة – عما يحتويه مؤلفه هذا، والذي وسمه بـ:

تاريخ أبي بكر بن عيسى بن مُزَيْن: يعتبر هذا الكتاب من أهم ما ألفه ابن مزين في تاريخ بلاده الأندلس، وبقي متداولا بين الناس إلى العصر الذي عاش فيه ابن الأبار بدليل قول هذا الأخير: "قرأت في تاريخ أبي بكر"، وهذا يضفي على الأحداث التي سيسردها أكثر مصداقية، ومما استخرجه ابن الأبار من تاريخ ابن مزين هذا النص.

"ولما تحركت فتنة على بن حمود العلوي[2] بعث[3] إلى شنتمرية الغرب ذا الوزارتين أبا عثمان سعيد بن هارون[4] الماردي الدار، وكانت بينهما مصاهرة، قال: فلم تطل المدة حتى قتل الدب، ثم قتل سليمان، فملك ابن هارون ما بيده إلى أن مات في سنة أربع أو خمس وثلاثين وأربعمائة، فورث حاله ابنه محمد بن سعيد إلى أن أخرجه عباد

1- بيت بني مزين من البيوتات العلمية التي نالت حضوتها في ميادين معرفية شتى وأصل هذا البيت وسلفه من أكشبونة غرب الأندلس، فإضافة الى تعاطيهم العلم، فقد نالوا الخطط السنية والمناصب الرفيعة في الدولة الأموية. ينظر عن هذه الأسرة. ابن حيان: المقتبس – ق2 –ص103-222. الحميدي: المصدر السابق – ص139. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص88 – ج2 – ص116-129.

2- هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس، كنيته أبو الحسن والملقب بالناصر لدين الله – ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص128. عبد الواحد المراكشي: المعجب – ص67. وينظر بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين – دار الكتاب العربي – الجزائر – 2002م - ج2 – ص11.

3- تعود على أحمد بن سعيد المعروف بالدب، الذي ورد ذكره عند ابن عذاري بقوله: "دولة كفاها ذما أن أنشأها شانجة، ووزرها دبٌ" ويسميه ابن عذاري – أحمد بن يوسف بن الدب – ج3 – صص117-118. في حين ورد عند ابن الأبار تحت اسم أبو جعفر أحمد بن سعيد. الحلة السيراء – ج2 – صص17-18 وهو الذي تدخل لدى سليمان الخليفة ليطلب شفاعة هذا الأخير لأبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي اللغوي: ابن بسام الشنتريني: الدخيرة – ق4 – ج7 – ص11.

4- تنظر ترجمته عند ابن بسام الشنتريني: نفسه – ق2 – ج4 – ص476. وابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص315.

بن محمد – يعني المعتضد – في سنة أربع وأربعين، فصارت في يده، ثم في يد ابنه محمد بن عباد.[1]

يؤرخ ابن مزين في هذا النص لفترة حرجة مرّت بها الأندلس، وهي ظهور فتنة ابن حمّود الذي دخل الأندلس سنة 403هـ/1012م قادما من سبتة الى مالقة، مما أدى إلى خروج سليمان المستعين بالله من قرطبة لملاقاته، وكان ذلك سنة 407هـ/1016م، فخرج على إثرها سليمان، وانتهى الأمر به وبأخيه وبالحَكَم أبيه أن قتلوا، وجعلت رؤوسهم في طُسْت[2]، وجعل رأس ابن الدّب في أعلاها.[3]

هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيطلعنا ابن مزين على نقلة نوعية في انتقال الحكم من السلطة الشرعية الممثلة في حكم الأمويين الشرعيين إلى حكم الأسر منها: أسرة آل هارون، منهما: سعيد بن هارون وابنه محمد المعتصم، وأسرة بني عبّاد، منهما: المعتضد عبّاد بن محمد وابنه محمد بن عبّاد.[4]

وأما النص الثاني، فهو مستخرج من نفس الكتاب السالف الذكر، إذ يؤرخ فيه لإحدى الأسر الأندلسية، وهي أسرة آل طاهر، منهم: أبو عبد الرحمن محمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي، إذ يذكر ابن الأبار أنه قرأ في تاريخ أبي بكر هذا، "أن ابن طاهر – يعني أبا بكر أحمد بن إسحاق والد أبي عبد الرحمن – كان من أعلام تدمير وبياضها، فاستبد بها، إلا أنه لم يعد اسم الوزارة فيها والمظالم، إلى أن مات، وخلفه ابنه أبو عبد الرحمن محمد، فتمادت حاله على رسم أبيه ووسمه في المظالم، إلى أن أخرجه عنها أبو بكر بن عمار في قصص طويلة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة."[5]

1- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج2 – صص17-18.

2- الطست: من الطس، وهو الاناء. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص498. وهي تعريب من الكلمة الفارسية "تشت". د/ رجب عبد الجواد ابراهيم: ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري – ص306. د/ حسان حلاق و د/ عباس صباغ – المعجم – ص146.

3- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص121. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص117.

4- ينظر عن أخبارها ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق – ق2 – ج3 – ص22 وما يليها وص 14 وما ليها. و عبد الواحد المراكشي: المعجب – ص141 وما يليها.

5- ابن الأبار: المصدر السابق – ج2 – ص116.

كما اعتمد ابن عذاري على ابن مزين في تأريخه للأحداث، فقال: (وقال ابن مزين): "إن هزيمة باديس[1] لابن عباد كانت في صدر سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، فسد مكانه بابنه الثاني عباد، فانفرد بالتدبير دونه واستولى على الأمر واستظهر على ذلك بهدم البيوتات وتشتيت ذوي الهيئات، وأول ما بدأ به من ذلك نكبة الزبيدي وابن مريم وغيرهما من نظرائهما."[2]

ويستمر ابن مزين في تاريخه هذا، بعرض أهم الأحداث الناتجة عن الفتنة التي ألمت بالأندلس ومحاولة كل طرف الاستيلاء على رقعة جغرافية يقيم فيها دولته[3]، فبعد تلك الهزيمة التي مني بها ابن عباد من طرف باديس، سيظهر في الأفق نجم عباد بن محمد بن إسماعيل الذي سيخلف أباه أبو القاسم محمد بن إسماعيل ذو الوزارتين (ت 433هـ/1042م) والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لملك بني عباد، فسعى هذا الأخير إلى الغدر بأقرب الناس الذين اشتركوا معه في تدبير أمور المدينة، كان من بينهم أحد أبناء أبو بكر الزبيدي، وهو الفقيه أبو عبد الله الزبيدي، ثم أتبعه بأحد وزرائه من بني يريم، وهو أبو محمد عبد الله بن يريم، وبذلك توطد ملك أسرة بني عباد باشبيلية، وبها يبدأ عصر جديد بشقيه السياسي والثقافي.[4]

<u>كتاب مختصر تاريخ ابن مزين:</u> لقد انفرد ابن الأبار بذكر عنوان هذا المُؤَلَّف، والذي اعتمد عليه حين ترجم لإحدى الأسر الأندلسية التي تنتمي إلى آل روبش، فذكر فيما يخص أحد أفراد هذه الأسرة أنه اخذ ترجمته من تاريخ أبي بكر محمد بن عيسى والموسوم بالمختصر، جاء فيه:

1- هو ادريس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي المظفر (ت 465هـ/1073م) بالله والناصر لدين الله، كان رئيسا جبارا طاغية، داهية شجاعا، سديد الرأي، حكم غرناطة ابتداء من سنة 428هـ الى غاية سنة 465هـ أو 467هـ. ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج1 – ص240 وما يليها – نفسه: اللمحة البدرية في الدولة النصرية – تحقيق: د/ محمد زينهم – الدار الثقافية للنشر – ط1 – 1425هـ/2004م – ص29. نفسه: أعمال الأعلام – ص230. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص262. الزركلي: الأعلام – ج3 – ص40.

2- ابن عذاري:المصدر نفسه – ج3 – ص202.

3- إن أحسن من عبر عن ذلك هو أبو محمد ابن حزم بقوله: "اجتمع عندنا بالأندلس في صقع واحد خلفاء أربعة، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بموضعه، وتلك فضيحة لم ير مثلها." ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص142-143.

4- المراكشي عبد الواحد: المعجب – ص141. وينظر علي الحجي: التاريخ الأندلسي – ص388.

"... وكان أبو عبد الله[1] هذا، قد رأس في آخر دولة المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر[2] صاحب بلنسية، فلما توفي المنصور وملك ابنه المظفر عبد العزيز تمشت حاله معه على ما كانت عليه في حياة أبيه، وكان عبد الملك ضعيفا، فخلعه صهره المأمون يحي بن إسماعيل بن ذي النون صاحب طليطلة في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وفي ليلة عرفة لتسع خلون من ذي الحجة منها، وملك بلنسية وما إليها من بلاد المشرق، فاستخلف عليها أبا عبد الله بن عبد العزيز هذا، وجعل إليه تدبير أمرها، ثم انتقل ذلك عند وفاته إلى أبي بكر ابنه، فتناهت فيها حاله بعد موت المأمون بن ذي النون واستبد بالرئاسة وجرى على أحد سنن من الساسة."[3]

لقد أرّخ ابن مُزَيْن في كتابه هذا، لإحدى الأسر الأندلسية التي تنتمي إلى بيت بني روبش التي تولت مناصب عليا في الدولة الأموية، وبخاصة على عهد العامرية الذي أصبح الملك فيها وراثيا.

إن ما دوّنه ابن مزين بهذا الخصوص، يوضح لنا بما لا يدعو للشك أمرين مهمين من تاريخ الأندلس السياسي:

أولها: فبعدما عرفت الدولة الأموية بالأندلس ازدهارا في ميادين مختلفة منذ العهود الأولى للوجود الإسلامي بالأندلس، فقد كان للبيوتات اليد الطولى في بناء أساسات هذه الدولة، إلا أن التطاحن بين هذه الأسر سواء أكان على المناصب أو الاستيلاء على مدينة من المدن – كما هو موضح في النص أعلاه – أدى إلى ضعف السلطة المركزية.

ثانيها: أن بعض النصوص التي أرخ فيها ابن مزين لبعض البيوتات، تظهر لنا نقلة نوعية عرفها نظام الحكم بالأندلس، إذ كان هذا الأخير يتميز بالحكم المركزي، فانتقل بعدها إلى الحكم اللامركزي والذي فرض من طرف أمثال هذه الأسر، ففرضت هذه الأخيرة نفسها على الساحة السياسية كأسر حاكمة، إذ استقلت كل واحدة منها بحكم مدينة أو منطقة معينة، وأوجدت بذلك نمطا، أو بالأحرى فكرا سياسيا جديدا.

1- هو محمد بن مروان بن عبد العزيز الكاتب

2- عن حكم العامريين لبلنسية، ينظر ابن عذاري: المصدر السابق –ج3 – صص164-165.

3- ابن الأبار: الحلة السيراء – ج2 – ص129.

كتاب صلة المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:

يعتبر هذا المؤلف في عداد الكتب المفقودة، ولحسن الحظ فقد حفظت منه بعض النصوص في كتاب – ذكر بلاد الأندلس لمؤلف مجهول.[1]

لقد ورد عنوان هذا الكتاب عند ترجمة صاحب كتاب "ذكر بلاد الأندلس" لمدينة شلب، وقد جعل صاحبه ابن مزين من الأعلام الذين عنيوا بكتابة تاريخ بلادهم الأندلس.[2]

يعتبر هذا المؤلف كتاب تاريخي بالدرجة الأولى، وهذا ما نستشفه من خلال استقرائنا لعنوانه، إلا أن المنهجية التي أدخلها أحمد الرازي[3] في عملية التدوين التاريخي جعلت من يأتي بعده[4] يحذو حذوه، وهي البدء بفاتحة جغرافية، ثم التطرق بعدها إلى سرد الأحداث التاريخية.

واليك مستخلص مما ورد في كتابات ابن مزين عن بلاد الأندلس حين رام الترجمة لبعض مدنها.

قال ابن مزين: " فاقت شلب جميع بلاد الأندلس بكثرة الخيرات السنية والفواكه الشهية، والصيود الكثيرة البرية والبحرية، فحازت بذلك شرفا باذخا، وفخرا ساميا."[5]

وفي موضع أخر يصف مدينتين من مدن الأندلس، فيقول: "ماردة وباجة ذوات الخير والمير[6] والعسل الكثير والفضل العميم، والمعاقل والحصون والمنازل العالية والخيرات الوافرة، وماؤها يصلح بالنحل..."[7]

لا يخامرنا الشك أن ابن مزين من خلال هذين النصين يصف بلاد الأندلس وصفا جغرافيا، إلا أنه من حصاد هاتين الفقرتين يمكن لنا التأريخ لبلاد الأندلس في جوانب عدة، سواء من الناحية الاقتصادية بما تزخر به هذه البلاد من الخيرات البرية منها والبحرية، قد لا توجد في مناطق أخرى مما يؤدي إلى رواج التجارة بها.

1- ينظر مجهول: تاريخ الأندلس – ص101.
2- نفسه: ص71.
3- تتمثل هذه المنهجية بالبدء بفاتحة جغرافية، ثمّ التأريخ للأحداث التاريخية.
4- من هؤلاء ابن عذاري الذي صدر كتابه البيان للمغرب في الجزء الثاني الخاص بالأندلس بفاتحة جغرافية، وكذا مجهول في كتابه: تاريخ الأندلس.
5- مجهول: المصدرنفسه – ص101.
6- المير: جمع الميرة بالكسرة، جلب الطعام، فيقول: ماز عياله يمير ميرا وأمارهم وأمتارهم. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص431. الزمخشري: أساس البلاغة – ص440.
7- مجهول: نفسه – ص105.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن التاريخ للجانب الاجتماعي، فلا مناحة مـــن أن هذه الخيرات ستعود بالفائدة على المجتمع الأندلسي ورفاهيته، الأمر الذي ســـيؤدي لا محالة لتحسّن الأوضاع الاجتماعية، وظهور طبقات اجتماعية قد تكون اختفت مـــن قبـــل نتيجة لسوء أوضاعها الاقتصادية، وهذا بدوره يؤدي إلى تطور العمران، وهذا ما عبّـــر عنه بـــ: "المنازل العالية."

كما نستشف حقيقة أخرى وهو أن ابن مزين في نصوصه الجغرافية يؤرخ للتاريخ العسكري، فهو لم ينس وصف المعاقل والحصون، فالأندلس كانت دائما تواجـــه الأعـــداء بالداخل والخارج.

هذا ما استطعنا استخراجه من كتاب "صلة المغرب" لابن مزين هذا، فلولا ضـــياع هذا المؤلف لكانت استفادتنا منه أكثر، فعد بذلك من تراثنا الإسلامي الذي ضاع، وقد يعثر عليه، فينير بظهوره هذا صفحة جديدة من صفحات فردوسنا المفقود.

وقد لحق ببيت بني مزين **بيت بني الأفطس** إذ كان له باع في هذا الميـــدان، ففـــي ظل حكم هذه الأسرة لبطليوس[1] ازدهرت الثقافة بها بفضل رعاية ملوكها للحقل الأدبـــي، فمن بين أفراد هذه الأسرة، أبو بكر محمد بن عبد الله المظفر (ت 460هــ/1068م) الذي اعتزل السياسة بعد أن استسلم لفرديناند (فردلند) الأول من غير مقاومة ليلتمس الشـــهرة الأدبية كمؤلف لمجموعة طريفة من النوادر.[2]

وفي بيان منزلته في هذا الحقل المعرفي يقول ابن حيان: "كثير الدب، جم المعرفـــة محبا لأهل...العلم، لم يكن في الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة.[3] وذهب نفس المـــذهب المراكشي بقوله: "كان المظفر أحرس الناس على جمع علوم الأدب خاصة من... نـــوادر

1- بطليوس: تقع غرب مدينة قرطبة، اختصت باتساع خطتها وكثرة زرعها وكرومها، جمعت خير البر والبحر، وهي تقع على نهر آنه، ومسافة ما بين بطليوس وقرطبة مائـــة واثنتـــين مـــيلا. LEVI – provençal : la description d'ahmed Alrazi – p87 . ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص284. ابن غالب الأندلسي: المصدر الســـابق – ص290.

2 كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الاسلامية – نقله الى العربية: نبيه أمين فارس و منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – ط8 – 1979 – ص310.

3- ابن الأبار: التكملة...ج1 – صص317-318.

الأخبار وعيون التاريخ."[1] وبنفس الثناء وصفه ابن بسام بقوله: " أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع."[2]

ومن أهم ما ألفه ابن الأفطس، كتابه الموسوم بــ:

كتاب المظفري: لقد حمل هذا الكتاب اسمه، نسبة للقبه المظفر، إلا أن ابــن بســام يفيدنا بعنوان آخر له، وهذا ما نستشفه من قوله: "وله التصنيف الرائق والتأليف المتــرجم بــ: "التذكرة" والمشتهر اسمه أيضا بــ "كتاب المظفر" في خمسين مجلدة"، ثم يعرض في مضان هذه الترجمة أن هذا المؤلف يحتوي على علوم جمة، فيقول: "يشتمل علــى علــوم وفنون ومغاز وسير، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب."[3]

أما ابن سعيد، فقد اكتفى بذكر عنوان واحد له مع مقارنته بإحــدى مؤلفــات ابــن حيان، فقال:"...وكتاب المظفر بن الأفطس ملك بطليوس المعروف "بالمظفري" نحو كتاب المتين[4] في الكبر، وفيه تاريخ على السنين وفنون وآداب كثيرة."[5]

لقد أفادنا ابن سعيد في هذا النص بضخامة هذا المؤلف حتى أنــه شــبهه بكتــاب المتين، إضافة إلى تعرضه للمنهجية التي اتبعها ابن الأفطس، وهو منهج الحوليــات أي: التأريخ حسب السنين، وقد يكون ذلك بتأثير من أسرة آل الرازي التي اتبع أفرادها نفــس المنهجية. نفس الطريقة.

ويستمر المؤرخون في وصفهم لهذا الكتاب من حيث كبر حجمه، اعتبر كتاب كبير في الأدب على نمط وشاكلة عيون الأخبار لابن قتيبة في عشر مجلدات ويحتــوي علــى خمسين جزء.[6]

1- المراكشي عبد الواحد: المعجب...ص111.

2- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة...ق2 – ج4 – ص478.

3- ابن بسام الشنتريني : نفسه – ق2 – ج4 – صص478-479.

4- لقد ورد اسم هذا الكتاب عند ابن سعيد أثناء تذييله لرسالة ابن حزم، والذي يتكون من ستين مجلدة، وهو الذي يذكر فيه أخبار عصره، ويذقق ويمعن فيها ما شاهده من أحداث توجد به نقول كثيرة في ذخيرة ابن بسام. المقري: الــنفح – ج4 – ص23. ويراجع ابن حيان: المقتبس – القطعة الثانية – مقدمة المحقق: د/ محمود علي مكي – صــص68-69. كما قام الأستاذ الدكتور عبد الله جمال الدين يجمع ما ورد من نصوص كتاب المتين، وقام بدراسة النصــوص وحققهــا وقارنها بنصوص المصادر الأخرى العربي منها والأوربي، وذلك في أطروحة لنيل درجة الــدكتوراه مــن اســبانيا – مدريد 1977 باللغة الاسبانية، وقد ترجمها الدكتور عبد الله الى العربيــة وطبعــت بمطــابع الهيئــة العامــة للكتــاب 1418هــ/1997م في طبعة أنيقة. د/ طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – هامش رقم 5 – ص838.

5- المقري: المصدر السابق – ج4 – ص24.

6- يمكن اعتبار هذا الكتاب موسوعة أدبية وتاريخية. ينظر أ- د- محمد سهيل طقوش: تاريخ المسلمين في الأندلس – دار النفائس – 91هــ -897هــ/710هــ - 1492م – بيروت – لبنان – ط2 – 1429هــ/2008م – ص450.

ويتفق المراكشي مع باقي المؤرخين حين رام وصف هذا الكتاب بالضخامة، فذكر بأنه يشبه كتاب "الاختيارات" للروحي[1]، وعيون الأخبار لابن قتيبة[2]، ومرد ذلك، أن المراكشي قد وقف على معظمه، فكان بذلك وصفه له وصفا دقيقا، ثم ينهي كلامه هذا، بأن ابن الأفطس أطلق عليه اسم "المظفري".[3]

أما باقي المصادر الأخرى، فاكتفت بالقول أنه كتاب ضخم مع ذكر عنوانه، وكما أشارت إلى أنه كتاب أدب، ولم تدقق في المواضيع التي تطرق إليها ابن الأفطس هذا.[4]

ومما زاد في أهمية هذا الكتاب ومكانة من ألفه أنه (أي المظفر) لم يستعن في تأليفه بأحد من العلماء باستثناء كاتبه أبي عثمان سعيد بن خيرة، ويبدو أنه استعمل خزائنه من الكتب التي جمعها، فتصرف فيها تصرفا بديعا، فأخذ منها شتى العلوم ليؤلف بها كتابه هذا، ونتيجة لضخامته وكبره، فلم يتمكن من اقتنائه كل من رام شراءه، فهو مثل ما عبر عنه ابن عذاري: "لا يصلح إلا لخزائن الملوك".[5]

فمن النصوص التي اعتمدها ابن عذاري من كتاب المظفري، نذكر هذه الفقرة التي انفرد بها هذا المؤرّخ "لما خرج علي[6] عن طاعة المستعين، أخرج كتابا نسبه إلى هشام بن الحكم يقول فيه: أنقذني من أسر البرابر والمستعين وأنت ولي عهدي، و وجه به إلى حبوس[7] الصنهاجي والى خيران العامري[8]، فقالا له، انهض إلى مالقة وبها يتم أمرنا، فأقبل إليها بالقطائع والعساكر، فقتل قائدها واستولى عليها."[9]

1- لا نكاد نملك أي معلومات في كتب التراجم عن الروحي هذا، الا بصفته مؤلف كتاب "بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء"، وعند توقفنا عند عرض حاجي خليفة لهذا المؤلف، يذكر اسم مؤلفه على هذا النحو: أبو الحسن الدوحي، ويذكر محقق كتاب البلغة واعتمادا على المخطوطات التي اعتمدها أنه توفي سنة 648هـ/1250م، وقد ورد اسم كتاب "الاختيارات" في بلغة الظرفاء. الروحي: بلغة الظرفاء ...– ص180. وينظر مقدمة المحقق: ص19 – 26. وينظر حاجي خليفة: كشف الظنون – ط – 1982م – مج1 – ص252.

2- ينظر في ترجمته ومؤلفاته ابن النديم: الفهرست – صص115-116. التجيبي: برنامج تحقيق واعداد: عبد الحفيظ منصور – الدار العربية للكتاب – ليبيا وتونس – 1981 – ص281.

3- المراكشي عبد الواحد: المعجب – ص111.

4- المقري: المصدرنفسه – ج4 – صص32-33. ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص183.

5- ابن عذاري: المصدر السابق – ج3- صص236-237.

6- هو علي بن حمود، ويمكن تتبع أخباره عند ابن الخطيب:المصدر السابق – ص121-127 – 129 – 130 – 140 – 142.

7- تنظر أخباره عند الأمير عبد الله بن بلقين: كتاب التبيان – ص57 – 60 – 63 – 67.

8- ينظر في أخبار خيران العامري: ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص155 وما يليها.

9- ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص116.

وقد نحا نحو هذه الأسرة في التأليف **أسرة الرازي**، إذ كان لبني الــرازي هــؤلاء إلمام بميادين معرفية شتى، إلا أن اهتماماتهم انصبت حول التــدوين التــاريخي، ولكــن للأسف، فكل ما دونه هؤلاء أصبح في عداد التراث الإسلامي المفقود، ولكن مــن حســن الحظ استطعنا اقتفاء آثارهم التاريخية من خلال تلك النقول الواردة في بعض المصــادر[1]، وسنوجز الكلام على فردين من أفراد هذه الأسرة وهما:

أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الرازي (274هــ-344هــ/888م-955م)، كان رجلا مثقفا ميالا للتاريخ، ولذا أطلقت عليه المصادر لقب التأريخي[2]، فمــن مؤلفاتــه التي اشتهرت بالأندلس كتابه الموسوم بــ:

تاريخ دول الملوك:

لقد نقل لنا ابن حزم في رسائله[3] عددا كبيرا من مؤلفات الرازي حيث قال: "ومــن الأخبار تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي في أخبار ملوك الأنــدلس وغــزواتهم ونكباتهم وذلك كثير جدا..."[4]، ونحا نحوه كل من ابن الفرضي[5] والحميدي.[6]

لقد أرخ أحمد الرازي لتاريخ بلاده منذ فترة مبكرة، وبما أنه مؤرخ بلاده، فقد أولى اهتماما كبيرا لأمراء بني أمية، فمن هؤلاء عبد الرحمن الداخل إذ قال: "توفي الإمام عبــد الرحمن بن معاوية – رحمه الله – يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر اثنين وســبعين ومائة..." ثم يؤرخ لهشام بن عبد الرحمن، فيقول: "بويع لهشام بن عبد الرحمن إلى ســتة أيام من وفاة أبيه، إذ كان غائبا بماردة، وتوفي ليلة الخميس لثمتن خلون من صــفر ســنة ثمانين..."[7]

1- أمحمد بوشريط: آل الرازي وآثارهم – ص52.
2- الحميدي: المصدر السابق – ص92. الصفدي: الوافي – ج7 – ص402.
3- لقد ورد الاسم الكامل لها، تحت عنوان: "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها – ينظر ابــن خيــر: فهرســة – ص226.
4- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج2 – ص183.
5- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص45.
6- الحميدي: نفسه – ص92.وينظر الضبي: المصدر السابق – ص130. دائــرة المعــارف الاســلامية – مــج9 – ص448.
7- ابن الفرضي الأزدي: المصدر نفسه – صص11-12.

لم يقتصر أحمد الرازي على التأريخ للأسرة الحاكمة فقط، وإنما ذكر أهل خدمتهم "والأمير محمد هو الذي قسم أهل الخدمة"[1]. إضافة إلى تأريخه للــوزراء، وفــي أحيــان أخرى يفرد لبعضهم ترجمة وافية، كالوزير هاشم بن عبد العزيز.[2]

أما التأريخ لنكباتهم، فتتمثل في وفاة بعض الأمراء، مثل عبد الرحمن بــن الحكــم وإيراد خبر انتكاث أهل طليطلة وانحياز أهل الشرك إلى جانبهم، وعجز أهــل الســلطان أمام حشود أعدائهم، واكبر نكبة تعرض لها ملوك الأندلس هي:

الثورات التي مزقت أوصال الوحدة السياسية، والتي يعبر عما ألفه الرازي المؤرخ ابن حزم بقوله: "وتواريخ متفرقة رأيت منها: أخبار عمر بن حفصون القائم برية ووقائعه وسيره وحروبه، وتاريخ آخر في أخبار عبد الرحمن بن مروان الجليقي القائم بالجوف.[3] [4]

ومن حيث غزواتهم، فيطلعنا أحمد الرازي على عدة غزوات لأمراء بنــي أميــة منها: غزوة محمد بن عبد الرحمن لأهل طليطلة، والتي استطاع أن يحقــق فيهــا عــدة انتصارات "فما جاءت صلاة الظهر إلا وعلى باب الرواق من رؤوسهم أحد عشــر ألفــا، وأسر عدد كبير منهم"، واستمر تأريخه للتاريخ العسكري حتى عهد الخليفة عبد الــرحمن الناصر حين يذكر فتح طليطلة والتي انتهت بالصلح. "فلما رأينا أنه الموت عيانا دعونــا إلى الصلح وطلبنا الأمان فأجابنا السلطان."[5]

إضافة إلى تأريخه لتلك الغزوات التي خاضــها الناصــر ســنة 325هــــ/936م لسرقسطة فيقول: "وفي سنة 325هــ، غزا مدينة سرقسطة أم الثغر الأعلى، جمع فيها بين جهاد المشركين واستئلاف المخالفين واستطاع بعد محاصــرتها 18 شــهرا مــن فتحهــا سلما."[6]

1- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص135-137.
2- نفسه – ص162.
3- الجوف: المطمئن من الأرض. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – ص718. ويقصد به الشمال. أخذا بــالقول: أن الجوف بلاد واقعة في شاملي مكة، فكما أن الجنوب يسمى بالقبلة في بلاد الشام، أصبح الجوف علمــا علــى الشــمال بالنسبة لأهل الحجاز، ومن هنا غلب هذا الاستعمال في المغرب والأندلس. شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1417هــ/1997م. مج1 – ج1 –صص110-111.
4- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج2 – ص183.
5- ابن حيان: المصدر السابق – ق4 – نشر: شالميتا – صص321-322.
6- ابن حيان: نفسه – ق4 – ص410.

من خلال هذه المقتطفات الواردة ببعض المصادر، نجد أن أحمد الرازي قد أرخ لمناقب الأمراء والخلفاء بالأندلس، وقام بذكر خدمتهم ونكباتهم، سواء من العدو أو المخالفين له، وتلك الانتصارات التي حققوها، فكان أكثر اعتماد ابن حيان على كتاب "تاريخ دول الملوك" للرازي، وعن طريقه استطعنا التعرف على أهم ما دونه هذا المؤرخ، وما احتواه من مادة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها.[1]

كتاب المختصر:

ورد عنوان هذا الكتاب عند ابن حيان، حين اعتمد على الرازي بخصوص غزوة سرقسطة حيث يذكر: "ولخص أحمد بن محمد الرازي والد عيسى هذه الغزاة في كتابه المختصر."[2]

لقد كان للرازي عدة مؤلفات تاريخية، كان من بينها كتابه "تاريخ دول الملوك" وهذا المؤلف هو عبارة عن كتاب ضخم، وقد يكون الرازي ألحقه بكتاب آخر اختصر فيه الأحداث السياسية والعسكرية، ويستدرك فيه ما فاته منها، ربما لقلة المصادر التي كانت بحوزته أثناء تدوينه لتلك الأحداث، فيستدركها في كتابه هذا، بإضافة معلومات جديدة، ولكن بطريقة موجزة، وكأن هذا الكتاب هو بمثابة ذيل لكتابه "تاريخ دول الملوك" الذي وصف بالضخامة.

لقد دون أحمد الرازي في كتابه هذا، للأحداث العسكرية مثل غزو عبد الرحمن الناصر لدين الله لسرقسطة سنة 323هـ/934م، لمواجهة عدوه محمد بن هاشم التجيبي الذي خرج عن طاعته، وكيف تمت مواجهته.[3]

لقد كان المؤرخون[4] يقبلون على كتابة المختصرات إلا أن ابن خلدون انتقد هذه الطريقة في الفصل الذي عقده في مقدمته بعنوان "في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم."[5]

1- أمحمد بوشريط: آل الرازي...ص68.
2- ابن حيان: المصدر السابق– ص362.
3- ابن حيان: المصدر نفسه – نشر شالميتا – صص362-363.
4- منهم: الذهبي الذي اختصر كتاب التكملة، وسماه: المستملح من كتاب التكملة.
5- ابن خلدون: المقدمة – ج3 – ص1109.

أما حاجي خليفة أخذ كتابة المختصرات في التأليف بعين الاعتبار، وهذا ما يفهم من قوله: "إن التأليف على سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه أو شيء ناقص يتممه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره."[1]

فمن خلال ما ذكره حاجي خليفة في آخر النص، قد يكون أحمد الرازي اختصر بعض الأحداث الواردة في كتابه الضخم، بغرض إبعاد الملل عن القارئ، وبالتالي يقبل القراء على قراءة مثل هذه المختصرات، لأنها لا تكلفهم جهدا ولا عناء.

وقد تبعه في التأريخ لبلاد الأندلس ابنه **عيسى بن أحمد الرازي**، وهو ممن كتب تاريخ الأندلس[2]، والذي عايش فترة مزدهرة من التاريخ الأندلسي، وهي عصر الخلافة، وبالضبط عصر الحكم المستنصر بالله، والحاجب المنصور بن أبي عامر.

لقد كان عيسى الرازي مؤرخ بلاط كأبيه، فكان بذلك محدودا بأفق هذا الكيان[3] السياسي، ولهذا يجب أن نفرق بين نموذجين، مؤرخ رسمي، و مؤرخ يكتب بتلقائية بمحض إرادته.[4]

لقد اتبع عيسى الرازي نفس طريقة والده احمد الرازي في ترتيب الأخبار[5] باعتباره أول شيوخه، ولذلك سنجده يتوسع في الأجزاء التي تناول العهود المتقدمة مستعينا في ذلك بمصادر لم تكن في متناول أبيه، وكتب بذلك تاريخا عاما للأندلس حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله.[6]

فمن مؤلفاته التاريخية نذكر كتاب:

تاريخ الأندلس:

1- حاجي خليفة: كشف الظنون – ج1 – ص35.
2- السيد عبد العزيز سالم: محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية – مؤسسة شباب الجامعة – 2000م – ص238.
3- تنظر ترجمته عند ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص268 – 272 -273. ابن عذاري: البيان – ج2 – ص256-279-301. ابن حزم: جمهرة – صص418-419.
4- هاملتون جب: دراسات في حضارة الاسلام – دار العلم للملايين – بيروت – ط3 – ابريل – 1979م– ص158.
5- ك. بويكا: المرجع السابق – ص137.
6- رضا هادي: الأندلس– محاضرات في التاريخ والحضارة– منشورات ELGA– فاليتا – مالطا – 1998م- ص54.

لقد ورد اسم هذا المؤلف في بعض المصادر التي ترجمت له، فهذا ابن الأبار يذكر في هذا الصدد: "ألف للحكم المستنصر بالله كتابا في التاريخ"[1] ونحا نحـــوه عبـــد الملـــك المراكشي بقوله: "ألف للمستنصر تاريخا ممتعا."[2]

إن هذا الكتاب كان سفرا موسعا كرسه لعهد الأمويين بالأندلس، وبذلك نجـــده دون للتاريخ الأندلسي قد يصل إلى عهد هشام المؤيد وهذا ما ذكره بالنثيا، أما مختار العبادي، فيذكر أنه ألف كتابا عاما حتى نهاية عصر الخليفة الحكم المستنصر بالله[3]، ولكن اعتمـــادا على ما ذكره ابن الأبار، أنه دون إلى غاية المنصور بن أبي عامر، أي عهد هشام المؤيد عندما تغلب على أمره هذا الحاجب.[4]

يعتبر هذا الكتاب من أهم ما دونه عن تاريخ الأندلس لأنه يشمل عصري الإمـــارة والخلافة، إلا أنه مفقود، وقد وصلت ألينا منه أجزاء تبعثرت فصوله في مؤلفات الكتـــاب الذين عاشوا في زمن متأخر، وأن النسبة الكبرى من الاستشهادات المأخوذة عن عيســـى الرازي يتضمنها كتاب المقتبس لابن حيان.

وقد يكون هذا السفر الكبير هو ما عبر عنه ابن حيان بـــ "كتاب الموعب"[5]، وهـــو الكتاب الذي استوعب تاريخ الأمويين بالأندلس منذ الفتح إلى غاية الحكم المستنصر بالله، حيث احتوى على تاريخ الدولة الأموية السياسي والعسكري منذ الفتـــرة المبكـــرة للفـــتح الإسلامي، ويعتبر هذا المؤلف تتمة لما دونه والده أحمد الرازي، حيـــث توســـع عيســـى الرازي في الأجزاء التي تتناول العهود المتقدمة، وقد استعان في ذلك بمصادر جديدة لـــم تكن في متناول أبيه.[6]

1- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص4.

2- عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة – ق3 – ص491.

3- ك. بويكا: المرجع السابق – ص137. أنجل جنثاليث بالنثيا: المرجع السابق – ص198. مختـــار العبـــادي: فـــي التاريخ العباسي والأندلسي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – 1972 – ص527. فارس بول: تاريخ العرب في الأندلس – ص160. رضا هادي: المرجع السابق – ص54.

4- ابن الأبار: المصدر السابق – ج4 – ص4.

5- ينظر ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص329.

6- رضا هادي: المرجع السابق – ص54. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس – دار الرشاد – القـــاهرة – ط3 – 1420هـــ/1999م – ص15.

إن ما احتواه مؤلفه هذا عن التاريخ السياسي والعسكري، يرجع إلى عصر الولاة، إذ نقل عنه المقري هذا النص "قال عيسى بن أحمد الرازي في أيام عنبسة بن سحيم الكلبي[1] قام بأرض جليقية[2] خبيث يقال له بلاي من وقعة أخذ النصارى بالأندلس."[3]

هذا النص يبين لنا نشوء المقاومة الاسبانية تحت قيادة بلادي "PELAYO" بمنطقة جليقية، وقد استطاع المسلمون تحقيق عدة انتصارات على مثل هؤلاء إذ لم يبق منهم سوى عدد قليل منهم.

إن أهمية هذا النص تكمن في ذلك الخطأ الذي ارتكبه المسلمون حين استخفوا بقلة هؤلاء، وهذه القلة ستصبح بمرور الزمن كثرة تهدد كيان الدولة الأموية في الأندلس من الشمال.

كما يظهر لنا ابن الأبار الفترة المبكرة التي أرخ لها عيسى الرازي في كتابه هذا، منها: رواياته عن عبد الرحمن الداخل عند نزوله منية الرصافة بقرطبة واتخاذه لها.[4]

لقد أرخ كذلك للأمراء شأنه في ذلك شأن أبيه، منهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفيه يذكر الطريقة التي تم بها اختيار أحد أبنائه، وهو محمد بن عبد الرحمن بسبب ما كان يتمتع به من صفات، منها: رجاحة العقل، فيقول في ذلك "كان الأمير عبد الرحمن قد كشف عن مذاهب ولده ولدا ولدا... فوجد محمدا منهم راجحا بخلاله، فاضلا باعتدال أحواله...وأوعز إلى وزرائه وأهل خدمته أنه مكان ولاية عهده، المفوض اليه الأمر من بعده..."[5]

إضافة إلى ذلك، فقد أرخ لتلك الفتن والاضطرابات الحاصلة بالأندلس، مما أدى بالأمير محمد بن عبد الرحمن لخوض غمار الحرب ضد بعض المناطق منها: طليطلة

1- ولي يزيد بن أبي مسلم عامل افريقية على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي حيث دخلها سنة 103هـ/721م، فأقره عليها عامل افريقية بشر بن صفوان فاستقام أمر الأندلس. توفي سنة 107هـ/725م، فكانت ولايته 4 سنين و 8 أشهر. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص27. ابن القوطية: المصدر السابق – ص26. مجهول: أخبار مجموعة – ص106. ابن الفرضي: المصدر السابق – ص272. الحميدي: المصدر السابق – ص288. المقري: المصدر السابق – ج1 – ص191.

2- هي بلد الجلالقة من ولد يافت بن نوح – عليه السلام – وبلدهم جليقية التي تلي المغرب الى الجوف. الحميري: الروض المعطار – ص169. البكري: جغرافية الأندلس وأوربا – من كتاب المسالك والممالك – صص71-72.

3- المقري: نفسه – ج5 – ص260.

4- ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص37.

5- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص104.

حيث يذكر عيسى الرازي في كتابه المعروف بالموعب[1] ذلك التسامح السياسي الذي تميز به الأمير مع أهل طليطلة، والذي ترك لهم حرية الاختيار فيمن يحكمهم ولم يول عليهم أحدا.[2]

كما يتعرض في كتابه الضخم هذا، إلى الفتنة الداخلية التي تعرضت لها الإمارة وخروج عمروس بن عمر بن عمروس[3] عن طاعة الأمير محمد، ثم حرب الأمير لمطرف بن موسى.[4]

إضافة إلى تلك الثورات التي هزت أركان الدولة الأموية، منها: ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي[5] عند مباينته بالخلعان وفتنة عمر بن حفصون[6] التي فاقت جميع الفتن لعمومها وامتداد أيامها.

أما الفصل الأخير من حوليات عيسى الرازي الذي دون فيها للخليفة الحكم المستنصر بالله، من أهم ما ألفه، وقد اقتبس ابن حيان معظم مادته منه، وذلك بشهادة ابن حيان نفسه، وهذا ما يفهم من هذا النص: قال حيان بن خلف مؤلف هذا التاريخ: " ها هنا انقطع في كتاب عيسى الرازي – رحمه الله – الذي إليه رجعت في خبر دولة الحكم عبد الرحمن - رحمة الله عليه – فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بني مروان بالأندلس إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة، بخرم واقع في أصله..."[7]

1- وهو الكتاب الذي ذكرته المصادر "كتابا في التاريخ" أو "تاريخا ممتعا". ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص4. عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة – ق -ص491.

2- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص329.

3- هو عمروس بن عمروس الذي ظهرت عاديته في الثغور الشيء الذي أدى بالأمير محمد بن عبد الرحمن الى ارسال التدميري وغيرهم من القواد لملاحقته الا أن هذا الأخير اضطر للهروب من وشقة وسيتقرب من الأمير بعد تسليمه لـ: مطرف بن موسى وتوفي عمروس بوشقة سنة 226هـ/886م – ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص325 – 331 – 332. ابن الدلائي: المصدر السابق – صص62-63. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – صص100-101.

4- تنظر ترجمته عند ابن الدلائي: نفسه – صص62-63. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص101.

5- هو عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقي الماردي، كان من المولدين، خرج على عدد من الأمراء، ثم عاد الى الطاعة، وهو الذي ابتنى بطليوس ومدنها. ابن حيان: المصدر السابق – ق2 – ص343-345-360-377. الحميدي: المصدر السابق – ص247. وينظر سحر سالم – تاريخ بطليوس الاسلامية – صص80-82.

6- ينظر عنه ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص106-171-192-195. الحميدي: نفسه – ص268. ابن حيان: المقتبس – ق3 – نشر انطونيا – ص50-51-52.

7- ابن حيان: المقتبس – قطعة الحكم – بتحقيق علي الحجي – صص95-96.

كما يؤكد انطونيا أن معظم المادة في هذه الحولية، هي مأخوذة من كتـــاب عيســـى الرازي، فيقول في هذا الصدد: "يجب إعطاء الأولوية من بين المصادر التي اعتمدها ابن حيان في المقتبس حـــول التـــاريخ الاســـباني لعيســـى بـــن أحمـــد الـــرازي، المـــؤرخ المشهور...وبالتالي يمكن في نفس الوقت التأكيد بأن المادة التاريخية للمقتـــبس مـــأخوذة بأغلبيتها من حوليات عيسى الرازي، وهذه الحولية تنتهي عند عهد الحكم الثاني."[1]

وهو ما ذهب إليه كذلك علي الحجي حين قال: "وأهم من يعتمد عليهم ابن حيان في هذا الجزء، هم عائلة الرازي خاصة عيسى الرازي."[2]

يعتبر هذا الجزء الذي ألفه عيسى الرازي مصدرا بـــالغ الأهميـــة لدراســـة عهـــد الخليفة[3] وفي مقدمته الحياة الرسمية في البلاط ومآدب الخلفاء، والنظم الإدارية والعلاقات الدبلوماسية، والصراع مع الفاطميين من أجل النفوذ في المغرب الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية، فيورد لنا مثالا عن ورود بون فلـــي رســـول بريل حاكم إمارة برشلونة، حيث استقبلهم الخليفة الحكم المستنصر بالله أحسن استقبال.[4]

إضافة إلى ذلك، فهو يطلعنا على معلومات ذات أهمية فيما يتعلق بـــذلك الصـــراع القائم ضد الفاطميين، حيث كان زيري بن مناد الصنهاجي من زعماء صنهاجة بالمغرب، وكانت هذه القبيلة عماد الدولة الفاطمية في العدوة المغربية، بينما كان الزناتيون مـــوالين لبني أمية بالأندلس مما سيؤدي إلى خروج جعفر بن علي المعـــروف بالأنـــدلس عامـــل المسيلة، وما يليها من المغرب لإمامة معد بن إسماعيل الشيعي صاحب افريقية ولجوئـــه إلى الحكم المستنصر بالله بعد أن حمل بنو خزر رأس زيري إليه ورؤوس أعلام أصحابه للدخول في طاعته.[5]

إضافة إلى دخول جمع من قبيلة مصمودة سنة 362هـــ/972م نتيجـــة للحـــرب الدائرة بينهم وبين حسن بن قنون الحسني.[6]

1- ابن حيان: المقتبس – ق3 – مقدمة انطونيا – صص16-17.
2- ابن حيان: المقتبس – مقدمة المحقق: علي الحجي – ها – رقم3 – ص15.
3- ك. بويكا: المرجع السابق – ص137.
4- ابن حيان: المقتبس – ق5 – تحقيق: علي حجي – صص20-22.
5- نفسه – صص26-27 و صص39-40.
6- نفسه – ص96.

يتجلى من حصاد الفقرات السالفة الذكر، أن الصراع الدائر بالعدوة الأخرى لم تكن الأندلس بعيدة عنه، وإنما كانت لها يد فيه للوقوف ضد النفوذ الفاطمي بها وإن لم تتـــدخل فيه بطريقة مباشرة، إلا أنها كانت تؤيد طرفا ضد طرف آخر.

كما تفيد حوليات عيسى الرازي في النظم الإدارية التي كانت سائدة بالأندلس منها: منصب الخلافة والحاجب والوزير والقائد، وصاحب الحشم وصاحب المدينـــة والشـــرطة العليا والوسطى والصغرى وغيرها.[1]

إن المصادر لم توف عيسى الرازي حقه في هذا الميدان، إذ ضاعت مؤلفاته كمـــا ضاعت مؤلفات الأسرة بأكملها، وبضياعها ضاع تراث لن يعوض أبدا، ولكن باســتغلال وثائق جديدة للأدب العربي الإسلامي تم نشرها يمكن لها أن تكشف لنـــا حقـــائق أخـــرى نجهلها عن مثل هؤلاء المؤرخين.[2]

ومن أولئك الذين ألفوا في هذا الميدان أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك وهو من **بيت بني شهيد** الشهير، فعلى الرغم من بروزه في ميدان الأدب، إلا أن ذلك لـــم يمنعه من أن تكون له مشاركة جليلة في عملية التدوين لتاريخ بلاده.

وفي بيان منزلته العلمية يقول تلميذه أبو عبد الله بن عابد: "الوزير العـــالي القـــدر معدن الدراية والرواية"، ثم يضيف مبينا إسهاماته في هذا العلم قائلا: "كان أوحـــد النـــاس بالتقدم في علم الخبر والتاريخ...وهو مؤلف كتاب التاريخ الكبير في الأخبار على تـــوالي السنين، بدأ به من عام الجماعة سنة أربعين، وانتهى إلى أخبار زمانه المنتظمة بوفاتـــه – رحمه الله – وهو أزيد من مائة سفر."، فكان تاريخه هذا الذي جمع فيه هذه الأخبار عظيم الفائدة.[3]

ونحا نحوه الفيروز آبادي، فقال: أنه كان "أوحد الناس في علم الخبـــر...وتاريخـــه نيف على مائة سفر"[4]، وهذا ما يؤكده الصفدي بقوله: بأنه كان من الأئمة في بعض العلوم

1- ينظر ابن حيان: المصدر السابق - ص 21-22-25-30-44-46.
2- Levi provençal – Revista de l’instituto Egipcio de estudios islamicos- Madrid, 1954. P 4.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – مج2 – ج2 – ص3.
4- الفيروز آبادي: البلغة...ص110.

وكان منها الأخبار، إذ لم يكتف برواياتها بل كان له مصنف فيه والذي وصفه بـالكبير، إذ يبدأ التأريخ له ابتداء من وفاة علي- كرم الله وجهه – وهو أزيد من مائة سفر.[1]

لقد سار ابن شهيد هذا، على نفس منوال قرنائه ممن أتبعوا هذا المنهج – أقصد به المنهج الحولي – كأسرة الرازي وبيت بني الأفطس، إذ أرخ في كتابه هذا، لفترة زمنية طويلة بدأت من سنة 40هـ[2] (660هـ/661م)، وهي الفترة التي انتهى فيها الصراع بين الخليفة علي – كرم الله وجهه – ومعاوية ابن أبي سفيان لصالح هذا الأخير والذي تقلد الخلافة بعده، فاستطاع تحقيق الوحدة السياسية من جديد بين ولايات الخلافة، وأسس لسلالة الأمويين، ويعد هذا العام في الروايات التاريخية الأندلسية عام انتهاء الصراع الداخلي وبعث وحدة الأمة والدولة، والذي سمي بعام التوحيد.[3]

وعليه يمكن اعتبار كتاب ابن شهيد هذا، من الكتب الموسوعية التي أرخت لعهود طويلة مرت بها الدولة الإسلامية والتي امتدت على مدى ثلاثة قرون ونصف من الزمن فلا شك أنه تعرض لأحداث تاريخية ذات أهمية لمن أراد الاطلاع على التطور السياسي والعسكري والحضاري لهذه الدولة، ولكن ما يؤسف له أن هذا المؤلف – على حد علمي- لازال مفقودا لحد الساعة، وبفقدانه فقدنا جزءا من تراثنا الإسلامي الزاخر بالأحداث.

وفي **التأريخ الفكري والحضاري**، فقد انعكست كثير من جوانب الحياة الثقافية بالأندلس في كتابات الأسر الأندلسية الذي يمكن أن يدور في نطاق ما يسمى "بالتأريخ الثقافي" والتي أوجدت بالأندلس مجموعة من المؤلفات تحوم حول هذا الموضوع.

لقد كان **بيت بني حزم** من البيوتات التي كان لها باع، فممن ظهر في هذا البيت أبو محمد علي بن أحمد السالف الذكر في رسالته الموسومة بـ" فضائل الأندلس وذكر

1- الصفدي: الوافي...ج14- ص76. وينظر السيوطي: بغية الوعاة – ص573.

2- وهي السنة التي قتل فيها علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – ضربه عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن ملجم المرادي سنة 40هـ/660م-661م، فكانت خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر. الروحي: بلغة الظرفاء – ص129. اليعقوبي: تاريخ – ج2 – ص212. الدينوري: الأخبار الطوال – اعداد وتحقيق وفهرسة: د/ عمر فاروق الطباع – دار الأرقم للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – دت- ص197. ابن الوردي: تاريخ – صص154-155. ابن قتيبة: الإمامة والسياسة – علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1422هـ/2001م – ج1 – صص129-130.

3- ك. بويكا: المرجع السابق – هامش رقم4 – ص133.

رجالها[1] وقد وردت كاملة في نفح الطيب[2]، وقد كتبها دفاعا عن الأندلس في مواجهة المشارقة، وردا على اتهام الأندلسيين بالتقصير في تخليد مآثر علمائهم.[3]

لقد ذكر فيها ابن حزم بنوع من التفصيل تبثا بأهم المؤلفات والعلماء المعتد بهم في تاريخ الحضارة الأندلسية، مع إجراء نوع من المقارنة بين أعلام علماء الأندلس ونظرائهم من العلماء المشارقة[4]، فكان الأساس الفكري هو الوسيلة الأنجع لهذا التفضيل.[5]

من الفنون التي فاضل بها نظرائهم المشارقة، التاريخ، فيقول في ذلك: "فأما مآثر بلدنا، فقد ألف في ذلك احمد بن محمد الرازي التاريخي كتبا جمة، منها كتاب ضخم في مسالك الأندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره، وهو كتاب مريح مليح."[6]

وبعدها يقوم بذكر العلوم التي برع فيها الأندلسيون مجتمعة، فيقول: "...فكان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات، وحفظ كثير من الفقه، والبصر بالنحو و الشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم...".[7]

وبعدها يقيم له الدليل على أن هناك الكثير من العلماء الذين ألفوا في ميادين معرفية شتى، منها: في تفسير القرآن لأبي عبد الرحمن بقي بن مخلد، ثم يقارنه بتفسير محمد بن جرير الطبري، ثم يذكر بعض المصنفات في الحديث منها: مصنف بقي بن مخلد في الحديث[8]، ومنها كتاب المنتخب الذي ألفه القاضي محمد بن يحي بن عمر بن لبابة، ومؤلفات إسماعيل بن القاسم في اللغة منه كتابه المقصور والممدود والمهموز[9] وفي الشعر كتاب الحدائق لابن فرج الجياني، وفي التاريخ، تواريخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي[10]، وفي الفلسفة، فيذكر رسائل مجموعة وعيون مؤلفة لسعيد بن فتحون.[1 2]

1- هذا هو الاسم الوارد عند ابن خير: فهرسة – ص226.
2- ينظر المقري: المصدر السابق – ج4 – ص9 وما يليها.
3- ابن حزم: رسائل – ج2 – ص171.
4- عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص219.
5- ينظر عنها حسين مؤنس: فجر الأندلس – دار الرشاد – ط – 2005م – صص436-437.
6- ابن حزم: رسائل – ج2 – صص172-173. وينظر المقري: النفح – ج4 – ص11.
7- ابن حزم: المصدر السابق – ج2 – ص174. المقري: المصدر السابق – ج4 – ص12.
8- ابن حزم: نفسه – ج2 – ص178.
9- نفسه – ج2 – ص181.
10- نفسه – ج2 – ص183.

وقد كان لابن حزم تأليف في نوع آخر يدخل ضمن التـــأريخ المقـــارن للأديـــان، والممثل في كتابه:

- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:**

لقد تعامل مع هذا النوع من التأليف بعض المؤرخين على أنه كتاب يؤرخ للفــرق وينقل مقالات الملل والنحل[3] إلا أن البعض الآخر اعتبره كتابا تاريخيا فقط[4]، وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أن ابن حزم بتأليف هذا الكتاب عد من أولئــك المــؤرخين الــذين تميزوا بأفقهم المعرفية، وعلى اتساع الاطلاع.[5]

يعتبر هذا الكتاب من أشهر ما ألفه ابن حزم في مادة التاريخ وأعظمه قيمة[6]، فهــو كتاب حافل بما يحتويه من تاريخ نقدي للأديان والفرق والمذاهب على اختلافهــا[7]، فقــد تناول فيه الكلام على النصارى واليهود والأنبياء كإبراهيم ويوسف وغيرهما من الأنبيــاء (عليهم الصلاة والسلام)[8]، ثم ينتقل بعدها للتأريخ للفرق والعقائد الدينيــة منهــا: الشــيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة.[9]

ويظهر لنا التأريخ المقارن للأديان في دراسة ابن حزم لليهودية، فهو يفحص بعناية نصوص الكتاب الذي يسمونه الزابور، ويبين بما لا يدعو للشك مخالفتها الصريحة لأدلــة العقل الصحيحة[10]، ففي المزمور الأول: "قال الرب أنت ابن اليوم ولدتك" ويتســاءل ابــن

1- هو أبو عثمان سعيد بن فتحون السرقسطي يعرف بالحمار له تصرف في الأدب والمنطق وله قصيدة في ذم الناس للمنطق. الحميدي: المصدر السابق – تحقيق: السويفي – ص205..

2- ابن حزم: نفسه – ص185.

3- سالم يفوت: المرجع السابق – ص11.

4- العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس – ص223.

5- عبد الحليم عويس: المرجع السابق – ص294. وينظر Adam sabra : Ibn Hazm's a critique of islamic legal theory – Al – Qantara – Revista de estudio arabés – volume XXVIII- No1- Emero, Junin – 2007 p8.

6- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص221.

7- أحمد هيكل: المرجع السابق – ص357.

8- ابن حزم: الفصل – ج1 – ص53 – ج2 – صص109-116.

9- نفسه: ج2 – صص297-307.

10- مصطفى حلمي: الاسلام والأديان – دراســة مقارنــة – دار الكتــب العلميــة – بيــروت – لبنــان – ط1 – 1424هـ/2004م – ص128.

حزم كعادته، وذلك على سبيل المقارنة، فيقول: فأي شيء تنكرون على النصارى في هذا الباب ما أشبه الليلة بالبارحة."[1]

هذا غيث من فيض مما احتواه كتاب الفصل، وقد كان سبب تأليفه لـــه، هـــو قلـــة المؤلفات التي خاضت في مثل هذا الميدان، أضف إلى ذلك محاولة الرد على زيف وكذب اليهود الذين سعوا إلى إفساد هذا الدين عن طريق الطعن في أهم مقوماته.[2]

ومما تقدم ذكره، يظهر لنا تضاؤل مشاركة البيوتات في هذا النـــوع مـــن الحقـــل المعرفي، ومرد ذلك أن علم التاريخ بقي تابعا للعلوم الأخرى، ولم ينفصل عنهـــا إلا فـــي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10م)، مما انعكس سلبا فأدى ذلـــك إلـــى عـــدم ظهور أسر يمكن أن توسم بالتاريخية، فمن هذه النماذج المختارة اقتصرت مشاركتها على أفراد منها، مما صعب علينا عملية التصنيف على أساس هذا العلم، و هذا عكس ما مـــر معنا في باقي العلوم التي تطرقنا إليها آنفا، نخص بالذكر منها: علـــوم الشـــريعة والأدب وبخاصة الشعر، وهذا الجدول المرفق يبين لنا ذلك بشكل أوضح.

بيوتات أو أفراد منها	اتجاهات التأريخ	نسبة المشاركة
08 بيوتات	تراجم الفقهاء والمحدثين والشعراء	% 28,57
04 بيوتات	الفهارس و البرامج	% 14,28
06 بيوتات	التاريخ العام	% 21,42
10 بيوتات	السير والأنساب	% 35,71
28 بيت		% 100

تلك هي اسهامات البيوتات في التأريخ لبلدهم الأندلس، والذي تعددت اتجاهاته، وخاضوا بذلك في جميع فنونه، الا أن اسهامات مثل هذه البيوتات لم يقف هند هذا الحد، بل سيطال علوما أخرى، منها الطب، وباقي العلوم، الا أن مشاركة هؤلاء اقتصرت على أفراد منها، فكانت بذلك مساهمتهم فيها مساهمة محتشمة، ولنا في ذلك نماذج منها، والتي تدل على أنها لم تكن بعيد عن مثل هذه العلوم.

1- ينظر أمحمد بوشريط: ابن حزم ومقارنته للأديان – من خلال كتابه "الفصل" – مجلة المواقف – معسكر – عـــدد خاص – أفريل – 2008م – ص109.

2- خلف منشد: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد – والفرق الاسلامية – دار ابن حزم – بيروت – لبنـــان – ط1 – 1422هـــ/2002م – صص115-119.

3) **انجازات البيوتات في علوم أخرى:**

أما عن العلوم المتبقية، فلم يكن لهذه البيوتات حظ وافر فيها، إذ إقتصرت مشـــاركتها على أفراد منها، فمن هذه العلوم نذكر.

أ) **في الطـــــــــــب:**

لقد عرّفه ابن خلدون بقوله: أنه فرع من فروع الطبيعيات، يهتم بالنظر في صـــحة بدن الإنسان ومرضه، واستخلاص العلاج لهذا الـــداء عـــن طريـــق اســـتعمال الأدويـــة والأغذية.[1]

لقد عني الخلفاء الأندلسيون وعلمائهم وذو الوجاهة والثروة فيها بتشـــجيع حركـــة النقل والترجمة والتأليف في هذا الميدان، فمن هؤلاء الأمراء الذي عنوا بهذا العلـــم عبـــد الرحمن الناصر، فانتشرت بذلك عدة مدارس منها مدرسة قرطبـــة واشـــبيلية وطليطلـــة ومرسية.[2]

وأما عن إسهامات الأسر في هذا الميدان، فكان قليلا إذ انحصر في بعض أفـــراده وذلك بسبب عدم قدرة هؤلاء على استيعاب هذا العلم، وهذا ما يؤكده لنا صاعد الأندلســـي بقوله: "أما صناعة الطب، فلم يكن بالأندلس من استوعبها ولا مـــن يلحـــق بأحـــد مـــن المتقدمين فيها، وإنما كان غرض أكثرهم من علم الطب قراءة الكنانيش المؤلفة في فروعة دون الكتب المؤلفة في أصوله، مثل: كتب أبقراط وجـــالينوس ليســـتعملوا بـــذلك ثمـــرة الصناعة، ويستفيدوا به خدمة الملوك بالطب في أقرب مدة، إلا أفرادا منهم رغبوا عن هذا الغرض وطلبوا الصناعة لذاتها وقرأوا كتبها على مراتبها.[3]

1- ابن خلدون: مقدمة ــ ج3- ص1318.

2- أحمد شوكت الشطي: تاريخ الطب وآدابه وأعلامه – مطبعة طربين - 1386هـــ/1967م- صـــص509-510. وينظر عن تطور الطب بالأندلس – محمد ابراهيم الصيحي – مكتبة الوعي العربي – الفجالـــة - 1968م – صص32-33. وحسين أحمد السيد: الحضارة العربية – نشأتها – تطورها – آثارها – دار الكاتب العربـــي للطباعـــة والنشر –القاهرة – 1967م – ص56.

3- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم – صص185-186.

يلاحظ من خلال هذا النص أن معظم الأطباء من عرب الأندلس قد اتخذوا الطبابة حرفة كمالية إلى جانب عمل آخر يتعاطونه، فقد كانوا فلاسفة أو فقهـــاء أو مـــؤرخين أو أدباء أو كتابا أو شعراء.[1]

فمن البيوتات الشهيرة في هذا الميدان **بيت بني زهر** الذي أنجب عددا من الأطبـــاء المشهورين في الأندلس، وفي رسالة الشقندي التي يفخر فيها بعلماء الأندلس يـــذكر هـــذه الأسرة بقوله: "وهل لكم في الطب...مثل بني زهر أبي العلاء، ثم ابنه عبد الملك ثم ابنه، ثلاثة على نسق؟"[2]، فكان أفراد هذا البيت كلهم رؤساء وحكماء وبها نالوا المراتب العلية.[3]

ومن سلالة دوحة بني زهر التي أنجبت نفرا من مشاهير الأطباء، نذكر واحدا من أفرادها الذي ظهر في هذه الفترة، وهو:

أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي (ت470هـــ/1077م) ذكره ابن أبي أصيبعة، فقال في حقه: "كان فاضلا في صناعة الطـــب خبيـــرا بأعمالهـــا مشهورا بالحذق."[4] ويظهر حذقه فيه من خلال ما ذكره عنه القاضي عياض، "مـــال إلـــى الطب، ففاق. ورأس أهل وقته."[5]، وذهب نفس المذهب ابن صاعد الذي ذكر بأنه اشـــتهر في هذا الميدان، فقال: واشتهر "في التقدم في صناعة الطب."[6] وهذا ما أكده المقري بقوله: "واشتهر بالتقدم في علم الطب حتى فاق أهل زمانه."[7]

كانت له رحلة إلى المشرق لأداء الفرض، فزار كلا من القيروان ومصر، وتطبب هنالك فترة طويلة، وبعدها رجع إلى الأندلس بعد أن نال حظا وافرا فـــي هـــذا الميـــدان، فطارت شهرته شرقا وغربا، فعمت المغرب والأندلس.[8]

وبعد رجوعه من رحلته الطويلة، اتخذ مدينة دانية[1] موطنا له في كنـــف الـــرئيس مجاهد (408هــ-436هــ/1017م-1044م) فاشتهر بها بالتقدم في هذه الصناعة الأمـــر

1- احمد شوكت الشطي: تاريخ الطب وآدابه وأعلامه – ص203.
2- المقري: النفح – ج4 – ص32.
3- نفسه – ج4 – ص374.
4- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص474.
5- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص310.
6- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص197.
7- المقري: المصدر نفسه – ج2 – ص372.
8- صاعد الأندلسي: المصدرنفسه – ص197.

الذي أكسبته مكانة مرموقة لديه، فأكرمه إكراما كثيرا وأمره أن يقيم عنده فلبى رغبتـــه[2]، واشتهر فيها بهذا العلم والتقدم فيه حتى بذ أهل زمانه إلى غاية وفاته بها.[3]

فمن أمثلة تقدمه في هذا الميدان أنه في بعض علاجاته خرج عن المألوف و خالف به الأوائل والأواخر، كما خطأه الخواص والعوام، فمن إرشاداته الطبية منع المريض من أكل الحمام وذلك اعتقادا منه أن ذلك يعفن الأجسام ويفســد فــي الجســم تلــك الأدويــة الممزوجة التي يستعملها هذا المريض، إلا أن من يخالفه في هذا الرأي، فيــرون أنــه إذا استعمل على الترتيب الذي يجب وبالتدرج الذي ينبغي أن يكون رياضة فاضــلة ومهنــة نافعة، لأنه يقوم بتفتيحه للمسامات الموجودة بجسم الإنســان، ويعمــل علــى تصــريف الفضلات التي لا يحتاج إليها هذا الجسم، ويعمل على تلطيف ما غلظ من الكيلوسات.[4] [5]

لقد استطاع ابن زهر هذا، أن يكون ثروة هائلة من خلال ممارسته لهذه الحرفــة، فبعد انتقاله إلى اشبيلية ووفاته بها، خلف أمولا جزيلة فكان في هذه المدينة محط أنظارها في الرباع والضياع.[6] [7]

ومن **بيت بني وافــد** نذكر الطبيب المشهور أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن يحي بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي (389هــ-467هــ/997م-1047م)، فإضافة إلــى تقلده لمنصب الوزارة، فلم يمنعه ذلك في أن يخوض في هذا الميدان، وهــذا مــا يؤكــده عياض بقوله: "الطبيب المشهور المعترف له بإمامته في علمه وصــحة نظــره ومنفعتــه بحرفته"[8]، واكتفى ابن مخلوف بوصفه بــ: "الطبيب المشهور".[9]

1- دانية: مدينة تقع شرق الأندلس، محاذية للبحر، وهي على عمارة متصلة وشجر وتين وكروم، كان الأسطول يخرج منها الى الغزو. الحميري: الروض المعطار – صص231-232. اسماعيل باشا البغدادي: مراصد الاطــلاع – ج2 – ص510.

2- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه – ص474.

3- ابن دحية الكلبي: المصدر السابق – ص175.

4- الكيموسات: عند ابن أبي أصيبعة – ص474. وهي جمع الكيموس وهو الخلط، وهي لفظة ســريانية – الفيــروز آبادي: القاموس المحيط – ص514.

5- صاعد: نفسه – ص197.

6- ينظر عن الرباع والضياع ــ رجب عبد الجواد: ألفاظ الحضارة في القرن الرابــع الهجــري ــ ص175 و ص 183.

7- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص474.

8- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص259.

9- مخلوف: المصدر السابق – ص103.

فمن الشيوخ الذين أخذ عنهم الطب أبا القاسم خلف بن عباس الزهراوي[1]، الذي التقى به في قرطبة[2]، كما استفاد من كتب علماء آخرين، وهذا ما يؤكد صاعد الأندلسي الذي أثنى عليه وعلى سلفه، فقال: "احد أشراف أهل الأندلس وذوي السلف الصالح منهم والسابقة القديمة فيهم." ثم يضيف قوله: أنه اعتمد اعتمادا كبيرا وعناية بالغة بقراءة كتب جالينوس[3]، وطالعها وفهم محتواها، إضافة إلى كتب أرسطو طاليس.[4]

كانت له معرفة جيدة بعلم الأدوية المفردة، حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد من أهل عصره، فكان " له في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل" إذ لم يكن مثل الأطباء الآخرين، فكان لا يرى التداوي بالأدوية ما دام الغذاء الذي يتناوله المريض يمكن أن ينال به الشفاء، ولا يمكن اللجوء للأدوية إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وان استعمل الأدوية المفردة، فلا يرى من داع للتداوي بالأدوية المركبة، فإن اضطر إلى المركبة، فلا يجب أن يكثر منها إلا بالقدر القليل[5]، وبهذه الطريقة استطاع معالجة الأمراض المستعصية والعلل المخيفة بأيسر العلاج وأقربه.[6]

1- كان من أهل الدين والعلم والفضل، وقد اشتهر بعلم الطب، كانت له فيه تواليف نذكر منها: كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وهو كتاب تام في معناه، وقد أثنى عليه ابن حزم وعلى عمله، فقال: "ولئن قلنا إنه لم يؤلف في الطب أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن". توفي بعد 400هـ/ م. الحميدي: المصدر السابق – ص184. ابن بشكوال: الصلة – ج1 – ص148. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص460. وينظر علي عبد الله الدباغ: اسهام علماء العرب والمسلمين في الصيدلة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2 – 1407هـ/1987م – ص36 وما يليها

2- ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص13.

3- هو فيلسوف حكيم طبيعي يوناني من أهل مدينة فرغاموس، كان إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته، وكان ظهوره بعد 665م سنة من وفاة بقراط، فانتهت اليه الرياسة في وقته، فمن مؤلفاته، كتاب الفرق و كتاب الى أغلوقن في التأتي لشفاء الأمراض وكتاب المقالات الخمس في التشريح كتاب القوى الطبيعية وغيرها من الكتب. ابن النديم: الفهرست – ص391 وما يليها. القفطي: تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى: المنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تحقيق: يوليوس ليبرت – ترجم حواشيها ومقدمتها وأضاف إليها: د/ محمد عوني عبد الرءوف – مكتبة الآداب – القاهرة – ط1 – 1429هـ/2008م – ص122 وما يليها. ابن خلدون: المقدمة – ج3 – ص1026. الصفدي: أعيان العصر – ج5 – ص149.

4- أرسطا طاليس: معناه، محب الحكمة، ويقال الفاضل الكامل، ويقال التام الفاضل، و هو أرسطا طاليس بن نيقوماخس بن ماخاون، من ولد أسقلبيادس الذي اخترع الطب لليونانيين، واسم أمه – أفسيطيا- كان أبوه متطببا لفيلبس أبي الاسكندر، فمن مؤلفاته في المنطق، قاطيغورياس ومعناها "المقولات" و "بارى إرمانياس" ومعناها "العبارة" وغيرها من المؤلفات. ابن النديم: الفهرست – ص340 وما يليها. القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء – ص21 وما يليها. ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص74.

5- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – صص195-196. القفطي: المصدر السابق – ص152. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص456. الصفدي: الوافي – ج13-ص108.

6- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص456.

يبدو أن ابن وافد هذا كان على يقين بما للغذاء من أهمية كبرى في المحافظة على صحة الإنسان، فكلما كانت هذه الأغذية متوازية، فهي تساعد كثيرا المريض للامتثال للشفاء بسرعة، إلا أن المريض في أحايين أخرى قد يضطر إلى استعمال الأدوية إلا أنه لا يجب عليه أن يتعود على استعمال الأدوية المركبة من عدة أنواع لأن بعضا منها قد يكون له فائدة، وبعضها الآخر قد يكون مضرا بالصحة، فبهذه النصائح استطاع ابن وافد أن يسبق عصره في هذا الميدان.[1]

لم يكتف ابن وافد بعملية الاستطباب فقط، ومعالجة المرضى، بل كانت له فيه بعض المؤلفات، وهذا ما اتفقت عليه المصادر التي ترجمت له، فهذا القاضي عياض قال في بيان منزلته فيه: "وله في هذا العلم تأليف مشهور منتفع به."[2]، ونحا نحوه ابن الأبار، فقال: "وله في الطب تواليف".[3]

فمن مؤلفاته كتاب ألفه في الأدوية، فكان "كتابا جليلا لا نظير له" إذ جمع فيه ما احتواه كتاب – دياسقوريدس -[4]، وكتاب جالينوس[5] المؤلفين في الأدوية المفردة وقام بترتيبه ترتيبا حسنا، واشتمل على خمس مائة ورقة تقريبا، ولقد عانى الكثير في جمعه وترتيب ما تضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها، إذ استمر فيه وقتا طويلا بلغ العشرين سنة، حتى أكمله على حسب ما أراده ابن وافد.[6]

وله في الطب عدة مؤلفات نذكرها على التوالي: كتاب في الأدوية المفردة، كان في متناول الناس، وقد استفادوا منه، وكتاب الوساد في الطب وقد يكون خصص فيه قسما كبيرا لفن الصيدلة أبان فيه عن إلمام شامل بالأدوية والعقاقير وقد اعتمد بصفة خاصة

1- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص456.
2- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص259.
3- ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص13.
4- ويكتب كذلك ديسقوريدس، هو حكيم فاضل كامل من أهل مدينة "عين زربة" بشامي يوناني حشائشي، كان بعد بقراط، وفسر كثيرا من كتبه وهو أعلم من تكلم في أصل علاج الطب وهو العلامة في العقاقير المفردة وتكلم فيها على سبيل التجنيس والتنويع، ألف كتاب الخمس مقالات. قال جالينوس: "تصفحت أربعة عشر مصحفا في الأدوية المفردة لأقوام شتى، فما رأيت فيها أتم". القفطي: أخبار العلماء – ص126. وينظر آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – صص462- 463.
5- عن مؤلفاته في الطب ينظر أحمد شوكت الشطي: تاريخ الطب – ص199 و ما يليها.
6- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص196. وينظر الصفدي: الوافي – ج13 – ص108.

على حنين بن إسحاق[1] والرازي[2] إلى جانب تجاربه الكثيرة في استعمال بعـض الأدويـة المركبة من نباتات شبه الجزيرة الأندلسية وكتاب تدقيق النظر في علـل حاسـة البصـر وكتاب المغيث.[3]

كما كانت لابن وافد هذا، مشاركة فاعلة في علم الفلاحة، فقد كان له فيـه تـأليف وهذا ما يؤكده ابن الأبار بقوله: " وله في الفلاحة مجموع مفيد، وكان عارفـا بوجوههـا" ونتيجة لتمكنه فيها، فقد تولى هو بنفسه غرس جنة المأمون ابـن ذي النـون[4] الشـهيرة بطليطلة.[5]

لقد استطاع ابن وافد أن يجمع بين حرفتي الطبيـب وصـناعة الأدويـة، وكلتـا الحرفتين تحتجان لا محالة إلى الأعشاب لصناعة الأدوية، وهذه الأخيـرة تحتـاج إلـى النباتات الطبيعية التي تستخرج منها الأدوية، فيصنع منها الأدويـة المفـردة والمركبـة، فيمكن بعدها لهذا الطبيب أن يعالج بها بعض الأمراض الخفيفة منها والمستعصـية ولـن يتأتى له ذلك، إلا بواسطة ممارسته للفلاحة التي توفر له المادة الأولية.

وهذا ما يتوضح لنا عند مطالعتنا لكتاب زهرة البستان الذي يبين لنا فيه ابن وافـد أهمية العصفر[6]، بأنه نبات مفيد في علاج أمراض البطن، وفي موضع آخر يبين أهميـة الخس[7] في مداواة الشعر.[8]

1- كان طبيبا نصرانيا حسن النظر في التأليف والعلاج، ماهرا في صناعة الكحل. كان عالما باللغات الأربع: العربية والسريانية واليوذانية والفارسية، كانت له عدة تأليف منها: كتاب في المنطق وآخر في الأغذية وكذا في الأدوية وغيـر ذلك مما ألفه. القفطي: تاريخ الحكماء – ص171. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص256.

2- هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، مولده ومنشؤه بالري، سافر الى بغداد وأقام بها مدة، وكان عمره حينئذ نيف وثلاثون سنة، اشتغل في العلوم العقلية والأدب وأما صناعة الطب فإنما تعلمها في كبره. ابن أبي أصـيبعة: نفسـه – ص379. وينظر علي عبد الله الدباغ: المرجع السابق – ص183 وما يليها.

3- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص456. ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص13. طه عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – ج2 – ص934.

4- ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص177-188.

5- ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص13. ابن الزبير: صلة الصلة – ص102.

6- العصفر: بالضم: نبت يهريء اللحم الغليظ، وبزره: القرطم، وعصفر ثوبه، صبغه به، فتعصفر. الفيروز آبـادي: القاموس المحيط – ص398. ويزرع في أول شهر مارس الى أواخر شهر مايو في السقى وعلى خطـوط المسـاقي. الطغنري: زهرة البستان ونزهة الأدهان – حققه – حققه وعلق عليه: د/ محمد مولود خلف المشهداني الـدار الدوليـة للاستثمارات الثقافية – مصر – 2005- ص430.

7- ينظر عنه القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – صص247-248.

8- الطغنري: نفسه – ص430-464.

وما قيل عن أسرة بني وافد ينسحب على أحد أفراد **بيت بني سمجون** والممثل في أبي بكر حامد بن سمجون (كان أيام المنصور أبي عامر) الذي تميز بصناعة الطب وكان فاضلا فيها، إذ كانت له مشاركة فاعلة في صناعة الأدوية المفردة وأفعالها، فكان من المتقنين فيها والعارفين بخباياها.[1]

لقد ذكرت المصادر القليلة التي ترجمت له بعضا من تأليفه في هذا الميدان، إلا أن بعضها قد غلب عليها الشك في ذلك، فمن هؤلاء ابن الأبار، وهذا ما يفهم من قوله: "وهو فيما أحسب صاحب التأليف في الأدوية"[2]. ولكن يمكن أن نقطع الشك باليقين، فعند مطالعتنا لما ورد عند ابن أبي أصيبعة الذي ذكر له كتابا في الأدوية، واشتهر بجودة ما ألفه بهذا الخصوص، وبذل فيه مجهودا كبيرا في تأليفه، فبلغ فيه الغاية، فجاء عظيم الفائدة بسبب ما احتواه من آراء المتقدمين في الأدوية المفردة، وقد ذكره أبو يحي اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتابه "المغرب عن محاسن أهل المغرب" وقال: أنه ألفه أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر، إضافة إلى كتابه الثاني، وهو "كتاب الأقراباذين."[3] [4]

كما حظي علم الطب بقدر من الاهتمام على يد عالم آخر ينتمي إلى **بيت بني عبد ربه** والممثل في أحد أفراده وهو أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن[5] بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن سالم (ت 342هـ[6]/953م) وجده سالم من موالي هشام بن عبد الرحمن بن معاوية، وانتقلت إلى هشام المؤيد، وهو ابن أخي صاحب العقد الفريد، فإضافة

1- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص459.

2- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص230.

3- الأقراباذين: هي كلمة يونانية تعني علم الأدوية، وهي تنقسم الى أدوية مفردة ومركبة. حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات – صص20-21. وهو كذلك علم بأصول يعرف به الجيد والرديء من الجواهر الدوائية، وأصل هذه الكلمة هو: أكروبيدينون – مأخودة من "أكرو" وتعني أطراف ومن "بيدينون" أي الأراضي، والمعنى هو: الأطراف المنفرشة على الأرض، والمراد بذلك ما يسمى بالعقاقير، وهي النباتات المتخذة للأدوية، وأقدم كتاب أقراباذين عرف عند العرب هو كتاب سهل بن سابور الأهوازي المعروف بالكوسج. أحمد شوكت الشطي: تاريخ الطب...ص427. وهامش رقم 1 من نفس الصفحة. وعن سهل بن سابور: ينظر القفطي: تاريخ الحكماء – صص196-197. ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص206.

4- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص459. الصفدي: الوافي – ج8 – ص70.

5- يذكره ابن الفرضي على هذا النحو، سعيد بن أحمد – المصدر السابق – ص46. وابن فرحون: المصدر السابق – ص204. وأما ابن الأبار، فيذكره بهذا الاسم: سعيد بن إبراهيم – ثم يقول بعدها، وهو الصحيح – التكملة – ج4 – ص109.

6- يذكر ابن الفرضي الأزدي سنة 356هـ- المصدر السابق – ص146. وابن فرحون يذكر سنة 332هـ وسنة 356هـ- نفسه – ص204.

إلى إسهاماته في ميادين معرفية شتى إلا أنه "كان طبيبا نبيلا"[1]، وأما ابن عفيف، فقال في حقه بعد أن عدد مناحيه الثقافية أنه "من أهل العلم... والحذق بالطب"[2]. ونحا نحوه ابن فرحون بقوله: أنه كان "حاذقا في الطب"[3]، وهذا ما يؤكده ابن الأبار بقوله: أنه طبيب مهر في طبه[4]. وما يدل على حذقه فيه أن له "رجز جليل محقق[5] على جملة حسنة منه دل على تمكنه من العلم وتحققه بمذاهب[6] القدماء"[7]

ابتكر ابن عبد ربه هذا، طريقة جديدة في علاج الحميات[8]، وهذا ما يفهم من كلام ابن أبي أصيبعة "وكان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط بالمبردات شيئا من [الحوار][9] وله في ذلك مذهب جميل"[10]، وفي هذا الصدد يشرح لنا القاضي عياض الطريقة المثلى للتخلص من هذا المرض أن الطبيب يقوم بعملية خلط البوارد بشيء من الحوار[11]، ويقوم بعدها بتغويصها في الأعضاء الباطنة، ونتيجة لنجاح هذه الطريقة، فقد تبعه في ذلك عدد من حذاق الأطباء، لما لهذه الطريقة من منفعة كبيرة[12]، وعلى الرغم من حذقه في الطب والتفوق فيه، إلا أنه لم يخدم به أحدا من الحكام بسبب انقباضه عنهم.[13]

ومن دلائل فطنته في هذه الصنعة، أن سليمان بن أيوب أصابته حمة كادت أن تؤدي بحياته، فلما سأل عنه والده عن العلاج الذي كان يتدواى به، انتفض من قيمته وقدرته على علاج علته، لأن الطبيب المعالج لم يفلح في إعطائه العلاج الذي يتناسب

1- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص187. وينظر أحمد شوكت: المرجع السابق – ص669.
2- عياض: المصدر السابق – مج2 – ج4 – ص434.
3- ابن فرحون: نفسه – ص204.
4- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص109.
5- محتو: عند ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص450.
6- لمذاهب: عند ابن أصيبعة: نفسه – نفس الصفحة.
7- صاعد الأندلسي: نفسه – ص187.
8- من أمثال العقاقير التي تستعمل في علاج الحميات نذكر – الحنظل، كندر – علاج موضعي – جعة عذبة – نطرون – علاج موضعي، جعة عذبة تؤخذ بالفم، علي عبد الله الدباغ: المرجع السابق – ص89. وفي الحديث الشريف (إنما الحمي من قيح جهنم فأبردوها بالماء(وهذا الحديث خاص بالحمى الحادثة عن شدة حرارة الشمس وهذه يدفعها الماء البارد، وهي الطريقة التي ينقذ بها سنويا مئات من يصابون بالرعن – ضربة الشمس – بالحج، ونقول في هذا الصدد أن الاستبراد بالماء هي من الأساليب المستعملة في مكافحة الحمى الى يومنا هذا. أحمد شوكت: المرجع السابق – ص167.
9- أكملتها من كتاب عياض: ترتيب المدارك – مج2 – ج4 – ص434.
10- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص450.
11- هي الأشياء الحارة. ابن فرحون: المصدر السابق – ص204.
12- عياض: المصدر: المصدر السابق – مج2 – ج4 – ص434. ابن فرحون: المصدرنفسه – ص204.
13- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه – ص450. صاعد الأندلسي: المصدرنفسه – ص188.

ومرضه، وهذا ما يفهم من قول ابن جلجل حين قال: "فسفه علاج من عالجني" ولذلك كله اقترح عليه علاجا مغايرا للأول، يتكون من ثمان عشرة حبة من حبوب مدورة، وأمره أن يشرب منها كل يوم حبة، فلم يكمل التداوي حتى شفي من علته هذه شفاء تاما.[1]

لم يكتف ابن عبد ربه هذا، بمداواة المرض بل كان له فيـــه تـــأليف منهـــا تلـــك الأرجوزة التي أنشأها في الطب، وقد وصف هذا الرجز بأنه "رجز جليل محقـــق"[2] علـــى جملة حسنة منه دل على تمكنه من العلم وتحققه بمذاهب القدماء."[3]

لابد وأن يكون قد ضمن أرجوزته هذه بمعلومات مفيدة عن الطب، ومعـــارف قـــد يكون حصل عليها من كتب أبقراط[4] وجالينوس وغيرهما[5]، إضافة إلى مؤلف له في الطب والموسوم بـــ: "تعاليق ومجريات في الطب."[6]

إضافة إلى جهوده في علم الطب، فقد كانت له كذلك إسهامات جليلة في الصـــيدلة، إذ مر معنا بأنه كان يقوم بنفسه بتحضير بعض الأدوية لمعالجة المرضى، فلابد و أنه قـــد ألف فيها بعض المؤلفات، منها كتاب "الأقراباذين" والموسوم كذلك بـــ "الـــدكان" والـــذي يتكون من سبعة عشرة بابا، صدره بهذه المقدمة.

"زادك الله في العلم رغبة وفي الحكمة بصيرة وعلـــى إيثارهـــا تأييـــدا، وألهمـــك الصواب وجنبك عثرات الخطأ وأوضح لك الخفيات، وأعاذنا و إياك من الشبهات".

لقد كان لكتاب ابن عبد ربه هذا، نصيب من الشهرة في المغـــرب والأنـــدلس، اذ تناول فيه عمل الأدوية والتراكيب والتحاضير الصيدلانية، وأصولها وأشـــكالها وصـــرفها وطرق استعمالها وغير ذلك.[7]

1- ابن أبي أصيبعة:المصدر السابق – ص450. وينظر آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص463. و علي سعد قاسم: جمهرة تراجم الفقهاء – ج1 – صص514-515.

2- محتو: عند ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص450.

3- صاعد الأندلسي:المصدر السابق – ص187.

4- أبقراط: هو السابع من الأطباء الكبار المذكورين، كان من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسبا، أما نسبه، فهو أبقراط بن إيراقليدس بن أبقراط بن غنوسيد ديقوس بن نبروس بن سوسطراطس بن ثاوذروس بن قلاو موطادس بن قريســاميس الملك و أمه فرلسيثا بنت فيناريطي من بيت أيراقليس، فهو من جنسين فاضلين، أخذ علم الطب عن والده أيو اقليـــدس وجده أبقراط، فهما اللذان علماه أصول صناعة الطب. ابن أبي أصيبعة: نفسه –ص34 وما يليها، ولمزيد من المعلومات ينظر القفطي: أخبار العلماء – ص64 وما يليها.

5- طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص909.

6- ينظر ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص451.

7- عبد الله الدفاع: المرجع السابق – صص29-30.

ومن الأطباء المهرة بالأندلس نعرج على فردين من أسرة **آل الحرانــــي**[1]، وهمـــا: أحمد بن يونس بن أحمد الحراني، وأخوه عمر. كانت لهما رحلة إلى المشرق على عهــد عبد الرحمن الناصر سنة 330هــ/941م وأقاما فيها مدة عشرة أعوام، دخلا فيها بغــداد، فأخذ على طبيبين مشهورين وهما: ثابت بن سنان بن قرة[2] الصابي الذي قرأ عليه كتــب جالينوس[3] عرضا، والشيخ الثاني هو أحد الاختصاصيين في طب العيون، وهو أحمد بــن وصيف الحراني[4]، إذ "لم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك ولا أكثر مزاولة."[5]

إن إقامة هذين الأخوين مدة طويلة ببغداد، فلابد وأنهما اطلعا على ما جاء في هــذا العلم، وقد استفادوا من علمائها والطرق التي يتم فيها علاج بعض الأمراض المستعصية، وتحضير الأدوية المناسبة لها.

ففي طب العيون، نجد الأخوين قد استفادا أيما استفادة من هذا التخصص، فقد كان أحمد بن يونس الحراني يحضر مع أستاذه الحلقات التي يتم فيها معالجة بعــض مرضــى العيون، ففي إحدى هذه الحلقات حضر عند هذا الطبيب سبعة من المرضى لقدح[6] أعينهم، وكل ذلك تحت مرأى من الحراني هذا[7]، فمن المؤكد أن أحمد قد أدخل هــذا العلــم إلــى الأندلس ليفيد به أهل بلده، مما اكسبه خبرة وتجربة في مداواة العيون فمهر فيه، وهذا مـــا يتأكد لنا من خلال ما ذكره ابن جلجل عنه حين ترجم له، فقال: "كان يداوي العين مداواة نفيسة، وله بقرطبة في ذلك آثارا."[8]

فبعد هذه الرحلة الطويلة للأخوين، فلا مناحة من أنهما قد استفادا كثيرا من علمـــاء بغداد في هذا الميدان، ولإتمام هذه المهمة على أحسن وجه، عادا إلى بلــدهما الأنـــدلس،

1- الحراني: نسبة الى حران، وهي بلدة من الجزيرة، وسميت الجزيرة لأنها تقع بين دجلة والفرات. القزويني: آثـــار البلاد – ص351. الحميري: الروض المعطار – صص191-192. السمعاني: كتاب الأنساب – ج2 – ص232. وقد وهم القفطي اذ ذكر أن الأخوين هما ابنا يونس الحراني الذي دخل قرطبة، وهذا ما يتأكد لنا من خلال مطالعتنا لكتـــاب الذيل الذي ذكر نسب أحدهما على هذا النحو، وهو عمر بن يونس بن عيشون الجذامي القرطبي ابن الحراني. القفطي: أخبار العلماء –ص259.

2- ينظر ترجمته عند الصفدي: الوافي بالوفيات – ج7 – صص308-309.

3- عن مؤلفات جالينوس ينظر ابن النديم: فهرست – صص392-394.

4- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – صص190-191

5- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص287.

6- القدح: نقول: قدح القداح العين إذ أخرج ماءها الفاسد. الزمخشري: أساس البلاغة – ص356.

7- ابن أبي أصيبعة: المصدر : المصدر السابق – ص287.

8- ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه – ص448. صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص191.

وبمجرد وصولهما سنة 351هـ/962م[1] ألحقهما الحكم المستنصر بالله ليقوما على خدمته في عملية الاستطباب "فاستخلصهما لنفسه من سائر الأطباء في وقته."[2]

بعد وفاة عمر الحراني بقي أخوه أحمد أسيرا – على حد تعبير صاعد – لدى الحكم المستنصر بالله، فأسكنه هذا الأخير قصر الزهراء فأحسن معاملته، ووضع كل ثقته فيه لأنه "كان رجلا حليما صحيح العقل"، فهذه المكانة التي اختص بها هذا الطبيب سبب علو منزلته في الطب، والتي كان للمشرق وبخاصة بغداد الدور الأساس في أن يصبح من الأطباء المهرة، لذلك نجده قد اختص بمعالجة المستنصر من تلك التخمة التي كان يعانيها لكثرة ما كان يتناوله من الأطعمة، فأخذ يصنع له "الجوراشنات الجادة العجيبة."

إن كثرة ممارسته لمهنة الطب جعلت منه طبيبا معالجا وذا علم بالصيدلة وهذا ما يؤكده لنا ابن أبي أصيبعة، فقال: "وكان بصيرا بالأدوية المفردة وصانعا للأشربة والمعجونات، ومعالجا لما وقف عليه."[3] وهذا ما يؤكده ابن جلجل بقوله: "ورأيت له اثني عشر صبيا صقالبة، طباخين للأشربة صناعين للمعجونات ما بين يديه."[4]

لقد امتد عمر هذا الطبيب إلى غاية حكم هشام المؤيد بالله (366هـ-406هـ/976م-1009) الذي ولاه بعض الخطط، منها: خطة الشرطة وخطة السوق (الحسبة) بقرطبة[5]. فلاشك أن الخطة الأخيرة لها علاقة مباشرة بمهنة الطب، إذ كان يقوم بمراقبة الأغذية المعروضة في السوق إن كانت تخضع للشروط التي تقتضيها الصحة العامة، وان لم يكن بها تلف قد يؤدي إلى ظهور بعض الأمراض.

وهناك أفراد من بيوتات أخر كانت لهم كذلك إسهامات في الطب، وان لم تكن بنفس درجة أولئك الذين ذكرناهم آنفا، فمن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر.

فمن **بيت بني سميق** ظهر منهم أبو عمر أحمد بن يحي بن أحمد بن سميق (372هـ-451هـ/982م-1059م) ذكره ابن بشكوال مختصرا وقال في حقه: "كان من

1- هذا التاريخ لا يتوافق بما ذكر سابقا بأنهما أقاما بالمشرق مدة عشرة أعوام، فاعتمادا على هذا التاريخ المذكور وهو سنة 351هـ، فستكون مدة اقامتهما عشرون سنة بالمشرق، وليس عشر، ولعله خطأ من الناسخ.

2- صاعد الأندلسي: نفسه – ص191. ابن أبي أصيبعة: نفسه –ص448.

3- ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص448.

4- نفسه – نفس الصفحة.

5- صاعد الأندلسي: المصدر نفسه -ص191. ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص448.

أهل النباهة واليقظة والمشاركة في عدة علوم...وكان قد نظر في الطب وطالع منه كثيرا وعني به."[1]

ومن **بيت بني قـــادم** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قادم (ت 380هـــ/990م) ذكره الحجاري في مسهبه وقال: "من أطباء قرطبة المشهورين في الدولـــة المروانيـــة"[2] وأمـــا الحميدي الذي ترجم له، فلم يبرز إسهاماته في هذا الميدان[3] وتبعه في ذلك الضبي.[4]

و**لبيت بني حزم** نصيب في هذا الميدان، فقد كان لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم نصيب في الطب إذ كانت له فيه بعض التواليف منها: "رسالة في الطب النبوي" وكتـــاب "حد الطب" وآخر في "اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة" و "كتاب في الأدويـــة المفردة."[5]

و**بيت بني حسداي** نذكر منهم: أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي، فإضـــافة إلى أنه خاض في ميادين معرفية شتى إلا أنه "كان له نظر في الطب".[6]

ب) <u>في الحساب والهندسة والفلسفة:</u>

لقد كان لبعض البيوتات مشاركة فيها، سواء أكانوا أفرادا أم أسرا.

فمن هذه الأسر، **أسرة بني بشر** والتي ظهر بها علمان، هما:

أبو المطرف عبد الـــرحمن بـــن أحمـــد بـــن مختـــار بـــن بشـــر الرعينـــي(ت 444هـــ/1052م) قال في حقه ابن حيان ما مفاده: "كان عفيفا متصاونا، يقظـــا ذكيـــا... بصيرا بالحساب من أهل بيت نباهة بقرطبة."[7]

وقد نحا نحوه ابنه أبو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن شهر الرعيني (393هـــ-435هـــ/1002م-1043م) الذي "كان من كبار رجال قرطبة، جامعا لفنون العلم...حاسبا معدلا."[1]

1- ابن بشكوال: الصلة – مج1 – ج1 – ص51.
2- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص680.
3- الحميدي: المصدر السابق – ص78
4-. الضبي: المصدر السابق – ص107.
5- محمد حمزة بن علي: الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب – ص89.
6- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص458.
7- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص336.

وقد برز من **بيت آل تاجيت** فردين كذلك، وهما: إسماعيل بن تاجيت وأخوه محمد بن تاجيت اللذان كان لهما إسهامات جليلة في علم الهندسة والمتمثل في صناعة القسم، وكان قد أخذ هذا العلم عن محمد بن الفرج الرشاش[2] صاحب الذراع، إذ لم يكتفيا بذلك، بل برعا في صناعته.[3]

يرجح محمد حجي أن المقصود بصناعة القسم في هذا المقام هو تمسيح الأرض وقياسها بسبب ورود كلمة ذراع[4]، وهو وحدة لقياس المساحة، بمعنى أن له علم بالقياسات، أي: بالرياضيات.[5]

وممن برز في هذه العلوم من **بيت آل الصفار**، أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي الذي أقام في دانية قاعدة الأمير مجاهد العامري الذي كان له إسهام في هذا الميدان، فقد كان "متحققا بعلم العدد والهندسة والنجوم"[6] ونحا نحوه المقري الذي أكد على تمكنه فيها.[7]

فمن مؤلفاته بهذا الخصوص، زيج مختصر على مذهب السند هند[8] وكتاب في العمل بالإسطرلاب[9]، والذي وصف بأنه "موجز حسن العبارة قريب المأخذ"[10]، وبهذه الأعمال استطاع ابن الصفار هذا، أن يفيد أهل الأندلس بعلمه، إذ كان يجلس بقرطبة في

1- نفسه – نفس الجزء والصفحة.

2- وقد نسب هذا المقياس اليه، فأصبح يسمى بذراع محمد بن الفرج، وبه أخذه موثقي الأندلس، وكان قد جلبها من مصر من مقياس خروج النيل، وهو قديم من زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وكان الناس يتبايعون بالأندلس بذراع يشترطونها فلما حج محمد بن الفرج، أتى بقياس ذراع النيل المتفق عليها من صدر الاسلام فامتثلها الناس ولم يختلفوا عليها ورسموها بسارية بجامع قرطبة، فنسبت الذراع اليه، لادخاله اياها الأندلس. د/ محمود الجليلي: المكاييل و الأوزان والنقود العربية – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 2005م ص34.

3- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص151.

4- الذراع: بالكسر: من طرف المرفق الى طرف الأصبع الوسطىن والساعد، ومنه ذرع الثوب أي: قاسه بها. الفيروز آبادي: القاموس المحيط – صص644-645. وهو ست قبضات، والذراع كذلك ما يذرع بها، فضيا كان أو حديدا. د/ رجب عبد الجواد: ألفاظ الحضارة – صص188-189. ولمزيد من المعلومات عن انواع الذراع، ينظر د/ محمود الجليلي – نفسه – ص28 وما يليها.

5- محمد حقي: المرجع السابق – ص265.

6- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص445.

7- المقري: النفح – ج4 – ص178.

8- السند هند: السند فيما بين فارس وديار الهند، والسند: مما يلي الاسلام ثم تأتي بعدها الهند. الحميري: الروض المعطار – ص327.

9- الاسطرلاب: كلمة ذات أصل يوناني، أسطرولابون (Astralavos)، أداة يستعملها الفلكيون، عليها دوائر وخطوط وتمثل أبراج السماء. ومعرفة الوقت والجهات الأصلية. د/ حسان حلاق: المعجم – ص18. ولمزيد من المعلومات ينظر د/ رجب عبد الجواد إبراهيم: المرجع السابق – ص218.

10- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص170. ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص445.

حلقات العلم، فأخذ تلامذته عنه علوم الفلك والرياضيات، وكان أبرز هؤلاء التلاميذ تلميذه ابن برغوث[1] والواسطي[2]، فكون في هذه العلوم طلبة مهرة.[3]

وكان لابن الصفار هذا، أخ اسمه محمد اشتهر هو كذلك بصناعة الإسطرلاب، ذكره صاعد وقال في حقه: "لم يكن بالأندلس قبله أجمل صنعا لها منه."[4]

وقد لحق بهذه الأسر **بيت بني هود الجذامي**، نخص بالذكر منهم اثنين:

الأب وهو المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن محمد بن هود، المكنى بأبي جعفر (438هـ-474هـ/1046م-1081م). ذكره الحجاري بقوله: أنه كان أحد أعمدة هذه الأسرة وعظمائها فإضافة إلى كونه رجل حرب خاض عدة غزوات[5]، فقد كان مقدما في عدة علوم، منها: الفلسفة والرياضيات والفلك[6]، فعد من أشهر علماء عصره.[7]

وأما ابنه المؤتمن يوسف بن أحمد بن سليمان[8] المكنى بأبي جعفر (ت 478هـ/1085م) كان له علم بالرياضيات وعلومها، ولم يكتف بذلك، بل ألف فيها منها: "كتاب الاستكمال والمناظر"[9]، الذي قام بدراسته موسى بن ميمون[10]، فعمل على تهذيب كتاب الاستكمال في علم الرياضيات، فأصلحه وقرئ عليه[11]، فكان بذلك المؤتمن خير

1- هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر (ت 444هـ/1052م)، كان من المتحققين في علوم الرياضة مختصا بها، وله دراية بعلم الفلك وهيأتها وحركات الكواكب وأرصادها، إضافة الى اطلاعه على سائر العلوم الأخرى كالقرآن و النحو والفقه والوثائق. صاعد الأندلسي: نفسه – ص173.

2- هو أبو الأصبع عيسى بن أحمد، كان أحد المحكمين بعلم العدد والفرائض والهندسة، وله بصر في علم الهيئة والأفلاك وحركات النجوم. صاعد الأندلسي: نفسه – ص173.

3- ابن أبي أصيبعة: المصدرنفسه – ص445.

4- صاعد: المصدر نفسه – ص170. ابن أبي أصيبعة: نفسه – ص445.

5- ينظر عن هذه الغزوات ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص171-172. ابن الأبار: الحلة السيراء – ج2 – صص247-248. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – صص223-225.

6- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص454.

7- المقري: المصدر السابق – ج1 – ص341.

8- يرفع كحالة نسبه على هذا النحو، يوسف بن أحمد بن المظفر بن المنصور بن المطرف بن يحي التجيبي – ج4 – ص143.

9- المقري: المصدر السابق – ج1 – ص341.

10- هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، عالم من اليهود وأحبارهم، كان رئيسا في الديار المصرية، أحكم دراسة الرياضيات والطب وله معرفة بالفلسفة، وقيل أنه أسلم بالمغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، وبعد رحلته الى مصر ارتد. له مؤلفات منها: اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، فجاء في غاية الاختصار وعدم الفائدة، وهذب كتاب الاستكمال لابن هود. ابن أبي أصيبعة: نفسه – صص537-538. القفطي: أخبار العلماء – صص209-210.

11- القفطي: نفسه – ص210.

خلف لأبيه في مؤالفة العلماء، فقد كان هؤلاء يستجيرون به عند الحاجة، وابن عباد كـــان واحدا من هؤلاء.[1]

وهناك أفراد من بيوتات أسهموا في مثل هذه العلوم نذكر منهم:

أبو بكر محمد بن وسيم بن سعدون (ت 352هــ/953م) وهو ينتم إلى **أسرة بنـــي وسيم** كان من الفقهاء وله اطلاع على علم الفرائض، وهذا الأخيـــر يحتـــاج إلـــى علـــم الرياضيات لتقسيم التركات، ولهذا فقد كان له حظ في هذا العلم، وهذا ما يؤكده لنا عياض بقوله: "له حظ من العلم...والفرائض والحساب."[2]

وقد شاركه في هذا العلم من **بيت بني السليم** أبو بكر محمد بن إسحاق بن الســـليم (302هــ-367هــ/714م-977م)، فبالإضافة إلى حذقه في الفقه والحديث، فقد كان لـــه حذق بالفرائض والحساب[3]. في حين ترجم له ابن الفرضي ولم يفدنا بإسهاماته فـــي هـــذا الميدان.[4]

ومن **بيت بني يبقى** أبو بكر محمد بن يبقى بـــن محمـــد بـــن زرب (317هــــ-381هــ/929م-991). كان "بصيرا بالعربية والحساب"[5]، وقد ترجمت له بعض المصادر إلا أنها لم تفدنا بإسهاماته في هذا الحقل المعرفي.[6]

ومحمد[7] بن عجلان الأزدي السرقسطي (ت 403هـــــ/1012م) مـــن **بيـــت بنـــي عجلان** الذي خلف لنا كتابا في الحساب، وهذا ما يتأكد لنا عند مطالعتنا لبعض المصـــادر التي ترجمت له، إذ كان من المشاهير في بلده، خاض في ميادين معرفية شتى. قال ابـــن حارث: "كان يبصر الفرض والحساب بصرا جيدا". وما يدل على أن له باع فيـــه، هـــو تأليفه لكتاب في علم الفرائض الذي لقي استحسانا لدى مترجميه، كان أولهم ابن حـــارث،

1- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج2 – ص354.
2- عياض: ترتيب المدارك – ج2 – ص121.
3- عياض المصدر السابق – ج2 – ص174. ابن فرحون: الديباج المذهب – ص356.
4-عياض: نفسه –ج2–ص174.وينظر ابن الفرضي الأزدي:المصدر السابق–ص356. الســيوطي: بغيـــة الوعـــاة– ص71.
5- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص370. عياض: نفسه – ج2 – ص233. السيوطي: البغية – ص224.
6- من هذه المصادر، الحميدي: المصدر السابق – ص89. ابن فرحـــون: نفســـه – ص364. الســـيوطي: نفســـه – ص224. مخلوف: المصدر السابق – ص100.
7- يذكره ابن حارث بهذا الاسم، يحي – نفسه – ص284.

وهذا ما يفهم من قوله: "كتابا حسنا مكتفيا" الذي استفاد منه الناس أيما استفادة لقيمته العلمية[1] و نحا نحو كل من القاضي عياض[2] وابن فرحون.[3]

ومن **بيت بني جمرة** نذكر وليد بن محمد بن وليد بن مروان بن عبد الملك (ت 440هـ/1048م) الذي كانت له مشاركة في ميادين معرفية شتى، منها: الحساب، وهو ما يؤكده ابن الزبير حين ترجم له، فقال: كان مشاركا في "الحساب والفرائض، ذا معرفة بالمنازل و مرعاة الظلال."[4]

أما ابن الأبار، فقد ترجم له إلا أنه لم يفدنا بمثل هذه المعلومات التي أفادنا بها ابن الزبير، وإنما اكتفى بالرفع في نسبه، وذكر شيخه الممثل في والده وابنه تلميذه الذي روى عنه.[5]

ومن **بيت بني حسداي** أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائلي (كان حيا سنة 458هـ/1065م) وهو من بيت شرف اليهود بالأندلس الذي نجم بأفق سرقسطة.[6] و بالرغم من ضلوعه في الأدب، شعره ونثره، وبروزه في أنواع التعاليم والفنون، إلا إن إسهاماته في العلوم الأخرى تبدو واضحة، وهذا ما يؤكده صاعد بقوله: "وبرع في علم العدد وعلم الهندسة والنجوم، وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها، وتحقق بعلم العدد وعلم تمرس بطرق البحث والنظر، ثم ترقى إلى علم الطبيعة، فبدا منه بسمع الكيان لأرسطو طاليس، حتى أحكمه ثم شرع في كتاب السماء والعالم."[7]

ويذكر صاعد أنه فارقه ابتداء من سنة 458هـ/1065م وكان حينها حسداي هذا، لازال في رعيان شبابه، وقد استطاع أن ينال حظا وافرا من العلوم، ولو يطول به العمر، فسيوفي الفلسفة والحكمة حقها، ويستوعبها ويصبح من الأوائل فيها.[8]

1- نفسه – نفس الصفحة.
2- عياض: المصدرنفسه – ج1 – ص462.
3- ابن فرحون: المصدرنفسه – ص337. وينظر رضا كحالة: معجم المؤلفين – ج4 – ص105.
4- ابن الزبير: صلة الصلة – ص315.
5- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص152.
6- ابن بسام الشنتريني: الذخيرة – ق3 – ج5 – ص344.
7- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – صص205-206. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق – ص458.
8- صاعد الأندلسي: نفسه – ص106.

ومن **بيت بني حزم** نذكر أبو محمد ابن حزم الظاهري السالف الذكر، الذي ألــف كتبا في مراتب العلوم والمنطق منها كتابه: "التقريب لحدود المنطق"[1] والذي بســط فيــه القول، وقد استعمل فيه بعض الألفاظ العامية والأمثلة الفقهية.[2]

وأما الكتاب الثاني والموسوم بــ:"الأخلاق والسير في مداواة النفــوس وإصـــلاح الأخلاق الذميمة"[3] أو كما يحلو للبعض تسميتها بـــ "حكم ابن حزم".[4]

هذه الرسالة الصغيرة الحجم، لا يعلم متى قام بكتابتها، إلا أنه يظهر وأنها كانت في أخر حياته، أو على الأقل بعد أن نضج واكتهل وذاق حلو الحياة ومرهـــا. وقـــد وصـــفها آسين بلاثيوس بقوله: "إنه أشبه بسجل يوميات، دون فيه ابن حزم ملاحظات أو اعترافات تتصل بسيرة حياته."[5]

لقد اعتمدت واستمدت هذه الرسالة عناصرها من ينبوعين صافيين:

أولهما: الدراسات الفلسفية المبنية على العقل، وهذا ما يتكرر في رسالته، فيقــول: "لـــذة العاقل بتمييزه" و "العاقل لا يرى في نفسه ثمنا إلا الجنة"[6]. إضافة إلى اعتماده فيها علـــى أن الفضيلة وسط بين رذيلتين، ونرى ابن حزم يصرح بذلك في عبارة دقيقة، فيقول: "ليس بين الفضائل والرذائل ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط".[7]

وليس هذا فقط، بل انه يرجع أحيانا أصول الفضائل إلى أربعة، فيقــول: "أصـــول الفضائل كلها أربعة، عنها تتركب كل فضيلة، وهي: العـــدل والفهـــم والنجـــدة والجـــود، وأصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة،...وهي الجـــور والجهـــل والجـــبن والشح."[8]

ثانيها: تجاربه الخاصة المبنية على الاستقراء، ولذا قال في أول رسالته "إني جمعت فـــي كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها واهب التمييز تعالى، بمرور الأيام وتعاقب الأحوال، بمـــا

1- ابن حزم: رسائل – مج2 – ج4 – ص29.
2- نفسه – مج2 – ج4 – ص93. صاعد الأندلسي: المصدر نفسه – ص182. الحميدي: الجذوة – ص278.
3- ابن حزم: نفسه – مج1 – ج1 – ص335.
4- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص217. وينظر أبو زهرة: ابن حزم حياته واثاره – ص53.
5- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع – ص217.
6- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج1 -ص335-338.
7- ابن حزم: نفسه – مج1 – ج1 – ص339.
8- ابن حزم: نفسه – مج1 – ج1 – ص379.

منحني عز وجل من التهمم بتصاريف الزمان والإشراف على أحواله، حتى أنفقت في ذلك أكثر عمري..."[1]

يتبين لنا من خلال هذا النص أن ابن حزم اعتمد على الاستقراء والتجربة، وعلى ما آتاه الله من فطنة وقوة الإحساس، وصدق فراسة، وقدرة على ضبط الجزئيات في معان كلية، وقضايا عامة.[2]

إن أهمية هذا الكتاب، تكمن في أنه يقدم لنا صورة حية وحقيقية لنفسية الأندلسيين في القرن الخامس الهجري (11م) والتي كانت سائدة في مجتمعهم.[3]

وحدا **بيت بني حدير**[4] أسرة بني حزم في مثل هذه الدراسات الفلسفية، فممن ظهر من أفراده أبو الأصبغ موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير (256هـ-319هـ أو 320هـ/ 869م- 931م – 932م) والذي قال في حقه الرازي: "كان موسى هذا عارفا بالكلام ذاهبا إلى الاعتزال، نظارا على أصوله وله فيه تأليف."

وأخو المتقدم ذكره، أحمد بن محمد الوزير صاحب المظالم، والذي كان كأخيه له نصيب في علم الكلام، وله فيه تأليف[5]. وقد "كان داعية إلى الاعتزال لا يستتر بذلك."[6]

ومن **آل المنذر البلوطي** ظهر منهم: منذر بن سعيد بن عبد الملك الكزني[7] قاضي قرطبة (273هـ-355هـ/886م-965م) كان عالما باختلاف العلماء ميالا إلى رأي داود بن علي بن خلف[8] الظاهري، ويحتج له و "كان بصيرا بالجدل، منحرفا إلى مذهب أهل الكلام، لهجا بالاحتجاج. كان ينحل في اعتقاده أشياء الله مجازيه بها ومحاسبه عليها."[1]

1- ابن حزم: المصدر السابق – ص333.

2- أبو زهرة: المرجع السابق – ص142.

3- آنجل جنثالث بالنثيا: المرجع السابق – ص218.

كان جدهم حدير أبو موسى والمعروف بالمذبوح بوابا على باب السدة (وهو باب القصر الرئيس في قرطبة) على عهد حكم الأمير الحكم بن هشام الربضي أثناء اندلاع ثورة الربض، والمعروفة في التاريخ الأندلسي بوقعة الربض . ابن حيان: كتاب المقتبس – السفر الثاني – ص140-152. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس – ص54.

4- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص170. ابن حزم: المصدر السابق– مج1 – ج2 – ص186.

5- ابن حزم: نفسه – مج1 – ج2 – ص186.

6- ابن حزم: نفسه– مج1 -ج2 – ص186.

7- الكزني: نسب في البربر في فخذ منهم يقال لهم كزنة. ابن الفرضي: المصدر السابق – ص404.

8- هو أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني، أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس، له من الكتب: كتاب الايضاح – كتاب الافصاح – كتاب الأصول – كتاب الحيض وغيرها من المؤلفات، توفي سنة 270هـ/883م. ابن النديم: الفهرست – ص299. ولمزيد من المعلومات

 وممن خاض في هذا الميدان من **بيت بني الطبني** أبو عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن الحسين التميمي المعروف بابن الطبني، فقد كان له "حظ صالح من الكلام والجدل."[2]

تلك هي جملة من البيوتات، أو أفراد منها كانت لهم مساهمة في هذه العلوم، وان كانت مشاركتهم فيها محتشمة بسبب عدم إقبال الناس عليها كما هو الشأن لباقي العلوم الأخرى، فإن كان بعض منها كطلب الحكمة مرغوب فيها أثناء حكم المستنصر بالله، غدت بعده منفورة ومخمومة عند حكامهم، فكل من تعاطاها اتهم بالخروج عن الملة المحمدية، ورمي بالإلحاد، ولذلك لم يطلب الحكمة بعدها أحد، والتفوا حول بعض العلوم المباحة تعاطيها.[3]

هذا ما يؤكده ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس حين تحدث عن علم الكلام، فقال: "وأما علم الكلام، فإن بلادنا وان كانت لم تتجاذب فيها الخصوم، ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب."[4]

وهذا الكلام ينسحب على الفلسفة والتنجيم، إذ كانا لهما حظ عظيم عند خواصهم، إلا أن هؤلاء لا يتظاهرون بها خوف العامة، فكلما قيل "فلان يقرأ الفلسفة" أو "يشتغل بالتنجيم" أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وفي أحايين أخرى يرجم بالحجارة أو تقوم العامة بحرقه قبل أن يصل أمره إلى السلطان، أو يقوم هذا الأخير بإحراقه حتى يتقرب إلى قلوب العامة، ولم يقف هؤلاء عند هذا الحد، بل يقومون بإحراق كتبهم.[5]

ولا يخامرنا الشك أن علوم الرياضيات والفلك كان لهما نفس المصير، فعلى الرغم من أن عناية الأندلسيين بهذه العلوم بدأت في منتصف القرن الثالث الهجري (9م) أي في فترة حكم محمد بن عبد الرحمن (238هـ-273هـ/852م-886م) غير أن إقبال الأندلسيين ومنهم البيوتات على هذا النوع من العلوم كان ضعيفا، واستمر الحال إلى غاية

ينظر الصفدي: الوافي – ج9 – ص361 وما يليها. وموسوعة الأديان (الميسرة) – دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ط3 – 1426هـ/2005م – صص240-241.

1- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص404-405. وينظر مخلوف: شجرة النور الزكية – ص90.

2- ابن حزم: طوق الحمامة – ص117.

3- صاعد الأندلسي: المصدر السابق – ص164.

4- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج2 –ص186. وينظر المقري: المصدر السابق – ج4 – ص21.

5- ابن حزم: رسائل – مج1 – ج1 – ص181. و المقري: ج4 – ص27.

منتصف القرن الرابع الهجري (10م)، وكما يقول صاعد: "...ولــم يزالــوا يظهــرون[1] ظهورا غير شائع في قريب وسط المائة الرابعة."[2]

لقد بقي الوضع كذلك من كتمان مثل هذه العلوم وإظهار غيرها من العلوم إلى غاية انقراض الدولة الأموية، فبيعت ما كان بقصر قرطبة من ذخائر الملوك من الكتب بأوكس ثمن وأتفه قيمة، وكانت تحتوي من العلوم القديمة التي أفلتت من التخريــب أيــام حكــم المنصور بن أبي عامر.[3]

1- يقصد بهم علماء الرياضيات والفلك والفلسفة.
2- صاعد الأندلسي: المصدر: السابق – ص159. وينظر طه عبد المقصود: المرجع السابق – ج2 – ص889.
3- صاعد الأندلسي: المصدر نفسه – صص164-165.

الخاتمـــــة:

لقد كان لظاهرة البيوتات الدور الأساس في تطور الحياة الثقافية بالأندلس اذ شملت ميادين معرفية شتى، وقد كان لعلوم الشريعة والأدب نصيبها الأكبر، اضافة الـــى علـــوم أخرى.

كان تطور الحياة الثقافية بالأندلس بفعل عدّة عوامل شجّعت هـــذه البيوتـــات فـــي الاستمرار في عطاءاتهم هذه، منها: العامل السياسي والذي كان له أكبر الأثر في تشـــجيع حاملي راية العلم على الخوض فيه، وبخاصة على عهد الخلافة الأموية والتي شـــجّعت العلم والعلماء.

وكذا العامل الاقتصادي الذي جعل هؤلاء يعيشون في بحبوحة من العيش، جعلهـــم ينصرفون لتعاطي علوم شتّى والتأليف فيها، وهذا ما انطبق على عدد من الأســـر الـــذين تحسنت وضعيتهم الاجتماعية، وتمتعوا بمكانة مرموقة داخل المجتمع الذي يعيشون بـــين ظهرانيه، أو حتى في البلاط الأموي بالأندلس.

اضافة الى ذلك التمازج الاجتماعي الذي شهدته الأندلس علـــى عهـــدي الخلافـــة والحجابة مما أدى الى ظهور انصهار بين مختلف طبقات المجتمع، فوُجد بدل التطـــاحن، تجانس ووئام بينها، مما ساعدها على السير قدما نحو الخوض في علوم معرفيـــة شـــتّى، دون ان تعترضه معوّقات تحول دون ظهور هذا الكم الهائل من العلماء.

بعد هذا العرض الموجز نخلص الى النتائج التالية:

1- لقد مر تشكل البيوتات بمرحلتين:

المرحلة الأولى: والتي عرفت تدفق موجات هجرية من المشرق والمغرب التي صحبت الفتح الاسلامي للأندلس.

_ المرحلة الثانية: والتي أعقبت هذا الفتح، وذلك للظروف السياسية التي شهدها المشرق الاسلامي، إضافة إلى تلك الملاحقات التي طالت الأمويين مما أدى بهم للفرار اليها، والأمر الذي شجّعهم على ذلك، هو ما كانت تتمتع به أرض الأندلس من خيرات أسالت لعاب الكثيرين منهم للقدوم إلى مثل هذه الأرض.

2- ان تشكل البيوتات وظهورها كان نتيجة حتمية لتلك الاقطاعات التي حازت عليها والتي شجعت كثيرين منهم للبقاء بالأندلس، مع العلم أن نية البعض منهم، كانت المشاركة في الجهاد وفتح ما تبقى من هذه الأرض، وكانت بداية هذا التشجيع اقطاعات أبي الخطار التي شملت بعض هذه البيوتات منها بيت بني ميمون وبيت بني أبي عبدة.

3- أوجدت لنا هذه الظاهرة طبقة اجتماعية لم تعهدها الأندلس، ففرضت نفسها كطبقة لها مكانتها في المجتمع ولدى بلاط بني أمية الأمر الذي وطد من مكانتها السياسية، مما اضطر معظمها لركوب فرس السياسة و التي دعمت به وجودها طوال فترة الحكم الأموي لهذه الديار.

4- ان توزع العرب والبربر على هذه الخارطة الجديدة كان مختلفا باختلاف طبيعة الأرض التي كان يقطنها كل عنصر من هذه العناصر، فاحتل العرب مكانا لهم في الأراضي السهلية المنبسطة في حين كانت المفاوز والأراضي الوعرة من نصيب البربر.

5- لقد كان للعامل الاقتصادي الدور البارز في ظهور مثل هذه البيوتات، الا أنه لا يمكن اعتباره الأساسي والوحيد، وانما عملت على تدعيمه بعوامل أخرى، كالعسكرية والسياسية وبخاصة الثقافية منها.

6- أوجدت لنا هذه الظاهرة بيئة ثقافية توزعت على هذه البيوتات والتي خاضت في ميادين معرفية شتى، فأصبح العلم محتكرا في أسرة من الأسر دون غيرها، وأصرت على أن يكون سندها من أقواها، لتحافظ على تسلسل العلم وتعاطيه بين أفراد الأسرة الواحدة، فعرف مصطلح جديد الا وهو: البيوتات العلمية وبيوتات العلم والشرف والبيوتات النابهة، كل ذلك نتيجة لتوارث الآباء عن الأجداد هذا العلم أو ذاك، واستمر هذا التوارث من الآباء نحو الأبناء.

7- لقد غطت اسهامات هذه البيوتات ميادين معرفية شتى، توزعت على هذا النحو.

أ- علوم الشريعة: والتي تناولت بالدراسة الفقه والحديث والتفسير، ففي الفقه برزت عدة أسر وسمت بالبيوتات العلمية والتي انفردت عن غيرها من الأسر

بما خلفته في هذا الميدان من تآليف أثرت الساحة الثقافية بالأندلس، ثم تلتها طبقة من علماء هذه الأسر، وان لم تخلف لنا في ذلك تآليف، فقد شاركت في هذا العلم مشاركة فاعلة مما جعلها تتبوأ كرسي الفتوى، وتتقلد مناصب علية كالقضاء مما يدل على تمكنها في هذا العلم.

أما فيما يتعلق بالحديث وعلومه، فقد كان لبعض هذه البيوتات اسهامات جليلة فيه، وقد خلفت لنا فيه آثارا تمثلت في تآليف حديثية لازالت تشهد المصادر التي ترجمت لها على تفوقها فيه، كما وجدت أسر أخرى كانت لها مشاركة فاعلة فيه، وان لم تترك مثل هذه الآثار.

ب- علوم الأدب: وما قيل عن علوم الشريعة، يقال عن الأدب بشعره ونثره، فبالنسبة للشعر، فقد برزت فيه بعض البيوتات والتي يحق أن نطلق عليها اسم البيوتات الأدبية بسبب بروزها في هذا الميدان، ففي الشعر نلحظ من خلال المصادر التي ترجمت لهم، وبخاصة الأدبية منها، أنه كان لها باع فيه، فمن مصدر الا ونلحظ تلك الاستشهادات الشعرية لهذه البيوتات، فبقي مجموع بها ريثما تطلها أيادي الأدباء لجمعه ضمن ديوان كما حصل مع ديوان ابن شهيد وابن دراج وغيرهما.

أما النثر، فقد شهدت الساحة الأندلسية على يدي هذه البيوتات انتاجا غزيرا، فظهرت عدة نصوص نثرية في مضان المصادر، مما يدل على تفوقها في ميدان البلاغة، وقد تعددت أنواع الكتابة بالأندلس، فشملت، الرسائل الديوانية والاخوانية والأدبية، ولازالت هذه الآثار تشهد على تفوق البيوتات في هذا الميدان الذي هو ميدانها.

ج- علوم أخرى: ان التطور الذي شهدته العلوم السالفة الذكر، لم تشهده باقي العلوم الأخرى كالتاريخ والطب والفلك، وغيرها من العلوم الأخرى، و ذلك لأن البيوتات اهتمت بادئ أمرها اهتمت بعلوم الشريعة لأنهم كانوا ينالون بها الخطط السنية كالقضاء، وجاء بعدها الأدب باعتباره سوقا نافقه وبخاصة

الكتابة التي توصل صاحبها الى مراتب عليا فـــي الدولـــة منهـــا الـــوزارة و الحجابة.

ولهذا لم تول هذه البيوتات اهتماما كبيرا بهذه العلوم، وانما ظهر منها أفراد فقط خاضوا فيه، وقلما نجد فردين أو ثلاث من أسرة واحدة كانت لها مشاركة جماعية في هذا العلم أو ذاك.



الملاحق



اسهامات بيوتات العلم في الشريعة

- الفقه والحديث والتفسير -

عبد الله بن عيسى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي زمنين بن عدنان بن بشير أبو محمد[1]

محمد (أبو بكر) — محمد (أبو عبد الله)[2]

أحمد[3] — عبد الله — محمد

محمد (أبو عبد الله) — عيسى أبو الأصبغ[4]

إبراهيم — عبد الرحمن

محمد (أبو عبد الله) — محمد

عبد الله (أبو خالد)

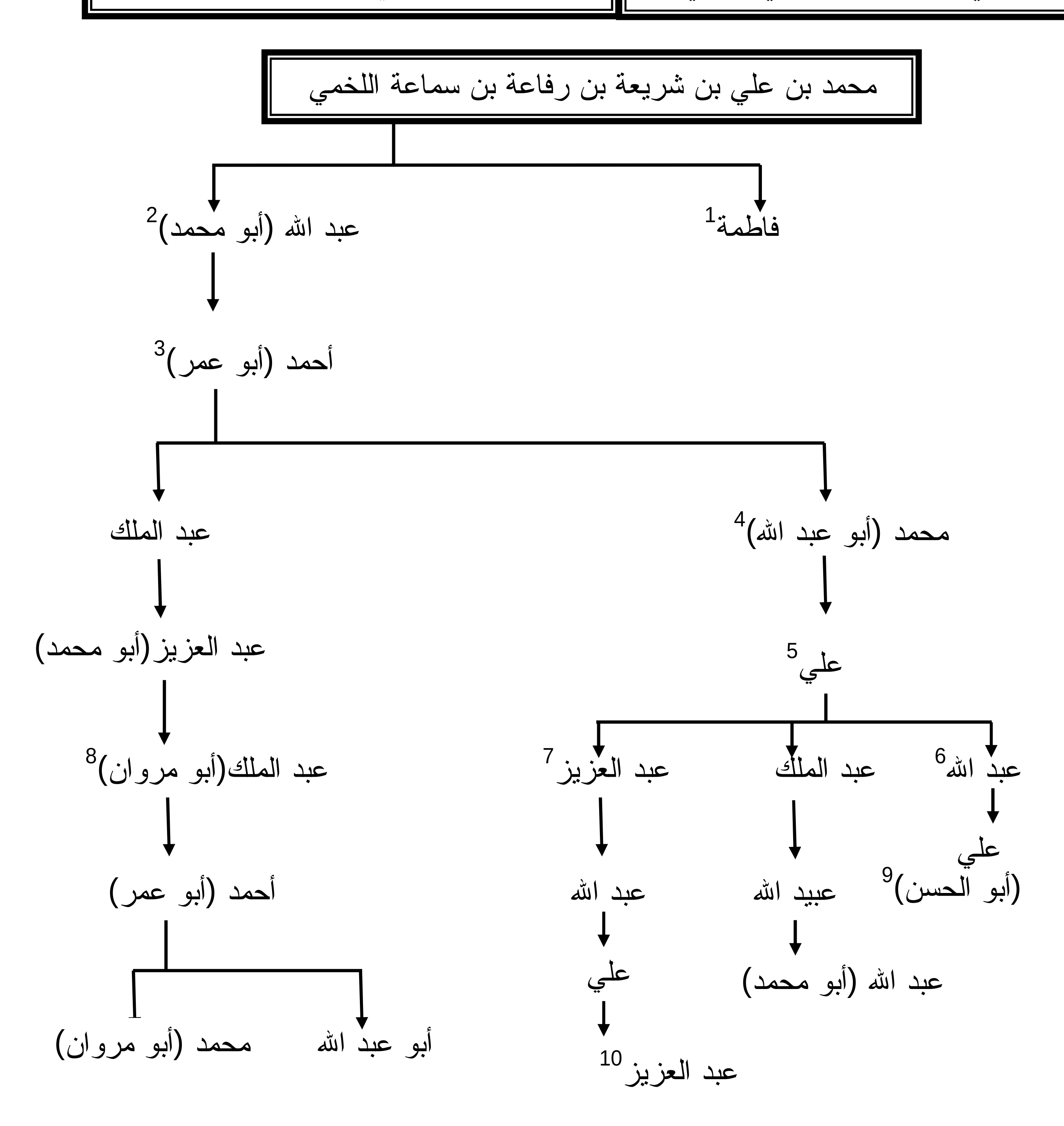
محمد (أبو بكر)

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص191. مخلوف: المصدر السابق – ص101

2- ابن الأبار: التكملة –ج1 – ص303. مخلوف: نفسه – ص113.

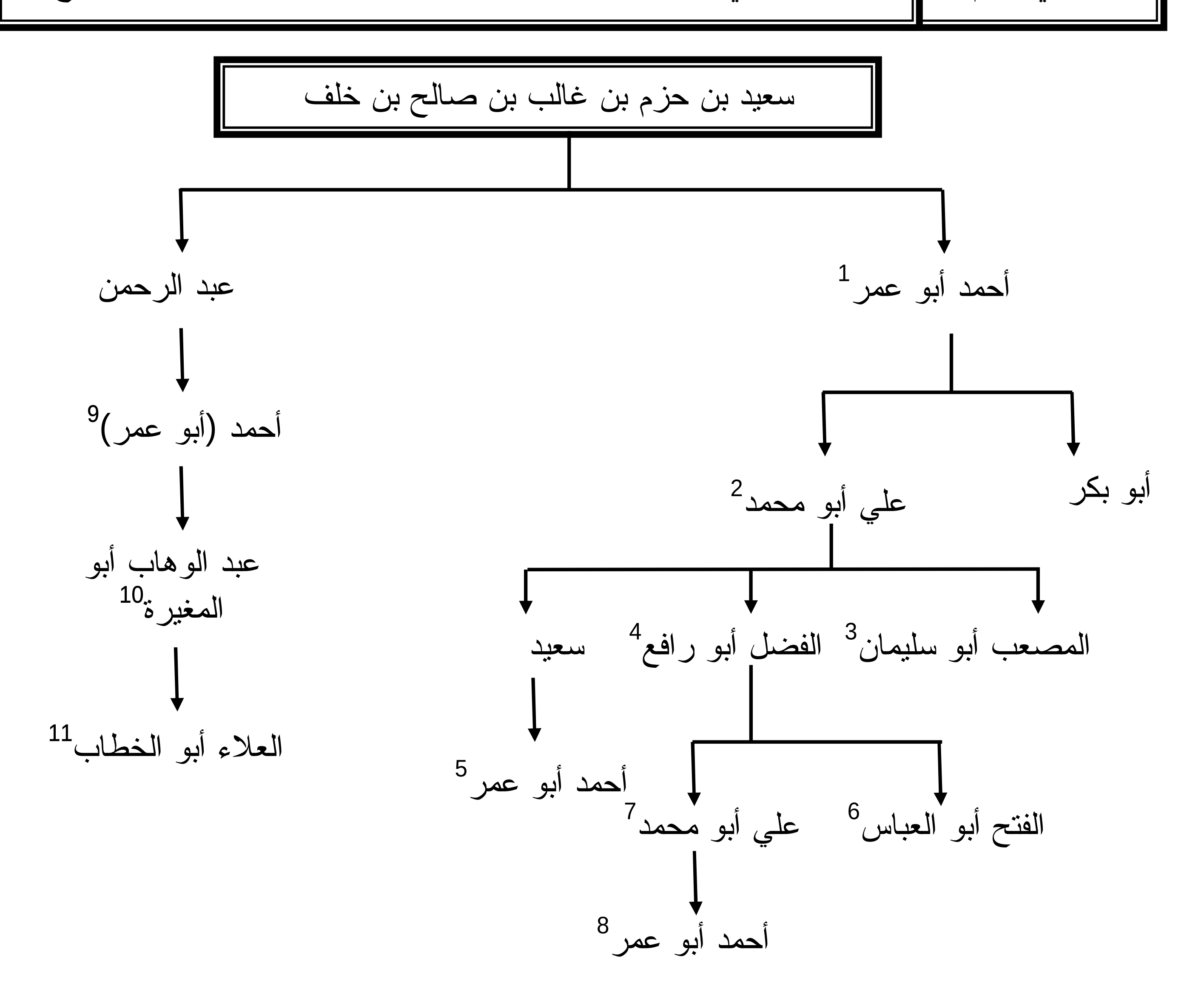
3- نفسه: ج1 – ص23.

4- ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة – ج4 – ص199



1- ابن بشكوال: الصلة – ص418.
2- عياض: ترتيب المدارك...ج2 – ص200. الحميدي: المصدر السابق – ص219.
3- الحميدي: نفسه – ص114. عياض: نفسه – ج2 – صص267-268.
4- عياض: نفسه – ج2 – ص318.
5- ابن بشكوال: نفسه – ص418.
6- نفسه: ص285.
7- نفسه: ص371.
8- ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص89.
9- ابن خير: فهرسة – ص79.
10-ابن الأبار: نفسه – ج3 – ص99.

اسهاماته في: الفقه والحديث والتفسير والشعر والنثر – واللغة والتأريخ	بيتبني حزم



[1]- ابن بشكوال : الصلة – ص25. الحميدي: المصدر السابق – ص112.

[2]- الحميدي: نفسه – ص277. الضبي: المصدر السابق – ص364. السيوطي: طبقات...ص435. ابن بشكوال: الصلة – ص415. ابن صاعد: طبقات – ص181. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص18-126-128-203-221-238-255-271-275. ج2 – 8-13-71- 128-366. ابن حيان: المقتبس – ق5 –ص37-132.

[3]- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص187 – ج4 – ص59.

[4]- ابن الأبار: نفسه – ج3 – ص180. نفسه: الحلة – ج2 – صص34-35. ابن بشكوال: نفسه – ص464.

[5]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص49. الصفدي: الوافي – ج4 – ص281.

[6]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص188 – ج4 – ص59..

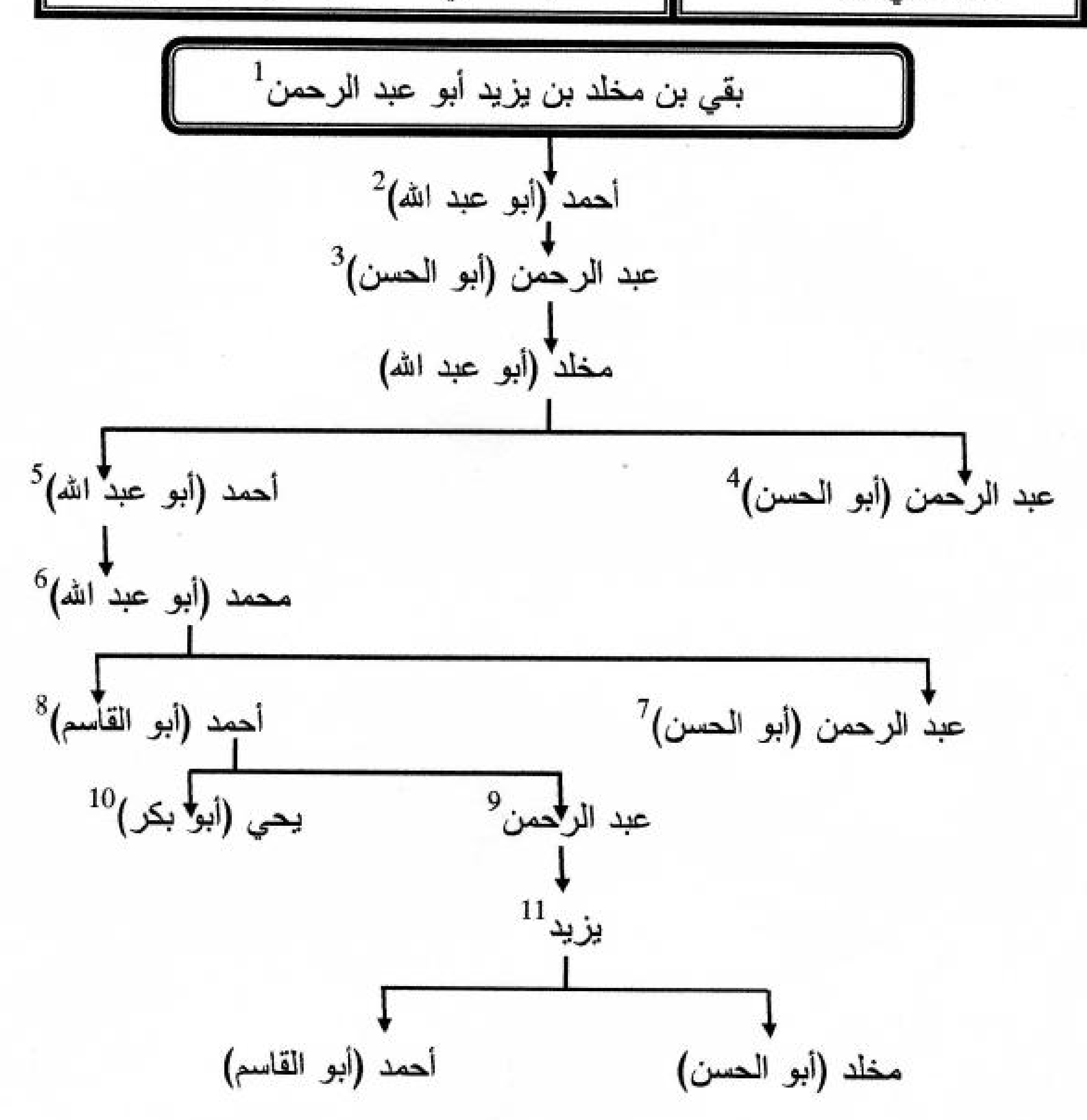
[7]- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص51

[8]- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص51 – ج3 – ص180.

9- الحميدي: نفسه – ص116- ابن بشكوال: الصلة – ص42.

10- ابن الفرضي: نفسه – ص231. الحميدي: نفسه – ص259. الضبي: نفسه – ص343. ابن بشكوال: نفسه – ص380. ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص13.

11- الحميدي: نفسه – ص284. الضبي: نفسه – ص376. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج3 – ص224. القفطي: إنباه الرواة – ج1 – ص83. ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص109-111. ابن بشكوال: الصلة – ص444.



[1]-ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص82. الحميدي: المصدر السابق – ص156. ابن بشكوال: الصلة – صص116-117.

[2]- المقري: النفح – ص190. النباهي: مرقبة – ص64. الخشني: قضاة – ص163. ابن الفرضي: نفسه – ص38. الحميدي: نفسه – ص105. ابن فرحون: نفسه – صص97-98. مخلوف: المصدر السابق – ص87.

[3]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص216. الخشني: قضاة – ص165. ابن بشكوال: الصلة – ص329. مخلوف: نفسه – ص98.

[4]- ابن بشكوال: نفسه – ص329.

[5]- نفسه: ص51.

[6]- نفسه: ص51-550.

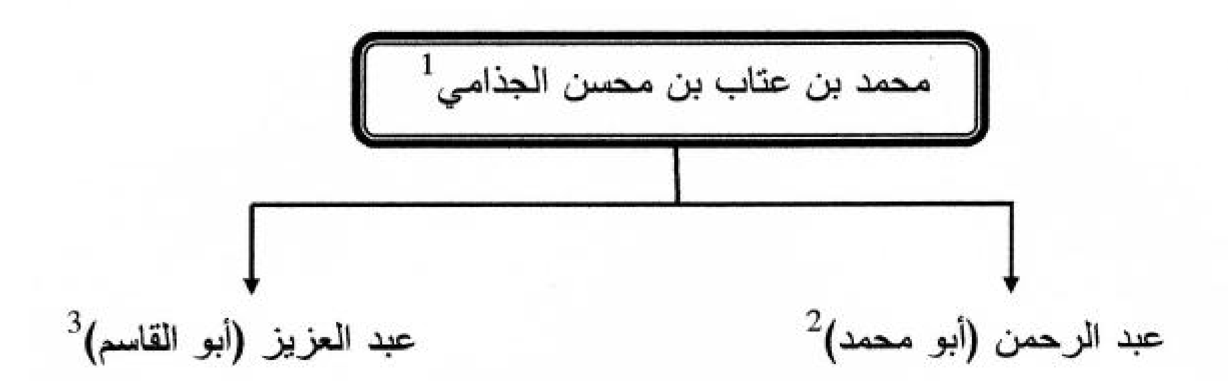
[7]- الضبي: البغية – ص310. ابن بشكوال: نفسه – ص347.

[8]- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص233. ابن بشكوال: نفسه – ص51-79. الضبي: نفسه – ص142.

[9]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص102 – ج2 – ص201 – ج3 – ص29 – ج4 – ص218-233. مخلوف: نفسه – ص152.

[10]- ابن الأبار: نفسه – ج4 – ص171. ابن الزبير: صلة الصلة – مج6 – ص322.

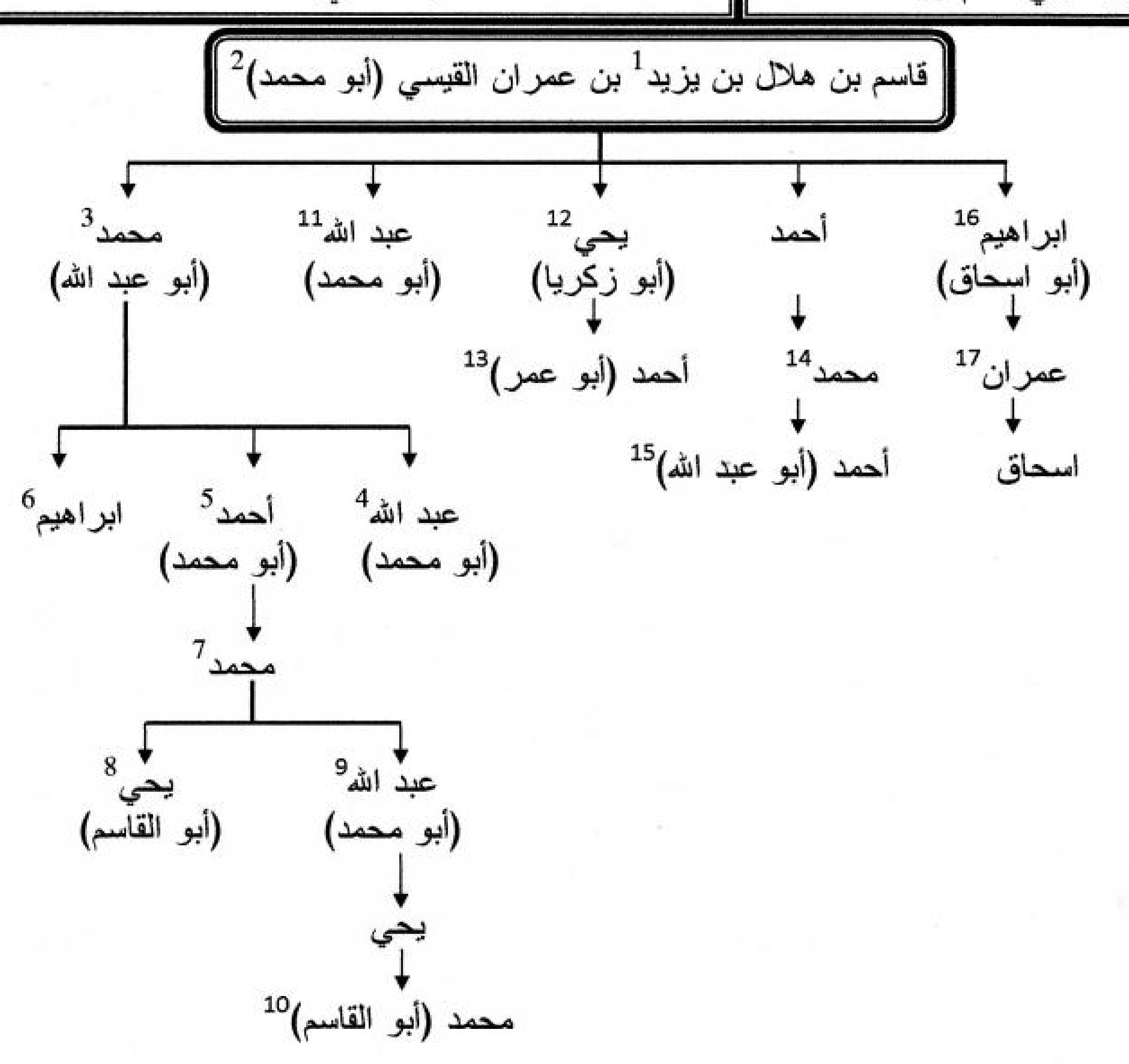
[11]- نفسه: ج1- ص102 – ج2 – ص201 – ج3- ص29. ابن الزبير: نفسه – مج6 – ص360. مخلوف: نفسه – ص152.



[1]- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص353. ابن فرحون: الديباج – ص370. مخلوف: المصدر السابق- ص119. الضبي: المصدر السابق- ص99

[2]- عياض: نفسه – ج2 – 354. ابن فرحون: نفسه – ص246. مخلوف: نفسه – ص119-129-130. ابن بشكوال: الصلة: ص348.

[3]- ابن بشكوال: نفسه – ص371.



[1]- ابن فرقد: عند ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص279.

[2]- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص379. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص279. الحميدي: المصدر السابق – ص300. الخشني: قضاة قرطبة – ص55.

[3]- الحميدي: نفسه – ص77-300. ابن الفرضي: نفسه – صص307-308.

[4]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص180-181.

[5]- نفسه – ص36.

[6]- نفسه – ص23. الحميدي: نفسه – ص132. الضبي: نفسه – ص180.

[7]- نفسه – ص36 – 346. الضبي: نفسه – ص42.

[8]- نفسه – ص445.

9- نفسه – ص191.

10- ابن بشكوال: الصلة – ص505.

11- الحميدي: نفسه – ص232. الضبي: نفسه – ص304.

12- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص434. الحميدي: نفسه – ص342. الضبي: نفسه – ص441.

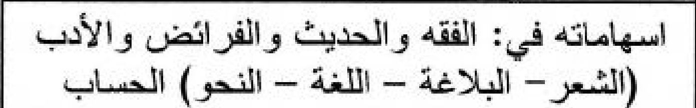
13- نفسه – ص36.

14- عياض: نفسه – ج1- ص184.

15- ابن بشكوال: نفسه – ص10.

16- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص18. الحميدي: نفسه – ص138. الضبي: نفسه – ص190.

17- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص409.

	بيت بني السليم

جعفر بن يزيد بن عبد الله أبو عكرمة[1]

السليم

محمد[2] — أيوب[3] — المنذر

المنذر (بن محمد): سعيد[5] — ابراهيم

المنذر: سعيد[4]

ابراهيم ← منذر[6] ← اسحاق (أبو بكر)[7]

اسحاق (أبو بكر): منذر (أبو الحكم)[8] — محمد (أبو بكر)[9]

محمد (أبو بكر): اسحاق[10] — عبد الله (أبو الوليد)[11]

---

[1]- ابن القوطية : المصدر السابق –ص36. عياض: المصدر السابق- ج2 –ص174.

[2]- الخشني: قضاة قرطبة –ص90. ابن حيان: المقتبس- ق2- ص1-2-28. نفسه: السفر الثاني: ص296-صص416-417. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق-ص341.

[3]- ابن حيان: نفسه –ق2 –صص2-3.

[4]- ابن القوطية: نفسه – ص91.

[5]- ابن القوطية: نفسه- ص84. ابن حيان: نفسه- نشر أنطونيا- ص4-5-53. ابن عذاري: نفسه- ج2- ص151-163.

[6]- ابن حيان: نفسه- ص32-42. ابن عذاري: نفسه- ج2- ص135.

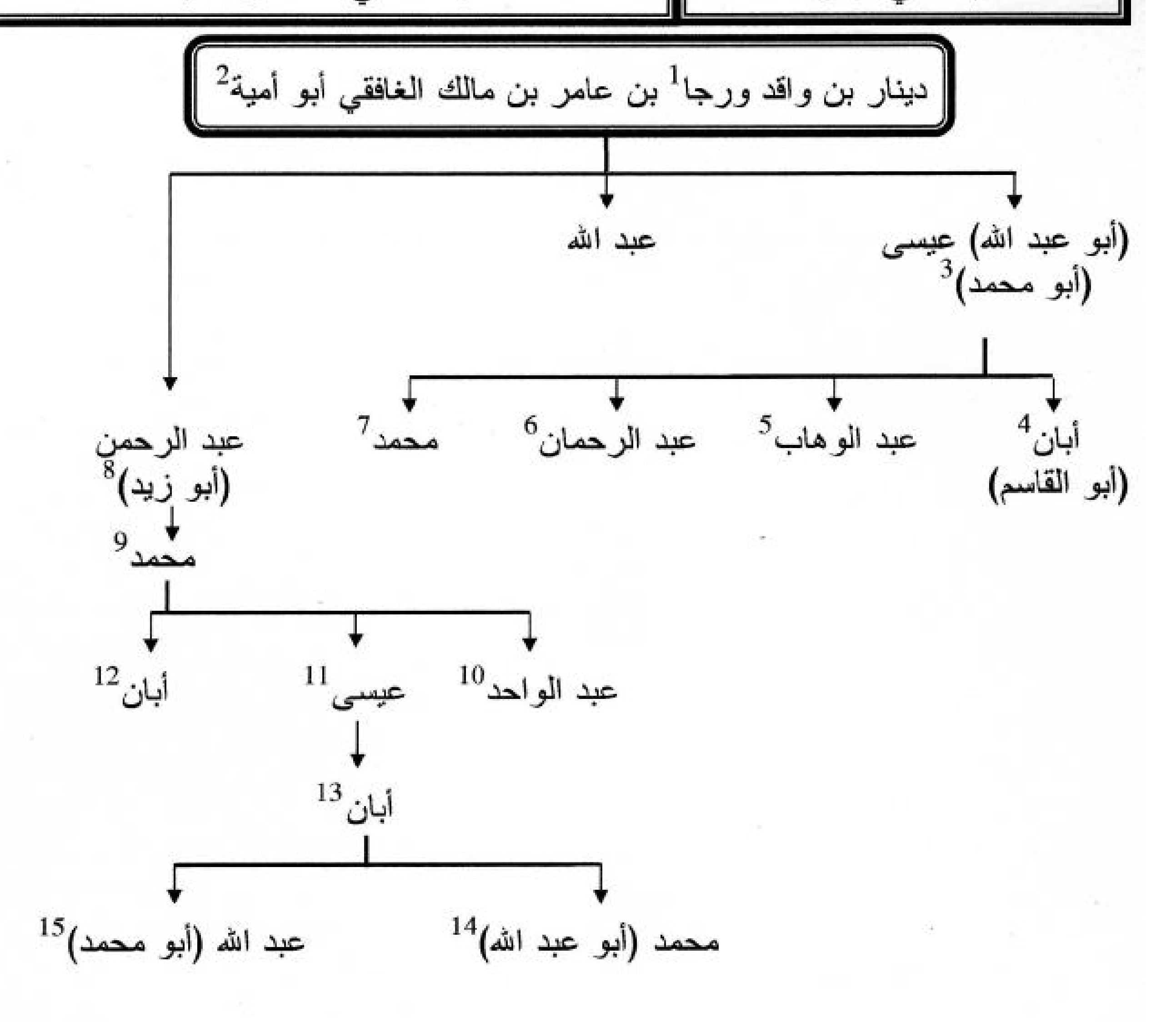
[7]- ابن الأبار: التكملة- ج1 –ص160.

[8]- عياض: نفسه –ج2 –ص179. ابن الأبار: نفسه- ج2-ص190.

[9]- ابن الفرضي: نفسه –ص355. عياض: نفسه-ج2-ص174. ابن فرحون: الديباج الذهب- ص356. الخشني: قضاة قرطبة-ص176. الحميدي: المصدر السابق-ص39. ابن الأبار: الحلة- ج1-ص258. نفسه: التكملة- ج1-ص161. النباهي: مرقبة-ص75. مخلوف: المصدر السابق- ص99. ابن حيان: المقتبس من أبناء أهل الأندلس- ص20-76-116-179.

[10]- ابن الأبار: التكملة –ج1 –ص161.

[11]- عياض: نفسه –ج2 –ص179. ابن بشكوال: الصلة –ص251.



---

[1]- بن راء: عند ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص257.

[2]- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص372. ابن الأبار: نفسه – ج1 -ص257.

[3]- عياض: نفسه – ج1 – ص373. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص262. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص156-161-192-199. نفسه: ق2- ص42-78. ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص257. نفسه: الحلة – ج1 – ص88-99. ابن فرحون: الديباج – ص279. مخلوف: المصدر السابق -ص64. ابن بشكوال: الصلة – ص245. الضبي: المصدر السابق – ص351.

[4]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص27. الحميدي: نفسه – ص151. عياض: نفسه – ج1 – ص375-453. ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص46. ابن فرحون: نفسه – ص160. الخشني: قضاة قرطبة – صص18-19. مخلوف: المصدر السابق – ضص64-75.

[5]- عياض: نفسه – ج1 – ص454.

[6]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص213. الحميدي: نفسه – ص244. عياض: نفسه – ج1 – ص454.

[7]- عياض: نفسه – ج1 – ص454. ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص285. المقري: النفح – ج2 – ص295.

[8]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص211. الحميدي: نفسه – ص241. عياض: نفسه – ج1 – ص372-374. ابن بشكوال: المصدر السابق – ص245. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص222. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص257. ابن فرحون: نفسه – ص243.

[9]- عياض: ج1 – ص454.

[10]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص234.

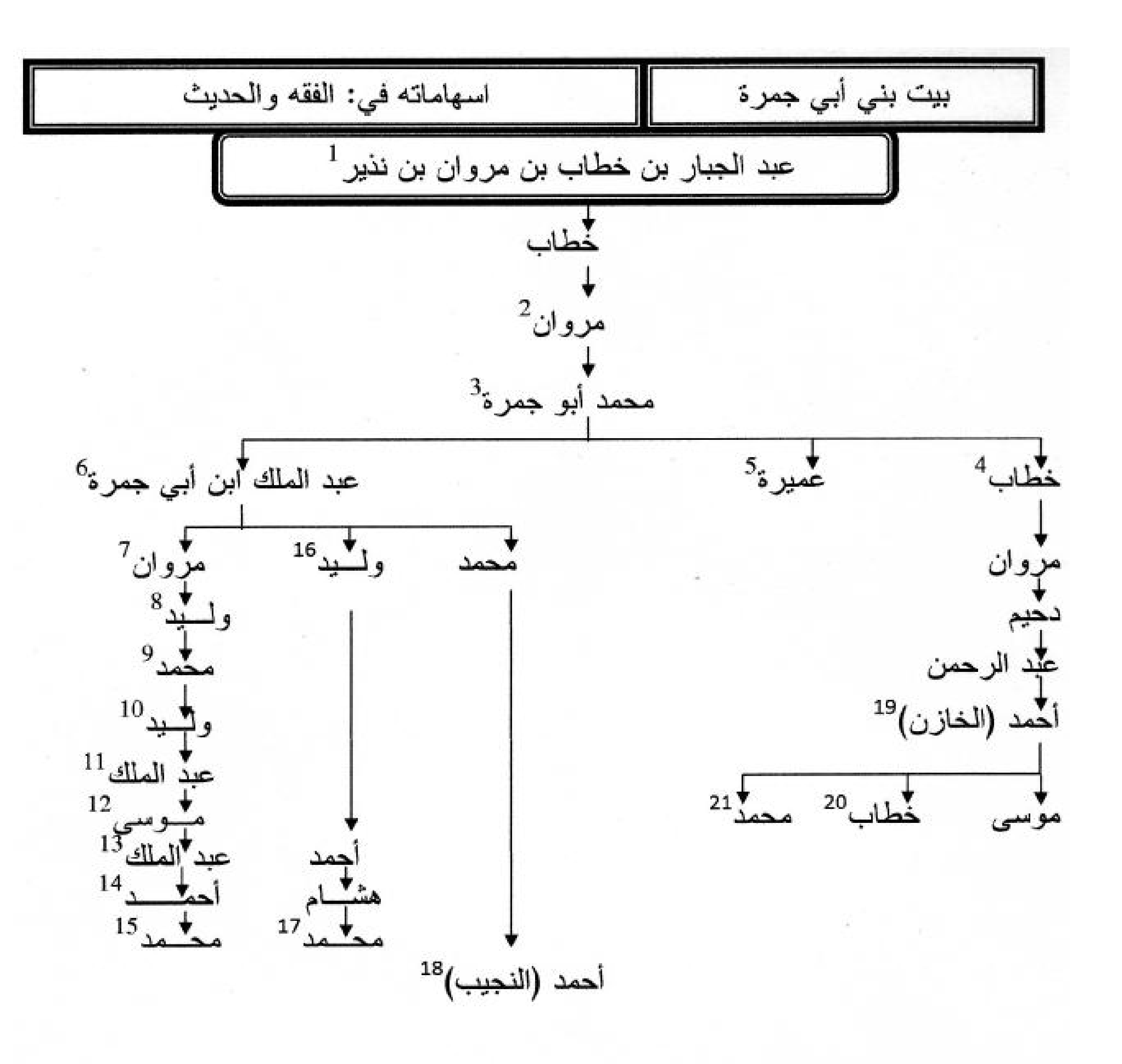
[11]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص263. الضبي: نفسه – ص350.

[12]- نفسه: ص27. الحميدي: نفسه – ص151.

[13]- نفسه: نفس المصدر والصفحة. عياض: نفسه – ج2 -ص107.

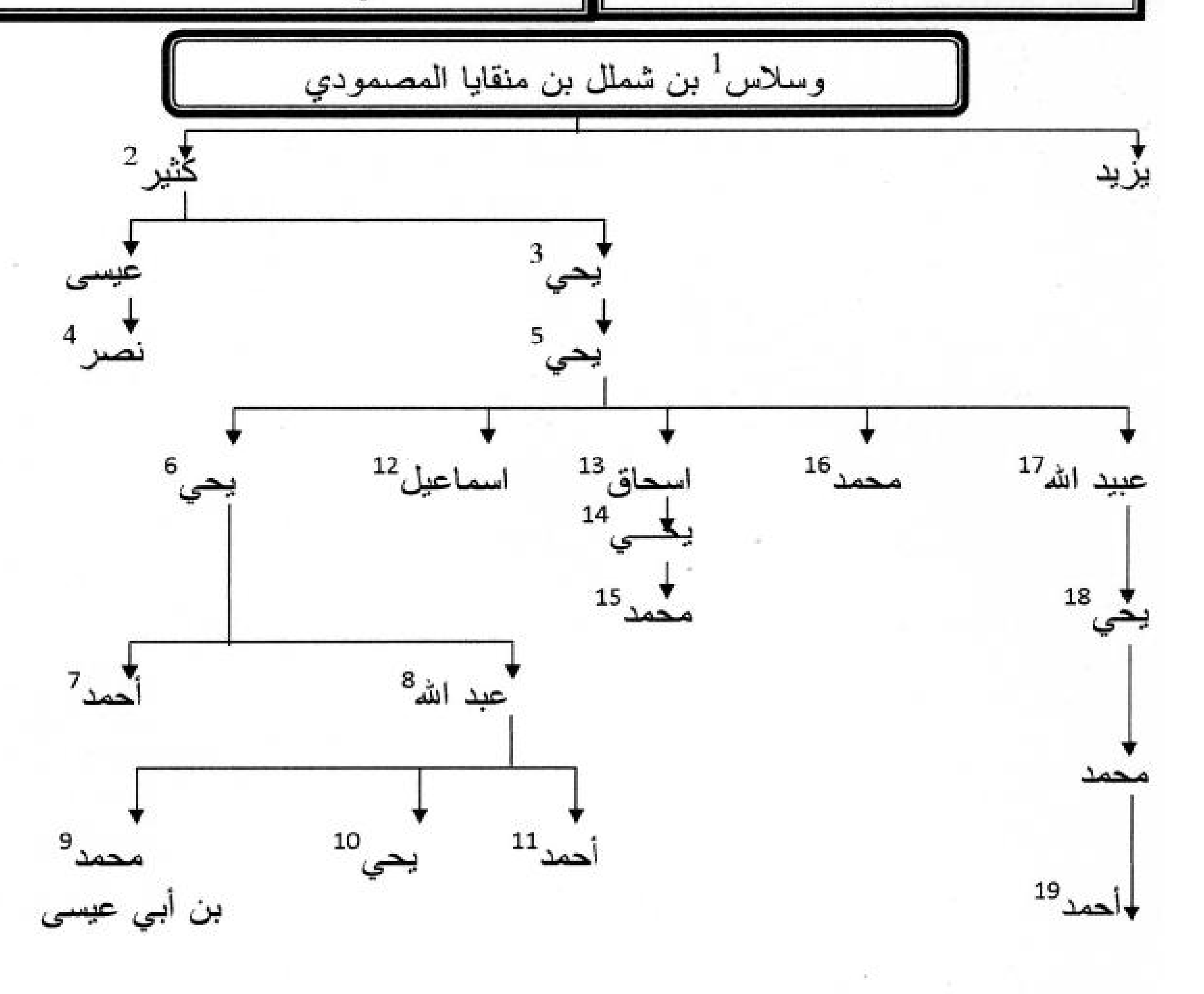
[14]- عياض: نفسه – ج2 – ص184. ابن فرحون: نفسه – ص358.

[15]- نفس المصدر والجزء والصفحة – نفس المصدر والصفحة. ابن بشكوال: نفسه – ص244.



---

[1]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص44 – ج2 – ص80-82. ابن الدلائي: المصدر السابق – ص15.
[2]- نفسه – ج1 – ص44- ج2 – ص82.
[3]- نفسه – ج1 – ص44 – 238-285 – ج2 – ص80.
[4]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص238-285.
[5]- نفسه – ج1 – ص238-285. ابن الفرضي: المصدر السابق – ص261.
[6]- نفسه – ج1 – ص285 – ج3 – ص67. ابن الزبير: صلةالصلة – مج6 –ص135.
[7]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص183- ج3 – ص67.
[8]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص183 – ج4 – ص151. ابن الزبير: نفسه – مج6 – ص315.
[9]- نفسه – ج1 – ص293- ج4 – ص151.
[10]- نفسه – ج1 – ص293 – ج4 – ص152. ابن الزبير: نفسه – مج6 – ص315.
[11]- نفسه – ج3 – ص69 – ج4 – ص152. ابن الزبير: نفسه – مج6 – ص135.
[12]- نفسه – ج2 – ص1725.
[13]- نفسه – ج2 – ص172. ابن الزبير: نفسه – مج6 – ص136.
[14]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص172 – ج1 – ص44. ابن فرحون: الديباج – ص120. السيوطي: بغية الوعاة – ص277.
[15]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص172. نفسه – الحلة –ج2 –ص8. مخلوف: شجرة النور الزكية –ص162.
16- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص418. ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص82.
17- الضبي: البغية – ص121.
18- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص93. ابن فرحون: نفسه – ص124.
19- ابن الدلائي: نفسه – ص15. ابن الأبار: الحلة – ج2 – صص312-313.
20- الضبي: نفسه – ص249.
21- نفسه – ص44.



1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص431. الحميدي: المصدر اسابق – ص345. ابن الأبار: التكملة –ج4 – ص160. عياض: ترتيب المدارك – ج1 – ص310.

2- عياض: نفسه – ج1 – ص310. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص431. الحميدي: نفسه – ص345. مخلوف: المصدر السابق – ص63. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص16 –ج4 – ص160.

3- يحي بن بكير عند عياض: نفسه – ج1 – ص310. ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين – ص261. ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص431. مخلوف: المصدر السابق – ص63.

4- عياض: نفسه –ج1 – ص310.

5- عياض: نفسه –ج1 –ص310. ابن حارث الخشني: نفسه –ص261. ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص431. الحميدي: نفسه – ص345. المقري: النفح –ج2 – ص186. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص102-123. نفسه – ق2 – ص40-46-48.

6- مخلوف: نفسه – ص64.

7- ابن الفرضي الأزدي: نفسه– ص29. الحميدي: نفسه– ص131. ابن الأبار: التكملة–ج1–ص13. ابن فرحون: نفسه–ص89. مخلوف: نفسه–ص77.

8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص186. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص13.

9- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –صص339-340. عياض: نفسه – ج1 – ص84. الحميدي: نفسه – ص66-361. ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص174. ابن حارث الخشني: قضاة قرطبة – ص77-88. النباهي: مرقبة – صص59-60. ابن فرحون: الديباج – ص361.

10- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص442. الحميدي: نفسه –ص340. عياض: نفسه – ج2 – ص89. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص13. ابن حيان: المقتبس – عهد الحكم –ص170. مخلوف: نفسه – ص99.

11- ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص417. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص15. مخلوف: نفسه – ص87. السيوطي: بغية الوعاة –ص269.

12- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص150.

13- ابن الفرضي الأزدي: نفسه - ص67. الحميدي: نفسه – ص149. عياض: نفسه –ج1 –ص361. مخلوف: نفسه – ص64-76.

14- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص437. الحميدي: نفسه – ص337. عياض: نفسه –ج1 –ص317. مخلوف: نفسه –صص76-77.

15- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص292

16- نفسه – ج1 – ص285.

17- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص206. ابن حيان: المقتبس– السفر الثاني–ص193-211. عياض: نفسه –ج1- ص316. الحميدي: نفسه – ص237. 18- ابن الفرضي الأزدي: نفسه - ص207-437. ابن فرحون: نفسه –ص436. مخلوف: نفسه –صص76-77.

19- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص51. ابن الأبار: نفسه –ج1 –صص16-17.

عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله أبو محمد[1]

مغيث[2]

يونس[3]

محمد (أبو بكر)[4]

مغيث (أبو الحسين)[5]

محمد (أبو الوليد)[6]

يونس (أبو الحسن)[7]

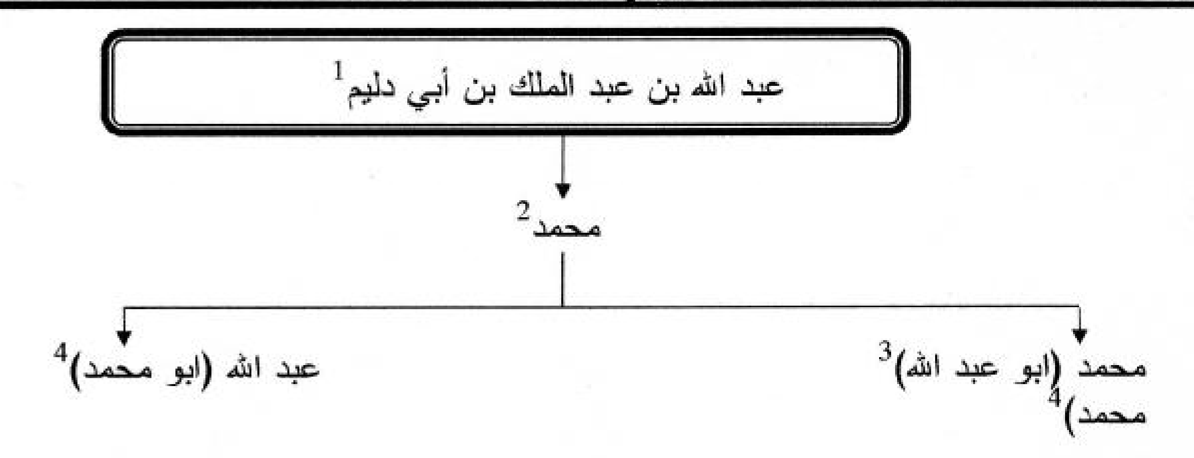
مغيث (أبو يونس)[9]

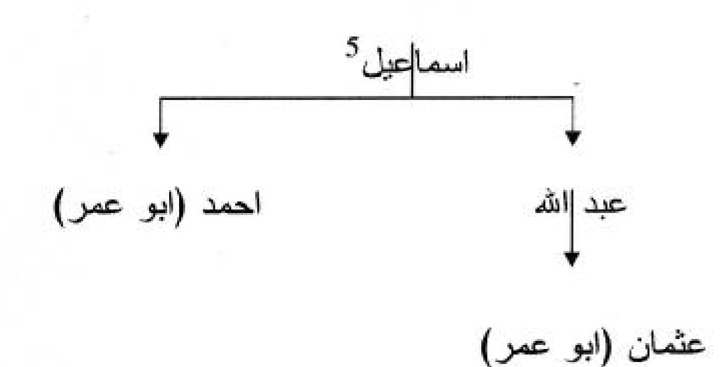
محمد (أبو الوليد)

عبد الله (أبو عبد الله)[10]

يونس (أبو الحسن)[8]

1- ابن بشكوال: الصلة – ص242.
2- نفسه – ص629.
3- ابن الأبار: التكملة –ج4 –صص157-158. عياض: المصدر السابق – ج2 – صص305-306. ابن خير: فهرسة –ص287. الحميدي: المصدر السابق –ص347. النباهي: مرقبة –ص8-95-96. ابن بشكوال: نفسه – ص684.
4- ابن بشكوال: نفسه –ص509.
5- نفسه: ص688.
6- نفسه: ص535.
7- الضبي: البغية – ص447. ابن بشكوال: نفسه –ص629-688. مخلوف: المصدر السابق – ص133.
8- ابن الأبار: نفسه –ج4 –ص230.
9- نفسه: ج4 – ص230.
10- نفسه: ج2 –ص272. مخلوف: نفسه – ص154. أحمد باب التنبكتي: نيل الابتهاج – ج1 –صص224-225.





عثمان (ابو عمر)

[1]- مخلوف: المصدر السابق – ص99.
[2]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص338.
[3]- نفسه: ص361. الحميدي: المصدر السابق –ص35. عياض: المصدر السابق –ج2 –ص108. مخلوف: نفسه –ص99. ابن فرحون: المصدر السابق – ص350.
[4]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –صص191-192. عياض: نفسه –ج2 –ص108. مخلوف: نفسه –ص90.
[5]- لم أستطع التثبيت من نسب أفراد هذه الأسرة لألحقهم بشجرة بيت بني دليم أعلاه. ينظر الحميدي: نفسه –ص105. ابن بشكوال: الصلة – ص405. ابن الأبار: التكملة- ج2- ص241.

بيت بني الحذاء	اسهاماته في: الفقه والحديث و القرآن والأثر والشعر

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن يعقوب بن داود التميمي أبو عمر[1]

↓

يحي[2]

↓

محمد (أبو عبد الله)[3]

↓

أحمد (أبو عمر)[4] — عبد الله (أبو محمد)[5]

---

[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص39. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني –صص160-161.

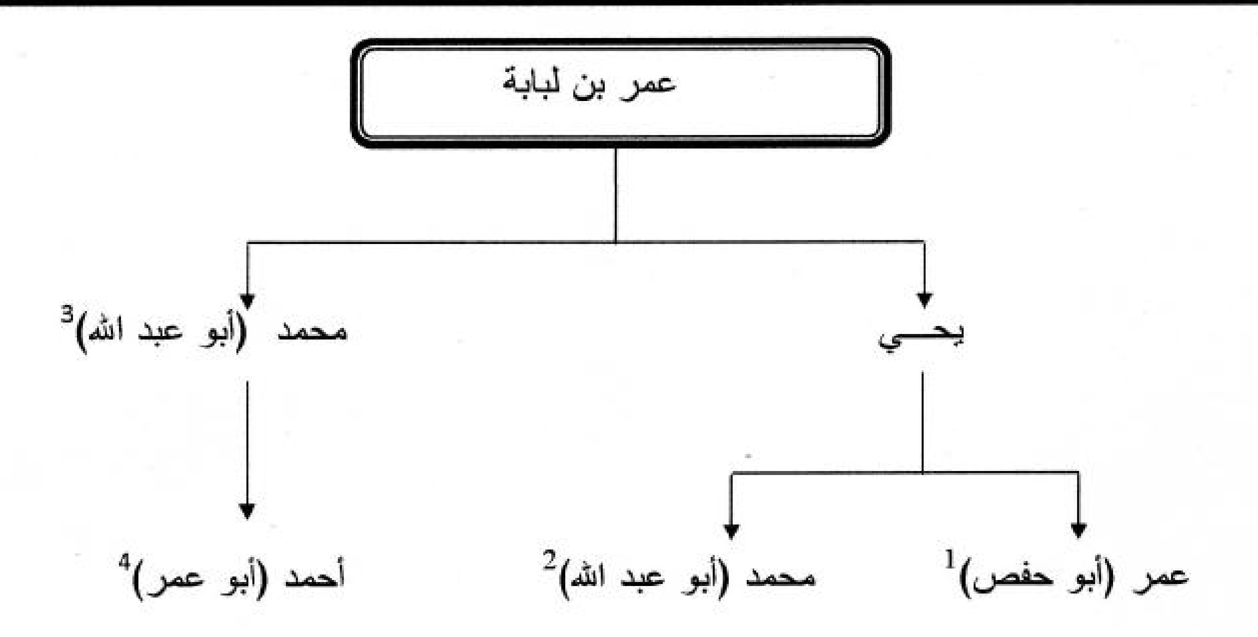
[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق –ص663.

[3]- عياض: المصدر السابق –ج2 –ص301. ابن خير: فهرسة –ص93-267. مخلوف: المصدر السابق –ص112. ابن فرحون: المصدر السابق –ص368. ابن بشكوال: نفسه –ص505–محمد بن عبد الله: تراث المغاربة –ص69-92.

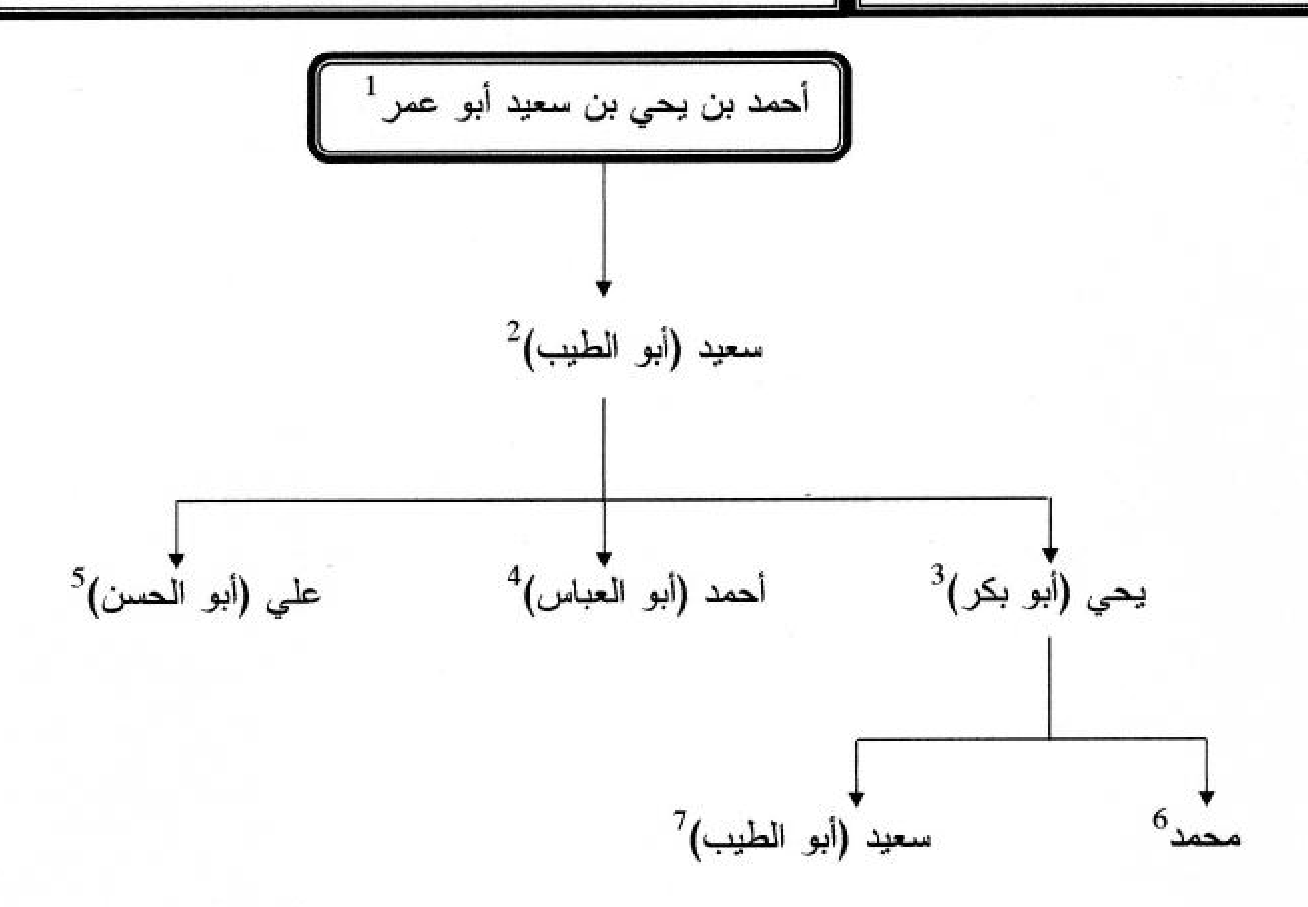
[4]- عياض: نفسه –ج2 –ص302. الحميدي: المصدر السابق –ص362. ابن خير: نفسه –ص93-267. ابن بشكوال: نفسه –ص62.

[5]- ابن الأبار: التكملة –ج2 –ص240.

بيت بني لبابة	اسهاماته في: الفقه والحديث و الشعر – النحو – التاريخ

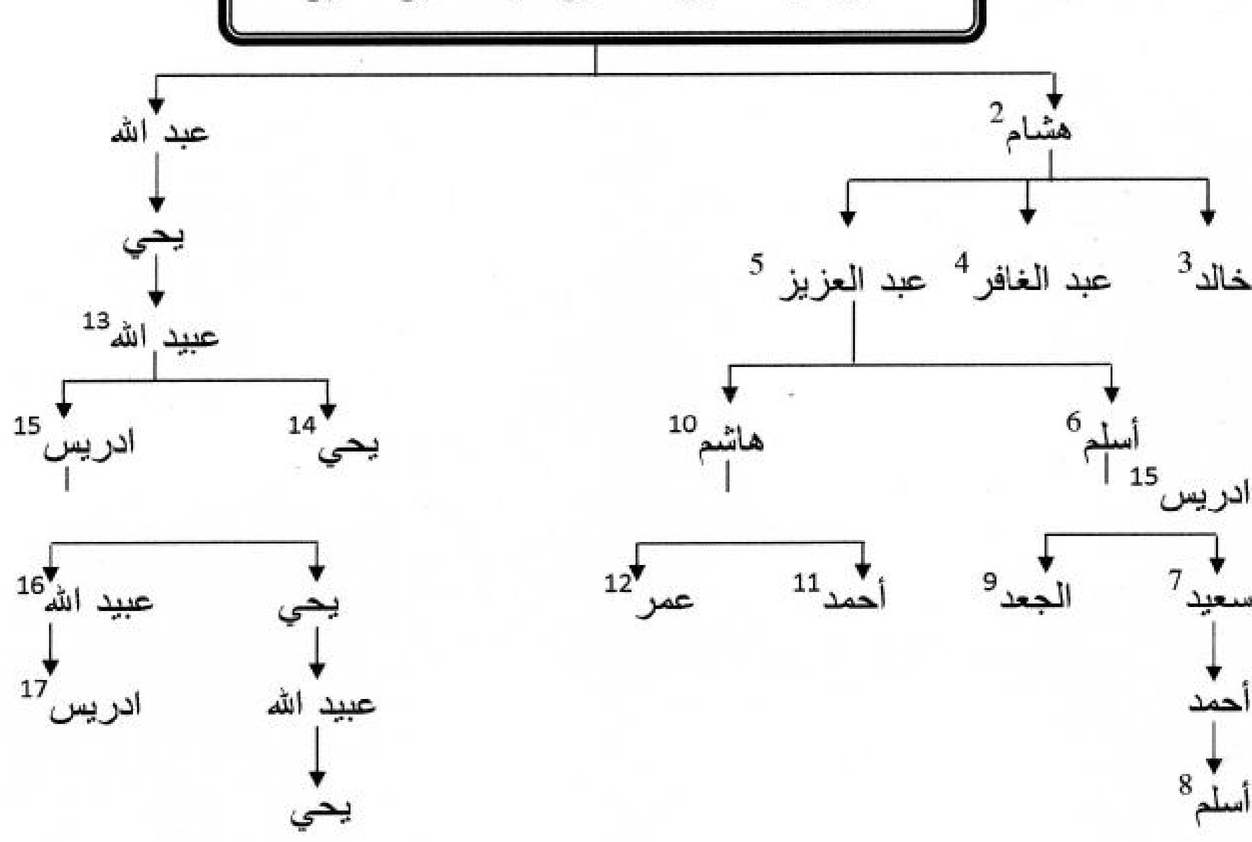


[1]- ابن الأبار: التكملة –ج3 –ص146. ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص409.
[2]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –صص333-334. عياض: المصدر السابق –ج2 –ص80. ابن فرحون: الديباج –ص348. المقري: النفح –ج4 –ص17. مخلوف: المصدر السابق –ص86. ابن حيان: المقتبس – ق5 –ص103. الحميدي: الجذوة –ص67-87.
3- ابن الفرضي: نفسه - صص320-334. ابن القوطية: تاريخ –ص19-43-44. المقري: نفسه –ج3 –ص238 –ج2 –ص185. مخلوف: نفسه –ص86. الحميدي: نفسه –ص67. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني –ص122-128. نفسه – ق2 – ص53-59-84. ابن الأبار: الحلة – ج1 –ص274. ابن فرحون: نفسه –صص343-344.
4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص41. عياض: نفسه –ج2 –ص83.



1- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص261. ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص20.
2- نفسه: ج2 – ص314. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص20. ابن بشكوال: الصلة – ص219.
3- ابن بشكوال: الصلة – ص669.
4- نفسه: ص53.
5- نفسه: ص419.
6- ابن الخطيب: نفسه – ص52.
7- ابن بشكوال: نفسه – ص223.





1- الحميدي: المصدر السابق – ص152.

2- ابن حيان: المقتبس – ق2 – صص29-30.

3- نفسه – نفس القطعة – ص165.

4- نفسه – نفس القطعة – ص326. ابن الدلائي: المصدر السابق – ص62.

5- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – صص295-296-366. نفسه –ق2 –صص29-30.

6- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص50-264. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص81. الحميدي: نفسه – ص152. ابن حارث الخشني: خبار الفقهاء – ص31. نفسه: قضاة قرطبة – ص155. النباهي: مرقبة – ص63. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص137-207. ابن فرحون: الديباج –ص162. ابن الخطيب: الاحاطة –مج1 – ص229. مخلوف: المصدر السابق – ص86. ابن حيان: المقتبس – ق5 – ص75-198-208.

7- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص108.

8- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص82. الحميدي: نفسه –ص152. الضبي: البغية – ص204. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص174.

9- الحميدي: نفسه – ص128-167. الضبي: نفسه – ص223.

10- ابن حيان: نفسه – ق2 – صص134-135. الحميدي: نفسه –ص329. الضبي: نفسه – ص423. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص137-142-161 – ج2 – صص373-376. ابن حارث الخشني: أخبار الفقهاء – ص31.

11- ابن حيان: نفسه – ق2 –ص137. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص124. ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص374.

12- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص139-142-143.

13- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص28-72.

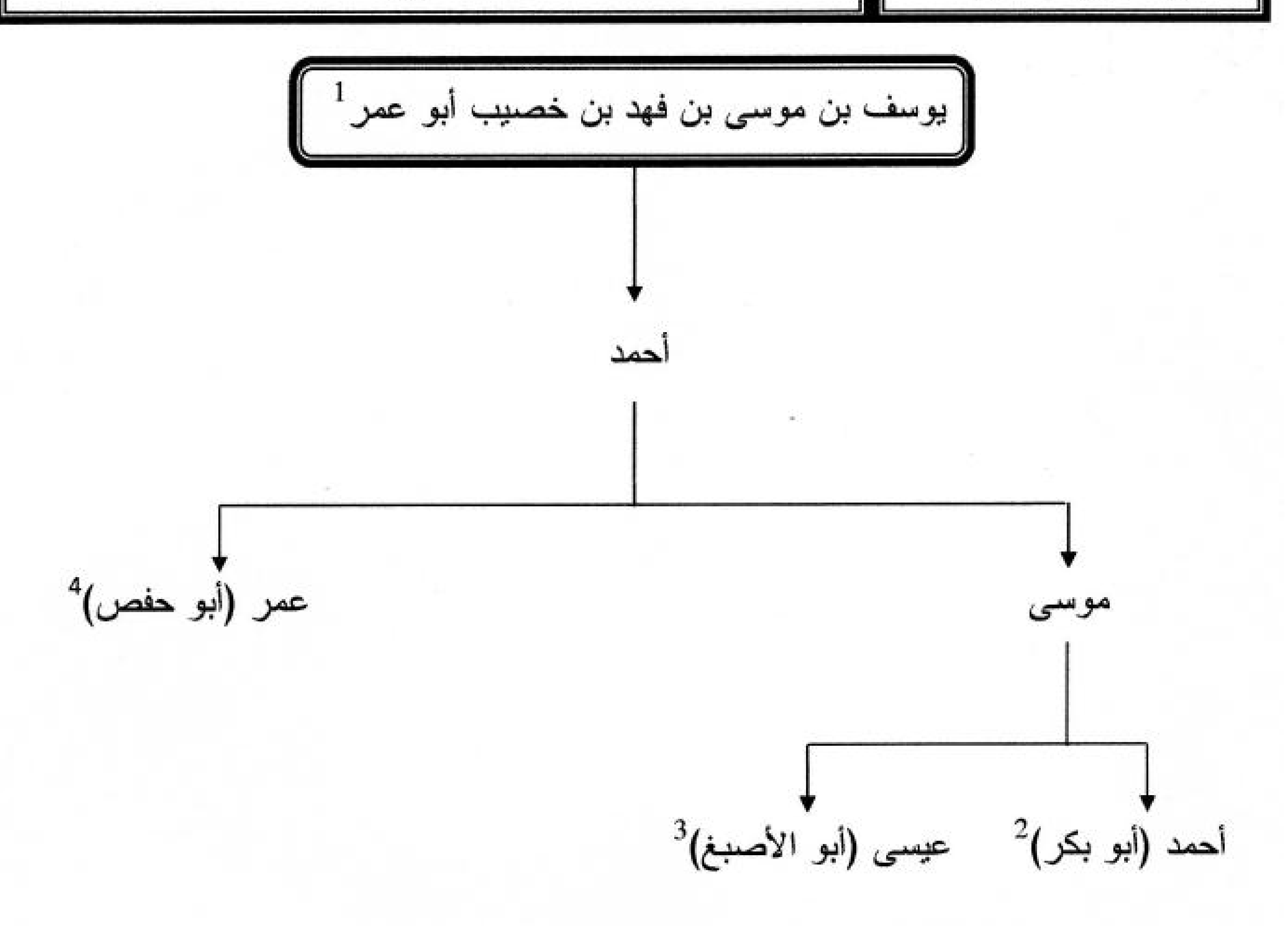
14- ابن حيان: نفسه – ص393.

15- نفسه – ق2 – ص393. نفسه – نشر أنطونيا –ص109. ابن عذاري: البيان – ج2 – ص124.

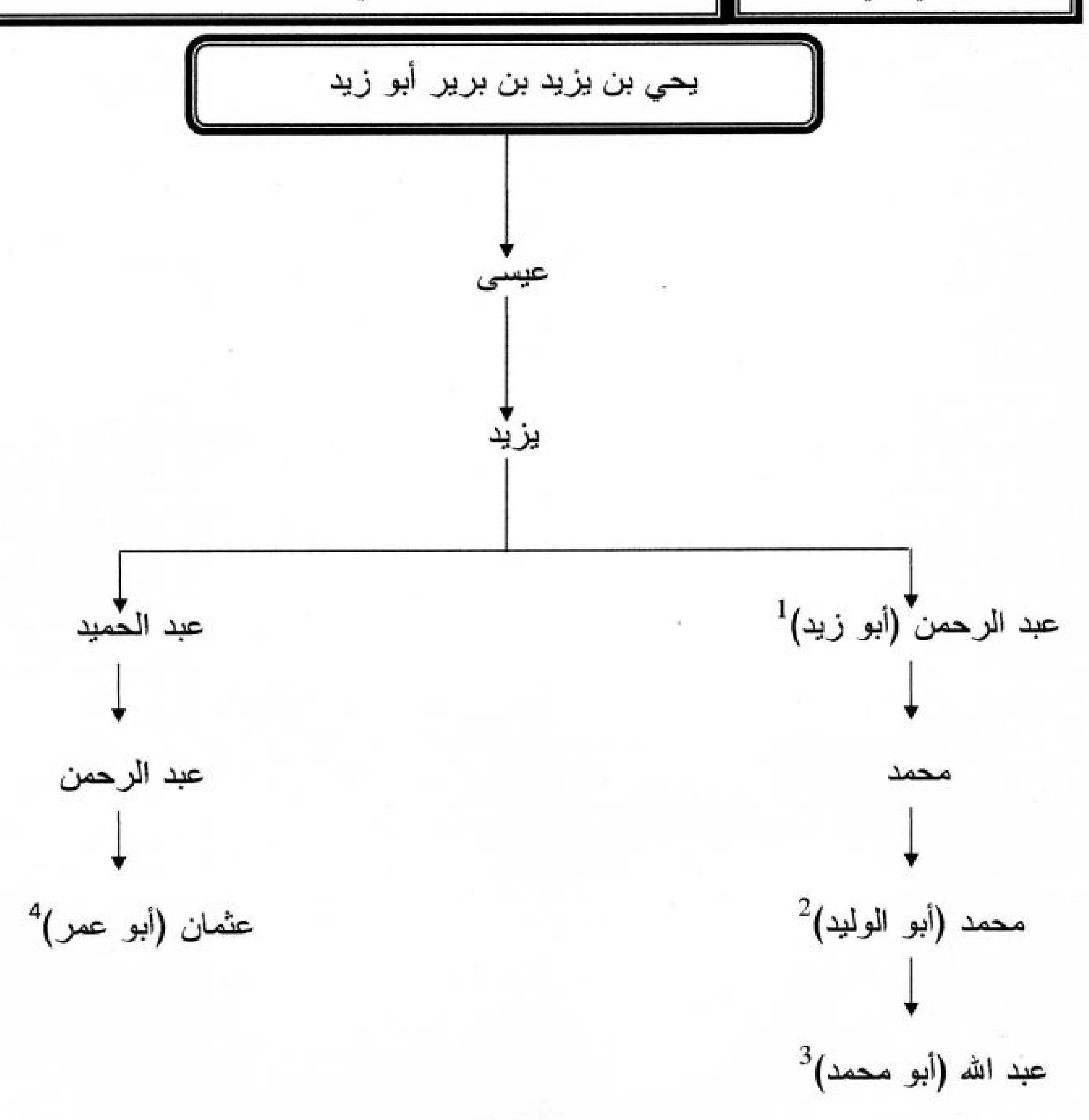
16- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص207. عياض: نفسه – ج2 – ص84.

17- ابن الفرضي: نفسه – ص63. عياض: نفسه – ج2 – ص202.

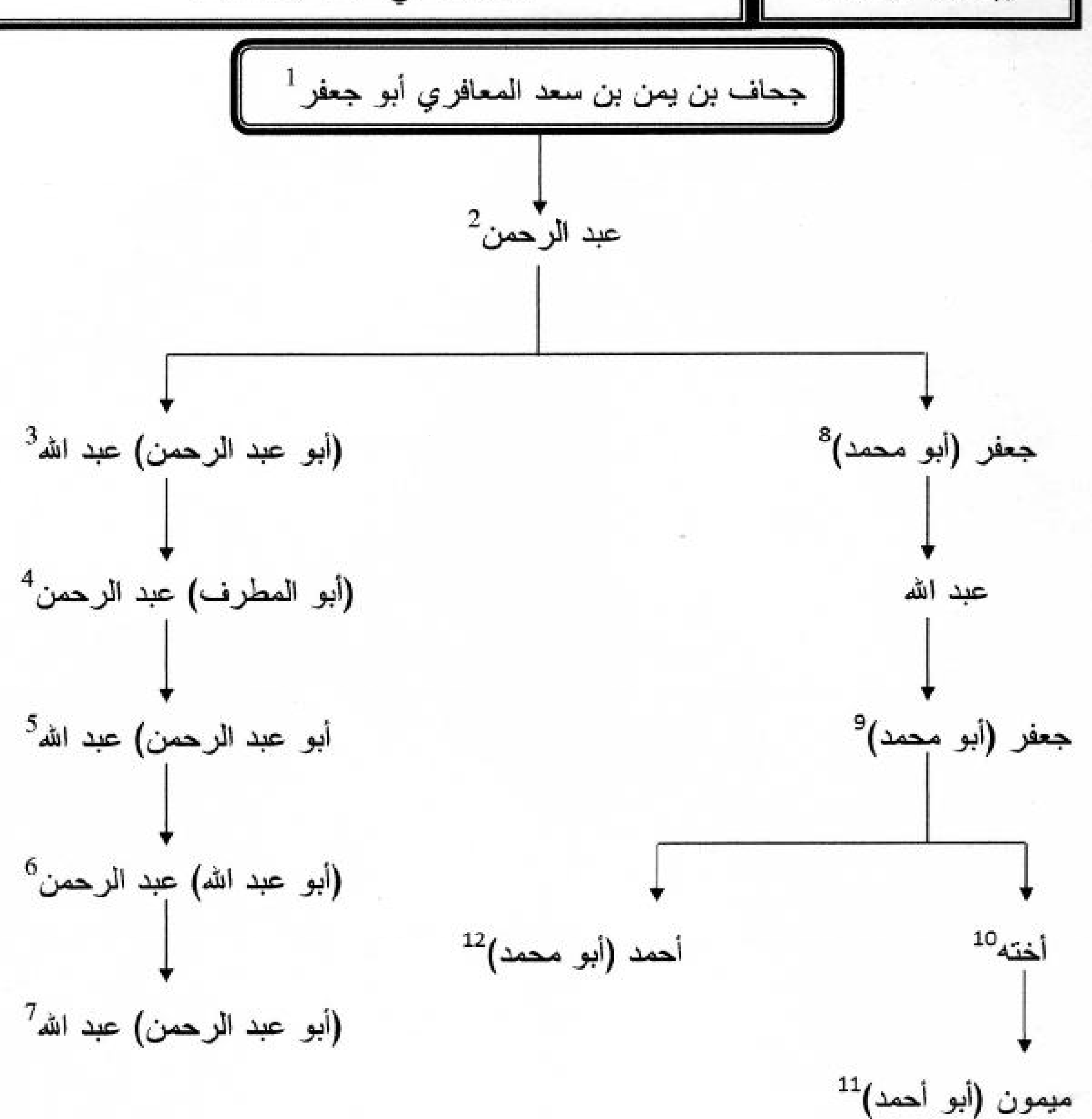
18- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص42-44-46-47. ابن الفرضي: نفسه – ص207.



19- ابن حيان: المقتبس – فترة الحكم – ص90-104-157.
[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص451.
[2]- نفسه – ص57. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص195.
[3]- نفسه – ص266. نفسه: ج2 – ص195.
4- نفسه: ص258. الضبي: البغية – ص358.



1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص213. الحميدي: المصدر السابق – ص239. عياض: المصدر السابق – ج1- ص452.
2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص336.
3- نفسه: ص193.
4- نفسه: ص244. الحميدي: نفسه – ص273.



[1]- ابن الفرضي الأزدي: تاريخ علماء الأندلس- ص92. الحميدي: المصدر السابق – ص167. الضبي: المصدر السابق – صص223-224. عياض: ترتيب المدارك – ج2 ص122.

[2]- عياض: نفسه – ج2 – صص123-124. ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص6. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص235.

[3]- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص193. الحميدي: نفسه – ص231. عياض: نفسه – ج2 – ص123. ابن بشكوال: المصدر السابق – ص262.

[4]- الحميدي: نفسه – ص244. الضبي: نفسه – ص320.

[5]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص246.

[6]- نفسه – ج2 – ص246-262 – ج3 – ص17.

[7]- نفسه – ج2 – ص262.

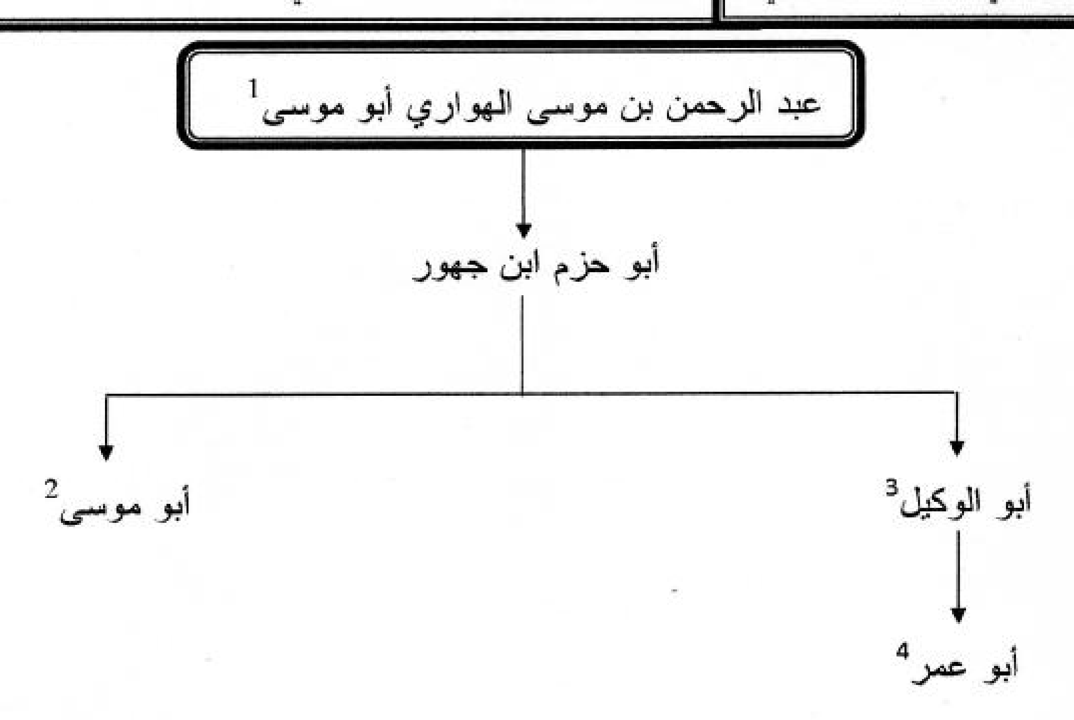
8- ابن الفرضي: نفسه – ص91. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص193.

9- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص53-194. الضبي: نفسه – ص219-224. ابن الأبار: الحلة...ج2 – ص125-127-130-168.

10- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص53.

11- نفسه – نفس الجزء و الصفحة.

12- ابن الأبار: نفسه – ج1 – صص52-53.



[1]- عياض: المصدر السابق – ج1 – ص294. ابن فرحون: الديباج – ص242. ابن القوطية: المصدر السابق – ص41. الفيروز آبادي: البلغة في أئمة اللغة -ص185. السيوطي: بغية الوعاة – ص559.

[2]- عياض: نفسه – ج2 – ص261. علي قاسم : جمهرة تراجم الفقهاء – ج3 – ص1438.

3- نفسه: نفس الجزء والصفحة – نفسه: نفس الجزء والصفحة.

4- نفسه: نفس الجزء والصفحة – نفسه: ج3 – ص1433.

زكريا بن يحي بن عبد الملك بن عبيد الله بن عبد الرحمن الثقفي[1]

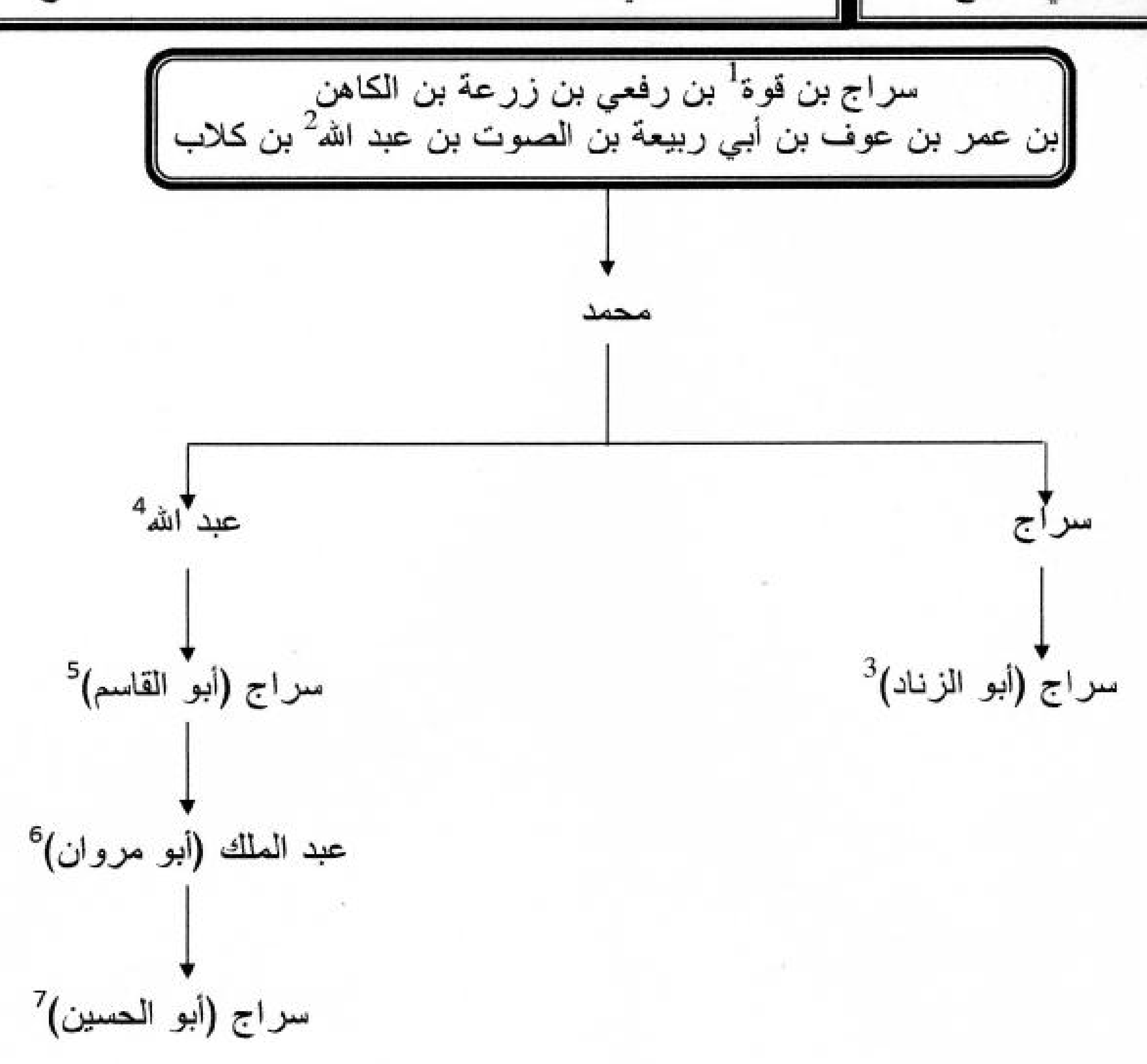
أحمد[2]

يحي[3]

أحمد (أبو عمر)[4]

عبد الله (أبو محمد)[5]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص127. الحميدي: الجذوة – ص191. الضبي: البغية – ص253.
2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص29. الحميدي: نفسه – ص110. الضبي: نفسه – ص154.
3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – صص436-437. الحميدي: نفسه – ص339.
4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص42. الحميدي: نفسه – ص131. الضبي: نفسه – ص179. عياض: نفسه – ج2 – ص96.
5- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص201.



[1]- ذكر أبو الحسين سراج بن عبد الملك– وهو أحد أفراد هذه الأسرة – ان قرة بالراء، وصوابه – قوة. عياض: المصدر السابق – ج2-ص357.

[2]- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص364. عياض: نفسه – ج2 – ص357. ابن الأبار: ج2 – ص236.

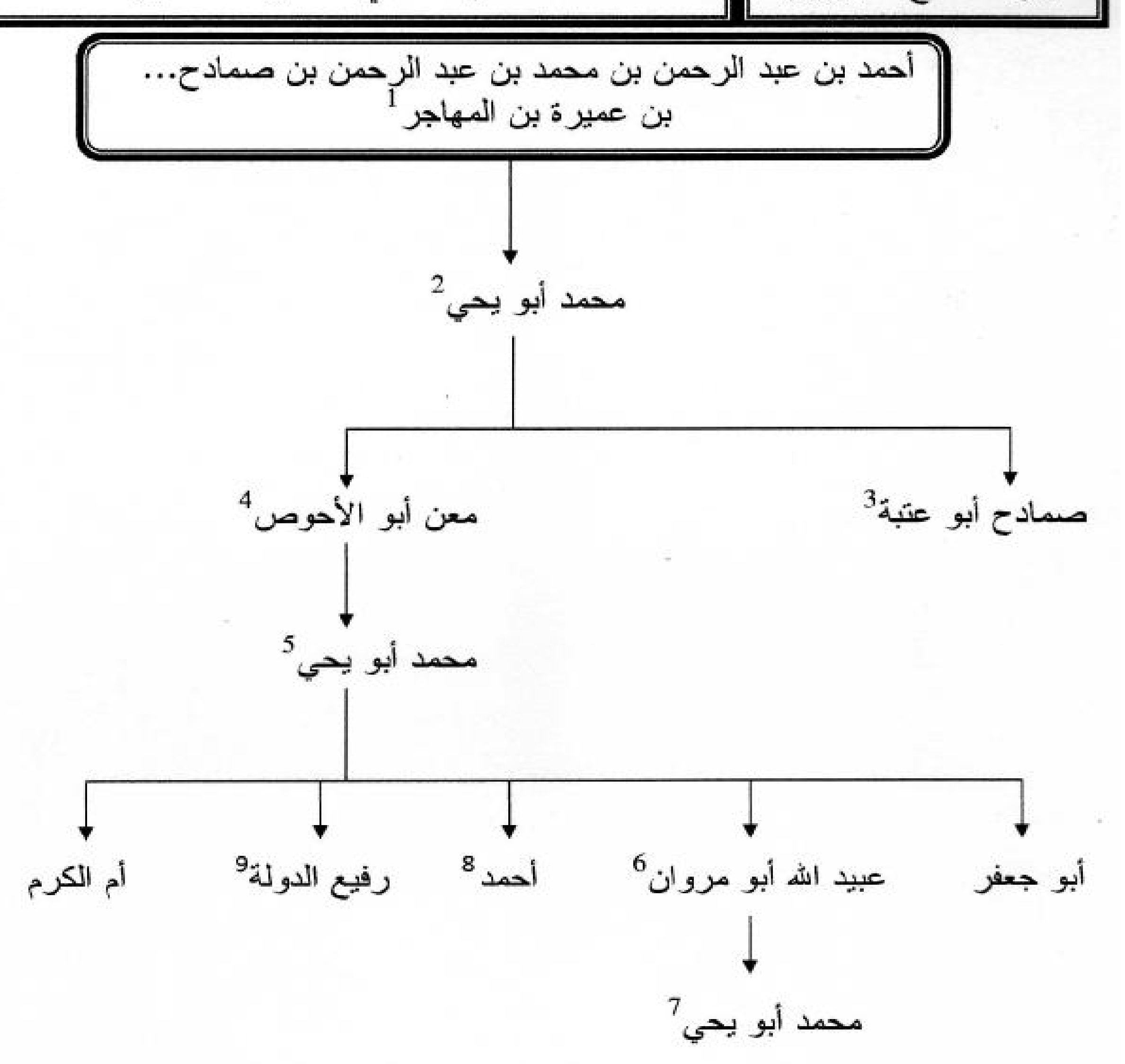
[3]- ابن بشكوال: نفسه – ص226.

4- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص235.

5- عياض: نفسه – ج2 – ص356. ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص236. الضبي: نفسه – ص262. ابن بشكوال: نفسه – ص226. مخلوف: المصدر السابق – ص118. القفطي: إنباه الرواة – ج1 – ص118.

6- عياض: نفسه – ج2 – ص357. الضبي: نفسه – ص262-331. ابن فرحون: الديباج – ص257. ابن بشكوال: نفسه – ص363. ابن خير: فهرسة – ص400. مخلوف: نفسه- ص118-122.

7- عياض: نفسه – ج2 – ص357. الضبي: نفسه – ص263. مخلوف: نفسه – ص123. ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص199. نفسه: الحلة – ج2 – ص173. ابن فرحون: نفسه – ص206. ابن بشكوال: نفسه –ص365. القفطي: نفسه – ج2 –ص66.



1- ابن حزم: جمهرة – ص430.

2- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص308. نفسه – الحلة – ج2 – ص81. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – ص167-173.

3- ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص81.

4- ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص202 – ج1 – ص325. ابن عذاري: نفسه – ج3 –ص167-174.

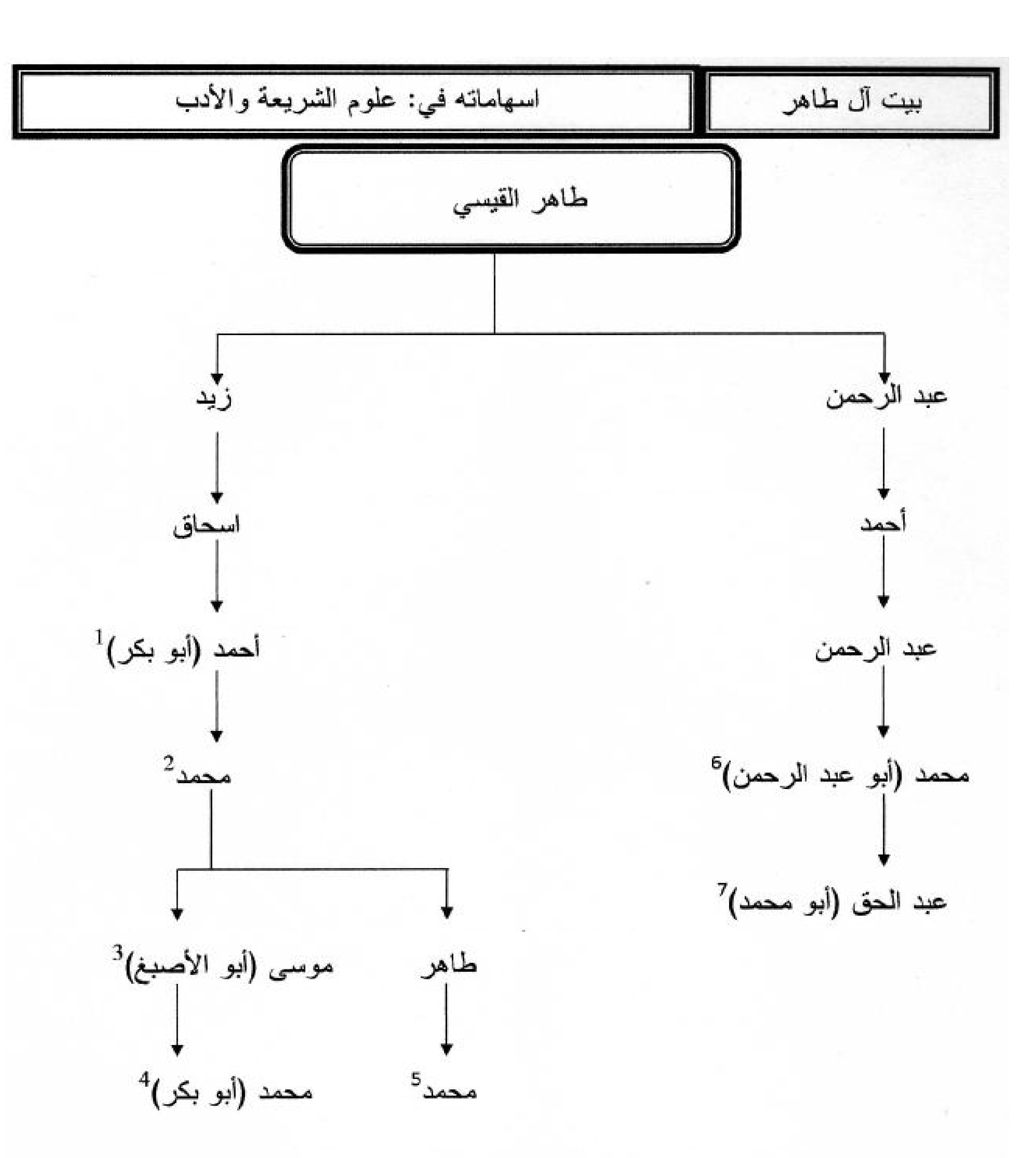
5- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص324. نفسه: الحلة – صص88-89 و ص-165-186-196. العذري: ترصيع الأخبار – ص84.
ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص167-173-174.

6- ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص88-90.

7- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص22. نفسه: الحلة – ج2 – ص93-192.

8- ابن الأبار: الحلة – ج - صص89-90. ابن الخطيب: أعلام الأعلام – صص191-192.

9- نفسه – ج2 – ص92-192.



[1]- ابن الأبار: الحلة – ج2 – صص116-117.
[2]- نفسه: ج2 – ص116-118-134-141-171. ابن بشكوال: الصلة – ص570.
[3]- ابن الأبار: المعجم – ص191
[4]- نفسه: نفس الصفحة.
5- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص89.
6- نفسه: ج2 – ص47. نفسه: الحلة – ج2 – ص227-230-235.
7- نفسه: ج3 – ص122. نفسه: ج2 – ص234. أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج – ج1 – ص309.

محمد بن قاسم بن حزم بن خلف القلعي أبو عبد الله[1]

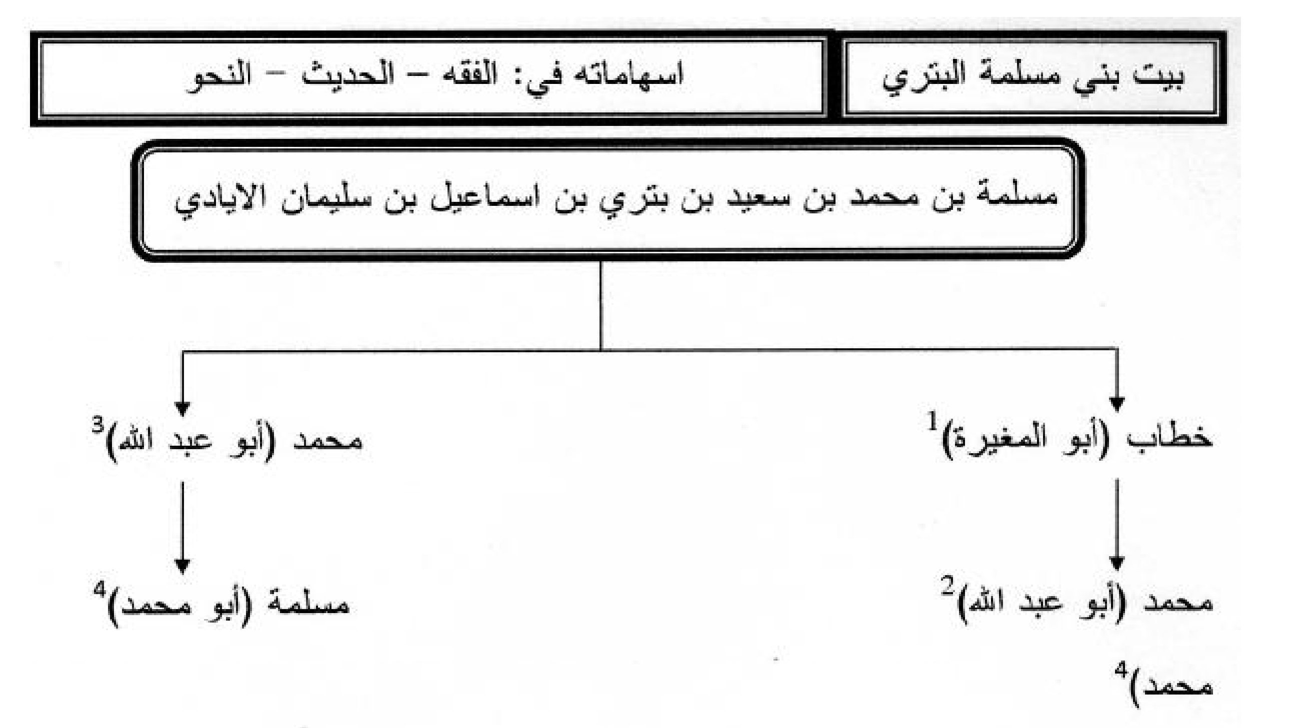
↓

عبد الله (أبو محمد)[2]

↓

عبد الله (أبو بكر)[3]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص344. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص196.
2- ابن الفرضي الأزدي: نفسه -ص202. الحميدي: المصدر السابق – ص222.
3- ابن الأبار: التكملة -ج2 – ص242.

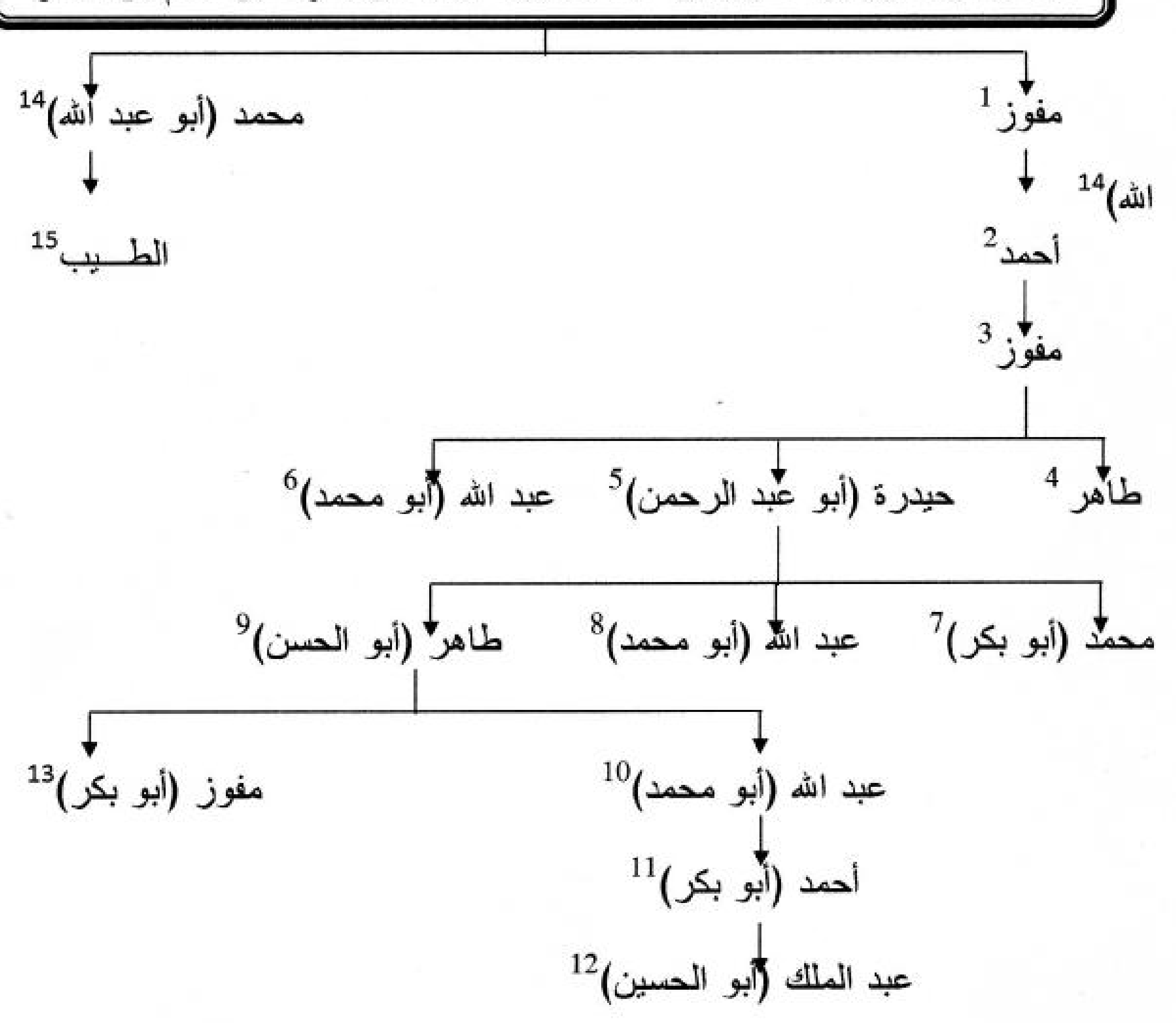


[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص115. الضبي: المصدر السابق – صص249-250. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص191.

[2]- عياض: نفسه – ج2 – ص191.

3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص340.

4- نفسه – ص395. الحميدي: المصدر السابق – ص313. الضبي: نفسه – ص404. عياض: نفسه – ج2 – ص191. ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص208.



1- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص234.

2- نفسه: نفس الجزء والصفحة.

3- نفسه: نفس الجزء والصفحة.

4- نفسه: ج1 – ص273 – ج2 – ص248. الذهبي: تذكرة الحفاظ – ج4 – ص15. ابن بشكوال: الصلة – ص240-568. المقري: النفح – ج2 – صص234-235. السيوطي: طبقات الحفاظ –ص447.

5- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص234.

6- ابن بشكوال: نفسه – ص284.

7- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص273 – ج2 – ص248. نفسه: المعجم – ص94.. الذهبي: تذكرة الحفاظ – ج4 – ص36. ابن بشكوال: نفسه – صص567-568. الضبي: نفسه – ص62. المقري: نفسه – ج2 – ص244 – ج3 – ص7.

8- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص248. نفسه: المعجم – ص208.

9- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص273 – ج2 – ص269.

10- نفسه: ج1 – ص273 – ج2 – ص269. مخلوف: نفسه – صص147-147.

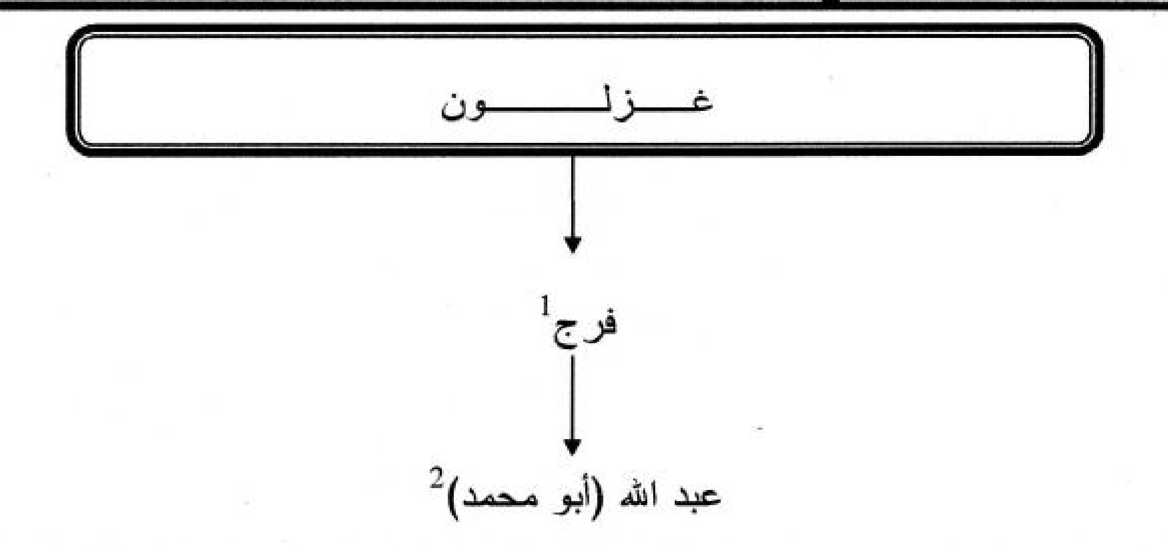
11- عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة.

12- المقري: نفسه – ج5 – ص36-62.

13- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص273 – ج2 – ص208.

14- نفسه – ج1 – ص305.

15- نفسه – ج1 – ص271.



[1]- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص64. ابن بشكوال: الصلة – ص286-461.
[2]- ابن بشكوال: نفسه – ص285.

وسيم بن سعدون بن عمر القيسي أبو محمد[1]

↓

محمد (أبو بكر)[2]

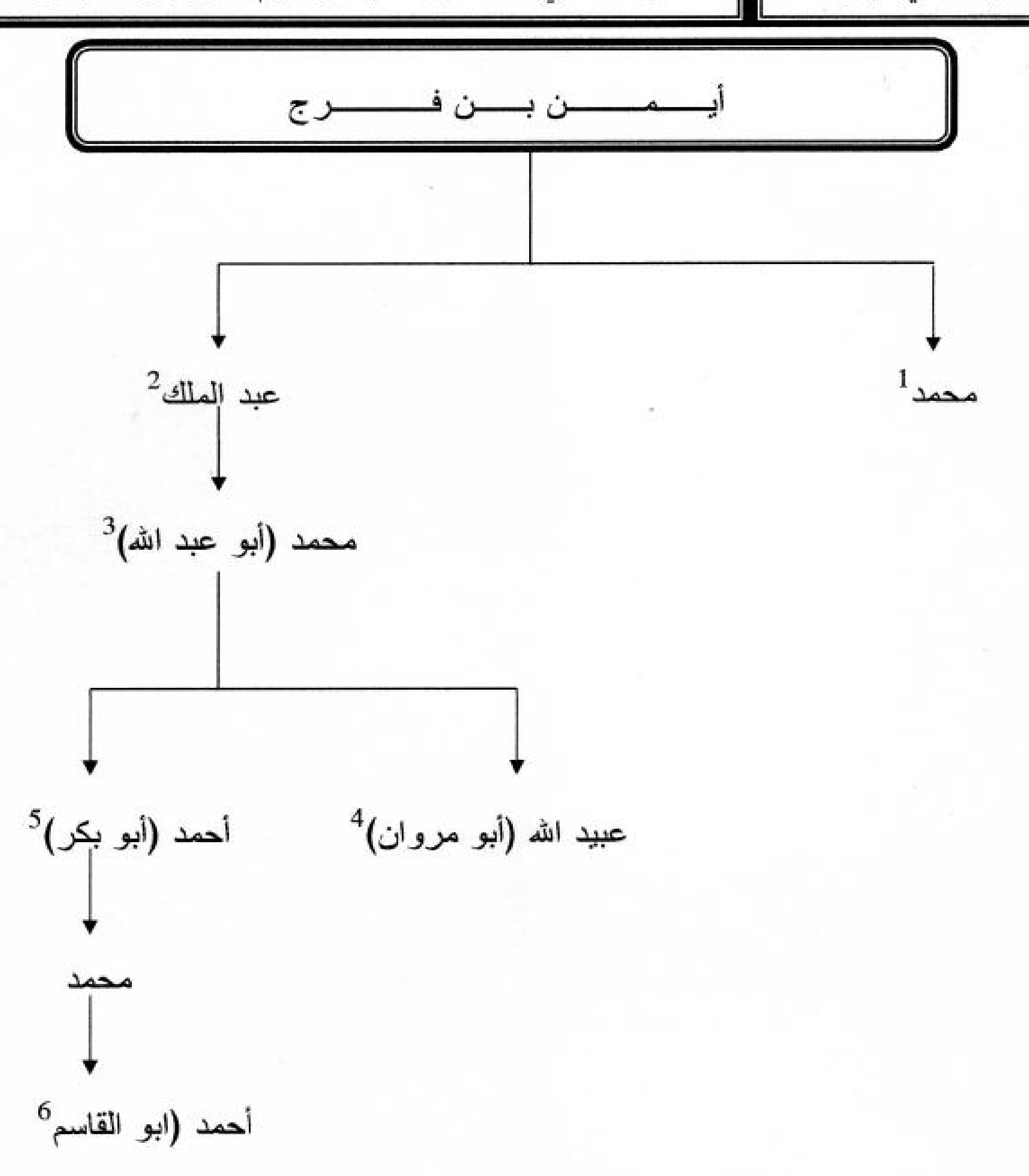
↓

أحمد (أبو بكر)[3]

↓

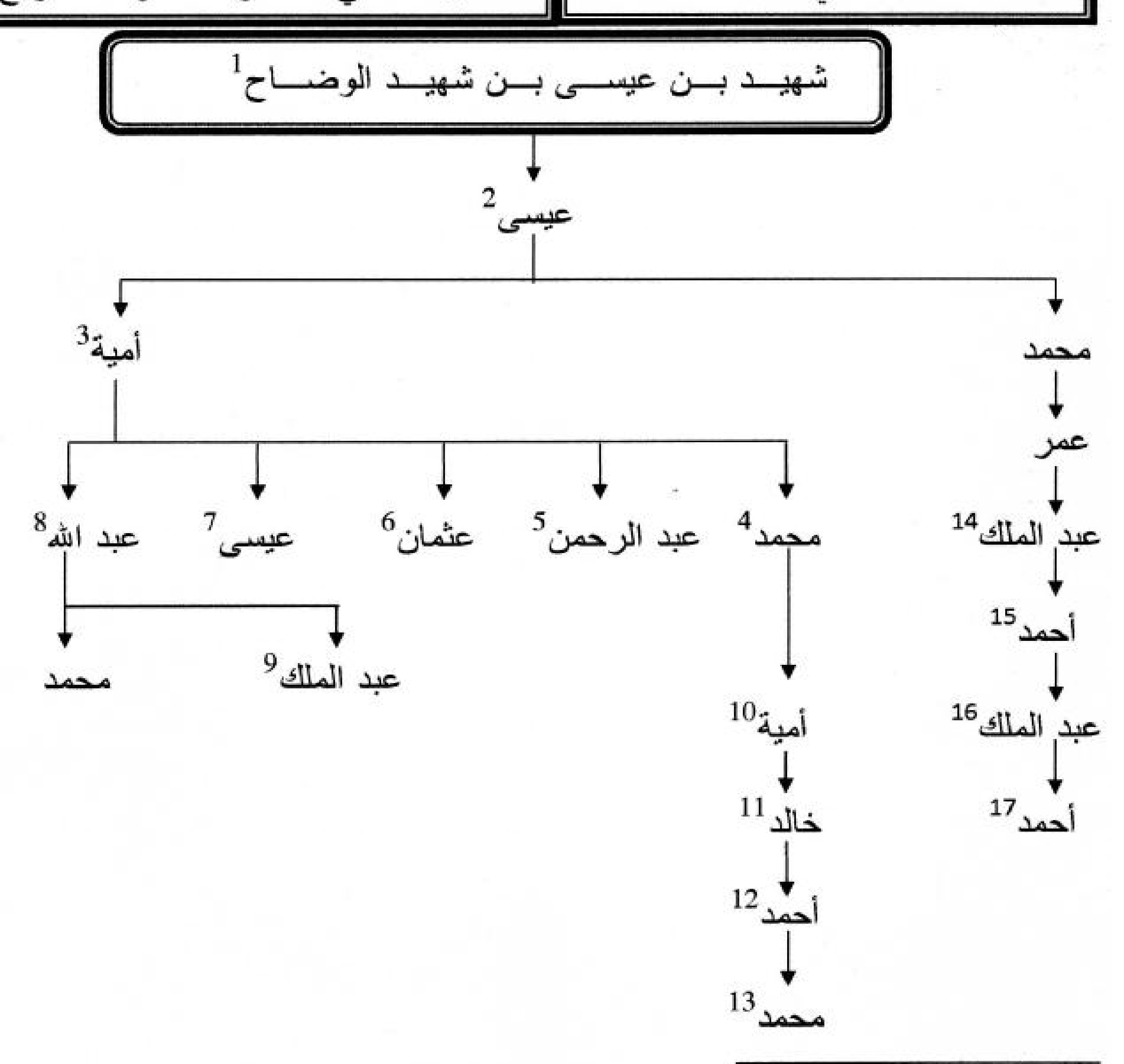
وسيم (أبو بكر)[4]

1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص422.
2- نفسه: ص346. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص121. الداودي: طبقات المفسرين – ص478. عادل نويهض: معجم المفسرين – ج2 – ص646.
3- ابن بشكوال: المصدر السابق – ص25.
4- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص422.



[1]- ابن الأبار : التكملة – ج1 – ص286 – ج3 – ص66.
[2]- الحميدي: الجذوة – ص249. ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص286 – ج3 – ص66.
[3]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – صص332-333. الحميدي: نفسه – ص61. ابن الأبار: نفسه – ج3 – ص66. المقري: النفح – ج4 – ص16. السيوطي: طبقات الحفاظ – ص349. مخلوف: شجرة النور الزكية – ص88. ابن فرحون: الديباج – ص409.
[4]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه – ص208.
[5]- نفسه – صص44-45.
[6]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص24.

البيوتات الأدبية وإسهاماتها في الشعر والنثر



[1]- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني- ص222. ابن القوطية: المصدر السابق –ص39. ابن عذاري: المصدر السابق- ج2- ص63. ابن الأبار: الحلة –ج1 –ص238. الحميدي: المصدر السابق –ص209.

[2]- ابن حيان: نفسه –ص295-424. ابن حيان: المقتبس من أبناء أهل الأندلس –ق2 –صص25-26. ابن القوطية: نفسه –ص59-66. ابن عذاري: نفسه –ج2- ص80-84. ابن الدلائي: ترصيع الأخبار –ص99. ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص135.

[3]- ابن حيان: نفسه –ق2 –ص141-175-320. ابن القوطية: نفسه –ص73.

[4]- ابن حيان: نفسه –السفر الثاني –ص192. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص105-152. ابن حيان: المقتبس –نشر أنطونيا –ص60.

[5]- ابن القوطية: نفسه –ص84. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص113-120-142.

[6]- ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص142.

[7]- نفسه –نفس الجزء والصفحة.

[8]- ابن القوطية: نفسه –ص70-73.

[9]- ابن حيان: المقتبس – نشر انطونيا –صص5-6. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص94-113.

[10]- ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص253.

[11]- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص354-391-470. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص197-202.

[12]- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص408.

[13]- ابن حيان: المقتبس –قطعة الحكم المستنصر بالله –ص174.

14- ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص252-314. الحميدي: المصدر السابق –ص253. ابن الأبار: التكملة –ج3 –صص67-68.

15- ابن حيان: المقتبس –فترة الحكم –ص143. ابن خاقان: مطمح الأنفس –ص9. ابن حيان: المقتبس –ق5-ص284-408-416. الحميدي: نفسه –صص116-117. ابن الأبار: الحلة –ج1 –صص238-239.

16- الحميدي: نفسه –ص248. المقري: النفح –ج4 –صص85-86-ص93. ج2-ص100. ابن بشكوال: الصلة –صص355-356. الفيروز آبادي: البلغة-ص110. ابن الأبار: الحلة –ج1 –صص239-240-276.

17- الحميدي: نفسه –ص117. ابن الأبار: الحلة –ج2 –ص13-184-311. ابن سعيد: رايات المبرزين وغايات المميزين –ص124.

أحمد بن برد الأكبر أبو حفص[1]

↓

محمد[2]

↓

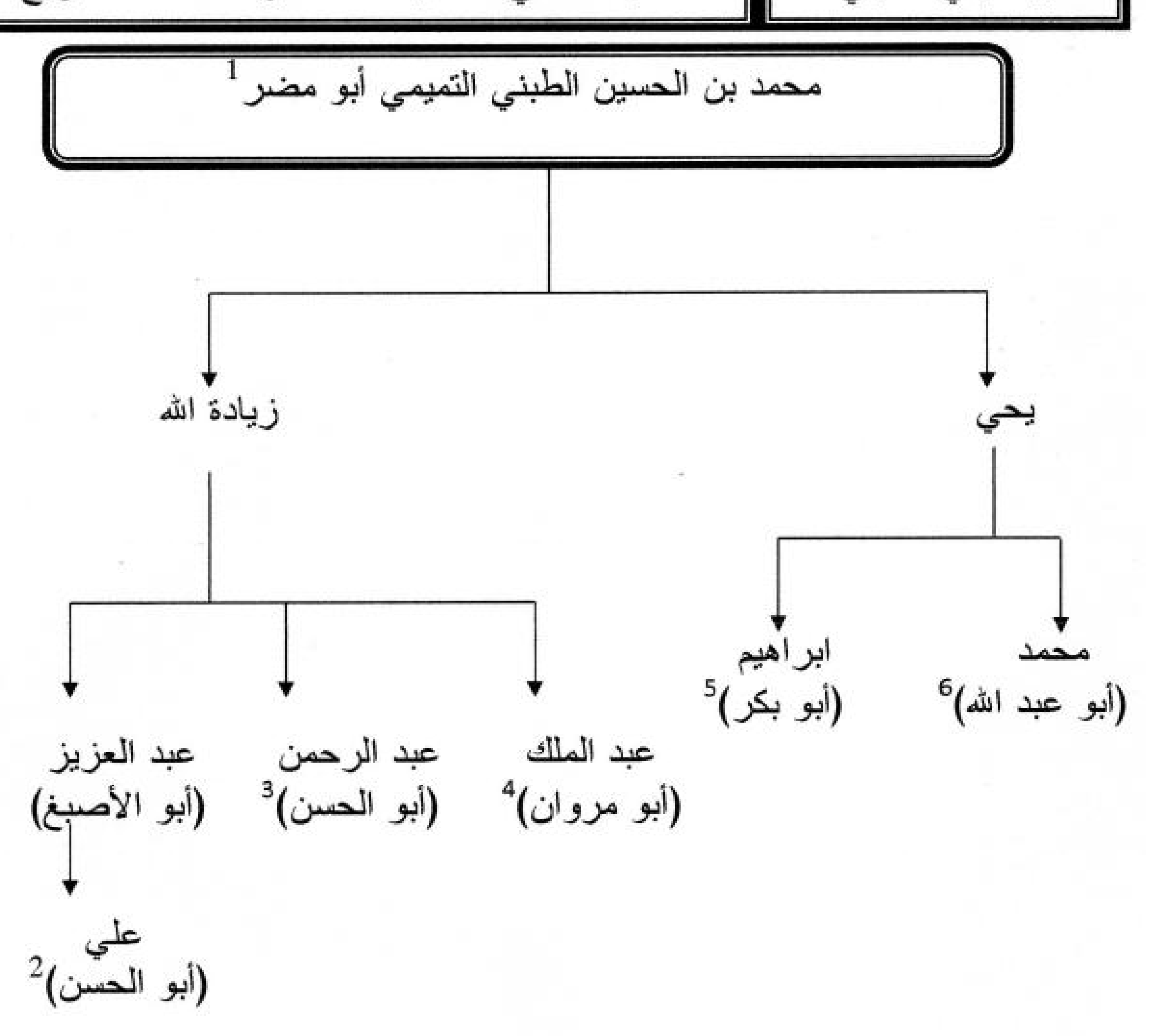
أحمد الأصغر أبو حفص[3]

---

[1]- الحميدي: الجذوة – ص106. ابن بشكوال: الصلة – ص38.

[2]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص314.

[3]- الحميدي: نفسه – ص101. الضبي: البغية – ص141. ابن الخطيب: أعمال الأعلام –ص91. ابن سعيد: رايات المبرزين – ص120. ابن الأبار: الحلة –ج1 –ص271. محمود علي مكي: وثائق تاريخية – 7-8.



[1]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب –ج1 –ص142. الحميدي: الجذوة –ص45. فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي –مج2 – ص . خير الدين الزركلي: الأعلام –ج4 –ص98.

[2]- ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص53.

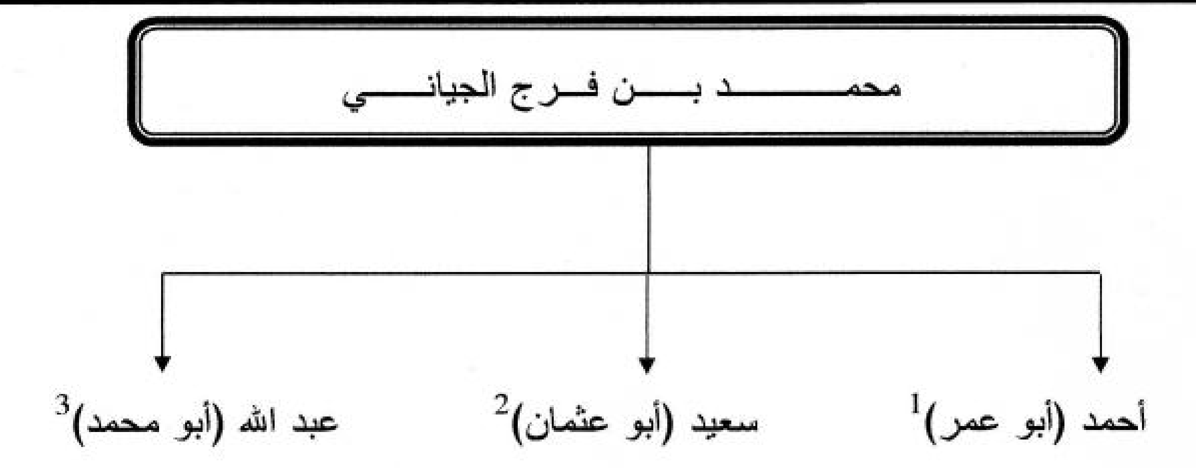
3- ابن بشكوال: الصلة –ص309.

4- ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص53. الحميدي: نفسه –ص251. المقري: النفح –ج3 –ص111-115. ابن بشكوال: الصلة – ص360. السيوطي: بغية الوعاة –ص575.

5- ابن بشكوال: نفسه –ص363.

6- ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص52. الحميدي: نفسه –ص88.

اسهاماته في: الشعر – النثر – اللغة – البلاغة – التاريخ	بيت بني فرج الجياني



[1]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب – ج2 – ص46. نفسه: رايات المبرزين –ص184. الحميدي: الجذوة –ص92-200. ابن خاقان: مطمح –ص79. ابن دحية: المطرب –ص20-21. المقري: النفح –ج2 – ص12.

[2]- ابن سعيد: نفسه – ج2 – ص46. الحميدي: نفسه –ص200. الثعالبي: يتيمة الدهر – ج2 – صص14-15. المقري: نفسه – ج4 – صص349-350. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص247.

[3]- ابن سعيد: نفسه – ج2 – ص47. الحميدي: نفسه – ص222.

عمر بن الحسن الهوزني أبو الحفص[1]

↓

الحسن (أبو القاسم)[2]

↓

عمر (أبو حفص)

↓

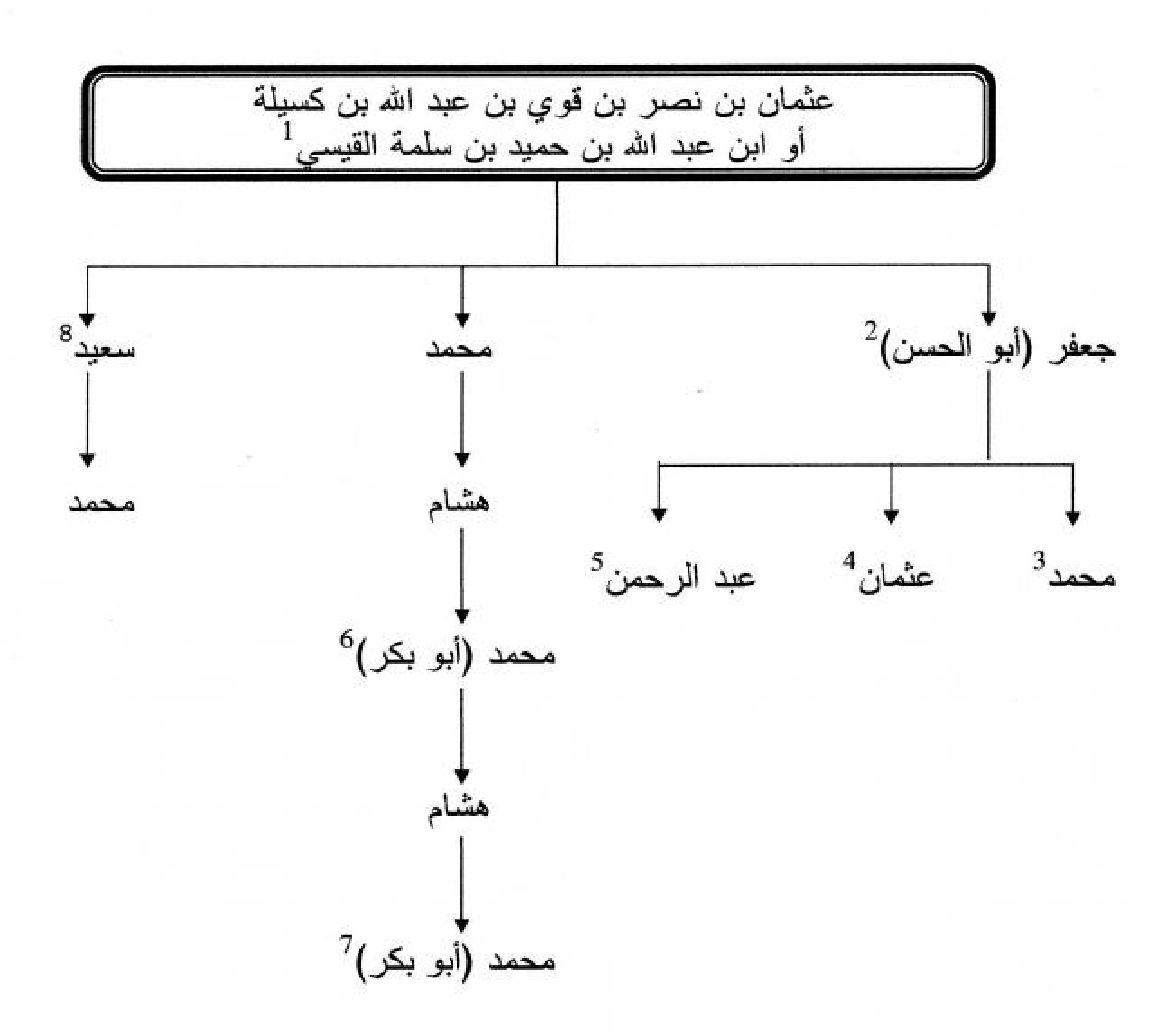
علي (أبو الحسن)[3]

---

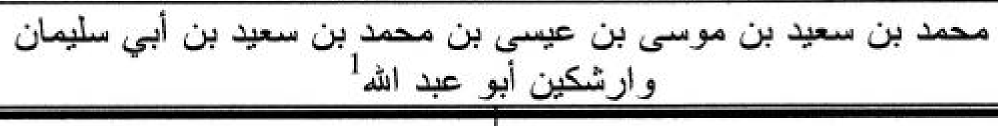
[1]- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب – ج1 – ص171. الشنتريني: الذخيرة – ق – ج – ص. المقري: المصدر السابق – ج2 – ص251 – ج3 – ص225.

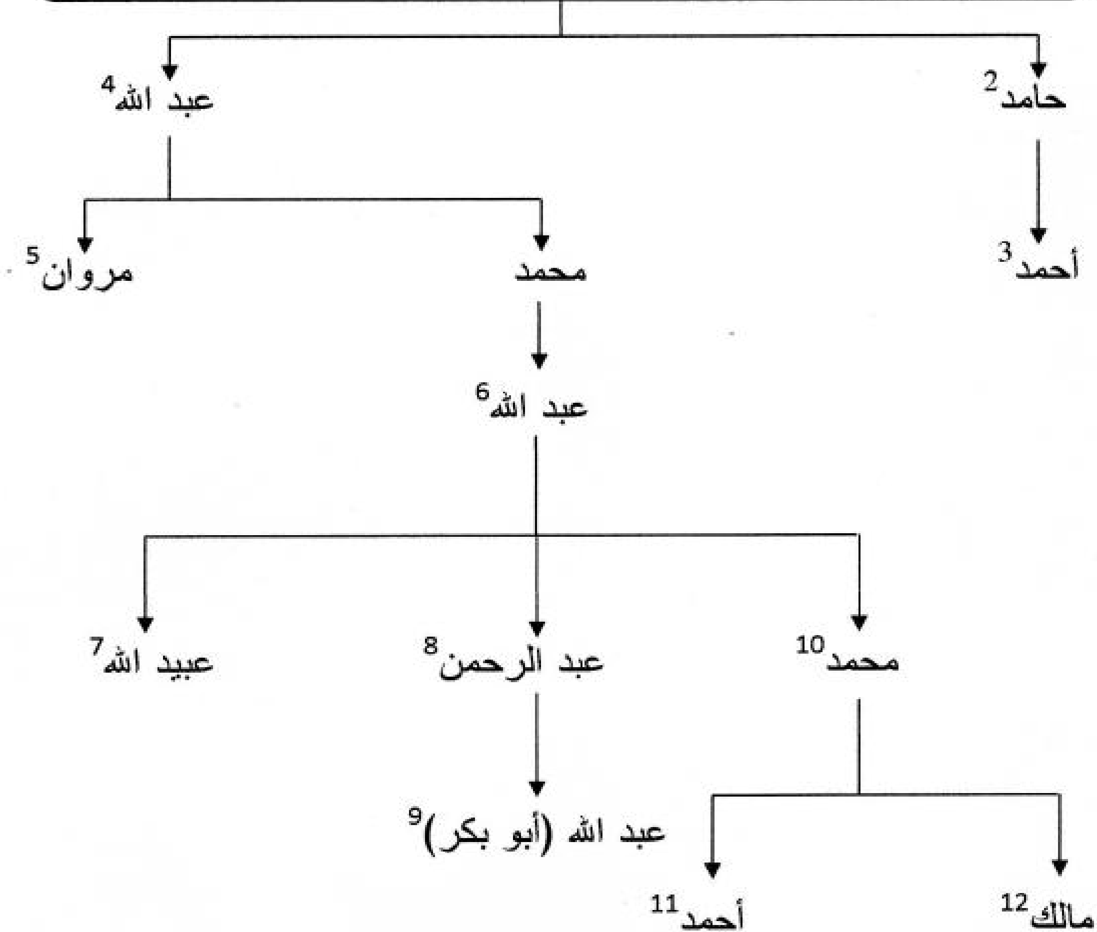
[2]- ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص172. ابن بشكوال: الصلة – ص139.

[3]- ابن سعيد: نفسه – ج1 – ص172.



1- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص244. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص258.
2- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص257.
3- نفسه – ج1 – ص258.
4- نفسه: نفس الجزء والصفحة
5- نفسه: نفس الجزء والصفحة
6- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص306.
7- نفسه -ج1 – ص307.
8- ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص258





1- ابن حيان: المقتبس –ق2 –صص32-36. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب –ج1 –ص253. ابن الأبار: إعتاب الكتاب –ص174.

2- ابن حيان: نفسه –ق2 –ص32-36-37. ابن القوطية: المصدر السابق –ص71. ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص254. ابن الأبار: الحلة: ج1 –ص140.

3- ابن عذاري: المصدر السابق –ج2 –ص206.

4- ابن حيان: نفسه –ق2 –ص32-98-103.

5- نفسه –نفس القطعة –ص85.

6- نفسه: ق2 –ص32. نفسه: المقتبس –ق5 –ص98-103. ابن الأبار: إعتاب الكتاب –ص172. ابن عذاري: المصدر السابق –ج2 –ص120-152-158-165.

7- ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص280. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص195. ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندجلس –ص59.

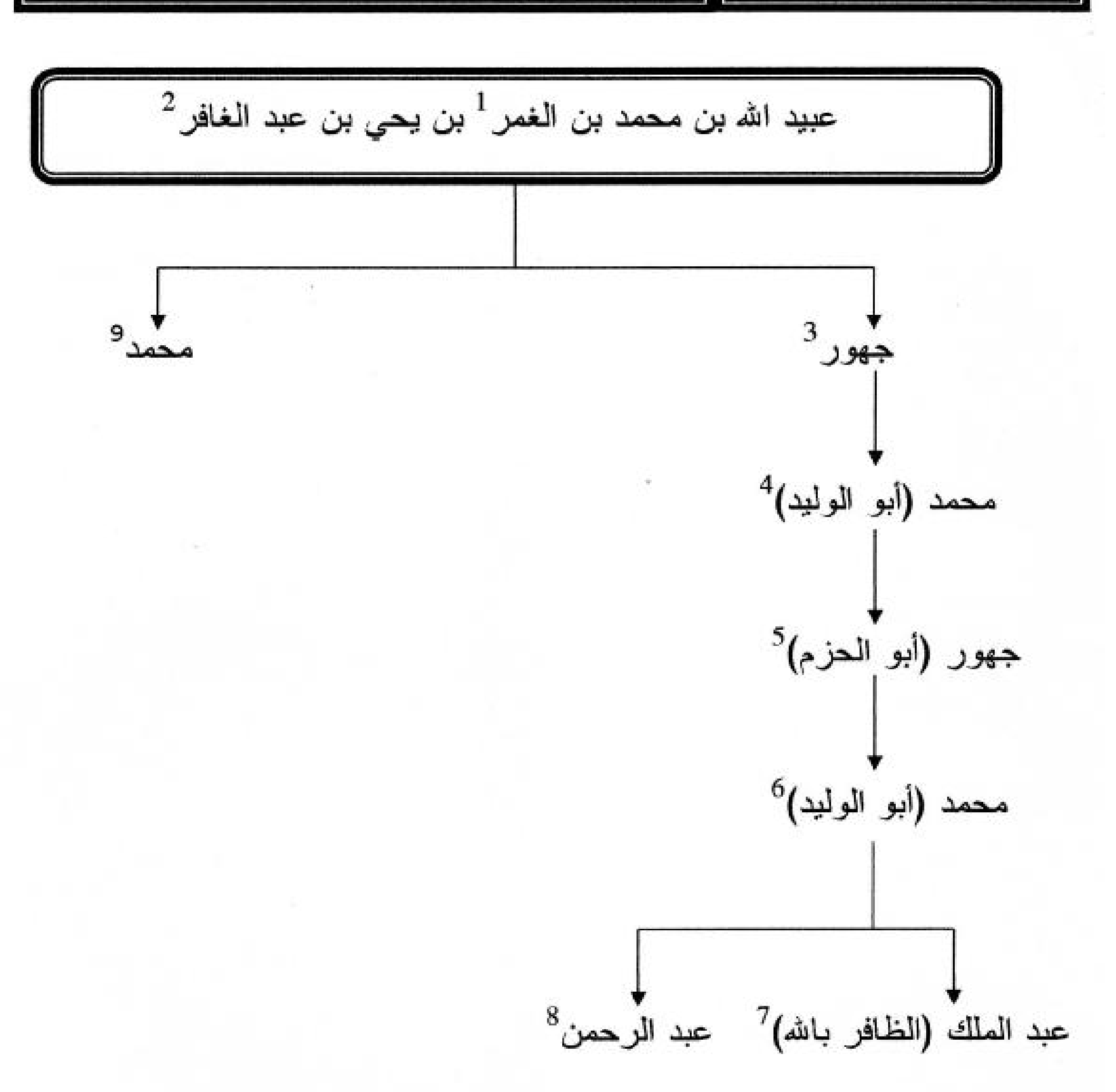
8- ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص25-416-428-461-487. نفسه: ق2- ص33. ابن عذاري: نفسه –ج2- ص159-180-197-208.

9- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق–صص196-197. عياض: المصدر السابق–ج2–ص182. قاسم علي سعد: جمهرة تراجم الفقهاء –ج2–ص722.

10- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص208. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص175-192-195.

11- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص253.

12- نفسه: نفس القطعة –ص284.



[1]- في الجذوة: ابن أبي الغمر – الحميدي: ص165.

[2]- ابن الأبار: الحلة...ج1 – ص247. ابن الخطيب: أعمال الأعلام –ص148.

[3]- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص245-250. الحميدي: نفسه – ص166.

[4]- الحميدي: نفسه – ص42. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص138-162-202. ج2 – ص33-34-176-183-186.

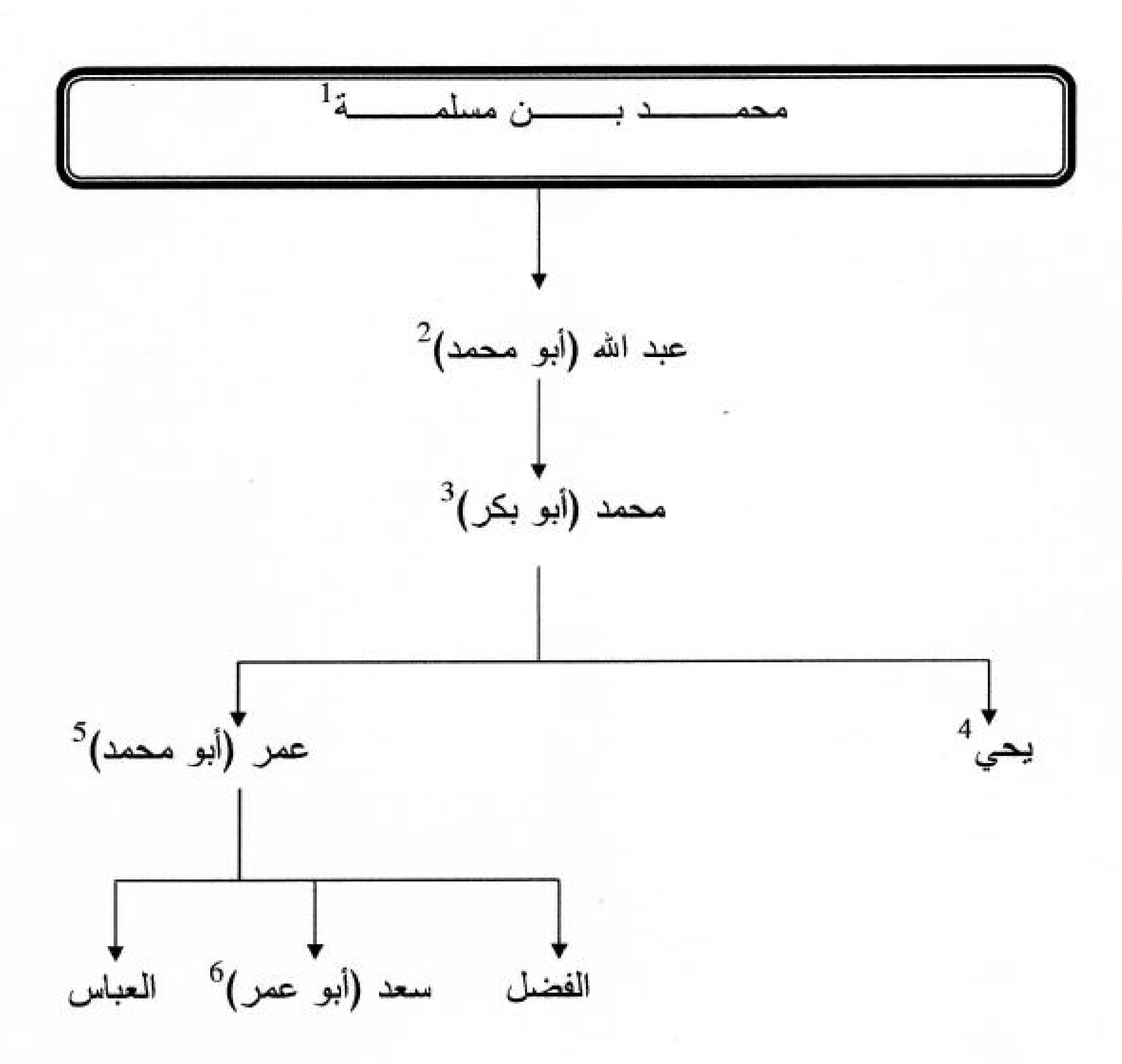
[5]- ابن الأبار: نفسه – ج1 –ص209-250. ج2- ص30-34. ابن خاقان: مطمح الأنفس – ص14. الحميدي: نفسه –ص28-165. الضبي: البغية: ص221. ابن الخطيب: نفسه – ص147-151. ابن عذاري: البيان المغرب...ج3- صص185-187. ابن الأبار: نفسه – ج2 – هامش رقم1- ص176. ابن بشكوال: الصلة- ص131.

[6]- ابن الابار: نفسه- ج2-ص176. ابن بشكوال: نفسه – ص546. ابن الخطيب: نفسه – صص148-151. ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص219-250-261.

[7]- ابن الخطيب: نفسه – صص149-150. ابن عذاري: نفسه –ج3 – ص232-255-259-260. ابن الأبار: نفسه – هامش رقم 1 – ج2-ص176.

[8]- ابن الخطيب: نفسه – صص149-150. ابن عذاري: نفسه –ج3 – صص255-256.-ص258. ابن الأبار: نفسه – ج2 – هامش رقم1 – ص176.

9- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص252.



[1]- ينظر ابن حيان: المقتبس – ق2 – هامش رقم503 – صص599-560.

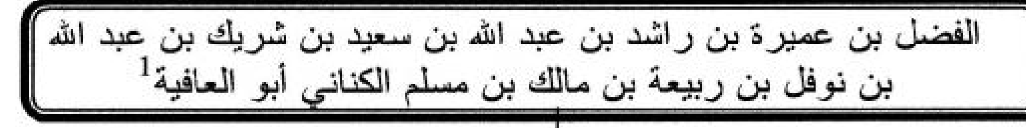
[2]- ابن الأبار:؛ الحلة – ج2 – صص96-97. ابن الخطيب: أعمال الأعلام – صص182-183. ابن عذاري: المصدر السابق – ج3 – صص235-236.

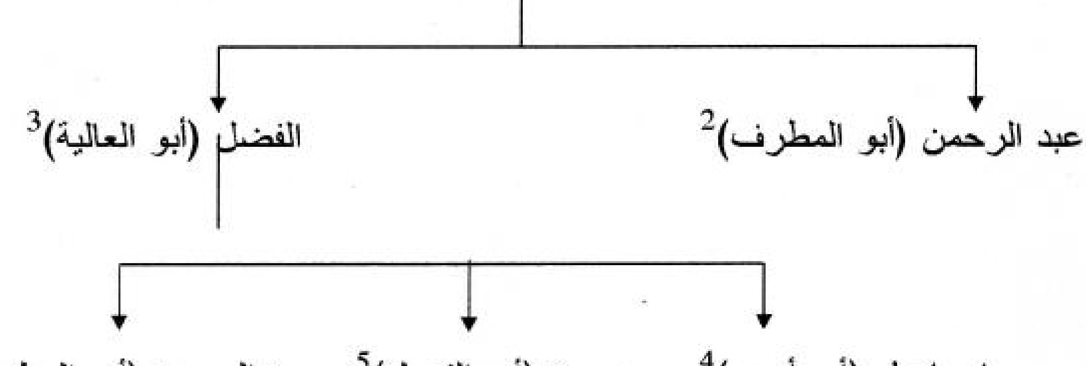
[3]- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص97-181. نفسه: التكملة – ج1 – صص317-318. ابن الخطيب: أعمال الأعلام – ص183. ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص236-240. Picard : Le portugual Musulmane –p260

[4]- ابن الأبار: الحلة...ج2- ص97-104. ابن الخطيب: نفسه – ص184.

[5]- نفسه: نفس الجزء والصفحتين. نفسه: صص184-186. Picard : Op cit – p260.

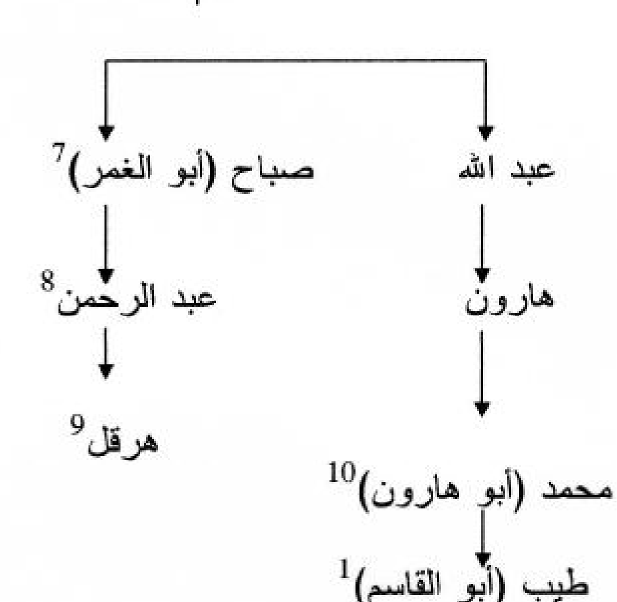
[6]- ابن الخطيب: نفسه – ص186.





اسماعيل (أبو أيوب)[4] عميرة (أبو الفضل)[5] عبد الرحمن (أبو المطرف)[6]

المطرف)[6]



---

[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص277. الحميدي: المصدر السابق – ص295. الضبي: المصدر السابق – ص388. الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين– ص224

[2]- ابن الفرضي: نفسه – ص212. الحميدي: نفسه-ص245. الخشني: نفسه-ص224. السمعاني: الأنساب –ج4 –ص129.

[3]- ابن الفرضي: نفسه –ص277. الحميدي: نفسه –ص295. الضبي: نفسه-ص388.

[4]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص151.

[5]- ابن الفرضي: نفسه –ص261. الحميدي: نفسه –ص287. الضبي: نفسه –ص379.

[6]- نفسه: ص214. نفسه: ص245. السمعاني: نفسه –ج4 –ص129.

[7]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص167. الحميدي: نفسه –صص214-215. الضبي: نفسه –ص281. الشخني: نفسه –ص156-213. ابن الأبار: التكملة –ج4 –ص148.

[8]- الخشني: نفسه –ص156.

[9]- نفسه: نفس الصفحة. ابن الأبار: نفسه -ج4 – ص148

[10]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص315. الحميدي: نفسه –ص85.

الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد الزبيدي[2]

- عبد الله
- محمد (أبو بكر)[3]
  - محمد (أبو الوليد)[4]
  - أحمد (أبو القاسم)[5]

1- ابن الفرضي الأزدي: نفسه- ص173. الحميدي: نفسه- ص217. عياض: نفسه- ج2 –ص117. السمعاني: نفسه –ج1 –ص475.

2- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص96.

3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص366. الحميدي: المصدر السابق –ص42. عياض: المصدر السابق –ج2 –ص201. الفيروز آبادي: البلغة –ص159. القفطي: انباه الرواة –ج3 – صص108-109. السمعاني: الأنساب – ج3 –ص151.

4- الحميدي: نفسه –ص35. الضبي: المصدر السابق –ص39. عياض: نفسه –ج2 –ص202. السمعاني: نفسه –ج3 –ص151.

5- عياض: نفسه –ج2 –ص202. السمعاني: نفسه –ج3 –ص151.

خلـــــف بـــن لــــب بـــن رزيـــن

هذيل (أبو محمد)[1]

عبد الملك (أبو مروان)[2]

هذيل (أبو محمد)[3]

عبد الملك (أبو مروان)[4]

يحـــي[5]

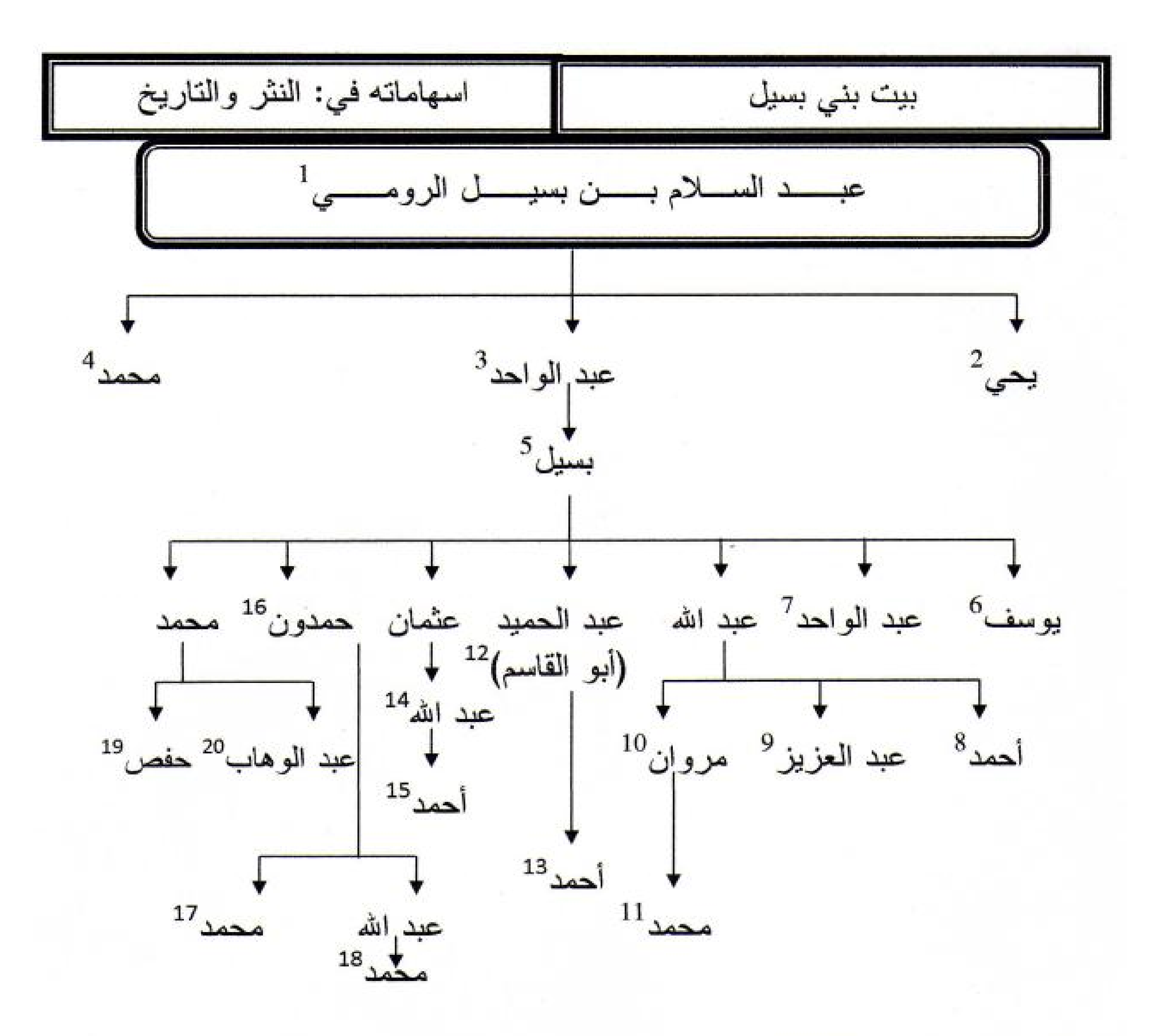
1- ابن حيان : المقتبس - ص158. ابن الأبار: الحلة – ج2 – صص108-109. ابن عذاري: البيان المغرب - ج3 - ص181.

2- ابن الأبار: نفسه – ج2 –ص109-168.

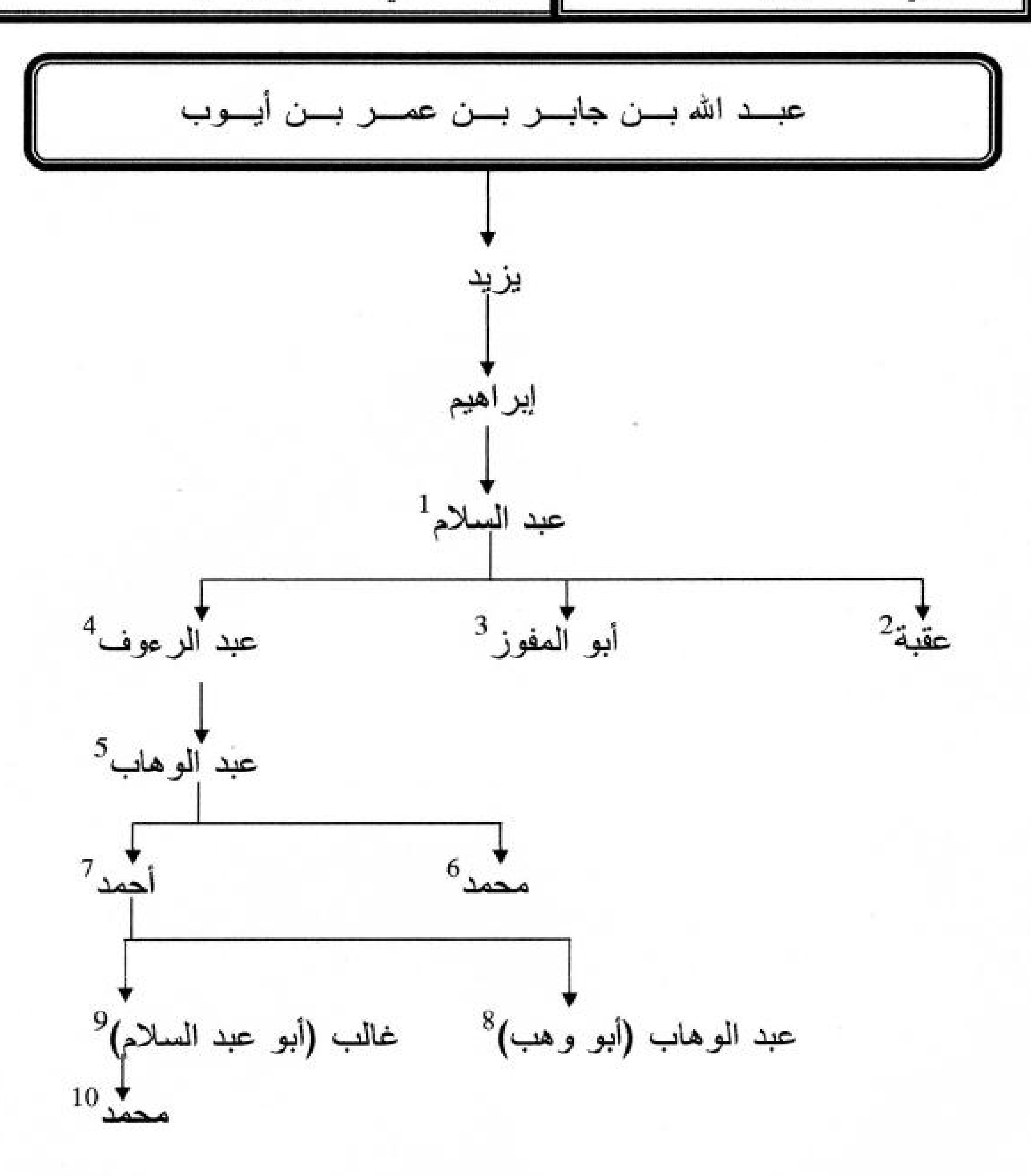
3- نفسه : ج2 – ص109-113.

4- نفسه: ج2 – صص108-109-113. ابن عذاري: نفسه –ج3 – ص181-309. المقري: النفح – ج2 – ص161. ج4 – ص338.

5- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص109. ابن عذاري: نفسه – ج3 – ص310.



1- ابن الأبار: الحلة...ج2 –ص371. المقري: النفح –ج3 –ص320.
2- نفسه: ج2 –ص371.
3- نفسه: نفس الجزء والصفحة. نفسه التكملة –ج3 –ص135.
4- نفسه: ج2 –صص372-371. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني –ص296.
5- ابن حيان: المقتبس – قطعة الحكم المستنصر بالله –ص178.
6- ابن حيان: نفسه –ق2 –ص119-115-3. ابن القوطية: المصدر السابق –ص69. الخشني: قضاة –ص114.
7- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص408.
8- ابن حيان: نفسه –ق5 –صص409-408. ابن حيان: نفسه –قطعة الحكم –ص178.
9- نفسه: ق5 –ص462.
10- ابن عذاري: المصدر السابق –ج2 –ص204.
11- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص409.
12- ابن الأبار: التكملة –ج3 –ص135. ابن حيان: نفسه –ق5 –ص187-133-111. ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص290-136.
13- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص452.
14- ابن حيان: نفسه –ق2 –صص138-137.
15- ابن حيان: المقتبس –قطعة الحكم –ص178.
16- ابن حيان: نفسه –ق5 –صص56-55. نفسه: ق2 – ص173.
17- نفسه: ق5 –ص355-331.
18- نفسه: ق5 –ص409.
19- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص152.
20- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص408.



[1]- ابن الأبار: الحلة –ج1 – ص241.

[2]- نفسه – نفس الجزء والصفحة.

[3]- نفسه – نفس الجزء والصفحة.

[4]- ابن حيان: المقتبس- السفر الثاني –ص424. نفسه- القطعة الثانية –ص28. ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص241.

[5]- ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص241.

[6]- نفسه –نفس الجزء والصفحة. ابن حيان: نفسه –ق5 –ص470.

[7]- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص245-314-354-471.

[8]- ابن الأبار: نفسه –صص240-241. الزبيدي: المصدر السابق –ص . ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص470-487.
Provençal : l'Espagne au Xème siècle –p103.

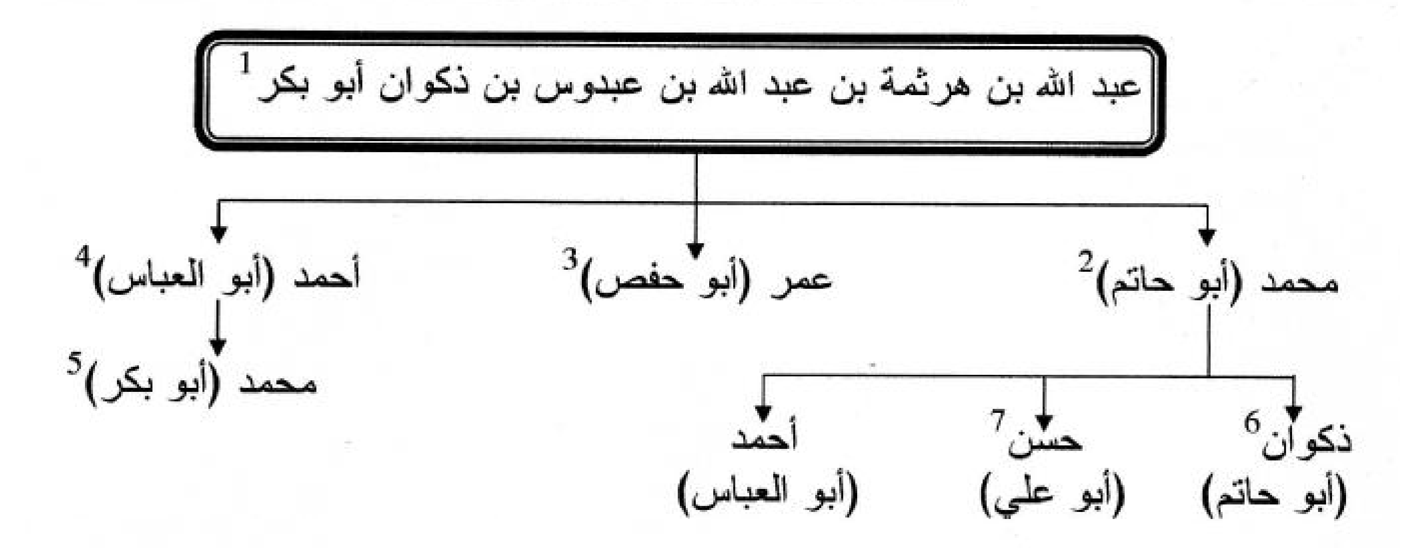
[9]- ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص244. .Provençal : Op cit –p103

[10]- ابن حيان: نفسه –ق5 –ص448-462.

سرد لبعض البيوتات وتعدد

مناحيها الثقافية

اسهاماته في: الفقه – الحديث – اللغة –النحو – التاريخ	بيت بني ذكوان



[1]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص194. عياض: المصدر السابق –ج2 –ص253. مخلوف: شجرة النور الزكية – ص99.

[2]- عياض: نفسه –ج2 –ص254 –صص256-257. ابن الخطيب: اعمال الأعلام –ص49. ابن الأبار: التكملة – ج3 –ص148. ابن بشكوال: الصلة –ص504. مخلوف: نفسه –ص99-111.

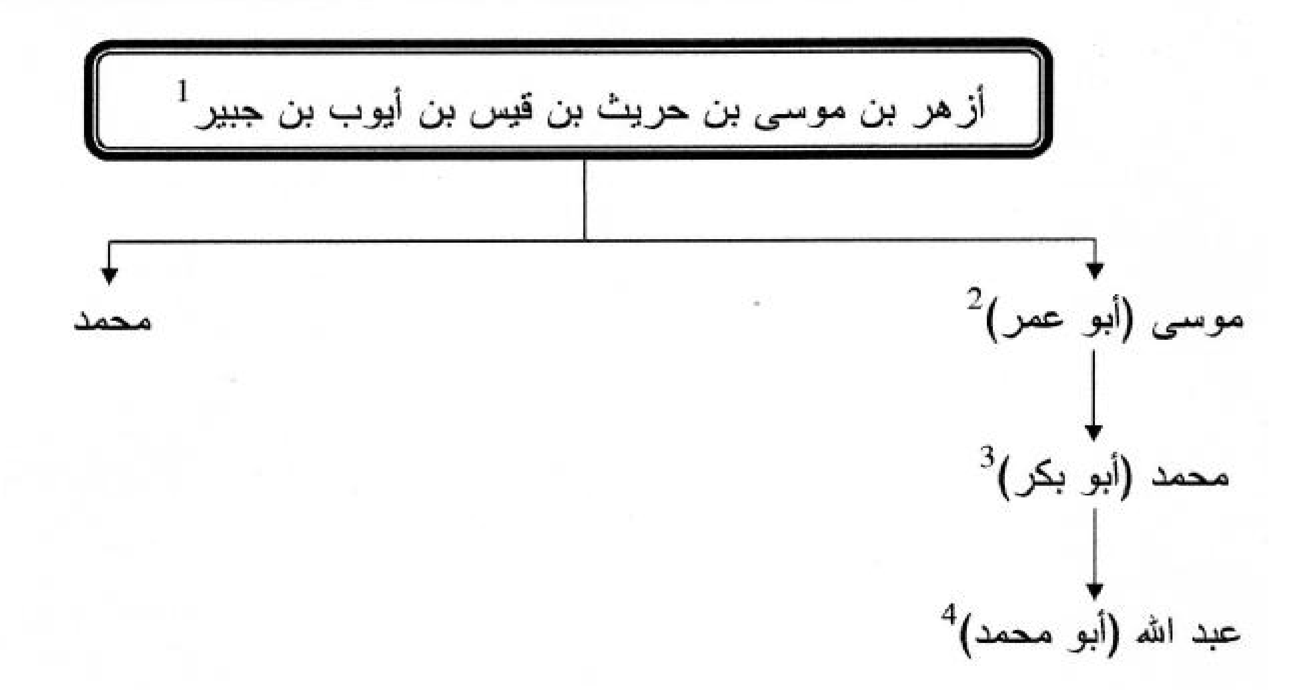
[3]- عياض: نفسه –ج2 –ص256. ابن الأبار: التكملة –ج3 –ص148.

[4]- الحميدي: المصدر السابق –ص115. عياض: نفسه –ج2 –صص254-256. ابن الخطيب: أعمال الأعلام –ص49. ابن الأبار: التكملة –ج3 –ص148. نفسه: الحلة –ج1 –هامش رقم1 –ص271. النباهي: مرقبة –ص84. ابن سعيد: المصدر السابق –ج1 – ص36-148. مخلوف: نفسه -99 -102-111. ويذكره هذا الأخير على هذا النحو: أبو العباس أحمد بن محمد بن ذكوان، وأظنه وقع في الخلط فالمصادر التي ترجمت له تنسبه مباشرة الى أبيه عبد الله.

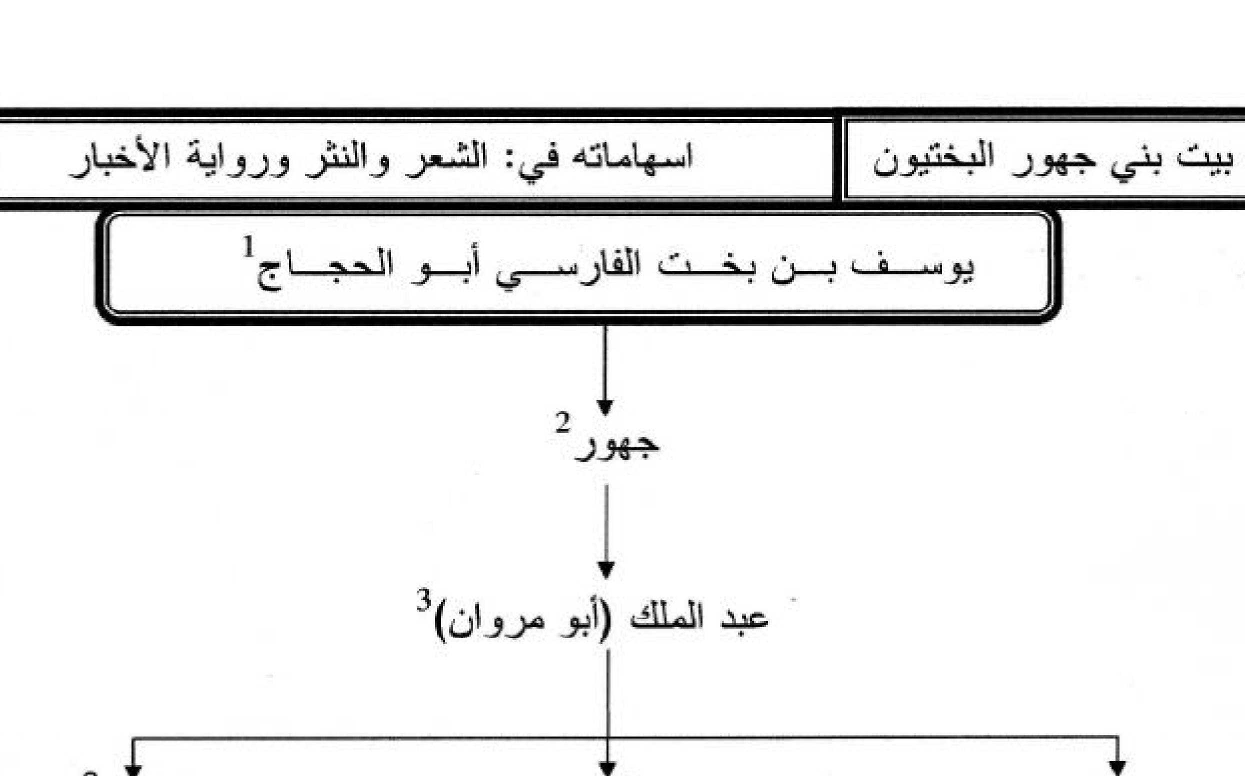
[5]- عياض: نفسه –ج2 –ص256-335. مخلوف: نفسه –ص102-111. ابن بشكوال: الصلة –ص525. ابن سعيد: نفسه –ج1 – ص36. ويذكره مخلوف تحت اسم أحمد، ونحا نحوه ابن سعيد. مخلوف: نفسه –ص111. ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص105.

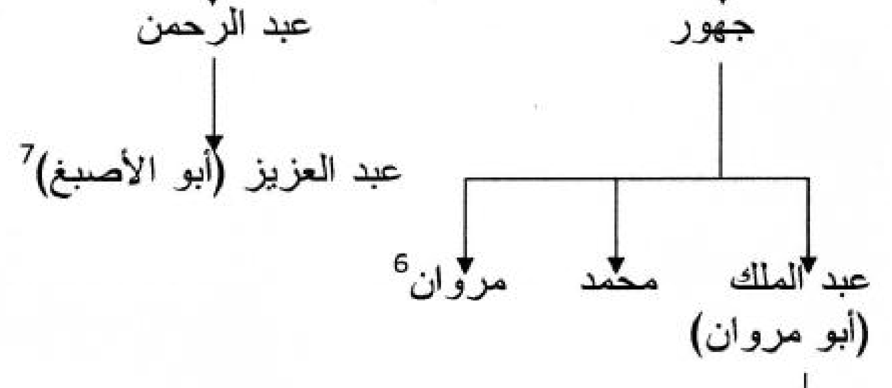
[6]- ابن الأبار: التكملة –ج1 –ص258.

[7]- ابن سعيد: نفسه –ج1 –ص105. ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص258. عياض: نفسه –ج2 –ص257. ابن بشكوال: نفسه – ص137. ابن الخطيب: نفسه –ص48. بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي –ص450.



1- ابن الأبار : التكملة –ج1 –ص173.
2- الفيروز آبادي: البلغة –ص185. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص407. ابن آبار: التكملة –ج1 –ص173. السيوطي: بغية الوعاة –ص727.
3- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص349.
4- عياض: نفسه –ج2 –ص195. ابن الفرضي: نفسه –ص200.





محمد[4]

عبد الله (أبو محمد)[5]

---

[1]- ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص29. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس –ص59. مجهول: أخبار مجموعة –صص135-137. ابن الأبار: الحلة...ج2 –ص375. ابن حيان: السفر الثاني –ص295.

[2]- ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص79. ابن الأبار: نفسه –ج2 –ص375.

[3]- الحميدي: المصدر اسابق –ص249. ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص238-243-244. ابن حيان: المقتبس –نشر: أنطونيا –ص49. الخشني: قضاة قرطبة –ص115. ابن حيان: المقتبس –ق5 –ص84-98-176-487.

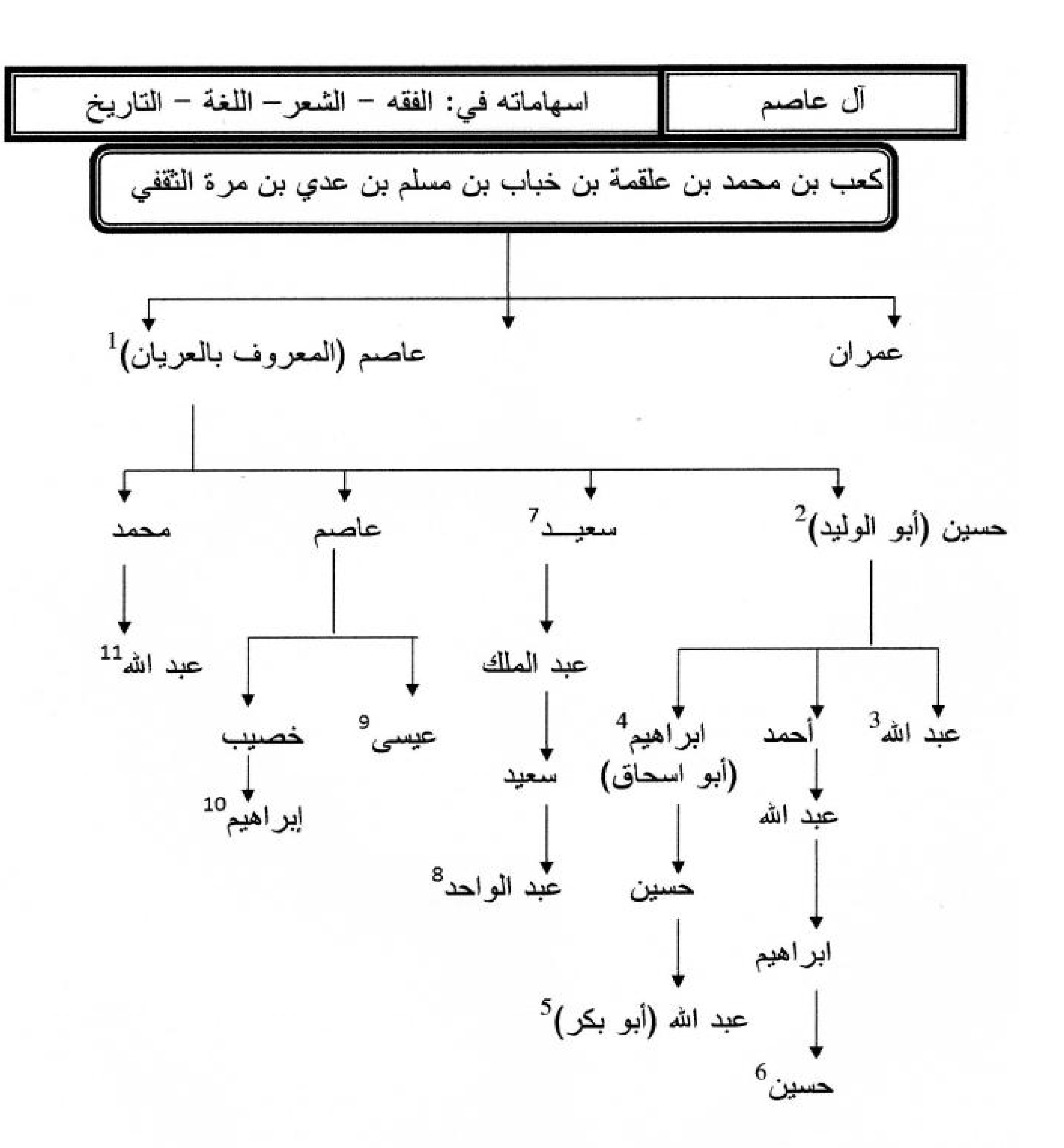
4- نفسه –ص408.

5- الحميدي: نفسه – ص225-117. ابن بشكوال: الصلة –ص259.

6- ابن حيان: نفسه –ص408.

7- ابن بشكوال: نفسه- ص368. الحميدي: نفسه –ص256. الضبي: نفسه –ص336. لم أستطع التحقق من عبد العزيز هذا، اذ أن المصادر رفعت نسبه على النحو التالي: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بخت.

8- ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص155-156-ص385. الحميدي: نفسه –ص249. ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص138-ج2 – ص375. ابن حيان: السفر الثاني –صص398-399.



---

[1]- ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص76.

[2]- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص99. الحميدي: المصدر السابق –ص170. ابن حيان: نفسه –ق2 –صص76-77. ابن بشكوال: الصلة –ص141.

[3]- ابن حيان: نفسه –ق2 –صص183-189. نفسه – السفر الثاني –صص376-377. الحميدي: نفسه –ص232.

[4]- ابن الفرضي: نفسه –ص16. الحميدي: نفسه –ص135. عياض: المصدر السابق –ج1 –ص450.

[5]- ابن الأبار: التكملة –ج2 –ص238.

[6]- نفسه –ج2 –ص219.

7- ابن الأبار: نفسه –ج4 –ص107.

8- نفسه –ج3 –ص116.

9- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص263. الضبي: المصدر السابق –ص353. عياض: نفسه –ج1 –ص451.

اسهاماته في: الفقه – الشعر – ورواية الأخبار	بيت بني أبي معيط

الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عثمان بن خالد بن عقبة بن أبي معيط

- العباس (أبو القاسم)[1]
- عبيد الله (أبو مروان)[2]
  - عبد الله (أبو عبد الرحمن)[3]
  - محمد (أبو بكر)[4]
    - عبيد الله (أبو مروان)[5]

10- ابن الأبار: نفسه –ج1 –ص115.
11- عياض: نفسه –ج1 –ص451.
[1]- ابن الأبار : التكملة – ج4 – ص31-156.
[2]- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص179-236. ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق –ص208-356. ابن الأبار: نفسه – ج4 –ص31-156.
[3]- عياض: نفسه – ج2 –ص309. ابن بشكوال: الصلة –ص269.
[4]- ابن الفرضي الأزدي: نفسه –ص356. عياض: نفسه –ج2- ص235. مخلوف: المصدر السابق –ص99.
[5]- عياض: نفسه – ج2 – ص237. ابن بشكوال: نفسه – ص301.

اسهاماته في: الفقه – الحديث – الشعر– النثر –الطب	بيت بني أضحى

محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن خالد بن غريب الهمداني[1]

↓

أحمد[2]

↓

مشرف

↓

محمد

↓

عمر

↓

علي (أبو الحسن)[3]

↓

محمد (أبو بكر)[4]

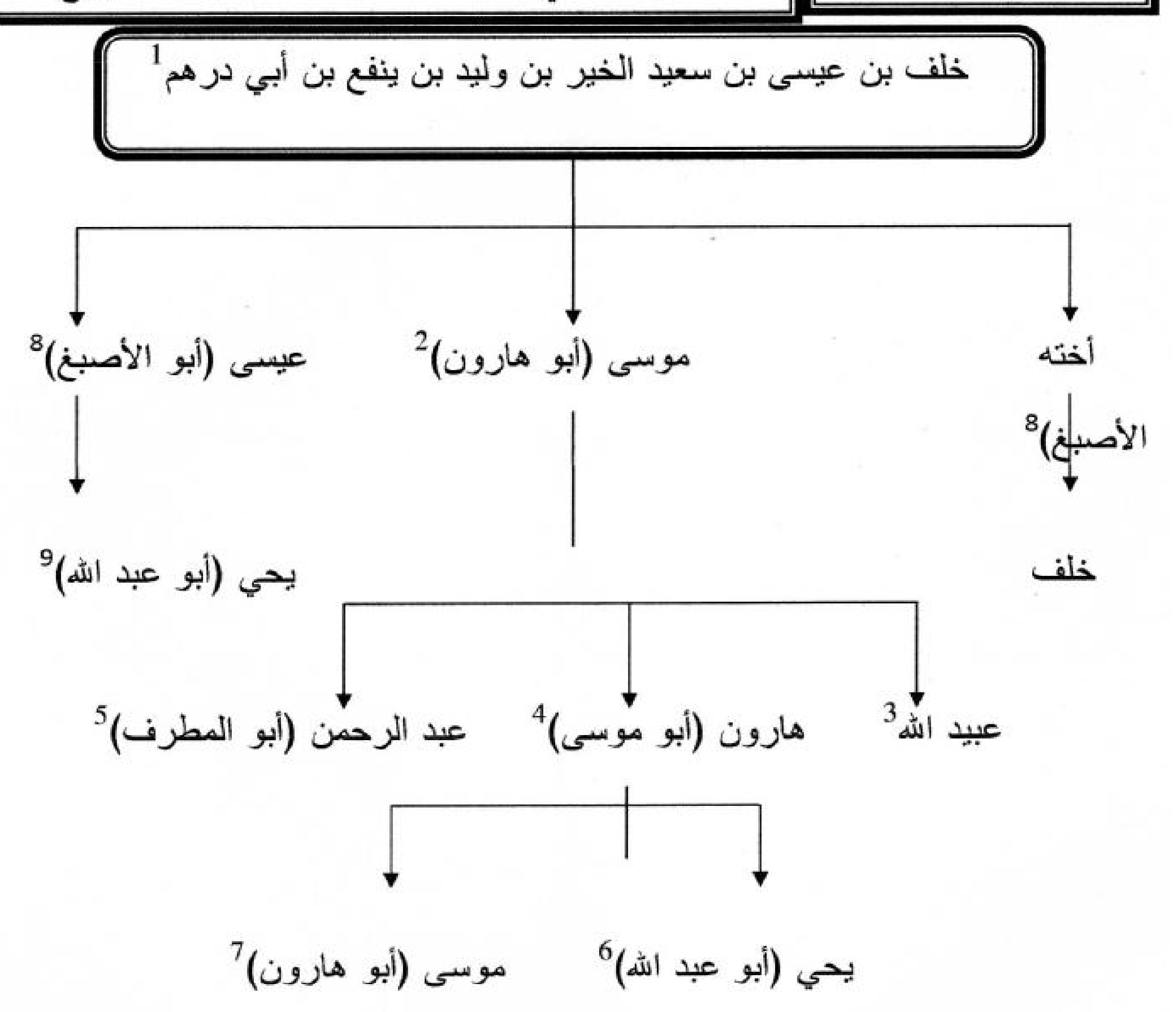
---

[1]- ابن حيان : المقتبس –ق5 –ص174.

[2]- نفسه: ق5 –ص174-176. ابن الخطيب: الاحاطة –ج1 –ص47. ابن الأبار: الحلة – ج1 – صص228-229.

[3]- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص229 –ج2 –ص211-217-228-379. نفسه: التكملة –ج3 – ص 192. النباهي: مرقبة – ص125. المقري: النفح –ج2– صص 166-167. ابن الزبير: صلة الصلة – مج6 – صص 214-215.

[4]- ابن الأبار: الحلة – ج2 – صص213-216. النباهي: نفسه – ص124.



1- الحميدي: المصدر السابق –ص182. عياض: المصدر السابق – ج2 – ص271. ابن الخطيب: أعمال الأعلام –ص54. ابن بشكوال: المصدر السابق –ص167.

2- ابن الأبار: التكملة –ج1 –ص306 – ج2 – ص173. مخلوف: شجرة النور - ص115.

3- نفسه –ج2 – ص173.

4- نفسه – ج4 – ص166 – ج2 – ص173. ابن بشكوال: الصلة – ص658. مخلوف: نفسه – ص115.

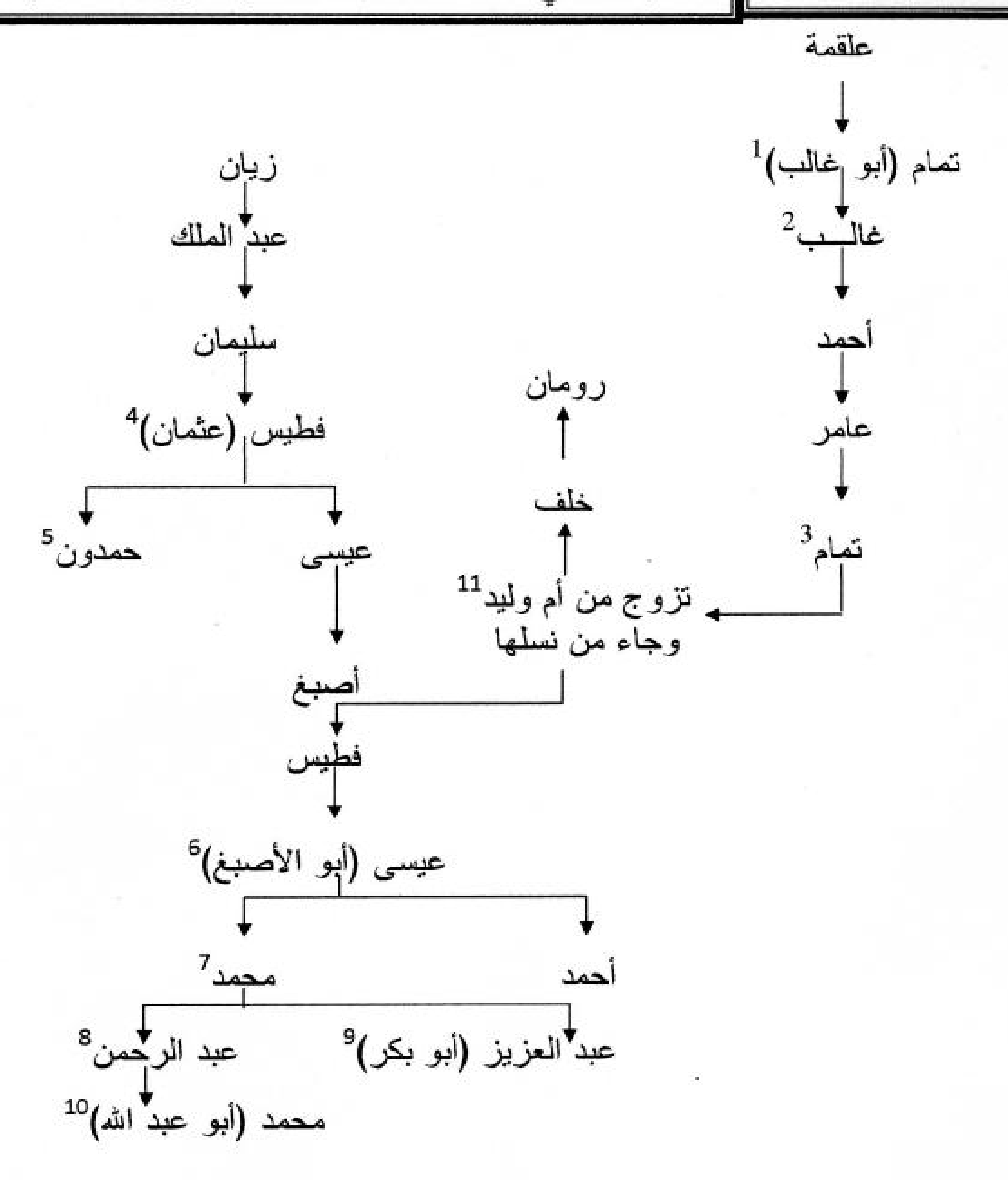
5- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص173 – ج3 – ص16. مخلوف: نفسه – ص115.

6- نفسه – ج4 – ص166.

7- نفسه – ج2 – ص174 – ج4 – ص166.

8- ابن بشكوال: نفسه – ص436. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص306.

9- نفسه – ص670.



1- ابن حيان: المقتبس –السفر الثاني- ص222. ابن القوطية: تاريخ –ص35. مجهول: أخبار مجموعة –ص135-152-155. ابن الأبار: الحلة –ج1 –ص143. المقري: النفح – ج3 –ص320. ابن عذاري: البيان – ج2 – ص48-63.

2- ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص143.

3- ابن القوطية: نفسه –ص22. ابن حيان: المقتبس – ق2 –ص179-180-278. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص143. ابن دحية: المطرب – ص120-126-127.

4- ابن حيان: المقتبس –ق2 –ص76. ابن الأبار: نفسه –ج2 –ص365. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص61-68.

5- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص80. نفسه: السفر الثاني – صص212-213. الخشني: قضاة – ص57.

6- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص76-182. نفسه: ق5 –ص322-408-438-487. ابن الأبار: إعتاب الكتاب –ص190. نفسه –ج4 –ص4.

7- ابن حيان: نفسه – ق5 –ص243.

8- عياض: ج2 –ص259. ابن فرحون: الديباج –ص245. النباهي: مرقبة –ص87. الذهبي: تذكرة الحفاظ –ج3 –ص175. ابن بشكوال: نفسه –ص309.

9- ابن بشكوال: نفسه – ص370.

10- نفسه: صص500-501.

11- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص182.

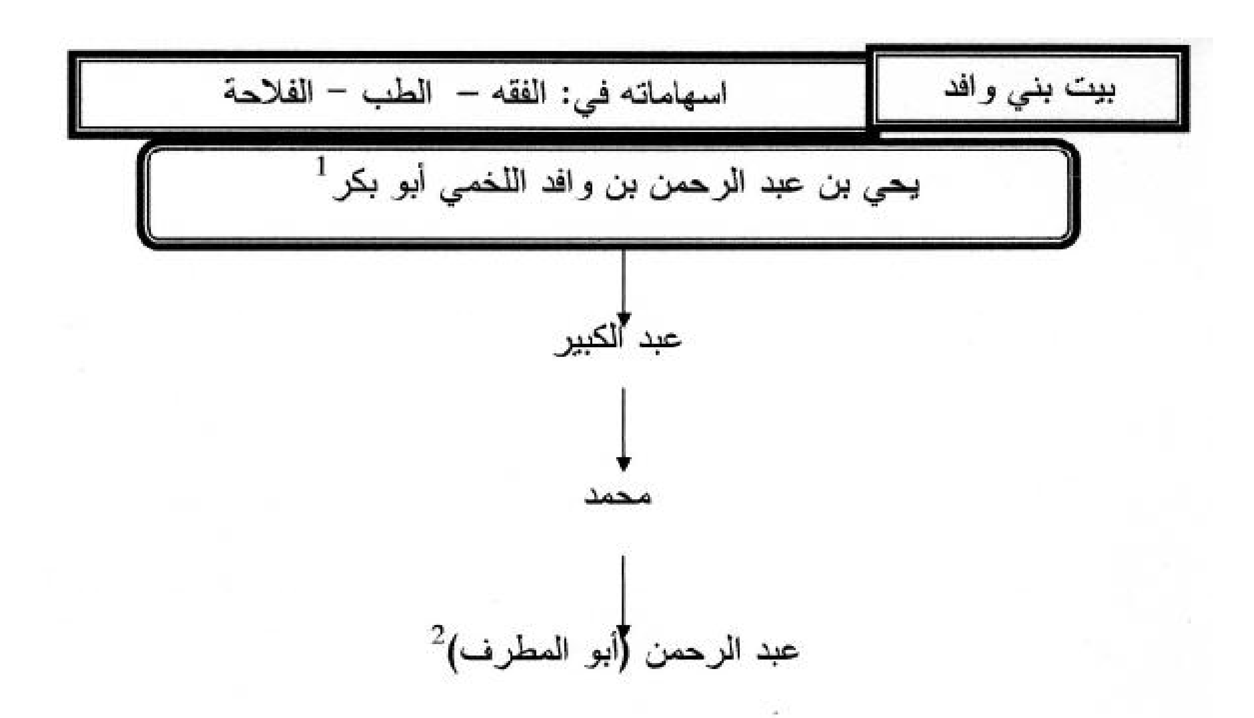
بيت بني تاجيت



تاجيت بن مناع بن مسعود بن الفرج بن راشد المصمودي

- محمد[2]
  - تاجيت[3]
    - مسعود[4]
    - عمر[5]
  - هذيل (أبو عبد الصمد)[6]
    - موسى (أبو محمد)[7]
      - عبد الصمد (أبو جعفر)[9]
        - موسى (أبو الحسن)[10]
          - عبد الصمد (أبو جعفر)[12]
          - جعفر[11]
      - عبد الولي[8]
- اسماعيل[1]

1- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص151.
2- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص363. نفسه: ق5 – ص123.
3- ابن حيان: جمهرة – ص501.
4- نفسه: نفس الصفحة. ابن حيان: نفسه – ق5 – صص239-241.
5- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص103.
6- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص176 –ج4 – ص147. ابن بشكوال: نفسه – ص659.
7- عياض: نفسه – ج2 – ص356. ابن بشكوال: نفسه – صص609-610.
8- نفسه : ج2 – ص356.
9- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص176. ابن بشكوال: نفسه – ص376.
10- ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص176. ابن بشكوال: نفسه – ص377.
11- نفسه: هامش رقم1 – ص610.
12- ابن الأبار: نفسه – ج3 – ص113.



عبد الرحمن (أبو المطرف)[2]

[1]- عياض: المصدر السابق – ج2 – ص257. النباهي: مرقبة – ص88. مخلوف: المصدر السابق – ص103.

[2]- عياض: نفسه – ج2 – ص259. ابن الأبار: التكملة – ج3 – ص13. ابن حيان: المقتبس – قطعة الحكم المستنصر بالله – تحقيق: صلاح الدين الهواري – ص116. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء – ص456. الزوزني: المختصر – صص225-226. ابن الزبير: صلة الصلة – مج6 – ص102.

اسهاماته في: الحديث – الأدب – علوم القرآن – الطب	بيت بني سميق

أحمد بن سميق بن محمد بن عمر بن واصل[1]

↓

يحي[2]

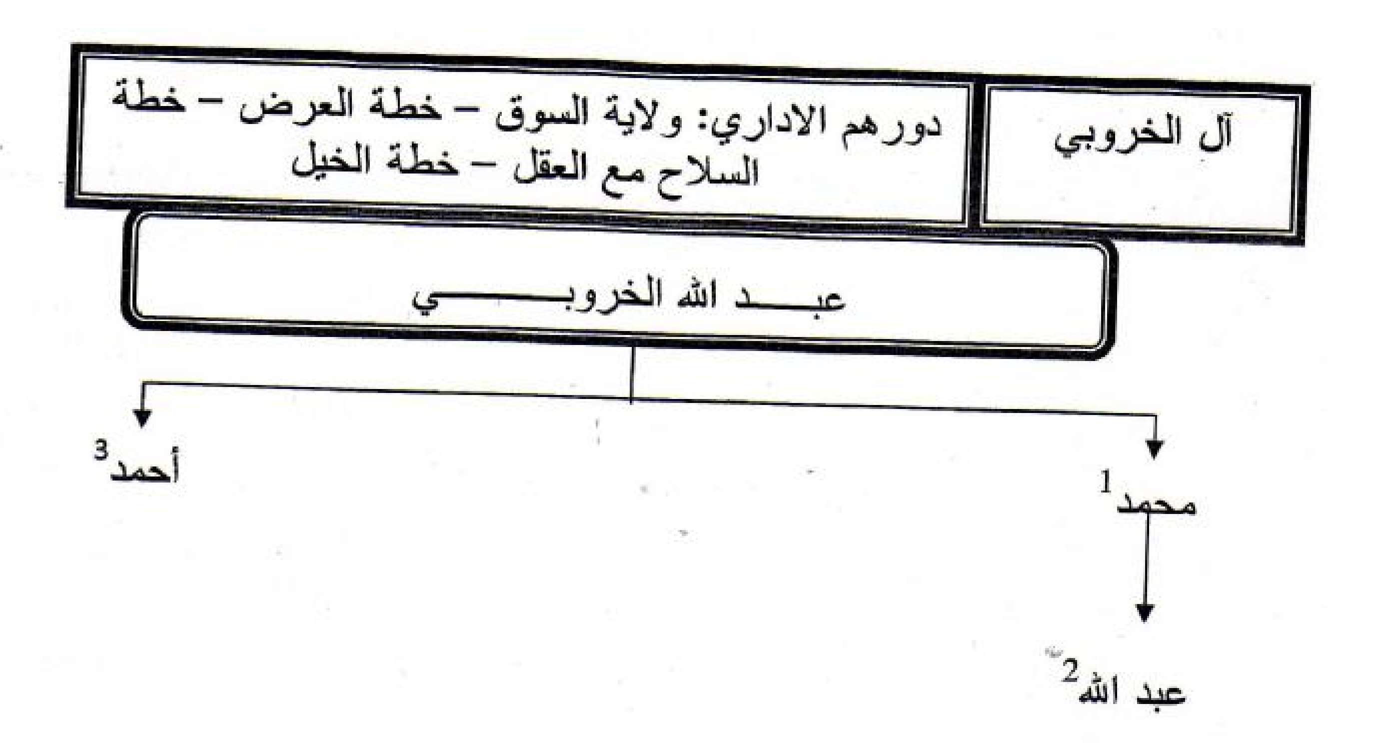
↓

أحمد[3]

---

[1]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص19.
[2]- نفسه – ج1 – ص19 – ج4 – ص164.
[3]- نفسه: نفس الجزء والصفحة. ابن بشكوال: الصلة – صص56-57.

بيوتات تولت بعض الخطط السنية



[1]- ابن حيان: المقتبس -ق5 – ص97 – 103 – 199 ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص243. وينظر هامش رقم 4 من نفس الصفحة.

[2]- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص244. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص243. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص191.

3- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص243. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص183.

رحيق بن ابراهيم بن حارث بن خلف بن راشد السماتي

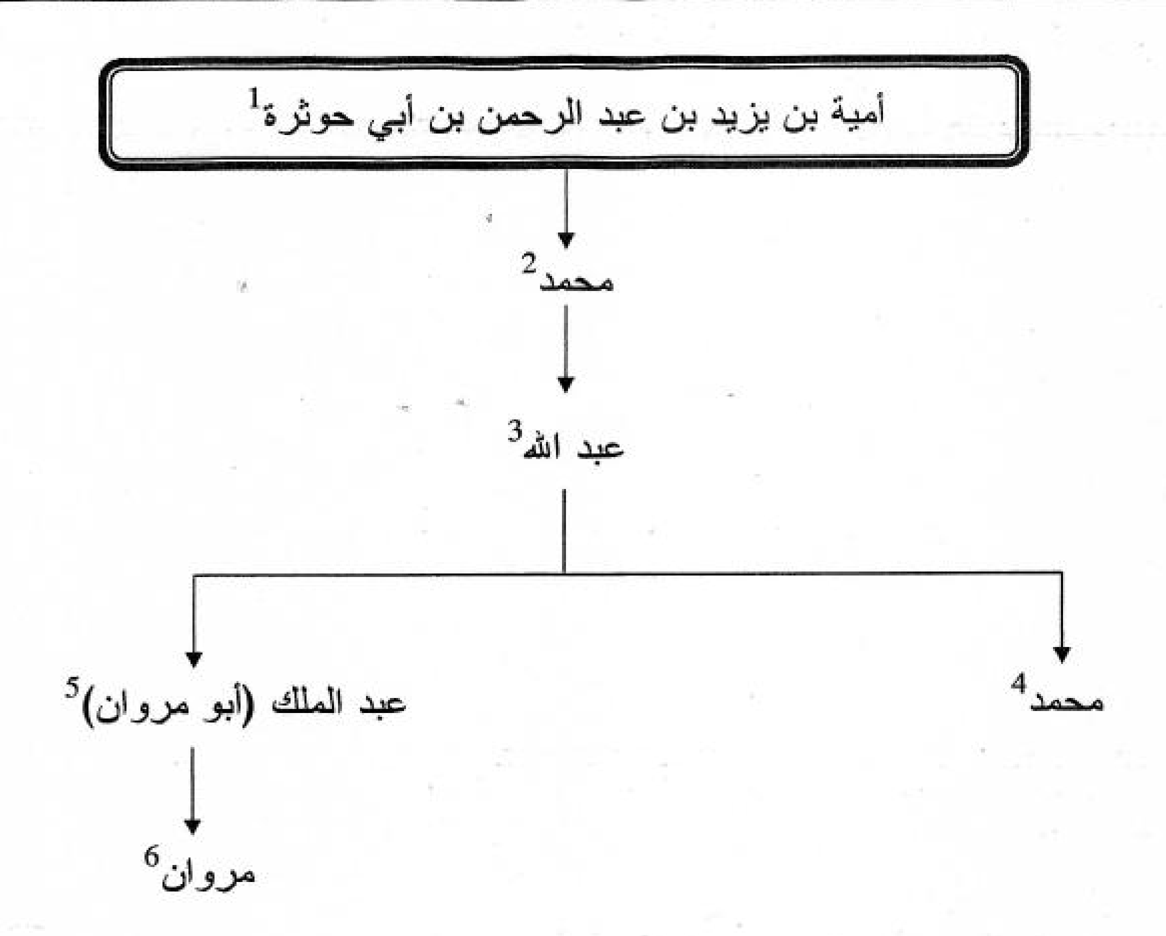
أحمد[1]

محمد[2]

نافع[3]

[1]- ابن الأبار: التكملة – ج1 – ص16.
[2]- نفسه – ج1 – ص16.
[3]- نفسه – ج1 – ص16 – ج2 – ص216. النباهي: مرقبة – ص124.

بيت بني أمية بن يزيد	خطة الكتابة – الوزارة – القيادة – ولاية المدينة



---

[1]- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص31. ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص373. ابن الأبار: إعتاب الكتاب – ص71. المقري: النفح – ج3 – ص321.

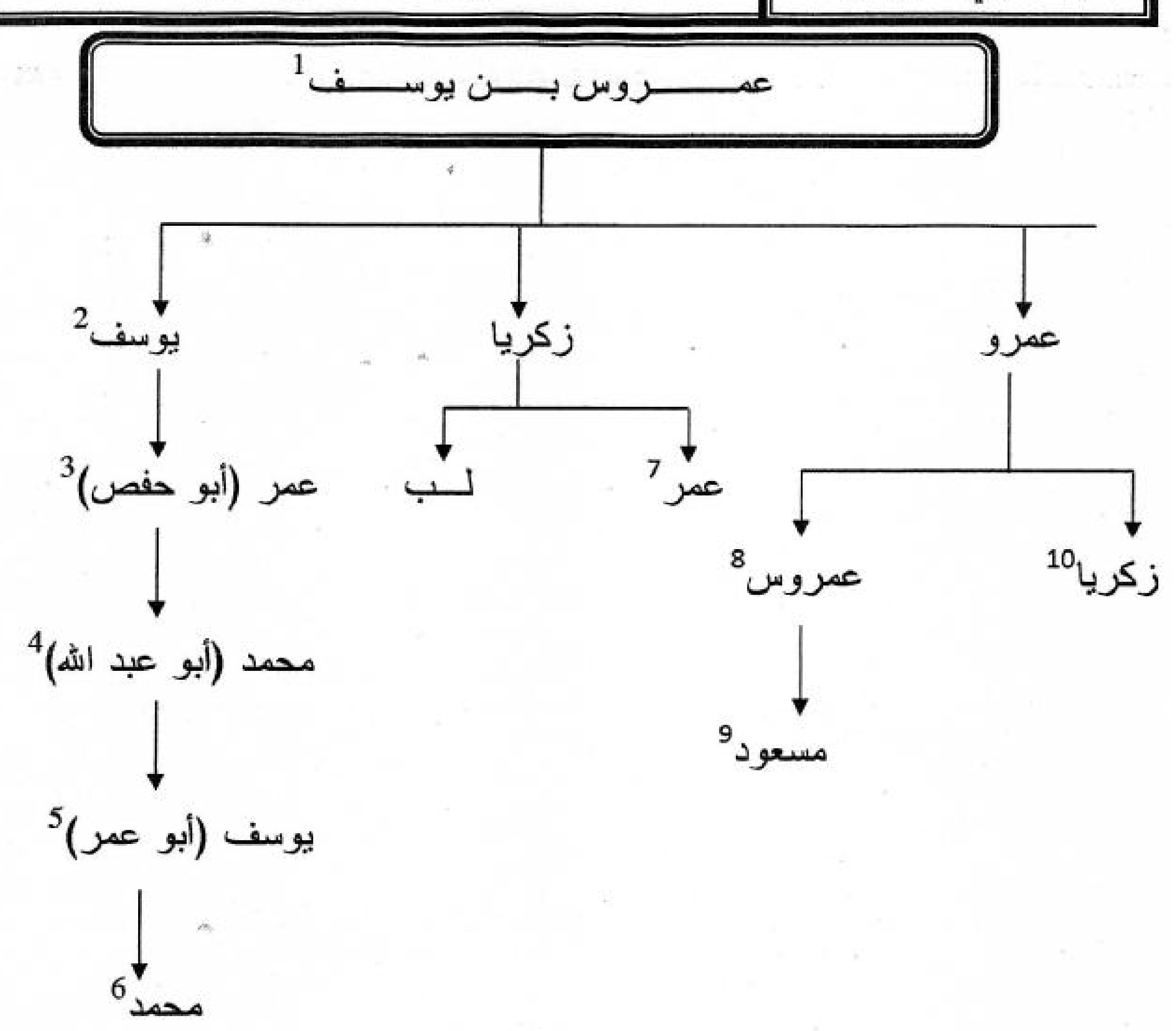
[2]- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص31 – نفسه: السفر الثاني – صص100-101.

[3]- ابن القوطية: المصدر السابق – ص59-70. ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص373. ابن عذاري: المصدر السابق –ج2 – ص94.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص160.

[5]- ابن حيان: المقتبس – نشر أنطونيا – ص5-79-82-108-111. ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص373. ابن عذاري: نفسه – ج2 – ص94-124-151-152.

[6]- ابن حيان: نفسه – ص5-114-118-122. ابن الأبار: نفسه – ج2 – ص374.



1- ابن الدلائي: ترصيع الأخبار – صص27-29. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص105-108-109.

2- ابن حيان: نفسه – السفر الثاني – ص120.

3- ابن الفرضي الأزدي: المصدر السابق – ص257.

4- نفسه: ص349. عياض: نفسه – ج2 – ص114.

5- نفسه: ص454. عياض: نفسه – ج2 – ص267. ابن الأبار: التكملة –ج1 – ص301.

6- ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص301.

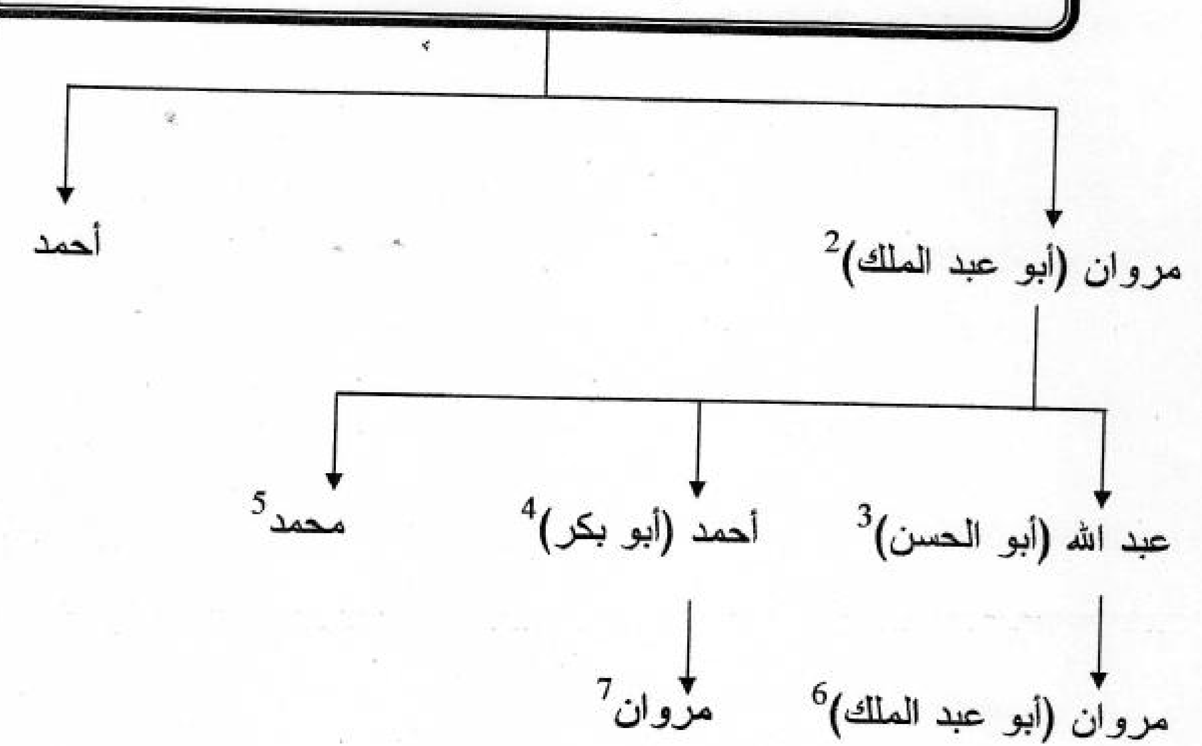
7- ابن الدلائي: نفسه – ص64.

8- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص325 – 331-332. ابن الدلائي: نفسه – ص61-64.

9- ابن الدلائي: نفسه – ص64.

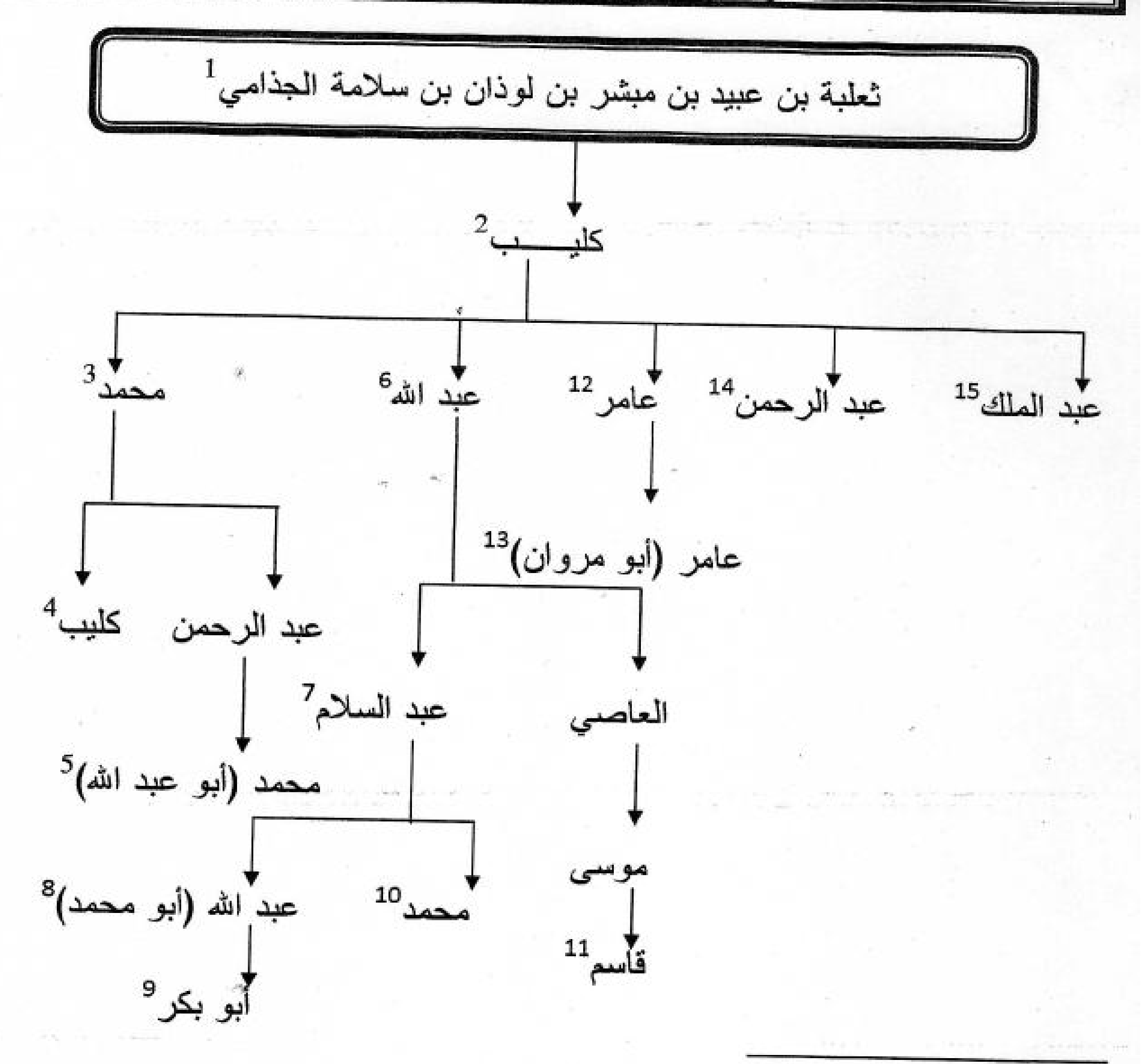
10- نفسه – نفس الصفحة. ابن حيان: نفسه – ق2 – ص326.

بيت بني روبش	الوزارة – ولاية المدن والخطبة

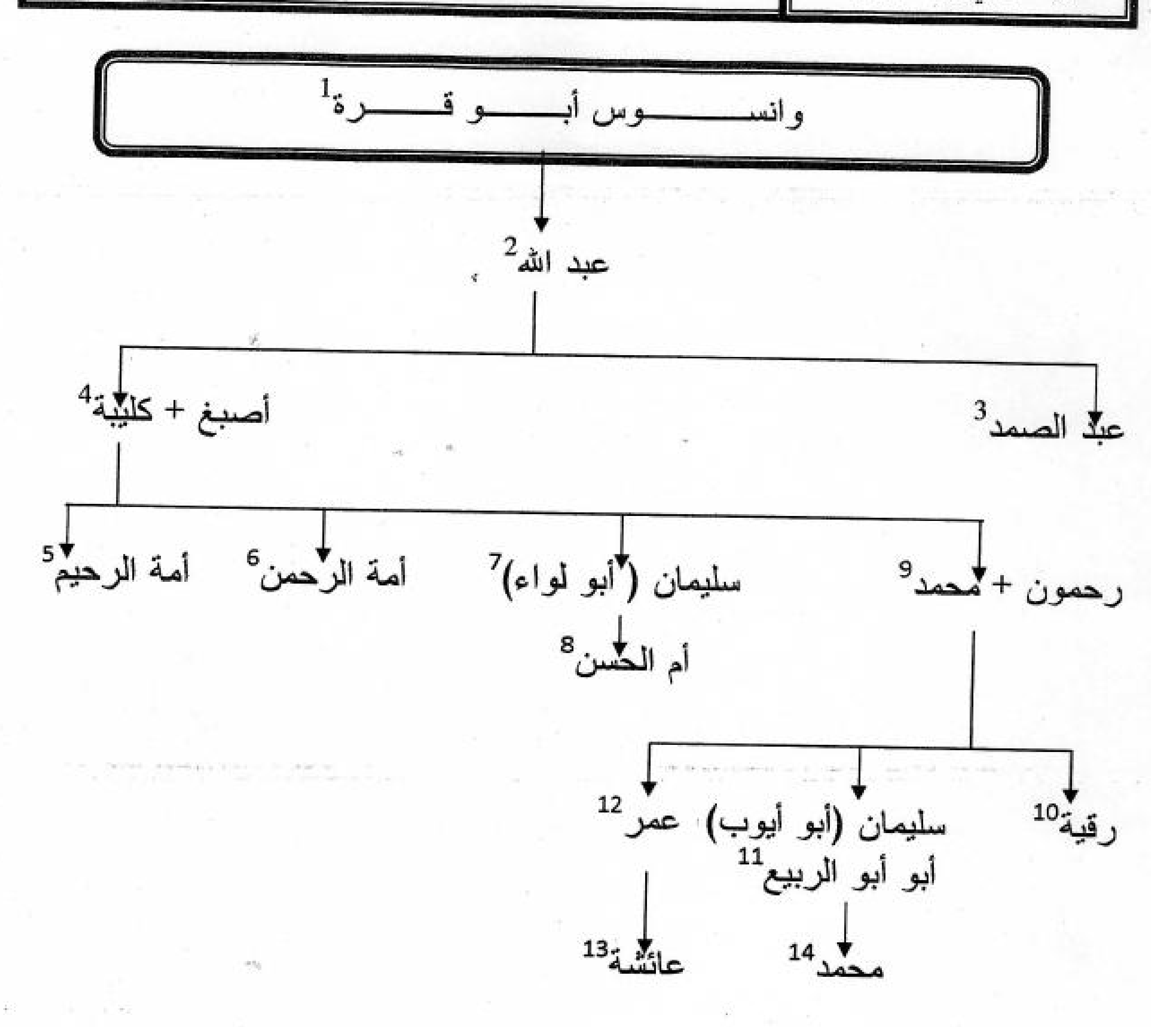


1- ابن الأبار: الحلة – ج2 – ص129.
2- ابن الأبار: التكملة – ج2 – ص184.
3- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
4- نفسه: ج1 –ص35 – ج2 – ص184.
5- نفسه: ج2 – ص184.
6- نفسه – ج2 – ص185- نفسه: الحلة – ج2 – ص218.
7- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
8- نفسه: ج2 – ص184 – نفسه: الحلة – ج2 – ص129.

الوزارة – ولاية الشرطة – القيادة	بيت بني كليب



[1]- ابن حزم: جمهرة...ص421. ابن القوطية: صص38-39.
[2]- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص224.
[3]- ابن حيان: نفسه – ق2 – ص29-38-80. نفسه – السفر الثاني – ص196.
[4]- نفسه: ق2 – ص312-314.
[5]- ابن الفرضي: المصدر السابق – ص317. الحميدي: المصدر السابق – ص60. الضبي: المصدر السابق – ص85. ابن حيان: المقتبس – نشر أنطونيا – ص8.
6- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص421-429-446-449-463. نفسه – ق2 – ص1-3. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص161. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص87.
8- ابن حيان: نفسه – ق2 – صص312-314. نفسه – السفر الثاني – ص446. ابن الفرضي: نفسه – ص231.
8- نفسه – ص197.
9- نفسه – ص198.
10- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص409.
11- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص69. ابن حيان: نفسه – ق5 – ص276-278.
12- ابن حيان: نفسه – السفر الثاني – ص424-429-442-446-448. ابن الدلائي: نفسه – ص29. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص161.
13. ابن حيان: ق2 – صص156-157. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب –ج1 –ص54. ابن الأبار: نفسه – ج1 – ص161.
14- يبقى البحث.
15- الحميري: الروض المعطار – ص519.



1- ابن القوطية: المصدر السابق – ص33. المقري: نفح الطيّب –ج1 – ص262. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب – ص499.
2- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص244.
3- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص129.
4- ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – صص128-129. نفسه – ق2 – ص189. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص160. ابن عذاري: المصدر السابق – ج2 – ص70-72.Levi provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane
5- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص245.
6- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
7- نفسه: ج4 – ص244.
8- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
9- ابن حيان: المقتبس – ق2 –ص189. ابن الأبار: الحلة – ج1 – ص160. نفسه – التكملة – ج4 – ص245. ابن حيان: المقتبس – السفر الثاني – ص129-131.
10- ابن الأبار: التكملة –ج4 – ص245.
11- ابن حيان: المقتبس – ق2 – ص104-109-189. نفسه: المقتبس – نشر أنطونيا – ص - ابن حزم: جمهرة – ص499. الحميدي: الجذوة – ص198. ابن سعيد: المصدر السابق – ج1 – ص283. ابن القوطية: المصدر السابق – ص84. ابن الأبار: الحلة –ج1 – ص160. ابن عذاري: نفسه –ج2 –ص142. الايلدني: مفاخر البرر – ص200.
12- ابن الأبار: التكملة – ج4 – ص245.
13- نفسه: نفس الجزء والصفحة.
14- ابن حيان: نفسه – ق5 – ص97.

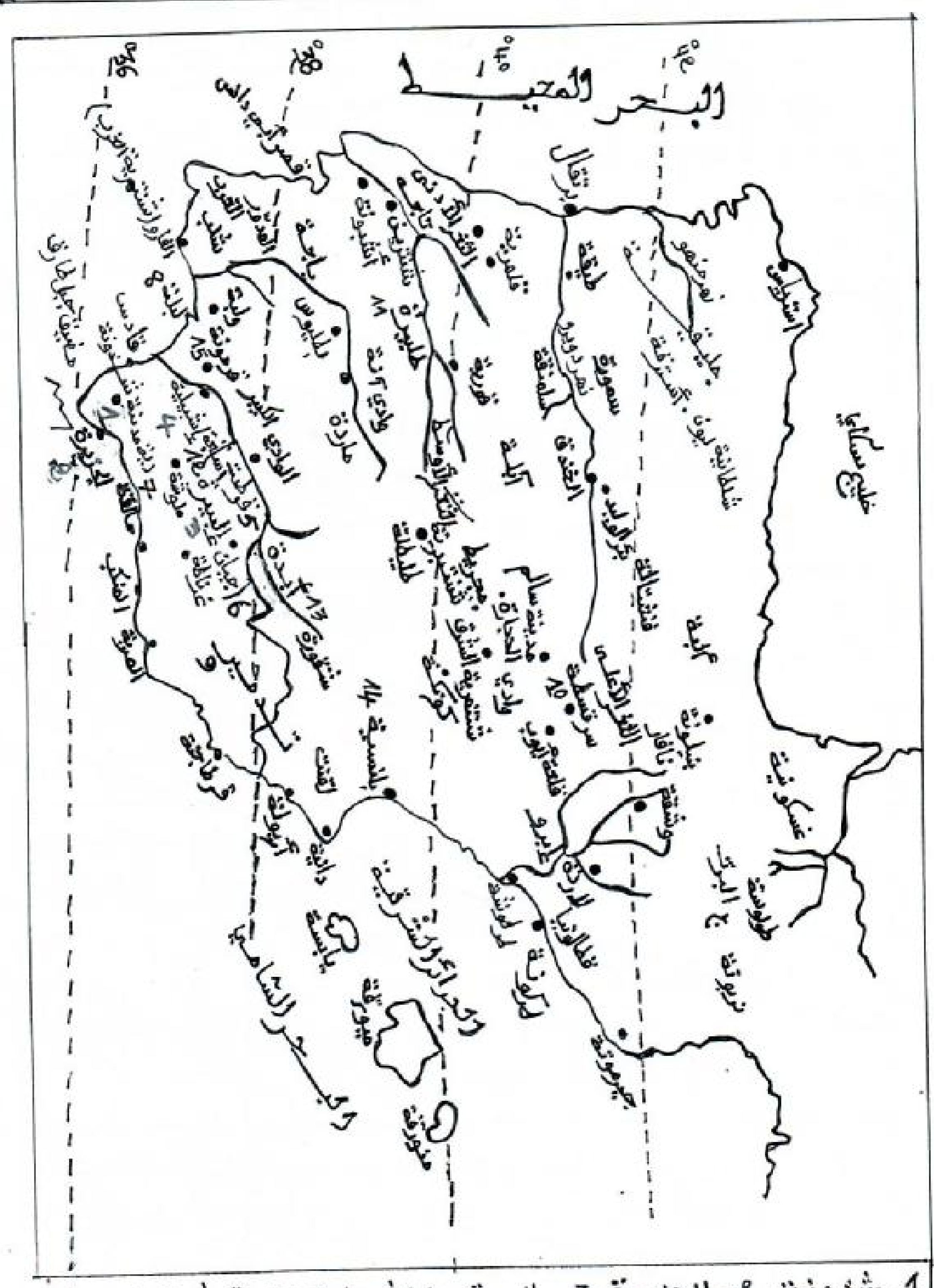
توزيع القبائل العربية والبربرية بالأندلس

توزيع القبائل العربية حسب الأرقام الموزعة على الخريطة مستخرج من جمهرة ابن حزم

الأرقام	القبائل العربية	الصفحات
1	بنو كنانة – بنو عرمرم – بنو خثعم – بنو جذام – بنو لخم – بنو جزيلة	ص 189-365-392-421-423-424
2	بنو كنانة – بنو جذام – بنو لخم	189-421-423.
3	بنو أسد بن حزيمة – بنو مرة – بنو سعد – بنو نمير – بنو قشير – بنو عطيف – بنو همدان – بنو نجيح	196-254-265-280-290-391-397-418.
4	بنو مرة – بنو عك بن عدنان – بنو عبد السلام سري – بنو جذام – بنو لخم – بنو حمير – بنو هوزن	254-328-329-364-365-421-423-424-433-434.
5	بنو الطبني – بنو مطروح – بنو عك بن عدنان – بنو خولان – بنو حمير – بنو بلى بن عمرو	220-321-328-329-418-433-447
6	بنو الضباب بن كلاب –بنو قشير –بنو طيء بن أدد – بنو منخل	287-290-404-419
7	بنو النمر بن قاسط – بنو عشيم بن سفيان – بنو الأشعر – بنو جزيلة – بنو ذو الرعين – بنو نهد بن زيد	302-347-398-423-434-447
8	بنو مطروح – بنو نمارة – بنو حراز	321-327-435
9	بنو دوس منهم بنو شاهر وبنو هارون ابن زرعة – بنو جذام	382-421
10	بنو كعب بن الخزرج- بنو تجيب	365-430
11	بنو عوف بن كعب (بنو بهدلة)	218-219
12	بنو نصر بن معاوية بن بكر	270

293	بنو يعمر بن مالك	13
419	آل جحاف	14
327	بنو نمارة	15

مناطق توزيع القبائل العربية



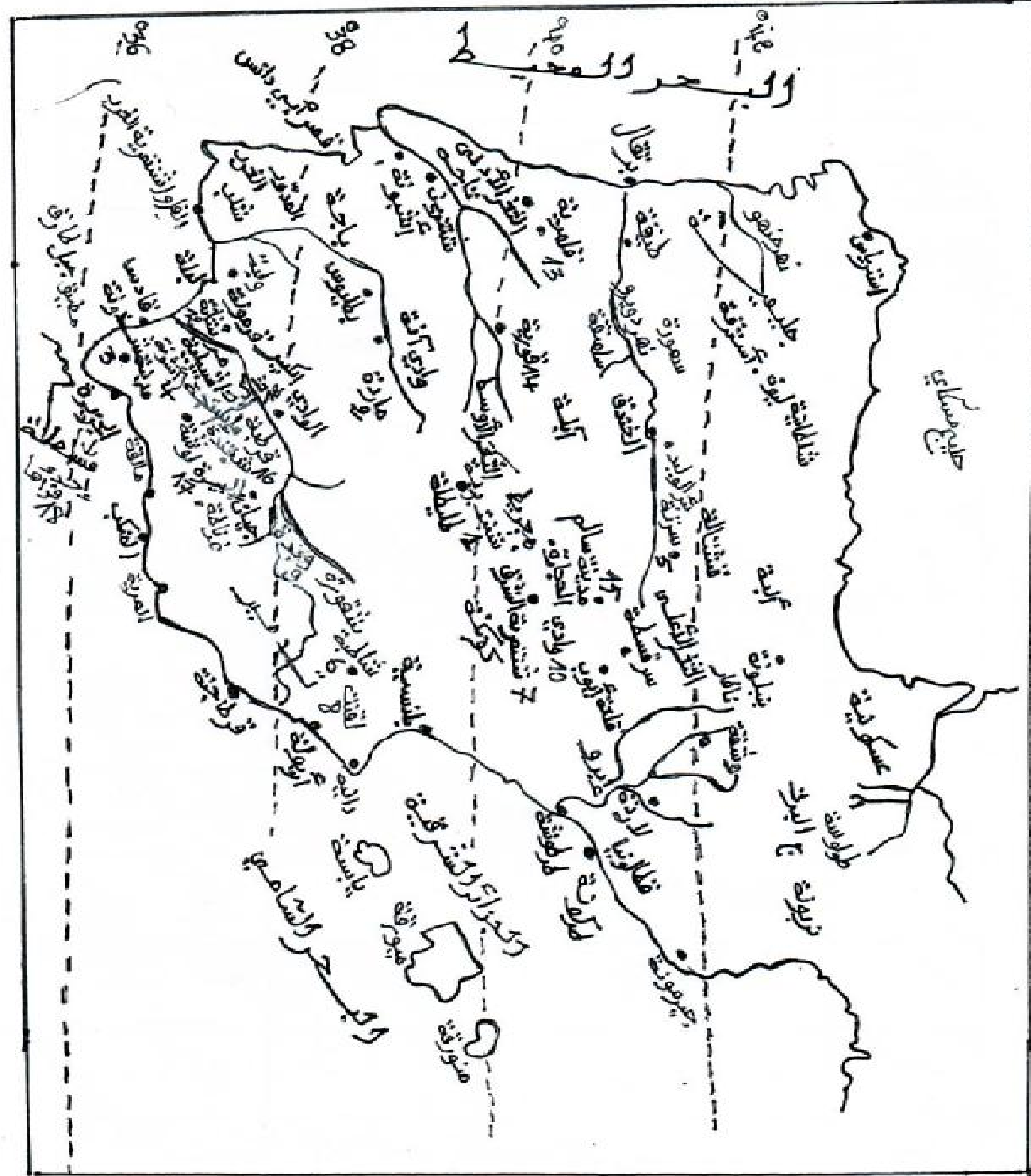
1- شذونة. 2- الجزيرة. 3- إلبيرة. 4- إشبيلية. 5- قرطبة. 6- جيان
7- ريّة. 8- لبلة. 9- تدمير. 10- سرقسطة. 11- طليرة.
12- إستجة. 13- أبدة. 14- بلنسية. 15- قرمونة

توزيع القبائل البربرية حسب الأرقام الموزعة على الخريطة مستخرج من جمهرة ابن حزم

الأرقام	القبائل البربرية	الصفحات
1	بنو عوسجة – بنو عزون – بنو تيه	498-499-500
2	بنو فرفرون – آل تاجيت	499-500
3	بنو أبي الأخطل – بنو إلياس	499
4	بنو طريف – بنو عبد الوهاب – بنو طاهر بن مناع	500
5	بنو عبدوس	499
6	بنو عميرة	499
7	بنو رزين	499
8	بنو الخروبي	499
9	بنو ذي النون	499
10	بنو الفرج	499
11	بنو الخليع	500
12	بنو جهور	500

500	بنو دانس بن عوسجة	13
501	آل تاجيت	14
501	بنو سالم	15
501	بنو مشرف	16
501	بنو مهلب	17
502	بنو دراج	18

مناطق توزيع القبائل البربرية	



1- شنت برية. 2- ماردة. 3- شذونة. 4- أشونة. 5- سرنه
6- شاطبة. 7- السهلة. 8- لقنت. 9- وبذة. 10- وادي الحجارة
11- تاكرنا. 12- مرشانة. 13- قلنبيرة. 14- قورية- لجدانية
15- مدينة سالم. 16- شقندة. 17- إلبيرة. 18- قسطلة.



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

القرآن الكريم:

1- ابن الأبار القضاعي أبو عبد الله محمد بــن عبــد الله (ت658هـــــ/1259م). اعتاب الكتاب حققه وعلق عليه وقدم له: صالح الأشتر – مطبوعــات مجمــع اللغــة العربية – دمشق – ط1 – 1380هـــ/1961م.

2- ابن الأبار القضاعي: تحفة القادم – أعاد بناءه وعلق عليه احسان عباس – دار الغرب الاسلامي – ط1 – 1406هـــ/1986م.

3- ابن الأبار القضاعي: التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس – دار الفكر العربي – بيروت- لبنان – 1415هـــ/1995م.

4- ابن الأبار القضاعي: الحلة السيراء – تحقيق حسين مؤنس – دار المعارف – القاهرة – ط – 1985م.

5- ابن الأبار القضاعي: المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصــدفي – طبع في مدينة مجريط – 1885م.

6- ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي: (ت 668هـــــ/1269م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء –ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيــون السود – دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان – ط1 – 1419هـــ/1998م.

7- ابن بابه أبو العباس أحمد بن علي القاشاني: رأس مال النديم في تواريخ أعيان أهل الاسلام – حققه وقدم له: أ –د/ سهيل زكــار – دار الفكــر – بيــروت– ط1 – 1418هـــ/1997م.

8- ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي (ت542هـــ/1147م) الذخيرة في محاسن الجزيرة تحقيق إحسان عباس– دار الغرب الاســلامي – بيــروت – لبنــان – ط1 – ص2000م.

9- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182م)– الصـــلة – ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسـيوطي – دار الكتـب العلميـة– بيـروت– ط1 – 1429هـ/2008م.

10- ابن بشكوال أبو القاسم: الصلة – ق1 – ق2 – الدار المصـرية للتـأليف والترجمة- القاهرة – 1966م.

11- ابن جبير محمد بن أحمد الكناني(614هـ/1217م) رحلة – دار القصـبة للنشر – الجزائر – 2001م.

12- ابن حـزم الأندلسـي أبـو محمـد علـي بـن أحمـد بـن سـعيد (ت 456هـ/1063م) الاحكام في أصول الأحكام – ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد تامر– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2004م.

13- ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب – راجع النسخة وضبط أعلامها عبد المنعم خليل ابراهيم – دار الكتب العلمية – بيروت– ط4.

14- ابن حزم الأندلسي: حجة الوداع – اعتنى به أبو صهيب الكرمي – بيـت الأفكار الدولية للنشر – الرياض– 1418هـ/1998م.

15- ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم – تحقيق احسان عباس – المؤسسـة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ط2 – 2007.

16- ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفـة والإلاف– حققـه وصـوبه وفهرس له حسين كامل الصيرفي – دار الفكر – بيروت– د. ت –

17- ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل – اعتنى به وحققـه أبـو عبـد الـرحمن عـادل بـن سـعد – دار ابـن الهيـثم – القـاهرة – ط1 – 1426هـ/2005م.

18- ابن حماد الصنهاجي (626هـ/1230م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم– تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي– المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر– 1984م.

19- ابن الحمصي أحمد بن محمد (934هـ/1527م) حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران – تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش – دار النفائس – بيروت– ط1 – 1421هـ/2000م.

20- ابن حوقل النصيبي: (ت بعد 367هـ/977م) كتاب صورة الأرض – دار الكتاب الاسلامي – القاهرة – د. ت

21- ابن حيان القرطبي أبو مروان حيان بن خلف: (469هـ/1076م) كتاب المقتبس – السفر الثاني– تحقيق: محمود علي مكي – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية – الرياض – 1422هـ/2001م.

22- ابن حيان القرطبي: المقتبس من أنباء أهل الأندلس – تحقيق محمود علي مكي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1393هـ/1973م.

23- ابن حيان القرطبي: المقتبس في رجال الأندلس – نشر الأب ملشور أنطونية – بولس كتني – 1973م.

24- ابن حيان القرطبي: المقتبس – نشر وتحقيق: ب. شالميتا وكورنيطي و م. صبح وغيرهم– المعهد الاسباني العربي للثقافة– كلية الآداب بالرباط– مدريد– 1979م.

25- ابن حيان القرطبي: المقتبس في تاريخ الأندلس – تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط1 – 1993م.

26- ابن حيان القرطبي: المقتبس في تاريخ الأندلس – شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 1426هـ/2006م.

27- ابن خاقان أبو نصر الفتح (ت 247هـ/861م) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس– مطبعة الجوائب – قسنطينة – الجزائر – 1302هـ.

28- ابن حاقان أبو نصر: قلائد العقبان في محاسن الأعيان – قدم له ووضع فهارسه: محمد العنابي – المكتبة العتيقة – تونس – 1386هـ/1966م.

29- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله (ت 300هـ/913م) المسالك والممالك – مطبعة بريل- ليدن – 1889م.

30- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ/1374م) الإحاطة في أخبار غرناطة– شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2003م.

31- ابن الخطيب لسان الدين: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام – تحقيق كسروي حسن – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1424هـ/2003م.

32- ابن الخطيب لسان الدين: تاريخ اسبانيا الاسلامية أو كتاب اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام – تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت – لبنان – ط2 – 1956م.

33- ابن الخطيب لسان الدين: اللمحة البدرية في الدولة النصرية – تحقيق محمد زينهم- الدار الثقافية للنشر – ط1 – 1425هـ/2004م.

34- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ/1406م): رحلة – عارضها بأصولها وعلق حواشيها محمد بن تاويت الطنجي– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1425هـ/2004م.

35- ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون– دراسة وتحقيق وتعليق علي عبد الواحد وافي – الجيزة – مصر – ط4 – 2006م.

36- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– اعتنى به أبو صهيب الكرمي– بيت الأفكار الدولية – الأردن – د. ت.

37- ابن خير الاشبيلي أبو بكر محمد (ت 575هـ/1179م): فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف – وقف على

نسخها وطبعها و مقابلتها على أصل محفوظ في خزانة الإسكوريال الشـيخ فرنشسـكه قدارة زيدين وتلميذ خليان ربارة طرغوه – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1893م.

38- ابن دحية الكلبي أبو الخطاب عمر بـن الحسـن (ت 633هـ/1235م) المطرب من أشعار اهل المغرب – ضبطه وشرحه صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – لبنان – ط1 – 1429هـ/2008م.

39- ابن دراج القسطلي أحمد بن محمد (ت 421هـ/1030م) ديوان ابن دراج – حققه وعلق عليه وقدم له محمـود علـي مكـي – المكتـب الاسـلامي – ط2 – 1389هـ.

40- ابن الدلائي أحمد بن عمر بـن أنـس العـذري (ت 478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس – من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك – تحقيق عبد العزيز الأهـواني – مطبعـة معهـد الدراسات الاسلامية – مدريد – 1965م.

41- ابن رسول السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف (ت 696هـ/1296م) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب – حققه ك. و. سترستين – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 1422هـ/2001م.

42- ابن رضوان النجاري أبو القاسم عبد الله بن يوسف (ت 784هـ/1382م) الشهب اللامعة في السياسة النافعة– تحقيق محمد حسن وأحمـد فريـد – دار الكتـب العلمية– بيروت – ط1 – 1425هـ/2004م.

43- ابن الزبير الغرناطي أبو جعفر أحمد بن ابـراهيم (ت 708هـ/1308م) صلة الصلة– ضبط نصه وعلق عليه جلال الأسيوطي – دار الكتب العلمية – بيـروت – لبنان – ط1 – 1429هـ/2008م.

44- ابن زرب أبو بكر محمد بن يبقى (381هـ/991م) كتاب الخصال – قدمه واعتنى بنصه و علق حواشيه عبد الحميـد العلمـي – منشـورات وزارة الأوقـاف والشؤون الاسلامية – المملكة المغربية – 1426هـ/2005م.

45- ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (399هـ/1008م) رياض الجنة بتخريج أصول السنة – تحقيق وتخريج وتعليق عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن حسين البخاري– مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة المنورة– السعودية – ط1 – 1415هـ.

46- ابن أبي زمنين (399هـ/1008م): قدوة الغازي – دراسة وتحقيق عائشة السليماني – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1989م.

47- ابن أبي زمنين: منتخب الأحكام – تحقيق عبد الله بن عطية الرداد الغامدي– المكتبة المكية– مكة المكرمة– السعودية ومؤسسة الريان– بيروت– ط1 – 1419هـ/1998م.

48- ابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي (ت 617هـ/1220م) التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي– تحقيق أحمد التوفيق– منشورات كلية الآداب بالرباط – المملكة المغربية – ط3 – 2010م.

49- ابن السائب الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد (ت 204هـ/819م) جمهرة النسب – تحقيق ناجي حسن – عالم الكتب – بيروت – لبنان – 1425هـ/2004م.

50- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت 673هـ/1213م) كتاب الجغرافيا – حققه ووضع مقدمته وعلق عليه اسماعيل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1982م.

51- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب – وضع حواشيه خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1417هـ/1997.

52- ابن سعيد الأندلسي: رايات المبرزين وغايات المميزين – حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية – طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق – ط1 – 1987م.

53- ابن سماك العاملي أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد (كان حيا في ق 8هـ/14م) الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية – دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 2010.

54- ابن شهيد الأندلسي أبو عامر احمد بن عبد الملك (ت 426هـ/1035م) ديوان ابن شهيد ورسائله – جمعه وحققه وشرحه محي الدين ديب – المكتبة العصرية – صيدا - بيروت – 1422هـ / 2002م.

55- ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع – صححها وحقق ما فيها وشرحها – بطرس البستاني – دار صادر – بيروت– ط – 1416هـ/1996م.

56- ابن عبد البر النمري أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/1070م) الانباه على قبائل الرواة – حققه وقدم له ووضع فهارسه ابراهيم الأبياري – دار الكتاب العربي- بيروت – لبنان – د. ت.

57- ابن عبد البر النمري: الاستيعاب في أسماء الأصحاب – مكتبة مصر– القاهرة- د. ت.

58- ابن عبد الرفيع أبو اسحاق ابراهيم بن حسن (ت 733هـ/1332م) معين الحكام على القضايا والأحكام – تحقيق محمد بن قاسم بن عياد – دار الغرب الاسلامي - بيروت – لبنان – 1989م.

59- ابن عبد الملك المراكشي محمد بن محمد بن سعيد (ت 703هـ/1303م) الذيل و التكملة لكتابي الموصول والصلة– تحقيق احسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط1 – 1973م.

60- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة – حققه عن نسخة الاسكوريال– احسان عباس- دار الثقافة – بيروت – لبنان – دت.

61- ابن عذاري المراكشي (كان حيا 711هـ/1312م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – تحقيق ومراجعة – ج. كولان – إ – ليفي بروفنسال – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ط3 – 1983م.

62- ابن عطية المحاربي الأندلسي عبد الحق (ت 541هـ/1146م): فهرس – تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي – دار الغرب الاسلامي – بيروت – لبنان – ط2 – 1983م.

63- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب – أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط – حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط– دار ابن كثير – دمشق – بيروت – 1410هـ-1989م.

64- ابن عميرة المخزومي أبو المطرف أحمد (ت 658هـ/1259م) تاريخ ميورقة– دراسة وتحقيق محمد بن معمر– دار الكتب العلمية– بيروت– ط1 – 1428هـ/2007م.

65- ابن فرحون اليعمري أبو الفاء ابراهيم بن محمد المالكي (ت 799هـ/1396م) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام – خرج أحاديثه وعلق عليه و كتب حواشيه الشيخ جمال مرعشلي – دار عالم الكتب – الرياض- المملكة العربية السعودية – ط – خاصة – 1413هـ/2003م.

66- ابن فرحون اليعمري: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب– دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان– دار الكتب العلمية– بيروت– ط1 – 1417هـ/1996م.

67- ابن الفرضي الأزدي أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ/1013م) تاريخ علماء الأندلس – تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1427هـ/2006م.

68- ابن الفرضي الأزدي: تاريخ علماء الأندلس– تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1417هـ/1997م.

69- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحي (ت 749هـ/1348م) التعريف بالمصطلح الشريف – عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1408هـ/1988م.

70- ابن الفقيه الهمداني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق (365هـ/976م) كتاب البلدان – تحقيق يوسف الهادي– عالم الكتب– بيروت– ط1 – 1416هـ/1996م.

71- ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد (ت 1025هـ/1616م) ذرة الحجال في غرة أسماء الرجال – حققه وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1423هـ/2002م.

72- ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/889م) الامامة والسياسة – علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور– دار الكتب العلمية– بيروت– ط1 – 1422هـ/2001م.

73- ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر– دار الحديث – القاهرة – ط1 – 1427هـ/2006م.

74- ابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر (ت 367هـ/977م) تاريخ افتتاح الأندلس – تحقيق وتعليق اسماعيل العربي– المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1989م.

75- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن علي (ت 711هـ/1311م): لسان العرب المحيط – قدم له العلامة الشيخ عبد الله العلايلي – اعداد وتصنيف يوسف خياط – دار لسان العرب- بيروت– د. ت.

76- ابن منظور أبو الفضل: تهذيب لسان العرب – تحت اشراف علي مهنا– دار الكتب العلمية – بيروت– ط1– د. ت.

77- ابن النديم محمد بن اسحاق (ت438هـ/1047م) الفهرست – تحقيق: محمد بن أحمد – المكتبة التوفيقية– العراق – د. ت.

78- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر (ت 749هـ/1348م) تاريخ – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1417هـ/1996م.

79- ابن الوردي زين الدين عمر بن مظفر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب – المكتبة الشعبية – بيروت– د. ت.

80- أبو شهبة محمد بن محمد: الوسيط في علوم مصطلح الحديث – عالم المعرفة – جدة – المملكة العربية السعودية – ط1 – 1403هـ-1983م

81- أبو الطيب اللغوي الحلبي عبد الواحد بن علي (ت بعد 350هـ/961م) مراتب النحويين – تقديم وتعليق محمد زينهم محمد عزب– دار الآفاق العربية– 1423هـ/2003م.

82- الادريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي (ت 560هـ/1165م) القارة الافريقية وجزيرة الأندلس- مقتبس من كتاب نزهة المشتق – تحقيق وتقديم وتعليق: اسماعيل العربي – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1983م.

83- امرؤ القيس: ديوان – اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطفاوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط4 – 1429هـ- 2008م.

84- الإيلاني أبو علي صالح بن عبد الحليم: مفاخر البربر– دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية – دار أبي رقراق- الرباط– ط2- 2008م.

85- البخاري محمد بن اسماعيل: الأدب المفرد– دار البشائر الاسلامية – بيروت– ط3- 1409هـ/1989م.

86- البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت 739هـ/1338م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع – تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي– دار الجيل – بيروت– ط1 – 1412هـ/1992م.

87- البكري أبو عبيد (ت 487هـ/1094م) جغرافية الأندلس وأوربا – من كتاب المسالك والممالك – دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت– 1968م.

88- البكري أبو عبيد: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك – مكتبة المثنى – بغداد– د.ت.

89- البكري أبو عبيد: المسالك والممالك – حققه ووضع فهارسه دمال طلبـــة– دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1424هــ/2003.

90- التجيبي السبتي القاسم بن يوسف (730هــــ/1329م) برنـــامج – تحقيـــق وإعداد عبد الحفيظ منصور – الدار العربية للكتاب – ليبيا وتونس – 1981م.

91- التميمي أبو العرب: طبقات علماء افريقية – جمع وتحقيق محمد أبي شنب – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – 2006م.

92- الثعالبي أبو منصور عبد الملك النيسابوري (429هــ/1037م) يتيمة الـــدهر في محاسن أهل العصر – شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة – دار الكتـــب العلميـــة – بيروت– ط1 – 1403هــ/1983م.

93- الجرجاني علي بن محمد بن علي (816هــ/1413م): فن أصول مصـــطلح الحديث– تحقيق ودراسة أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي– دار الفضـــيلة– القـــاهرة– 2003م.

94- الحازمي الهمداني أبو بكر محمد (ت584هـــــ/1188م): عجالـــة المبتـــدى وفضالة المنتهى في النسب – حققه وعلق عليه وفهرس له عبد الله كنون – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 1422هــ/2002م.

95- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (488هــ/1095م) جـــذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وذوي النباهة والشعر – قـــدم لـــه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1425هــ/2004م.

96- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح: جذوة المقتبس فـــي ذكـــر ولاة الأندلس – تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية – بيـــروت – لبنان – ط1 – 1417هــ/1997م.

97- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار – حققـــه احسان عباس – مكتبة لبنان – ط2 – 1984م.

98- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث (ت361هـ/971م) أخبار الفقهاء والمحدثين– وضع حواشيه: سالم مصطفى البدري – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1420هـ/1999م.

99- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث: طبقات علماء افريقية – جمع وتحقيق محمد بن أبي شنب – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 2006م.

100- الخشني أبو عبد الله محمد بن حارث: قضاة قرطبة وعلماء افريقية – عني بنشره، وصححه و راجع أصله السيد عزت العطار الحسني – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط2 – 1415هـ/1994م.

101- الداودي شمس الدين محمد بن علي بن احمد (ت 945هـ/1038م) طبقات المفسرين – ضبطه ووضع حواشيه عبد السلام عبد المعين – دار الكتب العلمية – بيروت– ط1 – 1422هـ/2002م.

102- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م) تذكرة الحفاظ – وضع حواشيه الشيخ زكريا عميرات – دار الكتب العلمية – بيروت- ط1 – 1419هـ/1998م.

103- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: المستصلح من كتاب التكملة أو مختصر التكملة لكتاب الصلة– خدمه واعتنى به هارون بن عبد الرحمن– عالم الكتب – بيروت– ط1 – 1429هـ/2008م.

104- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت– ط1 – 1405هـ- 1984م.

105- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/895م) الأخبار الطوال – اعداد وتحقيق وفهرسة عمر فاروق الطباع – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – لبنان – د. ت.

106- الرقيق القيرواني ابراهيم بن القاسم (كان حيا سنة 388هـ/998م): تاريخ افريقية والمغرب – تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد غـرب – دار الفرجـان للنشر والتوزيع – ط1 – 1414هـ-1994م.

107- الروحي أبو الحسن علي بن بي عبـد الله محمـد (ت فـي سـتينيات أو سبعينيات ق 6هـ/12م) بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء – تحقيق عماد احمـد هـلال وآخرون – القاهرة – 1424هـ/2003م.

108- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ/989م) طبقات النحـويين واللغويين – تحقيـق محمـد أبـو الفضـل ابـراهيم – دار المعـارف – مصـر – 1392هـ/1973م.

109- الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (538هـ/1143م) أساس البلاغة تحقيق عبد الرحيم محمود – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت ـــ د ت.

110- الزوزني (ت 646هـ/1248م) تاريخ الحكماء وهو مختصـر المسـمى: المنتخبات الملتقطات من إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطـي – تحقيـق بولبـوس ليبرت – مكتبة الآداب – القاهرة – ط1 – 1429هـ/2008م.

111- السخاوي شمس الدين محمد بن عبـد الـرحمن (ت 902هـــ/1496م) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ – دار الكتاب العربي – بيروت – د ت.

112- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن مصور (ت 562هـ/1166م) الأنساب وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1419هـ/1998م.

113- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ/1505م) بغية الوعاة فـي طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق محمد عبد الرحيم – دار الفكر – بيـروت – ط1 – 1425هـ -1426هـ/2005م.

114- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء – دار الكتب العلميـة – بيروت – ط1 – 1408هـ/1988م.

115- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: طبقات الحفاظ – راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء باشراف الناشر – دار الكتب العلميـة – بيـروت – ط2 – 1414هـ/1994.

116- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: لب اللباب فـي تحريـر الأنسـاب – محقق على نسخة خطية باشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر – بيروت – ط1 – 1422هـ/2002م.

117-

118- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م) الملـل والنحل – تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ـــ 1425هـ/2005م.

119- صاعد الأدلسي أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـ/1070م) طبقـات الأمم – تحقيق حياة بوعلوان – دار الطليعة للطباعـة والنشـر – بيـروت – ط1 – 1985م.

120- الصفدي صلاح الدين بن أيبك (ت 764هـــ/1362م) أعيـان العصـر وأعوان النصر – حققه علي أبو زيد وآخرون – دار الفكر المعاصر – بيروت – ودار الفكر بدمشق – سورية – ط1 – 1418هـ/1998م.

121- الصفدي صلاح الدين بن أيبك: الوافي بالوفيات – دار الفكر – بيروت – ط1 – 1425هـ/2005م.

122- الضبي ابن عميرة أو جعفر أحمد بن يحي (ت 599هـــ/1203م) بغيـة الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس – قدم له وضبطه وشـرحه ووضـع فهارسـه صـلاح الـدين الهـواري – المكتبـة العصـرية – صـيدا – بيـروت – ط1 – 1426هـ/2005م.

123- الضبي ابن عميرة أو جعفر أحمد بن يحي: بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس – تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1417هـ/1997م.

124- الطغنري أبو عبد الله محمد بن مالك (من اهل ق 5هـ/11م) زهرة البستان ونزهة الأذهان – حققه وعلق عليه محمد مولود خلف المشهداني – الدار الدولية للاستثمارات الثقافية – القاهرة – 2005م.

125- عبد الله بن بلقين: كتاب التبيان – تحقيق وتعليق وتقديم أمين توفيق الطيبي – منشورات عكاظ – دت.

126- عياض القاضي أبو الفضل بن موسى (ت 544هـ/1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – ضبطه وصححه محمد سالم هاشم – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1418هـ/1998م.

127- عياض القاضي أبو الفضل بن موسى: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – تحقيق أحمد بكير محمود – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت- 1388هـ/1968م.

128- عياض القاضي أبو الفضل بن موسى: فهرسة شيوخ القاضي عياض المسمى "الغنية" – تحقيق علي عمر – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط1 – 1423هـ-2003م.

129- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ/1414م): البلغة في تاريخ أئمة اللغة – اعتنى به وراجعه بركات يوسف هبود – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1422هـ/2001م.

130- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط – ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي – دار الفكر – بيروت – 1425هـ-1426هـ/2005م.

131- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/1283م) آثار البلاد وأخبار العباد – دار صادر – بيروت 1998م.

132- القزويني زكريا بن محمد بن محمود: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – دار الشرق العربي – بيروت – د ت.

133- القسطلاني أبو العباس شهاب الدين بن محمد (ت 923هـ/1525م) السعي الحثيث الى جمع فوائد علم الحديث – تقديم وتعليق بشير ضيف بن أبي بكر – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر - 1994م.

134- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ/1248م) :كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء – مكتبة المثنى – القاهرة – د ت –

135- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف: انباه الرواة على أنباء النحاة – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1424هـ/2004م.

136- اللبلي أحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري (ت 691هـ/1291م) فهرسة – تحقيق ياسين يوسف عياش – عواد عبد ربه أبو زينة – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1 – 1408هـ/1988م.

137- ليون الافريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي (956هـ/1548م) وصف افريقيا – ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط2 – 1983م.

138- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت285هـ/898م): الكامل في اللغة والأدب – مؤسسة المعارف – بيروت- 1423هـ - 2002م.

139- المتنبي أبو الطيب: ديوان أبو الطيب مع السيرة والأقوال والنوادر – دار الراتب الجامعية – بيروت – ط1 – 2008م.

140- المجاري أبو عبد الله محمد (ت 862هـ/1457م) برنامج – تحقيق محمد أبو الأجفان – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1 – 1982م.

141- مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها – رحمهم الله – و الحروب الواقعة بها – تحقيق اسماعيل العربي – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائـــر – 1989م.

142- مجهول: (ق 6هــ/12م) الاستبصار في عجائب الأمصار – نشر وتعليــق سعد زغلول عبد الحميد – دار النشر المغربية – الدار البيضاء – 1985م.

143- مجهول: (7هــ/13م) أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة – الطبــيخ فـــي المغرب والأندلس في عصر الموحدين – تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم – دار أبي رقراق للطباعة والنشر – الرباط – المغرب – 2010م.

144- مجهول: تاريخ الأندلس – تحقيق: عبد القادر بوباية – دار الكتب العلميــة – بيروت – لبنان – ط1 – 1428هــ/2007م.

145- مجهول: فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير – منشــورات دحلـــب – الجزائر.

146- مجهول: القول الأحوط في بيان ما تداول من المعلوم وكتبهـــا بـــالمغربين الأقصا والأوسط.

147- مجهول: مفاخر البربر – دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايـــة – دار أبـــي رقراق – المغرب – ط2 – 2008م.

148- مخلوف محمد بن محمد : شجرة النور الزكية في طبقات المالكيـــة – دار الفكر – بيروت د ت.

149- المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي (من أهل ق 7هــ/13م) المعجب في تلهيص أخبار المغرب – شرحه واعتنى به: د/ صلاح الدين الهـــواري – المكتبـــة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1426هــ/2006م.

150- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن (ت 346هــ/957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر – اعتنى به وراجعه: كمال حسين مرغي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – 1425هــ/2005م.

151- المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ/990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – علق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الصناوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1424هـ/2003م.

152- المقري التلمساني أحمد بن محمد (1041هـ/1631م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب – تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي – دار الفكر – بيروت – ط1 – 1419هـ/1998م.

153- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م) جني الأزهار من الورض المعطار- تحقيق محمد زينهم – الدار الثقافية للنشر – القاهرة – ط1 – 1426هـ/2006م.

154- النباهي المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي (792هـ/1389م) تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1 – 1426هـ/2006م.

155- النباهي المالقي أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي: تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة –بيروت – ط5 – 1403هـ/1983م.

156- النجاري المالقي أبو القاسم عبد الله بن يوسف (784هـ/1382م) الشهب اللامعة في السياسة النافعة – تحقيق محمد حسن محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1425هـ/2004م.

157-النيسابوري مسلم بن الحجاج القشيري. صحيح مسلم المسمى: المسند الصحيح المختصر من السنن – رقم كتبه: محمد بن نزار تميم، وضع فهارسه هيثم بن نزار تميم – ط1 – شرطة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – ط1 -1419هـ/1999م.

158- هشام بن عبد الله الأودي: المعين للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام – مخطوط مصور.

159- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ/1508م): المنهج الفائق والمنهل الرائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق- دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن حمود – دار البحوث الدراسية الاسلامية واحياء التراث – ط1 – 1426هـ/2005م.

160- ياقوت الحموي شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م) ارشاد الأريب الى معرفة الأديب – حققه وضبط نصوصه وأعد حواشيه وقدم له عمر فاروق الطباع – مؤسسة المعارف للطباعة والنشر – بيروت – ط1 – 1420هـ-1999م.

161- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ – دار صادر – بيروت – د ت.

ثانيا: المراجع

1- ابن أبي بكر بشير ضيف: مذكرة في مصطلح علم الحديث – ديوان المطبوعات الجامعية – بن عكنون – الجزائر – ط2 – 1994م.

2- ابن سودة عبد السلام بن عبد القادر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى – ضبط واستدراك – مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر – بيروت – ط1 – 1418هـ/1997م.

3- ابن عثيمن محمد بن صالح: شرح البيقونية – في مصطلح الحديث – اعتنى به وحققه: أبو عبد الله سيد بن عباس الجليمي – دار الامام مالك للكتاب – البليدة – الجزائر – 1423هـ/2002م.

4- ابن محمد علي: ابن بسام الشنتريني وكتاب الذخيرة – دراسة في حياة الرجل وأهم جوانب الكتاب – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر -1989م.

5- ابن محمد علي: النثر الأدبي الأندلسي في القــرن الخــامس الهجــري – "مضامينه وأشكاله" – دار الغرب الاسلامي – بيروت ـــ ط1 – 1990م.

6- أبو حويج مروان سليم: أصالة التثقيف التربــوي الاســلامي فــي الفكــر الأندلسي- الدار الجامعية – الكويت – 1407هـ/1987م.

7- أبو الخشب ابراهيم: تاريخ الأدب العربي في الأندلس – دار الفكر العربي – بيروت – 1966م.

8- أبو شهبة محمد بن محمد: الوسيط في علوم ومصطلح الحــديث – عــالم المعرفة – جدة – المملكة العربية السعودية – ط1 -1403هـ/1983م.

9- أبو عبية طع عبد المقصود: الحضارة الاسلامية – دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية – دار الكتب العلمية – بيروت ـــ ط1 – 1424هـ/2004م.

10- أحمد مصطفى أبو ضيف: القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (99هـ-422هـ/710م-1031م) الدار البيضاء – المغرب.

11- أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1417هـ/1997م.

12- أمين أحمد: ظهر الاسلام – يبحث في الحياة الاجتماعية والحركات العلمية والأدبية والفرق الدينية منذ العصر العباسي الثاني حتى العصــور المتــأخرة – دار الكتاب العربي و دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1425هـ/2004م.

13- بالنثيا آنجل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي – نقله عن الاسبانية: د/ حسين مؤنس – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر – د ت.

14- بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية – نقله الى العربية: نبيه أمــين فارس و منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت- ط8 – 1979م.

15- البغدادي اسماعيل باشا: ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – دار الفكر – بيروت – 1402هـ/1982م.

16- البغدادي اسماعيل باشا: هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصـــنفين من كشف الظنون – دار الفكر – بيروت – 1402هـ/1982م.

17- بوتشيش ابراهيم القادري: مباحث فـــي التـــاريخ الاجتمـــاعي للمغـــرب والأندلس خلال عصر المرابطين – دار الطليعـــة – بيـــروت – ط1 - حزيـــران (يونيو) 1998م.

18- بوتشيش ابراهيم القادري: أثر الاقطاع في تاريخ الأندلس السياسي – مـــن منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهـــور الخلافـــة (250هـــ/316م) مطـــابع منشورات عكاظ – الرباط – المغرب – 1992م.

19- بوز فارس: تاريخ العرب في الأندلس – من الفتح العربي حتـــى ســـقوط غرناطة – منشورات جامعة دمشق – 1415هـ-1416هـ/1994م-1995م.

20- بوباية عبد القادر: البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القـــرن الخـــامس الهجري (92هـ-422هـ/711م-1031م) – دار الكتب العلمية – بيـــروت – ط1 – 2011م.

21- بوشريط أمحمد: آل الرازي وآثارهم التاريخية – رسالة ماجســـتير غيـــر منشورة – تحت اشراف: د/ بن معمر محمد- السنة الجامعية 1425هـــ/2003م-2004م.

22- بوفلاقة سعد: الشعر النسوي الأندلسي – أغراضه وخصائصـــه الفنيـــة – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – 1995م.

23- بونار رابح: المغرب العربي – تاريخه وثقافته – دار الهدى – عين مليلة – الجزائر – ط3 – 2000م.

24- بويحي الشاذلي: ابن شهيد الأندلسي – حياته، شعره ونثره – رسالة التوابع والزوابع – مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع – تونس – 1993م.

25- بويكاك: المصادر التاريخية العربية في الأندلس – نقله الى العربية: نايف أبو كرم – منشورات دار علاء الدين – دمشق – سوريا – ط1 – 1999م.

26- بيضون ابراهيم: الدولة العربية في اسبانيا – من الفتح حتى سقوط الخلافة – دار النهضة العربية – بيروت – ط1 – 1406هـ/1986م.

27- التليدي محمد بن عبد الله: تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه – دار البشائر الاسلامية – بيروت – ط1 – 1416هـ/1995م.

28- التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج – تحقيق: د/ علي عمر – مكتبة الثقافة الدينية – ط1 – 1423هـ/2004م – التهامي ابراهيم: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة - دراسة في الصراع العقدي في المغرب الاسلامي – من الفتح الاسلامي الى نهاية القرن الخامس الهجري – دار الرسالة للنشر والتوزيع – الجزائر – ط1 – 1422هـ/2002م.

29- جب هاملتون: دراسات في حضارة الاسلام – دار العلم للملايين – بيروت – ط3 – 1979م.

30- الجليلي محمود – المكاييل والأوزان والنقود العربية – دار الغرب الاسلامي – بيروت – ط1 – 2005م.

31- جوليان شارل اندري: تاريخ افريقيا الشمالية – تعريب: محمد مزالي – البشير بن سلامة – الدار التونسية للنشر– تونس - 1978م.

32- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – دار الفكر – بيروت – 1402هـ/1982م.

33- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – دار الفكر – بيروت – ط - 1427هـ-1428هـ/2007م.

34- الحجي عبد الرحمن علي: التاريخ الأندلسي – من الفتح السلامي حتى سقوط غرناطة – (92هـ-897هـ/711م-1492م) دار القلم – دمشق – ط5 – 1418هـ/1997م.

35- حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصـــطلحات الأيوبيـــة والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية – دار العلم للملايين – بيروت – ط1 – 1999م.

36- حقي محمد: البربر في الأندلس – دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفــتح الى سقوط الخلافة الأموية (92هــ/711م -422هـــــ/1031م) – شـــركة النشـــر والتوزيع – المدارس – الدار البيضاء – المغرب – ط1 – 1422هــ/2001م.

37- حلمي مصطفى: الاسلام والأديان – دراسة مقارنة – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1421هــ/2004م.

38- خلف نجم عبد الرحمن: استدراكات على تاريخ التــراث العربـــي لفــؤاد سزكين – فـــي علـــم الحـــديث – دار البشـــائر الاســـلامية – بيـــروت – ط1 – 1421هــ/2000م.

39- خضر حازم عبد الله: ابن شهيد الأندلسي – حياته وأدبـــه – دار الحريـــة للطباعة والنشر – بغداد – 1984م.

40- خلاف محمد عبد الوهاب: قرطبة الاسلامية في القـــرن الحـــادي عشـــر الميلادي – الخامس الهجري – الحياة الاقتصادية والاجتماعية – الـــدار التونســـية للنشر – 1984م.

41- الخير آبادي محمد أبو الليث: معجم المصـــطلحات الحديثيـــة – مؤسســـة الرسالة – بيروت – ط1 – 1426هــ/2005م.

42- الداية محمد رضوان: الأدب الأندلسي والمغربي – مطبعة خالد بن الوليـــد – دمشق – سوريا – 1400هــ-1401هــ/1980م-1981م.

43- الدباغ علي عبد الله- اسهام علماء العرب والمســـلمين فـــي الصـــيدلة – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2 – 1407هــ/1987م.

44- الدراجي بوزياني: دول الخوارخ والعلـــويين – دار الكتـــاب العربـــي – الجزائر – ط1 – 2002م.

45- الدفاع علي عبد الله: اسهام علماء العــرب والمســلمين فــي الصــيدلة – مؤسسة الرسالة – ط3 – 1407هـ/1987م.

46- راضي محمد علي: الأندلس والناصر – دار الكتاب العربــي للطباعــة – 1967م.

47- رستم محمد بن زين العابدين: بيوتات العلم والحديث في الأنــدلس – دار ابن حزم – بيروت – ط1 – 1430هـ/2009م.

48- الركابي جودت: في الأدب الأندلسي – دار المعارف القاهرة – 1970م.

49- الزركلي خير الدين: الأعلام – دار العلم للملايــين – بيــروت – ط8 – 1989م.

50- أبو زهرة: ابن حزم – حياته وعصره – أراؤه وفقهه – دار الفكر العربي – القاهرة – 1997م.

51- سالم السيد عبد العزيز: التاريخ والمؤرخون العــرب – مؤسســة شــباب الجامعة – الاسكندرية – 2006م.

52- سالم السيد عبد العزيز: محاضرات في تــاريخ الحضــارة الاســلامية – مؤسسة شباب الجامعة – 2000م.

53- سالم سحر السيد عبد العزيز: بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري – أسرة من المولدين بمرسية في العصر الاسلامي – مؤسسة شباب الجامعة – الاســكندرية – مصر – 1989م.

54- سالم سحر السيد عبد العزيز: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس فــي العصر الاسلامي (التاريخ السياســي والحضــاري) مؤسســة شــباب الجامعــة – الاسكندرية – 1995م.

55- سزكين فؤاد: تاريبخ التراث العربي – نشــر مكتبــة: آيــة الله العظمــى المرعشي النجفي العامة- قم – ايران – 1403هـ/1983م.

56- سعد قاسم علي: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية – رجال المالكية من كتاب – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مــذهب مالــك – دار البحــوث للدراسات الاسلامية واحياء التراث – دبي – الامارات العربية المتحــدة – ط1 - 1423هـ/2002م.

57- السيد حسني أحمد: الحضارة العربية – نشأتها وتطورها وآثارهــا – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة – 1967م.

58- بن شريفة محمد: ابن مغاور الشاطبي – حياته وآثاره – مطبعــة النجــاح الجديدة – الدار البيضاء – 1415هـ/1994م.

59- الشطي أحمد شوكت: تاريخ الطب وآدابه وأعلامه – مطبعــة طــربين – 1386هـ/1967م.

60- الشكعة مصطفى: معالم الحضارة الاسلامية – دار العلم للملايين – بيروت – ط4 – 1982م.

61- الصمدي خالد: حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس الهجري – أبو عبد الرحمن بن عتاب نموذجا – وزارة الأوقاف والشؤون الاســلامية – المملكــة المغربية – 1415هـ/1995م.

62- الصوفي خالد: تاريخ العرب في الأندلس – عصر الامارة – منشــورات جامعة قار يونس – كلية الآداب – ط2 – 1980م.

63- الصيحي محمد ابراهيم: تطور الطب بالأندلس – مكتبة الوعي العربــي – الفجالة – 1968م.

64- طقوس محمد ســهيل: تــاريخ المســلمين فــي الأنــدلس – (91هـــ-897م/710هـ-1492م) دار النفائس- بيروت- ط2 – 1429هـ/2008م.

65- طويل يوسف: مدخل الى الأدب الأندلسي – دار الفكر اللبناني – بيــروت – ط1 – 1991م.

66- العبادي مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت – 1972م.

67- العبادي مختار: في تاريخ المغرب والأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – 1978م.

68- عباس احسان: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – دار الثقافة – بيروت – ط6 – 1981م.

69- عباس احسان: تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين – دار الثقافة – بيروت – ط6 – 1981م.

70- عباس رضا هادي: الأندلس –محاضرات في التاريخ والحضارة – منشورات إلجا – فاليتا – مالطا – 1998م.

71- عبد الجواد رجب: ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط1 – 1423هـ/2003م.

72- عبد المنعم ابراهيم: رعاية الأيتام في الأندلس – من الفتح الاسلامي حتى نهاية دولة المرابطين – مركز الاسكندرية للكتاب –ط – 2005م.

73- عتيق عبد العزيز: الأدب العربي في الأندلس – دار النهضة العربية – بيروت – د ت.

74- عويس عبد الحليم: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي و الحضاري – الصحوة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط1 – 1421هـ/2010م.

75- عيسى محمد عبد الحميد: تاريخ التعليم في الأندلس – دار الفكر العربي – بيروت – ط1 – 1982م.

76- الغساني محمد الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير – 1690-1691م – حررها وقدم له: نوري الجراح – دار السويدي للنشر – أبو ظبي – الامارات العربية المتحدة – ط1 – 2002م.

77- الفاسي محمد العابد: فهرس المخطوطات – خزانة القرويين – قدم وترجم له ابنه: محمد الفاسي – ط1 – 1399هـ/1979م.

78- قبول أبو سليمان عبد الكريم: الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي – دار الفجر – الجزائر – 2006م.

79- قلعي جي محمد رواس وآخرون: معجم لغة الفقهاء – دار النفائس – بيروت – ط2 – 1427هـ/2006م.

80- الكتاني عبد الكبير: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس – تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني – مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء – ط1 – 1422هـ/2002م.

81- الكتاني عبد الحي: تاريخ المكتبات الاسلامية ومن ألف في الكتب ضبط وتعليق: أحمد شوقي بنبين وعبد القادر سعود – ط2 – 2005م.

82- الكتاني محمد حمزة: الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1- 1425هـ/2004م.

83- كحالة عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام – مؤسسة الرسالة – ناشرون – دمشق – ط1 – 1432م.

84- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين: اعتنى به وجمعه وأخرجه: مكتب تحقيق التراث – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط1 – 1414هـ/1993م.

85- محمد محمد سعيد: ابن شهيد الأندلسي – أديبا وناقدا – شبها – 1988م.

86- مكي محمود علي: وثائق تاريخية عن عصر المرابطين – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – ط1 – 1424هـ/2004م.

87- منشد مجيد خلف: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد و الفرق الاسلامية – دار ابن حزم – بيروت – ط1 – 1422هـ/2002م.

88- المنوني: المصادر العربية لتاريخ المغرب – من الفتح الى نهاية العصـــر الحديث – منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط – المملكـــة المغربيـــة – 1404هــ/1983م.

89- موسوعة الأديان (الميسرة) – دار النفائس للطباعة والنشر – بيـــروت – ط3 – 1426هــ-2005م.

90- مؤنس حسين – فجر الأندلس – دراسة في تاريخ الأندلس – مـــن الفـــتح الاسلامي الى قيـــام الدولـــة الأمويـــة (711م-756م) دار الرشـــاد – القـــاهرة – 1426هــ/2005م.

91- مؤنس حسين – فجر الأندلس – دراسة في تاريخ الأندلس – مـــن الفـــتح الاسلامي الى قيام الدولة الأموية (711م-756م) الدار الســـعودية للنشـــر – ط2 – 1405هــ/1985م.

92- مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس – دار الرشاد – القـــاهرة – ط3 – 1420هــ/1999م.

93- نويهض عادل: معجم المفسرين – من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر – مؤسسة نـــويهض الثقافيـــة للتـــأليف والترجمـــة والنشـــر – بيـــروت – ط1 – 1404هــ/1984م.

94- هادي رضا: الأندلس محاضرات في التـــاريخ والحضـــارة- منشـــورات ELGA- فاليتا – مالطا – 1998م.

95- هيكل احمد: الأدب الأندلسي – من الفتح الى سقوط الخلافة – القـــاهرة – ط12 – 1997م.

96- يفوت سالم: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – ط1 – 1986م.

97- ابراهيم عبد المنعم: رعاية الأيتام في الأندلس – من الفتح الاسلامي حتـــى نهاية المرابطين – مركز الاسكندرية للكتاب – د.ت.

المراجع باللغة الأجنبية:

1) Albornoz claudio sanchez : L'Espagne Musulmane – Tome1 – la conquête et les guerres civiles – la séparation d'Alandalus du califa – Ed – opu – publisud – 1985.
2) Albornoz claudio sanchez : L'Espagne Musulmane – Tome2 – Les Royaumes de Taifas – Ed – publisud – 2001.
3) E- Levy provençal : Histoire de l'Espagne Musulmane – T maison neuve – paris – Leiden – 1959.
4) E- Levy provençal : L'Espagne au Xème siècle – Ed – maison – neuve – 2004.
5) Gustave le bon : la civilisation des arabes – SNED – Alger – 1969.
6) Guichard pierre : structure sociales « orientales » et « occidentales » dans l'Espagne Musulmane – Mouton – paris – la Haye – 1977.
7) Grawitz Madelaine : Lexique des sciences sociales – Ed – Dalloz – paris – 8ème Edition – 2004.
8) Picard Christophe : le Portugal Musulmane – (VIIIe – XIIIe siècle) – L'occident d'Al- Andalus sous domination Islamique – Maison – neuve et larose – 2000.

المجلات باللغة العربية:

1) أحمد نهلة شهاب: أسرة أبي عبدة ودورها في تاريخ الأندلس في عهد الولاة والامارة (92هـ-316هـ) مجلة البحث العلمي يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي – الرباط – العدد 35 – 1405هـ/1985م.
2) اسماعيل محمود: اشكالية تفسير التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأوائل – مجلة عالم الفكر التاريخي – المجلس الوطني للثقافة – مج29 – 2001م.
3) بوشريط أمحمد: ابن حزم ومقارنته للأديان من خلال كتابه" الفصل في الملل والأهواء والنحل" – الوحدانية في ميزان المسيحية واليهودية – مجلة المواقف – عدد خاص – أفريل 2008م.
4) بوشريط أمحمد: الامام ابن أبي زمنين واسهاماته في الفقه – كتابا المنتخب والمغرب أنموذجا – مجلة المواقف – منشورات جامعة معسكر – العدد السادس – ديسمبر – 2011.

5) ذنون طه عبد الواحد: نشأة التدوين التاريخي العربي في الأندلس – سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة – هيئة كتابة التاريخ – دار الشؤون الثقافية العامة – آفاق عربية – ط1 – 1988م.

6) شقور عبد السلام بن المختار: البيوتات الأندلسية – بحث في المكونات والضوابط والنتائج – منشور ضمن أعمال ندوة "الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات" – مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض – 1417هـ-1997م.

7) ابن غالب الأندلسي: قطعة من كتاب "فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس" – نشر لطفي عبد البديع – مجلة معهد المخطوطات العربية – القاهرة – المجلد الأول – الجزء الثاني – ربيع الأول – 1375هـ- نوفمبر – 1955.

8) مكي محمود علي: السيرة النبوية في التراث الأندلسي – مجلة الهلال المصرية – عدد أغسطس – 1978م.

9) الوافي ابراهيم أحمد: التفسير وعلوم القرآن بالغرب الاسلامي من القرن الثاني الى القرن الثامن الهجري – السجل العلمي لندوة الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات – مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة – 1417هـ-1996م-القسم الخامس.

10) الوالي عبد العالي: قراءة في تراث ابن حزم الظاهري – مجلة التراث الاسلامي في الغرب الاسلامي والتنمية – منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية – وجدة – عدد29- 2004.

<u>المجلات باللغة الأجنبية:</u>

1) Adam Sabra : Ibn Hazm’s Aeritique of Islamic legal theory- estudio arabés – volume XXVIII – N01 – enero Junio, Madrid – Espana – 2007.
2) David .j. Wasserstein: Iventing Traduction and constructing identity the Genealagy of “umar Ibn Hafsun between christianity and islam. Alqantara – Revista de studios arabés – Vol .XXXIII – Fasc 2 – Madrid. 2002.
3) E – Levy – provençal : description de l’Espagne d’Ahmed Al Razi – essaie de reconstitution de l’originale arabe et traduction française « al Andalus » vol XVIII –Fax.
4) E – Levy provençal : Revista del instituto Egipcio de studios islamicos, Madrid 22 Avril -1954.

فهرس الموضوعات